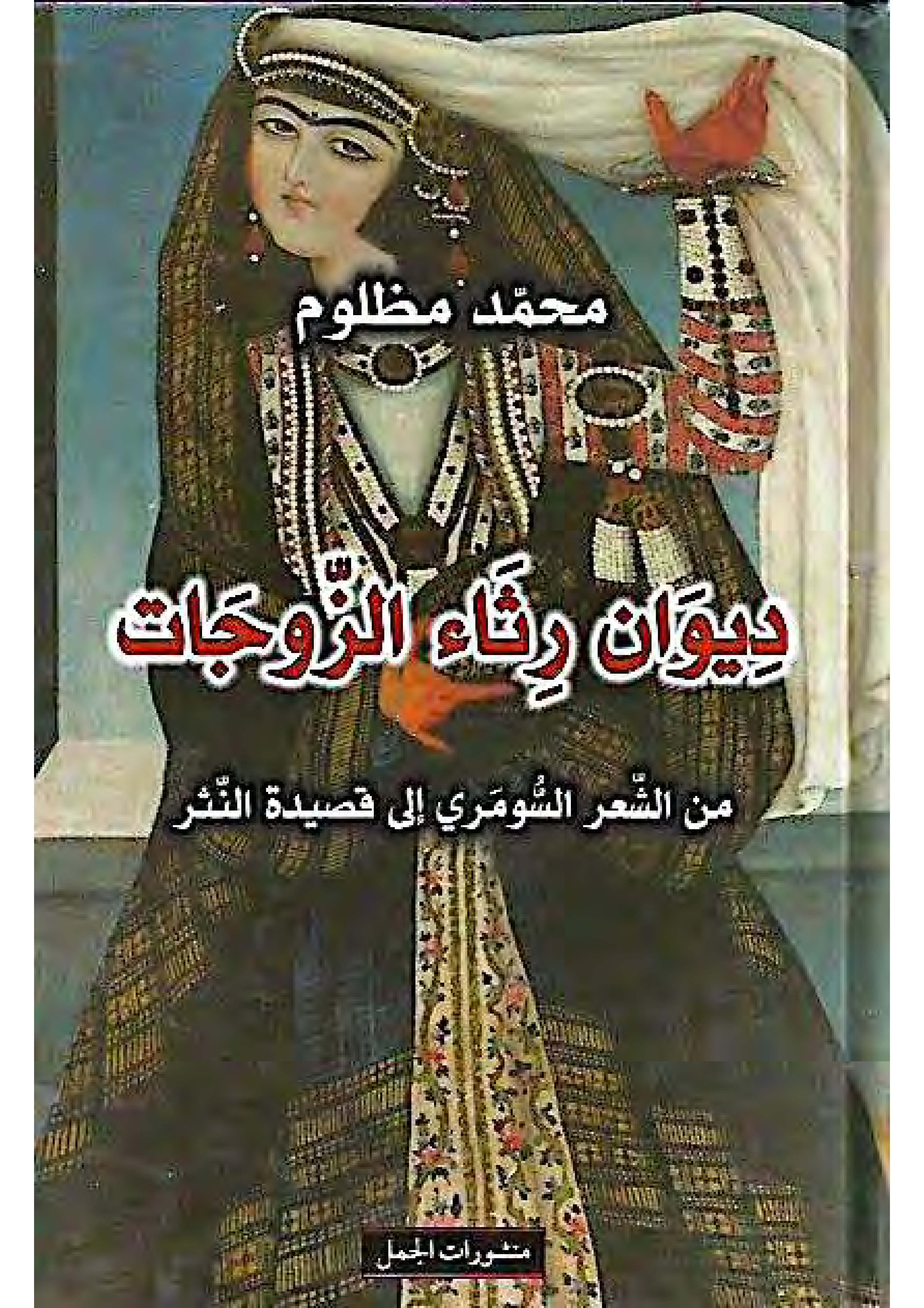

محمّد مظلوم
دِيوَان رِثَاء الزّوجَات
من الشّعر السُّومَري إلى قصيدة النّثر
منشورات الجمل

محمّد مظلوم: دِيوَان رِثَاء الزّوجَات

محمّد مظلوم

دِيوَان رِثَاء الزّوجَات

من الشّعر السُّومَري إلى قصيدة النّثر

منشورات الجمل

وُلِدَ محمَّد مظلوم في بغداد / منطقة الكرَّادة ١٩٦٣. تخرَّجَ من قسم الدراسات الإسلامية في كلية الشريعة ـ جامعة بغداد ١٩٨٧. سِيْقَ مجنداً للخدمة العسكرية بعد تخرجه من الجامعة مباشرة. عَمِلَ بعد انتهاء حرب الخليج الأولى مدرساً للغة العربية في محافظة أربيل بكردستان العراق. غادرَ إلى دمشق عبر نهر الخابور خريف عام ١٩٩١، ولا يزال مقيماً فيها. من مؤلفاته الشعرية: **غير منصوص عليه ـ ارتكابات** (١٩٩٢)؛ **المتأخِّرُ ـ عابراً بين مرايا الشبهات** (١٩٩٤)؛ **محمد والذين معه** (١٩٩٦)؛ **النَّائمُ وسيرتُهُ معارك** (١٩٩٨)؛ **أندلسٌ لبغداد** (٢٠٠٢)؛ **اسكندرُ البرابرة** (٢٠٠٤)؛ **بازي النَّشوان** (٢٠٠٨)؛ **كتاب فاطمة** (٢٠١٠).

وله في النثر والدراسات: **عبد الوهاب البياتي ـ كتاب المختارات** (١٩٩٨)؛ **ربيعُ الجنرالات ونيروز الحلاجين** (٢٠٠٣)؛ **عراقُ الكولونيالية الجديدة** (٢٠٠٥)؛ **الفتنُ البغدادية ـ فقهاء المارينز وأهل الشقاق** (٢٠٠٦)؛ **حطبُ إبراهيم أو الجيل البدوي - شعر الثمانينات وأجيال الدولة العراقية** (٢٠٠٧)؛ **أصحاب الواحدة ـ اليتيمات والمشهورات والمنسيات من الشعر العربي** (٢٠١٢).

محمّد مظلوم: **دِيوَان رِثَاء الزّوجَات**، الطبعة الأولى

تلفون وفاكس: ٣٥٣٣٠٤ ١ ٠٠٩٦١
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

المُحتَوى

ملحق نماذج من رثاء الحبيبات

إِلَىٰ فَاطِمَةَ فِيْ ذِكْرَاهَا

مَسَاءَ يَوْمِ الإِثْنَيْنِ ١٧/١١/٢٠٠٨ كَانَتْ زَوْجَتِيْ «فَاطِمَةُ» الْحَامِلُ بِتَوْأَمَيْنِ ذَكَرَيْنِ، فِيْ شَهْرِهَا التَّاسِعِ عِنْدَمَا دَهَمَتْهَا، فَجْأَةً، أَعْرَاضٌ مُخْتَلِطَةٌ بَيْنَ تَفَاعُلاتِ أَلَمِ الْمَخَاضِ وَبَيْنَ ارْتِعَاشَاتٍ جَسَدِيَّةٍ غَرِيْبَةٍ، فَنَقَلْتُهَا فَوْراً إلى مُسْتَشْفَىْ «الشَّرْقِ» لِلْوِلادَةِ فِيْ دِمَشْقَ حَيْثُ انْتَصَرَ الْمَوْتُ عَلَى الْحَيَاةِ، فِيْ مَعْرَكَةٍ سَرِيْعَةٍ وَخَاطِفَةٍ، وَاخْتَطَفَ مِنِّيْ ثَلاثَ أَرْوَاحٍ حَبِيْبَةٍ فِيْ لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ. كَانَتْ تَجْرِبَةً فَائِضَةً بِالْقَسْوَةِ الْمُفْرِطَةِ، زَادَ مِنْ قَسْوَتِهَا مَا وَاجَهْتُهُ مِنِ انْكِشَافِ الأَقْنِعَةِ الَّتِيْ نَزَفَتْ بَشَرِيَّتَهَا لِتُسْفِرَ عَنْ وُجُوْهِ وُحُوْشٍ مِنْ حَوْلِيْ. ضَاقَتْ عَلَيَّ دِمَشْقُ وَالْعَالَمُ وَلَمْ أَجِدْ إِزَاءَهَا مِنْ عُلالَةٍ أَوْ عَزَاءٍ فِي الْمَنْفَىْ الَّذِيْ أَضْحَىْ مُرَكَّباً مُنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ، سِوَى الْعُزْلَةِ وَالاعْتِكَافِ فِيْ يَوْمِيَّاتِ ذَلِكَ الْمُنَاخِ التَّرَاجِيْدِيِّ كِتَابَةً وَقِرَاءَةً، كِتَابَةَ مَرْثِيَّتِي الشَّخْصِيَّةِ لَهَا، صَدَرَتْ لاحِقاً فِيْ «كِتَابُ فَاطِمَة» وَكَذَلِكَ الْقِرَاءَةَ الْمُوَازِيَةَ لِتِلْكَ التَّجْرِبَةِ التَّرَاجِيْدِيَّةِ، فَكَانَ هُنَاكَ كِتَابَانِ كُنْتُ قَرَأْتُهُمَا فِيْ وَقْتٍ سَابِقٍ، لَمَعَا فِيْ ذِهْنِي الذَّاهِلِ فَجْأَةً وَكَأَنَّهُمَا تَعْوِيْذَةُ التَّصَبُّرِ فِيْ هَذِهِ الرِّحْلَةِ الشَّاقَةِ مِنَ الأَلَمِ الرُّوْحِيِّ، وَهُمَا كِتَابُ «التَّعَازِي وَالْمَرَاثِيْ» لِلْمُبَرِّدِ، وَكِتَابُ «الْمَرْثَاةُ الْغَزَلِيَّةُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ» لِلدُّكْتُوْرَ عِنَاد غَزْوَان، وَمِنْ لَمَعَانِ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ، قَرَّرْتُ أَنْ

أَمْضِيْ فِيْ بَحْثٍ طَوِيْلٍ وَشَامِلٍ لاسْتِقْصَاءِ الْمَرْثِيَاتِ الَّتِيْ كَتَبَهَا الأَزْوَاجُ الشُّعَرَاءُ لِزَوْجَاتِهِمْ الرَّاحِلاتِ فِيْ مَخْتَلَفِ عَصُوْرِ الشِّعْرِ.

وَطِيْلَةَ أَرْبَعِ سِنَوَاتٍ مِنَ الْعَمَلِ جَمَعْتُ الْعَشَرَاتِ مِنَ النُّصُوْصِ مِنْ مَصَادِرِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، بِمُخْتَلَفِ مَرَاحِلِهِ، وَمِنْ دَوَاوِيْنِ الشُّعَرَاء مِنْ شَتَّى الْعُصُوْرِ.

وَلأَنَّ رَحِيْلَ «فَاطِمَةَ» كَانَ الْحَافِزَ الأَسَاسِيَّ لِهَذَا السِّفْرِ الصَّعْبِ...

فَإِلَىْ رُوْحِهَا وَرُوْحِ مَلاكَيْهَا هَذَا الْكِتَابِ،

حُشُوْدٌ مِنَ الشَّعَرَاء مِنْ مُخْتَلَفِ الْعُصُوْرِ يُؤَبِّنُوْنَ نِسَاْءَهُم،

وَكَأَنَّهُمْ هَبُّوا مِنْ أَبَدِيَّتِهِم الْبَعِيْدَةِ لِيُؤَبِّنوا «فَاطِمَةَ» مَعِيْ.

محمَّد مَظلوم

دِمَشق صَيْف ٢٠١٢

مُقَدِّمَةُ
فِي الرَّثَاءِ وَمُشْكِلَةِ «الْجنْدَر» فِي الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّة

يحدِّدُ ابنُ منظور في «لسان العرب» ثلاثَ «لغات» للرثاء في الجذر اللغوي للفعل الذي يقوم عليه اسم الرِّثاء، الأولى «رثى» بألف مقصورة، والثانية: «رثا» بألف ممدودة والثالثة: «رثأ» مهموزة: رَثى فلانٌ فلاناً يَرْثيهِ رَثْياً ومَرْثِيَةً إذا بكاهُ بعد موته، فإن مدَحَه بعد موته قيلَ: رثَّاهُ يُرثِّيه تَرْثيةً. ورَثَيْتُ الميِّت رثياً ورثاءً ومرثاةً ومرثيةً ورَثَّيته: مدحته بعد الموت وبكيته. ورثوْت المَيِّت أيضاً إذا بكيته وعدَّدْت محاسنه، وكذلك إذا نظمت فيه شعراً[1].

ومن اللافت أنَّ ابنَ منظور وهو يتحدَّثُ عن «رثأ» المهموزة، وإن كان في هذه الصيغة اختلاف بين النحويين، يردُّ أصل المعنى إلى دلالة أخرى مُضمرة، أو ربما مستعارة، لمعنى الرِّثاء «رَثَأْتُ الرجلَ بعد موته رَثأً: مَدَحْته. ورَثَأَت المرأةُ زوجَها، كذلك، وهي المَرْثِئَةُ، وقالت امرأةٌ من العرب: رَثَأْتُ زَوْجي بأبياتٍ، وهمزَتْ، وهو ما اختلَفَ عليه النحاة، ورَثأَ القومَ ورثأَ لهم: عَمِلَ لهم رَثيئةً. ويقال في المثَل: الرَّثِيئةُ

(١) «لسان العرب» لابن منظور «٦٣٠ - ٧١١ هـ = ١٢٣٢ - ١٣١١ م» طبعة دار المعارف القاهرة د ـ ت جزء ١٨ ص ١٨٥٠ «رثى».

تَفْثأُ الغضَبَ أي تَكْسِرُهُ وتُذْهِبُه» والرثيئة: اللبنُ الحامضُ يُحلب عليه فيخثر.. وزعموا أَنَّ رجلاً نزل بقوم وكان ساخطاً عليهم، وكان جائعاً، فسقَوْه الرَّثيئَة، فسكن غضَبُه، فضُرِب مثلاً. ورَثَأَ مهموزٌ لغةٌ في رَثى.[1]

ومن هذه الصيغ البنائية الثلاث لفعل الرِّثاء، يجري اشتقاق أكثر من معنى مجازي يحاكي أغراضاً أخرى اشتقاقية، ذلك أنَّ الغرضَ العام «للرثاء» يخرج كذلك إلى ثلاثة أغراض فرعية استطرادية: الأول: البُكَاءُ أو الندبُ والنُّواح «بكاه بعد موته» والثاني: «التأبين» الْمَدْحُ أو الْغَزَلِ «تعداد المحاسن» أما الثالث فهو: «التَّعزية» سواء كانت ذاتيةً للنفس أو موضوعيةً للآخر، وبهذا المعنى الأخير المضمر لمعنى الرِّثَاءِ في «الرَّثيئة التي تسكنُ الغَضَبَ» فإنَّ الرِّثَاءَ، بما يحمله من «عزاء ذاتي» ينعكس بنوع من التطهير الأرسطي الـ «catharsis». وينعكس كذلك بنوع من الاستشفاء الداخلي لمن وقع عليه فعل الفقد «والمراثي إنَّما جُعلتْ تسليةً لمن عضَّته النوائب بأنيابها، وفرَّقت الحوادث بين نفسه وأحبابها، وتأسيةً لمن سبق إلى هذا المصرع، ونهلَ من هذا الْمَشرع، ووثوقاً باللحاق بالماضي، وعلماً أن حادثة الموت من الدُّيون التي لابدَّ لها من التقاضي، وأنَّهُ لا سبيل إلى الخلود والبقاء، ولا بدَّ لكلِّ نفسٍ من الذَّهاب ولكلِّ جَسَدٍ من الفناء»[2]

وتعدُّ المرثيات «أشرف الأشعار» في الذاكرة الشعرية العربية،

---

(١) لسان العرب « رثا» جزء ١٨ص ١٨٥٠.

(٢) «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى ٧٣٣ هـ تحقيق: يحيى الشامي/ دار الكتب العلمية / بيروت ٢٠٠٤ الجزء الخامس ص ١٦٠.

وأكثرَها تأثيراً في وجدان المتلقِّي، لأنها تتسم بحرارة التجربة وقوة الأداء الشعوري «قال الأصمعي: قلتُ لأعرابيٍّ: ما بال المراثي أشرفُ أشعاركم؟ قال: لأنَّا نقولها وقلوبنا محترقةٌ»[1]

وقال ابنُ رشيق في العمدة «الشعر كلُّهُ نوعان: مدحٌ، وهِجاء، فإلى المدح يَرْجِعُ الرِّثَاء، والافتخار، والتشبيب، وما تعلَّقَ بذلك من محمود الوصف: كصفات الطُّلول والآثار، والتَّشبيهات الْحِسَان، وكذلك تحسين الأخلاق: كالأمثال، والحِكَم، والمواعظ، والزُّهد في الدنيا، والقناعة، والهجاءُ ضدُّ ذلك كلِّه»[2]

ويكثِّفُ «عبد الصمد بن الْمُعذَّل» أغراضَ الشِّعْر في ثلاث كلمات تعبِّرُ كلٌّ واحدة منها عن الغرض الذي تؤدِّيه، وتشترط مقدرةً خاصة لتجسيدها في قصيدة: «الشعر كلُّهُ في ثلاث لفظات، وليس كلُّ إنسان يحسنُ تأليفها: فإذا مدحتَ قُلتَ: أَنْتَ، وَإِذا هجوْتَ قُلْتَ: لَسْتَ، وَإذا رَثَيْتَ قُلْتَ: كُنْتَ»[3]

وهذا الفهم يتوافق كما هو واضح مع فكرة «أرسطو» عن مفهوم الشِّعْر في كتابه «فنّ الشعر» بتقسيمه للجنس الشعري على أساس المحاكاة وتركيزه على ثنائية التراجيديا متمثلة في شعر: المدح أو الرِّثَاء، والكوميديا مُتضمِّنَةً في غرض: الهجاء، بوصفها نوعاً من المحاكاة لسير رديئة، بيد أنَّ التراجيديا لا تتحقَّقُ في غرض المدح وحده وإنما تستوجب شحنة من الرِّثاء.

---

(١) «نهاية الأرب» الجزء الخامس ص ١٦١.

(٢) «العمدة في محاسن الشِّعْر وآدابة ونقده» لابن رشيق القيرواني محمد بن سعيد بن أحمد ٣٩٠- ٤٥٦ هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / دار الجيل/ الطبعة الخامسة ١٩٨١/ الجزء الأول ص ١٢١.

(٣) «العمدة» الجزء الأول ١٢٣.

ومن هذا الفهم أنسَ أبو حيان التوحيدي لقول المبرد عن الرِّثاء: «أحسن المراثي ما خلطَ مَدْحاً بتفجُّع، واشتكاء بفضيلة، لأنَّهُ يجمع إلى التشكِّي الْمُوجِع مَدْحاً، والمدح الباذخ اعتباراً، فإذا وقعَ نظمُ ذلك بكلامٍ صحيح ولهجةٍ معربة ونظمٍ غير متفاوت، فهو الغاية من كلام المخلوقين»[1]

وممَّا يجعل قصيدةَ الرِّثاء خلاصة لتجربة عميقة تجمع بين الذاتي والموضوعي، أنها لا تقف، مضمونياً، عند الضفاف الشخصية لفجيعة الفقدان، والانشغال بالتأمل في جهة الخسران، وإنما تتفاعل داخلياً لتغدو سؤالاً قاسياً وصعباً يحاور الأبديَّة ويُقلقها داخل الإنسان على نحو مستمرٍّ. ولعلَّ هذا ما جعل شعر الرِّثاء غرضاً بذاته بلا «غرضية» شخصية، فبينما نرى أن شعر الغَزَل المحض يتَّجه نحو معشوق حيٍّ ومتعيِّن في محاولة لجذبه إلى الخطاب المنمَّق، أو يتأنَّقَ لاستدراجه نحو الغاية بأعذب الكلمات وربما أكذبها، أو نواجهه في المديح وهو يتطلَّع إلى السلطان أو ذوي النفوذ، بقصد نيل العطايا أو الانضمام إلى البلاط المزدحم أكثر مما يتأمَّل في حقيقة شخصيات الممدوحين وسيرهم، أو حين يغدو في شعر الهجاء تراشُقاً بسهامٍ قاسية من العبارات يطلقها الشاعر ليؤذي بها خصمه، فإنَّ شعرَ الرِّثَاءِ، إزاء هذا كلِّه، سيبدو لنا الغرضَ الوحيد الذي ينأى عن تلك الغايات، لأنَّهُ أقرب إلى الصدور عن عزلة داخلية عميقة تتكشَّف في أناشيد حزن متماسكة، تماماً كتلك العزلة الزاهدة التي تصدر عنها، فيغدو تعبيراً عن حوار داخلي متصل مع الوجدان والعواطف والذكريات ولا ينحو نحو

---

(١) «البصائر والذخائر» لأبي حيان التوحيدي علي بن محمَّد بن العبَّاس توفي ٤١٤ هـ تحقيق الدكتورة وداد القاضي/ دار صادر بيروت ١٩٨٨ الجزء السادس ص ٥١.

مخاطَبٍ مباشر، وإنما يغيب في ظلاله البعيدة والعديدة في آن، إنه شعرٌ يمجِّدُ الغياب متحرراً من الغاية، وهو، من هنا، يعبِّرُ عن خروج وتنزُّهٍ من الغرضية النفعية نحو محض غرضية فنية، وبمعنى أخر يتجه نحو تغليب الفنِّ على التفنن. وهو غرض لعلَّه الأقدم في الشِّعْر العربي وهو كذلك فعلاً في تاريخ الأدب العربي، حيث يصرُّ نقاد الأدب العربي القدامى على أنَّ أوَّل الشِّعْر مرثاة، وأولى قصائد الشعراء هي لأبي البشر: آدم، قالَها في رثاء ولده القتيل «هابيل» وقد جاءت تلك القصيدة متناثرة في مصادر متفرقة في التراث العربي وإزاءها قصيدة أخرى منسوبة إلى إبليس! فمما يُروى لآدم في رثاء هابيل:

تَغَيَّرَتِ البِلادُ ومَنْ عَلَيْها   فوجْهُ الأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيْحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي رِيحٍ وطَعْمٍ   وَقلَّ بَشاشَةَ الوَجْهُ الْمَلِيْحُ
أرَى طُوْلَ الْحَيَاةِ عَلَيَّ غَمَّاً   فَهَلْ أَنَا مِنْ حَيَاتِيَ مُسْتَرِيْحُ
وَجَاوَرَنَا عَدُوٌّ لَيْسَ يَفْنَىْ   لَعِيْنٌ لاْ يَمُوْتَ فَنَسْتَرِيْحُ
عَلَى هَابِيْلَ لَمَّا أَنْ تَوَلَّى   وَوَلَّتْ بَهْمُهُ هَمْلاً تَسِيْحُ
أَهَابِلُ! إِنْ قُتِلْتَ فَإِنَّ قَلْبِيْ   عَلَيْكَ الْيَوْمَ مُكْتَئِبٌ قَرِيْحُ

وجاء في تلك المصادر كذلك أن القاتل« قابيل» لما مات بعد ذلك، ردَّد إبليس على مسامع الأب الثاكل «آدم» قصيدة في الروي والوزن نفسه! فقال:

دَعِ الشَّكْوَىْ فَقَدْ هَلَكَا جَمِيْعَاً   بِهَلْكٍ لَيْسَ بِالْبَيْعِ الرَّبِيْحِ
فَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلا الْبَوَاكِيْ   إِذَا مَا الْمَرْءُ غُوْدِرَ فِي الضَّرِيْحِ
فَبَكِّ النَّفسَ مِنْكَ وَدَعْ سِوَاهَا   فَلَسْتَ مُخَلَّداً بَعْدَ الذَّبِيْحِ
تَنَحَّ عَنِ الْجِنَانِ وَسَاكِنِيْهَا   فَفِيْ الْفِرْدَوْسِ ضَاقَ بِكَ الْفَسِيْحُ

وَكُنْتَ بِهَا وَزَوْجَكَ فِيْ رَخَاءٍ ... وَقَلْبُكَ مِنْ أَذَى الدُّنْيَا مُرِيْحُ
فَمَا بَرِحَتْ مُكَايَدَتِيْ وَمَكْرِيْ ... إِلَىْ أَنْ فَاتَكَ الثَّمَنُ الرَّبِيْحُ
وَلَوْلا رَحْمَةُ الرَّحمنِ أَمْسَىْ ... بِكَفِّكَ مِنْ جِنَانِ الْخُلْدِ رِيْحُ[1]

وعلى الرَّغم من صعوبة بل استحالة التسليم، بأنَّ ما تقدَّم من قصيدتين هما من شعر «آدم» أو من براعة «إبليس» في معارضة المرثاة بقصيدة موعظة لا تخلو من نبرة الهجاءِ وزناً وقافية، إلا أنَّنا جمعنا كلَّ ما تناثر في مصادر متعدِّدة من أبيات من هذه «الرِّثائية الآدمية» المزعومة أو بالأحرى المنحولة، وكذلك قرينتها «الهجائية الإبليسية» لنستشفَّ منها أنَّ النقد العربي القديم ظلَّ يسعى وراء فكرة أنَّ الرِّثاء أقدم الأغراض الشعرية في الذَّاكرة العربية، وفي الوجدان معاً. وإن انساقَ إلى الوهم، أو التأليف البيِّن، لتعزيز فكرته عن أولية الرِّثاء في الشعر.

وإذا كانت هذه النصوص منحولةً، كما هو واضح، فإنَّ أقدمَ النصوص المتواترة في مصادر الشِّعْر العربي قبل الإسلام، تشير كذلك

---

(١) «جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام» للقرشي أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي/ تحقيق: د. محمد علي الهاشمي/ جامعة الإمام محمد بن سعود. ١٩٨١م) الجزء الأول ص ١٤٠ أربعة أبيات من الأولى والأربعة الأخيرة من الثانية و«نور القبس» للمرزباني ص ٢٧٥ اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري - تحقيق رودلف زلهايم - دار «فرانتس شتاينر بيفسبادن» ١٩٦٤م (النشرات الإسلامية- ٢٣). ثلاث أبيات من الأولى وثلاثة من الثانية و«الحماسة البصرية» للبصري صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري المتوفى ٦٥٦ هـ تحقيق عادل سليمان جمال المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث القاهرة ١٩٨٧ الجزء الثاني ص ٣٨.

إلى أنَّ الرِّثاءَ هو الغرضُ الذي انطلقتْ منه.

ومن بينها ما ينقله كلٌّ من المبرد وابن قتيبة عن مرثية «دويد النَّهْدي» لنفسه لما حضرته الوفاة بوصفها من أقدم ما ورد من مقطوعات في المرويات الشفاهية المتناقلة من الشِّعْر العربي[1]:

الـيَـوْمَ يُـبْـنَـى لِـدُوَيْـدٍ بَـيْـتُـهُ   لَـوْ كـان لـلـدَّهْـرِ بِـلَـىً أَبْـلَـيْـتُـهُ
أَوْ كَـانَ قِـرْنـي وَاحِـدَاً كَـفَـيْـتُـهُ   يـا رُبَّ نَـهْـبٍ صَـالِـحٍ حَـوَيْـتُـهُ
ورُبَّ عَـبْـلٍ خَـشِـنٍ لَـوَيْـتُـهُ

كما تبرز مرثيات «المهلهل» لأخيه «كُليب» بين تلك النصوص القديمة، وهي مرثيات قيلت قبل زمن المعلقات، وقبل اكتمال القصيدة العربية على يد امرئ القيس.

وإذا عدنا إلى زمن أبعد في التاريخ الثقافي للمنطقة وتحديداً إلى الأدب في بلاد الرافدين، سنجد أنَّ فنَّ الرِّثَاءِ هو الخطابُ الأكثرُ حضوراً في تلك الثقافة، وإن تجسَّدَ في بُكاءٍ وجوديٍّ أعمق من نَدْب الأشخاص وتأبينهم، ذلك أنَّ «الندب» « والنُّوَاح» لا يتجلى بصوره الأوضح في رثاء الأشخاص في نماذج الشِّعْر السومري والبابلي، وإنما يتمركز بشكل أساسي في أشعار ندب المدن المنكوبة والأمم المهزومة، والديار المفقودة، عادةً وليس نماذج رثاء البشر الراحلين.

ولعلَّ أشهر المراثي التي تنحو منحى النَّدْب والنُّواح في الأدب الرافدينيِّ القديم هي مراثي الآلهة ومراثي المدن، ثم تأتي المراثي

---

(١) «التعازي والمراثي» للمبرد أبي العباس محمَّد بن يزيد ٢١٠ - ٢٨٦ هـ وضع حواشيه خليل المنصور دار الكتب العلمية/ بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦ ص ١٥٥ و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة الدينوري عبد الله بن مسلم تحقيق احمد محمد شاكر / دار المعارف مصر/ ١٩٨٢ الجزء الأول ص ١٠٤.

الشخصية تالياً من حيث الكم، ولأنَّ المدن المدمرة سواء بالغزوات الخارجية المتعاقبة والحروب الداخلية المتكرِّرة، أو بالطوفانات والأوبئة وسائر الكوارث الطبيعية، تقوض معها ذكريات وعهوداً جماعية، ولأنَّ المسافة بين الآلهةِ والبشر وقوى الطبيعة لا تبدو كبيرة أو بعيدة في العقل الأسطوري الرافديني فإن تلك المراثي على تعدُّدها وتنوُّعها كانت، في محتوى خطابها، حواراً مع الأبدية طرفاه: الإنسان والآلهة.

أمَّا فنيَّاً فقد ابتكرت تلك المراثي شكلاً محدَّداً لها يميزها عن الأغراض الشعرية الأخرى، فلم تتموضع المرثاة في الأدب الرافديني القديم داخل حدود المضامين، في كونها غرضاً شعرياً مستقلاً يتخذ مستوى تعبيرياً معيناً، وإنما تحركت كليَّة لتشكيل خصائص نوعية وشكلاً فنياً محدَّداً يقوم على مقطعية متسلسلة حيث تتكون المرثاة في الأدب الرافديني القديم من سلسلة مقاطع يتضمَّن كلُّ مقطع منها نصَّاً مُستقلاً.

وتقودنا هذه الخصائص الفنية، والهوية الشكلية للمرثاة الرافدينية القديمة، إلى قضية مهمة وملتبسة في تداخل «الرِّثاء» من حيث كونُهُ غرضاً «بالمرثية» بوصفها شكلاً فنياً في الشِّعْر العالمي، ويتكرَّس هذا الإلتباس بين مفهوم «الرِّثاء» غرضاً ومضمونا داخلياً، وبين الشكل الفني لقصيدة «المرثية» في الشِّعْر الأوربي، عندما تجري مقاربة المرثية الإغريقية او الرومانية بالشعر العربي، ذلك أن ثمة من يتوهَّم أنَّ «المرثية» و«الرِّثاء» هما سواء في الشِّعْر الأوربي قياساً على ثقافتنا العربية، وهما ليسا كذلك على الإطلاق.

فمنذ نماذج الشِّعْر الإغريقي وكذلك الروماني، تعدُّ المرثية شكلاً فنياً يُقرِّبها من الملحمة، ولكنها أدنى منها مرتبة، إذ تقوم على الوزن

الخماسي الناشئ عن الوزن السداسي « البطولي» الذي تختصُّ به الملحمة[1].

فأشعار أوفيد الإيروتيكية، أخذت الشكل الرِّثائي الإغريقي، الذي انتقل إلى الشِّعْر الروماني، وبهذا المعنى الإغريقي، ومن بعده الروماني، وصولاً إلى الثقافة الإنكلوسكسونية، بمراثي «جون دون» وتحديداً، المرثية التاسعة والعشرين «السيدة التي تذهب إلى النوم» ذات الجو الإيروتيكي - الأوفيدي أيضاً، فإنَّ المرثية هي شكل فنيٌّ أو معيار موسيقي لبناء القصيدة ولا يعني بالضرورة إن كلَّ قصيدة إيلجيَّة «elegy» في البناء الفني والأوزان هي مرثية تحتوي بمضمونها: الندب، أو النُّواح الجنائزي، أو القداس الجنائزي «lamentation» أو «dirge» أو «threnody» أو «requiem».

والمرثية «الإيليجية» هنا من حيث مضمونها العام هي قصيدة التأمل والعزلة والحزن العميق، ومحاورة المقدس عبر الذات، قد يكون الرِّثاءُ بمعنى الندب أو التأبين جزءاً من ذلك المضمون، ولكنها ليست بالضرورة قصيدةً تَتجهُ إلى شخص ميت، أو تنطلق من موته[2]!

---

(١) «فنّ الشعر» أرسطوطاليس ترجمة عبد الرحمن بدوي مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣ لذلك يتجنَّب بدوي ترجمة كلمة «إيليجية» إلى «مرثية» فيتركها على لفظها ويقترح لترجمة كلمة «elegy» «أغنية الناي» كي لا يلتبس المصطلح مع مفهوم قصيدة الرثاء في الثقافة العربية.

(٢) من بين قلَّة من النقاد العرب ممن فرَّق بين «الرثاء» و«المرثية» الدكتور عناد غزوان في بحثه « المرثاة الغزلية في الشِّعْر العربي» وكذلك كاظم جهاد في ترجمته للأعمال الكاملة لريلكه، « منشورات الجمل/ الكلمة ٢٠٠٩» حيث اقترح كلمة «جناز» لوصف القصائد التي تؤبن أو تندب أشخاصاً بعد موتهم، تمييزاً لها عن «مراثي دوينو» الشهيرة التي تقوم على البناء الإيقاعي والشكلي الخاص الذي أشرنا إليه.

وعلى الرَّغم من أهميَّةِ شِعْرِ الرِّثاءِ في التراث الإنساني، إلا أنه يغدو أمراً مشوَّشاً حين يتعلَّق بتنوُّع الثقافات واختلافها من حيث توجهه إلى الشخص المرثي، وفي حال ثقافتنا العربية يتكرَّس هذا التشويش عندما يتصل بالمرأة التي يتوجه نحوها الرِّثَاء فيضيق هذا الباب الواسع، وتصبح آفاقه أقلّ حرية وتغدو محكومة بأصول ونزعات تلك الثقافة.

إذ يرى أغلب النقَّاد العرب القدامى، أنَّ بابَ الرِّثَاء هو أوسعُ أبوابِ الشِّعْر وهو أضيقها في الوقت نفسه! «فممَّا نذكره في ذلك أمرُ التعازي والمراثي، فإنَّه بابٌ جامع، وقد قيل إنه لم يُقَل في شيء قطّ كما قيلَ في هذا الباب، لأنَّ الناس لا ينفكُّون من المصيبات[1]»

لكن هذا الباب الجامع يصبح ضيقاً حين يتعلَّقُ الأمر برثاء الأنثى «ومن أشدِّ الرِّثَاء صعوبةً على الشاعر وأضيقه مجالاً أن يرثي امرأةً أو طفلاً»[2]

ويزعم ابن رشيق القيرواني أنَّ «أصغر الشِّعْر الرِّثَاء لأنَّهُ لا يعمل «رغبة» ولا «رهبة»[3]

وإذا كان الاختبار الحقيقي للشاعر في النقد العربي القديم، يتجلى في ثلاث صور معيارية تختزلها ثلاثة أفعال دالَّة على الغرض الشِّعري: هي: إذا «رَغبَ» أو «رَهبَ» أو «طربَ» فإننا سنتيقَّن من أن فرضية ابن رشيق «بتصغير شعر الرِّثَاء» لن تصمد كثيراً أمام النماذج الرِّثَائِيَّة للمرأة في هذا الكتاب، إذ أن تلك النماذج من الأشعار تحمل الجانبين الذين

---

(١) «الكامل في اللغة والأدب» للمبرِّد محمد بن يزيد ٢١٠ - ٢٨٥ هـ تحقيق محمد أحمد الدالي مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٩٩٢ الجزء الثالث ص ١٣٧٦.

(٢) «نهاية الأرب» الجزء الخامس ٢١٩.

(٣) «العمدة» الجزء الأول ١٢٣.

أشار إلى انحسارهما في شعر الرِّثَاء، بل انَّها ستغدو ثلاثة بحسب تلك المعايير التقليدية أيضاً، الرغبة: وتتجسَّدُ في تأبين الجمال بالتغزُّل بمحاسن الفقيدة، والرَّهبة: وتكمن في صور الخوف من الموت الذي يدهم مضجع الزوج وسريره مباشرة. وكذلك «الطرب» متمثلاً بكثافة التغني بذلك الجمال الذي اختطفه الموت.

والواقع أن شعر رثاء المرأة في الأدب العربي، يقع في إشكالية تأويل حقيقية، ليس في النقد العربي القديم وحده، وإنما كذلك في الدراسات الأكاديمية للأدب العربي في عصر النهضة وما بعده، وتحديداً في ما يتعلق بإحالته إلى مثلث الأغراض المجازية التي يخرج إليها الغرض الأساسي للرثاء، فبينما يرى الدكتور شوقي ضيف أنَّ «التَّأبين» و«النَّدب» و«العَزَاء» من أقسام الرِّثَاء، إلا أنَّهُ سرعانَ ما يقع في فخِّ هذا الاتساع الداخلي الأفقي لغرض الرِّثَاء عندما يحيل بعض قصائد رثاء الزوجات كمرثاة الوزير ابن الزيات وكذلك مرثاة البارودي ودواوين عزيز أباظة وعبد الرحمن صدقي إلى باب الندب![1]

وهي في حقيقتها مرثيات تنحو نحو التأبين، كذلك، إذ تشفُّ عن صور غزلية، وتكتظُّ بعبارات الحب واستذكار العيش المشترك، ولا تفتقر في الوقت نفسه لخصلة العزاء. فهي في هذه الحال إذن ليست ندباً خالصاً وإنما تُكثِّفُ غرض الرِّثَاء بأبعاده الثلاثة معاً.

وفي القراءة النقدية العميقة لنماذج من شعر رثاء المرأة بشكل عام، سنكتشف أن هذا الشِّعْر لا يستجيب تماماً لقطب واحد من تلك الأقطاب الثلاثة، وإنما ستبدو «المرثاة» هي المثلث الجامع لتلك

---

(١) «الرِّثاء» الدكتور شوقي ضيف دار المعارف القاهرة/ الطبعة الرابعة ١٩٨٧ ص ٢٩.

الأقطاب معاً، فهي تتضمَّن «التأبين» من حيث أنها تقوم بإظهار «المناقب» الأخلاقية والجمالية للمرأة المرثيَّة في حياتها وموتها، وكذلك محاسنها الجسدية، خاصة إذا ماتت وهي شابة، وتتضمَّن في الوقت نفسه «الندب» لما تنطوي عليه من تفجُّع قاسٍ بسبب مرارة الفقد، وفي الوقت ذاته لا تخلو من جرعات «العزاء» للنفس، لأنها تقوم بنوعٍ من التطهير الروحي والاستشفاء الذاتي من هول الكارثة.

من هنا يمكن القول أن رثاء المرأة في الشِّعْر العربي أوجد باباً آخر للقصيدة، ومساراً جديداً في الأغراض الشعرية الموروثة، وأقلق الثوابت القارَّة في التصور النقدي المتمثلة في شروط تحدِّدُ المسار القديم لِشِعْر الرِّثَاء العربي، إذ أوجد هذا النوع المختلف من الرِّثَاء غرضاً خلاسيَّاً مُبتكراً في الشِّعْر العربي، فإزاء ما زعمه الدكتور شوقي ضيف «ندباً» مجرَّداً، رأى الدكتور عناد غزوان في قصيدة رثاء المرأة « تأبيناً» ولهذا سمَّى بحثه لدراسة نماذج من ذلك الصنف من الشِّعْر « المرثاة الغزلية»

وقد تنبَّه الدكتور عناد غزوان في هذا البحث المهمِّ رغم وجازته، إلى نماذجَ من الشِّعْر العربي، تخلطُ التفجُّع بالتغزل. وتوصَّلَ من خلال دراسة منهجية لتلك النماذج إلى تركيب مصطلح جديد للقصيدة الرِّثَائيَّة التي تتَّجه نحو المرأة أياً كانت صفتها، أو تتجه بها المرأة إلى الرجل المفقود زوجا أو حبيباً، أو حتى قريباً فسمى بحثه «المرثاة الغزلية في الشِّعْر العربي»[1] وقرأ فيه نماذج من رثاء النساء لأزواجهنَّ، وأحبائهنَّ

---

(١) «المرثاة الغزلية في الشِّعْر العربي» الدكتور عناد غزوان اسماعيل/ بغداد مطبعة الزهراء ١٩٧٤. وصدر لاحقاً في التسعينيات كتاب للدكتور عمر الأسعد في الموضوع نفسه «مراثي الأزواج» لم أطلع عليه وإنما نبهني له أحد الأصدقاء بينما كنت على وشك الفراغ من هذا الكتاب.

كمراثي ليلى الأخيلية لتوبة بن الحمير، ومراثي الخنساء لأخيها صخر، ونماذج من «العقد الفريد» و«التعازي والمراثي» إضافة إلى نماذج شائعة لمرثيات جرير والفرزدق ورثاء المتنبي لأخت سيف الدولة وغيرها.
ورغم أن البحث لا يتجاوز في صفحاته الثمانين صفحة، إلا أنه يعدُّ مُؤسِّساً لهذا النمط من الدراسات والتجارب في محاولتها مزج نبرة الغزل بالغرض الرئيسي للقصيدة وهو الرِّثَاء. وعلى وجه الخصوص إذا ما جاء ذلك الرِّثَاءُ من التَّغايُر الجنسي بين الراثي والمرثي.

وقد كان سائداً في النقد العربي القديم، أنَّ اجتماعَ الرِّثاءِ والغزل هو من الشواذ والنادر في الشِّعْر العربي «وليس من عادة الشعراء أن يقدِّموا قبل الرِّثَاء نَسِيْبَاً كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء، وقال «ابن الكلبي» وكان علامة: لا أعلمُ مرثيةً أوَّلها نسيبٌ إلا قصيدةَ «دُرَيْد بن الصِّمَّة»:

أَرَثَّ جَدِيْدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدِ بِعَاقِبَةٍ وَأَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدِ؟[1]»

ويأتي حازم القرطاجني «أحد أهمّ نقاد الأدب في الأندلس في القرن الهجري السابع» ليرسِّخَ هذا الرأي الذي يُعِيبُ جمعَ الْمُتناقضات «الغزل والرِّثَاء في قصيدة واحدة» لكنه يضيف، في الوقت نفسه استهلالات غزلية أخرى لقصائد الرِّثاء في الشِّعْر العربي « وأما الرِّثاء فيجب أن يكون شاجي الأقاويل مُبكي المعاني مثيراً للتباريح، وأن يكونَ بألفاظ مألوفةٍ سهلةٍ في وزنٍ مُتناسبٍ ملذوذٍ، وان يُستفتح فيه بالدلالة على المقصد ولا يصدر بنسيب لأنه مناقضٌ لغرض الرِّثاء، وإن كان هذا قد وقع للقدماء نحو قصيدة «دريد» يرثي أخاه التي أولها:

---

(١) «العمدة» الجزء الثاني ص ١٥١.

أَرَثَّ جَدِيْدُ الْوَصْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدِ

وقصيدة «النابغة» يرثي بعض آل جفنة:

دَعَاكَ الْهَوَىٰ وَاسْتَجْهَلَتْكَ الْمَنَازِلُ

وقصيدة «عدي بن زيد» يرثي ولده علقمة:

تَعْرِفُ أَمْسِ مِنْ لَمِيْسِ الطَّلَلْ[1]

وحتى عصر النهضة في الثقافة العربية وما بعده، كان ثمة من ظلَّ يرى أنَّ رِثاءَ المرأة يعدُّ خروجاً على نمط الشِّعْر القديم، أو في أحسن الأحوال لا يجد فيه أكثر من تعزية ومواساة تندرج في نسق شعر المناسبات والإخوانيَّات وليس كما سيتضح، من خلال نماذج هذا الكتاب، بأنها تجربة مغايرة لا تنقصها النزعة الوجودية بأسئلتها العميقة، لتنحو بالشعر العربي نحو ضفاف أخرى وتضاريس جديدة.

ففي تصديره لديوان «أَنَّات حائرة» لعزيز أباظة يستهلُّ الدكتور طه حسين مقدمته ببيت من شعر جرير في رثاء زوجته خالدة:

---

(١) «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» لأبي الحسن حازم القرطاجني تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة / دار الغرب الإسلامي / بيروت١٩٨٦ ص ٣٥١، وقد اكتفى بإيراد صدر البيت لأول من مستهل كلِّ قصيدة، والأبيات كاملة هي:

أَرَثَّ جَدِيْدُ الْوَصْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدِ
بِعَاقِبَةٍ؟ أَمْ أَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدِ؟

و:

دَعَاكَ الْهَوَىٰ وَاسْتَجْهَلَتْكَ الْمَنَازِلُ
وَكَيْفَ تَصَابِي الْمَرْءِ وَالشَّيْبُ شَامِلُ؟

و:

تَعْرِفُ أَمْسِ مِنْ لَمِيْسَ الطَّلَلْ
مِثْلَ الْكِتَابِ الدَّارِسِ الأَحْوَلْ.

لا يُلْبِثُ الْقُرَنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا   لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمُ وَنَهَارُ[1]

واصفاً شعر رثاء المرأة «نوعاً من الضعف الإنساني» الذي يستدعي الشفقة والرحمة! لذلك جاءت مقدِّمته لأنَّات أباظة الحائرة، بمثابة مواساة ورسالة تعزية متأخرة أكثر من كونها دراسة نقدية لهذا الموضوع الحيوي والنادر في الشِّعْر العربي.

وفي السياق نفسه ذهب العقاد في تقديمه لقصائد ديوان «من وحي المرأة» لعبد الرحمن صدقي إلى أنَّه لم يسبق قط في آداب الأمم القديمة أن ديواناً نظم في رثاء زوجة، بل ندر في الشِّعْر كلِّه نظم القصيدة الواحدة في هذا الموضوع «من أعجب ما يلاحظ على آداب الأمم قلَّة ما نظمه الشعراء في رثاء النساء، ولا سيما الزوجات فعلى كثرة الغزل في المرأة نرجع إلى شعر الأقدمين والمحدثين وإلى شعر العرب وغيرهم من الأمم، فلا نرى في لغة من اللغات إلا قصائد معدودات في رثاء النساء والزوجات منهنَّ على الخصوص فليس أكثر مما نظمه الشعراء في التغزُّل بالمرأة، ولا أقلّ مما نظموه في الحزن عليها ولم يظهر المعنى الإنساني في رثاء المرأة - حليلةً كانت أو غير حليلة - قبل عهد ابن الرومي الذي قال في بستان المغنية:

«بُسْتَانُ» وَا حَسْرَتَا عَلَىْ زَهَرٍ   فِيْكِ مِنَ اللَّهْوِ بَلْ عَلَىْ ثَمَرٍ»[2]

لكنَّ العقاد في رأيه هذا نحَّى جانباً كلَّ تلك المراثي العريضة، ليعقوب بن الربيع الذي سبق ابن الرومي بقرنين من الزمن، والذي لم

---

(١) «أنَّات حائرة» عزيز أباظة تقديم الدكتور طه حسين مطبعة مكتبة المعارف بمصر ص ٥.

(٢) «مجلة الرسالة» لأحمد حسن الزيات العدد ٦٣٥. مقالة نشرها العقاد عن كتاب «من وحي المرأة» لعبد الرحمن صدقي وظهرت لاحقاً كمقدمة للديوان.

يصلنا له شعر سوى قصائد الرِّثاء المتعدِّدة لزوجته «مُلك» وتجاهل كذلك مرثيات لشعراء آخرين سبقوا أو عاصروا ابن الرومي وهي تحمل من المعاني الإنسانية ما يضاهي ذلك الأثر الذي قرأه لدى شاعره المفضل.

ولعلَّ هذه التوصيفات من بقايا التلقينات الاستشراقية في نقد التراث العربي، حيث كان «جولدزيهر» يذهب إلى أن الرِّثاء هو من المناحة والندابة التي تليق بالنساء في الثقافة العربية، وأنكر على أساسه وجود مرثيات لنساء في الشِّعْر العربي القديم.. الجاهلي تحديداً.[1]

لكنَّ ما نحاول إثباته هنا أنَّ رثاء المرأة في ثقافتنا قديمٌ قِدَمَ الشِّعْر نفسه، فقصائد هذا الكتاب تبدأ بمرثاة من الشِّعْر السومري، لشاعر، يرثي زوجته في قصيدة تنطوي على الأسى الممهور بالحب والتغزل بزوجته الميتة، إضافة إلى قصيدة أخرى من الشِّعْر السومري أيضاً لامرأة ماتت أثناء الولادة، ومن اللافت في هذه المرثاة، أنها استعارت صوت المرأة الميتة، لتحكي لنا قصة موتها، وتروي جانباً من حياتها، مع زوجها، وقصة حَبَلها، قبل أن تعبر نحو العالم الذي لا عودة منه.

وفي التوغُّل في عمق الأساطير الإغريقة القديمة، نجد أنَّ ثقافة رثاء المرأة، والزوجة تحديداً، تشكِّلُ حضوراً مهماً في تلك الأساطير، وتعبِّرُ في جانب من ذلك الحضور بفنِّ الموسيقى، تحديداً، فأورفيوس في الأساطير اليونانية، وهو شاعر وموسيقي من تراقيا « إقليم البلقان» رثى زوجته في الموسيقى وفي الشِّعْر الذي كتبه على لسانه الشاعر الإغريقي أوفيد في «مسخ الكائنات»، وبحسب تلك الأساطير أن

(١) «أسس الشِّعْر العربي الكلاسيكي» أيفالد فاجنر ترجمة د سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار القاهرة ٢٠٠٨ ص ١٨٩ وقد عدَّ «فاجنر» جريراً أوَّلَ شاعر عربي يرثي امرأته بأبيات ص ٢١٤.

«أورفيوس» ابن الإله «أبولون» وهو الذي أهداه قيثارته التي كان يسحر بعزفه عليها كلَّ شيء من حوله، من بشر وحجر وأشجار وحتى آلهة. وتقول الأسطورة أن أورفيوس عشق الحورية «يوريديس» فتزوجها، ولكنَّهُ سرعان ما فجع بفقدها وهي عروس، عندما ماتت بلدغة أفعى، ومنذ ذلك الوقت أصبحت قيثارته، تعوي بالشجن، وأمام هذا الحزن العارم، الذي أبكى الجميع، أشفقت الآلهة على حزنه وحقَّقت له رغبته في الاجتماع مع زوجته وعبور عالم هاديس، العالم السفلي للالتقاء بزوجته في ذلك العالم، وبينما كانت موسيقاه الشجية، تُبكِّي الشجر والحجر والآلهة، وحرَّاس العالم السفلي، وتُحرِّك أرواح الموتى في عالم الأبدية، فقد سمحت له الآلهة أن يستعيد عروسه «يوريديس» من عالم الأموات ويمضي بها عائداً إلى عالم الحياة والنور من جديد، لكنها اشترطت عليه أن يمشي أمامها بثبات ولا يلتفت مطلقاً، أو يدير عينيه نحوها وهي تتبعه، وما أن وصل «أورفيوس» وخلفه عروسه، آخرَ نقطة بين عالم الظلام وعالم النور، أخذته اللهفة إلى عروسه، فحاول أن يتأكَّدَ أنها لا تزال تتبعه، فالتفتَ نحوها، فانزلقت إلى عالم الظلام، واختفت مرة أخرى وإلى الأبد.[١]

وفي التحوُّل من عصر الأساطير إلى عصر الديانات، نقرأ في السير القديمة، وكذلك في الكتاب المقدَّس أنَّ النبيَّ «إبراهيم» رثى زوجته «سارة» دون أن نعرفَ بالتَّحديد كيف كانت تلك المرثاة هل هي بكاء مجرد، أم كانت رثاء بالنثر أم بالشعر؟

---

(١) «مسخ الكائنات» أوفيد ترجمة ثروت عكاشة/ الهيئة المصرية للكتاب/ الطبعة الثالثة/ ١٩٩٢ ص ٢١٥، وكذلك «الأساطير اليونانية والرومانية» أمين سلامة ص ١١٢، و«أساطير إغريقية» أحمد عبد المعطي حجازي الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٢ الجزء الأول «أساطير البشر» ص ٢١٦.

بيد أنَّ هناك من يخبرنا بأنَّ إبراهيم أوصى بأن يُدفن بعد موته إلى جانب زوجته سارة، فدفن إلى جانبها، ووُجِدَ على قبره أبيات «بالعربية!» من ضمنها هذا البيت:

وَكَـيْـفَ يَـبْـقَـى آخِـرَاً مَنْ كَانَ قَدْ مَاتَ أَوَّلُهْ[1]

وجاء في تاريخ ابن كثير أنَّ النبيَّ محمد كان حزنه على زوجته الأولى خديجة شديداً، وسمَّى عام موتها «عامَ الحزن» وكانت لا تخرج عن لسانه مدَّة حياته، حتَّى غارت زوجته الحية «عائشة» من ذلك، فقالت له يوماً: ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين، هلكت في غابر الدهر، وأبدلك الله خيراً منها؟ قال: «ما أبدلني الله خيراً منها، وقد آمنتْ بي إذ كَفرَ بي الناس، وصدَّقتني إذ كذَّبني الناس، وآستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدَها إذ حرمني أولاد النساء»[2]

ومن هنا أن نعرف أنَّ الأنبياء في الديانات المختلفة قد رثوا زوجاتهم، وحزنوا عليهنَّ، وخصوهنَّ بذكرى خالدة.

ولم يقف الرِّثاء من حيث كونه تأبيناً وتعزية ذاتية، وحتى ندباً وبكاء، على الشِّعْر والموسيقى، فثمة واحدة من أبهى صور الفنَّ المعماري، وأكثرها خلوداً في تاريخ الإنسانية، ولدت من لحظة موت أمرأة، زوجة تحديداً، فكان أفخم ضريح في العالم هو ضريح لسيدة،

---

(١) «قصص الأنبياء» لابن كثير عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ٧٠١ - ٧٧٤ هـ تحقيق عبد الحي الفرماوي دار الطباعة والنشر الإسلامية/ القاهرة الطبعة الخامسة ١٩٩٧ ص ٢٣٩. وتنسب للإمام عليّ. و«التوراة» سفر التكوين الإصحاح الثالث والعشرون «وماتت سارة في قرية أربع التي هي حبرون في ارض كنعان فأتى ابراهيم ليندب سارة و يبكي عليها»

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي دار هجر القاهرة ١٩٩٧ الجزء الرابع ص ٣٢٠.

لم يكن زوجها شاعراً، ليرثيها بالكلمات فاختار أن يرثيها تأبيناً وتعزية ونوحاً على طريقته، فضريح «تاج محلّ» في الهند والذي أُنشئ في القرن السابع عشر، استنفر له الزوج الحزين، الإمبراطور المغولي «شاه جيهان» عشرات الفنانين من مختلف الثقافات والأعراق، وآلاف العمال، ليخلِّدَ ذكرى زوجته وحبيبته «ممتاز محل» التي ماتت أثناء الولادة وهي تضع الابن الرابع عشر للإمبراطور، فكان الضريح أجمل كتابة بالحجر، حينما استعصت الكلمات على الزوج المحارب، لكنها كانت كتابة موحية لقصائد لاحقة لم يتوقف عن روايتها الزمان، فأمام هذا الصرح الشاخص من الحزن، وقف شعراء الهند وزعماؤها ليستوحوا من بهائه وفخامته المعمارية، أشعاراً وعبارات غدت نوعاً من المرثيات المتأخِّرة، لكنَّها متراكمة ومستمرة لتلك المرأة، فقد قال عنه الزعيم نهرو: هذا ليس قبراً. . إنه أغنية من رخام، بينما وصفه شاعر الهند الخالد « طاغور» بإحدى قصائده بـ«الدمعة التي تتلألأ صافيةً على خدِّ الزمان»

ومن هنا فإنَّ رثاء المرأة نوحاً بالقيثارات أو بكاءً بالمرمر، من موسيقى «أورفيوس» إلى ضريح «تاج محل» كلُّها محاولات لجعل الحبيب المفقود قريناً للخلود، محاولات لتحويل الأحزان المستبدَّة إلى جماليات خالدة لتأبيد لحظة لا تتاح لها الديمومة، لحظة كتب عليها الفناء لكن الإرادة الحزينة تأتي من ذلك الضعف الطبيعي لتحاول إحداث انحراف مجازي في مسار تلك الأبدية وتكثيفها في لحظة كالخلود. وهو أمر تزخر به الآداب الأجنبية المعاصرة، ولدينا في هذا السياق نماذج كثيرة معروفة في الشِّعْر الإنساني تجسد مفهوم رثاء الزوجة بمعناه المثلث: البكاء والتأبين والعزاء، ليس لنماذجها مجال في هذا الكتاب لكننا نشير هنا إلى أشهرها، فمن بين تلك الرِّثائيَّات،

رثاء الشاعر الفرنسي «لامارتين» الاستباقية المبكرة لحبيبته «جولي» التي رثاها في قصيدته المشهورة «البحيرة» بينما كانت تنازع بين أحضان الموت في باريس، ومرثاة الشاعر الإيطالي «أوجينو مونتالي» الحائز على جائزة نوبل للآداب ١٩٧٥ لزوجته «دروسيلا تينزي» ورثاء الشاعر البولندي «جيسواف ميووش» الحائز على جائزة نوبل للآداب ١٩٨٠ لزوجته «كارول»

كما أن هناك نموذجاً معروفاً في الثقافة العربية وقد أثر في الشِّعْر العربي في عصر النهضة وهي قصيدة «مقبر: الضريح أو المقبرة» للشاعر التركي «عبد الحق حامد ١٨٥٢ - ١٩٣٧» في رثاء زوجته «فاطمة» وهي مرثية تتخذ شكل الملحمة الشعرية، وتصل أبياتها إلى أكثر من ألف ومائتي بيت، وقد ترجم أجزاءً من هذه القصيدة ودرسها إسماعيل أدهم في كتابه «شعراء معاصرون»[١]، كما أصدر عبد الحق حامد إضافة إلى هذا الديوان، ديوانين آخرين في رثاء زوجته هما «أولو: الميت» و«بالادن برس: صوت من الخفاء»

وفي العودة للشعر العربي فإنَّ كتاب «التعازي والمراثي» لأبي العبَّاس المبرِّد «٢١٠ - ٢٨٦ هـ» يعدُّ من أقدم المصادر التي تناولت رثاء الأهل بشكل عام، وخصصت فصلاً لرثاء الزوجة.

وبينما لم يحفظ لنا الشِّعْرُ العربي قبل الإسلام إلا أبياتاً ونتفاً ومقطوعات قصيرة في رثاء المرأة، زوجة تحديداً، إلا أنَّ هذا لا يكفي وحده للمسارعة في تبني الإستنتاج بانحسار رثاء الزوجة في هذا الشعر، كما دأب دارسو هذا الشِّعْر على ترديده، ذلك أنَّ الشِّعْر

---

(١) «شعراء معاصرون» إسماعيل أدهم / دار المعارف القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٥ / الجزء الثاني ص ٤٨٠ و«أعلام التركمان والأدب التركي في العراق الحديث» لمير بصري دار الورَّاق لندن ١٩٩٧ ص ١٠٥.

الجاهلي، بما يمثله من تداولٍ ناقصٍ في ثقافة شفاهية، سيفتقد بالتأكيد، إلى التواتر في الرواية لهكذا نمط من الأشعار، ويؤدي إلى انقطاع في تداولها، خاصة عندما لا تكون النصوص من المأثورات الشفاهية الأساسية في تلك الثقافة، بفعل الانشغال برواية نصوص «الوقائع الكبرى» من جهة، وبسبب من ثقافة الإنكار ومشكلة العار الذكوري المرتبطة بالعلاقة مع المرأة بشكل عام، ولعلَّ هذه المشكلات بالذات هي ما يفسر لنا في المقابل تواتراً واضحاً في رواية أشعار هجاء الزَّوجة في الشِّعْر العربي، ومن الواضح أنه كان من الأغراض الشائعة في شعر الصعاليك قبل الإسلام مثلاً، وأن كان في ثنايا العتاب والعتبى، ليأخذ شكل الهجاء الصريح والمقذع أحياناً خلال العصرين الإسلامي والأموي فـ«أنيف بن قترة» شاعرٌ إسلاميٌّ كان يكره زوجته فلمَّا انتشر في دمشق وباء الطاعون في إحدى السنين قال:

دِمَشْقُ خُذِيْهَا وَاعْلَمِيْ أَنَّ لَيْلَةً
تَمُرُّ بِعُوْدَيْ نَعْشِهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ
شرِبْتُ دَمَاً إنْ لَمْ أَرُعْكِ بِضَرَّةٍ
بَعِيْدَةِ مَهْوَى الْقُرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
يُجَرِّعُكِ السُّمَّ الزُّعَافَ لِقَاؤُهَا
فتُغْضِيْنَ مِنْ غَيْظٍ عَلَى لَهَبِ الْجَمْرِ
تَقُوْلُ لَكِ الْجَارَاتُ صَبْرَاً وَإِنَّمَا
يُجَرِّعُكِ الْجارَاتُ كَأْسَاً مِنَ الصَّبْرِ

وهناك هجائيات كثيرة أخرى للزوجة لشعراء آخرين يوردها الخالديان في «الأشباه والنظائر» بينها لعاصم بن خروعة النهشلي في هجاء زوجته:

هِيَ الْغُوْلُ وَالشَّيْطَانُ لا غَوْلَ غَيْرُهَا
وَمَنْ يَصْحَبِ الشَّيْطَانَ وَالغُوْلَ يَكْمَدِ

تَعَوَّذُ مِنْهَا الجِنُّ حِيْنَ يَرَوْنَهَا
وَيُطْرِقُ مِنْهَا كُلُّ أَفْعَى وَأَسْوَدِ

ولعميس بن كثير البكائي:

مُنِيْتِ بَدَاءٍ أَوْ رُمِيْتِ بِضَرَّةٍ
أَبِيْتُ أُنَادِيْهَا نِدَاءَ مَشُوْقِ

أَغَصَّصْتِنِي بِالرِّيْق مِنْ غَيْرِ فَاقَةٍ؟
أَغَصَّكِ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ بِرِيْقِ

وأخرى لبلال بن جرير:

أَيَا رَبِّ بَغِّضْهَا إِلَيَّ فَإِنَّنِي
إِلَيْهَا قَدِ اسْتَيْقَنْتُ ذَاك بَغِيْضُ

ومثلها لأوس بن ثعلبة التَّيميّ:

وَطَلَّقْتُهَا إِنِّي رَأَيْتُ طَلاقَهَا
أَعَفُّ وَفِي الأَرْضِ العَرِيْضَةِ مَذْهَبُ

ومرضت امرأةُ بعض الأعراب وكان لها مُبغضاً فسمعَها تقول: «الموت» فقال:

إذا مُتِّ فالجَرْعَاءُ مِنْكِ قريبةٌ وَلِيْ فِي قَصِيِّ الْغَانِيَاتِ مَعَادُ

وكذلك لسمَّاك بن فرقد:

أَعُوْذُ باللهِ مِنْ وَرْهَاءَ عَاضِهَةٍ
كَأَنَّهَا حِيْنَ تَأْتِيْ بَيْتَهَا غُوْلُ[1]

---

(١) العاضهة: النمامة. وقيل هي: الساحرة المستسحرة التي تتعاطى السحر.

لا يُعْجِبُ الْمَرْءَ مِنْهَا حِيْنَ يَجْعَلُهَا

مِـنْ دُوْنِ أَثْـوَابـِهِ عَـرْضٌ وَلا طُـوْلُ

كَـأَنَّـهـا مِـشْـجَـبٌ سُـكَّـتْ مَـآسِـرُهُ

أَوْ طَائِرٌ مِنْ طُيُوْرِ الْـمَـاءِ مَـهْـزُوْلُ

وهناك جِرَان الْعَوْد النُّميريّ الذي هجا زوجتيه بأكثر من قصيدة.

يَـقُـوْلُـوْنَ فِـي الْـبَـيْـتِ لِـيْ نَـعْـجَـةٌ

وَفي الْـبَـيْـتِ لَـوْ يَـعْـلَـمُـوْنَ الـنَّـمِـرْ

أحِـبِّـي لـيَ الْـخَـيْـرَ أَوْ أَبْـغِـضِـي

كِـلانَـا بِـصَـاحِـبِـه يَـنْـتَـظِـرْ

وله أيضاً:

فَتِلْكَ الَّتِيْ أَرْضَيْتُ بِالْمَالِ أَهْلَهَا

وَمَا كُلُّ ذِيْ بَيْعٍ مِنَ النَّاسِ يَرْبَحُ

جَرَتْ يَوْمَ سِرْنَا عَامِدِيْنَ لأَرْضِهَا

عُقَابٌ وشَحَّاجٌ مِنَ الطَّيْرِ مِتْيَحُ

فأَمَّا الْعُقَابُ فَهْيَ مِنْهَا عُقَوْبَةٌ

وَأَمَّا الْغُرَابُ فَالْغَرِيْبُ الْمُطَرَّحُ

أُلاقِي الأذَى والبَرْحَ مِنْ «أمِّ حازمٍ»

وما كنتُ أَلقَى من «رَزِيْنَةَ» أَبْرَحُ

وهي قصيدة طويلة.

وأيضاً لحُميد بن ثَور في الموضوع ذاته:

لَـقَـدْ ظَـلَـمَـتْ مِـرْآتَـهَـا «أُمُّ مـالـكٍ»

بِـمَـا لامَـتِ الْـمِـرْآةَ بَـانَ مُـحَـرَّدَا

أَرَتْـهـا بِـخَـدَّيْـهَـا غُـضُـوْنـاً كَـأَنَّـهَـا
مَجَرُّ غُصُوْنِ الطَّلْح مَا ذُقْنَ فَدْفَدَا

ولمسكين الدَّارميّ:

تُـلْفَى عُـرُوْبـتُـهـنَّ وَهْـيَ ضَـعِـيْـفَـةٌ
فِي الْبَيْتِ تَحْسَبُ بَعْلَهَا مَصْفُوْدَا
وَتَـظَـلُّ خَـاشِـعَـةً تُـضَـائِـلُ طَـرْفَـهَـا
لِـلْـمَـكْـرِ وَهْـيَ تُـفَـلِّـقُ الْـجُـلْـمُـوْدَا

ويؤكد الخالديان أن «نظائر من برمَ بامرأته فتمنَّى - موتها - أو هدَّدها بالطَّلاق أو روَّعها بالضرَّة كثيرٌ متّسعٌ؛ ولو أردنا استغراقه لكان كتاباً منفرداً»[1]

وهناك أيضاً قصيدة «الرحال بن مجدوح» في هجاء زوجته وهي طويلة ومعروفة[2]:

إِذَا نَـهَـضَـتْ مِـنْ بَـيْـتِـهَـا كَـانَ عُـقْـبَـةً
لَهَا غُوْلُ مَا بَيْنَ الرَّوَاقَيْنِ وَالسَّتْرِ
فَلا بَارَكَ الرَّحْمَنُ فِيْ عَوْدِ أَهْلِهَا
عَشِيَّةَ زَفُّوْهَا وَلا فِيْكِ مِنْ بِكْرِ

---

(١) «الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين» للخالديين: أبي بكر محمد توفي ٣٨٠ وأبي عثمان سعيد توفي ٣٩٠ ابني هاشم. حَقَّقَهُ وعلّق عليه السيد محمد يوسف / مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥ الجزء الثاني ص ٢٨٩ وكذلك في شرح المرزوقي للحماسة باب مذمة النساء.

(٢) «منتهى الطلب من أشعار العرب» لابن ميمون محمد بن مبارك بن ميمون توفي ٥٨٩ هـ تحقيق الدكتور محمد نبيل الطريفي/ دار صادر بيروت ١٩٩٩ الجزء الثاني ص ٤٥. و«الشعر والشعراء» الجزء الثاني ص ٧١٩.

وكذلك قول صاحب جيداء[1]

جَـزَاكِ الـلـهُ يَـا جَـيْـدَاءُ شـرَّاً لِـبَـذْلـةِ أَهْـلِ بيْـتٍ أَوْ لِـصَـوْنِ
تُعِينُ عَلَيَّ دَهْرِيْ مَا اسْتَطَاعَتْ وَلَيْسَتْ لِيْ عَلَىْ دَهْرِي بِعَوْنِ

وفي مقابل هذه الأناشيد المتعددة في هجائها بقيت النتف والمقطوعات هي ما يرد من شعر رثاء الزوجة في الشِّعْر العربي حتى صدر الإسلام، لتجد تلك الإرهاصات المفترضة، أو القصائد الضائعة، طريقها في قصيدة هي رثاء جرير لزوجته «خالدة» في أواخر القرن الأول الهجري، والتي عدَّها النقد العربي، بنوع من الغلوِّ، علامةً فارقة في التحوَّل النفسي لدى الشاعر العربي، وسبب الغلوّ برأيي يعود إلى أمرين، تاريخي وفني، فتاريخياً: هناك شاعران سبقا جريراً في «كتابة» قصيدة رثاء خالصة في زوجتيهما، بل أكثر من قصيدة، إذا نحَّينا جانباً فرضية القصائد الضائعة، وهي فرضية تظلُّ قائمة برأيي، والشاعران هما: عليٌّ بن أبي طالب ومراثيه المتعدِّدة في زوجته فاطمة، وشاعر آخر مغمور، على الرغم مما ينطوي عليه شعره رغم قلته، من بناء معماري متماسك، وصور فنية وشعورية لافتة، وهو أبو المِقدام الجرْمي «بَيْهس بن صُهيب»، وله مرثيتان في رثاء زوجته «صفراء» مثبَّتتان في متن هذا الكتاب، أما فنيّاً: فإن قصيدة جرير ليست، في الواقع، مرثاةً خالصة، لكنَّها قصيدة خلاسية الأغراض حدَّ التناقض تجمع الرِّثاء الذي تبتدئ به بنقيضه: الهجاء الذي تصل إليه، كما أنها

(١) «رسالة الصاهل والشاحج» لأبي العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن« بنت الشاطئ» دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٨٤ ص ٣٢٤. وصاحب جيداء، ابن أخ الصحابي« عبد الله بن أم أوفى الأسلمي» وكذلك «الممتع في صنعة الشعر» لعبد الكريم النهشلي القيرواني تحقيق د. محمد زغلول سلام منشأة المعارف بالاسكندرية ص١٥٣.

في مستهلها لم تنجُ من سطوة التقاليد فبقيت أسيرة الحياء الموروث:

لَوْلا الْحَيَاءُ لَعَادَنِي اِسْتِعْبَارُ   وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ وَالْحَبِيْبُ يُزَارُ

وتمضي القصيدة في معظمها نحو غرض آخر هو الهجاء. لتتقنَّع بالقوَّة في مواجهة الخصم، إزاء الضعف في بكاء الحبيب، وتخرج من حيز التراجيديا: الرِّثاء، نحو الكوميديا: الهجاء.

بل أن هذا المستهلّ الخجول أصبح خاصرةً رخوة استثمرها الفرزدق الخصم اللدود لجرير، ليسدِّد منها طعنة إلى غريمه ويؤنِّبه على زيارته لقبرها، وعلى رثائها كذلك:

إنَّ الزِيارَةَ في الحَياةِ وَلا أرى   مَيْتَاً إِذَا دَخَلَ القُبُوْرَ يُزَارُ
لَمَّا جَنَنْتَ اليَومَ مِنْهَا أَعظُماً   يَبرُقنَ بَينَ فُصُوْصِهِنَّ فِقَارُ
وَرَثَيْتَهَا وَفَضَحْتَها فِيْ قَبْرِهَا   مَا مِثْلَ ذَلِكَ تَفْعَلُ الأَخْيَارُ

واللافت أن الفرزدق نفسه ستدهمه كارثة الفقد ذاته بعد قليل، ليرثي زوجته «حدراء» بقصيدة هجينة الأغراض كذلك، لكنه ينشغلُ في ثناياها في التعبير عن حياء من نوع آخر، كي لا يبدو متناقضاً داخلياً وليُبقي على التَّناقض المعلن مع خصمه جرير لتمضي القصيدة في غالبها هي الأخرى نحو هجاء الخصم دون أن تستقرَّ على غرضها المفترض: الرِّثاء.

إذن فقد بَقِيَ رثاءُ المرأة، حتى هذا الوقت، نوعاً من الضعف البشري غير المستساغ في بيئة ثقافية ذكورية، وظلَّ يدور قَلِقَاً في حيِّز الندرة، وتشكِّل مراثي الإمام علي بن أبي طالب في زوجته فاطمة، إستثناء واضحاً في هذا السياق، ولعلَّ المكانة الإجتماعية الدينية لفاطمة، كونها إبنة النبيّ، قد جنَّبتْ رثاءها النقد، وبمقدورنا هنا أن نسجلَّ أنَّ هذه المرثيات تؤسِّسُ لما يمكن أن نسمِّيه «رثاء الأئمة

والخلفاء والملوك لزوجاتهم» دون أن ينالهم أو ينالهنَّ النقد الأخلاقي أو التأنيب الاجتماعي، أو يجدوا من يُعيِّرهم بالبكاء على امرأة، فشاعت تلك المراثي وبكائيات الملوك والخلفاء، وسنجد أنَّ بعض الخلفاء الأمويين والكثير من الخلفاء العبَّاسيين رثوا زوجاتهم وجواريهم بلا تردُّدٍ أو خشية من نقدٍ اجتماعيّ مع ما يتمتَّعون به من قوَّة الشكيمة.

وكان الخليفة الأموي التاسع «يزيد بن عبد الملك» الذي يعرف بيزيد الماجن، يعبر عن سلوكٍ «نكروفيلي» في تعشقه لشريكته الجنسية بعد موتها ويعلن، أمام جميع من حوله، عن نزوعه وهوسه الطاغي بجسدها الخامد المدفون، فقد كان يزيد يعشق جاريته «حَبَابة» ولما ماتت تركها أيَّاماً لم يدفنها، وعوتب في ذلك فدفنها، وقيل أنه اشتاق إليها بعد ثلاثة أيام من دفنه إياها، فقال: لابدَّ من أن تنبش. فنبشت وكُشِفَ له عن وجهها وقد تغيَّرَ تغيُّراً قبيحاً. فقيل له: يا أمير المؤمنين اتقِ الله ألا ترى كيف قد صارت؟ فقال ما رأيتها قطّ أحسن منها اليوم أخرجوها، فجاء وجوه أهله فلم يزالوا به حتى أزالوه عن ذلك ودفنوها وانصرف فكمدَ كَمَداً شديداً حتى مات فدُفِنَ إلى جانبها[1].

---

(١) «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأموي ٢٨٤ - ٣٥٦ هـ / طبعة دار صادر/ تحقيق الدكتور إحسان عباس وإبراهيم سعافين وبكر عباس / الطبعة الثالثة /بيروت ٢٠٠٨ الجزء ١٥ ص ١٠٠.

وقال يرثيها:

فَإِنْ تَسْلُ عَنْكِ النَّفْسُ أو تَدَعِ الصِّبَا
فَبِالْيَأْسِ تَسْلُوْ عَنْكِ لا بِالتَّجَلُّدِ
وكُلُّ خَلِيْلٍ رَاءَنِي فَهْوَ قَائِلٌ:
مِن أجْلِكِ هَذَا هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ

والبيتان من شعر «كُثيِّر عزَّة» وقد تمثَّل بهما «يزيد بن عبد الملك» عند قبر «حبابة» ولم يتسع له الزمن ليرثيها بشعره رغم أنه كان قد كتب فيها غزلاً في حياتها.

وفي العصر العبَّاسي نقرأ مراثي للوليد بن يزيد والمهدي العبَّاسي وهارون الرشيد وابنه المأمون وسواهم، تتحرَّقُ أسى وتسكب العبرات على الزوجات.

ويمثِّلُ يعقوب بن الربيع، وهو شاعر من النبلاء وكان قريباً من البلاط العبَّاسي، ظاهرة في شعر رثاء الزوجة، بمراثيه في حبيبته وزوجته «مُلْك» وهي أشعار تفيض رقة وتتفصَّدُ عذوبة، وشحنات من ألم، ولم يعرف له شعر غير تلك العذابات الداخلية التي تصدر من فداحة الفقد.

ومع ذلك وحتى تلك الفترة، بقي موضوع رثاء المرأة، نوعاً من الخرق الثقافي في الشِّعْر العربيّ، لأنَّهُ خطاب يتقاطع مع النزعة المعهودة بإظهار البأس وقوَّة الشكيمة عند فقد الأحبة، وخاصة الزوجة فهي «أهون مفقود» بين هؤلاء الأحبة كما في مرثاة الفرزدق، ولعل الثقافة الشرقية عموماً وليس العربية وحدها كانت تنظر إلى موت المرأة نظرة أقلّ فداحة من موت الرجل، وكان أبو بكر الخوارزمي يقول: لو عزَّاني إنسان عن حرمة لي بمثل هذا لألحقته بها، وضربت عنقه على قبرها[1].

ويروى أن رجلاً قال لعبيد اللّه بن أبي بكرة: ما تقول في موت الوالد؟ قال: مُلكٌ حادث. قال: فموتُ الزوج؟ قال: عرسٌ جديد. قال: فموت الأخ؟ قال: قصّ الجناح. قال: فموت الولد؟ قال: صدعٌ في الفؤاد لا يجبر[2].

---

(١) «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» للثعالبي أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري المتوفى٤٢٩ شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية ١٩٨٣م الجزء الأول ص ٢٠٩.

(٢) «عيون الأخبار» لابن قتيبة تحقيق لجنة بدار الكتب المصرية/ دار الكتب =

وماتت لبعض ملوك كندة بنت فوضع «بدرة» بين يديه وقال: من أبلغ في التعزية فهي له، فدخل أعرابي فقال: عظَّمَ الله أجرَ الملك، كفيت المؤونة وسترت العورة، ونعم الختن «الصهر» القبر، فقال: أبلغت وأوجزت؛ وأعطاه البدرة [1].

ومن الواضح أن هذا الهوان لفقدان المرأة، يتأسَّس من جذور بدويَّة دينية مزدوجة، فحصتها من الإرث الشرعي منقوصة عن الذَّكَر «وللذكر مثل حظِّ الأنثيين» قد انسحبت هنا على حصتها من الرِّثاء الشعري فكانت حصتُها مغبونةً كذلك.

وفي هذا النسق الأخلاقي لفكرة هوان فقد الأنثى، وتجميل ذلك الفقدان بعزاء غريب، يقول أبو الفتح كشاجم مُعزياً أحد النبلاء بابنة له ماتت:

تَـأَسَّ يَـا أَبَـا بَـكْـرِ ... لِمَـوْتِ الْـحُـرَّةِ الْـبِـكْـرِ
فَـقَـدْ زَوَّجْـتَـهَـا الْـقَـبْـرَ ... وَمَـا كَـالْـقَـبْـرِ مِـنْ صِـهْـرِ
وَعُـوِّضْـتَ بِـهَـا الأَجْـرَ ... وَمَـا كَـالأَجْـرِ مِـنْ مَـهْـرِ
زَفَـافٌ أُهْـدِيَـتْ فِـيْـهِ ... مِنَ الْخِدْرِ إِلَى الْقَبْرِ [2]

= المصرية الطبعة الثانية ١٩٩٦، الجزء الثالث ص ٩٢، وعبيد الله بن أبي بكرة تابعي من أبناء الصحابة تولى «سجستان» أيَّام الأمويين، وعمل قاضياً للبصرة في ولاية الحجاج بن يوسف.

(١) «التذكرة الحمدونية» لابن حمدون / محمد بن الحسن بن محمد بن علي ٤٩٥ - ٥٦٢ هـ تحقيق الدكتور إحسان عباس وبكر عباس دار صادر الطبعة الأولى ١٩٩٠ الجزء الرابع ص ٢٨٤ و«العقد الفريد» الجزء الثالث ص ١٤٦ و«ربيع الأبرار ونصوص الأخبار» للزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري/ تحقيق عبد الأمير منها مؤسسة العلمي/ بيروت ١٩٩٢/ الجزء الخامس ١٤٠. والبدرة صرة تحوي عشرة آلاف درهم.

(٢) «نهاية الأرب» الجزء الخامس ص ٢٢١.

وقال آخر:

وَلَمْ أرَ نِعْمَةً شَمَلَتْ كَرِيْمَاً   كَنِعْمَةِ عَوْرَةٍ سُتِرَتْ بِقَبْرِ[1]

ومع التحوُّل من البداوة إلى المدنية سنلاحظُ أنَّ الخرق الثقافي لتلك الأنساق الأخلاقية يتجلى بنوع من السخرية المريرة من تلك المقولة التي تتذرَّع بنعمة «العورةُ التي سُتِرَتْ بالقَبْر» أو التعزِّي بـ «مُصاهرة القبر» في هذا البيت لابن الوردي وهو يرثي ابنته:

قَالَ: هَذِيْ عَوْرَةٌ قَدْ سُتِرَتْ   قُلْتُ: لا، بَلْ ذَاكَ بَعْضِيْ قُبِرَا

وكان المتنبِّي قبل ذلك قد حاول خَرْقَ هذا الموروث الأخلاقي عن المرأة في شعر الرِّثاء، بتصعيده لنبرة «التَّأبين» إزاء «النُّواح» و«التَّعزية» وملء النقص الجنساني في شخصية المرأة بفائض من البلاغة، والتسامي الفني وتكثيف الخطاب التأبيني في رثائيته لأمِّ سيف الدولة وهو خرقٌ لم يسلم من تشنيعات النقد العربي القديم على المتنبِّي:

فَلَوْ كانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا
لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
فَمَا التَّأْنِيْثُ لاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ
وَلاَ التَذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلاَلِ

وفي السياق نفسه تأتي مرثيته في أخت سيف الدولة:

أُجِلُّ قَدْرَكَ أَنْ تُدْعَيْ مُؤَنَّثَةً
وَمَنْ يَصِفْكَ فَقَدْ سَمَّاكِ لِلْعَرَبِ

ومضى المتنبي بعيداً في خرق الموروث الأخلاقي لفكرة الرِّثاء وحدودها، بمزيد من الانفراد الفني، فكتب قصائد كبيرة في موضوعات كان النقاد العرب يرونها صغيرة كمقولة ابن رشيق«أشدُّ الرِّثاء صعوبةً

---

(١) «عيون الأخبار» الجزء الثالث ص ٥٣.

على الشاعر وأضيقه مجالاً أن يرثي امرأةً أو طفلاً» فرثى إضافة إلى المرأة، طفلاً لسيف الدولة ووسَّعَ المجال كثيراً بشاعرية مغايرة وعبارات رفيعة في تأبينٍ مختلف:

بِنَا مِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ مَا بِكَ في الرَّمْلِ
وَهَذا الَّذي يُضْنِيْ كَذَاكَ الَّذي يُبْلِيْ

فَإِنْ تَكُ فِيْ قَبرٍ فَإِنَّكَ في الحَشَى
وَإِنْ تَكُ طِفْلاً فَالأَسى لَيسَ بِالطِّفْلِ

وَمِثْلُكَ لا يُبْكَي عَلى قَدرِ سِنِّهِ
وَلَكِنْ عَلى قَدرِ الْمَخِيْلَةِ وَالأَصْلِ

ومن هنا بدأ يترسَّخ هذا النمط الشعري بوضوح لافت في الشِّعْر العربيّ، وسنقرأ في هذه المرحلة، قصائد «تأبينية باكية» لشعراء كبار في تاريخ الشِّعْر العربيّ في توديع زوجاتهم كأبي تمام وابن الرومي والشريف الرضي وديك الجنِّ ومسلم بن الوليد وسواهم.

ويعدُّ الطغرائي أكثر شاعر عربي، حتى نهاية العصر العبَّاسي، رثى زوجته، إذ يحتوي ديوانه على عشر مرثيات بين قصيدة ومقطوعة.

ولم يعد رثاء المرأة، أو الرِّثَاء بشكل عام، بما يحمله من نُوَاح، ومن ضعف إنساني طبيعي، عاراً على الشاعر، أكثر من ذلك صار هذا النُّواح معياراً فنياً جديداً لمدى الرقَّة وكثافتها في تجربة الشاعر العربي، ولهذا سنلاحظ أنَّ شاعراً نوعياً في تاريخ الشِّعْر العربيِّ هو الشريف الرضي يطلق عليه أدباء عصره لقب «النائحة الثكلى[1]» لما يتصف به

---

(١) «الوافي بالوفيات» لصلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدي ٦٩٦ - ٧٦٤ هـ الطبعة الثانية باعتناء س. ديدرينغ: فرانز شتاينر، فيسبادن الطبعة الثانية ١٩٧٤.

شعرُه من رقَّةٍ في اللغة وحرارة في التجربة.

وفي هذا العصر بالذات أصبحت قصيدة رثاء الزوجة، أو حتى الزوج، بما تمثله من انهدام البيت، وتيتيم للأطفال، وعناء إجتماعي، حادثة تستجرُّ التعاطف والتماهي معها شعورياً، وهذا ما تفسِّرهُ تلك الرواية التي أوردها أبو الفرج الأصفهاني في «الأغاني» عن مرثاة مزدوجة كاذبة لأبي دُلامة في زوجته: «دخل أبو دلامة على المهدي وهو يبكي. فقال له: ما لك؟ قال: ماتت أمُّ دلامة، وأنشده لنفسه فيها:

وَكُنَّا كَزَوْجٍ مِنْ قَطَا فِيْ مَفَازَةٍ
لَدَى خَفْضِ عَيْشٍ نَاعِمٍ مُوْنِقٍ رَغْدِ
فَأَفْرَدَنِي رَيْبُ الزَّمَانِ بِصَرْفِهِ
وَلَمْ أَرَ شَيْئَاً قَطُّ أَوْحَشَ مِنْ فَرْدِ

فأمرَ له بثياب وطِيْبٍ ودنانير، وخرج. فدخلت «أمُّ دلامة» على الخيزران، زوجة المهدي، فأعلَمَتْها أنَّ أبا دُلامة قد مات، فأعطتها مثل ذلك، وخرجت. فلما التقى المهدي والخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه[1]»

وبالتوازي الزمني مع هذا العصر، كانت الأندلس تمثل «العالم الجديد» للجماعات العربية والإسلامية، في بداية القرن الثامن الميلادي، خاصة بعد فتحها على يد مولى أمازيغي «طارق بين زياد» وأصبحت مَهْجراً جديداً تنصهر فيه الثقافات المهاجرة من عراقية وشامية وحجازية، مع ثقافة مغاربية محلية، ومن تقاليد اجتماعية إثنية وقومية كالبربرية والعربية والإيبيرية. وكان لهذا المصهر الكوزموبولتي الساخن، تأثيرٌ واضح على مجمل الحياة الإجتماعية وبشكل خاص

(١) «الأغاني» الجزء العاشر ص ٢٠٣.

على حياة المرأة في تلك البيئة وتلك الحقبة الزمنية، ومن هنا فقد مثلت الحياة الإجتماعية في الأندلس، صورة مختلفة للتعبير عن الحياة الجديد للمرأة، فقد برزت في هذه الفترة المرأة المثقفة، المتعلِّمة، ولم تعد مجرَّد «جارية» أو «أَمَة» ولم تنشأ في بيئة الحريم السلطاني، وإنما انفتحت على الحياة الإجتماعية مثل انفتاحها على حقول ثقافية كانت تعدُّ «ذكورية» وتفاعلها مع تلك الحدود الجنسانية للثقافة، فبرعت في مجال تعليم التلاميذ وتأديبهم في حلقات التدريس، وظهرت نماذج لمثقفات في مجال النقد الأدبي، وكان بينهنَّ من تجاوزت ذلك لتجتهد في علمي العروض والنحو، وحتى في حقول الفقه وعلوم الحديث، ولعل مرثاة أبو حيَّان الأندلسي لزوجته «زُمُرُّد» وكذلك لابنتِهِ «نُضَار» تُقاربُ تلك القضية عندما تؤبِّن المرأة وتعبِّر عن فداحة «الفقد الثقافي» الذي كان وقفاً على الرِّجال من العلماء والنبلاء في العصور السابقة.

ومن هنا كذلك فلا غرابة أنْ نعرفَ أنَّ أوَّلَ كتابٍ مستقلٍّ ومعروف في رثاء المرأة، يعود إلى أحد أبناء تلك الثقافة. فلابن جبير أول كتاب مخصص لرثاء الزوجة في الشِّعْر العربيِّ عنوانه «نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح» وينقل لسان الدين بن الخطيب عن ابن عبد الملك قوله «وقفتُ منه على مجلَّدٍ متوسط يكون على قدر ديوان أبي تمام حبيب بن أوس، ومنه جزءٌ سمَّاه: نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح في مراثي زوجه أم المجد، ومنه جزءٌ سمَّاه: نَظمُ الجمان في التشكِّي من إخوان الزَّمان»[1] بيد أن هذا الديوان التي وصلتنا أخبارُهُ لم تصلنا نصوصُهُ للأسف، فضاعت تلك المراثي، إلا أنَّ المقري

(١) «الإحاطة في أخبار غرناطة» للسان الدين بن الخطيب محمَّد بن عبد الله بن سعد السلماني ٧١٣ - ٧٧٦هـ حقَّقه محمد عبد الله عنان / مكتبة الخانجي مصر/ الطبعة الأولى ١٩٧٤الجزء الثاني ص ٢٣٤.

التلمساني أوردَ في «نفح الطيب» بيتين لابن جبير في رثاء زوجته لعلهما من تلك المراثي في كتابه الضائع.

وتمتاز مراثي المرأة في البيئة الأندلسية بالثراء الفني، والوفرة الكمية، حيث نقرأ في هذا العصر المزدهر بمرثيات النساء مطولاتٍ متعدِّدةً لأبرز شعراء هذا العصر ومنهم الأعمى التطيلي الذي امتازت تجربته بحضور مكثف لغرض رثاء المرأة بشكل عام، فضمَّ ديوانه عدداً من تلك المراثي الطوال الجيدة. وكذلك لابن حمديس ولسان الدين بن الخطيب وابن الزقاق البلنسي وأبو حيان الأندلسي وسواهم.

وتثير مراثي المرأة في هذا الكتاب، إشكالية ما يسمى في الدراسات الحديثة، «مشكلة الجندر» أو «النوع الثقافي» التي دأبت طروحات ما بعد الحداثة، التي تهتم بقضايا النسوية الحديثة، على مقاربتها من خلال فكرة التعايش المتكافئ في بيئات اجتماعية معقدة تنطوي على معايير طبقية واضحة.

ولا تقتصر حدود تلك المشكلة في تصادم «الهوية الجنسية» بين الرجل والمرأة، وإنما تتفاعل كذلك داخل الجنس نفسه، أي في الحدود الداخلية للهوية الجنسية للمرأة، وعلاقتها مع الهوية النسوية بشكل عام. فجرى تصنيع هويات إحلالية بديلة للمرأة، في العصور المختلفة، كانت تتغرَّبُ فيها المرأة داخلياً في توصيفات اجتماعية تمييزية.

فمنذ العصر العبَّاسي ظهر نوع من الطبقية الإجتماعية في عالم المرأة، يمكن أن نطلق عليه بالبنية المضمرة لمفهوم «الجندر» في الثقافة العربية، والتي تحوَّلت تحولاً لافتاً مع تحول معطيات الحضارة إلى قيم مدنية في الحياة اليومية، لكن هذا التحوُّل لم يشهد تحولاً جذرياً في النظرة إلى المرأة نظرة مساواة ثقافية واجتماعية، وإنما جرى التمييز الاجتماعي والثقافي، بين نساء الجنس نفسه، فتكرست المصطلحات

والتوصيفات النوعية في التمييز داخل نطاق الجنس الأنثوي ذاته، كـ«الحرَّة» و«الأَمَة» و«القينة» و«الجارية» و«أم الولد» في ذورة صعود النزعات الدينية والعرقية، وتداخلها مع تحول الدولة الإسلامية المحلية، إلى إمبراطورية عالمية، وصولاً إلى «الخاتون» وهي «تأنيث الخان» في الثقافة المغولية التي انعكست بظلالها هي الأخرى على الممارسات الاجتماعية العربية في حقبة محددة بعد سقوط الإمبراطورية العربية الإسلامية، وهنا حدث خلطٌ ولبسٌ كثيران بين هذه الحدود الاجتماعية للجنس الأنثوي للمرأة، وسواها من الأسماء التي يراد بها توصيف امرأة ليست حرَّة أو غير عربية أو ليست من ذوات الحسب والنسب! وانسحب بالتالي على التدوين والأخبار التي تتصل بتراجم النساء، وتلك المصادر التي وردت فيها مراثٍ للنساء بصفتهنَّ حليلات او غير حليلات. ومن أجل فكِّ الإلتباس عن هذا المفهوم، ينبغي مراجعة تلك المفاهيم المتعددة لهذا «الجندر النسوي» المصنوع في الثقافة العربية. فهناك أنوثة وظيفية للمرأة، وهناك أنوثة جنسية، وإلى جانبهما ثمة أنوثة اجتماعية يجري تنميطها أحياناً في الثقافة المحلية من خلال جذور ذلك الإرث الاجتماعي والديني معاً.

فالحرائر لفظة تطلق في الغالب على النساء اللاتي عادة ما يكنَّ من بنات العمومة أو القبيلة أو الجوار الحليف على أبعد تقدير، وهي على الأغلب تطلق على الزوجة.

أما الأَمَةُ فهي المرأة المملوكة «العبدة» مع أنَّ العرب كانوا ينادون المرأة المجهولة الاسم «أَمَةَ الله» دون النظر إلى كونها «مملوكة» مثلما يُنادون بـ «عبد الله» على الرجل الذي يجهلون اسمه أو كنيته، وأما «القينة» فهي العبدة المملوكة التي تمتلك موهبة الغناء أي المرأة «المغنية»

أما الجارية فهي أكثر الصفات أو الأنواع الاجتماعية للمرأة، التي تتماهى وتفترق مع مفهوم الزوجة في الثقافة العربية، وتشير هذه المفردة في التراث العربي، إلى أنها لا ترتبط بالضرورة بمفهوم الحريم السلطاني، أو تختزل في «الخادمة» أو الوصيفة، ففي المعاجم العربية نقرأ في معنى الجارية: بأنها اسم فاعل من الفعل جرى، ولذلك فهي ترتبط بالحركة والنشاط، فالسفينة جارية والشمس جارية كما جاء في المعاجم والجارِيَةُ: الفَتِيَّةُ من النساء بيِّنةُ الجَرَاية والجَرَاءِ والجَرَى وقولهم: كان ذلك في أيام جَرَائِها، أي صباها، ومن معاني الجواري: الكواكب السّيّارة، أو هي النُّجوم كلّها جاء في القرآن «فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوَارِ الْكُنَّسِ[1]»

وفي حديث الأفك تصف بريرة السيدة عائشة زوجة النبي محمد بأنها «جارية» وتشرح ذلك بأنها: حديثة السن، وجاء في حديث الأفك: «قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْراً قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِى الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ»[2]

وإذا راجعنا التاريخ الأُسري للخلفاء المسلمين منذ العهد الأموي إلى العبَّاسي، سنجد أنَّ كثيراً من أمهات الخلفاء هنَّ إمَّا من الجواري المملوكات، أو أمهات الأولاد «الأجنبيات» أو الْمُتَسرَّى بهنَّ و«التسرِّي هو: اتخاذ الجارية المملوكة حليلة»

---

(١) سورة التكوير الآيتين ١٥ و ١٦.

(٢) «صحيح مسلم» أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفي ٢٦١ هـ مجموعة من المحققين دار الجيل - بيروت / مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ الجزء الثامن باب في حديث الأفك وقبول توبة القاذف. الجزء الثامن ص ١١٥.

فعددٌ لا يستهان به من خلفاء بني أميَّة وأمرائهم، في الطور الشامي، وُلِدوا من «أمَّهات الأولاد» البربريات والفارسيات تحديداً، أمَّا أمَّهات خلفاء بني أمية في الطور الأندلس فجميعهنَّ من إثنيات وأعراق أخرى، وبينهنَّ جوارٍ مملوكاتٌ، وهو أمرٌ طبيعي تماماً في ظلِّ التعايش الكوزموبوليتي الذي تحدَّثنا عنه، كما أن أكثر من ثلاثين خليفة من خلفاء بني العبَّاس، تنوسُ أصولُ أمهاتهم بين كونهنَّ جواري مملوكات من أعراق أخرى كالتركية والرُّوميَّة، والبربرية والحبشية والفارسية والأرمنية وغيرها، مِمَّن يُطلق عليهنَّ «أمَّهَات الأولاد» أما الأئمة الإثنا عشر لدى الشِّيْعة الإمامِيَّة فسبعةٌ منهم ولِدُوا من أمَّهاتٍ إمَّا جوارٍ مملوكاتٌ، أو «أمَّهَات أولاد» من أعْرَاق أخرى كذلك.

ومن المتفق عليه في كتب السيرة، أنَّ «مارية القبطية» زوجة النَّبيِّ محمَّد، كانت «جارية» أهديت له من المقوقس ملك الإسكندرية ومصر، وهي التي أنجبت له ولداً ذكراً «إبراهيم» لكنه توفِّي وهو صغير. والثابت أنها نالت حريَّتها بعد ولادتها لإبراهيم مباشرة، لكنْ ثمة اختلافٌ يتمحور حول ما إذا نالت «مارية» لقب «أمّ المؤمنين» بعد زواجها بالرسول، أم لا؟ وهو لقب دارت حول صحَّته سجالات كبيرة، وذلك بسبب الاختلاف حول ما إذا أتخذها النبي زوجةً له، أم تسرَّى بها؟

وتفرِّقُ الثقافة العربية بين الجارية المتحدِّرة من أصول أخرى وتنشئة اجتماعية مختلفة، وبين تلك التي نشأت بينهم، فتبتكر لها توصيفين تمييزين، هما «الجارية المولَّدة» و«الجارية التليدة» فالمولَّدة: هي الجارية المَولُودةُ بين العرب، والتي تَنشأُ مع أَولادهم، ويُعلِّمونها مِن الآداب مثل ما يُعلِّمون أولادَهم، أما التَّليدة: فهي تلك الَّتي وُلِدَت ببلادِ العجم وحُمِلتْ فنشأت ببلاد العرَب.

ولهذا فإنَّ مفهوم الجارية كما وضحنا تدخل فيه الزوجة إذا كانت شابة حديثة السنّ، وكذلك المرأة المسبيَّة في الحروب، أو التي جرى امتلاكها بالمال «ملك اليمين» ومن هنا فهي تلد الخلفاء الذين يرثون الْمُلْك عن آبائهم دون أن يمنعهم عن ذلك لا أعجمية النسب ولا كلالته، ولا عبوديَّتُهُ أو مَمْلوكيَّتُهُ من جانب الأم. إذن فالزوجة قد تكون سيِّدةً حرَّة، أو شابة جارية أو أمرأة أجنبية «أمّ ولد» أما المقياس الأساسي لهذا كلّه هنا فهو: المساكنة والمعاشرة المعلنة بين الرجل والمرأة في الحدود التي أقرَّتها تلك الثقافة. أنها بعبارة أخرى «الحليلة» على اختلاف مسمَّياتها وتراتبيَّتها الاجتماعية.

وفي هذا الكتاب مرثيات لجوارٍ بهذه الصيغ المتعدِّدة التي قدَّمناها للجارية، وهي بلا شكّ زوجة لا تقلَّ شأناً لدى الشريك نفسه، عن المرأة الحرة، ذات الحسب والنسب العربي الصريح، بل أننا سنقع في نماذج من رثاء الأزواج لـ«جواريهم» على شحنة فنية ونفسية فائضة وأكثر جرأةً وتحرراً في إظهار مشاعر الحب والتغزُّل الممزوج بالتفجُّع، مما عليه الحال في رثاء الزوجة الحرة، ولعل مرثيات ابن حمديس التي تتنوَّع بين النموذجين، وكذلك الحال مع مرثيات الشريف الرضي، وابن سناء الملك، وابن نباتة المصري ومرثيات ابن الرومي، والفرزدق في مرثيتيه لزوجته الثانية وجاريته، أمثلة ملموسة على ذلك.

وكلما تقدَّمت العصور اكتسبت قصيدة رثاء الزوجة، نكهة جديدة من روح العصر الذي عاشت فيه ورحلت عنه، ففي عصر النهضة ومع قصيدة محمود سامي البارودي في رثاء زوجته التي ماتت وهو في المنفى بعيد عنها، يبرز بعدٌ آخر لهذا النوع من الرِّثاء، وسيتخذ هذا البعد، مستويات وصوراً أخرى أكثر تعقيداً في التفاعلات الاجتماعية والسياسية في القرن العشرين، فتبرز مرثيات لنساء تم اغتيالهنَّ،

وآخريات قُتلْنَ في حوادث مختلفة وتركْنَ صُورهنَّ وآثارهنّ المدنية ذكرى من نوع آخر في القصيدة وفي عالم الوحشة لدى الشاعر.

وإضافة إلى ذلك ألحقتُ في آخر هذا الكتاب فصلاً في مرثيات الشعراء من مختلف العصور لنساء لم يثبت أنهنَّ زوجاتهم، فهنَّ إمَّا كنَّ حبيباتهم أو خطيباتهم على وشكِ الزَّواج، قبل أن يختارهنَّ القبر زوجاتٍ له، فيبقى الشاعر غريماً لذلك القبر في قصائده الباكية وحياته الموحشة. وفي هذا الملحق قصائد لأشهر العشاق في تاريخ الشعر العربي كالمجنون وكثيِّر عزَّة والعوَّام بن عقبة، ومرَّة النهدي وابن ميَّادة، إضافة إلى قصيدة لبشار بن برد، وأخرى منسوبة لأبي نواس وُجِدتْ على قبر جاريةٍ دُفِنَ إلى جانبه، وكذلك نماذج أخرى متفرِّقة لعشاق مجهولين، وشعراء مغمورين، واختتمتها بنموذجين حديثين لعمر أبي ريشة. وقد سردتُ في هذا السياق القصص الغريبة المتصلة بهذه التراجيديات الصغيرة كما وردت في مصادرها.

في هذا الكتاب مرثيات لشعراء كبار وأعلام في تاريخ الشِّعْر العربيّ في القرن العشرين، كالجواهري ونزار قباني ومحمد الماغوط، وأحمد زكي أبو شادي، وعزيز أباظة وعبد الرحمن صدقي والمازني، وعلي الشرقي، ومحمد رضا الشبيبي، ويوسف الصائغ، وأخرى لشعراء مغمورين، وهناك أيضاً قصائد ومقطعات لأدباء نادراً ما كتبوا شعراً، لكنَّ تلك الصدمة التي صدَّعت بيوتهم وهدَّمت أحلامهم، أنشأت بتلك المراثي، عالماً لا بدَّ منه ولا غنى عنه لتعزية النفس عالماً يصفه المعرِّي ببيت بليغ:

أَقَامَتْ بُيُوْتُ الشِّعْرِ تُحْكِمُ بَعْدَهُ
بِناءَ المَراثي وَهْيَ صُوْرٌ إِلَى الْهَدْمِ

وفي الواقع لقد تجمَّعت عندي مراثٍ أخرى لشعراء آخرين، لكنني

أثرت هنا أن أمثلها بنماذج من كلِّ فترة ومن كل بلد عربي، ليجمع هذا العمل بين الموسوعية والاستقصاء العام، وبين روح الانتقاء، ولي أن أدَّعي أنني لا أعرف عملاً تصدى لهذا الموضوع، أو سواه في الغرض نفسه، وفي الكشف عن تلك المراثي وجمعها في كتاب بهذا الحجم، مع أنَّ ثمة تباينات واضحة في المستوى التعبيري للنماذج الواردة في هذا الكتاب، وهي تمثِّلُ إلى حدٍّ بعيد مراحلَ صعود الشِّعْر العربي، وهبوطه، وإحيائِهِ، وقلقه عبر العصور المتعاقبة، كما تعكس في الوقت نفسه مناخات وبيئات متعدِّدَة لمكانة المرأة على المستويين الشخصي الداخلي، أي صورتها في وجدان شريكها الذي يرثيها، وعلى الصعيد الاجتماعي الخارجي، بما تنقله القصائد من مواجهات الشاعر مع أصداء الآخرين ممن حوله تثريباً وعذلاً للبكاء على فقدان امرأة وهي «أهون مفقود!!».

مراثي النساء في «دِيوان رِثاءِ الزَّوْجات من الشِّعْر السُّومريّ إلى قصيدةِ النَّثْر» مدائح حزينة في غياب الممدوح، وغزل بلا غايات تحضر فيه جماليات الغائب بكثافة دون حضوره الجسدي، فهو بهذا المعنى شعر - في كلتا الحالتين - أو الغرضين تحرَّرَ من غرضيته وغائيته النفعية فهو لا يتوجَّهُ إلى شخص موجود يطمح أن يحظى منه بجائزة ما أو يستحقُّ عنه مطمعاً ما أو يتقرَّب منه بتوسل، انتفاء الغاية العابرة والغرضية المباشرة يجعل من هذا النوع الشعر، مستودعاً شعورياً هائلاً لكثافة صوفية تنبثق من بواطن العزلة وطبقات الوحشة المتعدِّدَة. لتشيِّدَ نشيداً عالياً في تأبين الجمال.

وبالمقابل فإنَّ كون الحبّ بين الرجل والمرأة سلوكاً طبيعياً لدى النفس البشرية، في مقابل تحريم العلاقات الحرة في الحياة الاجتماعية العربية أو العمل على جعله غير متاح في أحسن الأحوال، جعلت من

شعر الغزل، بشكل عام، منذ بداياته إلى العصر الحديث نوعاً من المرثيات المتكدِّسة لحبٍّ ميِّت منذ ولادته ومدفون في أعماق الروح العاشقة. ولهذا سنكتشف في قصائد هذا الكتاب، أن مياه الغزل المتأخِّر، أو المكبوت والمسكوت عنه، تتدفَّق في لحظة شعورية أمام حقيقة الموت لتشقَّ نهراً آخر من الحبِّ في تضاريس القصيدة العربية، نهراً مختلف المجرى وطويلاً كأحزان العشاق المفجوعين.

أيضاً تنطوي هذه المراثي على تصوير اللحظات الأخيرة بين شخصين عاشا معنا زمناً، ومن هنا فإنها تنطوي كذلك على رثاء للنفس، للروح التي بقيت مفردة بعد شريك يومياتها، ومن هنا كذلك، تكثر نبرة الزهد في مغريات العالم، والرغبة في أن يكون الشاعر شريكاً للراحلة في رحلتها، وهذه نبرة تكاد تشكِّل واحدةً من العناصر المشتركة واللافتة في معظم القصائد هنا.

يخلو السرير من الشريك الميت فيغدو العالم كلُّه مهجوراً، ويبقى الشريك الحيَّ منفرداً بانتظار اللحظة التي يتحوَّلُ فيها النَّعش إلى سرير جديد، أو مهداً تُولدُ فيه حياةٌ أخرى متخيَّلة ومنشودة بالتأكيد، لكنَّها ليست واقعية بكلٍّ تأكيد.

من الشِّعْر السومري
لُودنگيرا «شَاعِرٌ سُوْمَرِيّ»

اكتُشفتْ هذه المرثية على لَوحٍ مسماريٍّ في مدينة نُفَّر«نيبور – العاصمة الدينية للسومريين» يعود زمن تدوينه إلى حدود سنة ١٧٠٠ ق.م، ويضمُّ اللوح مرثيتين شعريتين مكتوبتين باللغة السومرية، لشاعر سومريٍّ يدعى لودنگيرًا ومعناه «رجل الإله» الأولى في رثاء أبيه، أما المرثية الثانية، فيرثي بها زوجته ناويرتوم «Nawirtum» وهذه المرثية مما نشره «صموئيل نوح كريمر» في كتابه «السومريون»[1].

هَذِهِ مَرْثِيَةٌ مَرِيْرَةٌ لأَجْلِكِ.
مرثية ناويرتم[2]

لَقَدْ حَلَّ يَوْمُ الشُّؤْمِ عَلَى الزَّوْجَةِ
وَقَعَتِ الْعَيْنُ الشِّرِيْرَةُ عَلَى السَّيِّدَةِ الْجَمِيْلَةِ، الزَّوْجَةِ الْعَطُوْفِ
«نَاوَيِرْتمْ» الْبَقَرَةُ الْوَحْشِيَّةُ الْمُخْصِبَةُ
سَقَطَتْ مُحَطَّمَةً
وَهْيَ الَّتِيْ لَمْ تَقُلْ أَبَدَاً: إنَّنِيْ مَرِيْضَةٌ

---

(١) «السومريون، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم» صموئيل نوح كريمر ترجمة: د. فيصل الوائلي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣/ ص ٣٠٠-٣١٠.

(٢) «أدب الرثاء في بلاد الرافدين» حكمت بشير الأسود/ دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع / دمشق ٢٠٠٨. ص ١٨٨.

لَقَدْ غَمَرَتْ «نُفَّرَ» الْعَتَمَةُ
وَفِي الْمَدِيْنَةِ
أَطْلَقَ كُلُّ النَّاسِ صَرْخَةَ الْحُزْنِ
وَغَمَرَتْهُمُ الشَّفَقَةُ عَلَىٰ نِهَايَةِ حَيَاتِهَا الْقَاهِرَةِ
وَتَأَلَّمُوا لِتَمَدُّدِهَا كَتِمْثَالٍ ذَهَبِيٍّ
إِنَّ الَّذِيْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا كَيْفَ لا يَحْزَنُ
النِّسَاءُ الْبَاكِيَاتُ رَدَّدْنَ أَرْوَعَ تَرَانِيْمِ الشُّعَرَاءِ ذَاتِ الْكَلِمَاتِ الْعَذْبَةِ
تَحَوَّلَتْ فِيْ كُلِّ مَكَانٍ إِلَى عَوِيْلٍ وَأَنَّاتٍ
لأَنَّ أَيَّامَهَا فِيْ حُضْنِ زَوْجِهَا لَمْ تَكُنْ طَوِيْلَةً، لَمْ يَنْقَطِعِ الْبُكَاءُ
إِنَّهُ يَنْهَضُ بِعَظَمَةٍ، وَعَطْفٍ وَيُلْقِيْ مَرْثِيَّةً لأَجْلِهَا
فِيْ مَدِيْنَتِهِ «نُفَّر»
«لُوْدنكِيرَا» زَوْجُهَا الْحَبِيْبُ وَحِيْدٌ
دَنَا مِنْهَا يُقَلِّبُ فِي مَوْضِعِ السَّكَنِ الْعَظِيْمِ
قَطَعَ الْغِذَاءَ وَنَفْسُهُ مَكْظُوْمَةٌ
وَأَطْلَقَ الْعَوِيْلَ كَالْبَقَرَةِ، وَلَمْ يَرْتَدِ ثِيَاباً
إِنَّهُ يَتَأَلَّمُ وَيَنْدُبُهَا:
آهِ أَيْنَ أَنْتِ الآنَ؟
إِنَّنِيْ أَنْعَاكِ
أَيْنَ الْفَمُ الْجَمِيْلُ الآنَ؟
الْفَمُ السَّاحِرُ، الْفَمُ الْمُهَذَّبُ
أُرِيْدُ أَنْ أَصْرُخَ لَكِ
أَيْنَ سِلاحِي الجَذَّابُ؟

الْكِنَانَةُ الزَّاهِيَةُ؟
إِنَّنِيْ أَنْعَاكِ
أَيْنَ أَنْتِ الآنَ؟
إِشْرَاقَتِي الْبَهِيَّةَ، إِنَّنِيْ أَنْعَاكِ
أَيْنَ الأَغَانِي الْعَذْبَةُ الَّتِيْ تُبْهِجُ الْقَلْبَ الآنَ؟
أُرِيْدُ أَنْ أَصْرُخَ لَكِ
أَيْنَ رَقْصِيْ؟
رَقْصُ رَفْعِ الْيَدِ وَالْمَرَحِ؟
إِنَّنِي أَنْعَاكِ
وَلأَنَّكِ الزَّوْجَةُ الْعَطُوْفُ، قَدْ تَمَدَّدْتِ مُشْرِقَةً كَالنُّوْرِ
فَهَذِهِ مَرْثِيَّةٌ مَرِيْرَةٌ لأَجْلِكِ.

إِمْرَاةٌ سُوْمَرِيَّة تَرْثِيْ نَفْسَهَا بَعْدَ مَوْتِهَا!

هذه المرثية كُتِبَتْ على لسان امرأةٍ سومريَّةٍ ماتت أثناء الولادة، ومن المؤكد أن المرأةَ الميّتَة لا تكتب الأشعار! وإنَّمَا كان هناك من كَتَبَ هذه المرثية على لسانِها، ومن المرجَّح من خلال سياق المرثية أنَّ من كتب هذه المرثية هو زوجُ المرأةِ السُّوْمريَّة الميّتة.

بِاتِّجاهِ الأَرْضِ الَّتِيْ لَنْ أَرْجِعَ مِنْهَا
مرثيةُ امرأة ماتتْ أثناءَ الولادة.[1]

لِمَاذَا أَنْتِ مُلْقَاةٌ عَائِمَةٌ
مِثْلُ قَارِبٍ وَسْطَ الْجَدْوَلِ؟
أَلْوَاحُكِ الْخَشَبِيَّةُ ثُقِبَتْ،
حَبْلُ مَرْسَاتِكِ قُطِعَ
بِوَجْهٍ مُغَطَّىً عَبَرْتِ الْمَدِيْنَةَ...

***

كَيْفَ لاْ أَسْتَطِيْعُ أَنْ أَكُوْنَ مُلْقَاةً عَائِمَةً؟
كَيْفَ لاْ يَكُوْنُ مَقْطُوْعاً حَبْلُ مَرْسَاتِيْ؟
فِي الْيَوْمِ الَّذِيْ حَمَلْتُ الْفَاكِهَةَ،
كَمْ كُنْتُ سَعِيْدَةً

---

(١) «أدب الرثاء» ص ١٨٩.

سَعِيْدَةً كُنْتُ أنا،
سَعِيْداً كَانَ زَوْجِيْ
فِي الْيَوْمِ الَّذِيْ ذَهَبْتُ لأَلِدَ فِيْهِ، وَجْهِيْ كَاْنَ كَئِيْباً
فِيْ يَوْمِ وَلاْدَتِيْ أَصْبَحَتْ عَيْنَاْيَ دَاْمِعَتَيْنِ
صَلَّيْتُ إِلَىْ سَيِّدَةِ الآلِهَةِ بِأَيْدٍ مَرْفُوْعَةٍ
أَنْتِ أُمُّ النِّسَاْءِ اللَّوَاْتِيْ يَلِدْنَ، أَنْقِذِيْ حَيَاْتِيْ.
عِنْدَمَاْ سَمِعَتْ سَيِّدَةُ الآلِهَةِ ذَلْكَ، غَطَّتْ وَجْهَهَاْ:
أَنْتِ لِمَاْذَاْ تُقَدِّمِيْنَ الصَّلاْةَ لِيْ؟
زَوْجِي الَّذِيْ كَاْنَ يُحِبُّنِيْ أَطْلَقَ صَرْخَةً.
أَنَا الزَّوْجَةُ الَّتِيْ أَحْبَبْتَ
كُلُّ تِلْكَ الأَيَّاْمِ أَنَاْ كُنْتُ مَعَ زَوْجِيْ.
عِنْدَمَاْ عِشْتُ مَعَهُ الَّذِيْ كَاْنَ مَحْبُوْبِيْ.
تَسَلَّلَ الْمَوْتُ خِلْسَةً إِلَىْ غُرْفَةِ نَوْمِيْ.
انْتَزَعَنِيْ عَنْوَةً مِنْ بَيْتِيْ.
فَصَلَنِيْ عَنْ حَبِيْبِيْ.
وَوَضَعَ قَدَمَيَّ بِاتِّجاْهِ الأَرْضِ الَّتِيْ لَنْ أَرْجِعَ مِنْهَا.

عَمْرُو بنُ قَيْس بنُ مَسْعُوْد الْمُرَادِيّ

«جاهليّ» قالَ يَرْثِي امْرَأَتَهُ[1] :

قَوْمِيْ فَبَكِّيْهَا

سُعِيْدَ قَوْمِيْ عَلَى سُعْدَى فَبَكِّيْهَا
فَلَسْتِ مُحْصِيَةً كُلَّ الَّذِيْ فِيْهَا
فِيْ مَأْتَمٍ كَظِبَاءِ الرَّوْضِ قَدْ قَرِحَتْ
مِنَ الْبُكَاءِ عَلَى سُعْدَى مَآقِيْهَا

---

(١) «معجم الشعراء» للمرزباني أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى ٢٩٧ – ٣٨٤ هـ دار الكتب العلمية/ بيروت / الطبعة الثانية ١٩٨٢ تحقيق المستشرق سالم الكرنكوي ص٢٣٦.

وقالَ أعْرابيٌّ يَرْثِي امْرَأتَهُ(1)

أيُّنا؟

فَواللهِ مَا أدْرِيْ إذَا الْلَيْلُ جَنَّني
وَذَكَّرَنِيهَا أيُّنا هُوَ أَوْجعْ؟
أمُنْفَصِلٌ عَنْ ثَدْيِ أمٍّ كَرِيْمَةٍ
أَمِ الْعَاشِقُ النَّابِيْ بِهِ كُلُّ مَضْجَعْ؟(2)

---

(1) «العقد الفريد» لابن عبد ربه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ٢٤٦ - ٣٢٨ / تحقيق عبد المجيد الترحيني دار الكتب العلمية / بيروت ١٩٨٣ الجزء الثالث ص٢٣٦.

(2) رأى الدكتور شوقي ضيف أن حركة الرَّوي في البيت الثاني تخالف حركته في البيت الأول بقراءته لقافية البيت الأول مضمومةً والثانية مكسورة، راجع «الرثاء في الشِّعْر العربي الدكتور شوقي ضيف دار المعارف القاهرة الطبعة الرابعة ١٩٨٧ ص ٢٦..» أقول: ربما حَدَثَ التباسٌ في استنتاج الدكتور شوقي ضيف هنا، فلم أجد لدى «ابن عبد ربِّه» ما يأخذه على الشاعر «الأعرابي» في بيتيه، وربَّمَا كان الصحيح ان تقرأ حركة الرَّويّ في البيتين ساكنةً، وبهذا لا ينكسر الوزن لأنَّ «مفاعيلن» هنا، أصبحت «فعولن» وليس «مفاعلن» كما انصرف إليه ذهنُ الدكتور شوقي ضيف كما أرجِّح.
ومن المسوَّغ في تفعيلة الطويل «مفاعيلن» أن يحذف السبب الأخير منها فتصبح «فعولن» جاء في «القسطاس في علم العروض» للزمخشري في شرح عروض وضروب الطويل: ومنه مقبوض العروض محذوف الضرب:
أَقِيْمُوا، بَني النُّعْمَانِ، عنَّا صُدُوْرَكُمْ   وَإلاَّ تُقِيْمُوا، صَاغِرِيْنَ، الرُّؤُوْسَا
«القسطاس في علم العروض» للزمخشري، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي جار الله الزمخشري ٤٦٧ - ٥٣٨ هـ / تحقيق فخر الدين قباوة/ مكتبة المعارف / بيروت ١٩٨٩ ص ٧١.

بَسِيْلُ بن مَحْكَان

شاعرٌ لَمْ يَرِدْ ذكرهُ بكتب الأدب العربي، وقد انفرد الوزير المغربي بذكره في «الإيناس»[1]، وأورد له بضعة أبيات، لكنه لم يذكر العصر الذي عاش فيه، وهو : بَسِيْلُ بن محكان بن جروة بن قبيصة بن مجد بن أبي بن الحارث بن حنجود من تميم وله، بحسب الوزير المغربي، إبنٌ شاعرٌ أيضاً اسمه «طَيْسَلَة» ومن أبياته التي يرويها المغربي هذان البيتان في رثاء زوجته «رِبَحْلَة بنت جميل بن جروة[2]» وهي ابنةُ عمِّهِ كما يظهر من النَّسب.

وَكُنْتِ بِهَا ضَنِيْنَا

لَقَدْ نَزَعَتْ «رِبَحْلَةُ» مِنْ حِبَالِيْ
بَأَسْبَابٍ وَكُنْتِ بِهَا ضَنِيْنَا
وَكَانَتْ لا يَهَالُ الْجَارُ مِنْهَا
وَلا تَلْحَى عَلَى الْعَدَمِ الْقَرِيْنَا

---

(١) «الإيناس في علم الأنساب، ومختلف القبائل ومؤتلفها» للوزير المغربي الحسين بن علي بن الحسين ٣٧٠ - ٤١٨، ومحمد بن حبيب البغدادي «٣٤٥» تحقيق حمد الجاسر دار اليمامة / الرياض / الطبعة الأولى / ١٩٨٠ ص ٨٤.

(٢) معنى اسم رِبَحْلَةٌ: ضَخْمَةٌ، وقيل: جَيِّدَةُ الخَلْقِ طَوِيلَةٌ.

أعْرَابِيٌّ يَرْثِي زَوْجَتَهُ[1]

مَا لِلأَرْضِ أَسْتَسْقِي

سَقَىْ جَدَثاً تَضَمَّنَ «أُمَّ عَمْرُو»

بِنَخْلَةَ مَا اسْتَهَلَّ مِنَ الْغَمَامِ

وَمَا لِلأَرْضِ أَسْتَسْقِيْ وَلَكِنْ

لأَصْدَاءٍ أَقَمْنَ بِهِ وَهَامِ[2]

---

(١) «كتاب التشبيهات» لابن أبي عون أبراهيم بن محمد «ابن المنجم» توفي ٣٢٢ هـ عنيَ بتصحيحه: محمد عبد المعين خان/ طبعة كمبردج ١٩٥٠ ص ١٦٩. باب في الطلل. وكذلك «الممتع في صنعة الشعر» ص ١٥٣.

(٢) الهام: من الهامة، والعرب تسمي كل جثمان ميت هامة.

أعْرَابِيٌّ يَرْثِي امْرَأتَهُ

وأنشَدَ الأصمعيُّ لأعْرَابيٍّ يرثي امْرَأتَهُ[1]:

مَا يُغْنِي الرَّبِيْعُ؟

يَقُوْلُوْنَ: الرَّبِيْعُ عَلَيْكَ غَادٍ   فَأَبْشِرْ بِالتَّنَقُّلِ وَالْحُلُوْلِ
وَمَا يُغْنِي الرَّبِيْعُ وَأُمُّ سَلْمَىْ   تَنَازَعَ جَالَ مُظْلِمَةٍ دَحُوْلُ

---

(١) «تعليق من أمالي ابن دريد» أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي «المتوفى: ٣٢١هـ» تحقيق السيد مصطفى السنوسي/ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت / ١٩٨٤ م الجزء الأول ص ١٩١.

الْغَطَمَّش الضَّبِّي

شاعرٌ مغمورٌ كلُّ ما تُورده المصادرُ عنه أنَّهُ أعرابيٌّ من سكَّان الرَّيِّ ومن الشعراء اللصوص، وهو من بني شقرة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبّ، والغَطَمَّشُ: الظالِمُ الجائر. وقيل الغطمَّشة: أخذُ الشيء قهراً ومنه اشتقَّ الغطمَّش في اسم رجلٍ فهو على هذا اسم مُرْتجل وقالوا: الغَطَمَّش الرجل الكليل البصر، فهو على هذا منقول من الصفة[1].

جَمِيْلٌ فِي مِثْلِكِ البُكا[2]

سَقَى الله قَبْرَاً كُنْتِ رَوْضَةَ عَيْشِهِ
وجَنَّتَهُ، كَيْفَ اسْتَبَدَّ بِكِ الدَّهْرُ؟

لقَدْ كُنْتِ عَنْ لَحْظِ العُيُونِ رَقِيْقَةً
يُؤَثِّرُ فِيْكِ اللَّحْظُ والنَّظَرُ الشَّزْرُ

جَمِيْلٌ وحَقِّ اللهِ فِيْ مِثْلِكِ البُكَا
وَأَجْمَلُ لِيْ مِنْهُ التَّجَلُّدُ وَالصَّبْرُ

فإِنْ صَبَرَتْ نَفْسِيْ فَذَلِكَ شِيْمَتِيْ
وَإِنْ جَزِعَتْ يَوْمَاً فَأَنْتِ لَهَا عُذْرُ

---

(١) «المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة» لابن جني «أبي الفتح عثمان بن جني توفي ٣٩٢» تقديم وتحقيق الدكتور حسن الهنداوي دار القلم دمشق / دار المنارة/ بيروت ١٩٨٧ ص٢٥.

(٢) «الحماسة البصرية» الجزء الثاني ص ١٥١.

الأَشْعَثُ بنُ عَابِس فِيْ رِثَاءِ زَوْجَتِهِ جُلالَة

جاء في «المؤتلف والمختلف»[1]: الأشعث بن عابس بن ثعلبة بن طفيل بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن ضمضم بن عَديٍّ بن جناب الكلابي. وكان عنده «جُلالةُ بنت ربيعة» فماتتْ عنده فقال:

لَنْ أُلاقِيَ مِثْلَهَا

لَعَمْرِيْ لَئنْ كَانَتْ «جُلالَةُ» أَصْبَحَتْ
ضَنىً فِي الْفِرَاشِ مَا تَصَرَّفُ حَالا
بِمَا قَدْ أَرَاهَا وهْيَ مُعْجِبَةٌ لَنَا
وَلِلنَّاظِرِيْنَ بَهْجَةً وَجَمَالا
وَكَانَتْ لَنَا سِتْرَاً إذَا الرِّيْحُ أَعْصَفَتْ
وَجَادَتْ بِشَفَّانٍ يَكُوْنُ شَمَالا[2]
ألا قَدْ أَرَىٰ أنْ لَنْ أُلاقِيَ مِثْلَهَا
وَلَكِنْ أَبَدَاً لا يَكُوْنُ عِيَالا

(١) «المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم» لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي توفي ٣٧٠ هـ صحَّحه وعلّق عليه: الدكتور «ف كرنكو» دار الجيل/ بيروت ١٩٩١ ص ٥٤.
(٢) الشفَّان: الريح الباردة.

رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَار

قال رجلٌ من الأنصار يذكر امرأةً كانت له، وكانت به برَّة، وله حافظةً إذا غاب، وسارةً إذا حضر، فأصيبَ بها[1]:

لَوْ أَنَّنِيْ

أَلا مَا لِهَذَا الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِيْ أَهْلِ
تَنَكَّرْتَ مَا قَدْ كُنْتَ تَأْلَفُ مِنْ قَبْلِيْ

أَيَا جَارَتَا لا تَبْعُدِيْ خَيْرَ جَارَةٍ
لِبَعْلٍ وَأَحْنَاهُ عَلَىْ وَلَدٍ طِفْلِ

فَلَوْ أَنَّنِيْ كُنْتُ الْعَلِيْلَ لأَيْقَظَتْ
بَنِيْهَا وَمَا نَامَتْ وَلا فَعَلَتْ فِعْلِيْ

(١) «التعازي والمراثي» ص ١٠٢.

النَّمْرُ بنُ تَوْلَب

(١٤ هـ = ٦٣٥ م)

النَّمْرُ بنُ تَوْلَب بن زهير بن أُقَيْش العكليّ: شاعرٌ مخضرمٌ. عاش عُمراً طويلاً في الجاهلية، وكان فيها شاعرَ قبيلة «الرَّباب» ولم يمدح أحداً ولا هجا. وكان من ذوي النِّعمة والوجاهة، جواداً وهَّاباً لماله. يُشبَّهُ شعرُه بشعر «حاتم الطائي» أدرك الإسلامَ وهو كبيرُ السنِّ، ووفدَ على النبيِّ وروَى عنهُ حديثاً. وعاش إلى أن خَرِفَ فكانَ هِجِّيراه: «أقْروا الضيفَ، أنيخوا الرَّاكب، انحروا له!». وَعَدَّه السجستاني في المعمِّرين. وذكره «عمر» يوماً فترحَّمَ عليه[1]، فكأنَّهُ مات في أيَّام «أبي بكر» أو بعدَه بقليل. وفي المؤرخين من يذكر أنه نزلَ البصرة[2].

كان للنِّمْرِ بنِ تولب أخٌ يقال له الحارث أغار على «بني أسد» فسبى امرأةً منهم، يقال لها «جمرة» فوهبها لأخيه النمر بن تولب ففركته[3]،

---

(١) «خرفت امرأةٌ من حيٍّ كِرَام عظيمٌ خطرهم وخطرها فيهم فكان هجيراها: «زوِّجوني قولوا لزوجي يدخل مهِّدوا لي إلى جانب زوجي» فقال عمر بن الخطاب وقد بلغه خبرُهَا: ما لهجَ به أخو عكل النمر بن تولب في خَرَفِهِ أفخر وأسرى وأجمل مما لهجتْ به صاحبتكم ثم ترحَّم عليه» «الأغاني» جزء ٢٢ ص ١٩٦.

(٢) «الأعلام» للزركليّ«خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي المتوفى ١٣٩٦ هـ» دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ الجزء الثامن ص ٤٨.

(٣) فركته: أي كرهته وبغضته.

فحبسها، حتى استقرَّتْ، وولدتْ له أولاداً، ثم قالت له يوماً: أزرني أهلي فإني قد اشتقتُ إليهم، فقال لها: إني أخاف إن صرتِ إلى أهلك أن تغلبيني على نفسك، فواثقته لترجعنَّ إليه. فخرج بها، حتى أقدمها بلاد «بني أسد» فلما أطل على الحي تركته واقفاً، وانصرفت إلى منزل بعلها الأول، ولم ترجع إليه، فعرف أنها خدعته، وقال فيها شعراً كثيراً ولم ينسها حتى جاءه خبر موتها.

أَيُّ حَدِيْثٍ جَاءَ مِنْهَا؟

لما بَلَغَ «النِّمْرَ بنَ تولب» أنَّ امرأتَهُ «جَمْرَة» توفِّيتْ، نعاها لهُ رجلٌ من قومه يُقال له «حزام» أو«حرام» فقال [1]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ «جَمْرَةَ» جَاءَ مِنْهَا ... بَيَانُ الْحَقِّ أَنْ صَدَقَ الْكَلامُ

نَعَاهَا بِالْبَدِيْعِ لَنَا «حِزَامٌ» ... حَدِيْثٌ مَا تُحَدِّثُ يَا «حِزَامُ»

فَلاَ تَبْعُدْ وَقَدْ بَعُدَتْ وَأَجْرَىْ ... عَلَى جَدَثٍ تَضَمَّنَهَا الْغَمَامُ

---

(١) «الأغاني» الجزء ٢٢ ص ١٩٥.

الإمامُ عليٌّ بنُ أَبِيْ طَالِب

(٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ = ٦٠٠ - ٦٦١ م)

وترجمته أكبر من أن تُدوَّنَ هنا . .

وفي ما يتَّصل برثائه لزوجته «فاطمة» وقصة زواجهما، وما جاء في المروِّيات الصحيحة عن ذلك:

فقد رُويَ أنَّ علياً خطب «فاطمة» فقال له النبي: «ما تُصدقُها؟» قال: ما عندي ما أصدقُها. قال: «فأين درعُكَ الحطميَّةُ؟» قال: عندي. قال: «أصدِقْها إيَّاها وتزوَّجْها». ودخلَ عليها الرسول، فقالَ لها: «أيْ بُنيَّة! إنَّ ابنَ عَمِّكِ علياً قد خَطَبكِ فماذا تقولين؟ فبكتْ ثمَّ قالتْ: كأنَّكَ يا أبتِ إنَّما ادَّخرْتَني لِفَقِيْرِ قريش؟ فقال: والذي بَعَثَني بالحقِّ ما تكلَّمتُ فيه حتى أذِنَ اللهُ لي فيه من السموات. فقالتْ فاطمة: رضيتُ بما رضيَ اللهُ ورسولهُ.»

ورُويَ عن عَليٍّ قوله: لقد تزوَّجتُ «فاطمة» ومالي ولها فراشٌ غيرُ جِلْدِ كَبْشٍ، ننامُ عليه بالليل، ونعلفُ عليه الناضحَ بالنهار، ومالي ولها خادمٌ غيرها.

ورويَ أنَّهُ تزوَّجها في رجب بعد مَقْدم الرسولِ المدينةَ بخمسة أشهر. وكانت «فاطمة» يوم بنى بها بنتَ ثمان عشرة سنة، وأُهديتْ في بُردين وعليها دُمْلُوجان من فضَّةٍ، وكان معها خمِيلةٌ ومرفقة من أدَمٍ حَشوُها ليفٌ، ومنخل، وقدح، ورحى، وجرَّتان.

وأنجبت له «الحسن» و«الحسين» و«زينب» و«أم كلثوم» وقيل

«المحسن» وقد مات صغيراً، ولم يتزوَّجْ عليٌّ غيرَها حتى ماتت.

وماتت «فاطمة» ليلة الثلاثاء لثلاث خلونَ من شهر رمضان، سنة إحدى عشرة للهجرة، وهي ابنة تسعٍ وعشرين سنة، صلَّى عليها عليٌّ، وهو الذي غسلها مع «أسماء بنت عُمَيْس» ودُفنتْ ليلاً حسب وصيَّتها. وهي أوَّلُ مَن غُطِّي نعشها من النساء في الإسلام. إذ حكت لها «أسماء بنت عُمَيْس» ما يُصنع للمرأة إذا ماتت بأرض الحبشة، فأمرَتْهَا أن تصنعَ ذلك لها. وكذلك صُنع بعدَها «بزينب بنت جحش» زوج النبيِّ.[1]

قَبْرُ الْحَبِيْبِ[2]

مَالِيْ وَقَفْتُ عَلَى الْقُبُوْرِ مُسَلِّماً ... قَبْرَ الْحَبِيْبِ فَلَمْ يَرُدَّ جَوَابي؟

أَحَبِيْبُ مَالَكَ لا تَرُدُّ جَوَابَنَا ... أَنَسيْتَ بَعْدِيْ خُلَّةَ الأَحْبَابِ

قَالَ الْحَبِيْبُ وَكَيْفَ لِيْ بِجَوَابِكُمْ ... وَأَنا رَهِيْنُ جَنَادِلٍ وَتُرَابِ؟

---

(١) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ٣٦٨ - ٤٦٣. تحقيق علي محمد البجاوي دار الجيل/ بيروت ١٩٩٢م الجزء الرابع ص ١٨٩٣ و«الجوهرة في نسب النبيّ وأصحابه العشرة» للبُرِّي «محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التِّلمساني المعروف بالبُرِّي المتوفى بعد ٦٤٥هـ» نقَّحها وعلق عليها: د محمد التونجي، دار الرفاعي الرياض ١٩٨٣ م الجزء الثاني ص ١٩٩. و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ٥٠٨ - ٥٩٧ هـ.
تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية/ بيروت ١٩٩٢الجزء الثالث ص ٨٤.

(٢) «. . . ووقف على قبر الزهراء بعد دفنها وقال: . . .» «ديوانه ص ١٨» عبد العزيز الكرم ١٩٨٨ وص ٣٢ من ديوانه: اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي طبعة دار المعرفة ٢٠٠٥.

أَكَلَ التُّرَابُ مَحَاسِنِيْ فَنَسِيْتُكُم وَحُجِبْتُ عَنْ أَهلِيْ وَعَنْ أَتْرَابِي

فَعَلَيْكُمُ مِنِّي السَّلامُ تَقَطَّعَتْ مِنِّي وَمِنْكُمْ خِلَّةُ الأَحْبَابِ

وفي«التعازي والمراثي» لما دَفَنَ «علي بن أبي طالب» «فاطمة» تمثّل عند قبرِها[1]

لا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ

أَرَىْ عِلَلَ الدُّنْيَا عَلَيَّ كَثِيْرَةً

وَصاحِبُهَا حَتَّى الْمَمَاتِ عَلِيْلُ

ذَكَرْتُ أَبَا أَرْوَىْ فَبِتُّ كَأَنَّنِيْ

بَرَدِّ الْهُمُوْمِ الْمَاضِيَاتِ وَكِيْلُ

---

(1) «التعازي والمراثي» ص ١٢٢، وهذه القصيدة يُخْتلَف في نسبتها للإمام علي، هل هي من شعره؟ أم مما تمثَّلَ به؟ أم أختلطت أبياتها بأبيات لشاعر آخر؟ فقد وردت في «ديوانه» بعناية عبد الرحمن المصطاوي ص ١٢٢ «ثلاثة أبيات - الأول والخامس والسادس» و«ديوانه» جمع: عبد العزيز الكرم «ثمانية أبيات ص ١٤٩» و«زهر الآداب وثمر الألباب»
للقيرواني أبي أسحاق ابراهيم بن علي الحصري شرحه الدكتور زكي مبارك حققه وزاد في شرحه محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل الطبعة الرابعة الجزء الأول ص ٨٢ ثلاثة أبيات» ويروى أنه «قال» بعد وفاة فاطمة .. وفي «التذكرة الفخرية» للصاحب بهاء الدين المنشئ الإربلي «توفي ٦٩٢» دار البشائر دمشق ٢٠٠٤ تحقيق حاتم الضامن.. ص ٢٨ «بيتان» أنشد «متمثلاً» والأبيات «الشقران السلاماني» كما جاء في «بهجة المجالس الجزء ٢ ص ٣٥٩». وفي «تاريخ دمشق» لشقران السلاماني/ الجزء ٢٣ ص ١٢٣وكذلك ص ١٢٦ في رثاء أخيه. وللإمام علي/ الجزء ٤٢ ص ٥٢٧، فأنشا يقول: .... «تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من جلّه امن الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وراديها وأهلها» لابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن الشافعي ٤٩٩ - ٥٧١ هـ تحقيق محب الدين العمروي/ دارالفكر/ ١٩٩٥.

يُرِيْدُ الْفَتَىٰ أَنْ لاَ يَمُوْتَ حَبِيْبُهُ
وَلَيْسَ إِلَى مَا يَبْتَغِيْهِ سَبِيْلُ

فَلا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ وَلا بُدَّ مِنْ بِلَىً
وَإِنَّ بَقَائِيْ بَعْدَكُمْ لَقَلِيْلُ

لِكُلِّ اِجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيْلَيْنِ فِرْقَةٌ
وَكُلُّ الَّذِيْ دُوْنَ الْمَمَاتِ قَلِيْلُ

وَإِنَّ اِفْتِقَادِيْ فَاطِمَاً بَعْدَ أَحْمَدٍ
دَلِيْلٌ عَلى أَنْ لا يَدُوْمَ خَلِيْلُ[1]

وَكَيْفَ هُنَاكَ الْعَيْشُ مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِمْ
لَعَمْرِكَ شَيءٌ مَا إِلَيْهِ سَبِيْلُ

وَلَيْسَ خَلِيْلِيْ بِالْمَلُوْلِ وَلا الَّذِيْ
إِذَا غِبْتُ يَرْضَاهُ سِوَايَ بَدِيْلُ

وَلَكِنْ خَلِيْلِيْ مَنْ يَدُوْمُ وِصَالُهُ
وَيَحْفِظُ سِرِّيْ قَلْبُهُ وَدَخِيْلُ

وَلَيْسَ جَلِيْلاً رُزْءُ مَالٍ وَفَقْدُهُ
وَلكِنَّ رُزْءَ الأَكْرَمِيْنَ جَلِيْلُ

---

(١) ورد صدر البيت في«زهر الآداب» و«التذكرة الفخرية» «وَإِنَّ اِفْتِقَادِيْ فَاطِمَاً بَعْدَ أَحْمَدٍ» كذلك «بحار الأنوار» المجلد ٤٣، ص ١٨٠ «بحار الأنوار» محمد باقر المجلسي توفي ١١١١هـ /مؤسسة الوفاء/ بيروت ١٩٨٣ طبعة ثانية. وفي بقية الروايات «وَإِنَّ اِفْتِقَادِيْ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ».

لِذَلِكَ جَنْبِيْ لا يُؤَاتِيْهِ مَضْجَعٌ
وَفِي الْقَلْبِ مِنْ حَرِّ الْفِرَاقِ غَلِيْلُ
إذا انقَطَعتَ يَوْمَاً عَنِ العَيْشِ مُدَّتِيْ
فَإِنَّ بُكَاءَ الْبَاكِيَاتِ قَلِيْلُ
سَيُعْرَضُ عَنْ ذِكْرِيْ وَتُنْسَى مَوَدَّتِيْ
وَيَظْهَرُ بَعْدِيْ لِلْخَلِيْلِ خَلِيْلُ

حَبِيْبِيْ لا يَغِيْبُ[1]

حَبِيْبٌ لَيْسَ لِيْ بَعْدُ حَبِيْبُ   وَمَا لِسِوَاهُ فِيْ قَلْبِيْ نَصِيْبُ
حَبِيْبٌ غَابَ عَنْ عَيْنِيْ وَجِسْمِيْ   وَعَنْ قَلْبِيْ حَبِيْبِيْ لا يَغِيْبُ

---

(١) «ديوانه» جمع: عبد العزيز كرم ص ٢٤، و«ديوانه» بعناية المصطاوي ص ٤٢.

يَعْلَى بنُ مُنْيَة(١)

(٣٧ هـ - ٦٥٧ م)

يَعْلَى بنُ أميَّة بن أبي عبيدة، المعروف بيَعْلَى بنُ مُنية وهي أمُّهُ: أوَّلُ منْ أرَّخ الكتبَ. وهو صَحَابيٌّ، من الولاة. ومن الأغنياء الأسخياء من سكَّان مكَّة، كان حَلِيْفَاً لقريش.

أسلمَ بعد الفتح. وشَهِدَ «الطائفَ وحُنيناً وتبوك» مع النبي واستعمله أبو بكر على «حلوان» في الردَّة، ثمَّ استعمله عمر على «نجران» واستعمله «عثمان» على اليمن فأقامَ بصنعاء.

ولمَّا قُتِلَ «عثمان» انضمَّ «يعلى» إلى «الزبير» وعائشة» ويقال إنه حمل «عائشة» على «الجمل» الّذي كان تحته، في «وقعة الجمل» ويُروى عن علي: أسرعُ الناسِ إلى فتنة يعلى بن أمية! وعن عليّ بن أبي طالب أيضاً: حاربت أطوعَ الناس، وأشجعَ الناس، وأعبدَ الناس، وأعطى الناس، فأما أطوع الناس فعائشة رحمها الله، وأما أشجع الناس فالزُّبير بن العوام، لم يردّ وجهُهُ شيء قطُّ، وأما أعبدُ النَّاس فمحمد بن طلحة بن عبيد الله، إنما كان عموداً راتباً فاستزله أبوه، وأمَّا أعطى الناس فيعلى بن أمية، كان يُعطي الرجلَ، الفَرَسَ والسلاحَ والثلاثين الدينار على أن يخرج فيقاتلني. قال ابنُ الأثير: ثم صارَ من أصحاب عليّ، وقُتِلَ، وهو معه في «صفِّيْن».

---

(١) ترجمته في «الأعلام» للزركلي الجزء الثامن ص ٢٠٤.

رثى يَعْلَى زوجتَهُ «زينب» حين توفِّيت بتُهامة:[1]

يَـا رَبِّ رَبَّ الـنَّـاسِ لَـمَّـا نَـحَّـبُـوا

وَحِيْنَ أَفْضَوا مِنْ مِنَىً وَحَصَّبُوا[2]

لا يُـسْـقَـيَـنَّ مَـلْـحٌ وَعُـلَـيِّـبُ

وَالْمُسْتَرَادُ لا سَقَاهُ الْكَوْكَبُ[3]

مِنْ أَجْلِ حُمَّاهِنَّ مَاتَتْ زَيْنَبُ

تَنَكَّرَتِ الأَبْوَابُ لَمَّا دَخَلْتُهَا[4]

«أَبِالْفُرْعِ»[5] لَمْ تَظْعَنْ مَعَ الْحَيِّ زَيْنَبُ

بِنَفْسِيْ عَنِ النَّأْيِ الْحَبِيْبُ الْمُغَيَّبُ

---

(١) كان يعلى بن منية ويكنى «أبا نفيس» تزوَّج امرأة من بني مالك بن كنانة يقال لها «زينب» ولهم حلف في بني غفارٍ، وهي من بنات طارق اللاتي يقلن:

نـحـنُ بـنـاتُ طـارِقْ   نَـمْـشِـيْ عَـلَـى الـنَّـمَـارِقْ

فتوفيت بتهامة فقال يرثيها. . «الأغاني» جزء ١٢ ص ٢٤٦.

(٢) نحَّبوا: ساروا سيراً سريعاً. و«ربّ» الأولى منادى مرخَّم لذلك جاءت بالكسرة أصلها «يا ربِّي» وربَّ الثانية منصوبة على الاختصاص.

(٣) مَلَحٌ: موضع باليمامة، وعُلَيِّب: موضع بين الكوفة والبصرة، والمستراد: موضع في سواد العراق، والكوكب: الماء.

(٤) البيتان الأول والثاني في «الأغاني» الجزء الأول ص ٢٠٥ وهو مما غناه ابن سريج أمام فتية من بني مروان. والأبيات: الثاني والثالث والرابع وردت في كتاب «المعارف» لابن قتيبة. تحقيق: د. ثروة عكاشة. الطبعة الرابعة دار المعارف القاهرة ص ٢٧٦.

(٥) الفُرْع. قرية من نواحي الرَّبذة بينها وبين المدينةأربع ليال على طريق مكة.

بِوَجْهِكِ عَنْ مَسِّ التُّرَابِ مَضَنَّةٌ

فَلا تُبْعِدِيْنِيْ كُلُّ حَيٍّ سَيَذْهَبُ[1]

تَنَكَّرَتِ الأَبْوَابُ لَمَّا دَخَلْتُهَا

وَقَالُوْا: أَلا بَانَتِ الْيَوْمَ زَيْنَبُ

أَأَذْهَبُ قَدْ خَلَّيْتُ «زَيْنَبَ» طَائِعاً

وَنَفْسِيْ مَعِيْ لَمْ أَلْقَهَا حِيْثُ أَذْهَبُ

---

(١) «في الأغاني» كُلُّ حيٍّ سَيَعْطَبُ.

أَبُوْ دَهْبَل

(؟؟؟ - ٦٣ هـ = ؟؟؟ - ٦٨٢ م)

اسْمُه «وهب بن زَمَعَة وهو من بني لؤي» وكان أبو دَهْبل رَجُلاً جَمِيلاً شَاعِراً وكانت له جُمَّةٌ[١] يُرسلها فتضرب منكبيه وكان عفيفاً، وقال الشِّعْر في آخر خلافة عليٍّ بن أبي طالب.

وَكان عاشقاً تحبُّه النساء فقد عشقَ امرأةً من قومه يُقال لها «عَمْرَة» ولهُ فيها أشعارٌ، كما عشقته «عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان» بعد أن رأتهُ في موسمٍ للحجّ ولهُ معها قصَّةٌ مشهورة، وأشعارٌ شائعة، وفي أحد أسفاره إلى دمشق أعجبتْ به امرأةٌ شاميَّةٌ فاستدرجته لبيتها ليكون عشيقها فلمَّا رفض سجنته، ثم وافق على معاشرَتها بالزَّواج فبقيَ عندها مدَّة، وكان متزوِّجاً فاستأذنها بالعودة لأهله على أن يعودَ لها بعد عام، فعاد إلى زوجته الأولى وعياله، فوجد أهله قد اقتسموا ماله وورثوه حياً إلا زوجته التي عميتْ لفراقه ومرضتْ، ولما رأتهُ كانت نظرة الوداع، فَرثاها في بضعة أبيات، وأراد العودة إلى زوجته الشاميَّة بعد انقضاء العام، فجاءه خَبَرُ موتها هي الأخرى فظلَّ مُقيماً حتى توفي[٢] فدُفِنَ إلى جانب زوجته الأولى بـ«عُلَيَب»[٣]

---

(١) الجُمَّة: شَعْرُ الرَّأس الطويل الذي يصل المنكبين.

(٢) أخباره ونسبه في الجزء السابع من كتاب «الأغاني».

(٣) عُلَيَبٌ: اسمُ وادٍ على طريق اليمن.

لا تَخَالَيْ أنَّيْ نَسِيْتُكِ[1]

إسْلَمِيْ «أمَّ دَهْبَلٍ» بَعْدَ هَجْرِ
وَتَقَضٍّ مِنَ الزَّمَانِ وَعُمْرِ
وَاذْكُرِيْ كَرِّيَ الْمَطِيَّ إلَيْكُمْ
بَعْدَمَا قَدْ تَوَجَّهَتْ نَحْوَ مِصْرِ
لا تَخَالَيْ أنِّيْ نَسِيْتُكِ لَمَّا
حَالَ «بِيْشٌ» وَمَنْ بِهِ خَلْفَ ظَهْرِيْ[2]
إنْ تَكُوْنِي أنْتِ الْمُقَدَّمَ قَبْلِيْ
وَأُطِعْ، يَثْوِ عِنْدَ قَبْرِكِ قَبْرِيْ

(١) «الأغاني» الجزء السابع ص ١١٠.
(٢) بِيْشٌ: من بلاد اليمن قرب دَهلَكَ.. جاء في «معجم البلدان» «وهذا الشِّعْر يدلُّ على أن بيشاً موضعٌ بين مكة ومصر أو تكون صاحبته المذكورة كانت باليمن».

رَجُلٌ مِنْ «رَبِيْعَةَ» يَرْثِيْ امْرَأَتَهُ

البيت الأول من هذه القصيدة، أو بالأحرى صدرُه، من شواهد «الكتاب» لسيبويه، وموطنُ الشَّاهد فيه تقديم الإسم على الفعل بعد «إنْ»[1]، دون الإشارة إلى غرض البيت أو بقية الأبيات من القصيدة، لكنَّ صاحبَ «تاج العروس»[2] يورد بقيَّةَ الأبيات ويقول: إنها«الرجلِ من ربيعة يرثي زوجته» وذلك بعد الفتنة التي وقعت بين «تميم» و«ربيعة» خلال فتح عبد الله بن خازم لهراة سنة ٦٦، ويبدو أنَّ زوجة ذلك الرجل قتلتْ في تلك الفتنة.

عَاوِدْ هَرَاةَ

عَـاوِدْ هَـرَاةَ، وَإِنْ مَـعْـمُـوْرُهَـا خَـرِبَـا
وَأَسْـعِـدِ الْـيَـوْمَ مَـشْـغُـوْفَـاً إِذَا طَـرِبَـا

وارْجِعْ بِطَرْفِكَ نَحْوَ الخَنْدَقَيْنَ تَرَى
رُزْءَاً جَلِيْلاً، وأَمْراً مُفْظِعَاً عَجَبَا:

---

(١) «الكتاب» لسيبويه «أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر ١٤٨ - ١٨٠ هـ» شرح وتحقيق عبد السلام هارون/ مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الثالثة، ١٩٨٨ المجلد الثالث ص ١١٢.

(٢) «تاج العروس من جواهر القاموس» محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ تحقيق ضاحي عبد الباقي مراجعة الدكتور عبد اللطيف محمد خطيب/ سلسة التراث العربي ـ الكويت ٢٠٠١ الجزء ٤٩ ص ٣٠١.

هَـامَـاً تَـزَقَّـى وَأَوْصَـالاً مُـفَـرَّقَـةً

وَمَـنْـزِلاً مُـقْـفِـرَاً مِـنْ أَهْـلِـهِ خَـرِبَـا

لا تَأْمَنَنْ حَدَثاً «قَيْسٌ» وَقَدْ ظَلَمَتْ

إِنْ أَحْدَثَ الدَّهْرُ فِيْ تَصْرِيْفِهِ عُقَبَا

قَيْسُ بنُ ذُرَيْح

(؟؟؟ - ٦٨ هـ = ؟؟؟ - ٦٨٧ م)

قيس بن ذُريح بن سنة بن حذافة الكناني. شاعرٌ من العُشَّاق المتيَّمين، اشتهرَ بحبِّ «لبنى بنت الحباب الكعبية» وهو من شعراء العصر الأموي، ومن سكَّان المدينة. كان رضيعاً للحسين بن علي بن أبي طالب، أرضعتهما «أمُّ قيس» وأخبارُهُ مع «لبنى» كثيرة جداً، وشعره عالي الطبقة في التشبيب ووصف الشوق والحنين.

وملخَّص قصته مع «لبنى» كما جاء في الأغاني:

كان منزلُ «قيس» بظاهر المدينة فمرَّ لبعض حاجته بخيام «بني كعب بن خزاعة» فوقفَ على خيمة «لُبنى» فاستسقى ماءً، فسقتهُ، وكانت امرأةً مديدةَ القامة، شهلاء حلوة المنظر والكلام. فلما رآها وقعت في نفسه، وانصرفَ «قيسٌ» وفي قلبِه من لبنى حرٌ لا يُطفأ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورُوِيَ. . فانصرفَ إلى أبيه وأعْلَمَهُ حالَهُ وسأله أن يزوِّجَهُ إيَّاها. فأبى عليه وقال: يا بنيَّ، عليك بإحدى بناتِ عمِّكَ فهنَّ أحقُّ بك. وكان والدهُ كثيرَ المال مُوسراً، فأحبَّ ألا يخرجَ ابنُهُ إلى غريبةٍ. فانصرفَ قيسٌ وقد ساءَهُ ما خاطبه أبوه به. وذهب إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، وكانا أخوين في الرضاعة كما تقدَّم، فشكا إليه ما به وما ردَّ عليه أبوه. فأتى «الحسين» «ذُريحاً» وقومه وهم مجتمعون، فقاموا إليه إعظاماً له. فقال لذريح: أقسمتُ عليك إلا خطبت «لبنى» لابنك «قيس» قال: السمع والطاعة لأمرك. فخرج معه في وجوه من

قومه حتى أتوا «لبنى» فخطبها ذريحٌ على ابنه إلى أبيها فزوَّجَهُ إيَّاها، فأقامتْ معه مُدَّةً لا يُنكرُ أحدٌ من صاحبه شيئاً. وأراد أهله تزويجه بامرأة أخرى لأنَّ «لبنى» لم تلد له ابناً فرفض، حتى ألحُّوا عليه فطلَّقَها وندم.

وقد اخْتُلِفَ في آخر أمرِ قيس ولبنى؛ فذكر أكثرُ الرواة أنَّهما ماتا على افتراقهما، فمنهم من قال: إنه مات قبلها وبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه. ومنهم من قال: بل ماتت قبله ومات أسفاً عليها: ماتت لبنى، فخرج قيسٌ ومعه جماعةٌ من أهله فوقفَ على قبرها وقال مرثيته لها وهي بيتان لا غير كان آخرَ شعرٍ قاله.[1]

مَوْتُهَا مَوْتِيْ[2]

مَاتَتْ «لُبَيْنَى» فَمَوْتُهَا مَوْتِيْ	هَلْ تَنفَعَنْ حَسْرَةٌ عَلَى الفَوْتِ
وَسَوْفَ أَبْكِيْ بُكَاءَ مُكْتَئِبٍ	قَضَىْ حَيَاةً وَجْداً عَلَى مَيْتِ

ثمَّ أكبَّ على القبر يبكي حتى أُغْمِيَ عليه، فرفَعَهُ أهلُهُ إلى منزله وهو لا يعقل، فلم يزل عليلاً لا يفيق ولا يجيبُ مُكلماً ثلاثاً حتى مات، فَدُفِنَ إلى جنبها.

---

(١) «الأغاني» الجزء التاسع ص ١٦١. و«الوافي بالوفيات» المجلد ٢٤ ص ٢٩٧ باعتناء محمد عدنان البخيت ومصطفى الحياوي.

(٢) «ديوانه ص ٦٢» اعتنى به وشرحه عبد الرَّحمن المصطاوي دار المعرفة / بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠٤.

مُوَيِلك الْمَزْمُوم «شَاعِرٌ مِنَ الْخَوَارِج»

(؟؟؟؟ - ؟؟؟؟)

مالك المزموم ويُعرف كذلك بمُوَيْلِك المزموم. شاعرٌ من الخوارج، يقال إنه كان أحسن النَّاس قراءة للقرآن حتى أنَّ فتاةً سمعتهُ فرمتْ بنفسها من فوق سطح كانت عليه إعجاباً بصوته، كما يشير صاحب «الأغاني» طلبَهُ الحجَّاجُ فهرب إلى اليمامة منفيّاً لا يجد من يخاطبه سوى ناقته:

طَيَّرُوْنِي مِنَ الْبِلادِ وَقَالُوا مَالِكُ النِّصْفُ مِنْ بَنِيْ حَكَّامِ
نَاقُ سِيْرِيْ قَدْ جَدَّ حَقّاً بِنَا السَّيْرُ وَكُوْنِي جَوَّالَةً فِي الزِّمَامِ
نَاقُ إِنِّيْ أَرَى الْمَقَامَ عَلَى الضَّيْمِ عَظِيْمَاً فِي قُبَّةِ الإِسْلامِ

كُنْتِ جِدَّ فَرُوْقَةٍ[1]

اِمْرُرْ على الْجَدَثِ الَّذِيْ حَلَّتْ بِهِ أُمُّ العَلاءِ فَنَادِها لَوْ تَسْمَعُ
أَنَّى حَلَلْتِ وُكُنْتِ جِدَّ فَرُوْقَةٍ بَلَداً يَمُرُّ بِهِ الشُّجَاعُ فَيَفْزَعُ

---

(١) فروقة: خائفة، والقطعة في «ديوان الحماسة» اختاره: أبو تمام حبيب بن أوس توفي ٢٣١ هـ بشرح أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون دار الجيل/ بيروت ١٩٩١المجلد الثاني ص ٩٠٣ باب المراثي. و«معجم الشعراء» ص ٣٦٣. و«خزانة الأدب ولب =

صَلَّى الإِلهُ عَلَيْكِ مِنْ مَفْقُوْدَةٍ ... إِذْ لا يُلائِمُكِ الْمَكَانُ البَلْقَعُ

فَلَقَدْ تَرَكْتِ صَغِيْرَةً مَرْحُوْمَةً ... لَمْ تَدْرِ مَا جَزَعٌ عَلَيكَ فَتَجْزَعُ

فَقَدَتْ شَمَائِلَ مِنْ لِزامِكِ حُلْوَةً ... فَتَبِيْتُ تَسْهَرُ لَيْلَهَا وَتَفَجَّعُ

فَإِذَا سَمِعْتُ أَنِيْنَهَا في لَيْلِهَا ... طَفِقَتْ عَلَيْكِ شُؤونُ عَيْنِيْ تَدْمَعُ

= لباب لسان العرب» لعبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠- ١٠٩٣ هـ، تحقيق عبد السلام هارون/ مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الرابعة ٢٠٠٠ الجزء الثامن ص ٥٣٥.

أبُو الْمِقْدَام الجرْمِي «بَيْهس بنُ صُهَيْب»

(؟؟؟؟ - ؟؟؟؟)

بيهس بن صهيب بن قضاعة. ويكنَّى أبا المقدام: شاعرٌ فارسٌ شجاعٌ، من شعراء الدَّولة الأموية، وكان مع «المهلَّب بن أبي صفرة» في حروبه للأزارقة، ولهُ مواقف مشهورة وبلاءٌ حسن.

وكانت «صفراء» في أغلب الروايات، زوجتَهُ وولدت له ابناً، ثم طلَّقَهَا، فتزوَّجتْ رجلاً من بني أسد. وقد ماتت قبل أن يدخل بها زوجها الأسدي.[1]

مَنِ الَّذِيْ بَعْدَكُمْ أَرْضَى بِهِ بَدَلاً؟

هَلْ بِالدِّيَارِ الَّتِي بِالْقَاعِ مِنْ أَحَدِ
بَاقٍ فَيَسْمَعَ صَوْتَ الْمُدْلِجِ السَّارِي؟
تِلْكَ الْمَنَازِلُ مِنْ «صَفْرَاءَ» لَيْسَ بِهَا
نَارٌ تِضِيءُ وَلا أَصْوَاتُ سُمَّارِ
عَفَّتْ مَعَارِفُهَا هُوْجٌ مُغَبَّرَةٌ
تَسْفِيْ عَلَيْهَا تُرَابَ الأَبْطَحِ الْهَارِيْ[2]

---

(١) «الأغاني» دار صادر جزء ٢٢ ص ٩٧.

(٢) الهاري: المتهرئ.

حَتَّى تَنَكَّرْتُ مِنْهَا كُلَّ مَعْرِفَةٍ

إلا الرَّمَادَ نَخِيْلاً بَيْنَ أَحْجَارِ

طَالَ الْوُقُوْفُ بِهَا وَالْعَيْنُ تَسْبِقُنِيْ

فَوْقَ الرِّدَاءِ بَوادِيْ دَمْعِهَا الْجَارِيْ[١]

إنْ أُصْبِحَ الْيَوْمَ لا أَهْلٌ ذَوُوْ لُطُفٌ

أَلْهُوا لَدَيْهِمْ وَلا «صَفْرَاءُ» فِي الدَّارِ

أَرْعَىْ بِعَيْنِيْ نُجُوْمَ الْلَيْلِ مُرْتَقِباً

يَا طُوْلَ ذَلِكَ مِنْ هَمٍّ وَإسْهَارِ

فَقَدْ يَكُوْنُ لِي الأَهْلُ الْكِرَامُ وَقَدْ

أَلْهَوْ «بِصَفْرَاءَ» ذَاتِ الْمَنْظَرِ الْوَارِيْ

مِنَ الْمَوَاجِدِ أَعْرَاقاً إِذَا نُسِبَتْ

لا تَحْرِمُ الْمَالَ عَنْ ضَيْفٍ وَعَنْ جَارِ

لَمْ تَلْقَ بُؤْساً وَلَمْ يَضْرُرْ بِهَا عَوَزٌ

وَلَمْ تُزَخِّفْ مَعَ الصَّالِيْ إِلَى النَّارِ[٢]

كَذَلِكَ الدَّهْرُ إِنَّ الدَّهْرَ ذُوْ غِيَرٍ

عَلَى الأَنَامِ وَذُوْ نَقْضٍ وإِمْرَارِ[٣]

قَدْ كَادَ يَعْتَادُنِيْ مِنْ ذِكْرِهَا جَزَعٌ

لَوْلا الْحَيَاءُ وَلَوْلا رَهْبَةُ الْعَارِ

---

(١) بَوَادي دمعها: طواهره.

(٢) زخفت المرأة العجين: إذا أكثرت ماءه.

(٣) النقض: فك الحبل، والإمرار: فتله.

سَقَى الإلَـهُ قُبُوْرَاً فِيْ بَنِيْ أَسَدٍ
حَوْلَ «الرَّبِيْعَةِ» غَيْثاً صَوْبَ مِدْرَارِ[1]
مَنِ الَّذِيْ بَعْدَكُمْ أَرْضَى بِهِ بَدَلاً
أَوْ مَنْ أُحَدِّثُ حَاجَاتِيْ وَأَسْرَارِيْ؟

واجتاز «بيهس» في بلاد بني أسد، فمرَّ بقبر «صَفْرَاءَ» وهو في موضع يقال له الأحصُّ، ومعه ركْبٌ من قومه، فنزل «بيهس» على القبر، فقال له أصحابه: ألا ترحل؟ فقال: أما والله، حتى أظلَّ نهاري كلَّهُ عنده، وأقضي وطراً، فنزلوا معه عند قبرها، فأنشأ يقول، وهو يبكي[2]:

يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ قَلِيْلٌ «لِصَفْرَاءَ»

أَلِمَّا عَلَىٰ قَبْرِ «لِصْفَرَاءَ» فَاقْرَآ الـ
سَّلامَ وَقُوْلاَ: حَيِّنَا أَيُّهَا الْقَبْرُ
وَمَا كَانَ شَيْئَاً غَيْرَ أَنْ لَسْتُ صَابِرَاً
دُعَاءَكَ قَبْرَاً دُوْنَهُ حِجَجٌ عَشْرُ
بِرَابِيَةٍ فِيْهَا كِرَامٌ أَحِبَّةٌ
عَلَىٰ أنَّهَا إلا مَضَاجِعَهُمْ قَفْرُ
عَشِيَّةَ قَالَ الرَّكْبُ مِنْ غَرَضٍ بِنَا:
تَرَوَّحْ «أَبَا الْمِقْدَامِ» قَدْ جَنَحَ العَصْرُ

---

(١) الربيعة: مكان قبر صفراء، ومدرار: مطر هاطل.
(٢) «الأغاني» دار صادر جزء ٢٢ ص ٩٨.

فَقُلْتُ لَهُمْ: يَوْمٌ قَلِيْلٌ وَلَيْلَةٌ

«لِصَفْرَاءَ» قَدْ طَالَ التَّجَنُّبُ وَالهَجْرُ

وبِتُّ وَبَاتَ النَّاسُ حَوْلِيَ هُجَّداً

كَأَنَّ عَلَيَّ اللَّيْلَ مِنْ طُوْلِهِ شَهْرُ

إِذَا قُلْتُ هَذَا حِيْنَ أَهْجَعُ سَاعَةً

تَطَاوَلِ بِيْ لَيْلٌ كَوَاكِبُهُ زُهْرُ

أَقُوْلُ إِذَا مَا الْجَنْبُ مَلَّ مَكَانَهُ:

أَشَوْكٌ يُجَافِي الْجَنْبَ أَمْ تَحْتَهُ جَمْرُ؟

فَلَوْ أَنَّ صَخْراً مِنْ عَمَايَةَ رَاسِياً

يُقَاسِي الَّذِي أَلْقَىٰ لَقَدْ مَلَّهُ الصَّخْرُ

الْعَوَّام بنُ كَعْب المُزْنِي

(؟؟ - ؟؟)

العوَّامُ بنُ كعب المزني شاعر بدويٌّ جارُ بني كُليب. كانت له امرأةٌ يقال لها «أم كامل» فنشزت عليه، وماتتْ له امرأةٌ أخرى فرثاها بقوله[1]:

أَسْوَأُ العَبْرَاتِ

فَقُلْتُ لِقَلْبِيْ: لا تُبكِّ فَإِنَّهُ ... كَذَاكَ اللَّيَالِيْ طُوْلَهَا وَقَصِيْرُهَا

فَإِنِّيْ لَبَاكٍ مَا بَقِيْتُ وَإِنَّهُ ... لأَسْوَأُ عَبْرَاتِ الرِّجَالِ كَثِيْرُهَا

---

(١) «معجم الشعراء» للمرزباني ص ٣٠١.

الأَعْيَنُ بنُ عبد الرَّحمن

(؟؟ - ؟؟)

الأعينُ بنُ عبد الرَّحْمَن بن عمرو بن سهيل بن عمرو يرثي امرأتَهُ :

كَذُوْبُ الصَّفَاءِ(١)

لَعَمْرِكَ إِنِّيْ يَوْمَ زِيْلَ بِنَعْشِهَا ... وَنَفْسِيْ مَعِيْ لَمْ أَلْقَهَا لَصَبُوْرُ

كَذُوْبُ الصَّفَاءِ يَوْمَ ذَاكَ مُوَكَّلٌ ... بِبَاقِي الْحَيَاةِ وَالْحَيَاةُ غُرُوْرُ

---

(١) البيتان وردا في «التذكرة الحمدونية» الجزء الرابع ص ٢٨١، والبيت الأول ورد بهذه الصيغة :

لَعَمْرِكَ إِنِّيْ يَوْمَ زِيْلَ بِنَعْشِهَ ... وَلَمْ تَتْبَعْهَا مُهْجَتِيْ لَصَبُوْرُ

وأورد الزمخشري في «ربيع الأبرار» الجزء الخامس ص ١٣١، البيت الأول فقط، بالصياغة التي اعتمدناها هنا، بينما أبقينا على الثاني كما جاء في «التذكرة الحمدونية»

جَرْيْر

(٢٨ - ١١٠ هـ = ٦٤٨ - ٧٢٨م)

جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، أبو حزرة، من تميم.

وجاء في «المنتظم» انه وَلِدَ ولادة مبكِّرة «في الشهر السابع من الحمل» وَعمَّر على ما يزيد على الثَّمانين عاماً، كان عفيفاً، وتوفي في اليمامة وهو من أغزل الناس شعراً. وهو والفرزدق والأخطل المقدَّمون على شعراء الإسلام الذين لم يُدركوا الجاهلية جميعاً. ومختلفٌ في أيُّهم المُتَقدِّم، ولم يبق أحدٌ من شعراء عصرهم إلا تعرَّضَ لهم فافتضح وسقط وبقوا يتصاولون.

ومات الفرزدق قبل جرير فلمَّا بلغَ جريراً موتَهُ قال:

هَلَكَ الفَرَزْدَقُ بَعْدَما جَدَّعْتُهُ   لَيْتَ الفَرَزْدقَ كَانَ عَاشَ قَلِيلاَ

ثم أطرق طويلاً وبكى، فقيل له: يا «أبا حزرة» ما أبكاك؟ قال: بكيتُ لنفسي، إنَّهُ واللهِ قلَّ ما كان اثنان مثلنا أو مصطحبان أو زوجان إلا كان أمدُ ما بينهما قريباً، ثم أنشأ يقول مرثياً له:

فُجِعْنَا بِحَمَّالِ الدِّيَاتِ ابْنِ غَالِبٍ
وَحَامِي تَمِيْمٍ عِرْضَهَا وَالبَرَاجِمِ
بَكَيْنَاكَ حِدْثانَ الفِرَاقِ وَإِنَّمَا
بَكَيْناك إذ نابَتْ أُمُوْرُ العَظَائِمِ

فَلا حَمَلَتْ بَعْدَ ابْنِ لَيْلَى مَهِيْرَةٌ
وَلا شُدَّ أَنْسَاعُ المَطِيِّ الرَّوَاسِمِ[1]

وروى الأصفهاني: ما شهدتُ مشهداً قطُّ ذُكِرَ فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهلُ المجلس على أحدِهما. وقيلَ: الفرزدقُ أشعرُ عامةً وجرير أشعرُ خاصةً. وكانوا يُشبِّهُون جريراً بالأعشى، والفرزدق بزهير، والأخطل بالنابغة، ويحتجُّ من قدَّمَ جريراً بأنه كان أكثرَهم فنونَ شعرٍ، وَأَسْهَلَهم ألفاظاً، وأقلَّهم تكلُّفاً، وأرقَّهم نَسِيباً، وكان ديِّناً عفيفاً.

كانت «خالدة» التي يرثيها جرير هنا، أوَّلَ أمرأة تزوَّجها، وهي من بني كليب، وتكنَّى «أمّ حَزْرة»

وقصيدته في رثائها تسمى «الجوساء» لانتشارها في البلاد وقيل الحوساء «بالحاء»

ولما ماتتْ «خالدة» دفنها جريرٌ أسفلَ هضبة «بُلَيَّة» في اليمامة، ويومَ ماتتْ «النَّوار» زوجة الفرزدق وطليقته لاحقاً لم يَرْثِهَا الفرزدق، فكان الناس ينوحون عليها بأبيات جرير في رثاء زوجته «خالدة».

لا يَلْبَثُ الْقُرَناءَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا[2]

لَوْلا الْحَيَاءُ لَعَادَنِي اِسْتِعْبَارُ ... وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ وَالْحَبِيْبُ يُزَارُ
وَلَقَدْ نَظَرْتُ وَمْا تَمَتُّعُ نَظْرَةٍ ... في اللَّحْدِ حَيْثُ تَمَكَّنَ الْمِحْفَارُ

---

(١) المهيرة: الحرة.

(٢) القصيدة تتكوَّنُ من ٨٢ بيتاً، اخترنا منها ما يخصُّ رثاء زوجته، واستثنينا ما يتصلُ بهجاء غريمه الفرزدق «ديوان جرير/ ثلاثة مجلدات» بشرح محمد ابن حبيب تحقيق نعمان محمد أمين طه/ دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٨٦ ص ٨٦٢.

فَجَزاكِ رَبُّكِ في عَشِيْرِكِ نَظْرَةً ... وَسَقَى صَدَاكِ مُجَلْجِلٌ مِدْرَارُ

وَلَّهْتِ قَلْبِيْ إِذْ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ ... وَذَوُو التَّمَائِمِ مِنْ بَنِيْكِ صِغَارُ

أَرْعى النُّجُوْمَ وَقَدْ مَضَتْ غَوْرِيَّةً ... عُصَبُ النُّجُوْمِ كَأَنَّهُنَّ صِوَارُ[1]

نِعْمَ الْقَرِيْنُ وَكُنْتِ عِلْقَ مَضِنَّةٍ ... وَارَى بِنَعْفِ بُلَيَّةَ الأَحْجَارُ[2]

عَمِرَتْ مُكَرَّمَةَ الْمَسَاكِ وَفَارَقَتْ ... ما مَسَّها صَلَفٌ وَلا إِقْتَارُ[3]

فَسَقَى صَدَى جَدَثٍ «بِبُرْقَةِ ضَاحِكٍ» ... هَـزِمٌ أَجَـشُّ وَدِيْـمَـةٌ مِـدْرَارُ[4]

هَزِمٌ أَجَشُّ إِذَا اِسْتَحَارَ بِبَلْدَةٍ ... فَكَأَنَّما بِجِوَائِهَا الأَنْهَارُ[5]

مُتَرَاكِبٌ زَجِلٌ يُضِيءُ وَمِيْضُهُ ... كَالبُلْقِ تَحْتَ بُطُوْنِهَا الأَمْهَارُ[6]

كَانَتْ مُكَرَّمَةَ الْعَشِيْرِ وَلَمْ يَكُنْ ... يُخْشَى غَوَائِلَ «أُمِّ حَزْرَةَ» جَارُ[7]

وَلَقَدْ أَرَاكِ كُسِيْتِ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ ... وَمَعَ الْجَمَالِ سَكِيْنَةٌ وَوَقَارُ

---

(١) مضت غورية: أي ذهبت منحدرة، وربما قصد ذهبت نحو تهامة وما يلي اليمن، لأن العرب كانت تسمي تهامة: الغور، وعُصبُ النجوم: مجموعة النجوم، والصوار: قطيع الماشية.

(٢) عِلْقُ مَضِنَّةٍ: النَّفِيْسُ مِمَّا يُضَنُّ بِهِ، والنعف: منحدر الجبل. وبلية: الهضبة التي دفنت فيها خالدة.

(٣) المساك: التمسُّك، وصَلِفَتِ المرأةُ: إذا لم تحظَ عند زوجها وأبغضها. والإقتار: البخل وضيق العيش.

(٤) برقة ضاحك: ناحية في اليمامة، حيث كان جرير يعيش، ودفَنَ زوجته هناك. والهزم: المطر الذي لا يتوقف، والديمة: المطر الذي لا يكون له رعد أو برق.

(٥) اسْتَحَارَ الْمَاءُ: إِذَا تَجَمَّعَ وَامْتَلأَ.

(٦) زجل: يقال: سحابٌ زَجِلٌ، أي ذو رَعْدٍ.

(٧) أمُّ حَزرة: كِنيةُ خَالِدَةَ زَوْجَةِ جَرِيرٍ.

وَالرِّيْحُ طَيِّبَةٌ إِذَا اِستَقبَلْتِهَا وَالعِرْضُ لا دَنِسٌ وَلا خَوَّارُ

وَإِذا سَرَيْتُ رَأَيْتُ نارَكِ نَوَّرَتْ وَجْهاً أَغَرَّ يَزِيْنُهُ الإِسْفَارُ

صَلَّى الْمَلائِكَةُ الَّذِيْنَ تُخُيِّرُوا وَالصَّالِحُوْنَ عَلَيْكِ وَالأَبْرَارُ

وَعَلَيْكِ مِنْ صَلَوَاتِ رَبِّكِ كُلَّمَا نَصَبَ الْحَجِيْجُ مُلَبِّدِيْنَ وَغَارُوا[1]

يَا نَظْرَةً لَكِ يَوْمَ هاجَتْ عَبْرَةً مِنْ «أُمِّ حَزْرَةَ» بِالنُّمَيْرَةِ دَارُ

تُحْيِي الرَّوَامِسُ رَبْعَهَا فَتُجِدُّهُ بَعْدَ الْبِلَى وَتُمِيْتُهُ الأَمْطَارُ

وَكَأَنَّ مَنْزِلَةً لَهَا بِجُلاجِلٍ وَحْيُ الزَّبُوْرِ تُجِدُّهُ الأَحْبَارُ

لا تُكْثِرَنَّ إِذَا جَعَلْتَ تَلوْمُنِيْ لا يَذْهَبَنَّ بِحِلْمِكَ الإِكْثَارُ

كَانَ الْخَلِيْطُ هُمُ الْخَلِيْطُ فَأَصْبَحُوا مُتَبَدِّلِيْنَ وَبِالدِّيَارِ دِيَارُ

لا يَلْبَثُ الْقُرَنَاءَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمُ وَنَهَارُ

---

(١) نصب الحجيج: قصدوا، والتَّلبيدُ: أَنْ يجعلَ المُحْرِمُ فِي رَأْسِهِ شيئاً من صَمْغٍ أَوْ عَسَلٍ لِيَتلبَّدَ شعرُهُ بُقْياً عَلَيْهِ لِئلاَّ يَشْعَثَ في الإِحْرَام، ويُلَبِّدُ مَنْ يَطُولُ مَكثُهُ في الإِحْرَام.

الْفَرَزْدَق

(٣٨ - ١١٠ هـ = ٦٥٨ - ٧٢٨م)

هَمَّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، شاعرٌ من النُّبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة. ولقِّبَ بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه.

وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهرُ من أن تذكر، كان شريفاً في قومه، عزيز الجانب، وكان كثير التعظيم لقبر أبيه، فما جاءه أحدٌ واستجار به إلا نهض معه وساعده على بلوغ غرضه. وأمَّا جدُّه «صعصعة بن ناجية» فإنَّهُ كان عظيمَ القدر في الجاهلية، واشترى ثلاثين موءودة، فأنقذهنَّ من الموت.

توفي الفرزدق في بادية البصرة، وقد قارب المائة.

وكان الفرزدق قد تزوَّجَ ابنة عمِّهِ «النَّوار» وقبلت بهِ مضطرة، فلم تحسنْ عشرته فتزوَّجَ عليها «حَذْرَاء» بمهر مائة من الإبل، ومدَحَها وذمَّ «النَّوَار» فغضبتْ وألَّبتْ عليه جرير ليهجوه ويهجو «حدراء» ثمَّ طلَّقها لاحقاً، وندم[١].

---

(١) وقال في ذلك أشعاراً ولهما قصص معاً، وجاء في«الأغاني» الجزء ٢١ ص ٢٧٤ : أنَّ «النوار» لما حضرها الموت أوصت الفرزدق - وهو ابن عمِّها - أن يصلي عليها الحسن البصري، فأخبره الفرزدق، فقال: إذا فرغتم منها فاعلمني، وأُخرِجَتْ، وجاءها الحسن، وسبقهما الناس، فانتظروهما، فأقبلا، والناس ينتظرون، فقال الحسن: ما للناس؟ فقال: ينتظرون خيرَ الناس وشرَّ =

أما «حَذْرَاء» فقد ماتتْ بعد قليلٍ من زواجهما، وكان الفرزدقُ عائدِاً من رحلة إلى بيت «حَذْراء» فرأى في الطريق كبشاً مذبوحاً فتشاءم بموتها فقال: هلكتْ واللهِ «حدراء!» ولما وصلَ قال له أهلُها: هذا البيت فانزلْ أما «حدراء» فقد هلكتْ، ثم عرضوا عليه أن يرثها بعد موتها، وكانت مسيحية، وقالوا له: قد عرفنا الذي يصيبكم في دينكم من ميراثها وهو النصفُ فهو لك عندنا. فقال: لا واللهِ لا أرزأ منهُ قِطميراً[1] وهذه صَدَقَتُها فاقبضوها.

= الناس، فقال: إني لستُ بخيرهم، ولستَ بشرِّهم، وقال له الحسن على قبرها: ما أعددت لهذا المضجع، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. فتشاغل الفرزدق بدفنها، وجلس الحسن يعظ الناس، فلما فرغ الفرزدق وقف على حلقة الحسن، وقال:

لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلادِ «دارِمَ» مَن مَشَى
إِلَى النَّارِ مَشْدُوْدَ الْخِنَاقَةِ أَزرَقَا

إِذَا جَاءَنِيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ
عَنِيْفٌ وَسَوَّاقٌ يَسُوْقُ الْفَرَزْدَقَا

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِيْ
أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ الْتِهَاباً وَأَضْيَقَا

إِذَا شَرِبُوا فِيْهَا الصَّدِيْدَ رَأَيْتَهُمْ
يَذوْبُوْنَ مِنْ حَرِّ الصَّدِيْدِ تَمَزُّقَا

(١) القِطْمِيرُ: شَقُّ النواة، وفي الصحاح: القِطْمِيرُ: القِشْرة الدقيقة التي على النواة بين النواة والتمر.

لَسْتُ بِزَائِرٍ تُرَابَاً[1]

عَجِبْتُ لِحَادِيْنَا الْمُقَحِّمِ سَيْرُهُ
بِنَا مُزْجِفَاتٍ مِنْ كِلالٍ وَظُلَّعَا[2]

لِيُدْنِيَنَا مِمَّنْ إِلَيْنَا لِقَاؤُهُ
حَبِيْبٌ وَمِنْ دَارٍ أَرَدْنَا لِتَجْمَعَا

وَلَوْ نَعْلَمُ الْعِلْمَ الَّذِيْ مِنْ أَمَامِنَا
لَكَرَّ بِنَا الْحَادِي الرِّكَابَ فَأَسْرَعَا

لَقُلْتُ: ارْجِعَنْهَا إِنَّ لِيْ مِنْ وَرَائِهَا
خَذُوْلَيْ صِوَارٍ بَيْنَ قُفٍّ وَأَجْرَعَا[3]

مِنَ الْعُوْجِ أَعْنَاقَاً عِقَالٌ أَبُوْهُمَا
تَكُوْنَانِ لِلْعَيْنَيْنِ وَالقَلْبِ مَقْنَعَا

«نَوَارُ» لَهَا يَوْمَانِ يَوْمٌ غَرِيْرَةٌ
وَيَوْمٌ كَغَرْثَى جِرْوُهَا قَدْ تَيَفَّعَا[4]

يَقولونَ زُرْ «حَدْرَاءَ» وَالتُّرْبُ دُوْنَهَا
وَكَيْفَ بِشَيءٍ وَصْلُهُ قَدْ تَقَطَّعَا

---

(١) «ديوان الفرزدق» شرح ايليا الحاوي / دار الكتاب اللبناني / بيروت ١٩٨٣/ الجزء الثاني ص ٧٦ .

(٢) الكلالُ: الإعْيَاءُ، وظلعت الناقة في مشيها: إذا كان في سيرها غمز وعرج.

(٣) الخَذُوْلُ: التي تخلَّفَتْ عن الْقَطِيْعِ، والصِّوَارُ: القَطِيْعُ، والقفُّ: الأرضُ المرتفعةُ، والأجرعُ: الْكُثَيِّب وقِيْلَ: هي الرَّمْلَةُ المستوية.

(٤) الغرثى: الجائعة.

وَلَسْتُ وَإِنْ عَزَّتْ عَلَيَّ بِزَائِرٍ
تُرَاباً عَلَى مَرْسُوْمَةٍ قَدْ تَضَعْضَعَا
وَأَهْوَنُ مَفْقُوْدٍ إِذَا الْمَوْتُ نَالَهُ
عَلى الْمَرْءِ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ تَقَنَّعَا
يَقُوْلُ «اِبْنُ خِنْزِيْرٍ»: بَكَيْتَ وَلَمْ تَكُنْ
عَلى اِمْرَأَةٍ عَيْنِيْ، إِخَالُ، لِتَدْمَعَا[1]
وَأَهْوَنُ رُزْءٍ لامْرِئٍ غَيْرِ عَاجِزٍ
رَزِيَّةُ مُرْتَجِّ الرَّوَادِفِ أَفْرَعَا
وَما مَاتَ عِنْدَ «اِبْنِ الْمَرَاغَةِ» مِثْلُها
وَلا تَبِعَتْهُ ظَاعِناً حَيْثُ دَعْدَعَا[2]

وتزوَّجَ الفرزدقُ جاريةً من «بني نهشل» فحملت منه ثم ماتتْ وهي حامل فقال يرثيها ويرثي جنينها:

---

(١) إخال بالكسر وهي الأفصح: أظنُّ، جاء في الحديث: «ما أخالَكَ سَرَقْتَ» أي ما أظنك سرقتَ.

(٢) ابن المراغة: يقصدُ به خصمه الشعري اللدود جرير، والمَراغةُ: الأتانُ التي لا تَمْتَنِعُ من الفُحول، وبذلك لقَّب الأخطلُ أُمَّ جَريرٍ فسمَّاه «ابن المَراغةِ» أي يَتمرَّغ عليها الرِّجال، وقيل: لأن كليباً «قبيلة جرير» كانت أصحابَ حُمُرٍ فأراد أن يعيِّرَهُ. ودَعْدَعَ الرَّجل: عَدا عَدْواً فيه بطءٌ والتواءٌ وتعثُّرٌ، قال الشاعر:
لَحَى اللهُ قَوْمَاً لَمْ يَقُوْلُوا لِعَاثِرٍ
وَلا لابْنِ عَمٍّ نَالَهُ الدَّهْرُ: دَعْ دَعَا
وفي المعنى ذاته قول رؤبة بن العجاج :
وَإِنْ هَوَى الْعَاثِرُ قُلْنَا: دَعْدَعَا
لَهُ وَعَالَيْنَا بِتَنْعِيشٍ لَعَا

لَو أنَّ الْمَنَايَا أَنْسَأَتْهُ لَيَالِيَا[1]

وَغَـمْـدِ سِـلاحٍ قَـدْ رُزِئْـتُ فَـلَـمْ أَنُـحْ

عَـلَـيْـهِ وَلَـمْ أَبْـعَـثْ عَـلَـيْـهِ الْـبَـوَاكِـيَـا

وَفِـيْ جَـوْفِـهِ مِـنْ «دَارِمٍ» ذُوْ حَـفِـيْـظَـةٍ

لَـو انَّ الْـمَـنَـايَـا أَنْـسَـأَتْـهُ لَـيَـالِـيَـا[2]

وَلَـكِـنَّ رَيْـبَ الـدَّهْـرِ يَـعْـثَـرُ بِـالْـفَـتَـىٰ

فَـلَـمْ يَـسْـتَـطِـعْ رَدّاً لِـمَـا كَـانَ جَـائِـيَـا

وَكَـمْ مِـثْـلِـهِ فِـيْ مِـثْـلِـهَـا قَـدْ وَضَـعْـتُـهُ

وَمَـا زِلْـتُ وَثَّـابـاً أَجُـرُّ الْـمَـخَـازِيَـا

---

(١) «الأغاني» الجزء ٢١ ص ٢٢٣ وهذه القطعة لا توجد في ديوانه. لكنها وردت في مصادر أخرى إضافة إلى الأغاني، ومن بينها «التذكرة الحمدونية» الجزء الرابع ص ٢٨٠ «بيتان» و«التعازي والمراثي» ص ٥٣ «بيتان» وفي «المعاني الكبير في أبيات المعاني» لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري/ دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٩٨٤ المجلد الثالث ص ١٢١٠ «بيتان» و«المنثور والمنظوم/ القصائد المفردات التي لا مثل لها» لطيفور أحمد بن أبي طاهر / ٢٠٤ - ٢٨٠ هـ تحقيق: الدكتور محسن غياض/ دار تراث عويدات/ بيروت/ باريس ١٩٧٧ ص ٩٢. بيتان.

(٢) دارم: قبيلة الفرزدق.

مُنْقِذُ بنُ عَبْد الرَّحْمن

(؟؟؟ - ؟؟؟)

جاء في مُعجم الشعراء للمرزباني: منقذ بن عبد الرحمن بن زياد الهلالي بصريٌّ خَلِيْعٌ ماجنٌ مُتَّهمٌ في دينه، رميَ بالزندقة، كان في صدر الدولة العباسية[1]، وفي «الحماسة البصرية» هو شاعر من مخضرمي الدولتين.

كُنْتُ الضَّنِيْنَ فَسَلَوْتُ[2]

الـدَّهْـرُ لاَءَم بَـيْـنَ أُلْـفَـتِـنَـا ... وَكَـذَاكَ فَـرَّقَ بَـيْـنَـنَـا الـدَّهْـرُ

وَكَـذَاكَ يَـفْـعَـلُ فِـيْ تَـصَـرُّفِـهِ ... وَالـدَّهْـرُ لَـيْـسَ يَـنَـالُـهُ وِتْـرُ

كُنْتُ الضَّنِيْنَ بِمَنْ أُصِبْتُ بِهِ ... فَسَلَوْتُ حِيْنَ تَقَادَمَ الأَمْرُ

وَلَخَيْرُ حَظِّكَ فِي الْمُصِيبَةِ أَنْ ... يَلْقَاكَ عِنْدَ نُزُوْلِهَا الصَّبْرُ

---

(١) «مُعجم الشعراء» للمرزباني ص ٤٠٤.

(٢) «الأشباه والنظائر» الجزء الثاني ص ٣٢٧.

مَعْقَل بنُ عِيْسَى الْعِجْلِي

(؟؟؟ - ؟؟؟)

قال مَعقل بن عيسى العجليّ «أخو أبي دُلف العِجْلِيّ» في جارية توفيت له[1].

سَبَبٌ لِلْبُكَاءِ

مَا غَاضَ دَمْعِيْ عِنْدَ نَازِلَةٍ إلا جَعَلْتُكِ لِلْبُكَا سَبَبَا[2]

فَإِذَا ذَكَرْتُكِ سَامَحَتْكِ بِهِ مِنِّي الْجُفُوْنُ فَفَاضَ وَانْسَكَبَا

إِنِّي أُجِلُّ ثَرَىً حَلَلْتِ بِهِ مِنْ أَنْ أَرَىْ بِسِوَاهُ مُكْتَئِبَا

---

(1) «ربيع الأبرار» الجزء الخامس ص ١٤٠ تنسب للإمام علي ورويت لمعقل بن عيسى العجلي أخو أبي دلف في جارية توفيت له. وفي «حماسة القرشي» عباس بن محمد القرشي النجفي ١٢٩٩ هـ تحقيق خير الدين محمود قبلاوي وزارة الثقافة السورية دمشق ١٩٩٥ باب الرثاء «قال آخر» ص ٢٤٧. وفي «معجم الشعراء» ص ٤٢٩ لأبي محلم الراوية التميمي السعدي.

(2) في «ربيع الأبرار» «ما غاص» و«جعلت» بدل «جعلتك» ولعله خطأ مطبعي.

الْوَلِيْدُ بنُ يَزِيْد

(٨٨ - ١٢٦ هـ / ٧٠٦ - ٧٤٣م)

الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس. من ملوك الدولة المروانية بالشام، كان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم، كان مُنهمكاً في اللهْوِ وَسَماع الغناء.

له شعرٌ رقيقٌ وعِلْمٌ بالموسيقى، قال أبو الفرج: «له أصواتٌ صنعها مشهورة وكان يضرب بالعود ويوقع بالطبل ويمشي بالدفّ على مذهبِ أهل الحجاز».

وقال السيد المرتضى: «كان مشهوراً بالإلحاد مُتَظاهراً بالعناد» وقال ابن خلدون: «ساءت القالة فيه كثيراً، وكثيرٌ من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به»

وُلِّيَ الخلافة بعد وفاة عمِّهِ هشام بن عبد الملك.

خلعهُ الناس وبايعوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك بينما كان غائباً فجاءه النبأ فانصرف إلى «النجراء» فقصده جَمْعٌ من أصحاب «يزيد» فقتلوه في قصر «النعمان بن بشير» وحُملَ رأسُهُ إلى دمشق فنُصبَ في الجامع الأمويِّ وبقي أثر دمه على الجدران إلى أن قَدِمَ المأمون دمشق وأمر بحكِّهِ.

كان الوليدُ متزوجاً «بسعدى» لكنَّهُ عشقَ أختها «سلمى» بعد زواجه، فطلَّق «سعدى» لكنه لم يتزوج سلمى في أول الأمر، وله أشعار كثيرة في

التغزل بها وقصص متنوعة يوردها أبو فرج الأصفهاني، ولما وُلِّيَ الخلافة تزوَّجها ومكثتْ عنده قليلاً، وقيل أياماً، فماتت ورثاها[1]

وَجْهُهَا أَهْلٌ أنْ يُفَدَّىْ[2]

أَلَمَّا تَعْلَمَا سَلْمَىْ أَقَامَتْ ... مُضَمَّنَةً مِنَ الصَّحْرَاءِ لَحْدَا

لَعَمْرُكَ يَا وَلِيْدُ لَقَدْ أَجَنُّوا ... بِهَا حَسَباً وَمَكْرُمَةً وَمَجْدَا[3]

وَوَجْهاً كَانَ يَقْصُرُ عَنْ مَدَاهُ ... شُعَاعُ الشَّمْسِ أَهْلٌ أَنْ يُفَدَّىْ

فَلَمْ أَرَ مَيْتَاً أَبْكَىْ لِعَيْنٍ ... وَأَكْثَرَ جَازِعَاً وَأَجَلَّ فَقْدَا

وَأَجدَرَ أَنْ تَكُوْنَ لَدَيْهِ مِلْكَاً ... يُرِيْكَ جَلادَةً وَيُسِرُّ وَجداً

كَجَنَّةٍ فِيْ خَرِيْفٍ[4]

يَا سَلْمُ كُنْتِ كَجَنَّةٍ قَدْ أَطْعَمَتْ ... أَفْنَانُهَا، دَانٍ جَنَاهَا مُوْنِعُ

أَرْبَابُهَا شَفَقَاً عَلَيْهَا نَوْمُهُمْ ... تَحْلِيْلُ مُرْضِعَةٍ وَلَمَّا يَهْجَعُوا

---

(١) «الأغاني» الجزء السابع ص ٢٧.

(٢) «ديوان الوليد بن يزيد» طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٣٧ جمعه: المستشرق ج جبريالي وقدَّمه خليل مردم ص ٤٠.

(٣) الجَنَنُ: هو القبرُ لسَتْرِه الميت. والجَنَنُ أيضاً: الكفَنُ. وأَجَنَّه: كفَّنَه؛ قال الشاعر:

مَا إنْ أُبالِيْ، إذَا مَا مُتُّ، مَا فَعَلُوا:
أَأَحْسَنُوا جَنَنِيْ أَمْ لَمْ يُجِنُّوْنِي؟

وجَنَنْتُه في القبر وأَجْنَنْتُه أي وارَيْتُه، وقد أجنَّه إذا قبره؛ قال الأعشى:

وَهَالِكِ أَهْلِ يُجِنُّوْنَهُ، ... كَآخَرَ فِيْ أَهْلِهِ لَمْ يُجَنْ.

(٤) «الأغاني» الجزء السابع ص ٥١ و«التذكرة الحمدونية» الجزء الرابع ٢٨٠ و«ديوانه» ص ٤٧.

حَتَّى إِذَا فَسَحَ الرَّبِيْعُ ظُنُوْنَهُمْ نَثَرَ الْخَرِيْفُ ثِمَارَهَا فَتَصَدَّعُوا

الْقَبْرُ الْعَالِيْ

أَلَمْ تَعْلَمَا سَلْمَىٰ أَقَامَتْ بِمَهْمِهٍ
مُضَمَّنَةً قَبْراً مِنَ الأَرْضِ أَنْجَدَا؟[1]

---

(١) «ديوانه» ص ٤٠.

الْمَهْدِي الْعَبَّاسِيّ يَبْكِيْ عَلَىْ «رَخِيْم»

(١٢٧ - ١٦٩ هـ = ٧٤٤ - ٧٨٥ م)

محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي، أبو عبد الله، المهدي باللَّه، من خُلفاء الدولة العباسية في العراق. ولد بإيذج «من قرى الأهواز» وولي بعد وفاة أبيه وأقام في الخلافة عشر سنين وشهراً، ومات في «ماسبذان» صريعاً عن دابته في الصيد، وقيل مسموماً. كان متزوِّجاً بجارية اسمها «رَخِيْم» وهي أمُّ العبَّاسة وكانت بارعة الجمال. ولما توفيت جزِعَ عليها جزعاً كثيراً.[1] وجاء في التذكرة الحمدونية «جزع المهدي على رَخِيْم جاريته جَزَعَاً شديداً، فكان يأتي المقابر ليلاً فيبكي. فبلغ ذلك المنصور فكتب إليه: كيف ترجو أن أوليك أمرَ الأمَّة وأنت تجزع على أَمَة؟ فكتبَ إليه المهدي: «إني لم أجزع على قيمتها وإنما جزعتُ على شيمتها.[2]»

هَلا نَسِيْتَهَا يَا مَوْتُ؟

أَوْدَى الـزَّمَـانُ وَرَيْبُـهُ بِـرَخِيْـمِ   فَفَقَدْتُ بَعْدَ «رَخِيْمَ» كُلَّ نَعِيْمِ

يَا دَهْرُ مَا تَدْرِيْ بِقَدْرِ فَجِيْعَتِيْ   فَتُعِيْنَنِيْ أَنْ قَدْ أَبَحْتَ حَرِيْمِيْ

---

(١) «الوافي بالوفيات» باعتناء س ديدرينغ الطبعة الثانية ١٩٩١/ الناشر فرانز شتايز / شتوتغارت/ الجزء ١٤ ص ١١٠.

(٢) «التذكرة الحمدونية» الجزء السابع ص ١٨٤.

هَلا اخْتَرَمْتَ مَكَانَهَا أَشْبَاهَهَا وَنَسِيْتَهَا فَتَكُوْنَ غَيْرَ مَلُوْمِ
أَمْسَتْ بِمَنْزِلَةِ الضَّيَاعِ يَقُوْدُهَا وَفْدُ الرِّيَاحِ مَعَ الصَّدَى وَالْبُوْمِ
لا زَالَ قَبْرُكِ يَا «رَخِيْمُ» يَنَالُهُ صَلَوَاتُ رَبٍّ بِالْعِبَادِ رَحِيْمِ
وَلَقَدْ ذَمَمْتُ الْعَيْشَ حِيْنَ فَقَدْتُهَا وَلَقَدْ أَرَاهُ قَبْلُ لَيْسَ بِالْمَذْمُوْمِ
مَنْ ذَا أَسِرُّ إِلَيْهِ كُلَّ خَفِيَّةٍ إِذْ كُنْتِ مَوْضِعَ سِرِّيَ الْمَكْتُوْمِ

هَارُوْنُ الرَّشِيْد يَرْثِي «هَيْلانَة»

(١٤٩ - ١٩٣ هـ = ٧٦٦ - ٨٠٩ م)

هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية، وأشهرهم، ولد بالريّ، لما كان أبوهُ أميراً عليها وعلى خراسان، ونشأ في دار الخلافة ببغداد.

وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي، وازدهرت الدولة في أيَّامِه، وكان الرشيد عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه، فصيحاً، له شعر. وله محاضرات مع علماء عصره، شجاعاً كثير الغزوات، يلقب بجبَّار بني العباس.

و«هيلانة» التي يرثيها هنا لا يُعرفُ أسمها الحقيقي، وإنما هو اسم أطلقه عليها هارون نفسه، فقد سمَّاها «هيلانة» لكثرة قولها: «هَيَ الآن» إذا أستعجلت أحداً في شيءٍ تأمره به.

قال الأصمعي: وكان لها مُحبَّاً، وكانت قبله «لخالد بن يحيى بن برمك» فدخل الرشيد يوماً منزله قبل الخلافة فاعترضته في طريقه وقالت: أما لنا منك نصيب؟ فقال: وكيف السبيل إلى ذلك؟ فقالت: استوهبني من هذا الشيخ. فاستوهبها من «يحيى بن خالد» فوهبها له وحظيت عنده، ومكثت عنده ثلاث سنين ثم توفيت فحزن عليها حزناً شديداً[1]

---

(١) «نساء الخلفاء» لابن الساعي علي بن أنجب بن عثمان ٥٩٣ - ٦٧٤ هـ طبعة دار المعارف بمصر، تحقيق مصطفى جواد، ص ٥٥.

ورثاها العبَّاسُ بن الأحنف على لسانه بقصيدة قال فيها:

يا مَنْ تَباشَرَتِ القُبُوْرُ بِمَوْتِهِ   قَصَدَ الزَّمَانُ لِمَهلَكِي فَرَمَاكِ
أَبْغِي الأَنِيْسَ فَلا أَرَىْ لِيَ مُؤْنِساً   إِلّا التَّرَدُّدَ حَيْثُ كُنْتُ أَرَاكِ
مَلِكٌ بَكَاكِ فَطَالَ بَعْدَكِ حُزْنُهُ   لَو يَسْتَطِيْعُ بِمُلْكِهِ لَفَدَاكِ[1]
يَحْمِي الْفُؤَادَ مِنَ النِّسَاءِ حَفِيْظَةً   كَيْ لا يَحُلَّ حِمَى الْفُؤَادِ سِوَاكِ

ومن شعر هارون يرثيها:

لا سَرَّنِي بَعْدَكِ شَيءٌ[2]

قَدْ قُلْتُ لَمَّا ضَمَّنُوْكِ الثَّرَى   وَجَالَتِ الْحَسْرَةُ فِيْ صَدْرِي:
اذْهَبْ فَلا وَاللهِ لا سَرَّنِيْ   بَعْدَكَ شَيءٌ آخِرَ الدَّهْرِ

كَثُرَ النَّاسُ وَلَكِنَّنِيْ[3]

قَاسَيْتُ أَوْجَاعاً وَأَحْزَانَا   لَمَّا اسْتَخَصَّ الْمَوْتُ هَيْلانَا
فَارَقْتُ عَيْشِيْ حِيْنَ فَارَقْتُها   فَمَا أُبَالِيْ كَيْفَ مَا كَانَا
كانَتْ هِيَ الدُّنْيَا فَلَمَّا ثَوَتْ   فِي قَبْرِها فَارَقْتُ دُنْيَانَا
قَدْ كَثُرَ النَّاسُ وَلَكِنَّنِيْ   لَسْتُ أَرَىْ بَعْدَكِ إِنْسَانَا

---

(١) «ديوان العباس بن الأحنف» تحقيق: الدكتورة عاتكة الخزرجي طبعة دار الكتب القاهرة ١٩٥٢ ص ٢٠٨ .

(٢) «الوافي بالوفيات» الجزء ٢٧ باعتناء اوتفريت فاينترت/ بيروت ١٩٩٧ ص ٤١٢ .

(٣) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي «المتوفى: ٩١١هـ» تحقيق: حمدي الدمرداش مكتبة نزار مصطفى الباز/ ٢٠٠٤م ص ٢١٨

وَاللهِ لاَ أنْسَاكِ مَا حَرَّكْتْ رِيْحٌ بَأَعْلَى نَجْدِ أَغْصَانَا

تَبْكِي الْبَوَاكِي[1]

أفٍّ لِلدُّنْيَا وَلِلزِّيْنَةِ فِيْهَا وَالإنَاثِ
إذْ حَثَا التُّرْبَ عَلَىْ هِيْلانِ فِي الْحُفْرَةِ حَاثِيْ
فَلَهَا تَبْكِي الْبَوَاكِي وَلَهَا تُشْجِي الْمَرَاثِيْ
خَلَّفَتْ سَقْمَاً طَوِيْلاً جَعَلَتْ ذَاكَ تُرَاثِيْ

(١) «الوافي بالوفيات» الجزء ٢٧ ص ١٩٩ باعتناء أوتفريد فاينترت/ بيروت ١٩٩٧

يَعْقُوْبُ بنُ الرَّبِيْع وَمَرَاثي «مُلْك»

(١٩٠ هـ = ٨٠٥ م)

يعقوب بن الرَّبيع بن يونس. وهو يعقوب بن الربيع الحاجب مولى المنصور كما جاء في معجم الشعراء.

شاعر، بغدادي ظريف. استنفد شِعْرَهُ في رثاء جارية له اسمُها «مُلك». وكان الرشيد يأنس به قبل الخلافة، وهو أخو «الفضل بن الربيع» حاجب المنصور. وهو صاحب البيتين الشهيرين:

يُقَطِّع قَلْبِيْ بِالصُّدُوْدِ تَجَنِّيَاً
وَيَزْعُمُ أَنِّيْ مُذْنِبٌ، وَهْوَ مُذْنِبُ

كَعُصْفُوْرَةٍ فِيْ كَفِّ طِفْلٍ يُذِيْقُهَا
أَفَانِيْنَ طَعْمِ الْمَوْتِ، وَالطِّفْلُ يَلْعَبُ

كان يعقوب شاعراً حُلواً، طريفاً، وأكثر شعره، الذي اشتهر عنه، ما رثى به مُلك جاريته. ولهما قصة عجيبة، وحكاية غريبة. وذلك أنه شغف بمُلْك، شغفاً كاد يُتلفُهُ. وبقي سبع سنين يجتهد في تحصيلها، ويبذل لأجلها كلَّ ما يقدر عليه، فلا يتهيَّأ له. فلمَّا رأى أهلُهُ ما يحلُّ به، ويقاسي من البكاء والحزن، عذلوه ولاموه، ثم حثُّوهُ على مداومة اللهو ومعاقرة الشراب، والتسلِّي بغيرها، عسى يجد في ذلك بعضَ سلُّوٍ وراحة مِمَّا هو عليه من عذاب المحبة. فأجاب إلى ذلك أيَّاماً، فما رؤي يزداد إلا غراماً على غرامه، وهياماً على هيامه. فترك ذلك،

ورفض اللهو والشراب، وقال[1]:

زَعَمُوا

زَعَمُوْا أنَّ مَنْ تشاغلَ باللهِ، وَسَلا عَنْ حَبِيْبِهِ، وَأفَاقَا
كَذَبُوا، مَا كَذَا بَلَوْنَا، وَلَكِنْ لَمْ يَكُوْنُوا، فِيْمَا أرَى، عُشَّاقَا
كَيْفَ شُغْلِيْ بِلَذَّةٍ عَنْكِ، وَاللَذَّاتُ يُحْدِثْنَ لِيْ إلَيْكِ اشْتِيَاقَا
كُلَّمَا رُمْتُ سَلْوَةً، تُذْهِبُ الْحُرْقَةَ، زَادَتْ قَلْبِيْ عَلَيْكِ احْتِرَاقَا

وزَعَمُوا[2]

زَعَمُوا أنَّ منْ تَشَاغَلَ بِاللَذَّاتِ عَمَّنْ يُحِبُّهُ يَتَسَلَّى
كَذَبوا، وَالَّذِيْ تُقَادُ لَهُ الْبُدْنُ، وَمَنْ طَافَ بِالْحَجِيْجِ وَصَلَّى[3]
لَرَسِيْسُ الْهَوَى أحَرُّ مِنَ الْجَمْرِ عَلَى قَلْبِ عَاشِقٍ يَتَقَلَّى[4]

فلما جاوز السبع سنين ظفر بها، فلم تلبث عنده إلا ستة أشهر، ثم

---

(١) «مجلة المورد» المجلد ١٥/ العدد ٣ / ١٩٨٦ شعراء الكتّاب: فصل من كتاب «المذاكرة في ألقاب الشعراء» للمجد النشابي الإربلي «٦٥٧هـ» ؛ تحقيق شاكر العاشور ص ١٣٢.

(٢) «مجلة المورد» ص ١٣٢ وفي «الوافي بالوفيات» الشِّعْر لـ«ماني الموسوس» الجزء الرابع ٣٤٦ باعتناء س. ديدرينغ ١٩٧٤ وفي «مَصارع العُشَّاق» لأبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري ٤١٧ - ٥٠٠ هـ، دار صادر / بيروت الجزء الثاني ص ٢٥،
الشِّعْر لماني أيضاً «زعموا أن من تشاغل باللذات». . وفي «طبقات ابن المعتز» للصيني ص ٣٠٤ تحقيق عبد الستار أحمد فراج دار المعارف مصر.

(٣) البُدْن: النوق السِّمان.

(٤) الرسيس: الثابت.

ماتت. فناله من الحزن والجزع عليها أكثر مما كان يلقاه من حبها.

فَمِمَّا رثاها به قوله:

كَلَمْعِ السَّرَابِ[1]

لَيْتَ شِعْرِيْ بَأَيِّ ذَنْبٍ «لِمُلْكٍ» كَانَ هَجْرِيْ لِقَبْرِهَا وَاجْتِنَابِي؟

أَلِذَنْبٍ حَقَدَتْهُ كَانَ مِنْهَا أَمْ لِعِلْمِيْ بِشُغْلِهَا عَنْ عِتَابِيْ

أَمْ لأَمْنِيْ لِسُخْطِهَا ورِضَاهَا حِيْنَ وَارَيْتُ وَجْهَهَا فِي التُّرَابِ

مَا وَفَى فِي الْعِبَاد حَيٌّ لِمَيْتٍ بَعْدَ يَأْسٍ مِنْهُ لَهُ فِي الإيَابِ

إنَّمَا حَسْرَتِيْ إذَا مَا تَذَكَّرْتُ عَنَائِي بِهَا وَطُوْلَ طِلابِي

لَمْ أزَلْ فِي الطِّلابِ سَبْعَ سَنِيْنٍ أَتَأَتَّى لِذَاكَ مِنْ كُلِّ بَابِ

فَاجْتَمَعْنَا عَلَى اتِّفَاقٍ وَقَدْرٍ وَغُنِيْنَا، مِنْ فُرْقَةٍ، بِاصْطَحَابِ

أَشْهُرٌ سِتَّةٌ صَحَبْتُكِ فِيْهَا كُنَّ كَالْحُلْمِ، أوْ كَلَمْعِ السَّرَابِ

وَأَتَانِي النَّعِيُّ مِنْكَ مَعَ الْبُشْرَى فَيَا قُرْبَ أَوْبَةٍ مِنْ ذَهَابِ

يَا قُرْبَ مَأْتَمِهَا مِنَ الْعُرْسِ[2]

خَلَسَ الزَّمَانُ أَعَزَّ مُخْتَلَسٍ وَيَدُ الزَّمَانِ كَثِيْرَةُ الْخَلَسِ

لِلهِ آنِسَةٌ فُجِعْتُ بِهَا مَا كَانَ أَبْعَدَهَا مِنَ الدَّنَسِ

أَتَتِ الْبِشَارَة وَالنَّعْيُّ مَعاً يَا قُرْبَ مَأْتَمِهَا مِنَ الْعُرْسِ

---

(١) «المورد» ص ١٣٣ و«الكامل في اللغة والأدب» الجزء الثالث ١٤٦٥.

(٢) الأبيات من ١ - ٣ الثلاثة الأولى «مجلة المورد» ص ١٣٥ والأبيات ٣ -٨ في «الكامل في اللغة والأدب» الجزء الثالث ص ١٤٦٤.

يَا «مُلْكُ» نَالَ الدَّهْرُ فُرْصَتَهُ فَرَمَى فُؤَاداً غَيْرَ مُحْتَرِسِ
كَمْ مِنْ دُمُوْعٍ لا تَجِفُّ وَمِنْ نَفْسٌ عَلَيْكِ طَوِيْلَةِ النَّفَسِ
أَبْكِيْكِ مَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ تَحْتَ الظَّلامِ تَنُوْحِ فِي الْغَلَسِ
يَا «مُلْكُ» فِيَّ وَفِيْكِ مُعْتَبَرٌ وَمَوَاعِظٌ يُوْحِشْنَ ذَا الأُنُسِ
مَا بَعْدَ فُرْقَةِ بَيْنِنَا أَبَداً فِي لَذَّةٍ دَرَكٌ لِمُلْتَمِسِ

فَمَاتَتْ وَلا أدْرِيْ، وِمِتُّ وَلا تَدْرِيْ![1]

أَمُرُّ بِقَبْرٍ فِيْهِ «مُلْكٌ» مُجَانِباً
كَأَنِّيَ لا أعْنَىْ بِصَاحِبَةِ الْقَبْرِ
أَمُرُّ إِذَا جَاوَزْتُهُ مُتَلَفِّتاً
تُلاحِظُهُ عَيْنِيْ، وَدَمْعَتُهَا تَجْرِيْ
فَلَوْ أَنَّنِي إِذْ حَلَّ وَقْتُ حِمَامُهَا
أُحَكَّمُ فِي عُمْرِي، لَشَاطَرْتُهَا عُمْرِيْ
فَحَلَّ بِنَا الْمِقْدَارُ فِيْ سَاعَةٍ مَعاً
فَمَاتَتْ وَلا أدْرِيْ، وِمِتُّ وَلا تَدْرِيْ!
فَإِنْ تُبْقِنِي الأَيَّامُ لِلدَّهْرِ لُعْبَةً
فَقَدْ كُنْتُ، قَبْلَ الْيَوْمِ، أَلْعَبُ بِالدَّهْرِ

(١) «مجلة المورد» ص ١٣٦.

أَيَّتُهَا العِظَامُ[1]

يَا أعْظُمٌ بَلِيَتْ فِيْ قَعْرِ مُظْلِمَةٍ
فِيْ حُفْرَةٍ قَدْ سَلا عَنَّا بَوَاكِيْهَا
لَوْ تَسْمَعِيْنَ دُعَائِيْ لاسْتَجَبْتِ لَهُ
وَهَلْ تُجِيْبُ عِظَامٌ مَنْ يُنَادِيْهَا؟
صَوْتٌ يُنَادِيْكِ أنْ لَوْ تَعْلَمِيْنَ بِهِ
أَغْرَرْتِ دَعْوَتَهُ ألا تُجِيْبِيْهَا
هَذَا الَّذِيْ كُنْتِ فِي الدُّنْيَا ضَجِيْعَتَهُ
لَمْ تَسْتَعِضْ نَفْسُهُ إِلْفَاً يُسَلِّيْهَا

حَتَّى إذَا فَتَرَ الْلِسَانُ[2]

حَتَّى إذَا فَتَرَ الْلِسَانُ، وَأَصْبَحَتْ
لِلْمَوْتِ قَدْ ذَبُلَتْ ذُبُوْلَ النَّرْجِسِ
وَتَسَهَّلَتْ مِنْهَا مَحَاسِنُ وَجْهِهَا
وَعَلا الأَنِيْنَ تَحُثُّهُ بِتَنَفُّسِ
رَجَعَ الْيَقِيْنُ مَطَامِعِيْ يَأْساً، كَمَا
رَجَعَ الْيَقِيْنُ مَطَامِعَ الْمُتَلَمِّسِ[3]

---

(١) «المورد» ص ١٣٧.

(٢) «المورد» ص ١٣٧ و«الكامل في اللغة والأدب» الجزء الثالث ١٤٦٥.

(٣) المتلمِّس خال طرفة بن العبد طرفة وكانا ينادمان عمرو بن هند ملك الحيرة، فبلغه انهما هجواه، فكتب لهما إلى عامله بالبحرين كتابين أوهمهما أنه أمر لهما فيهما بجوائز، وقد كان أمره بقتلهما، فاستراب «المتلمِّس» ففتح صحيفته =

فلما أكثر يعقوب المراثي وأفرطَ، وبقي لا ينام الليلَ، وقلَّ أكْلُهُ، وكثرَ جزعُهُ، خِيْفَ عليه الهلاك. وكان لِمُلك رفيقة يقال لها «طرب» أنس بها، فاشتروها له، وأمروها بمداعبته وملازمته، ليسلو بها عن «مُلْك» فكان ذلك كما راموا، وأنَّ طرباً تمكَّنَتْ مِنْ قلبهِ. فقال:

أَرَاكِ كَمُلْكِ![1]

فُـجِـعْـتُ «بِـمَـلْـكٍ» وَقَـدْ أَيْـنَـعَـتْ
وَتَـمَّـتْ، فَـأَعْـظِـمْ بِـهَـا مِـنْ مُـصِـيْـبَـه
فَـأَصْـبَـحْـتُ مُـغْـتَـرِبَـاً بَـعْـدَهَـا
وَأَمْسَتْ «بِحِلْوَانَ» مَلْكٌ غَرِيْبَهْ[2]
أَرَانِـي غَـرِيْـبَـاً، وَإِنْ أَصْـبَـحْـتْ
مَـنَـازِلُ أَهْـلِـيَ مِـنِّـيْ قَـرِيْـبَـهْ
حَـلَـفْـتُ عَـلَـى أخْـتِـهَـا بَـعْـدَهَـا
فَـصَـادَفْـتُـهَـا ذَاتَ عَـقْـلٍ، أَدِيْـبَـهْ
وَقُـلْـتُ لَـهَـا: مَـرْحَـبَـاً، مَـرْحَـبَـاً
بِـوَجْـهِ الْـحَـبِـيْـبَـةِ أخْـتِ الْـحَـبِـيْـبَـهْ

= فإذا فيها أمر بقتله، فقذفها في نهر الحيرة، وقال لطرفة: إنَّ في صحيفتك واللهِ ما في صحيفتي، فقال طرفة: كلا، لم يكن ليجترئ عليَّ؛ ثم توجَّه المتلمِّس نحو الشام فنجا برأسه، وتوجه طرفة نحو البحرين، وأوصل الكتاب إلى عاملها فقتله.

(١) «المورد» ١٣٨ و«الكامل في اللغة والأدب» الجزء الثالث ١٤٦٦.

(٢) حلوان: مدينة في العراق تقع قرب خانقين، قريبة من الحدود مع إيران.

سَأصْفِيْكِ وِدِّيْ حِفَاظاً لَهَا
كَذَاكَ الْوَفَاءُ بِظَهْرِ الْمَغِيْبَهْ
أرَاكِ «كَمُلْكِ» وإنْ لَمْ تَكُنْ
«لِمُلْكِ» مِنَ النَّاسِ عِنْدِي ضَرِيْبَهْ[1]

فلم تلبثْ، أيضاً، طرب أن لحقت «بمُلْك» فلقِيَ جَهداً، وأشفى على الموت، وقال[2]

مَلاءَةُ الْحُزْنِ

لَقَدْ سَخَنَتْ عَيْنِيْ «بِمُلْكِ» وَسُهِّدَتْ
فَمَا رَقَدَتْ حَتَّى وَصَلْتُ سُهَادَهَا
وَكَانَتْ لَنَا نَارٌ تَوَقَّدُ فِي الْحَشَا
فَمَا خَبَأَتْ، حَتَّى شَبَبْتُ وَقُوْدَهَا
أَنَسْتُ بِرَوْعَاتِ الْمَصَائِبِ بَعْدَهَا
وَبَعْدَكِ، حَتَّى مَا أُبَالِيْ مَزِيْدَهَا
رَأَيْتُ ثِيَابَ النَّاسِ فِيْ كُلِّ مَأْتَمٍ
إِذَا اخْتَلَفُوا، بِيْضَ الثِّيَابِ وَسُوْدَهَا
وَإِنِّيْ عَلَى «مُلْكِ» لَبِسْتُ مَلاءَةً
مِنَ الْحُزْنِ لَمْ يَبْلِ الزَّمَانُ جَدِيْدَهَا

---

(١) الضريب: الشبيه، وليس لفلان ضريب أي لا شبيه له.
(٢) «المورد» ١٣٨.

بَلِيَتْ فِي التُّرَابِ[1]

بَلِيَتْ «مُلْكٌ» فِي التُّرَابِ فَأَبْلانِي بِلاهَا وَذِكْرُ «مُلْكٍ» جَدِيْدُ
يَنْقُصُ الْوَجْدُ كُلَّمَا قَدِمَ الْعَهْدُ وَوَجْدِيْ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَزِيْدُ

بَالٍ مِنَ الْحُزْنِ[2]

يَا «مُلْكُ» إنْ كُنْتِ تَحْتَ الأَرْضِ بَالِيَةً
فَإِنَّنِي فَوْقَهَا بَالٍ مِنَ الْحُزْنِ
يَا «مُلْكُ» لَمْ تَجِدِيْ مَسَّ الْبِلَى وَلَقَدْ
وَجَدْتُ مَسَّ الْبِلَىْ وَالضُّرِّ فِي الْبَدَنِ

(١) «معجم الشعراء» ص ٣٣ و«ربيع الأبرار» الجزء الخامس ص ١٤٧.
(٢) «معجم الشعراء» ص ٣٣.

ابنُ كُنَاسة

(١٢٣ - ٢٠٧ هـ = ٧٤١ - ٨٢٣ م)

هو مُحمَّد بن كناسة، ويكنى أبا يحيى. شاعرٌ من شعراء الدولة العباسية، كُوفيُّ المولد والمنشأ، رُويَ عنه شيء من الحديث، وكان امرأً صالحاً لا يتصدَّى لمدحٍ ولا لهجاء، وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها «دنانير» من أهلِ الكوفة وكان أهلُ الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر، واستبعدَ ابنُ الجوزي أنها كانت تغني، معللا ذلك بأنَّ ابنَ كناسة كان زاهداً نبيلاً، وليس مثله من يعلم جارية له الغناء. ولكنَّه أورد بعد ذلك أخباراً لها في الغناء وأبياتاً من شعرها.[1]

يَا لَيْتَ مَا كَانَ لَمْ يَكُنِ.[2]

الْحَمْدُ لِلهِ لا شَرِيْكَ لَهُ ... يَا لَيْتَ مَا كَانَ مِنْكِ لَمْ يَكُنِ

إنْ يَكُنِ الْقَوْلُ قَلَّ فِيْكِ فَمَا ... أَفْحَمَنِي غَيْرُ شِدَّةِ الْحَزَنِ

---

(١) «الأعلام» الجزء ٦ ص ٢٢١ وكذلك الجزء الثاني ص ٣٤١.

(٢) «الأغاني» الجزء ١٣ ص ٢٤٣.

مُسْلِمُ بنُ الْوَلِيْد «صَرِيْعُ الْغَوَانِي»

(؟؟؟ - ٢٠٨ هـ = ؟؟؟ - ٨٢٣ م)

مسلم بن الوليد الأنصاري، شاعرُ غزلٍ مُتقدِّمٌ من شعراء الدولة العباسية، منشؤه ومولدهُ الكوفة، كان في أوَّلِ أمره خاملاً إما فرَّاناً أو أجيرَ فرَّان، فانقاد له الشِّعْرُ وجوَّدَهُ، وكسب به الأموال العظيمة، نزل بغداد فاتَّصل بالرشيد وأنشده، ولقِّبَ بصريع الغواني لقوله:

هَلِ العَيْشُ إلاَّ أَنْ تَرُوْحَ مَعَ الصِّبَا
وتَغْدُو صَرِيْعَ الْكَأْسِ وَالأَعْيُنِ النُّجْلِ

فعرف به، وكان يكرهُ هذا اللقب كما روى الأصفهاني، وهو أوَّلُ من قال الشِّعْرَ المعروف بالبديع، وتبعه فيه جماعة، أشهرهم أبو تمام فإنَّهُ جَعَلَ شِعْرَهُ كلَّهُ مذهباً واحداً فيه. ومسلم كان متفنِّناً متصرِّفاً في شعره. وكان مسلم شاعراً حَسَنَ النَّمَط، جيِّد القول في الشراب، وكثير من الرواة يقرنُهُ بأبي نواس في هذا المعنى. وهو أوَّلُ من عقد هذه المعاني الظريفة واستخرجها. واتُّهِمَ بأنَّهُ أوَّلُ من أفسد الشعر!

وكانت لمسلم بن الوليد زوجةٌ من أهله، كانت تكفيه أمرَهُ وتسرُّهُ فيما تليه له منه، فماتت فجزع عليها جَزَعاً شديداً، وتنسَّكَ مُدَّةً طويلة، وعزمَ على ملازمة ذلك، فأقسم عليه بعض إخوانه ذات يوم أن يزوره نفعل، فأكلوا وقدَّموا الشَّراب، فامتنع منه «مسلم» وأبى، وأنشأ يقول:

بُكَاءٌ وَكَأسٌ؟[1]

بُـكَـاءٌ وَكَـأسٌ كَـيْـفَ يَـتَّـفِـقَـانِ؟
سَبِيْلُهُمَا فِي الْقَلْبِ مُخْتَلِفَانِ

دَعَـانِـيْ وَإِفْـرَاطَ الْـبُـكَـاءِ فَـإِنَّـنِـي
أَرَى الْـيَـوْمَ فِـيْـهِ غَـيْـرَ مَـا تَـرَيَـانِ

غَدَتْ وَالثَّرَى أَوْلَى بِهَا مِنْ وَلِيِّهَا
إِلَـى مَـنْـزِلٍ نَـاءٍ لِـعَـيْـنِـكِ دَانِ

فَلا وَجْدَ حَتَّى تَنْزُفَ الْعَيْنُ مَاءَهَا
وَتَـعْـتَـرِفَ الأَحْـشَـاءُ بِـالْـخَـفَـقَـانِ

وَكَيْفَ بِدَفْعِ اليَأسِ وَالْوَجْدِ بَعْدَهَا
وَسَهْمَاهُمَا فِي الْقَلْبِ يَعْتَلِجَانِ

---

(١) «ديوان صريع الغواني/ مسلم بن وليد الأنصاري» تحقيق سامي الدهان دار المعارف مصر الطبعة الثالثة ١٩٨٥ ص ٣٤١.

الْمَأمُوْن

(١٧٠ - ٢١٨ هـ = ٧٨٦ - ٨٣٣ م)

عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس، سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، وُلِيَ الخلافة بعد خلع أخيه الأمين فتمَّمَ ما بدأ به جدُّه المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة. وأتحفَ ملوك الرُّوم بالهدايا سائلاً أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بعدد كِبيرٍ من كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وابقراط وجالينوس وإقليدس وبطليموس وغيرهم، فاختار لها مَهَرَةَ التراجمة، فترجمت. وحضَّ الناس على قراءتها، فقامت دولة الحكمة في أيامه. وقرَّبَ العلماءَ والفقهاء والمحدِّثين والمتكلِّمين وأهلَ اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والأنساب. وأطلقَ حرِّية الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلاسفة. وكان فصيحاً مفوَّهاً، واسع العلم، مُحبَّاً للعفو. من كلامه: لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا إليّ بالجرائم.[1]

توفي على نهر «البذندون» ودفن في طرسوس «مدينة تركية تابعة لمرسين» وهو في الثامنة والأربعين من عمره.

وكان للمأمون «جويرية» من أحسن الناس، وأسبقهم إلى كل نادرة فحظيت عنده، فحسدها الجواري وقلنَ: لا حَسَب لها، فنقشت على

---

(١) «الأعلام» الجزء ٤ ص ١٤٨.

خاتمها «حَسَبِيْ حُسْنِيْ» فازداد بها المأمون عجباً، فسمَّتها الجواري، فماتت، فجزع عليها المأمون جزعاً شديداً وقال:

اخْتَلَسَ الدَّهْرُ يَدِيْ مِنْ يَدِيْ[1]

اخْتُلِسَتْ رَيْحَانَتِيْ مِنْ يَدِيْ — أَبْكِيْ عَلَيْهَا آخِرَ الأَبَدِ

كَانَتْ هِيَ الأُنْسَ إِذَا اسْتَوْحَشَتْ — نَفْسِيْ مِنَ الأَقْرَبِ وَالأَبْعَدِ

وَرَوْضَةً كَانَ بِهَا مَرْتَعِيْ — وَمَنْهَلاً كَانَ بِهَا مَوْرِدِيْ

كَانَتْ يَدِيْ، كَانَ بِهَا قَوْتِيْ — فَاخْتَلَسَ الدَّهْرُ يَدِيْ مِنْ يَدِيْ

وجاء في الموشَّى«حدِّثتُ عن ابنِ مخارق عن أبيه قال: كنَّا عند المأمون يوماً فقام فدخل إلى حرمه، وخرج وعيناه تذرفان، فقال لي: يا مخارق تغنَّ لي بهذين البيتين: فحفظتهما، وتغنيت بهما، فجعل يبكي، وينتحب في بكائه، ويزفر، ثم قال لنا: أتدرون ما قصتي؟ قلت: أمير المؤمنين أعلم، وإن شاء أعلمنا. قال: إني دخلت إلى بعض المقاصير، فرأيت جاريةً لي كنت أجدُ بها وجداً شديداً، وهي للموت، فسلمت عليها، فلم تطق ردَّ السلام، فأشارتْ بإصبعها، فغلبتني العبرة وأرهقتني الزَّفرة، فخرجتُ من عندها، فحضرني هذان البيتان من باب قصرها إلى باب مجلسي، ثم أَمَرَ برفع الشَّرَاب، فما رأيتُ يوماً أكدرَ منه»[2]

---

(١) «المستطرف من كل فن مستظرف» للأبشيهي محمد بن أحمد بن منصور ٧٩٠ - ٨٥٢ هـ تحقيق ابراهيم صالح/ دار صادر ١٩٩٩ الجزء الثالث ص ٢٥. و«ربيع الأبرار ونصوص الأخبار» للزمخشري الجزء الثالث ص ٣٥٥.

(٢) «الموشّى أو الظرف والظرفاء» للوشاء أبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء توفي ٣٢٥ هـ تحقيق: كمال مصطفى مكتبة الخانجي للطباعة والنشر مطبعة الاعتماد بمصر الطبعة الثانية ١٩٥٣ م ص ٦٦.

سَكَتَ الْكَلامُ

سَلامٌ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يُطِقْ عِنْدَ بَيْنِهِ
سَلاماً فأَوْمَى بِالْبَنَانِ الْمُخَضَّبِ
فَمَا اسْطَعْتُ إلا بِالْبُكَاءِ جَوَابَهُ
وَذَلِكَ جَهْدُ الْمُسْتَهَامِ الْمُعَذَّبِ[1]

---

(١) في «الأغاني» جزء ١٨ ص ٢٦٩: تَوْدِيعَاً لَهُ بِسوَى الْبُكَا.

مَحْمُوْد الوَرَّاق

(٢٢٠ هـ = ٨٤٠ م)

محمود بن حسن الوراق أبو الحسن، شاعرٌ عباسيٌّ مشهور من شعراء القرنين الثاني والثالث المرموقين وقد ذكر أنه كان مولى لبني زهرة وهو شاعرٌ من بغداد لذلك علقَ به لقبُ البغدادي.

وأكثر شعره في المواعظ والحكم وقد اشتهر بلقبين أحدهما: الورَّاق، والآخر: النخَّاس فأمَّا الورَّاق فهو الناسخُ بالأجرة ولعلها مهنة عملَ بها. وأما اللقب الآخر: النخَّاس فقد جاء من المهنة كذلك وقال ابن الجوزي في «المنتظم»: وكان نخاساً يبيع الرقيق[١].

وقال محمود الورّاق يَرْثي جاريتَه نَشْوى:

وَمُنْتَصِحٍ[٢]

وَمُنْتَصِحٍ يُرَدِّدُ ذِكْرَ «نَشْوَىْ» عَلَى عَمْدٍ لِيَبْعَثَ لِي اكْتِئَابَا

أَقُوْلُ وَعَدَّ مَا كَانَتْ تُسَاوِيْ: سَيَحْسُبُ ذَاكَ مَنْ خَلَقَ الْحِسَابَا

عَطِيَّتُهُ إِذَا أَعْطَى سُرُوْرٌ وَإِنْ أَخَذَ الَّذِيْ أَعْطَى أَثَابَا

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي الجزء الحادي عشر ص ٦٩.

(٢) «ديوان محمود الوراق» جمع ودراسة وتحقيق الدكتور وليد القصاب مؤسسة الفنون عجمان ١٩٩١ ص ٧١. و«كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل» للوشاء تحقيق الدكتور يحيى الجبوري دار الغرب الأسلامي ١٩٩١ ص ١٤٢.

فَأَيُّ النِّعْمَتَيْنِ أَعَمُّ نَفْعاً وَأَحْسَنُ فِيْ عَوَاقِبِهَا إِيَابَا

أَنِعْمَتُهُ الَّتِيْ أَهْدَتْ سُرُوْرَاً أَمِ الأُخْرَى الَّتِيْ أَهْدَتْ ثَوَابَا؟

بَلِ الأُخْرَى وَإِنْ نَزَلَتْ بِحُزْنٍ أَحَقُّ بِشُكْرِ مَنْ صَبَرَ احْتِسَابَا

غَالَ نَفْساً حَبِيْبَهْ[1]

لَعَمْرِيْ لَئِنْ غَالَ صَرْفُ الزَّمَانِ نَشْوَى لَقَدْ غَالَ نَفْساً حَبِيْبَهْ

وَلَكِنَّ عِلْمِيْ بِمَا فِي الثَّوَابِ عِنْدَ الْمُصِيْبَةِ يُنْسِي الْمُصِيْبَهْ

---

(١) «ديوانه» ص ٨٣.

المُعَلَّى الطَّائِي

(؟؟؟ - ؟؟؟)

ليس ثمة أخبار كثيرة، ولا أشعار وفيرة تذكرها لنا المصادر عن هذا الشاعر الذي يبدو من خلال المقطعات الصغيرة التي ترد في بعض الكتب، بأنه شاعرٌ مُتمكِّنٌ ونسيج وحده كما يذكر ابنُ المعتز في طبقاته، كل ما نعرفه أنه عاش في مصر في زمن الأمين والمأمون وله حادثة شهيرة مع عبد الله بن طاهر والي مصر في عهد المأمون، كما تشير بعض المصادر إلى أنه أتصل بأبي نواس خلال زيارة الأخير مصر.

واشتهر له بيته الذي يقول فيه:

لَوْ يُصْبِحُ النَّيْلُ يَجْرِيْ مَاؤُهُ ذَهَباً
لَمَا أَشَرْتَ إلى خِزْنٍ بِمِثْقَالِ[1]

---

(١) «لما افتتح عبد الله بن طاهر مصر سوَّغه المأمون خراجها سنة، فصعد المنبر، فلم ينزل حتى أجاز بها كلها ثلاثة آلاف دينار أو نحوها، فقبل أن ينزل أتاه معلى الطائي، وقد أعلموه بما صنع عبد الله بن طاهر بالناس في الجوائز، فوقف بين يديه تحت المنبر فقال: أصلح الله الأمير - وكان واجداً عليه -: أنا معلى الطائي، ما كان من جفاء وغلظة، فلا يغلظ علي قلبك، أصلح الله الأمير، وأنا الذي أقول:

يَا أَعْظَمَ النَّاسِ عَفْوَاً عِنْدَ مَقْدِرَةٍ
وَأَظْلَمَ النَّاسِ عِنْدَ الْجُوْدِ بِالْمَالِ
لَوْ أَصْبَحَ النِّيْلُ يَجْرِيْ مَاؤُهُ ذَهَباً
لَمَا أَشَرْتَ إِلَىْ خَزْنٍ بِمِثْقَالِ

وننقل هنا ما ورد عن ترجمته في «طبقات ابنِ المعتز»: كان المعلى الطائي يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكان من أقنع الناس. وقال يوماً: يكفيني في كل سنة خمسون درهماً فضة، فتعجَّبَ من ذلك بنوه. وكان لا يغتاب أحداً ولا يتكلَّم فيه، وكان أعفَّ الناس فَرجاً وأصدقهم لساناً، وكان من قبل هذه الحال يتعاطى الفتوة والشطارة، ويطلب ويعبث ويفسد ويقطع ويشرب الخمر، ثم تاب وهو حسن الشِّعْر مليحه، ولما تاب ترك الشعر، وكان يقال له: لم لا تقوله وأنت نسيج وحدك؟ فيقول: قد أبدلني الله تلاوة كتابه. وما قال بعد ذلك شعراً حتى

يُغْنِيْ بِمَا فِيْهِ رَقُّ الْحَمْدِ تَمْلُكُهُ
وَلَيْسَ شَيءٌ أَعَاضَ الْحَمْدَ بِالْغَالِيْ
تَفُكُّ بِالْيُسْرِ كَفَّ الْعُسْرِ مِنْ زَمَنٍ
إِذَا اسْتَطَالَ عَلَىٰ قَوْمٍ بِإِقْلالِ
لَمْ يَخْلُ كَفُّكَ مِنْ جُوْدٍ لِمُخْتَبِطٍ
أَوْ مُرْهَفٍ قَاتِلٍ مِنْ رَأسِ قَتَّالِ
وَمَا تَبُثُّ رَحِيْلَ الْخَيْلِ فِيْ بَلَدٍ
إلا عَصَفْنَ بِأَرْزَاقٍ وَآجَالِ
هَلْ مِنْ سَبِيْلٍ إِلَىٰ إِذْنٍ فَقَدْ ظَمِئَتْ
نَفْسِيْ إِلَيْكَ فَمَا تُرْوَى عَلَى حَالِ
إِنْ كُنْتُ مِنْكَ عَلَى بَالٍ مَنِنْتَ بِهِ
فَإِنَّ شُكْرَكَ مِنْ حَمْدِيْ عَلَى بَالِ
مَا زِلْتُ مُقْتَضِياً لَوْلا مُجَاهَرَةٌ
مِنْ أَلْسُنٍ خُضْنَ فِيْ صَبْرِيْ بَأَقْوَالِ

قال: فضحك عبد الله، وسُر بما كان منه، فقال: يا أبا الشمر بالله أقرضني عشرة آلاف دينار، فو الله ما أصبحت أملكها، فأقرضه إياها، فدفعها إليه.»«راجع «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» ج ١٠ - ١٥٠»

مات[1]. وهذه القصيدة / المرثية هي أطول قصيدة ورَدَتْ لمعلى الطائي، وقد انفرد بإيرادها «ابنُ عبده ربه» كاملة في «العقد الفريد» وهي مرثية لجارية عشقها فتزوجها فماتت بعد ثمانية أيام: يقول ابنُ عبده ربه:

كان لمُعلّى الطائِي جارية يُقال لها وَصْف، وكانت أديبةً شاعرة، قال محمد بن وَضّاح: أدركتُ معلّى الطائي بمصر، وأُعْطِي بجاريته وَصْف أربعةَ الآف دينار فباعها. فلمّا دَخل عليها قالت له: بِعْتني يا مُعلى! قال نعم، قالت: واللّه لو مَلَكْتُ منك مثلَ ما تَمْلك مني ما بِعْتك بالدُّنيا وما فيها. فَردَ الدَّنانير، واستقال صاحبَه، فأصيب بها إلى ثمانية أيام، فقال يَرْثيها:[2]

يَا قَبْرُ أبْقِ عَلَى مَحَاسِنَهَا

يَا مَوْتُ كَيْفَ سَلَبْتَنِيْ «وَصْفَا» ... قَدَّمْتَهَا وَتَرَكْتَنِي خَلْفَا؟

هَلَّا ذَهَبْتَ بِنَا مَعَاً فَلَقَدْ ... ظَفِرَتْ يَدَاكَ فَسُمْتَنِيْ خَسْفَا

وَأَخَذْتَ شِقَّ النَّفْسِ مِنْ بَدَنِي ... فَقَبَرْتَهُ وتَرَكْتَ لِي النِّصْفَا

فَعَلَيْكَ بِالْبَاقِيْ بِلاْ أجَلٍ ... فَالْمَوْتُ بَعْدَ وَفَاتِهَا أَعْفَى

يَا مَوْتُ مَا بَقَّيتَ لِيْ أَحَدَاً ... لَمَّا زَفَفْتَ إلِى الْبِلَى وَصْفَا

هَلَّا رَحِمْتَ شَبَابَ غَانِيَةٍ ... رَيَّا الْعِظَامِ وَشَعْرَهَا الوَحْفَا[3]

---

(١) «طبقات الشعراء» لابن المعتز عبد الله بن محمد المعتز باللّه بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي ٢٤٧ - ٢٩٦ هـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج دار المعارف مصر ١٩٧٦ ص ٣٣٣.

(٢) «العقد الفريد» الجزء الثالث ص ٢٣٣ .

(٣) الوحف: الكثيف.

وَرَحِمْتَ عَيْنَيْ ظَبْيَةٍ جَعَلَتْ ... بَيْنَ الرِّيَاضِ تُنَاظِرُ الْخِشْفَا[1]

تُغْفِيْ إِذَا انْتَصَبَتْ فَرَائِصُهُ ... وَتَظَلُّ تَرْعَاهُ إِذَا أَغْفَى

فَإِذَا مَشَى اخْتَلَفَتْ قَوَائِمُهُ ... وَقْتَ الرَّضَاعِ فَيَنْطَوِي ضَعْفَا

مُتَحَيِّراً فِي الْمَشْيِ مُرْتَعِشاً ... يَخْطُوْ فَيَضْرِبُ ظِلْفُهُ الظِّلْفَا

فَكَأَنَّهَا «وَصْفٌ» إِذَا جَعَلَتْ ... نَحْوِيْ تُدِيْرُ مَحَاجِراً وُطْفَا[2]

يَا مَوْتُ أَنْتَ كَذَا لِكُلِّ أَخِيْ ... إِلْفٍ يَصُوْنُ بِبِرِّهِ الإِلْفَا؟

خَلَّيْتِنِي فَرْدًا وبِنْتَ بِهَا ... مَا كُنْتُ قَبْلَكِ حَافِلاً وَكْفَا[3]

فَتَرَكْتُها بالرَّغْمِ فِي جَدَثٍ ... لِلرِّيْحِ يَنْسِفُ تُرْبَهُ نَسْفَا

دُوْنَ «الْمُقَطَّمِ» لا أُلَبِّسُهَا ... مِنْ زِيْنَةٍ قُرْطاً ولاَ شَنْفَا[4]

أَسْكَنْتُهَا فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... بَيْتاً يُصَافِحُ تُرْبُهُ السَّقْفَا

بَيْتاً إِذَا مَا زَارَهُ أَحَدٌ ... عَصَفَتْ بِهِ أَيْدِي الْبِلَى عَصْفَا

لَبِسَتْ ثِيَابَ الْحَتْفِ جَارِيَةٌ ... قَدْ كُنْتُ أَلْبَسُ دُوْنَهَا الْحَتْفَا

فَكَأَنَّهَا وَالنَّفْسُ زَاهِقَةٌ ... غُصْنٌ مِنَ الرَّيْحانِ قَدْ جَفَّا

يَا قَبْرُ أَبْقِ عَلَى مَحَاسِنَهَا ... فَلَقَدْ حَوَيْتَ النُّوْرَ وَالظُّرْفَا

---

(١) الخشف: الظبية الصغيرة.

(٢) وطفاء: طويلة الرمشين والحاجبين.

(٣) الوكف: البكاء بدمع منهمر.

(٤) الشَّنْفُ: الذي يلبس في أعلى الأذن، والذي في أسفلها القُرْطُ.

أَبُوْ تمَّام

(١٨٨ - ٢٣١ هـ = ٨٠٤ - ٨٤٦ م)

وُلِدَ أبو تمام: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي الحوراني في قرية «جاسم» على بعد حوالي خمسين كيلومتراً عن دمشق، وانتقل إلى دمشق حيث عمل في حداثته حائكاً، ثم انتقل إلى «حمص» وَتَعرَّف فيها على «ديك الجن الحمصي» ومنها بدأتْ رحلتهُ مع الشعر، ثم غادر إلى مصر في صباه، فعمل سقاء في المسجد الجامع، ذاع صيتُهُ فاستقدمه المعتصم إلى عاصمته الجديدة: سامراء بعد أن أنتقل إليها من بغداد، تنقَّل في آسيا الوسطى وأقام فترة في خراسان.

يرى المستشرق الإنكليزي دافيد صموئيل مارجليوث أن أباه كان نصرانياً ويدعى «تيدوس العطار» فغيَّرَهُ إلى «أوس» وانتسب إلى «طيء»

وممَّا جاء عنه في الأغاني «ما كان أحدٌ من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام، فلمَّا مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه» وكان قد امتدح عبد الله بن طاهر أمير خراسان فنثر عليه الأخير ألف دينار، فلم يلتقط منها شيئاً بل تركها لمن حوله يلتقطونها.

يميل النقد العربي القديم إلى عقد مقارنة بينه وبين المتنبي والبحتري، حتى أن الآمدي خصص كتاباً، أسماه «الموازنة بين الطائيين» لكن البحتري نفسه يحسم الأمر بقوله: «نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تنخفض عند سمائه» وهو رأي قاله البحتري في سياق جواب على من حاول تفضيله على أبي تمام: «إن الناس يزعمون أنك

أشعر من أبي تمام فقال: والله ما ينفعني هذا القول ولا يضرُّ أبا تمام، والله ما أكلتُ الخبز إلا به، ولوددتُ أنَّ الأمرَ كما قالوا، ولكني والله تابعٌ له لائذٌ به ....» ويذكر هذه الرواية كل من الأصفهاني في «الأغاني» وياقوت الحموي في «معجم الأدباء».

توفي في الموصل سنة ٢٣١ هـ = ٨٤٦ م بعد أن عاش فيها سنتين والياً على بريدها.

هاتان المرثيتان تمثلان جانباً من غرض شعري برعَ به أبو تمام إلى جانب براعته في شتى الأغراض في شعره.

حَلِيْفُ أَسىً[1]

أَلَمْ تَرَنِيْ خَلَّيْتُ نَفْسِيْ وَشَانَهَا
وَلَمْ أَحْفِلِ الدُّنيا وَلاَ حَدَثَانَهَا

لَقَدْ خَوَّفَتْنِي النَّائِبَاتُ صُرُوفَهَا
وَلَوْ أَمَّنَتْنِيْ مَا قَبِلْتُ أَمَانَهَا

وَكَيْفَ عَلى نَارِ اللَّيَالي مُعَرَّسِيْ
إذَا كَانَ شَيْبُ العَارِضَيْنِ دُخَانَهَا

أُصِبْتُ بِخَوْدٍ سَوْفَ أَغْبُرُ بَعْدَهَا
حَلِيْفَ أَسىً أَبْكِيْ زَمَاناً زَمَانَهَا

عِنَانٌ مِنَ اللذَّاتِ قَدْ كَانَ فِي يَدِيْ
فَلمَّا قَضَى الإلْفُ اسْتَرَدَّتْ عِنَانَهَا

---

(١) «ديوان أبي/ تمام حبيب بن أوس الطائي» شرح التبريزي/ تحقيق محمد عبده عزام دار المعارف / الطبعة الثالثة المجلد الرابع ص ١٤٢.

مَنَحْتُ الْدُّمَىْ هَجْرِي فَلاَ مُحْسِناتُهَا

أَوَدُّ ولا يَـهْـوَىَ فُـؤَادِيْ حِـسَـانَـهَـا

يَقُوْلُوْنَ: هَلْ يَبْكِي الْفَتَي لِخَرِيْدةٍ

إذَا مَا أَرَادَ اعْتَاضَ عَشْرَاً مَكَانَهَا؟

وَهَلْ يَسْتَعِيْضُ الْمَرْءُ مِنْ خَمْسِ كَفِّهِ

وَلَوْ صَاغَ مِنْ حَرِّ الْلُجَيْنِ بَنَانَهَا؟

وقال حَبِيب الطائي يَرثِي جارِية أصِيب بها[1]

هِلالٌ عَلَيْهِ نَسْجُ ثَوْبٍ مِنَ التُّرْبِ

جُفُوْفَ البِلَى أَسْرَعْتِ فِي الْغُصُنِ الرَّطْبِ

وَخَطْبَ الرَّدَى وَالْمَوْتِ أَبْرَحْتَ مِنْ خَطْبِ

لَقَدْ شَرِقَتْ في الشَرْقِ بِالْمَوْتِ غَادَةٌ

تَعَوَّضْتُ مِنْهَا غُربَةَ الدَّارِ فِي الغَرْبِ

وَأَلْبَسَنِي ثَوْباً مِنَ الْحُزْنِ وَالأَسَىْ

هِلالٌ عَلَيْهِ نَسْجُ ثَوْبٍ مِنَ التُّرْبِ

وَكِنتُ أَرَجِّي القُرْبَ وَهْيَ بَعِيْدَةٌ

فَقَدْ ثَقُلَتْ بَعْدِيْ عَنِ الْبُعْدِ وَالْقُرْب

---

(١) «العقد الفريد» الجزء الثالث كتاب الدرة في النوادي و«التعازي والمراثي» ص ٢٣٥ وفي «ديوانه» المجلد الرابع ص ٥٣ «يرثي امرأة محمد بن سهل» وهي لم ترد في «ديوان أبي تمام» بشرح الصولي.

أَقُولُ وَقَدْ قَالُوا اِسْتَراحَتْ بِمَوْتِهَا

مِنَ الكَرْبِ، رَوْحُ الْمَوْتِ شَرٌّ مِنَ الْكَرْبِ[1]

لَقَدْ نَزَلَتْ ضَنْكاً مِنَ اللَّحْدِ وَالثَّرى

وَلَوْ كَانَ رَحْبَ الذَّرْعِ مَا كَانَ بِالرَّحْبِ

وَكُنْتُ أُرَجِّي الْقُرْبَ وَهْيَ بَعِيْدَةٌ

فَقَدْ نُقِلَتْ بُعْدِيْ عَنِ الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ

لَهَا مَنْزِلٌ تَحْتَ الثَّرَى وعَهِدْتُهَا

لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ والْقَلْبِ

---

(١) الرَّوحُ: الراحة.

مُحَمَّدُ بنُ عَبْد الْمَلِك الزَّيَّات

(١٧٣ - ٢٣٣ هـ = ٧٨٩ - ٨٤٧ م)

كان شاعراً مجيداً، وُزِّرَ لثلاثة خلفاء من بني العبَّاس هم: المعتصم والواثق والمتوكِّل، وكان أبوه زيَّاتاً إلا انَّهُ كان كثيرَ المال، وكان محمَّد بن الزيات شديدَ القسوة صعبَ العريكة لا يرقُّ لأحدٍ ولا يرحمه، وكان قد اتخذ في أيَّام وزارته، تنُّوراً من حديد وأطرافُ مساميره محدَّدة إلى داخل، وهي قائمة مثل رؤوس المَسَال، وكان يعذِّبُ فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال، فكيفما انقلبَ واحدٌ منهم أو تحرَّكَ من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه، فيجدون لذلك أشدَّ الألم ولم يسبقه أحدٌ إلى هذه المعاقبة، وكان إذا قال أحدٌ منهم: أيُّها الوزير ارْحَمْنِي، يقولُ له: الرحمةُ خَوَرٌ في الطبيعة، ولما مرضَ الواثق عملَ ابنُ الزيات على توليةِ ابنه وحرمان المتوكِّل فلم يفلح، ووُليَ المتوكل فاعتقله وأمر بإدخاله في التنُّور، وقيَّدهُ بخمسة عشر رطلاً من الحديد فقال: يا أمير المؤمنين ارحمني، فقال له: الرحمة خَوَرٌ في الطبيعة، كما كان يقول للناس، فطلب دواة وبطاقة فأحضرتا إليه فكتب:

هِيَ السَّبِيْلُ فَمِنْ يَوْمٍ إِلَىٰ يَوْمِ ... كَأَنَّهُ مَا تُرِيْكَ الْعَيْنُ فِي النَّوْمِ

لا تَجْزَعَنَّ، رُوَيْدَاً إِنَّهَا دُوَلٌ ... دُنْيَا تُنَقَّلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَىٰ قَوْمِ

وسيَّرها إلى المتوكل، فاشتغل عنها ولم يقف عليها إلا في الغد،

فلما قرأها المتوكل أمر بإخراجه، فجاءوا إليه فوجدوه ميتاً، وذلك في سنة ٢٣٣، وكانت مدة إقامته في التنور أربعين يوماً.

ولما مات وُجِدَ في التنور مكتوبٌ بخطِّه قد خطَّهُ بالفَحْم على جانب التنُّور يقول:

مَـنْ لَـهُ عَـهْـدٌ بِـنَـوْمٍ ... يُـرْشِـدُ الـصَّـبَّ إِلَـيْـهِ

رَحِـمَ الـلـهُ رَحِـيْـمَـاً ... دَلَّ عَـيْـنَـيَّ عَـلَـيْـهِ

سَـهِـرَتْ عَـيْـنِـيْ وَنَـامَـتْ ... عَـيْـنُ مَـنْ هِـنْـتُ لَـدَيْـهِ

ودفن وَلَمْ يعمَّقْ قبره فنبشته الكلاب وأكلته. وكان الجاحظ منقطعاً إليه فخاف أن يؤخذ مع أسبابه، فغاب وكان يقول: كدتُ أكون. . . .[1]

وتلتبس صورة الجارية بصورة الزوجة هنا كشأن كثير من النساء اللواتي تتجه لهنَّ المراثي في هذا العصر، حيث يقول المبرد «كانت له جارية وكان بها ضنيناً، كان له منها ابنٌ يقال له عمر، فماتت وابنها هذا صغير. فرثاها ببيتين هما جاريان على ألسن الناس مشهوران بينما في ديوانه أن القصيدة «في رثاء زوجته سلوانة[2]»:

وَهَلْ غَيْرُ الْفُؤَادِ لَهَا قَبْرُ؟

يَقُوْلُ لِيَ الْخُلاّنُ: لَوْ زُرْتَ قَبْرَهَا

فَقُلْتُ: وَهَلْ غَيْرُ الْفُؤَادِ لَهَا قَبْرُ؟

---

(١) «وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان» لابن خلكان «أبو العبَّاس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر ٦٠٨ -٦٨١ هجرية تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر/ بيروت الجزء الخامس ص ٩٤.

(٢) «التعازي والمراثي» ص ١٠١ وفي «ديوانه» ص ١٨٧ في رثاء زوجته «سلوانة» «ديوان محمد بن عبد الملك الزيات/ سيرته، أدبه» تحقيق يحيى الجبوري/ الطبعة الأولى/ دار البشير / عمان/ الأردن ٢٠٠٢.

عَلَى حَيْنِ لَمْ أُحْدِثْ فَأَجْهَلَ فَقْدَهَا
وَلَمْ أَبْلِغِ السِّنَّ الَّتِيْ مَعَهَا الصَّبْرُ

مَنْ بِالصَّبْرِ لابْنِ ثَمَانٍ[1]

أَلاْ مَنْ رَأَى الطِّفْلَ الْمُفَارِقَ أُمَّهُ
بُعَيْدَ الْكَرَى عَيْنَاهُ تَنْسَكِبَانِ؟
رَأَىْ كُلَّ أُمٍّ وَابْنَهَا غَيْرَ أُمِّهِ
يَبِيْتَانِ تَحْتَ الْلَّيْلِ يَنْتَجِيَانِ
يَرِنُّ بِصَوْتٍ مَضَّ قَلْبِيْ نَشِيْجُهُ
وَسَحِّ دُمُوعٍ ثَرَّةِ الْهَمَلانِ
وَبَاتَ وَحِيْدَاً فِي الْفِرَاشِ تَجُنُّهُ
بَلابِلُ قَلْبٍ دَائِمِ الْخَفَقَانِ
ألا إنَّ سَجْلاً وَاحِدَاً إِنْ هَرَقْتُهُ
مِنَ الدَّمْعِ أَوْ سَجْلَيْنِ قَدْ شَفَيَانِي[2]
فَلا تَلْحَيَانِي إِنْ بَكَيْتُ فَإِنَّمَا
أُدَاوِيْ بِهَذا الدَّمْعِ مَا تَرَيَانِ
وَإِنَّ مَكَانَاً فِي الثَّرَىْ خُطَّ لَحْدُهُ
لِمَنْ كَانَ مِنْ قَلْبِيْ بِكُلِّ مَكَانِ
أَحَقُّ مَكَانٍ بِالزِّيَارَةِ وَالْهَوَىْ
فَهَلْ أَنْتُمَا إِنْ عِجْتُ مُنْتَظِرَانِ؟

---

(١) «ديوانه» ص ٢٦٤.
(٢) السَّجْل: الدلو، ولا يسمى الدلو سجلاً إلا إذا كان مملوءاً.

فَهَبْنِي عَزَمْتُ الصَّبْرَ عَنْهَا لأَنَّنِي
جَلِيْدٌ، فَمَنْ بِالصَّبْرِ لابْنِ ثَمَانِ؟
ضَعِيْفُ الْقِوَى لاْ يَطْلِبُ الأَجْرَ حِسْبَةً
وَلا يَأْتَسِي بِالنَّاسِ فِي الْحَدَثَانِ
ألاْ مَنْ أُمَنِّيْهِ الْمُنَىْ وَأَعُدُّهُ
لِعَثْرَةِ أَيَّامٍ وَصَرْفِ زَمَانِ؟
ألاْ مَنْ إِذَا مَا جِئْتُ أَكْرَمَ مَجْلِسِيْ
وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ حَاطَنِيْ وَكَفَانِيْ؟
فَلَمْ أَرَ كَالأَقْدَارِ كَيْفَ تُصِيْبُنِي
وَلا مِثْلَ هَذَا الدَّهْرِ كَيْفَ رَمَانِيْ
وَلا مِثْلَ أَيَّامٍ فُجِعْتُ بِفَقْدِهَا
وَلاْ مِثْلَ يَوْمٍ بَعْدَ ذَاكَ دَهَانِيْ
أَعَيْنَيَّ إِنْ لَمْ تُسْعِدَا الْيَوْمَ عَبْرَتِي
فَبِئْسَ إِذَنْ مَا فِي غَدٍ تَعِدَانِي
أَعَيْنَيَّ إِنْ أَنْعَ السُّرُوْرَ وَأَهْلَهُ
وَعَهْدَ الرِّضَا عِنْدِيْ فَقَدْ نَعَيَانِي
أَعَيْنَيَّ إِنْ أَبْكِ الْبَشَاشَةَ وَالصِّبَا
فَقَدْ آذَنَا مِنِّيْ وَقَدْ بَكَيَانِيْ
الا إِنَّ بَيْتَاً لَمْ أَزُرْهُ لِشَدَّمَا
تَلَبَّسَ مِنْ قَلْبِيْ بِهِ وَعَنَانِي
الا إِنَّ مَيْتَاً لَمْ أَزُرْهُ لَعَزَّ مَا
تَضَمَّنَ مِنْهُ فِي الثَّرَى الْكَفَنَانِ

مُدْرِك بنُ وَاصِل بنُ حَنْظَلَة

جاء في «معجم الشعراء» للمرزباني: مدرك بن واصل بن حنظلة بن أوس بن حصن الطائي أبو الجنيبة أعرابي محدث رشيدي وله يرثي زوجته[1]:

مَنْ مُبْلِغٌ «أُمَّ الْجَنِيْبِ» رِسَالَةً
وَإِنْ أَصْبَحَتْ بِالرَّمْسِ بَيْنَ الصَّفَائِحِ
فَإِنِّيْ لَرَاعٍ حِفْظَ غَيْبِكِ مَا بَكَتْ
عَلَىْ شِعَبِ الدُّوْمِ الْحَمَامُ النَّوَائِحُ[2]
فَكَمْ عَبْرَةٍ أَرْسَلْتُهَا بَعْدَ عَبْرَةٍ
وَكَمْ غَصَّةٍ أَتْبَعْتُهَا لا أُبَارِحُ
عَلَىْ إِثْرِ إِخْوَان نَأَوا طَرَّحَتْهُمُ
نَوَىْ غَرْبَةٍ بَعْدَ الْجِوَارِ الْمَطَارِحُ

(١) «معجم الشعراء» ص ٤٠٦.
(٢) الدوم: شجر يشبه النخل.

ديك الجنّ الحمصي

(١٦١ - ٢٣٥ هـ = ٧٧٨ - ٨٥٠ م)

ديكُ الجنِّ لقبٌ غَلَبَ عليه، واسمه: عبد السلام بن رغبان من بني تميم. .وهو شاعرٌ مُجيدٌ يذهبُ مذهبَ «أبي تمام» والشاميين في شعره، من شعراء الدولة العبَّاسية وكان من ساكني «حمص» ولم يبرح نواحي الشام ولا وَفَدَ إلى العراق ولا إلى غيره مُنتجعاً بشعره ولا متصدِّياً لأحد وكان يتشيَّعُ تشيُّعاً حَسَناً.

وكان عبد السلام قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص هَوِيها وتمادى به الأمر حتى غَلبتْ عليه وذهبتْ به فلمَّا اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوَّجَ بها فأجابته لعلمها برغبته فيها وأسلمتْ على يده فتزوجها وكان اسْمُها «ورداً» وفي بعض المصادر «دنيا»[1]

وكاَن قَدْ أعْسرَ واختلَّتْ حاله فرحل إلى «سلمية» قاصداً «أحمد بن علي الهاشمي» فأقام عنده مدَّةً طويلة وَحَمَلَ ابنُ عمِّهِ بغضه إياه بعد مودته له وإشفاقه عليه، بسبب هجائه له، على أن أذاع على تلك المرأة التي تزوَّجَها «عبد السلام» أنها تهوى غلاماً له وقرَّرَ ذلك عند جماعةٍ من أهل بيته وجيرانه وإخوانه وشاع ذلك الخبر حتى أتى «عبد السلام» فكتب إلى «مُضيِّفِهِ» شعراً يستأذنه في الرجوع إلى «حمص» ويُعلمُهُ ما بلغه من خبر المرأة. فعاد إلى حمص وقتلها هي والغلام.

---

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان الجزء الثالث ص ١٨٦.

وجاء في «الوافي بالوفيات» أنه بعد قتلهما أحرقهما وعمل من رمادهما برنيتين،[1] ثم تبيَّن له أمرهما وأنه ظلمهما، فكان يضع البرنيتين عن يمينه ويساره ويملأهما شراباً، ويقبل هذه تارة وهذه تارة!

وذكر ابن خلكان أن أخت الغلام المقتول مع ورد قالت بيتين في ديك الجنّ:

يَا وَيْحَ دِيْكِ الْجِنِّ يَا تَبّاً لَهُ   مِمَّا تَضَمَّنَ صَدْرُهُ مِنْ غَدْرِهِ

قَتَلَ الَّذِيْ يَهْوَىْ وَعَمَّرَ بَعْدَهُ   يَا رَبِّ لا تَمْدِدْ لَهُ فِيْ عُمْرِهِ[2]

هذه المراثي الموزعة على قصائد عدة تمثل في الواقع صورة مبعثرة لتلك القصة التراجيدية لورد. مشاعر قلقة ملتبسة بين تبريره القتل، وندمه على ذلك.

أنَا وَحْدِيْ أَحْبَبْتُ ثُمَّ قَتَلْتُ؟[3]

لَيْتَنِيْ لَمْ أكُنْ لِعَطْفكِ نِلْتُ   وَإِلَى ذَلِكَ الْوِصَالِ وَصَلْتُ

فَالَّذِيْ منِّيَ اشْتَمَلْتِ عَلَيْهِ   أَلِعَارٍ ما قَدْ عَلَيْهِ اشْتَمَلْتُ؟

قَالَ ذُو الْجهْلِ قَدْ حَلُمْتَ وَلا أَعْلَمُ أَنِّي حَلُمْتُ حَتَّى جَهِلْتُ

لائِمٌ لِي بِجَهْلِهِ وَلِمَاذَا؟   أنَا وَحْدِيْ أَحْبَبْتُ ثُمَّ قَتَلْتُ!

سَوْفَ آسَىْ طَوْلَ الْحَيَاةِ وَأَبْكِيْكِ   عَلَى مَا فَعَلْتِ لا مَا فَعَلْتُ

---

(١) البَرنيّة: شِبهُ فخّارةٍ ضَخمةٍ خَضراءَ من القَوارير الثِّخانِ الواسعةِ الأفْواه.

(٢) «العمدة» الجزء الثاني ص ١٥٠ و«وفيات الأعيان» الجزء الثالث ص ١٨٨.

(٣) «الأغاني» الجزء ١٤ ص ٣٦ وانظر «ديوانه» ص ٣٥ جمع وتحقيق ودراسة مظهر الحجي/ منشورات اتحاد الكتاب العرب/ دمشق ٢٠٠٤.

ضَنَنْتُ عَلَى الْعُيُوْنِ بِحُسْنِها[1]

يا طَلْعَةً طَلَعَ الْحِمَامُ عَلَيْهَا ... وجَنَى لَهَا ثَمرَ الرَّدَى بِيَدَيْهَا

رَوَّيْتُ مِنْ دَمِهَا الثَّرَى وَلَطَالَمَا ... رَوَّى الْهَوَى شَفَتَيَّ مِنْ شَفَتَيْهَا

قَدْ بَاتَ سَيْفِيْ فِيْ مَجَالِ وِشَاحِهَا ... وَمَدَامِعِي تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهَا

فَوَحَقِّ نَعْلَيْهَا وَمَا وَطِىءَ الْحَصَى ... شَيءٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلَيْهَا

مَا كَانَ قَتْلِيْهَا لأَنِّي لَمْ أَكُنْ ... أَبْكِيْ إِذَا سَقَطَ الذُّبَابُ عَلَيْهَا

لَكِنْ ضَنَنْتُ عَلَى الْعُيُوْنِ بِحُسْنِهَا ... وأَنِفْتُ مِنْ نَظَرِ الْحَسُوْدِ إِلَيْهَا

دموع صياد الطيور[2]

أَسَاكِنَ حُفْرَةٍ وَقَرَارِ لَحْدِ ... مُفَارِقَ خُلَّةٍ مِنْ بَعْدِ عَهْدِ

أَجِبْنِيْ إِنْ قَدَرْتَ عَلَىْ جَوَابِيْ ... بحَقِّ الوُدِّ كَيْفَ ظَلَلْتَ بَعْدِيْ؟

وَأَيْنَ حَلَلْتَ بَعْدَ حُلُوْلِ قَلْبِيْ ... وَأَحْشَائِيْ وَأَضْلاعِيْ وَكَبْدِيْ

أَمَا وَاللهِ لَوْ عَايَنْتَ وَجْدِيْ ... إِذَا اسْتَعْبَرْتُ فِي الظَّلْمَاءِ وَحْدِيْ

وَجَدَّ تَنَفُّسِيْ وَعَلا زَفِيْرِيْ ... وفَاضَتْ عَبْرَتِي فِيْ صَحْنِ خَدِّيْ

إِذَنْ لَعَلِمْتَ أَنِّي عَنْ قَرِيْبٍ ... سَتُحْفَرُ حُفْرَتِيْ وَيُشَقُّ لَحْدِيْ

وَيَعْذِلُنِي السَّفِيْهُ عَلَى بُكَائِيْ ... كَأَنِّي مُبْتَلَىً بِالْحُزْنِ وَحْدِيْ

يَقُوْلُ: قَتَلْتَهَا سَفَهاً وَجَهْلاً ... وتَبْكِيْهَا بُكَاءً لَيْسَ يُجْدِيْ

كَصَيَّادِ الطُّيُوْرِ لَهُ انْتِحَابٌ ... عَلَيْهَا وَهْوَ يَذْبَحُها بِحَدِّ

---

(١) «ديوانه» ص ٢٨٢ و«الأغاني» جزء ١٤ ص ٣٧.

(٢) «ديوانه» ص ١١٩ وانظر «الأغاني» الجزء ١٤ ص ٣٨.

طُوْبَى (١)

مَا لامْرِئٍ بِيَدِ الدَّهْرِ الْخَؤُونِ يَدُ
وَلا عَلَى جَلَدِ الدُّنْيَا لَهُ جَلَدُ

طُوْبَى لأَحْبَابِ أَقْوَامٍ أَصَابَهُمُ
مِنْ قَبْلِ أَنْ عَشِقُوا مَوْتٌ فَقَدْ سَعِدُوا

وَحَقِّهِمْ إِنَّهُ حَقٌّ أَضُنُّ بِهِ
لأَنْفُدَنَّ لَهُمْ دَمْعِيْ كَمَا نَفَدُوا

يَا دَهْرُ إِنَّكَ مَسْقِيٌّ بِكَأْسِهِمُ
وَوَارِدٌ ذَلِكَ الْحَوْضَ الَّذِيْ وَرَدُوا

الْخَلْقُ مَاضُوْنَ وَالأَيَّامُ تَتْبَعُهُمْ
نَفْنَى جَمِيْعاً وَيَبْقَى الْوَاحِدُ الصَّمَدُ

زَيْنَ أَهْلَ الْقُبُوْرِ (٢)

قُلْ لِمَنْ كَانَ وَجْهُهَا كَضِيَاءِ الشَّمْسِ فِيْ حُسْنِهِ وَبَدْرٍ مُنْيْرِ
كُنْتَ زَيْنَ الأَحْيَاءِ إِذْ كُنْتَ فِيْهِمْ
وَلَقَدْ صِرْتَ زَيْنَ أَهْلِ الْقُبُوْرِ

بِأَبِيْ أَنْتَ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَوْتِ
وَتَحْتَ الثَّرَى وَيَوْمَ النُّشُوْرِ

---

(١) «ديوانه» ص ١١٢ والأغاني جزء ١٤ ص ٣٩.

(٢) «ديوانه» ص ١٥٣ والأغاني جزء١٤ ص ٣٩.

خُنْتَنِيْ فِي الْمَغِيْبِ وَالخَوْنُ نُكْرٌ

وذَمِيمٌ فـي سَالِـفَاتِ الـدُّهُـورِ

فَشَفَانِي سَيْفِي وَأَسْرَعَ فِي حَزِّ التَّرَاقِيْ قَطْعاً وحَزِّ النُّحُورِ

أَحْسَنُ نَائِم[1]

أَشْـفَـقْـتُ أَنْ يَـرِدَ الـزَّمَـانُ بِـغَـدْرِهِ

أَوْ أُبْـتَـلَـىٰ بَـعْـدَ الـوِصَـالِ بِـهَـجْـرِهِ

قَـمَـرٌ أَنـا اسْـتَـخْـرَجْـتُـهُ مِـنْ دَجْـنِـهِ

لِـبَـلـيَّـتِـيْ وجَـلَـوْتُـهُ مِـنْ خِـدْرِهِ[2]

فَـقَـتَـلْـتُـهُ ولَـهُ عَـلَـيَّ كَـرَامَـةٌ

مِلْءَ الْحَشَا وَلَـهُ الْفُـؤَادُ بأَسْـرِهِ

عَـهْـدِي بِـهِ مَـيْـتَـاً كـأَحْـسَـنِ نَـائِـمِ

وَالْحُزْنُ يَسْفَحُ عَبْرَتي فِي نَحْرِهِ

لَـوْ كَـانَ يَـدْرِي الْـمَـيْـتُ مَـاذَا بَـعْـدَهُ

بِالْحِيِّ حَلَّ، بَكَىٰ لَهُ فِي قَبْرِهِ

غُـصَـصٌ تَـكَـادُ تَـفِـيْـضُ مِـنْـهَـا نَـفْـسُـهُ

وَيَـكَـادُ يَـخْـرُجُ قَـلْـبُـهُ مِـنْ صَـدْرِهِ

---

(١) «ديوانه» ص ١٤٩.

(٢) الدجن: الغيم، وقيل بل هو ظل الغيم على الأرض.

ابْنُ الرُّومي

(٢٢١ - ٢٨٣ هـ = ٨٣٦ - ٨٩٦ م)

علي بن العباس بن جريج أو جورجيس، الرومي، شاعرٌ كبيرٌ، من طبقة بشار والمتنبي، روميُّ الأصل.

ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموماً قيل: دسَّ له السمَّ القاسم بن عبيد الله -وزير المعتضد- وكان ابنُ الرُّوميِّ قد هجاه. والهجاء يشكل واحداً من الأغراض الرئيسية في شعره، إلى جانب الوصف والزهد.

قال المرزباني: لا أعلم أنه مدح أحداً من رئيس أو مرؤوس إلا وغاد إليه فهجاه، ولذلك قلَّتْ فائدته من قول الشِّعْر وتحاماه الرؤساء وكان سبباً لوفاته.

وكان ابنُ الرومي شديدَ التَّطيُّر، فكانَ يغلقُ أبوابَهُ ولا يخرج إلى أحدٍ خوفاً من التطيُّر. قال عنه الصفدي: ابنُ الرُّوميِّ من الشعراء الفحول المطولين الغوَّاصين على المعاني. كان إذا أخذ المعنى لا يزال يستقصي فيه حتى لا يدع فيه فضلةً ولا بقيَّةً. فربَّما سمجَ بعض الأوقات. ومعانيه غريبةٌ جيِّدةٌ، وكان إذا أعجبه المعنى كرَّره في عدَّة مواضع في قوافٍ مختلفة، وقال الخالديان: لم نرَ كابن الرومي إذا انفرد بالمعنى جوَّدَه، وإذا تناوله من غيرهِ قصَّرَ فيه.

له مراث في والدته وزوجته التي خصَّها بمقطوعات عدة. وله، كذلك، مرثية طويلة جداً في جارية مغنية اسمها «بستان» نورد مقطعاً منها في ملحق هذا الكتاب.

خُلَّةُ الصَّفاءِ[1]

عَـيْـنَـيَّ شِـحَّـاً وَلاْ تَـسِـحَّـا   جَلَّ مُـصَـابِـي عَـنِ الْـبُـكَـاءِ
تَـرْكُـكُـمَـا الـدَّاءَ مُـسْـتَـكِـنَّـاً   أَصْـدَقُ عَـنْ صِـحَّـةِ الْـوَفَـاءِ
إنَّ الأَسَـىْ وَالْـبُـكَـاءَ قِـدْمَـاً   أمْـرَانِ كَـالـدَّاءِ وَالـدَّوَاءِ
وَمَـا ابْـتِـغَـاءُ الـدَّوَاءِ إلا   بُـغْـيَـا سَـبِـيْـلٍ إلَـى الْـبَـقَـاءِ
وَمُـبْـتَـغِـي الْـعَـيْـشَ بَـعْـدَ خِـلٍّ   كَـاْذِبُـهُ خُـلَّـةُ الـصَّـفَـاءِ

احْتِسَابَ الأَمْرِ[2]

سَـلَـوْتُ شَـبَـابِـي وَالـرِّضَـاعَ كِـلَـيْـهِـمَـا
فَـكَـيْـفَ تُـرَانِـي سَـالِـيَـاً مَـا سِـوَاهُـمَـا؟
وَمَـا أَحْـدَثَ الْـعَـصْـران شَـيْـئَـاً نَـكَـرْتُـهُ
هُـمَـا الْـوَاهِـبَـانِ الـسَّـالِـبَـانِ هُـمَـا، هُـمَـا
رَأَيْـتُ احْـتِـسَـابَ الأَمْـرِ قَـبْـلَ وُقُـوْعِـهِ
حَـمَـى مُـقْـلَـتَـيَّ أنْ يَـطُـوْلَ بُـكَـاهُـمَـا

ذَخِيْرَةُ الدَّمْعِ[3]

أَعَـيْـنَـيَّ جُـوْدَا بِـالـدُّمُـوْعِ لِـفَـقْـدِهَـا
فَـمَـا بَـعْـدَهـا ذُخْـرٌ مِـنَ الـدَّمْـعِ مَـذْخُـوْرُ

(١) «ديوان ابن الرومي» تحقيق حسين نصار / دار الكتب المصرية ٢٠٠٣ الجزء الأول ص٧٩.
(٢) «ديوانه» الجزء الأول ص ١٢٦.
(٣) «ديوانه» الجزء الثالث ص ١١٣٨.

نَصِيْبُكُمَا مِنْهَا الَّذِيْ فَاتَ فَابْكِيَا
فَأَمَّا نَصِيْبُ الْقَلْبِ مِنْهَا فَمَوْفُوْرُ

عَيْنَيَّ[1]

عَيْنَيَّ جُوْدَا عَلَىْ حَبِيْبِكُمَا بِالسَّجْلِ فَالسَّجْلِ مِنْ صَبِيْبِكُمَا
لا تَجْمُدَا لاتَ حِيْنَ مَعْذِرَةٍ مَا لَمْ تَذُوْبَا لِمُسْتَذِيْبِكُمَا
فَاسْتَغْزِرَا دِرَّةَ السُّؤالِ عَلَى بَدْرٍ كَمَا بَلَّ قَضِيْبَكُمَا
هَذَا فُؤَادِي وَالرُّزْءُ رُزْؤُكُمَا تَبْكِيْ لَهُ عَيْنُ مُسْتَثِيْبِكُمَا
فَاسْتَنْكِفَا أَنْ يَكُوْنَ غَيْرَكُمَا أَبْكَىْ لِمَا فَاتَ مِنْ نَصِيْبِكُمَا

(١) «ديوانه» الجزء الخامس ص ٢١٣٠.

الْمُعْتَضِدُ بِاللهِ

(٢٤٢ - ٢٨٩ هـ = ٨٥٧ - ٩٠٢ م)

أحمد بن طلحة بن جعفر، أبو العبَّاس المعتضد باللَّه بن الموفق باللَّه بن المتوكل: خليفة عباسي، ولد ونشأ ومات في بغداد. كان عونَ أبيه في حياته أيام خلافة المعتمد، وبويع له بالخلافة بعد وفاة عمه المعتمد فحلَّ عن بني العباس عقدة المتغلبين وظهر بمظهر الخلفاء العاملين. ثم جعل يتوجَّهُ بنفسه إلى أصحاب الشغب في البلاد فيقمع ثائرتهم. وجعل أمراء الجند مسؤولين عن أعمال أتباعهم. وفي المؤرخين من يقول: قامت الدولة بـ «أبي العباس» وجددت بـ «أبي العباس» يريد السفاح والمعتضد. قال ابنُ دُحيَّة: «وهو أحد رجال بني العباس الخمسة، أقام العدل، وبذل المال، وأصلح الحال، وحجَّ وغزا وجال المحدثين وأهل الفضل والدين. استولى على الخلافة وليس في بيت المال سوى قراريط لا تبلغ دينارين، فأصلح الأمور حتى فضل من ارتفاعه في سني خلافته تسعة عشر ألف ألف دينار» وقال ابنُ تغري بردي: المعتضد آخر خليفة عقد ناموس الخلافة، وأخذ أمر الخلفاء بعده في الإدبار. وكان عارفاً بالأدب موصوفاً بالحلم إلا في مواضع الشدَّة.[1]

ويقول النويري: «كان المعتضد جيِّدَ الشعر، فمن شعره ما قاله عند

---

(١) «الأعلام» الجزء الأول ص ١٤٠.

موت جارية اسمها «دريرة» كان يحبها وتحبه غاية المحبة، فلما ماتت جزع لموتها جزعاً منعه عن الطعام والشراب»[1]

لَوْ تَرَانِيْ

يَا حَبِيْبَاً لَمْ يَكُنْ يَعْدِلُهُ عِنْدِيْ حَبِيْبُ
أَنْتَ عَنْ عَيْنِيْ بَعِيْدٌ وَمِنَ الْقَلْبِ قَرِيْبُ
لَيْسَ لِيْ بَعْدَكَ فِيْ شَيءٍ مِنَ اللَّهْوِ نَصِيْب
لَكَ مِنْ قَلْبِيْ عَلَى قَلْبِيْ وَإِنْ بِنْتَ رَقِيْب
وَخَيَالٌ مِنْكَ مُذْ غِبْتَ خَيَالٌ لاْ يَغِيْبُ
لَوْ تَرَانِيْ كَيْفَ لِيْ بَعْدَكَ عَوْلٌ وَنَحِيْبُ
وَفُؤَادِيْ حَشْوُهُ مِنْ حُرَقِ الْحُزْنِ لَهِيْبُ
لَتَيَّقَنْتَ بِأَنِّيْ فِيْكَ مَحْزُوْنٌ كَئِيْبُ
مَا أَرَى نَفْسِيْ وَإِنْ سَلَّيْتُهَا عَنْكَ تَطِيْبُ
لِيَ دَمْعٌ لَيْسَ يَعْصِيْنِيْ وَصَبْرٌ مَا يُجِيْبُ

لَمْ أبْكِ للدّارِ[2]

لَمْ أبْكِ لِلدَّارِ وَلَكِنْ بِمَا قَدْ كَانَ فِيْهَا مَرَّةً سَاكِنَا
فَخَانَنِي الدَّهْرُ بِفِقْدَانِهِ وَكُنْتُ مِنْ قَبْلُ لَهُ آمِنَا
وَدَّعْتُ صَبْرِيْ يَوْمَ تَوْدِيْعِهِ وَبَانَ قَلْبِيْ مَعَهُ ظَاعِنَا

---

(1) «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري الجزء ٢٢ ص ٢٧٢.
(2) «نهاية الأرب» الجزء ٢٢ ص ٢٧٢ أيضاً.

عُبَيْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنُ طَاهر

(٢٢٣ - ٣٠٠ هـ = ٨٣٨ - ٩١٣ م)

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، أبو أحمد، ويعرف بابن طاهر: أمير، من الأدباء الشعراء. انتهت إليه رياسة أسرته. وُلِّيَ شرطة بغداد. مولده ووفاته فيها. وكان مهيباً، رفيع المنزلة عند المعتضد العباسي، وله تصانيف، منها «الإشارة» في أخبار الشعراء، و«السياسة الملوكية» وغيرها. وله محلٌ من الأدب والتصرف في فنونه ورواية الشِّعْر و قوله والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل من الفلاسفة في الموسيقى والهندسة. وله صنعةٌ في الغناء حسنة متقنة عجيبة، وكان يترفَّع عن إظهار نفسه بذلك، ويومئ إلى أنه من صنعته جاريته «شاجي» وكانت إحدى المحسنات المبرزات المقدمات، أحبها وتزوَّجها قال جحظة: دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يوماً، فجاءه مشيخة، فأمرهم بالجلوس عن يمينه. وجاء كهول، فأمرهم بالجلوس عن شماله. ودخل أحداثٌ فوقفوا بين يديه ولم يأمرهم بالجلوس. فسألته عنهم، فقال: هؤلاء بني، وأومأ إلى الشيوخ، وهؤلاء بنوهم وأومأ إلى الكهول، وهؤلاء بنوهم وأومأ إلى الأحداث. قلت: بنوك لأمٍّ أو لأمَّهاتٍ شتَّى؟ قال: أمُّ جَميعِهم «شاجي» وأنشد[1]:

---

(١) «الديارات» للشابشتي «أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي توفي ٣٨٨ هـ» تحقيق كوركيس عواد دار الرائد العربي/ بيروت ١٩٨٦ ص ١١١.

أبناء شاجي

زَرَعْتُ وَ«شَاجِيْ» بَيْنَنَا فِي شَبِيْبَتِيْ
غِرَاسَ الْهَوَىْ فَاعْتَمَّ بِالثَّمَرِ الْعَذْبِ
فَشَابَ بَنُوْ «شَاجِيْ» لِظَهْرِيْ وَأَدْرَكُوْا
وَشَابَ بَنُوْهُمْ وَهْيَ مَالِكَةٌ قَلْبِيْ

وذكر ابنُ قدامة قال: حضرت جنازة «شاجي» فلما انصرفنا، دخلتُ مع عبيد الله مساعداً له ومؤنساً، وهو مُطرق ودموعُهُ تجري على خدَّيه، فلم أر باكياً أحسنَ منه. ثم رفَعَ رأسَهُ وأقبلَ علينا، فقال[1]:

ذَهَبَتْ نَفْسِيْ

يَمِيْنَاً يَقِيْنَاً لَوْ بُلِيْتُ بِفَقْدِهَا
وَبِيْ نَبْضُ عِرْقٍ لِلْحَيَاةِ وَلِلْنَكْسِ
لأَوْشَكْتُ قَتْلَ النَّفْسِ قَبْلَ فِرَاقِهَا
وَلَكِنَّهَا مَاتَتْ وَقَدْ ذَهَبَتْ نَفْسِيْ

قال: وهي معي مذ سبعون سنة. وكان بعضُ المنجِّمين حَكَمَ بموته قبلها، فماتتْ قبله.

كَذَبَ المُنجِّمُوْنَ[2]

فَيَا عَجَبَاً مِنِّي وَمِمَّنْ رَعَيْتُهُ ... بَأَوْكَدِ أَسْبَابِ الْهَوَىْ وَرَعَانِيْ
وَكُنْتُ أُرَجِّي أَنْ أَكُوْنَ فِدَاءَهُ ... فَلَمَّا أَتَى وَقْتُ الْحِمَامِ فَدَانِيْ

---

(١) «الأغاني» الجزء التاسع ص ٣٢ و«الديارات» للشابشتي ص ١١٢.
(٢) «الديارات» للشابشتي ص ١١٢.

قال: ثم حضرتُ معه لزيارة قبرِها، فلَّما همَّ بالانصراف، قال:

سَكَنُوا الْبِلَى[1]

مَنْ زَارَ دَارَ أَحِبَّةٍ لِحَيَاتِهِمْ   وَلِمَا يُؤَمَّلُ مِنْ لِقَاءٍ يُقْدَرُ

فَلْيَأْتِ دَارَ أَحِبَّةٍ سَكَنُوا الْبِلَى   كَرَمَاً وَحِفْظَاً وَالْلِقَاءُ الْمَحْشَرُ

ومات ابنٌ لعبيد الله من «شاجي» فزار قبرَهُ، ثم أنشدَ:

مَجْمَعَ الأَحْبَابِ[2]

أَيَا مَجْمَعَ الأَحْبَابِ بَعْدَ تَفَرُّقٍ
أَرَاكَ قَرِيْبَاً وَالتَّلاقِيْ شَاسِعَا
فَيَا عَجَبَاً أَنِّيْ أَزُوْرُكَ مُكْرَهَاً
وَفِيْكَ الأُلَى أَهْوَىْ وَأَجْفُوْكَ طَائِعَا

بَعْدَكِ[3]

أَسَرُّ أُمُوْرِ الدَّهْرِ صَارَ أَغَمَّهَا
وَكُلُّ جَدِيْدٍ صَارَ بَعْدَكِ بَالِيَا
فَأَعْجَبُ مِنْ شَهْدٍ تَحَوَّلَ عَلْقَمَاً
وَمِنْ ضَاحِكٍ لَمْ يَعْدُ أَنْ ظَلَّ بَاكِيَا

---

(١) «الديارات» ص ١١٢.

(٢) «الديارات» ص ١١٢.

(٣) «الديارات» ص ١١٥.

وَبَيْنَا ![1]

وَبَيْنَا الْفَتَى يَبْكِيْ وَيَنْدُبُ شَجْوَهُ
وَمَأْلُوْفَهُ إِذْ صَارَ يُبْكَى وَيُنْدَبُ

التُّرْبُ دُوْنَهُمْ[2]

وَقَعْتُ عَلَى الأَحْبَابِ وَالتُّرْبُ دُوْنَهُمْ
بِنَفْسِيْ وُجُوْهٌ تَحْتَ تِلْكَ الْمَقَابِرِ
وَمَثَّلَ لِيْ مَا نَالَ مِنْ حِسْنِهَا الْبِلَىْ
فَسُبْحَانَ رَبِّي عَالِمَاً بِالسَّرَائِرِ

---

(١) «الديارات» ص ١١٥.
(٢) «الديارات» ص ١١٥.

الرَّاضِيْ بِالله

(٢٩٧ - ٣٢٩ هـ = ٩١٠ - ٩٤٠ م)

محمد بن المقتدر بالله المعروف بالرَّاضِيْ بالله. خليفةٌ عبَّاسِيٌّ كانت أيَّامُ سلفيه «القاهر والمقتدر» أيَّامَ ضَعْفٍ امتنع فيها أمراءُ البلاد عن الطاعة واستقلَّ كثيرٌ من الولاة بولاياتهم، ولما وُلِّيَ حاول إصلاح الأمر فلم ينجح، فتفككت عُرى الدولة في أيامه. وختم الخلفاء في صفات عدَّة، منها أنه آخر خليفة له شعر مُدوَّنٌ، وآخر خليفة كان يجيد الخطبة على المنبر يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال. مات في بغداد ودفن في الرصافة. وإليه تنسب الدراهم «الراضوية»[١] وأوَّلُ من جمع شعره معاصرُه «أبو بكر الصولي» المتوفى ٣٥٣ هجرية في كتاب «الأوراق» ويقول في ذلك: «كان رضي الله عنه جمع شعره وأملاه عليَّ، فكتبتُهُ بحضرة الجلساء في يوم وليلة، لا أقوم عنه إلا إلى صلاة فوصلني على ذلك. ونسخ الجلساء هذه النسخة وهي عندهم. فنظرتُ فيها فإذا فيها أشياءُ فقلتُ له من حيث لا يسمعني أحد: يا سيِّدي هذا شعر يبقى على الأبد.»[٢] ومن شعره ما قاله في رثاء جارية مغنية كان لها موقع من قلبه:

---

(١) «الأعلام» الجزء السادس ص ٧١.

(٢) كتاب «الأوراق» لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي توفي ٣٣٥ هـ نشره ج هيورث دن مطبعة الصاوي مصر ١٩٣٦ الجزء الثاني أخبار الراضي بالله ص ١٥٤.

لَوْ كَانَ يَفْدِي الْمَيْتَ حَيٌّ[1]

وقَالُوا اصْطَبِرْ فَالصَّبْرُ شَيْءٌ عَدِمْتُهُ
لِفَقْدِيَ صَفْوَ الْعَيْشِ مِنْ مُنْيَةِ النَّفْسِ

عَدِمْتُ الكَرَى لَمَّا عَدِمْتُ بَدائِعاً
جَعَلْنَ قِرَى نَفْسِي بِحَلْقِكِ وَالْجَسِّ

لَقَدْ كُنْتِ إِنْ غَنَّيْتِ أَغْنَيْتِ لَذَّتِيْ
بَصَوْتٍ يُعِيْرُ السَّمْعَ رِبْحاً بِلا وَكْسِ

أَرَقُّ مِنَ الشَّكْوَى وَأَحْلَى مِنَ الْمُنَى
وَأَرْوَحُ مِنْ أَمْنٍ وَأَلْطَفُ مِنْ حِسِّ

لَعَمْرِي لَئِنْ أَصْبَحْتِ سَعْدِي وَفِيكِ لِي
رَجاءٌ لَقَدْ أَمْسَيْتِ بِاليَأْسِ لِي نَحْسِي

فَلَوْ كَانَ يَفْدِي الْمَيْتَ حَيٌّ فَدَيْتُهَا
بِنَفْسِي وَفَاءً غَيْرَ نَقْصٍ وَلاَ بَخْسِ

---

(١) «الأوراق» أخبار الراضي بالله ص ١٧٥.

تَمِيْمُ الْفَاطِمِيُّ

(٣٣٧ - ٣٧٤ هـ = ٩٤٨ - ٩٨٥م)

الأمير أبو علي، تميم بن المعزّ بن المنصور بن القائم بن المهدي الفاطمي، شاعر ألفاظه فصيحة، وتراكيبه سهلة، مقتدر في التشبيهات والاستعارات يذهب فيها مذهب ابنِ المعتز، وفنونُهُ هي: الغزل والمدح والرِّثاء والوصف والفخر، وله طرديات وعتاب وشكوى، وشعره يتطابق مع حياته وثقافته. ولد في «المهدية» بتونس. كان أبوه صاحب المغرب والديار المصرية، وفي سنة ٣٦٢ هـ وصل «المعزّ» وأسرته، وفيهم «تميم» وأركان دولته إلى مصر بعد أن ضمّها «جوهر الصقلّي» إلى أملاك الدولة الفاطمية، وبنى القاهرة. لم يلِ تميم المملكة مع أنه كان أكبر إخوته لانصرافه إلى شؤؤون أخرى، فقد تربّى في أحضان النعيم، ومال إلى الأدب، ونظم الشِّعْر الرقيق، واتخذ في مصر بساتين وقصوراً، فجعل أبوه ولاية العهد لأخيه عبد الله، ولكنَّهُ توفيَ في حياة أبيه وكان «نزار» أخو «تميم» قد استكمل خلال الفضل، فنصَّبه أبوه إماماً بعده، ثم ساءت العلاقة بينهما بسبب الوشاة، فنفى «نزار» أخاه «تميماً» إلى الرحلة «فلسطين»، ثم ترضَّى عنه وأعادَهُ. توفى «تميم» في القاهرة، ودفن في الحجرة التي فيها قبر أبيه.

ذَكَرْتُكِ بِالرَّيْحَانِ[1]

ذَكَـرْتُـكِ بِـالـرَّيْـحَـانِ وَالـرَّاحِ ذِكْـرَةً
مُـرَدَّدَةً كَـادَتْ لَـهَـا الـنَّـفْـسُ تُـزْهَـقُ

فَـلَـمَّـا تَـنَـاوَلْـنَ الْـغِـنَـاءَ شَـوَادِيَـا
وأَتْبَعَ مَزْمُوْمَاً مِنَ الضَّرْبِ مُطْلَقُ

تَتَبَّعْتِ الْعَيْنَانِ شَخْصَكِ فِيْهِمُ
فَلَـمَّـا نَـأَىْ ظَـلَّـتْ دُمُـوْعِـيْ تَـرَقْـرَقُ

إِلَى اللهِ أَشْكُوْ فَقْدَهَا مِثْلَ مَا شَكَا
إِلَى اللهِ فَقْدَ الْمَاءِ عَطْشَانُ مُوْثَقُ

كَـأَنَّ فُـؤَادِيْ مُـنْـذُ بَـانَ بِـهَـا الـرَّدَى
جَنَاحٌ وَهَـتْ أَجْـزَاؤُه فَـهْـوَ يَـخْـفُـقُ

---

(١) «الأدب في العصر الفاطمي» محمد زغلول سلام منشأة المعارف الأسكندرية بدون تاريخ ص ٦٧ وديوانه: «ديوان بن تميم بن المعز لدين الله الفاطمي» تحقيق أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، محمد كامل حسين طبعة دار الكتب مصر ١٩٥٧ ص ٣٠٣.

الوَأْوَاءُ الدِّمَشْقِيُّ

(٣٨٥ هـ = - ٩٩٥ م)

محمَّد بن أحمد وقيل محمد بن محمد أبو الفرج الوأواء الغساني الدمشقي. شاعرٌ مطبوعٌ مُنْسجمُ الألفاظ عذبُ العبارة حَسَنُ الاستعارة جيِّدُ التشبيه بنى الحريري مقامة على قوله:

وَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤاً مِنْ نَرْجِسٍ فَسَقَتْ
وَرْداً وَعَضَّتْ عَلَى الْعَنَّابِ بِالْبَرَدِ

في معانيه رقَّة، كان مبدأ أمره منادياً بدار البطيخ في دمشق. ولقب «بالوأواء» لأنه كان يصيح يومه ليبيع الخضرة والفاكهة. وهو من شعراء سيف الدولة الحمداني[١].

وقال عنه ابن بسَّام: «من حسنات الشام، وصاغة الكلام، ومن عجيب شأنه أنه كان بدار بطيخ دمشق ينادي على الفواكه، وما زال يشعر حتى جاد شعرُهُ وسارَ كلامُهُ ووقع ما يروق، ويشوق ويفوق، حتى تعلَّق بالعيوق[٢]».

---

(١) «الوافي بالوفيات» جزء ٢ ص ٥٣.

(٢) «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام «أبي الحسن بن بسام الشنتريني المتوفى ٥٤٢» تحقيق إحسان عباس/ دار الثقافة/ بيروت ١٩٩٧م الجزء الرابع ٥٧٤.

لَحْدُهَا فِي الْقَلْبِ[1]

سِلْكَانِ لِلدَّمْعِ مَحْلُوْلٌ وَمَعْقُوْدُ

عَلَى الَّتِيْ لَحْدُهَا فِي القَلْبِ مَلْحُودُ

مَا سَوَّدَ الْحُزْنُ مُبْيَضَّ السُّرُوْرِ بِهَا

إلا وَأَيَّامُ عُمْرِيْ بَعْدَهَا سُوْدُ

عَنَّتْ يَدُ الدَّمْعِ في خَدِّي عِنَانَ دَمٍ

كَأَنَّهُ مِنْ أَدِيْمِ الْقَلْبِ مَقْدُوْدُ

مَا اسْتَعْبَرَ الغَيْثُ إلا عِنْدَ عَبْرَتِهِ

فَخَدُّ وَجْهِ الثَّرَى لِلْغَيْثِ مَخْدُوْدُ

مَنْ لِيْ بِرَحْمَةِ قَلْبٍ لَيْسَ يَرْحَمُنِيْ

كَأَنَّ نُقْصَانَ وَجْدِيْ فِيْهِ تَزْيِيْدُ

تُوَلِّدُ النَّارُ فِيْهِ مَاءَ سَلْوَتِهِ

فَاعْجَبْ لِنَارٍ لَهَا فِي الْمَاءِ تَوْلِيْدُ

كَمْ بِتُّ أَرْجُمُ أَعْضَائِي بِجَمْرِ غَضاً

وَالفَجْرُ فِيْ صَفَدِ الظَّلْمَاءِ مَصْفُوْدُ

نامَتْ عُيُوْنُ عُداتِيْ إِذْ زَفَرْتُ وَلِيْ

مِنْ مَغْمَدِ الدَّمْعِ في عَيْنَيَّ تَجْرِيْدُ

---

(١) «ديوان الوأواء الدمشقي» أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني، جمعه: أغناطيوس كراتشوفسكي مطبعة بريل / ليدن ١٩١٣ ص ٥٥، وكذلك ديوانه بتحقيق سامي الدهان نشر دار صادر/ بيروت ١٩٩٣.

لَوْلا عَلائِقُ بَيْنٍ مِنْكِ تَعْلَقُ بي
لَقُلْتُ إنَّ اقْتِرَابِيْ مِنْكِ تَبْعِيْدُ

وَلَيْتَ بَعْدَكِ تَسْوِيْدُ البَيَاضِ فَلِيْ
بِالدَّمْعِ فِي صُحُفِ الأَحْزَانِ تَسْوِيْدُ

فَمَا صَفا كَدَرُ الدُّنْيا لِمُصْفِيَةٍ
ما جاهَدَتْ فِيْكِ أنْفَاسِي الْمَجَاهِيْدُ

إِنْ أَزْمَعَتْ عَنْكِ صَبْراً أُبْدِلَتْ بِجَوىً
مَعْدومُهُ بِكِ طُولَ الدَّهْرِ مَوْجودُ

لازالَ خدِّي تَرِيْباً فَوْقَ تُرْبَتِهَا
مَا دَارَ فِيْ خَلَدِ الأَيَّامِ تَخْلِيْدُ

جَبُنْتُ مِنْ عَسْكَرَيْ دَمْعِيْ فَشَجَّعَنِيْ
قَلْبٌ لَهُ فِي انْحِدَارِ الدَّمْعِ تَصْعِيْدُ

مَتَى يُبُالِي ثَرَىً أَنْ لا يَرَى مَطَراً
فَمُسْبَلُ الدَّمعِ مِنِّي وَهْوَ مَوْرُوْدُ

هَا قَدْ تَأَمَّلْتُ بالعُتْبى الَّتِيْ سَلَفَتْ
أَنْ لا يُعاوِدَنِي مِنْ بَعْدِها عِيْدُ

ودَّعْتُها وَبِنَحْري مِنْ مَدَامِعِها
نَحْرٌ وَفِيْ جِيْدِهَا مِنْ مَدْمَعِي جِيْدُ

فَبَرَّدَتْ حَرَّ أَنْفَاسِيْ عَلَى بَرَدٍ
كَأَنَّهُ مِنْ صَدِيْدِ النَّفْسِ مَصْدُوْدُ

وَاسْتُدْعِيَتْ فأَجابَتْ بَعْدَ مَا ظَهَرَتْ
في وَجْنَةِ الْفَجْرِ قَبْلَ الصُّبحِ تَوْرِيْدُ
وصُوِّرَتْ في مِرَآةِ الأُفقِ صُوْرَتُهَا
فَلِيْ إِلَيْهَا برُسْلِ اللَّحْظِ تَرْدِيْدُ
جَاهَدْتُ بِالصَّبْرِ في إِثْرِ العَزَاءِ فَمَا
رَجَعْتُ إلا وَصَبْرِي عَنْكِ مَفْقُوْدُ

ابنُ عَبْدُوْن الورَّاق

محمَّد بن عبدون الورَّاق السوسي من أكابر القيروان لَكِنْ أبوهُ سكنَ «سوسة» قال ابنُ رشيق هو شاعر وطي الكلام كلفَ بعذوبة اللفظ والمعنى البعيد يتسلَّك إليه بلطافة، ارتحل سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة إلى ثقة الدولة يوسف وامتدحه وأحسن إليه وأضافه إلى ولده جعفر ومن شعره، يرثي جاريته وابنه[1]:

قَبْرُ «بِسُوْسَةَ» قَدْ قَبَرْتُ بِهِ النُّهَى[2]
أدْرَجْتُ لَـحْدِيْ فِيْ مَـدَارِجِ لَـحْدِهِ

أَسْكَنْتُهُ سَكَنِيْ وَرُحْتُ كَأَنَّنِيْ
فِي الأَرْضِ لا بَشَراً أرَىْ مِنْ بَعْدِهِ

عَـجَـباً لِـمَـنْ أَلْـقَـىْ عَـلَـيْـهِ رِدَاءَهُ
أوْ مَـدَّ كَـفَّـاً فِـي الـصَّـعِـيْـدِ لِـرَدِّهِ

---

(١) «الوافي بالوفيات» المجلد الثالث ص ٢٠٦ باعتناء: س ديدرينغ، دار النشر: فرانز شتاينر، فيسبادن الطبعة الثانية ١٩٧٤. و«زهر الأكم في الأمثال والحكم» لليوسي الحسن بن مسعود بن محمد ١٠٤٠ - ١١٠٢ هـ حققه الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الأخضر دار الثقافة/ المغرب ١٩٨١ الجزء الثاني ص ٢٤ الأبيات الخمسة الأولى.

(٢) في «زهر الأكم» يورد اليوسي خمسة أبيات وترد كلمة «الفتى» في آخر صدر البيت الأول مكان «النهى» ورواية الصفدي أرجح.

صُمَّتْ عَلَيَّ مَسَامِعِيْ فِيْ وَجْهِهِ
وَصُعِقْتُ مِنْ صَعْقِ الصُّرَاخِ وَرَعْدِهِ[1]
وَجَهِدْتُ أَنْ أَبْكِيْ فَلَمْ أَجِدِ الْبُكَا
فَسَكَتُّ سَكْتَةَ صَارِمٍ فِيْ غِمْدِهِ
هَبْنِيْ بَكَيْتُ لَهُ وَمَا يَجْدِي الْبُكَا؟
مَاءٌ بِخَدِّيْ وَالتُّرَابُ بِخَدِّهِ
مَا الشَّأْنُ فِيْ جَزَعِيْ عَلَيْهِ وَحَسْرَتِيْ
الشَّأْنُ فِيْ قُرْبِ الْخَيَالِ وَبُعْدِهِ
طَالَ انْتِظَارِيْ لِلْهُدُوْءِ وَلَيْسَ لِيْ
جَفْنٌ يُطَابِقُ جَفْنُهُ فِي بَرْدِهِ
هَيْهَاتِ قَدْ مَنَعَ الْهُدُوْءَ لِنَاظِرِيْ
قَبْرَانِ ذَا وَلَدٌ وَذَاكَ لِوِدِّهِ[2]

---

(١) في «الوافي الوفيات»: رقّه محلّ وجهه، وضعفت محل وصعقت ولعلها اختلاف في التصحيف والتحقيق.

(٢) في «الوافي بالوفيات»: الهدوّ محل الهدوء.

الشَّرِيْف الرَّضِيُّ

(٣٥٩ - ٤٠٦ هـ = ٩٦٩ - ١٠١٥ م)

أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالشريف الرضي يُعرف بأشعر الهاشميين على كَثرة المجيدين فيهم، ويقال بل هو أشعرُ قريش، ويسمِّيه أدباء عصره «النائحة الثكلى» لفرط الرقَّة في شعرِهِ، وقال الصَّفدي: أنه ليس لقرشيٍّ كَثْرةُ جيِّدِهِ، وقال عنه الثعالبي في «اليتيمة» «هو اليوم أبدع أبناء الزمان، وأنجبُ سادة العراق، يتحلَّى مع محتدِّهِ الشريف، ومفخره المنيف، بأدبٍ ظاهرٍ وفضلٍ باهر، وحظٍّ من جميع المحاسن وافرٍ، ثم هو أشعر الطالبيين، من مضى منهم ومن غَبرَ على كَثْرَةِ شعرائهم المفلقين«كالجماني» و«ابن طباطبا» و«ابن الناصر» وغيرهم، ولو قلتُ إنَّهُ أشعرُ قريش لم أبعدْ عن الصدق، وسيشهد بما أجريهُ من ذكره شاهدُ عدلٍ من شعرهِ العالي القَدَح، المُمتنع عن القَدِح، الذي يجمعُ إلى السلاسة مَتانةً، وإلى السهولة رصانةً، ويشتمل على معانٍ يقربُ جَنَاها، ويبعدُ مَدَاها.[1]»

انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده. وله ديوان شعر في مجلدين، وكتبٌ منها: «الحَسَن من شعر الحسين» وهو مختارات من

---

(١) «يتيمة الدهر» الجزء الثالث ص ١٥٥.

شعر «ابنِ الحجاج» في ثمانية أجزاء، و«المجازات النبوية» و«مجاز القرآن» و«مختار شعر الصابئ» و«مجموعة ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابئ من الرسائل»

توفي ببغداد ودفن بداره أولاً ثمَّ نقل رفاته ليدفن في جوار الحسين بكربلاء.

مرثيتاه العاطفيتان الخاصتان هنا تجسِّدان ذلك الحزن العالي والرقَّة التي لا تضاهى.

يَا دِيْنَ قَلبِيْ[1]

ذَكَــرْتُــكِ ذَكْــرَةَ لاْ ذَاهِــلِ وَلاْ نَــاْزِعٍ قَــلْـبُـهُ وَالْـجَـنَـاْنُ

أُعَـاوِدُ مِـنْـكِ عِـدَادَ الـسَّـلِـيْـمِ فَيَا دِيْنَ قَلبِيَ مَاذا يُدَانُ[2]؟

عَـواطِـفُ مِـنْ مُـقـلِـقـاتِ الـغَـرامِ يَـوْمَ دُمُـوْعِـي بِـهَـا أَرْوِنَـانُ[3]

وَيَأْبَى الْجَوَى أَنْ أُسِرَّ الْجَوَى إِذَا مُلِئَ الْقَلْبُ فَاضَ الْلِسَانُ

وَما خَـيْـرُ عَـيْـنٍ خَـبَـا نُـوْرُهَـا وَيُمْنَى يَدٍ جُذَّ مِنْهَا الْبَنَانُ[4]

فَـيَـا أَثَـرَ الْـحُـبُّ أَنَّـى بَـقِـيْـتَ وَقَدْ بَانَ مِمَّنْ أُحِبُّ الْعِيَانُ؟

وَقَـالُـوا: تَـسَـلَّ بِـأَتْـرَابِـهَـا فَأَيْنَ الشَّبَابُ؟ وَأَيْنَ الزَّمَانُ؟

---

(١) «ديوان الشريف الرضي» شرح الدكتور محمود مصطفى حلاوي شركة الأرقم بن أبي الأرقم/ بيروت/ لبنان ١٩٩٩الجزء الثاني/ ص ٤٠٤.

(٢) عداد: وقت الموت، والسليم: اللديغ، ودين القلب: دواؤه.

(٣) الأرونان: الصوت، أي: دموع صائتة.

(٤) جُذَّ: قُطِعَ.

كَأَنَّكَ مِنْ عَيْنِي نَقَلْتَ إِلَى قَلْبِي[1]

عَلَى أَيِّ غَرْسٍ آمَنُ الدَّهْرَ بَعْدَما
رَمَى فَادِحَ الأَيَّامِ فِي الْغُصْنِ الرَّطْبِ
ذَوَىْ قَبْلَ أَنْ تَذْوِي الْغُصُونُ وَعَهْدُهُ
قَرِيْبٌ بِأَيّامِ الرَّبِيْلَةِ وَالخِصْبِ[2]
كَفى أَسَفاً لِلْقَلْبِ مَا عِشْتُ أَنَّنِي
بِكَفِّي عَلى عَيْنِي حَثَوْتُ مِنَ التُّرْبِ
جَرَتْ خُطْرَةٌ مِنْهَا وَفي الْقَلْبِ عَطْشَةٌ
رَفَعْتُ لَهَا رَأْسِيْ عَنِ الْبَارِدِ الْعَذْبِ
وَقُلْتُ لِجَفْنِي: رُدَّ دَمْعَاً عَلى دَمٍ
وَلِلْقَلْبِ: عَالِجْ قَرْحَ نَدْبٍ عَلى نَدْبِ
وَمِمَّا يُطِيْبُ النَّفْسَ بَعْدَكَ أَنَّنِي
عَلى قَرَبٍ مِنْ مَاءِ وِرْدِكَ أَوْ قُرْبِ[3]
أَلاْ لاْ جَوَىً مُسَّ الْفُؤادَ كَذْا الْجَوىْ
وَلا ذَنْبَ عِنْديْ لِلزَّمَانِ كَذا الذَّنْبِ
خَلا مِنْكَ طَرْفِي وَامتَلاْ مِنْكَ خَاطِرِيْ
كَأَنَّكَ مِنْ عَيْنِي نَقَلْتَ إِلَى قَلْبِيْ

---

(١) «ديوانه» الجزء الأول ص ٢٣٧ قال يرثي «أمرأ يخصه» وفي مختارات البارودي الجزء الثالث ص ٦٦٤ «قال يرثي امرأة تخصه» انظر مختارات البارودي حققها وشرحها مجموعة من الباحثين بإشراف الدكتور محمد مصطفى هدارة، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ بالإشتراك مع مؤسسة البابطين.

(٢) الرَّبِيْلة: النعمة.

(٣) القَرَبُ: أن لا يكون بينك وبين الماء أكثر من ليلة واحدة، والقُرْبُ: الدنوُّ.

الأَمِيْرُ الْمُسْبَحِيّ

(٣٦٦ - ٤٢٠ هـ = ٩٧٧ - ١٠٢٩ م)

محمد بن عبيد الله بن أحمد الْمُسْبَحيّ، أحد الأمراء المصريين وكُتَّابهم وفضلائهم صاحب التاريخ المشهور، من أُسرة حرَّانية الأصل، نزلت مصر قبل قيام الدولة الفاطمية كان على زيٍّ الأجناد واتصل بخدمة الحاكم بأمر الله الفاطمي، وكانت بينهما مجالس ومحاضرات، دوَّنها المسبحي في تاريخه الكبير، كان عالماً كبيراً ورجلاً شجاعاً، من الشخصيات التي اعتمدتها الدولة الفاطمية في أيّام قوَّتها وعظمتها، وقد كرَّس معظمَ جهده العلمي لكتابة تاريخ مصر وأخبارها.

وكان عالماً متعدِّد الفنون، طليقَ اللسان؛ وبعد وفاة «الحاكم بأمر الله» سنة«٤١١ هـ» اعتزل المسبحي الحياة السياسية وتفرَّغ للكتابة، فصنَّف كتباً عديدة في الأَدب والجغرافية والنجوم والاجتماع، بلغت نحو الثلاثين مصنَّفاً، أكثرها مصنّفات كبيرة في عدّة أجزاء؛ وكلّ هذا التراث مفقود سوى جزء واحد من التاريخ، وما اقتبسه المتأخِّرون عنه، وللمسبحيِّ أشعار رقيقة نقل بعضها ابنُ خلّكان، منها قوله في رثاء زوجته[1] :

---

(١) «وفيات الأعيان» الجزء الرابع ص ٣٧٧ و«الوافي بالوفيات» المجلد الرابع ص ٨ باعتناء س دي رينغ نشر ١٩٧٤ و«مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان» لليافعي عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي ٦٩٨ - ٧٦٨ هـ وضع حواشيه خليل المنصور دار الكتب العلمية/ بيروت ١٩٩٧ =

لَيْتَ الْمَوْتُ أَذْهَبَنَا مَعَا

أَلا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ قَلْبٌ تَقَطَّعَا ... وَفَادِحَةٌ لَمْ تُبْقِ لِلْعَيْنِ مَدْمَعَا

أَصَبْراً وَقَدْ حَلَّ الثَّرَىْ مَنْ أَوَدُّهُ ... فَلِلْهِ هَمٌّ مَا أَشَدَّ وَأَوْجَعَا

فَيَا لَيْتَنِيْ لِلْمَوْتِ قُدِّمْتُ قَبْلَهَا ... وَإِلا فَلَيْتَ الْمَوْتُ أَذْهَبَنَا مَعَا

= الجزء الثالث ص ٢٩ وفيات سنة ٤٢٠ و«المقفى الكبير للمقريزي» أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقريزي ٧٦٦ - ٨٤٥ هـ الجزء السادس ١٦٥ تحقيق محمد البعلاوي دار الغرب الإسلامي ١٩٩١.

الشَّريْفُ الْمُرْتَضَى

(٣٥٥ - ٤٣٦ هـ / ٩٦٦ - ١٠٤٤ م)

أبو القاسم علي بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان نقيب الطالبيين بعد أخيه «الشريف الرضي» المتقدِّمُ ذكره، وكان إماماً في علم الكلام، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر مولده ووفاته ببغداد.

وكثيرٌ من مُترجميه يَرَوْنَ أنَّه هو جامع «نهج البلاغة» لا أخوه الشَّريف الرَّضِيّ. وثمة من يرى أنه كان مِمَّن يقولون بالاعتزال، نسبةً للمعتزلة، وكان من المتبحِّرين في الكلام والأدب كثيرَ الإطلاع والجَدَل[1].

له مؤلفاتٌ كثيرةٌ منها «الغُرر والدُّرَر» ويعرفُ بأمالي المُرْتضى، و«الشهاب بالشيب والشباب»، و«تنزيه الأنبياء» و«الانتصار» فقه، و«تفسير العقيدة المذهَّبة» شرح قصيدة للسيد الحميري، إضافة إلى ديوانه.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي شمس الدين بن محمد بن أحمد ٦٧٣ - ٧٤٨ هـ الذهبي/ مؤسسة الرسالة/ حققه وخرج أحاديه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي/ الطبعة الحادية عشرة ١٩٩٦ الجزء ١٧ ص ٥٨٩.

هَلْ أتَاهَا كَيْفَ حُزْنِيَ بَعْدَها؟[1]

أَلا هَلْ أتَاهَا كَيْفَ حُزْنِيَ بَعْدَهَا
وَأنَّ دُمُوْعِيْ لَسْتُ أَمْلِكُ رَدَّهَا

تَفِيْضُ عَلى عَيْنٍ مَرَى الْوَجْدُ مَاءَهَا
وَلَمْ تَسْتَطِعْ أنْ يَغْلِبَ الصَّبْرُ وَجْدَهَا[2]

غَزِيْرَةُ أَنْوَاءِ الْجُفُوْنِ كَأَنَّهَا
تَنَاهَتْ إلَى بَعْضِ الْبِحَارِ فَمَدَّهَا

وَقَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِ الْفِرَاقِ أَهَابُهُ
كَمَا هَابَ ظُلْمَانُ الصَّرِيْمَةِ أُسْدَهَا[3]

وَأُشْفِقُ مِمَّا لا مَحَالَةَ وَاقِعٌ
وَهَلْ لِلْمَنَايَا قَادِرٌ أنْ يَرُدَّهَا

كَأنِّيَ لَمَّا أنْ سَمِعْتُ نَعِيَّهَا
أَنَاخَ عَلَى الأَحْشَاءِ فَارٍ فَقَدَّهَا[4]

وَلَمْ أَسْتَطِعْ فِي رُزْئِهَا عَطَّ مُهْجَتِي
وَأَجْلَلْتُهُ عَنْ أنْ أُمِزِّقَ بُرْدَهَا[5]

---

(١) «ديوان الشريف المرتضى» تحقيق رشيد الصفار - مراجعة الدكتور مصطفى جواد/ طبعة عيسي البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٨ الجزء الأول ص ٢٤٨.

(٢) مرى: استدرَّ. وأخرج.

(٣) الظُّلْمَانُ: جَمْعُ ظَلِيْمٍ، وهُوَ ذَكَرُ النَّعام«الإبل» والصَّرِيْمَةُ: الأرضُ المحصودُ زرعُها.

(٤) الفاري: الشقُّ، وهو هنا كناية عن السيف.

(٥) عَطَّ الثَّوبَ: شَقَّهُ طُولاً، ومنه قول الشاعر:

من بَني عامِرٍ لها شَطْرُ قَلْبي   قِسْمَةً مثلَ ما يُعَطُّ الرِّداءُ

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّنِيْ لَمْ أَجِدْ لَهَا
عَلَى خِبْرَتِيْ شَيْئَاً يُهَوِّنُ فَقْدَهَا
وَأَنِّيَ لَمَّا أَنْ قَضَى اللهُ هُلْكَهَا
عَلَى قَلْبيَ الْمَحْزُوْنِ بُقِّيْتُ بَعْدَهَا
حَتَى يَوْمُهَا الْغَادِيْ كُهُوْلَ عَشِيْرَتِيْ
عَلَى جَلَدٍ فِيْهِمْ وَشَيَّبَ مُرْدَهَا
وَحَطَّ الرِّجَالَ الشُّمَّ مِنْ كُلِّ شَامِخٍ
يُلاقُوْنَ بِالأَيْدِيْ مِنَ الأَرْضِ جِلْدَهَا
وَقَلَّصَ عَنْهَا الْعِزُّ ما فُدِحَتْ بهِ
فَتَحْسَبُ مَوْلاهَا مِنَ الذُلِّ عَبْدَهَا
فَكَمْ كَبِدٍ حَرَّى تَقَطَّعَ حَسْرَةً
وَكَمْ عَبْرَةٍ قَدْ أَقْرَحَ الدَّمْعُ خَدَّهَا
حَرَامٌ وَقَدْ غُيِّبْتِ عَنِّيَ أَنْ أَرَىْ
مِنَ الْخَلْقِ إلّا نَظرةً لَنْ أَوَدَّهَا
وَسِيَّانَ عِنْدِي أَنْ حَبَتْنِيْ خَرِيْدَةٌ
بِوَصْلٍ يُرجَّى أَوْ حَبَتْنِيَ صَدَّهَا
وَهَيْهَاتَ أَنْ أُلْفَى أُرَقِّحُ صَرْمَةً
وَأَطْلُبُ مِنْ دَارِ الْمَعِيْشَةِ رَغْدَهَا[1]

---

(١) الرَقاحَةُ: الكَسْبُ والتِجارة. وفلانٌ يَتَرَقَّح لِعِياله، أي يتكسَّب. وتَرقيحُ المالِ: إصلاحه والقِيامُ عليه. تقول: فلانٌ رَقاحيُّ مالٍ. قال الحارثُ بن حِلِّزة:
يَتْرُكُ ما رقَّحَ من عَيْشِهِ   يَعيثُ فيه هَمَجٌ هامِجُ   =

وَمِنْ أَيْنَ لِيْ فِيْ غَيْرِهَا عِوَضٌ بِهَا

وَقَدْ أَحْرَزَتْ سُبْلَ الْفَضَائِلِ وَحْدَهَا

أُسَامُ التَّسَلِّي وَهْوَ عَنِّيْ بِمَعْزِلٍ

وَكَيْفَ تُسَامُ النَّفْسُ مَا لَيْسَ عِنْدَهَا؟

وَبَيْنَ ضُلُوْعِيْ يَا عَذُوْلُ نَوَافِدٌ

أَبَى العَذْلُ وَالتَّأْنِيْبُ لِيْ أنْ يَسُدَّهَا

وَوِدِّيْ بَأَنَّ اللهَ يَوْمَ اِخْتِرَامِهَا

تَخَرَّمَ مِنْ جَنْبَيَّ مَا حَازَ وُدَّهَا[1]

وَإِنِّيَ لَمَّا غَالَهَا الْمَوْتُ غَالَنِيْ

فَبُعْداً لِنَفْسِيْ إِذْ قَضَى اللهُ بُعْدَهَا

أَفي كلِّ يَوْمٍ أَيُّهَا الدَّهْرُ نَكْبَةٌ

تَكُدُّ حَيَازِيْمِيْ فَأَحْمِلُ كَدَّهَا[2]

بَلَغْتُ أَشُدِّيْ لاْ بَلَغْتُ وَجِزْتُهُ

وَأَعْجَلْتُهَا مِنْ أنْ تَجُوْزَ أَشُدَّهَا

= والصَّرْمَةُ، قَطِيْعُ الإبِلِ، حِيْنَ يكونُ عَدَدُها ما بين الثَّلاثِيْنَ إلَى الْخَمسِيْن، تُسَمَّى صَرْمَة.

(١) اخْتِرامُها: موتها وذهابُها، تقول العرب: واخْتَرَمَتْهُ المَنِيَّةُ من بين أصحابه: أَخَذَتْهُ من بينهم.

(٢) الحيازيم: جمعُ حَزيمُ: موضع الحِزامِ من الصدر والظهرِ كله ما استدار، ويقال: قد شَمَّر وشدَّ حَزيمَهُ: قال أحيحة بن الجلاح مُخاطباً ابنه، وتروى ايضاً للإمام علي بن أبي طالب:

أشدُد حَيازيمَكَ لِلمَوتِ   فَإنَّ المَوتَ لاقيكَ

فَفُزْتُ بَأَسْنَى مَا حَوَتْهُ رَوَاجِبِيْ

وَجَاوَزْتُ في أمِّ الْمَصِيْبَاتِ حَدَّهَا[1]

فَيَا قَلْبُ لِمْ أَنْتَ الْجَلِيْدُ كَأَنَّمَا

تُحَادِثُكَ الأَطْمَاعُ أنْ تَسْتَرِدَّهَا؟

وَمَا كُنْتُ أَهْوَى أَنَّكَ الْيَوْمَ صَابِرٌ

وَيَدْعُوْكَ فِتْيَانُ الْعَشِيْرَةِ جَلْدَهَا

أَلَيْسَ فِرَاقَاً لا تُلاقِيَ بَعْدَهُ

وَغَيْبَةَ سَفْرٍ لا يُرَجَّوْنَ وَفْدَهَا

ألا فَالبَسِ الأَحْزَانَ لِبْسَةَ قَانِعٍ

بَأَثْوَابِهِ لاْ يَبْتَغِيْ أَنْ يُجِدَّهَا

وَصمَّ عنِ الْمُغْرِيْنَ بالصَّبْرِ إنَّهُمْ

يُطَفُّوْنَ نَاراً أَلْهَبَ اللهُ وَقْدَهَا

وَقَبْلَكَ مَا نَالَ الزَّمَانُ مُعَلَّقَاً

بِأَجْبَالِ «رَضْوَى» يَرْتَعِيْ ثَمَّ مَرْدَهَا[2]

تَوَاعَدَ في شَمَّاءَ يَرْقُبُ مُزْنَةً

تَصُوْبُ عَلَيْهِ أَعْذَبَ اللهُ وِرْدَهَا[3]

وَتَلْقَاهُ خِلْوَاً لا يُطَالِعُ رِيْبَةً

وَلا يَتَّقِيْ خِطْءَ الْلَّيَالِي وَعَمْدَهَا

---

(١) الرَّواجبُ: مفاصل الأصابع.

(٢) رضوى: جبالٌ في المدينة، والمرد: شجر الأراك الغض.

(٣) الصَّوبُ: نزول المطر.

وَدَاءُ الرَّدَى أَفْنَى ظِبَاءَ سُوَيْقَةٍ

وَطَيَّرَ عَنْ أَجْزَاعِ تَدْمُرَ رُبْدَهَا[1]

وَأَفْضَى إِلَى حُجْبِ الْمُلُوْكِ وَلَمْ يَخَفْ

شَبَاهَا وَلَمْ يَرْقُبْ هُنَالِكَ حَشْدَهَا[2]

يَسِيْرُ إِلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

عَلَى مَهَلٍ مِنْهُ فَيَسْبِقُ شَدَّهَا

وَكَمْ عُصْبَةٍ بَاتَتْ بِظِلٍّ سَعَادَةٍ

تَخَطَّفَهَا أَوْ أَوْلَجَ النَّحْسَ سَعْدَهَا

وَهَدَّمَهَا مَنْ كَانَ شَادَ بِنَاءَهَا

وَجَرَّدَهَا مَنْ كَانَ أَحْكَمَ غِمْدَهَا

سَلامٌ عَلَى أَرْضِ الطُّفُوْفِ وَرَحْمَةٌ

مَرَى اللهُ سُقْيَاهَا وَأَضْرَمَ زَنْدَهَا[3]

ولا عَدِمَتْ فِيْ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

حَفَائِرُهَا مِنْ جَنَّةِ اللهِ رِفْدَهَا

فَكَمْ ثَمَّ مِنْ أَشْلاءِ قَوْمٍ أَعُدُّهَا

لِيُعطِيَهَا مَا تَبْتَغِيْ مَنْ أَعَدَّهَا

---

(١) أجزاع: جَمْعُ جزع وهو الوادي. و الرُّبدُ: النَّعامُ ذات السَّواد المختلط.

(٢) الشَّبا: العلو، والحدة.

(٣) الطفُّ: اسم موضع بناحية الكوفة. وفي حديث مَقْتل الحسين، عليه السلام: أنه يُقتل بالطفّ، وهي أيضاً كل شاطئ على نهر، أو ساحل على بحر، وسمي بذلك لأنه طرَفُ البرّ مما يلي الفُرات وكانت تجري يومئذ قريباً منه.

وَلِلهِ مِنْهَا حُفْرَةٌ جِئْتُ طَائِعَاً
فَأَوْدَعْتُ دِيْنِي ثُمَّ دُنْيَايَ لَحْدَهَا

وَوَلَّيتُ عَنْهَا أَنْفُضُ التُّرْبَ عِنْ يَدٍ
نَفَضتُ تُرَابَ الْقَبْرِ عَنْهَا وَزَنْدَهَا

وَلَمْ يُسْلِنِيْ شَيءٌ سِوَى أَنَّ جَارَتِيْ
قَضَى اللهُ بَعْدِيْ أَنْ تُجَاوِرَ جَدَّهَا

وإِنِّيَ لَمَّا أنْ شَقَقْتُ ضَرِيْحَهَا
إِزَاءَ شَهِيْدِ اللهِ أَنْجَزْتُ وَعْدَهَا

وَكَيْفَ تَخَافُ السُّوْءَ يَوْمَ حِسَابِهَا
وَقَدْ جَعَلَتْ مِنْ أجْنُدِ اللهِ جُنْدَهَا

وَتُمْسِكُ فِيْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْهُمُ
بِحُجْزَةِ قَوْمٍ لا يُبَالُوْن حَدَّهَا[1]

يَقُوْنَ الَّذِي وَالاهُمُ الْيَوْمَ حَرَّهَا
وَيُعْطُوْنَهُ عَفْواً كَمَا شَاءَ بَرْدَهَا

---

(١) الحُجْزَة: المنعة، والحُجْزَةُ أيضاً: شَدُّ طرف الرداء من الأسفل إلى وسط المحزم: أي كانه تهيأ لأمر ما.

أَبُو جَعْفَر الرَّامِيّ

محمَّد بن موسى بن عمران، من شعراء اليتيمة، ومن أفراد الأدباء والشعراء بخراسان عامة، وحسنات نيسابور خاصة إذ هو من «الرام» أحد رساتيق[1] نيسابور وكان مع سَبقهِ في ميادين الفضلِ راجحاً في موازين العقل، وترقَّت حاله من التأديب بنيسابور إلى التَّصفُّح في ديوان الرسائل ببخارى بعد أبي إسحاق الفارسي، وهبَّتْ رِيْحُهُ وبعد وصيته، وله شِعْرٌ كعدد الشَّعْر غلب عليه التَّجنيس حتى كاد يذهب بهاؤه، ويكدر ماؤه «وكل كُثيرٍ عدوُّ الطبيعة[2]»

قال في جارية له توفيت:

التُّرَابُ لَهَا صَدَفْ

لِـيْ فِـي الْـمَـقَـابِـرِ دُرَّةٌ   أَمْسَى التُّرَابُ لَهَا صَدَفْ
لَـمَّـا غَـدَتْ هَـدَفَ الْـبِـلا   أَصْبَحْتُ لِلْبَلْوَى هَدَفْ

(١) الرساتيق: جمع رستاق وهو فارسي معرب، ومعناه: السواد. أو القرية.
(٢) «يتيمة الدَّهر» الجزء الرابع ص ١٧١.

أبُو إسْحَاق الإلْبِيريّ

(٣٧٥ - ٤٦٠ هـ = ٩٨٥ - ١٠٦٧ م)

إبراهيم بن مسعود بن سعد التُجيبي الإلبيري أبو إسحاق. شاعرٌ أندلسيٌّ، أصلُهُ من أهل «حصن العقاب» ونسب للبيرة، واشتهر بغرناطة، يمثِّلُ شعرُهُ نكهةً أخرى في الشِّعْر الأندلسيِّ المعهود بالترف والدِّعة وتمجيد اللذَّات، فأغلبُ شعره ينطوي على الزُّهد والتعفُّف عن الإسراف، وكان فقيهاً وعالماً بالدين، وقد هاجمه بعض المستشرقين الدارسين لشعره، كـ«رينهارت دوزي» و«إميليو غارثيا غوميز»[1]، بسبب ما أسموه «قسوته وعناده وعداءه لليهود في الأندلس» له قصيدة في رثاء زوجته تتكوَّن من ستين بيتاً شكَّلَ الرِّثاءُ الأبياتَ التسعة عشر الأولى منها بينما أنصرفت بقيَّةُ الأبيات للغرض الأثير لدى الألبيري وهو: الزُّهد والتعبير عن مواقفه الأخلاقية والدينية.

إنِّي لأَسْتَحْيِيهِ وَهْوَ مُغَيَّبٌ[2]

عُجْ بِالْمَطيِّ عَلَى الْيَبَابِ الْغَامِرِ

وَاربَعْ عَلَى قَبْرٍ تَضَمَّنَ نَاظِرِيْ

---

(١) راجع «مقدمة ديوانه» ص ١٧ «ديوان أبو إسحاق الألبيري الأندلسي المتوفى نحو ٤٦٠ هجرية حققه وشرحه واستدرك فائته: محمد رضوان الداية دار الفكر المعاصر / بيروت لبنان / دار الفكر دمشق الطبعة الأولى ١٩٩١»

(٢) «ديوانه» ص ٩٠ والقصيدة مكونة من ستين بيتاً شكل رثاء زوجته الأبيات التسعة عشر الأولى منها الواردة هنا.

فَـسَـتَـسْتَـبِيْنُ مَكَـانَـهُ بِـضَـجِيْـعِهِ

وَيَـنِمُّ مِـنْـهُ إِلَيْـكَ عَـرْفُ الْـعَـاطِرِ

فَلَكَمْ تَـضَمَّنَ مِنْ تُـقَـىً وَتَـعَـفُّفٍ

وَكَـرِيْـمِ أَعْـرَاقٍ وَعِـرْضٍ طَـاهِـرِ

وَاقْـرَ السَّـلامَ عَـلَـيْـهِ مِـنْ ذِيْ لَـوعَـةٍ

صَـدَعَـتْـهُ صَـدْعـاً مَـا لَـهُ مِـنْ جَـابِـرِ

فَعَسَاهُ يَسْمَحُ لِيْ بِوَصْلٍ فِي الْكَرىٰ

مُـتَـعَـاهِـداً لِـيَ بِـالْـخَـيَـالِ الـزَّائِـرِ

فَـأُعَـلِّـلَ الْـقَـلْـبَ الْـعَـلِيْـلَ بِـطَـيْـفِهِ

عَـلِّـيْ أُوَافِـيْـهِ وَلَـسْـتُ بِـغَـادِرِ

إِنِّـي لأَسْـتَـحْـيِـيْـهِ وَهْـوَ مُـغَـيَّـبٌ

فِيْ لَـحْـدِهِ فَـكَـأَنَّـهُ كَـالْـحَـاضِـرِ

أَرْعَـىٰ أَذِمَّـتَـهُ وَأَحْـفَـظُ عَـهْـدَهُ

عِـنْـدِي فَـمَا يَجْرِيْ سِـوَاهُ بِـخَـاطِـرِي

إِنْ كَـانَ يَـدْثُـرُ جِـسْـمُـهُ فِيْ رَمْـسِـهِ

فَـهَـوَايَ فِـيْـهِ الـدَّهْـرَ لَـيْـسَ بِـدَاثِـرِ[1]

قَـطَـعَ الـزَّمَـانُ مَـعِـي بِـأَكْـرَمِ عِـشْـرَةٍ

لَـهَـفِـي عَـلَـيْـهِ مِـنْ أَبَـرِّ مُـعَـاشِـرِ

مَـا كَـانَ إِلَّا نَـدْرَةً لا أَرْتَـجِـي

عِـوَضـاً بِـهَـا فَـرَثَـيْـتُـهُ بِـنَـوَادِرِ

---

(١) دثر: قدم وبلي.

وَلَو انَّنِيْ أَنْصَفْتُهُ فِي وُدِّهِ
لَقَضَيْتُ يَوْمَ قَضَىٰ وَلَمْ أَسْتَأْخِرِ
وَشَقَقْتُ فِي خِلْبِ الفُؤَادِ ضَرِيْحَهُ
وَسَقَيْتُهُ رَبَداً بِمَاءِ مَحَاجِرِي
أَجِدُ الْحَلاوَةَ فِي الفُؤَادِ بِكَوْنِهِ
فِيْهِ وَأَرْعَاهُ بِعَيْنِ ضَمَائِرِي
لَسَأَلْتُ مَغْفِرَةً لَهُ وَتَجَاوُزاً
عَنْهُ مِنَ الرَّبِّ الْجَوَادِ الغَافِرِ
أَخْلِقْ بِمِثْلِيْ أَنْ يُرى مُتَطَلِّباً
حَوْرَاءَ ذَاتَ غَدَائِرٍ وَأَسَاوِرِ
مَقْصُوْرَةً فِي قُبَّةٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ
ذُخِرَتْ ثَوَاباً لِلْمُصَابِ الصَّابِرِ
لَخَلَتْ ذِرَاعِيْ وَانفَرَدْتُ فَإِنْ أَكُنْ
تَاجَرْتُ فِيْهَا كُنْتُ أَرْبَحَ تَاجِرِ
وَلَئِنْ حُرِمْتُ وَلَمْ يَفُزْ قِدْحِي بِهَا
فَأَنا لَعَمْرُ اللهِ أَخْسَرُ خَاسِرِ(١)

---

(١) القِدْح: السهم.

السرَّاج الْبَغْدَادِيُّ «صاحب مصارع العشاق»

(٤١٨ - ٥٠٠ هـ = ١٠٢٧ - ١١٠٦م)

جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد أبو محمد البغدادي السرَّاج القارئ حافظ عصره، وعلامة زمانه وكان ذا طريقة جميلة ومحبَّة للعلم والأدب وله شعرٌ لا بأس به، وكان يسافر إلى مصر وغيرها وتردَّد إلى «صُور» عدة دفعات ثم قطن بها زماناً وعاد إلى بغداد وأقام بها إلى أن توفي بها سنة خمسمائة وله تصانيف أشهرها: «مصارع العشذَاق» وله ديوان شعر جمعه في بغداد عادل كتاب نصيف العزاوي[1].

أَضْحَوا خُمُوْدَا[2]

دَعِ الدَّمْعَ بِالْوَكْفِ يَنْكَى الْخُدُوْدَا ... فَإِنَّ الأَحِبَّةَ أَضْحَوا خُمُوْدَا

دَعَا بِهِمْ هَاتِفُ الْحَادِثَاتِ ... فَبَدَّلَهُمْ بِالْقُصُوْرِ اللُّحُوْدَا

دَنَتْ مِنْهُمُ نُوُبٌ لِلرَّدَى ... فَأَفْنَتْ ضَعِيْفَهُمُ وَالشَّدِيْدَا

دُمُوْعٌ يُكَفْكِفُهُنَّ الأَسَىٰ ... عَلَيْهِمْ غِزَارٌ تُرَوِّي الصَّعِيدَا

دُجَاهُمْ وَصُبْحُهُمْ وَاحِدٌ ... وَقَدْ مَزَّقَ الدُّوْدَ مِنْهُمْ جُلُوْدَا

---

(١) «شعر السراج البغدادي» جمع ودراسة: عادل كتاب نصيف العزاوي مراجعة وتقديم: الدكتور علي جابر المنصوري مطبعة العاني بغداد / طبعة أولى ١٩٩٠.

(٢) «ديوانه» ص ٣٧.

الطُّغْرَائِيُّ

(٤٥٥ - ٥١٣ هـ / ١٠٦٣ - ١١٢٠ م)

الحسينُ بنُ عليّ بن محمَّد بن عبد الصمد، الطُغْرَائيّ، ويعرف بفخر الكتَّاب والأستاذ والطغرائي، نسبة إلى من يكتب «الطغراء» وهي الشعار في أعلى الكتب الرسمية. شاعرٌ من الوزراء الكتَّاب، ولِدَ بأصبهان، اتصل بالسُّلطان مسعود بن محمد السلجوقي «صاحب الموصل» فولاه وزارته. ثم اقتتل السلطان «مسعود» وأخ له اسمه السلطان «محمود» فظفر «محمود» وقبض على رجال «مسعود» وفي جملتهم الطغرائي، فأراد قتله ثم خاف عاقبة النقمة عليه، لما كان الطغرائي مشهوراً به من العلم والفضل.

ويذكر الصفدي: أن أخا مخدومه، لما عزمَ على قتله في المرة الأولى، أمرَ أنْ يُشدَّ إلى شجرة، وأن يقفَ تجاهه جماعةٌ يرمونه بالنّشاب، وأوقفَ إنساناً خلف الشجرة من غير أن يشعرَ به، ليسمعَ ما يقول، وقال لأرباب السهام: «لا ترموا إلا إذا أشرتُ إليكم» فوقفوا تجاهه والسهام بأيديهم مفوقةٌ نحوه، فأنشد الطغرائي:

وَلَـقَـدْ أَقُـوْلُ لِـمَـنْ يُـسَـدِّدُ سَـهْـمَـهُ
نَـحْـوِيْ وَأَطْـرَافُ الْـمَـنِـيَّـةِ شُـرَّعُ
وَالْـمَوْتُ فِيْ لَـحَظَاتِ أَحْـزَرَ طَرْفُهُ
دُوْنـي وَقَـلْـبِـيْ دُوْنَـهُ يَـتَـقَـطَّـعُ

بِـالـلـهِ فـتِّـشْ عَـنْ فُـؤَادِيَ أوَّلاً

هَلْ فِيْهِ لِغَيْرِ هَوَى الأحِبَّةِ مَوْضِعُ؟

أَهْـونْ بِـهِ لَـوْ لَـمْ يَـكُـنْ فِيْ طَـيِّـهِ

عَـهْـدُ الْـحَـبِـيْـبِ وَسِـرُّهُ الْـمُـسْـتَـوْدَعُ

فرقَّ لهُ وأمر بإطلاقه في ذلك الوقت.

ثم إن الوزير «أبو طالب السيرمي» أوعز إلى من أشاع اتهامه بالإلحاد والزندقة فتناقل الناس ذلك، فاتخذ السلطان محمود حجَّة فقتله وكان الطغرائي قد جاوز الستين من عمره. ثم وثب على الوزير عبدٌ من عبيد الطغرائي، فقتله بعد سنة. وللطغرائي القصيدة اللامية المعروفة بلامية العجم، التي أولها:

أَصَالَةُ الرَّأْيْ صَانَتْنِيْ عَنِ الْخَطَلِ

وَحِلْيَةِ الْفَضْلِ زَانَتْنِيْ لَدَى الْعَطَلِ

أَحَبَّ الطغرائي، كما تشير مراثيه، امرأةً شابَّةً في وقت متأخر من عمره وتزوَّجها، لكنَّها ماتت وتركت له طفلاً رضيعاً. ويعدُّ الطغرائي أكثر شاعر عربي، حتى نهاية العصر العباسي، رثى زوجته، إذ أنَّ ديوانَهُ يحتوي على عشر مراث بين قصيدة ومقطوعة نختار منها هنا خمساً.

تَعِيْ مِنْ وَرَاءِ التُّرْبِ قَوْلِيْ فَتَنْطِقُ(١)

وَلَـمْ أَنْـسَـهَـا وَالْـمَـوْتُ يَـقْـبِـضُ كَـفَّـهَـا

وَيَـبْـسُـطُـهَـا وَالْـعَـيْـنُ تَـرْنُـوْ وَتُـطْـرِقُ

---

(١) «ديوان الطغرائي» مطبعة الجوائب قسطنطينية ١٣٠٠ هجرية ص ٨٢.

وَقَـدْ دَمِـعَـتْ أَجْـفَـانُـهَـا وَكَـأَنَّـهَـا
جَنَى نَـرْجِسٍ فِيْـهِ النَّـدَىٰ يَـتَـرَقْـرَقُ
وَحَلَّ مِنَ الْمَحْذُوْرِ مَا كُنْتُ أَتَّقِي
وَحُـمَّ مِنَ الْمَقْدُوْرِ مَا كُنْتُ أَفْرَقُ[1]
وَقِـيْـلَ فِـراقٌ لا تَـلاقِـيَ بَـعْـدَهُ
وَلا زَادَ إلّا حَـسْـرَةٌ وَتَـحَـرُّقُ
وَلَوْ أَنَّ نَفْساً قَبْلَ مَحْتُوْمِ يَوْمِهَا
قضَتْ حَسَرَاتٍ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ
هِـلالٌ ثَـوَىٰ مِـنْ قَـبْـلِ أَنْ تَـمَّ نُـوْرُهُ
وَغُـصْـنٌ ذَوَى فَـيْـنَـانُـهُ وَهْـوَ مُـوْرِقُ[2]
فَوَا عَجَباً أَنَّى أُتِيْحَ اجْتِمَاعُنَا
وَيَـا حَـسْـرَةً مِـنْ أَيْـنَ حُـمَّ الـتَّـفَـرُّقُ
وَلَـمْ يَـبْـقَ فِـيْـمَـا بَـيْـنَـنَـا غَـيْـرُ حَثْـوَةٍ
عَلَى الْعَيْنِ تُحْثَى أَوْ عَلَى الْقَلْبِ تُطْبِقُ[3]
أحِـنُّ إلَـيْـهَـا إنْ تَـرَاخَـى مَـزارُهَـا
وَأَبْـكِـيْ عَـلَـيْـهَـا إنْ تَـدَانَـى وَأَشْـهَـقُ
وأُبـلِـسُ حَـتَّـى مَـا أَبِـيْـنُ كَـأَنَّـمَـا
تَـدُوْرُ بِيَ الأَرْضُ الْـفَـضَـاءُ وَأُصْـعَـقُ[4]

---

(١) أفرق: أخشى وأخاف.

(٢) الفينان: الغصن الكثيف.

(٣) حثوة: كمشة من تراب ناعم.

(٤) أبلسَ: يَئِسَ، وقيل هو الانكسار والحزن، وقيل إذا دَهِشَ وتحير.

وأُلْـصِـقُـهـا طَـوْراً بِـصَـدْرِيْ وَأَشْـتَـفِـيْ
وَأَمْـسَـحُـهَـا حِـيْـنَـاً بِـكَـفِّـيْ فَـتَـعْـبَـقُ
وَمَـا زُرْتُـهـا إِلّا تَـوَهَّـمْـتُ أَنَّـهَـا
بِـثَـوْبِـيَ مِـنْ وَجْـدِيْ بِـهَـا تَـتَـعَـلَّـقُ
وَأَحْـسَـبُـهَـا وَالْـحُـجْـبُ بَـيْـنِـي وَبَـيْـنَـهَـا
تَـعِـيْ مِـنْ وَرَاءِ الـتُّـرْبِ قَـوْلِـيْ فَـتَـنْـطِـقُ
وَأُشْـعِـرُ قَـلْـبِـي الْـيَـأْسَ عَـنْـهَـا تَـصَـبُّـرَاً
فَـيَـرْجِـعُ مُـرْتَـابَـاً بِـهِ لا يُـصَـدِّقُ

نَافَسَنِي فِيْهَا القَدَرُ[1]

أَقُـوْلُ وَقَـدْ غَـالَ الـرَّدَى مَـنْ أُحِـبُّـهُ
وَمَنْ ذَا الَّذِيْ يُعْدِي عَلَى نُوَبِ الدَّهْرِ؟
أَأَبْـقَـى حُـطَـامَـاً بَـالِـيَـاً فَـوْقَ ظَـهْـرِهَـا
وَمِنْ تَحْتِهَا خُرْعُوْبَةُ الْغُصُنِ النَّضْرِ[2][3]
أَعَـيْـنَـيَّ جُـوْدَاً بِـالـدِّمَـاءِ وَأَسْـعِـدَا
فَقَدْ جَلَّ قَدْرُ الرُّزْءِ عَنْ عَبْرَةٍ تَجْرِيْ

---

(١) «ديوانه» ص ٨١.

(٢) الخرعوبة: الحسنة القوام.

(٣) جارية خَرْعوبَةٌ وخَرْعَبَةٌ: دقيقة العظام ناعمة. والغُصْنُ الخُرعوب: المتثنّي. وقال امرؤ القيس:

بَـرَهْـرَهَـةٌ رَأدَةٌ رَخْـصَـةٌ ... كَـخُـرْعـوبَـةِ البـانَـةِ الـمُـنْـفَـطِـرْ

أَذُمُّ جُفُوْنِي أَنْ تَضِنَّ بِذُخْرِهَا

وَأَمْقُتُ قَلْبِيْ وَهْوَ يَهْدَأُ فِيْ صَدْرِيْ

بِنَفْسِيَ مَنْ غَالَيْتُ فِيْهَا بِمُهْجَتِيْ

وَجَاهِيْ وَمَا حَازَتْ يَدَايَ مِنَ الْوَفْرِ

وَغَايَظْتُ فِيْهَا أَهْلَ بَيْتِي فَكُلُّهُمْ

بَعِيْدُ الرِّضَا يَطْوِي الضُّلُوْعَ عَلَىْ غَمْرِ

وَفُزْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ يَأْسٍ وَخَيْبَةٍ

كَمَا اسْتَخْرَجَ الْغَوَّاصُ لُؤْلُؤَةَ الْبَحْرِ

فَجَاءَتْ كَمَا شَاءَ الْمُنَىْ وَاشْتَهَى الْهَوَىْ

كَمَالاً وَنُبْلاً فِي عَفَافٍ وَفِيْ سِتْرِ

فَصَارَتْ يَدِيْ مَلأَىْ وَعَيْنِيْ قَرِيْرَةً

بِهَا كَيْفَمَا أَصْبَحْتُ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ

فَنَافَسَنِي الْمِقْدَارُ فِيْهَا وَلَمْ يَدَعْ

سِوَى مُقْلَةٍ مَطْرُوْفَةٍ وَيَدٍ صِفْرِ

وَمَا كُنْتُ أَخْشَىْ أَنْ يَكُوْنَ اجْتِمَاعُنَا

قَصِيْرَ الْمَدَى ثُمَّ الْبِعَادُ مَدَى الْعُمْرِ

لَقَدْ أَسْلَمَتْنِيْ صُحْبَةٌ سَلَفَتْ لَنَا

يُرَدُّ بِهَا بَعْضُ الْغَلِيْلِ إِلَى الْجَمْرِ

ألا لَيْتَنَا لَمْ نَصْطَحِبْ عُمْرَ لَيْلَةٍ

وَلَمْ نَجْتَمِعْ مِنْ قَبْلِ هَذَا عَلَى قَدْرِ

فَيَا نَوْمُ لا تَغْمُرْ وِسَادِي وَلا تَطُرْ
بِمُقْلَةِ مَرْهُوْمِ الإزَارَيْنِ بَالْقَطْرِ[1]

وَمَا لَكُمَا يَا مُقْلَتَيَّ وَلِلْكَرَىٰ
وَنُوْرُكُمَا قَدْ غَابَ فِيْ ظُلْمَةِ الْقَبْرِ

فَمَا عَثْرَةُ السَّاقِيْ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ
بَأَغْزَرَ فَيْضَاً مِنْ دِمَائِكُمَا الْغُزْرِ

وَيَا مَوْتُ أَلْحِقْنِيْ بِهَا غَيْرَ غَادِرٍ
فَإِنَّ بَقَائِيْ بَعْدَهَا غَايَةُ الْغَدْرِ

وَيَا صَبْرُ زُلْ عَنِّيْ ذَمِيْمَاً وَخَلِّنِيْ
وَلَوْعَةَ وَجْدِيْ وَالدُّمُوْعَ الَّتِيْ تَمْرِي

وَلا تَعِدَنِّي الأَجْرَ عَنْهَا فَإِنَّهَا
أَلَذُّ وَأَحْلَىٰ فِيْ فُؤَادِيَ مِنَ الأَجْرِ

أَتُبْذَلُ لِيْ حُوْرُ الْجِنَانِ نَسِيْئَةً
وَتُؤْخَذُ نَقْدَاً مِنْ وَرَائي وفي خِدْري؟!

وَأَقْنَعُ بِالْمَوْعُوْدِ وَهْوَ كَمَا تَرَىٰ
وَأَصْبِرُ لِلْمَقْدُوْرِ وَهْوَ كَمَا تَدْرِيْ

وَمَنْ ذَا الَّذِيْ يَرْضَىٰ إن اعْتَاضَ كَفُّهُ
يَوَاقِيْتَ حُمْرَاً مِنْ أَنَامِلِهَا الْعَشْرِ

---

(١) مرهوم: ممطر، وهو من الرهام أي المطر الخفيف. وهو كناية عن الدمع.

بَلَىٰ إنْ يَكُنْ حَظِّيْ مِنَ الْخُلْدِ وَحْدَهَا
صَبَرْتُ فَكَانَتْ نِعْمَ عَاقِبَةُ الصَّبْرِ

بِنَا أَنْتِ مِنْ مَهْجُورَةٍ لَمْ أُرِدْ لَهَا
فِرَاقاً وَلَمْ تَطْوِ الضُّلُوْعَ عَلَىٰ هَجْرِي

طَلَعْتِ طُلُوْعَ الْبَدْرِ لَيْلَةَ تَمِّهِ
وفُقْتِ كَمَا أَرْبَى عَلَى الأنجُمِ الزُّهْرِ

وَآنَسْتِنَا حَتَّىٰ إِذَا مَا بَهَرْتِنَا
سَنَاً وَسَنَاءً غِبْتِ غَيْبُوْبَةَ الْبَدْرِ

فَقَدْ كَانَ رَبْعِي آهِلاً بِكِ مُدَّةً
أَحِنُّ إِلَيْهِ حَنَّةَ الطَّيْرِ لِلْوَكْرِ

وَآوِيْ إِلَيْهِ وَهْوَ رَوْضَةُ جَنَّةٍ
بَدَائِعُهَا يَخْتَلْنَ فِيْ حُلَلٍ خُضْرِ

فمُذْ بِنْتِ عَنْهُ صَارَ أَوْحَشَ مِنْ لَظَىً
وَأَضْيَقَ مِنْ قَبْرٍ وَأَجْدَبَ مِنْ قَفْرِ

وَمَا كُنْتِ إلا نِعْمَةَ اللهِ لَمْ تَدُمْ
عَلَيَّ لِعَجْزِي عَنْ قِيَامِيَ بِالشُّكْرِ

وَمَا كُنْتِ إلا شَطْرَ قَلْبِيَ حَافِظاً
ذِمَامِيْ وَهَلْ يَبْقَى الْفُؤَادُ بِلا شَطْرِ؟

فَإِنْ سَكَنَتْ نَفْسِيْ إِلَىٰ سَكَنٍ لَهَا
سِوَاكِ، مَدَى عُمْرِيْ، فَقَدْ بُؤْتُ بِالْكُفْرِ

وإنْ أسْـلُ يَـوْمَـاً عَـنْـكِ أسْـلُ ضَـرُوْرَةً
وإلّا فَـإنِّـيْ عَـنْ قَـرِيْـبٍ عَـلَـى الأثْـرِ
عَسَـى اللـهُ فِـي دَارِ الْقَـرَارِ يَـضُـمُّـنَـا
وَيَـجْـمَـعُ شَـمْـلاً إنَّـهُ مَـالِـكُ الأمْـرِ
فَـيَـا أسَـفَـاً أنْ لا تَـزَاوُرَ بَـيْـنَـنَـا
وَيَا حَسْرَتَا أنْ لا لِقَاءَ إلَىْ الْحَشْرِ
بِرُغْمِيْ خَلا رَبْعِيْ وَأُسْكِنْتِ خَاطِرِيْ
وَغُيِّبْتِ عَنْ عَيْنِيْ وَأُحْضِرْتِ فِيْ فِكْرِيْ

لَوْ خَيَّرُوْنِي (1)

بِـنَـفْـسِـيَ مَـنْ أوْدَعْـتُـهَـا التُّـرْبَ رَاغِـمَـاً
أغَضُّ مِنَ الْغُصْنِ الرَّطِيْبِ وَأنْعَمَا
وَجُـدْتُ بِـهَـا لا عَـنْ مَـلالٍ وَإنَّـمَـا
غُـلِـبْـتُ عَـلَـيْـهَـا مُـكْـرَهـاً مُـتَـهَـضَّـمَـا
الا لَـيْـتَ أنَّـا مَـا اصْـطَـحَـبْـنَـا وَلَـمْ نَـبِـتْ
قَرِيْنَيْنِ فِي خَفْضٍ مِنَ الْعَيْشِ تَوْأمَا
وَلَـمْ نُـرْزَقِ الْـوَصْـلَ الَّـذِيْ عَـادَ فُـرْقَـةً
وَلَمْ نَعْهَدِ الْعُرْسَ الَّذِيْ صَارَ مَأتَمَا
مَضَتْ حِيْنَ لَمْ أصْغُرْ فَأجْهَلَ قَدْرَهَا
وَلَـمْ أعْـمُـرِ الدَّهْـرَ الطَّـوِيْـلَ فَـأحْـلُـمَـا

---

(1) «ديوانه» ص ٨٣.

وَعِشْتُ صَحِيْحَاً سَالِمَاً بَعْدَ يَوْمِهَا

وَحَسْبِيَ دَاءً أَنْ أَصِحَّ وَأَسْلَمَا

وَلَوْ خَيَّرُوْنِي بَيْنَ كَفِّيْ وَبَيْنَهَا

لآثَرْتُ أَنْ تَبْقَى وَأُصْبِحَ أَجْذَمَا

هَيْهَاتَ أنْ يَبْقَى الْحُطَامُ[1]

أَفْدِي الَّتِي اسْتَوْدَعْتُها بَطْنَ الثَّرَىْ

وَأبَنْتُها عَنِّيْ بَرُغْمِيَ مُجْبَرَا

تَاللهِ مَا اخْتَرْتُ التَّوَقُّفَ سَاعَةً

مِنْ بَعْدِ يَوْمِكِ لَوْ خُلِقْتُ مُخَيَّرَا

يَا لَيْتَ أَنَّكِ بِالضِيَا مِنْ نَاظِرِيْ

وَسَوَادُهُ لَكِ مَوْطِئٌ دُوْنَ الثَّرَى

غُصْنَانِ مُؤْتَلِفَانِ أَفْرَدَ وَاحِدَاً

رَيْبُ الْمَنِيَّةِ مِنْهُمَا فَتَهَصَّرَا

مَا ضَرَّهُ فِيْمَا جَنَاهُ عَلَيْهِمَا

لَوْ كَانَ قَدَّمَ مِنْهُمَا مَا أَخَّرَا

هَيْهَاتَ أنْ يَبْقَى الْحُطَامُ بِحَالِه

مِنْ بَعْدِمَا هَصَرَ الأَغَضَّ الأنْضَرَا

---

(1) «ديوانه» ص ٨٣.

يَا لكِ جنّةً صارَتْ جَحِيْمَا[1]

بِنَفْسِيَ أَنْتِ ظَاعِنَةً تَوَلَّتْ ... وَخَلَّتْ فِي الْحَشَىٰ وَجْداً مُقِيْمَا

بَنَيْتُ بِهَا فَمَا اسْتَكْمَلْتُ عُرْسِي ... إِلَى أَنْ قِيْلَ مَأْتَمُهَا أُقِيمَا

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ آنَسْتِ قَبْراً ... حَلَلْتِ بِهِ وَأَوْحَشْتِ الْحَرِيْمَا

فَيَا لَكَ مَنْزِلاً قَدْ عَادَ قَفْراً ... وَيَا لكِ جنّةً صَارَتْ جَحِيْمَا

وَكُنْتُ إِذَا اعْتَرَانِي الْهَمُّ آوِيْ ... إِلَى بَيْتِيْ فَيُنْسِيْنِي الْهُمُوْمَا

فَصِرْتُ إِذَا أَوَيْتُ عَلَى نَشَاطٍ ... إِلَيْهِ هَاجَ لِيْ وَجْداً قَدِيْمَا

فَلَوْ أَنَّ الدُّمُوْعَ كَلَمْنَ خَدّاً ... تَرَكْنَ بِصَفْحَتَيْ خَدِّيْ كُلُوْمَا

وَلَوْ أَنَّ الْهُمُوْمَ جَلَبْنَ حَتْفاً ... بَعِيْداً كُنْتُ مُذْ زَمَنٍ رَمِيْمَا

---

(١) «ديوانه» ٨٤.

إبْنُ سَارَة الإشْبِيْلِيّ

(٥١٧ هـ = ١١٢٤ م)

إبنُ سارة، وفي بعض المصادر ابنُ «صارة» بالصاد، محمد البكري الشنتريني قال الصفدي: كان لغوياً شاعراً مُفلقاً، مليحَ الكتابة، قليلَ الحظِّ، نَسَخَ الكثير بالأجرة. ومات سنة سبع عشرة وخمسمائة للهجرة. وقال ابنُ دُحية في «المطرب من أشعار أهل المغرب» انتقل من بلده «شنترين» إلى مدينة «إشبيلية» وهو أوحش حالاً من الليل، وأكثر انفراداً من سهيل؛ فانتجع الوَرَاقة على كساد سوقها، وفساد طريقها. فتركها وقال فيها.

أَمَا الْوِرَاقَةُ فَهْيَ أَنْكَدُ حِرْفَةٌ ... أَوْرَاقُـهَا وَثِـمَـارُهَا الْـحِـرْمَـانُ

شَبَّهْتُ صَاحِبَهَا بِصَاحِبِ إِبْرَةٍ ... تَكْسُو الْعُرَاةَ وَجِسْمُهَا عُرْيَانُ

وقوله يرثي امرأة:

نَوَّارَةٌ[1]

تَـفَـطَّـرَتْ كَـبِـدُ الْـعَـلْـيَـا لِـلُـؤْلُـؤَةٍ

لَـمْ تُـوْدَعِ الـتُّـرْبَ إلا مِـنْ كَـرَامَـتِـهَـا

(١) «خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الأصفهاني عِمَاد الدِّين الكاتب محمد بن محمد صفي الدين ابن نفيس الدين ٥١٩ - ٥٩٧ هـ شعراء المغرب والأندلس تحقيق: اذرتاش اذرنوش نقحه وزاد عليه محمد العروسي المطوي =

نَـوَّارَةٍ مَـلأَتْ أُفُـقَ الـتَّـقَـى أَرَجَـاً
وَرَدَّهَا الزَّهْرُ صَوْنَاً فِيْ كَـمَامَـتِـهَا

غَائِبَةٌ حَاضِرَةٌ

أَغَـائِـبَـةً عَـنِّـيْ وَحَـاضِـرَةً مَـعِـيْ
كَأَنَّكِ مِنْ عَيْنِي نُقِلْتِ إِلَىْ كَبِدِيْ

= والجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي الطبعة الثانية الدار التونسية للنشر ١٩٨٦ الجزء الثاني ص ٣٣٠ .

أَبُو بَكْر بنُ القَبْطُرْنَة

(٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م)

عبد العزيز بن سعيد البَطَلْيُوسي وزير كاتب، عُرِفَ بابن القَبْطُرنة، وهو أحد أخوة ثلاثة يُعْرَفون ببني القَبْطرنة أو القبطورنة، ولعلها تعني «ذو الرأس المستدير[1]» وأخواه هما: أبو محمد طلحة بن سعيد، وأبو الحسن محمد بن سعيد، ثلاثة أخوة كلهم شاعرٌ ووزيرٌ، فأمَّا أبو بكر فكان من جلَّة الأدباء ورؤسائهم، كتب للمتوكل بن الأفطس ببطليوس، ثم ليوسف بن تاشفين بعد تغلُّب المرابطين على الأندلس، قال عنه ابن بسَّام: «أحد فرسان الكُلوم والكلام، وحملة السيوف والأقلام»

ولأَبِي بَكر بنِ القَبْطُرَنُةِ فِي زَوْجَتِهِ بِنْتِ الحَضْرَمِي:

وَإِنْ زَعَمُوا[2]

بِأَحْشَائِي وَإِنْ زَعَمُوا بِقَبْرٍ ... وَفِي قَلْبِي وَإِنْ قَالُوا بِبَيْدَا

وَمِنْ عَيْنِي نُقِلْتِ إِلَى فؤَادِي ... فَصِرْتِ مِنَ السَّوَادِ إِلَى السُّوَيْدَا

---

(١) «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني توفي ٥٤٢ هـ تحقيق الدكتور إحسان عباس دار الثقافة ١٩٩٧ القسم الثاني المجلد الأول ص ٧٥٣.

(٢) «لمح السحر من روح الشِّعْر وروح الشحر» مختصر كتاب «روح الشِّعْر» لأبي عبد لله محمد بن أحمد بن الجلاب / اختصار أبي عثمان سعيد بن ليون التجيبي الأندلسي ٦٨١ - ٧٥٠ هـ تحقيق وتعليق: سعيد بن الأحرش/ أبوظبي منشورات المجمع الثقافي، ٢٠٠٥ باب المراثي.

وله يرثي زوجةُ أبنةَ الحضرميّ[1]:

يَا رَبَّةَ الْقَبْرِ

يَا رَبَّةَ الْقَبْرِ فَوْقَ الْقَبْرِ ذُوْ حَزَنٍ
يَبْكِيْ لَهُ الْقَبْرُ مِنْ شَجْوٍ وَمِنْ شَجَنِ
تَبَايَنَتْ فِيْكَ أَحْوَالِيْ أَسَىً فَمَضَىْ
إِلَىْ لِقَائِكَ صَبْرِيْ طَالِبَ الْوَسِنِ
وَخَالَفَ الْقَلْبُ فِيْكَ الْعَيْنَ مِنْ كَمَدٍ
فَاسْوَدَّ بِالْغَمِّ وَابْيَضَّتْ مِنَ الْحَزَنِ

وَرْدِ كَافُوْرَتَيْكَ[2]

أَدَمْعَاً جَمُوْحَاً وَصَبْرَاً حَرُوْنَاً
لَقَدْ جَمَعَ الْحُزْنُ فِيْكِ الْفُنُوْنَا
أَيَا مَاشِيَاً فَوْقَهَا لاهِيَاً
تَمِيْسُ اخْتِيَالاً وَتَنْتَقِدُّ لِيْنَاً
تَرَفَّعْ بِرِجْلِكَ عَنْهَا رُوَيْدَاً
سَتَجْعَلُ خَدَّكَ فِيْهَا الْمَصُوْنَا
فَلا تَسْكُنَنَّ لِشَرْخٍ أَمَاسَ
قَنَاتَكَ «مِيْمَاً» وَ«يَاءً» وَ«سِيْنَاً»

(١) «قلائد العقيان في محاسن الأعيان» لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان ٤٨٠ -٥٢٨ هـ تحقيق: حسين يوسف خريوش مكتبة المنار الأردن ١٩٨٩ ص ٤٤٢.
(٢) «قلائد العقيان» المجلد الأول ص ١٣٦.

وَخُطَّ عَلَىٰ وَرْدِ كَافُوْرَتَيْكَ

بِمِسْكِ عَذَارَيْكَ «لاماً» وَ«نُوْناً»

وَمِمَّا يُثَبِّتُ قَوْلِيْ لَدَيْكَ

وَرُبَّتَمَا جَرَّ شَأْنٌ شُؤُوْنَا

مُصَابٌ حَكَىٰ فِي «ابْنَةِ الْحَضْرَمِيِّ»

مُصَابُ صُبَيْرَةَ أَدْمَى الْجُفُوْنَا

وَلَفَّ الشَّبَابَ بِأَوْرَاقِهِ

وَأَوْدَعَهُ التُّرْبَ غَضّاً مَصُوْنَا

فَأَنْسَىٰ بِهَا نَضْرَةً وَاقْتِبَالاً

وَعَيْشاً نَضِيْرَةَ وَالسَّاطِرُوْنَا[1]

---

(١) الساطرون: لفظ سرياني معناه: الملك، وقيل هو اسم ملك من ملوك العجم وكانت له ابنة في غاية الجمال يقال لها نضيرة، وقد قتله اردشير بعد استباحته حصن الطلسم الذي كان يحاصره.

أَبُو الْقَاسِمِ بنُ طُفَيْل

كاتب وشاعر مِمَّن انفرد بترجمتهم ابنُ سعيد المغربي، في كتاب «مملكة جيان كتاب الفرائد المفصلة، في حلي حصن تاجلة» ضمن كتابه «المُغْرب في حلي المَغْرب[1]» بترجمة قصيرة أورد فيها هذه الأبيات وقال عنه: سكن مالقة، وكان يكتب عن ولاتها من ملوك بني عبد المؤمن، اجتمع به والدي، ومما أنشده من شعره قوله في رثاء جارية:

فِي الفِرَاشِ

أَمْسَيْتُ أَنْدُبُ فِي الفِرَاشِ مَكَانَهَا
وَكَـأَنَّـهُ مَـا كَـانَ مِـنْـهَـا عَـامِـرَا

وَكَـأَنَّـنِـي لَـمْ أَجْـنِ مِـنْـهَـا رَوْضَـةً
وَكَـأَنَّـنِـي لَـمْ أَثْـنِ غُـصْـنـاً نَـاضِـرَا

وَكَـأَنَّـنِـي وَالـلَّـيْـلُ أَرْخَـى سَـتْـرَهُ
لَـمْ يُـبْـدِ لِـيْ مِـنْـهَـا هِـلالاً زَاهِـرَا

(١) «المُغْرب في حُلي المَغْرب» لإبن سعيد المغربي أبي الحسن علي بن موسى بن محمد ٦١٠ - ٦٨٥ تحقيق: الدكتور شوقي ضيف دار المعارف الطبعة الرابعة ١٩٩٣ دار المعارف الجزء الثاني ص ٨٤.

الأَعْمَى التُّطِيْلِيّ

(٤٨٥ - ٥٢٥ هـ / ١٠٩٢ - ١١٣١ م)

هو أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة التُّطيليُّ الإشبيليُّ، شاعرٌ أندلسيٌّ نشأ في إشبيلية، عادة ما ينسب إلى «تُطَيْلة» وهي غير «طليطلة» وتقع قريباً من سرقسطة، من الثغر الأعلى، وينسب أيضاً إلى «إشبيلية»، فـ«تطيلة» موطن أهله، و«إشبيلية» دار هجرتهم، نشأ ضريراً فَلُقِّبَ بالأعمى، عاش الأعمى في عصر المرابطين، بين القرنين الخامس والسادس الهجريين في الأندلس. له أشعارٌ في مختلف الأغراض، وموشَّحات بارعة وعالية الجود، اكسبته شهرة في عصره.

وله قصائد عديدة في رثاء نساء مختلفات، وقد فَقَدَ زَوْجَتَهُ فرثاها بقصيدة هي من عُيُوْنِ أشعاره.

خُذِيْ... وخُذِيْ... وخُذِيْ[1]

وَنُبِّئْتُ ذاكَ الوَجْهَ غَيَّرَهُ الْبِلَى
عَلَى قُرْبِ عَهْدٍ بالطَّلاقَةِ وَالْبِشْرِ

بَكَيْتُ عَلَيْهِ بِالدُّموعِ وَلَوْ أبَتْ
بَكَيْتُ عَلَيْهِ بِالتَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ

---

(١) «ديوان الأعمى التطيلي ومجموعة من موشحاته» أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة/ تحقيق الدكتور إحسان عباس / دار الثقافة بيروت ١٩٨٩ «رثاء زوجته آمنة» ص ٧٠.

فَـلَـيْـتَـهُـمُ وَارَوُا ذَكَـاءَ مَـكَـانَـهُ

وَلَوْ عُرِفَتْ فِيْ أوْجِهِ الأنْجُمِ الزُّهْرِ

وَلَـيْـتَـهُـمُ وارَوْهُ بَـيْـنَ جَـوَانِـحِـيْ

عَلَى فَيْضِ دَمْعِيْ وَاحْتِدَامِ لَظَى صَدْري

أمُخْبِرَتِي كَيْفَ استقرَّتْ بِكِ النَّوَىْ؟

على أنَّ عِنْدِي ما يَزِيْدُ عَلَى الْخبْرِ

وَمَا فَعَلَتْ تِلْكَ الْمَحَاسنُ فِي الثَّرَىْ؟

فَقَدْ سَاءَ ظَنِّي بَيْنَ أدْرِيْ وَلا أدْري

يَـهُـوِّنُ وَجْـدِي أنَّ وَجْـهَـكِ زَهْـرَةٌ

وأنَّ ثَـرَاهـا مِـنْ دُمُـوْعِـيْ عَـلَـى ذِكْـرِ

وَيَـحْـزُنُـنِـيْ أنِـيْ شُـغِـلْـتُ وَلَـمْ أكُـنْ

أُسَائِلُ عَمَّا يَفْعَلُ الدَّمْعُ بالزَّهْرِ

دَعِيْنِيْ أُعَلِّلْ فِيْكِ نَفْسِيَ بِالْمُنَى

فَقدْ خِفْتُ ألا نَلْتَقِيْ آخِرَ الدَّهْرِ

وإنْ تَسْتَطِيْبِيْ فَابْدَئِيْنِيْ بِزَوْرَةٍ

فَـإنَّـكِ أوْلَـىْ بِـالـزِّيَـارةِ وَالـبِـرِّ

مُـنَـىً اتَـمـنَّـاهَـا وَلا يَـدَ لِـيْ بِـهَـا

سِوَى خَطَرَاتٍ لا تَرِيْشُ وَلا تَبْرِي

وَأحْلامُ مَذْعُورِ الْكَرَى كُلَّمَا اجْتَلَىْ

سُـرُوْراً رَآهُ وَهْـوَ فِـي صُـوْرةِ الـذُّعْـرِ

أ«آمِـنَ[1]» إنْ أجْـزَعْ عَـلَـيْـكِ؟ فَـإنَّـنِـي
رُزِئتُكَ أحْلَى مِنْ شَبابِيْ وَمِنْ وَفْرِي
أ«آمِنَ...؟» لا والـلـهِ مَا زِلْـتُ مُوْقِنَاً
بِـبَـيْـنِـكِ لَـوْ أنّـي أَخَـذْتُ لَـهُ حَـذْرِيْ
خُذِيْ حَدِّثِيْنِيْ هَلْ أَطَقْتِ عَلَى النَّوَىْ
أُحَدِّثُكِ أنّي قَدْ ضَعُفْتُ عَنِ الصَّبْرِ
مُغَالَطَةً لَوْلا الأَسَىْ مَا حَمَلتُهَا
عَلَىْ مَرْكَبٍ مِمَّا وَصَفْتُ بِهِ وَعْرِ
وَنِيَّتُهُمْ قَدْ أجْمعُوا عَنْكِ سَلْوَةً
لِعِشْرِيْنَ مَرَّتْ مِنْ فِرَاقِكِ أوْ عَشْرِ
وَأَذْهَلَهُمْ حُبُّ التُّرَاثِ فَكَفْكَفُوا
بِـهِ زَفْـرةً تَـعْـتَـادُ أو عَـبْـرةً تَـجْـرِيْ
وَلَـمْ يَـبْـقَ إلا ذِكْـرَةٌ رُبَّـمَـا امْـتَـرَتْ
بَقِيَّةَ دَمْعِ الشَّوْقِ فِي أَكْؤُوْسِ الْخَتْرِ[2]
وَأَمَّـا أَنَـا فَـالْـتَـعْـتُ وَالـلـهِ لَـوْعَـةً
هِيَ الْخَمْرُ لَوْ سَامَحْتِ فِي لَذَّةِ السُّكْرِ
أهُـزُّ لَـهَـا عَـطْـفِـيَّ مِـنْ غَـيْـرِ نَـشْـوَةٍ
عَلَى مَا بِجِسْمِيْ مِنْ كَلالٍ وَمِنْ فَتْرِ

---

(١) هي آمنة زوجته، ويناديها هنا بصيغة الترخيم للتحبُّب.

(٢) الخَتْرُ: الغدرُ والخديعة.

وَأُوْدِعُـهـا عَـيْـنَـيَّ لا لِـصَـبَـابَـةٍ

وَلكْنْ لِتَمْرِي دَمْعَ عَيْنِيْ كَمَا تَمْرِيْ

فَـلا تَـبْـعُـدِي إنَّ الـصَّـبَـابَـةَ خَـطَّـةٌ

لِشَخْصِكِ فِيْ قَلْبِي وإنْ كَانَ فِي الْقَبْرِ

ولا تَـبْـعَـدي إنِّـيْ عَـلَـيْـكِ لَـوَاجِـدٌ

وَلَكِنْ عَلَىٰ قَدْرِ الْهَوَى لا عَلَى قَدْرِيْ

ذَكَـرْتُـكِ ذِكْـرَ الْـمَـرْءِ حَـاْجَـةَ نَـفْـسِـهِ

وَقَدْ قِيْلَ إنَّ الْمَيْتَ مُنْقَطِعُ الذِّكْرِ

وَوَالـلـهِ مَـا وَفَّـيْـتُ رُزْءَكِ حَـقَّـهُ

وَلَـكِـنَّـهُ شِـيءٌ أَقَـمْـتُ بِـهِ عُـذْرِيْ

أَصِيْخِي إِلَى الدَّاعِي فَلَيْسَ بِنَازِحٍ

وَمَـا بِـكِ عَـنْـهُ مِـنْ وَقَـارٍ وَلاْ وَقْـرِ

وَلا تَـبْـعَـثِـي طَـيْـفَ الْـخَـيَـالِ فَـإنَّـهُ

سَمِيْرُ هُمُوْمٍ لا يُضِيْفُ وَلا يَقْرِي[1]

مَتَى يَسْرِ نَحْوِيْ يَلْقَ دُوْنِيْ كَتَائِبَاً

مِنَ السُّهْدِ آلَتْ لاْ تَسِيْرُ وَلاْ تَسْرِي

وَعَـهْـدِي بِـهِ إنْ لَـمْ تُـحِـلْـهُ يَـدُ الْـبِـلَـىٰ

جَدِيْراً بِأَنْ يَشْكُو الْوَنَى وَهْي فِيْ الْخِدْرِ

---

(١) يقري: يكرم، ويقدم للضيف حاجته.

إذا أجْرَسَ الْحُلْيُ اسْتُطِيْرَ وقلَّمَا
مَشَى فِيْهِ إلا ريْثَ يَخْتَالُ للزَّهْرِ
فَإنْ يَأْبَ إلَّا بِرَّهُ فَابْعَثِي بِهِ
عَلَى رَقْبَةٍ مِمَّا هُنَاكَ وَفِي سَتْرِ
وَكَانَ الأَسَى نَذْراً عَلَيْكِ نَذَرْتُهُ
وَلَكِنْ أَرَادَ الشَّوْقُ أَكْبَرَ مِنْ نَذْرِي
وَمَنْ لِيْ بِعَيْنٍ تَحْمِلُ الدَّمعَ كُلَّهُ
فَأَبْكِيْكِ وَحْدِيْ لاْ اقَرُّ وَلاْ أدْرِي
وَلِيْ مُقْلَةٌ أَفْضَتْ بِهَا لَحَظَاتُهَا
إِلَى عَبَرَاتٍ جَمَّةٍ وَكَرَىً نَزْرِ
وَكَانَ حَرَاماً أَنْ تَجُوْدَ بِدَمْعَةٍ
وَقَدْ تَرَكَتْهَا الْحَادِثَاتُ بِلا شَفْرِ
وَلَكِنْ حَدَاها الْحُزْنُ فَاسْتَوْسَقَتْ بِهِ
وَأَكْبَرُ مَا يُعطي الْبَخِيْلُ عَلَىْ قَسْرِ
فَإنْ أنَا لَمْ اَسْتَسِقْهَا لَكَ نَجْدَتِي
فَلا عَرَكَ الوُرَّاد مِنْ سَبَلِ القَطْرِ
أَنَمْضِي الْلَيَالِيْ لا أراكِ؟ وَرُبَّما
عَدَتْنِي الْعَوَادي عنْ طِلابِكِ فِي الْحَشْرِ
وَبِيْ عَزْمَةٌ لوْ خِفْتُهَا لَسَبَقْتُهَا
إلَيْكِ ولوْ بيْنَ السَّماكيْنِ والنَّسْرِ

الا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ سَمِعْتِ تَأَوُّهِي
فقدْ رُعْتِ لَوْ أَسْمِعْتِ قَاسِيَةَ الصَّخْرِ
وَهَلْ لَعِبَتْ تِلْكَ الْمَعَاطِفُ بِالنُّهى
كَسَالِفِ عَهْدي فِي مَجاسِدِهَا الْحُمْرِ
وَنُبِّئْتُ ذَاكَ الْجِيْدَ أصْبحَ عَاطِلاً
خُذِيْ أدْمُعي إنْ كُنْتِ غَضْبَي عَلَى الدُّرِّ
خُذِيْ فَانْظُمِيْهَا فَهْيَ كَالدُّرِّ إنَّنِيْ
أرَى عِلَّتِي أوْرى بِهَا وَهْيَ كالْجَمْرِ
خُذِي الْلُؤْلُؤَ الرَّطْبِ الَّذِي لَهِجُوا بِهِ
مَحَارَتُهُ عَيْنِي وَلُجَّتُهُ صَدْرِي
لَعَلَّكِ يَوْمَاً انْ تَرَيْهِ فَتَذْكُرِي
وَسَائِلَ لَمْ تَعْلَقْ بِلَوْمٍ وَلاَ عُذْرِ
خُذِي فانظمِيْهِ او كلِيْنِي لِنَظْمِهِ
حُلِيَّاً عَلَى تِلْكَ التَّرَائِبِ والنَّحْرِ
ولا تُخْبِرِيْ حُوزَ الْجِنَانِ فَرُبَّمَا
غَصَبْنَكِهِ بَيْنَ الْخَدِيْعَةِ وَالْمَكْرِ
أيَا قُرَّةَ الْعَيْنِ اعْتِبَاراً وَحَسْرَةً
أجِدَّكِ قَدْ أصْبَحْتِ قَاصِمَةَ الظَّهْرِ؟
بِرَغْمِيَ حُلْنَ بَيْنَ جِسْمِكِ وَالثَّرَى
وَإنْ كُنْتُ لا اخشى التُّرَابَ عَلَى التِّبْرِ

هَـنِـيْـئَـاً لِـقَـبْـرٍ ضَـمَّ جِـسْـمَـكَ إنَّـهُ

مَـقَـرُّ الْـحَـيَـا أوْ هَـالَـةُ الْـقَـمَـرِ الْـبَـدْرِ

وَإنَّـكِ فِـيْـهِ كُـلَّـمَـا عَـبَـثَ الْـبِـلَـى

بَـأرْجَـائِـهِ كَـالْـغُـصْـنِ فِـي الْـوَرَقِ الـنَّـضْـرِ

إذا جِـئْـتِ عَـدْنـاً فـاطْـلـبِـيْـنـا فَـقَـلَّـمَـا

تَـقَـدَّمْـتِـنِـيْ إلا مَـشَـيْـتُ عَـلَـىْ الإثْـرِ

ولا تَـعْـذُلِـيْـنِـيْ إنْ أقَـمْـتُ فَـرُبَّـمَـا

تَـأخَّـرَ بِـيْ سَـعْـيِـيْ وأثْـقَـلَـنِـيْ وِزْرِيْ

ابنُ الْحِمَارة الغَرْنَاطيّ

أبو عامر مُحمَّد بن الْحِمَارَة الغَرْنَاطيّ من شعراء المائة السادسة للهجرة، أقام بمكناسة من برِّ العدوة، وأقام كذلك بغرناطة وأليها نُسب، بَرَعَ في عِلْمِ الألحان، واشتهر عنه أنَّه كان يَعْمدُ للشجرة، فيقطعُ العودَ بيدِهِ، ثمَّ يصنع منه عُوْداً للغناء، وَيَنْظمُ الشِّعرَ، ويلحِّنُهُ، ويغنِّي به، وشعرُهُ غايةٌ في علوِّ الطبقة: كما ترجم له أبو سعيد المغربي، في «المُغْرب في حُلِي الْمَغْرِب» وذكر أنَّهُ من تلامذة «ابن باجه» الفيلسوف الأندلسي.

ويقول أبو عامر بن الحِمَارة في رثاء زوجته وكان يهواها:

رَكَدَ النَّسِيْمُ[1]

«أَزَيْنَبُ» إِنْ ظَعَنْتِ فَإِنَّ ظَهْرَاً أَقَلَّكِ سَوْفَ تـرْكَبُهُ الْمُقِيْمُ

بـأَيَّـةِ حُـجَّـةٍ أَسْـعَـى لأُنْـثَـى سِوَاكِ وَأَنْتِ هَامَدَةٌ هَشِيْمُ؟

وَلَمَّا أَنْ حَلَلْتِ التُّرْبَ قُلْنَا: لَقَدْ ضَلَّتْ مَوَاقِعَهَا النُّجُومُ

أَلا يَا زَهْرَةً ذَبُلَتْ سَرِيْعَاً أَضَنَّ الْمُزْنُ؟ أَمْ رَكَدَ النَّسِيمُ؟

---

(1) «المُغْرب في حُلي المَغْرب» الجزء الثاني ص ١٢٠، وقد أورد المغربي البيتين الأخيرين فقط، وكذلك هو الأمر في «المح السحر من رُوح الشِّعْر ورَوْح الشَّحر» لابن ليون التُجيبي. فيما وردت الأبيات الأربعة في «رايات المبرزين وغايات المميزين» لعلي بن موسى بن سعيد الأندلسي أبو الحسن ٦١٠ - ٦٨٥ هـ تحقيق: محمد رضوان الدَّاية / دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر/ دمشق ١٩٨٧ ص٢٣٣».

ابنُ حَمْدِيْس

(٤٤٧ - ٥٢٧ هـ = ١٠٥٣ - ١١٣٣ م)

عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي أبو محمد.

أعظم شعراء صقلية، وُلِدَ وتعلَّم في جزيرة صقلية، ورحل إلى الأندلس سنة ٤٧١هـ، فمدح المعتمد بن عباد. وانتقل إلى إفريقيا. وتوفي بجزيرة «ميورقة» عن نحو ٨٠ عاماً، وقد فقَدَ بصره. قال الصفدي وهو يستشهد بأشعاره: كذا فليكن الشِّعْر عذوبةً وانسجاماً وتمكُّنَ قوافٍ وَحُسنَ تشبيه، ولطفَ استعارةٍ وغَوْصاً على المعاني.

له مراثٍ عدَّة بينها أثنتان بارعتان في رثاء جاريته «جوهرة» التي غرقت في البحر بعد أن عطبت المركب التي كانت تعبر بهم من الأندلس إلى أفريقيا، والأخرى في زوجته وأمِّ ولديه كتبها على لسان ابنه.

كَنْزٌ طَوَاه الْبَحْرُ[1]

أَيَا رَشَاقَةَ غُصْنِ الْبَانِ مَا هَصَرَكْ

وَيَا تَأَلُّفَ نَظْمِ الشَّمْلِ مَنْ نَثَرَكْ؟

---

(١) في رثاء جوهرة «ديوان ابن حمديس» تحقيق ستيونو سكياباريللي/ طبعة رومية الكبرى ١٨٩٧ ص ١٨١.

وَيَـا شُـؤُوْنِـي وَشَـأْنِـيْ كُـلُّـهُ حَـزَنٌ
فُضِّيْ يَوْاقِيْتَ دَمْعِيْ واحْبِسِيْ دُرَرَكْ

مَا خِلْتُ قَلْبِيْ وَتَبْرِيْحي يُقَلِّبُهُ
إلا جَـنَـاحَ قَـطـاةٍ فِـي اعْـتِـقَـال شَـرَكْ

لا صبْرَ عَنْكِ وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْكِ وَقَدْ
طَـوَاكِ عَـنْ عَـيْنِـيَ الْـمَـوْجُ الـذيْ نَـشَـرَكْ

هَـلّا ورَوْضَـةُ ذَاكَ الْـحُـسْـنِ نَـاضِـرَةٌ
لاْ تـلْـحَـظُ الْـعَـيْـنُ فِـيْـهَـا ذَابِـلاً زَهَـرَكْ

أَمَاتَـكِ الْـبَـحْـرُ ذُو الـتَّـيَّـارِ مِـنْ حَـسَـدٍ
لَـمَّـا دَرَى الـدُّرُّ مِـنْـهُ حَـاسِـدَاً ثَـغَـرَكْ

وَقَعْتُ فِي الدَّمْعِ إِذْ أُغْرِقْتِ في لُجَجٍ
قَـدْ كَـادَ يَـغْـمِـرُنِـي مِـنْـهُ الَّـذِي غَـمَـرَكْ

أَيَّ الـثَّـلاثَـةِ أَبْـكِـي فَـقْـدَهُ بِـدَمٍ؟
عَمِيْمَ خُلْقِكِ؟ أَمْ مَعْنَاكِ؟ أَمْ صِغَرَكْ؟

مِنْ أيْنَ يَقْبَحُ انْ افْنَى عَلَيْكِ أَسَىً
وَالْـحُـسْـنُ فِـيْ كُـلِّ فَـنٍّ يَـقْـتَـفِـيْ أثَـرَكْ

كُـنْـتِ الـشَّـبِـيْـبَـةَ إذْ وَلَّـتْ ولا عِـوَضٌ
مِـنْـهَـا وَلَـوْ رَبَـحَ الـدُّنْـيَـا الَّـذِيْ خَـسِـرَكْ

مَا كنْتُ عنكِ مُطِيْلاً بِالْهَوى سَفَرِيْ
وَقَدْ اطَلْتِ لِحَيْنِي فِي الْبِلَى سَفَرَكْ

هَلْ وَاصِلِيْ مِنْكِ إلا طَيْفُ مَيِّتَةً
تُهْدِيْ لِعَيْنِيَ مِنْ ذَاكَ السُّكُوْنِ حَرَكْ

أُعَانِقُ الْقَبْرَ شَوْقَاً وَهْوَ مُشْتَمِلٌ
عَلَيْكِ لَوْ كُنْتُ فِيْهِ عَالِمَاً خَبَرَكْ

وَدَدْتُ يَا نُوْرَ عَيْنِي لَوْ وَقَى بَصَرِيْ
جَنَادِلاً وَتُرَابَاً لاصِقَاً بَشَرَكْ

أَقُوْلُ لِلْبَحْرِ إذْ أَغْشَيْتُهُ نَظَرِيْ
مَا كَدَّرَ الْعَيْشَ إلا شُرْبُهَا كَدَرَكْ

هلاّ كَفَفْتَ أُجَاجَاً مِنْكَ عَنْ أُشَرٍ
مِنْ ثَغْرِ لَمْيَاءَ لَوْلاْ ضَعْفُهَا أَشَرَكْ[1]

هلاّ نَظَرْتَ إِلَى تَفْتِيْرِ مُقْلَتِهَا
إِنِّيْ لأَعْجَبُ مِنْهُ كَيْفَ مَا سَحَرَكْ

يا وَجْهَ جَوْهَرَةَ الْمَحْجُوْبَ عَنْ بَصَرِيْ
مَنْ ذَا يَقِيْكَ كُسُوْفَاً قَدْ عَلا قَمَرَكْ

يا جِسْمَهَا كَيْفَ أَخْلُوْ مِنْ جَوَىْ حَزَنِيْ
وَأَنْتَ خَالٍ مِنَ الرُّوْحِ الَّذِيْ عَمَرَكْ

لَيْلِيْ أَطَالَكَ بِالأَحْزَانِ مُعْتَقَةً
عَلَيَّ مَنْ كَانَ بِالأَفْرَاحِ قَدْ قَصَرَكْ

---

(١) الأشر: البطر وشدة المرح.

ما أغْفَلَ النَّائمَ المَرْموسَ فِي جَدَثٍ
عمَّا يُلاقِيْ مِنَ التَّبْرِيْحِ مَنْ سَهِرَكْ

يَا دُوْلَةَ الْوَصْلِ إنْ وَلَّيْتِ عَنْ بَصَرِيْ
فَالْقَلْبُ يَقْرَأُ فِيْ صُحْفِ الأَسَى سَمَرَكْ

لَئِنْ وَجَدْتُكِ عَنِّي غَيْرَ نَابِيَةٍ
فَإنَّ نَفْسِيَ مِنْهَا رَبُّهَا فَطَرَكْ

إنْ كَانَ أَسْلَمَكِ الْمُضْطَرُّ عَنْ قَدَرٍ
فَلَمْ يَخُنْكِ عَلَىْ حَالٍ وَلا غَدَرَكْ

هَلْ كَانَ إلاّ غَرِيْقاً رَافِعاً يَدَهُ
نَهَاهُ عَنْ شُرْبِ كَأْسٍ مَنْ بِهَا أَمَرَكْ[1]

أَما عَدَاكِ حِمَامٌ عَنْ زِيَارَتِهِ
فَكَيْفَ أطْمَعَ فِيْكِ النَّفْسَ وَانْتَظَرَكْ

إنْ كَانَ لِلدَّمْعِ فِيْ أَرْجَاءِ وَجْنَتِهِ
تَبَرُّجٌ فَهْوَ يَبْكِيْ بِالأَسَىْ خَفَرَكْ

وَمَا نَجَوْتُ بِنَفْسِيْ عَنْكِ رَاغِبَةً
وإنَّمَا مَدَّ عُمْري قَاصِرٌ عُمُرَكْ

---

(١) هناك بيت ورد في ديوانه، ناقص في جزء من عجزه:

«وا رحمة لولوع بالبكاء فما ... ينسيه ذكر...»

وَيْلِيْ مِنَ الْمَاءِ[1]

يَهْدِمُ دَارَ الْحَيَاةِ بَانِيْهَا ... فَأَيُّ حَيٍّ مُخَلَّدٌ فِيْهَا؟
وَإِنْ تَرَدَّتْ مِنْ قَبْلِنَا أُمَمٌ ... فَهْيَ نُفُوْسٌ رُدَّتْ عَوَارِيْهَا
أَمَا تَرَاهَا كَأَنَّهَا أُجُمٌ ... أَسْوَدُها بَيْنَنَا دَوَاهِيْهَا[2]
إِنْ سَالَمَتْ وَهْيَ لاْ تُسَالِمُنَا ... أَيَّامُنَا، حَارَبَتْ لَيَالِيْهَا
وَاوَحْشَتَا مِنْ فِرَاقِ مُؤْنِسَةٍ ... يُمِيْتُنِيْ ذِكْرُهَا وَيُحْيِيْهَا
أَذْكُرُهَا وَالدُّمُوْعُ تَسْبِقُنِي ... كَأَنَّنِي لِلأَسَى أُجَارِيْهَا
يَا بَحْرُ أَرْخَصْتَ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ... مَنْ كُنْتُ لا لِلْبَيَّاعِ أُغْلِيْهَا
«جَوْهَرَة» كَانَ خَاطِرِي صَدَفاً ... لَهَا أَقِيْهَا بِهِ وَأَحْمِيْهَا
أَبَتُّهَا فِي حَشَاكَ مُغْرَقَةً ... وَبِتُّ فِيْ سَاحِلَيْكَ أَبْكِيْهَا
وَنَفْحَةُ الطِّيْبِ فِي ذَوَائِبِهَا ... وَصِبْغَةُ الْكُحْلِ فِي مَآقِيْهَا
عَانَقَهَا الْمَوْجُ ثُمَّ فَارَقَهَا ... عَنْ ضَمَّةٍ فَاضَ رُوْحُهَا فِيْهَا
وَيْلِيْ مِنَ الْمَاءِ وَالتُّرَابِ وَمِنْ ... أَحْكَامِ ضِدَّيْنِ حُكِّمَا فِيْهَا
أَمَاتَهَا ذَا وَذَاكَ غَيَّرَهَا ... كَيْفَ مِنْ العُنْصُرَيْنِ أَفْدِيْهَا؟

جِبَالُ الْحُزْنِ[3]

أَيُّ خَطْبٍ عَنْ قَوْسِهِ الْمَوْتُ يَرْمِيْ ... وَسِهَامٌ تُصِيْبُ مِنْهُ فَتُصْمِيْ

---

(١) في رثاء جوهرة «ديوانه» ص ٤٦١.
(٢) الأُجُم: الأدغال.
(٣) يرثي زوجته أم ولديه أبي بكر وعمر وصنعها على لسان عمر «ديوانه» ص ٤٢٤.

يُسْرِعُ الْحَيُّ فِي الْحَيَاةِ بِبَرْءٍ ثُمَّ يُفْضِيْ إِلَى الْمَمَاتِ بِسُقْمِ

فَهْوَ كَالْبَدْرِ يَنْقُصُ النُّوْرُ مِنْهُ بِمَحَاقٍ وَكَانَ مِنْ قبلُ يَنْمِيْ

كُـلُّ نَـفْـسٍ رَمِـيَّـةٌ لِـزَمَـانٍ قَدْرَ سَهْمٍ لَهُ فَقُلْ كَيْفَ يَرْمِي؟

بِيْضُ أَيَّامِهَا وَسُوْدُ لَيَالِيْهَا، كَشُهْبٍ، تَكُرُّ فِي إِثْرِ دُهْمِ

وَهْيَ فِي كَرِّهَا عَسَاكُرُ حَرْبٍ غُرَّ مَنْ ظَنَّهَا عَسَاكِرَ سِلْمِ

بَدَرَ الْمَوْتُ كُلَّ طَائِرِ جَوٍّ فِيْ مَفَازٍ وَكُلَّ سَابِحِ يَمِّ

رُبَّ طَوْدٍ يُرِيْكَ غَيْرَ بَعِيْدٍ مِنْهُ شَمَّ السَّمَاءَ أَنْفُ أَشَمِّ

جَمَعَ الْمَوْتُ بِالْمَصَارِعِ مِنْهُ بَيْنَ فُتْخٍ مُحَلِّقَاتٍ وَعُصْمِ[1]

كَمْ رَأَيْنَا وَكَمْ سَمِعْنَا الْمَنَايَا غَيْرَ أَنَّ الْهَوَىْ يُصِمُّ وَيُعْمِيْ

أَيْنَ مَنْ عَمَّرَ الْيَبَابَ وَجِيْلٌ لَبِسَ الدَّهْرَ مِنْ «جَدِيْسٍ» وَ«طَسْمٍ»[2]

وَمُلُوْكٌ مِنْ حِمْيَرٍ ملأوا الأَرْضَ وَكَانَتْ مِنْ حُكْمِهِمْ تَحْتَ خَتْمِ

وَجُيُوْشٌ يُظِلُّ غَابُ قَنَاهَا أُسُداً مِنْ حُمَاةِ عُرْبٍ وَعَجْمِ

كَشَّرَ الدَّهْرُ عَنْ حِدَادِ نُيُوْبٍ أَكَلَتْهُمْ بِكُلِّ قَضْمٍ وَخَضْمِ[3]

وَمُحُوا مِنْ صَحِيْفَةِ الدَّهْرِ طُرّاً مَحْوَ هُوْجِ الرِّيَاحِ آيَاتِ رَسْمِ

أَفَلا يُتَّقَىْ تَغَيُّرُ حَالٍ فَيَدُ الدَّهْرِ فِيْ بِنَاءٍ وَهَدْمِ

---

(١) الفتخ: الطيور لينة الجناح، والعصم، الغربان التي في جناحها بياض.

(٢) جديس وطسم: من قبائل العرب البائدة.

(٣) القضم: الأكل بأطراف الأسنان، والخضم: الأكل بجميع الفم. وفي المثل: يُبْلَغُ الخَضْمُ بالقَضْمِ، أي أن الشَّبْعة قد تبلغ بالأكل بأطراف الفم. ومعناه أنَّ الغاية البعيدة قد تُدرك بالرفق.

وَالرَّزَايَا فِي وَعْظِهِنَّ الْبَرَايَا فِي الأَحَايِيْنِ نَاطِقَاتٌ كَبُكْمِ

وَالَّـذِيْ أَعْـجَـزَ الأَطِـبَّـاءَ دَاءٌ فَقْدُ رَوْحٍ بِهِ وَوِجْدَانُ جِسْمِ

لَوْ بَكَى نَاظِرِيْ بِصَوْبِ دِمَاءٍ مَا وَفَى الأَسَىْ بِحَسْرَةِ أُمِّيْ

مَنْ تَوَسَّدْتُ فِيْ حَشَايَا حَشاهَا وَارْتَدَىْ اللَّحْمَ فِيْهِ وَالْجِلْدَ عَظْمِيْ

وَضَعَتْنِيْ كَرْهاً كَمَا حَمَلَتْنِيْ وَجَرَىْ ثَدْيُهَا بِشُرْبِيْ وَطَعْمِيْ

شرَحَ اللهُ صَدْرَهَا لِيْ فَأَشْهَى مَا إِلَيْهَا إِحْصَانُ جِسْمِيْ وَضَمِّيْ

بِحَنَانٍ كَأَنَّهَا فِيْ رِضَاعِيْ أُمُّ سَقْبٍ دَرَّتْ عَلَيْهِ بِشَمٍّ[1]

يَا ابْنَ أُمِّيْ إِنِّيْ بِحُكْمِكَ أَبْكِيْ فَقْدَ أُمِّي الْغَدَاةَ فَابْكِ بحُكْمِيْ

قُسِمَ الحُزْنُ بَيْنَنَا فَثَبِيْرٌ لَكَ قِسْمٌ وَيَذْبُلُ مِنْهُ قِسْمِيْ[2]

لَمْ أَقُلْ وَالأسى يُصَدِّقُ قَوْلِيْ جَمَدَتْ عَبرَتِيْ فَلِذْتُ بِحِلْمِيْ

وَلَو أَنِّيْ كَفَفْتُ دَمْعِيْ عَلَيْهَا عَقَّنِيْ بِرُّهَا فَأَصْبَحَ خَصْمِيْ

أُمَّتَا هَلْ سَمِعْتِنِيْ مِنْ قَرِيْبٍ حَيْثُ لِيْ فِي النِّيَاحِ صَرْخَةُ قرمٍ[3]

كُنْتُ أَخْشَىْ عَلَيْكِ مَا أَنْتِ فِيْهِ لَوْ تَخَيَّلْتُ فِيْ مُصَابَكِ هَمِّيْ

كَمْ خَيَالٍ يَبِيْتُ يَمْسَحُ عَطْفِيْ لَكِ يَا أُمَّتَا وَيَهْتِفُ بِاسْمِيْ

وَبَنَاتٌ عَلَيْكِ مُنْتَحِبَاتٌ بِخُدُوْدٍ مُخَدَّرَاتِ بِلَطْمِ

---

(١) السقب: ابن الناقة.

(٢) ثبير ويذبل: جبلان الأولى في مكة والثاني في نجد.

(٣) القرم: البعير المكرم حيث لا يحمل عليه ولا يذلل ومنه القرم بمعنى السيد.

بِتْنَ يَمْسَحْنَ مِنْكِ وَجْهاً كَرِيْمَاً بِوُجُوْهٍ مِنَ الْمُصِيْبَةِ قُتْمِ

وَيُنَادِيْنَ بِالتَّفَجُّعِ أُمَّاً يَا فِدَاءً لَهَا إِجَابَةُ غَتْمِ[1]

بَأَبِيْ مِنْكِ رَأْفَةٌ أَسْنَدُوْهَا فِيْ ضَرِيْحٍ إِلَىٰ جَنَادَلَ صُمِّ[2]

وَعَفَافٌ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ عَادَتْ كُلُّ عَظْمٍ مِنَ الدَّفِيْنِ وَلَحْمِ

وَصِيَامٌ بِكُلِّ مَطْلَعِ شَمْسٍ قِيَامٌ بِكُلِّ مَطْلَعِ نَجْمِ

وَلِسَانٌ دُعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ لِيَ أَوْدَعْتُهُ الرَّغَامَ بِرَغْمِيْ[3]

وَحَفِيْرٍ مِنَ الصَّبَابَةِ فِيْهِ فِيْ حِجَابِ التُّقَىٰ سَرِيْرَةُ كُمِّ

كَمْ تَكَفَّلْتِ مِنْ كَبِيْرَةِ سِنٍّ وَتَبَنَّيْتِ مِنْ صَغِيْرَةِ يُتْمِ

فَأَضَاقَتْ يَدَاكِ مِنْ صَدَقَاتٍ كَانَ يُحْيَا بِهِنَّ مَيِّتُ عُدْمِ

كَانَ بَيْنَ الأُنَاسِ عُمْرُكِ حَمْدَاً قَدْ تَبَرَّأْتِ فِيْهِ مِنْ كُلِّ ذَمِّ

أَنْتِ فِيْ جَنَّةٍ وَرَوْضِ نَعِيْمٍ لَمْ يَسِمْ أَرْضَهَا السَّحَابُ بِوَسْمِ

يَا «أَبَا بَكْرٍ» الْمُصَابُ عَظِيْمٌ فَهْوَ يُبْكِيْ بِكُلِّ سَحٍّ وَسَجْمِ[4]

أَنْتَ فِي الْوِدِّ لِيْ شَقِيْقُ وَفَاءٍ وَمُصَابِيْ إِلَىٰ مُصَابِكَ يَنْمِيْ

أَنْتَ مِنْ صَفْوَةِ الأَفَاضِلِ نَدْبٌ فِي نِصَابٍ كَرِيْمِ خَالٍ وَعَمِّ

بَاتَ مِنْ طَبْعِكَ الْمُفَجَّعِ طَبْعِيْ رُبَّ سَهْمٍ أُعِيرَ صَارِمَ شَهْمِ

تَرَكَتْ بَيْتَ «يَوْسِفٍ» لِلْمَعَالِيْ أَسَفَاً يَنْحَرُ الْعُيُوْنَ فَيُدْمِيْ

---

(١) الغتمة: التلكؤ بالنطق.

(٢) الجنادل: حجار القبر.

(٣) الرَّغام: التراب.

(٤) سحَّ الدمع: انهمر بقوة، وسجم الدمع: إذا سال.

دَوْحَةُ الْمَجْدِ بِالْفَخَارِ جَنَاهَا		يَافِعٌ فَهْيِ فِي الْبِلَىْ تَحْتَ رَدْمِ
فَسَقَى التُّرْبَةَ الَّتِي هِيَ فِيْهَا		عَارِضٌ مِنْهُ رَحْمَةُ اللهِ تَهْمِيْ
وَلَبِسْتَ الْعَزَاءَ يَا خَيْرَ فَرْعٍ		قَدْ بَكَىْ حَسْرَةً عَلَىْ خَيْرِ جِذْمِ

ابنُ الزَّقَّاقِ الْبَلَنْسِيّ

(٤٩٠ - ٥٢٨ هـ = ١٠٩٦- ١١٣٤م)

عليُّ بنُ عَطِيَّة بن مُطَرِّف، كان شاعراً مُفلقاً حَسنَ السَّبكِ رشيقَ الْعِبَارةِ وتوفي وهو دون الأربعين من عمرهِ، جاء في «الْمُغْرِب فِي حُلي الْمَغْرِب»: من فتيان عصرنا الذين اشتهر ذكرهم، وطار شعرهم، وهو جديرٌ بذلك، فلشعره تعشُّق بالقلوب، وتعلُّقٌ بالسَّمع، وأعانه على ذلك مع الطبع القابل، كونه استمدَّ من خاله أبي إسحاق بن خفاجة، ونَزَع منزَعه[١].

وقال عنه الرَّاغب الأصفهاني: شاعرٌ متأخِّرٌ في الزَّمَان، متقدِّمٌ في الإحسان، له ألفاظٌ أرقُّ من نَفَحات حدائق الرِّياض، ومعانٍ أدَقُّ من عَبَرات الأَحْدَاق الْمِرَاض[٢].

وكان ابن الزَّقاق يسهر في الليل، ويشتغل بالأدب، وكان أبوه فقيراً جدّاً، فلامه، وقال له: نحن فقراء، ولا طاقة لنا بالزَّيت الذي تسهر عليه، فاتفق أن برع في الأدب والعلم ونظم الشعر، فقال في أبي بكر ابن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أولها:

يَا شَمْسَ خَدْرٍ مَا لَهَا مَغْرِبُ ... أَرَامَـةٌ خِـدْرِكِ أَمْ يَـثْـرِبُ

ذَهَبْتِ فَاسْتَعْبَرَ طَرْفِيْ دَمَا ... مُفَضَّضَ الدَّمْعِ بِهِ مُذْهَبُ

---

(١) «المُغرب في حُلي المَغْرب» الجزء الثاني ٣٢٣.

(٢) «خريدة القصر» الجزء الثاني من قسم شعراء المغرب والأندلس ص ٥٦٤ .

فأطلق له ثلاثمائه دينار، فجاء بها إلى أبيه وهو جالسٌ في حانوته مُكبٌّ على صنعته، فوضعها في حجره، وقال: خُذها فاشترِ بها زيتاً.[1]

أَظَاعِنَةٌ وَالْحُزْنُ لَيْس بِظَاعِنِ

في رثاء زوجته درة[2]

لِـمَـغْـنَـاكِ سَـحَّ الْـمُـزْنُ أَدْمُـعَ بَـاكِ
وَرَجَّـعَـتِ الْـوَرْقَـاءُ أَنَّـةَ شَـاكِ

وَشَقَّ وَمِيْضُ الْبَرْقِ ثَوْبَاً مِنَ الدُّجَى
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ يُجْلَى بِضَوْءِ سَنَاكِ

أَظَاعِـنَـةٌ وَالْـحُـزْنُ لَـيْـسَ بِـظَـاعِـنِ
لَـقَـدْ أَوْحَـشَ الأَيَّـامَ يَـوْمُ نَـوَاكِ

نَـوَىً لا يَـشُـدُّ الـسَّـفْـرُ رَاحِـلَـةً لَـهَـا
وَلا يَـشْـتَـكِـيْـهَـا الْـعِـيْـسُ لَـيْـلَ سُـرَاكِ

وَلَكِنَّهَا تَطْوِي الْمَحَاسِنَ فِي الثَّرَىْ
فَـيَـا حُـسْـنَ مَـا يُـطْـوَى عَـلِـيْـهِ ثَـرَاكِ

وَتُـشْـعِـرُ يَـأْسَـاً مِـنْـكِ حَـرَّانَ هَـاتِـفَـاً
لَـعَـلَّـكِ مِـنْ بَـعْـدِ الـنَّـوَى وَعَـسَـاكِ

---

(١) «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» لأحمد بن محمد المقري التلمساني، ٩٩٢ - ١٠٤١ هـ تحقيق الدكتور إحسان عباس دار صادر / بيروت ١٩٨٨ الجزء الثالث ص ٢٨٩.

(٢) «ديوان ابن الزقاق البلنسي» تحقيق عفيفة الديراني/ دار الثقافة بيروت ١٩٦٤.

وَتُوْرِثُ شَمْسُ الدُّجنِ أُخْتُكِ لَوْعَةً
بِفَقْدِكِ وَالْبَدْرَ الْمُنِيْرَ أَخَاكِ
وَتُعْلِمُنَا أنَّ الْمَصَائِبَ جَمَّةٌ
وَأنَّ مَدَانا فِي الْمُقَامِ مَدَاكِ
وَأنَّ الشَّبَابَ الْغَضَّ وَالصَّوْنَ وَالنُّهَى
طَوَى الْكُلَّ مِنْها الْحَيْنُ يَوْمَ طَوَاكِ
غَدَا الدَّهْرُ مِنْ مُرِّ الْحَوَادثِ كَالِحاً
وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الدَّهْرَ بَعْضُ عِدَاكِ
عَجِبْتُ لَهُ أَنَّى رَمَاكِ بِصَرْفِهِ
وَلَمْ يَغْشَ عَيْنَيْهِ شُعَاعُ سَنَاكِ
فَعَطَّلَ جِيْدَاً أَتْلَعاً كَانَ مُطْلِعَاً
سَمِيُّكِ مَنْصُوْباً بِصَفْحِ طَلاكِ
فَيَا دُرُّ إِنْ أَمْسَيْتِ عُطْلاً فَطَالَمَا
غَدَا الدُّرُّ وَالْيَاقُوْتُ بَعْضَ حُلاكِ
وَيَا دُرُّ مَا لِلْبَيْتِ أَظْلَمَ كِسْرُهُ
تُرَاكِ تَيَمَّمْتِ التُّرَابَ تُرَاكِ؟
وَيَا زَهْرَةً أَذْوَى الْحِمَامُ رِيَاضَهَا
لَقَدْ فَجَعَتْ كَفُّ الْحِمَامِ رُبَاكِ
سَقَاكِ النَّدَى حَتَّى تَعُوْدِي نَضِيْرَةً
ومَنْ لِلْقُلُوْبِ الحَائِمَاتِ بِذَاكِ

أَلاَ فَتَّ فِي عَضُدِ الْحِمَامِ لَقَدْ رَمَى

عَقِيْلَةَ هَذَا الْحَيِّ يَوْمَ رَمَاكِ

فَدَتْكِ كَرِيْمَاتُ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا

رَأَيْنَ قَلِيْلاً أَنْ يَكُنَّ فِدَاكِ

وَهَلْ دَافِعٌ عَنْكِ الْفِدَاءُ مَنِيَّةً

أَهَبَّتْ صَبَاهَا فِي رِيَاضِ صَفَاكِ

عَزِيْزٌ عَلَيْنَا أَنَّ مَضْجَعَكِ الثَّرَى

وَمَا يَنْقَضِي حَتَّى الْمَعَادِ كَرَاكِ

عُمَارَةُ الْيَمَنِيُّ

(٥٦٩ هـ = ١١٧٤ م)

عُمارة بن علي بن زيدان الحكمي المذحجي اليمني، أبو محمد، نجم الدين: مؤرخٌ ثقةٌ، وشاعرٌ فقيهٌ أديبٌ، من أهل اليمن. ولد في تهامة ورحل إلى زبيد سنة «٥٣١ هـ» وقدمَ مِصْرَ برسالة من القاسم بن هشام «أمير مكة» إلى الفائز الفاطمي «سنة ٥٥٠هـ» فأحسن الفاطميون إليه وبالغوا في إكرامه، فأقام عندهم، ومدحهم. ولم يزل موالياً لهم حتى دالت دولتهم وملك السلطان«صلاح الدين» الديار المصرية، فرثاهم عُمَارة واتفق مع سبعة من أعيان المصريين على الفتك بصلاح الدين، فَعَلِمَ بهم فقبضَ عليهم وصلَبَهُمْ بالقاهرة، وعُمَارة في جُملتِهِمْ. له تصانيف، منها «أرضُ اليمن وتاريخُها» و«النكت العصرية، في أخبار الوزراء المصرية» وفيه كثير من أخباره، تحدَّث بها عن نفسه، وقصائد ومختارات أوردها من شعره ونثره[1].

تَرَكْتَنِيْ فَرْدَاً[2]

في رثاء زوجته أم سيف الملك.

نَبَّهَتْنِي حَمَامَةٌ بِسُحَيْرٍ   عِنْدَ تَغْرِيْدِها عَلى الأَغْصَانِ

---

(١) «الأعلام للزركلي» الجزء الخامس ص ٣٧.

(٢) «النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية» لعمارة اليمني اعتنى بتصحيحه =

هَتَفَتْ بِي وَقَدْ تَحَدَّرَ دَمْعِي فَوْقَ خَدِّي أَحْمَرَاً كَالْجُمَانِ
زِدْتُ هَمَّاً بِنَوْحِهَا فَوْقَ هَمِّي وَاعْتَرَانِي حُزْنٌ عَلى أَحْزَانِي
قُلْتُ مَاذَا التَّغْرِيْدُ: قَالَتْ: دَهَانِي فِي خَلِيْلِي رَيْبٌ مِن الْحَدَثَانِ
قُلْتُ إِنْ كُنْتِ قَدْ عَدِمْتِ خَلِيْلاً فَأنَا قَدْ عَدِمْتُ ظَبْيَةَ بَانِ
دَعْجَةَ الْمُقْلَتَيْنِ فِي وَجْنَتَيْهَا وَرْدَة مِنْ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ
كَمُلَتْ عِفَّةً وَدِيْنَاً وَفَخْرَاً وَبَهَاءً يَزْهَى عَلَى كِيْوَانِ[1]
أَصْلُهَا طَيِّبٌ وَفَرْعٌ زَكِيٌّ مُورِقُ الْعُوْدِ يَانِعُ الأَغْصَانِ
وَعَدِمْتُ السُّلُوَّ وَاعْتَضْتُ عَنْهُ زَفَرَاتِ اللَّهِيْبِ والنِّيْرَانِ
إِذْ دَهَتْنِي فِيْهِ خُطُوْبُ اللَّيَالِي وَرَمَتْنِي عَنْ قَوْسِهَا الْمِرْنَانِ[2]
وَخَلَتْ بَعْدَهَا الدِّيَارُ فَأَضْحَتْ مَوْطِنَاً لِلذِّئَابِ وَالْغِرْبَانِ
بَعْدَ عَهْدِيْ بِهَا أَنِيْسَةَ رَسْمٍ فَرَمَتْهَا الْمَنُوْنِ بِالشَّنْآنِ[3]
غَدَرَتْنَا الأَيَّامُ بَعْدَ اجْتِمَاعٍ بَدَّدَتْ شَمْلَنَا مِنَ الأَوْطَانِ
فَصَغِيْرٌ بَاكٍ بِقَلْبٍ قَرِيْحٍ وَكَبِيْرٍ يَنُوْحُ بِالأَشْجَانِ
بَعْضُنَا قَدْ قَضَى وَبَعْضٌ سَيَتْلُوْ وَالْمَنَايَا تَحُثُّنَا بِسِنَانِ
وَيْحَ قَلْبِيْ لَمَّا حَدَا حَادِي الْمَوْتِ وَسَارُوا بِنَعْشِهَا لِلْمَكَانِ

= هرتويغ دورنبرغ طبعة مكتبة المثنى بغداد عن طبعة مطبعة مرسو، في مدينة شالون على نهر سون سنة ١٨٩٧. ص ٣٧٦.

(١) كيوان: كوكب زحل، وهي لفظة معرَّبة.

(٢) مرنان: مصوِّت. له رنَّة.

(٣) الشنآن: البغض.

أَنْزَلُوْهَا فِي التُّرْبِ رَغْماً بِرَغْمِي ثُمَّ صَارَتْ رَهِيْنَةَ الأَكْفَانِ

غَيَّبُوا شَخْصَهَا فَغَابَ صَوَابِي وَبَهَائِي وَمُهْجَتِي وَجِنَانِي

وَتَمَنَّيْتُ لَوْ فَدَيْتُ ثَرَاهَا بِسَوَادِ الْعُيُوْنِ مِنْ أَجْفَانِي

رُحْتُ عَنْهَا بِخَيْبَةٍ وَإِيَاسٍ وَلَهِيْبٍ يُمِضُّ كَالأُفْعُوَانِ

كَانَ أُنْسِي بِهَا قَدِيْماً وَقِدْماً كُنْتُ أَسْطُوْ بِهِ عَلَى الأَزْمَانِ

تَرَكَتْنِيْ فَرْداً أُكَابِدُ شِبْلِيْ وَأُرَدِّدُ النُّوَاحَ بِالأَلْحَانِ

وَأُقَضِّيْ عُمْرِيْ بِظَنٍّ كَذُوْبٍ وَبِقَلْبِي مَا لاَ يُؤَدِّي لِسَانِي

فَسَلامٌ عَلَيْكِ مَا غَرَّدَ الطَّيْرُ عَلَى أَيْكَةٍ مِنَ الأَغْصَانِ

وَحَبَاكِ الإِلَهُ مِنْهُ نَعِيْماً دَائِماً ثَابِتاً مَعَ الْوِلْدَانِ

فِي خُلُوْدِ مِنَ الْجِنَانِ مُقِيْم مَعْ حَرِيْمِ النَّبِيِّ فِيْ رِضْوَانِ

أَبُو الرَّبِيْعِ الْمُوَحِّد

(٥٥٣ - ٦٠٤ هـ / ١١٣٧ - ١٢٠٧ م)

سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي الزناتي الكوفي الموحِّد. من أمراء بني عبد المؤمن كان يلي مدينة «سجلماسة» وأعمالها وكان فصيحاً بالعربية والبربرية. وفي المؤرخين من يراه كابن المعتز في بني العباس، وكان يشير على العلماء بتأليف بعض الكتب صنَّفَ كتاباً في «شيوخ ابن وهب ومناقبه» و«نظم العقود ورقم الحلل والبرود» و«مختصر الأغاني» وله ديوان شعر إصدار جامعة محمد الخامس المغرب. ١٩٧٤ بتحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ومحمد بن العباس القباج، وسعيد أعراب، ومحمد بن تاويت النطواني، فيه مراثٍ عدَّة في زوجته.

يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ(١)

يَـا صَـاحِـبَ الْـقَـبْـرِ الْـغَـرِيْـبِ كَـأَنَّ مَـا
غَـنَّـيْـنَـا: يَـا صَـاحِـبَ الْـقَـبْـرِ الْـغَـرِيْـبِ
كَـمْ بَـيْـنَ مَـشْـقُـوْقٍ عَـلَـيْـهِ مِـنَ الْـجُـيُـوْبِ
وَبَـيْـنَ مَـشْـقُـوْقٍ عَـلَـيْـكِ مِـنَ الْـقُـلُـوْبِ

---

(١) «ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحد» تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، محمد بن العباس القباج، سعيد أعراب، ومحمد بن تاويت النطواني. إصدار جامعة محمد الخامس/ المغرب. ١٩٧٤ ص ٤٥.

يُفَنِّدُنِي السَّفِيهُ[1]

أَسَاكِنَةَ الْفَلاةِ بِبَطْنِ رَمْسٍ فَرِيْدٍ مَا لَهُ فِي التُّرْبِ جَارُ

تَظَلُّ بِهِ الشَّوَارِدُ آنِسَاتٍ وَلا ذُعْرٌ بِهِنَّ وَلا نِفَارُ

فَكَيْفَ رَضِيْتِهِ وَتَرَكْتِ قَلْباً يَكِنُّكِ إنْ تَعَدَّاكِ الْخِيَارُ؟

يُفَنِّدُنِي السَّفِيْهُ عَلَىٰ بُكَائِي عَلَيْكِ وَقَدْ نَأَيْتِ فَلا مَزَارُ

وَحَوْلِيْ مِنْ بَنِيْكِ، سُقِيْتِ غَيْثاً، فِرَاخٌ كَالْقِطَا زُغْبٌ صِغَارُ

يُقَطِّعْنَ الْقُلُوْبَ عَلَيْكِ مَهْمَا ذَكَرْتُكِ وَالدُّمُوْعُ لَهَا انْهِمَارُ

وَمَهْمَا أَبْصَرُوا أُمّاً تَنَادَوا بِأُمِّهِمُ فَكَيْفَ لِي اصْطِبَارُ؟

حَلَلْتِ مِنَ النَّعِيْمِ مَحَلَّ أَمْنٍ وَحَيَّتْكِ الْكَرَامَةُ وَالْقَرَارُ

وَسَقَّتْ ذَلِكَ الرَّمْسَ الْغَوَادِيْ حَياً مَا أَعْقَبَ اللَّيْلَ النَّهَارُ

لَقَدْ نُقِلْتَ[2]

قَبْرَ الْغَرِيْبِ سُقِيْتَ الْغَيْثَ مِنْ جَدَثٍ
وَجَادَ تُرْبَكَ هَطَّالٌ مِنَ الدِّيَمِ

إِنْ كُنْتَ قَدْ خَلَّفْتَ نُعْمَىٰ غَيْرَ بَاقِيَةٍ
لَقَدْ نُقِلْتَ لِمَا يَبْقَى مِنَ النِّعَمِ

---

(١) «ديوانه» ص ٤٥.

(٢) «ديوانه» ص ٤٦.

تَنَغَّصَتِ الْحَيَاة لِفَقْدِهِ[1]

سَلِّمْ عَلَىٰ قَبْرٍ تَضَمَّنَ لَحْدُهُ
شَخْصاً تَنَغَّصَتِ الْحَيَاة لِفَقْدِهِ
وَاسْكُبْ دُمُوْعَكَ فِي ثَرَاهُ فَقَلَّمَا
لَذَّتْ نَضَارَةُ عَيْشِنَا مِنْ بَعْدِهِ
يَا قَلْبُ لَوْ أَصْفَيْتَهُ مَحْضَ الْهَوَىٰ
مَا كُنْتَ تَبْرَحُ طَائِعَاً مِنْ عِنْدِهِ
حَتَّى نَذُوْبَ صَبَابَةً وَتَأَسُّفَاً
وَنَكُوْنَ مَلْحُوْدَاً مُجَاوِرَ لَحْدِهِ

الْمُلْتَقَى الْحَشْرُ وَالْمَعَادُ[2]

قَدْ شَفَّنِي الْبَيْنُ وَالسَّهَادُ — فَحَشْوُ أَجْفَانِي الْقَتَادُ
يَا نَازِحاً وَهْوَ فِي فُؤَادِيْ — إِنْ كَانْ لِيْ بَعْدَهُ فُؤَادُ
لَوْ بِنْتَ عَنِّيْ بِحَيْثُ أَرْجُوْ — مَلْقَاكَ مَا شَفَّنِي الْبِعَادُ
لَكِنَّهَا غَيْبَةُ الْمَنَايَا — وَالْمُلْتَقَى الْحَشْرُ وَالْمَعَادُ
وَكَيْفَ أَسْلُوْكَ أَوْ أَسَلَّىٰ — وَالْوَجْدُ مَا إِنْ لَهُ نَفَادُ
جَادَتْ بِذَاكَ الثَّرَى الْغَوَادِيْ — وَعَادَ مِنْ بَعْدِهَا الْعِهَادُ[3]

---

(١) «ديوانه» ص ٤٦.
(٢) «ديوانه» ص ٤٦.
(٣) العِهَادُ: جمع عهد، وهو أول مطر الربيع.

فِي شُغْلٍ مِنَ الْبَعْثِ[1]

مَرَرْتُ عَلَى مَغْنَى الأَحِبَّةِ بَعْدَمَا
مَحَا رَسْمَهُ كَرُّ الضُّحَى وَالأَصَائِلِ
فَنَادَيْتُ: يَا مَغْنَى الأَحِبَّةِ أَيْنَ مَنْ
عَهِدْتُهُمُ سُكَّانَ هَذِي الْمَنَازِلِ
فَقَالَ: إِلَىٰ دَارِ الْقُبُوْرِ تَرَحَّلُوا
وَأَيُّ مُقِيْمٍ فِي الدُّنا غَيْرَ رَاحِلِ؟
فَإِنْ تَسْأَلِ الأَجْدَاثَ عَنْهُمْ صَبَابَةً
فَحَسْبُكَ مَرْآهَا جَوَابَاً لِسَائِلِ
وَكَيْفَ يَرُدُّوْنَ السُّؤَال وَإِنَّهُمْ
لَعَمْرِكَ فِي شُغْلٍ مِنَ الْبَعْثِ شَاغِلِ

فَاسْتَيْقِنُوا الْيَأْسَ مِنْ صِبْرِيْ[2]

يَقُوْلُوْنَ: صَبْرَاً مَا الْبُكَاءُ بِنَافِعٍ
وَلا رَاجِعٌ مَنْ قَدْ مَضَىٰ آخِرَ الدَّهْرِ
فَقُلْتُ وَأَجْفَانِيْ تَجُوْدُ بِمَائِهَا:
أَمَا لِيْ فِيْ قَوْلِ «الْعَقِيْلِيِّ مِنْ عُذْرِ؟[3]

---

(١) «ديوانه» ص ٤٧.

(٢) «ديوانه» ص ٣٧.

(٣) «القحيف بن خمير بن سليم، المتوفى في العقد الثالث من القرن الثاني والمذكور في آخر «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام و«الأغاني» للأصفهاني والبيت من أبيات قالها في رثاء صديق صُلِب وهي: =

= لَعَمْرِيْ لَئِنْ أَصْبَحْتَ فَوْقَ مُشَذَّبٍ

طَوِيْلٍ تُعَفِّيْكَ الرِّيَاحُ مَعَ الْقَطْرِ

لَقَدْ عِشْتَ مَبْسُوْطَ الْيَدَيْنِ مُبَرَّزاً

وَعُوْفِيْتَ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ

وَأُفْلِتَّ مِنْ ضِيْقِ التُّرَابِ وَغَمِّهِ

وَلَمْ تَفْقِدِ الدُّنْيَا فَهَلْ لَكَ مِنْ شُكْرٍ؟

فَمَا تَشْتَفِيْ عَيْنَايَ مِنْ دَائِمِ الْبُكَا

عَلَيْكَ وَلَوْ أَنِّيْ بَكَيْتُ إِلَى الْحَشْرِ

ويلاحظ التخالف في الضميرين في الغيبة والحضور والتأنيث والتذكير لاختلاف السياق.»

هذا ما ورد في هامش المحققين للديوان، وقد وجدت أن الأبيات تنسب لأكثر من «عقيلي» بينهم بشار بن برد وهو مولى بني عقيل وإليهم ينسب، راجع الأبيات في ديوانه الجزء الرابع ص ٧٥ بشرح أحمد الطاهر بن عاشور طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٧ . وفي «زهر الآداب» الجزء الرابع ص ١٠٩٢ الأبيات للعقيلي دون تفصيل ، وفي «الوافي بالوفيات» الأبيات لمحمد بن علي بن أبي حمزة العقيلي الكوفي، وفي «عيون الأخبار» لمحمد بن أبي حمزة مولى الأنصار، وفي «أمالي اليزيدي» ص ١٣٦ للعنقلي، ولعله خطأ في التصحيف، في صديق له صلب في الزندقة وتمام الأبيات التي يورها:

لَعَمْرِيْ لَئِنْ أَصْبَحْتَ فَوْقَ مُشَذَّبٍ

طَوِيْلٍ تُعَفِّيْكَ الرِّيَاحُ مَعَ الْقَطْرِ

لَقَدْ عِشْتَ مَبْسُوْطَ الْيَدَيْنِ مُبَرَّزاً

وَعُوْفِيْتَ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ

وَأُفْلِتَّ مِنْ ضِيْقِ التُّرَابِ وَغَمِّهِ

وَلَمْ تَفْقِدِ الدُّنْيَا فَهَلْ لَكَ مِنْ شُكْرٍ؟

فَإِنْ كُنْتَ زِنْدِيْقاً فَذُقْ غِبَّ مَا جَنَتْ

يَدَاكَ فَلاَ يَبْعُدْ سِوَاكَ أَبَا عَمْرُو

وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُوْماً وَلَمْ تَكُ ظَالِماً

فَلَسْتَ غَبِيّاً يَا عُبَيْدُ عَنِ الأَجْرِ =

فَمَا تَشْتَفِيْ عَيْنَايَ مِنْ دَائِمِ الْبُكَا

عَلَيْها وَلَوْ أَنِّيْ بَكَيْتُ إِلَى الْحَشْرِ

فَخَلُّوا مَلامِيْ إِنَّنِيْ غَيْرُ صَابِرٍ

عَلَىٰ فَقْدِهَا فَاسْتَيْقِنُوا الْيَأْسَ مِنْ صِبْرِيْ

= عَلَى أَنَّ فِيْ قَلْبِيْ عَلَيْكَ حَزَازَةً

تُرَدِّدُ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ

فَمَا تَشْتَفِيْ عَيْنَايَ مِنْ دَائِمِ الْبُكَا

عَلَيْكَ وَلَوْ أَنِّيْ بَكَيْتُ إِلَى الْحَشْرِ

فَطُوبَى لِمَنْ يَبْكِيْ أَخَاهُ مُجَاهِراً

وَلَكِنَّنِيْ أَبْكِيْ لِفَقْدِكَ فِيْ سِتْرِ

ابنُ سَنَاءِ الْمَلِك

(٥٤٥ - ٦٠٨ هـ = ١١٥٠ - ١٢١٢ م)

هبة الله بن جعفر بن سناء الْمَلِك، «القاضي السعيد» شاعرٌ من النبلاء هو الأديب المصري، الكامل المشهور. قال عنه الصفدي كان كثيرَ التنعُّم وافرَ السعادة محظوظاً من الدُّنيا! وهو عندي من الأدباء الكَمَلَة لأنه جَوَّدَ الترسُّلَ والموشَّحات البديعة، وأما شعرُهُ فإنَّهُ في الذروة العُليا كثير الغَوص على المعاني، كثير الصناعة، واري زِنادَ التورية، وقال ابنُ سعيد المَغرِبي: كان غالياً في التشيُّع وله مصنَّفات: منها «ديوان موشحات» وكتاب «دار الطراز»، واختصر «كتاب الحيوان» للجاحظ وسماه «روح الحيوان» وهي تسميةٌ لطيفةٌ، وأحبَّهُ أهلُ الدولة لدَماثةٍ كانت فيه وحُسن عِشْرَة وتودُّد وربُّ المال محبوبٌ، فسار له ذِكْرٌ جميلٌ.

هذه القصائد تظهر قصة حب تراجيدية تنتهي برحيل الحبيب، وبقاء المحب باكياً شكاياً يصوغ الأحزان درراً ويبدو أنها مراث لأكثر من امرأة، لكنْ تَتَّصفُ جميعُها برقَّةِ الشَّجن، وجمالية التعبير.

مَرْثِيَةُ عَيْنِ الشَّمْسِ (١)

بَكَيْتُكِ بِالْعَيْنِ الَّتِيْ أَنْتِ أُخْتُهَا

وَشَمْسُ الضُّحَى تَبْكِيْكِ إِذْ أَنْتِ بِنْتُهَا

---

(١) «ديوان ابن سناء الملك» تصحيح محمد عبد الحق طبعة مطبعة مجلس دائرة المعارف الهندية ١٩٥٨ حيدر آباد الهند/ ص ١٢١.

وتَـضْـحَـكُ غِـزْلانُ الْـفَـلاةِ لأَنَّـنِـيْ

بِعَيْنَيْكِ لَمَّا أَنْ نَظَرْتُ فَضَحْتُهَا

وَيَاْ مُنْيَةً يَاْ لَيْتَنِيْ لَمْ أَفُزْ بِهَا

وَأُمْنِيَةً يَا لَيْتَنِيْ مَاْ بَلَغْتُهَا

شَـهِـدْتُ بِـأَنِـيَّ فِـيْـكِ أَلأَمُ ثَـاكِـلٌ

لِلَيْلَةِ بَيْنٍ مُتٌّ فِيْها وَعِشْتُهَا

أَفَادِيَتِي يَا لَيْتَ أَنِّي فَدَيْتُها

وَسَابِقَتِيْ يَا لَيْتَ أَنِّي سَبَقْتُهَا

وَقَدْ كُنْتِ عِنْدِيْ نِعْمَةً وَكَأَنَّنِيْ

وَقْدِ عِشْتُ يَوْماً بَعْدَهَا قَدْ كَفَرْتُهَا

وَمَا بَالُ نَفْسِيْ فِيْكِ مَا كَاْنَ بَخْتُهَا

مَمَاتِيَ لَمَّا لَمْ يَعِشْ مِنْك بَخْتُهَا

نعَمْ كَبِدِيْ لا وَجْنتِيْ مُذْ لَطَمْتُهَا

عَلَيْكِ وَعَيْنيْ لا ثِيَابِيْ شَقَقْتُهَا

أَيَا دَهْرُ قَدْ أَوْجَدْتَنِيْ مُذْ وَجدْتُهَا

فَمَا لَكَ لاْ أَعْدَمْتَنِيْ إِذْ عَدِمْتُها

تَطَلَّبْتُها مِنْ نَاظِرِي بَعْدَ فَقْدِهَا

فضَاعَتْ وَلَكِنْ فِيْ فُؤَادِي وَجَدْتُهَا

نَكِلْتُكِ بَذْراً فِيْ فَؤَاْدِي شُرُوْقُهُ

وَفَاْكِهَةً فِيْ جَنَّةِ الْخُلْدِ نبْتُهَا

عَلَىٰ رَغْمِهَا خَانَتْ عُهُودِيْ وَإِنَّهُ
جَزَاءٌ لأَنِّي كَمْ وَفَتْ لِيْ وَخُنْتُهَا!
وَأَنْفَقْتُ مِنْ تِبْرِ الْمَدَامِعِ لِلأَسَىٰ
كُنُوْزاً لِهَذَا الْيَوْمِ كُنْتُ ذَخَرْتُهَا
وَسَالَتْ عَلَى خَدَّيَّ مِنْ لوْعَةِ الْجَوَىٰ
سيُوْلُ دُمُوْعٍ خُضْتُهَا ثُمَّ عُمْتُهَا
لآلِئُ دَمْعَيْ مِنْ لآلِئَ ثَغْرِهَا
فَفِيْ وَقْتِ لَثْمِيْ كُنْتُ مِنْهُ سَرَقْتُهَا
قَدِ اعْتَذَرَتْ نَفْسِيْ بِأَنَّ بَقَاْءَهَا
لِتَنْدُبَهَا، لَكِنَّنِيْ مَا عَذَرْتُهَا
وَجُهْدِي إِمَّا زَفْرَةٌ قَدْ حَبَسْتُهَا
عَلَيْهَا وَإِمَّا دَمْعَةٌ قَدْ سَكَبْتُهَا
أَصَارَتْ حَصَاةَ الْقَلْبِ مِنِّي حَقِيْقَةً
حَصَاةً لأَنِّي بَعْدَهَا قَدْ نَبَذْتُهَا
وَمَعْشُوْقَةٍ لِيْ لسْتُ أَعْشَقُ بَعْدَهَا
نَعَمْ لِيَ أُخْرَىٰ بَعْدَهَا قَدْ عَشِقْتُهَا
عَشِقْتُ عَلَىٰ رَغْمِ الْحَيَاْةِ مَنِيَّتِيْ
تَرَانِيَ لَمَّا أَنْ عَشِقْتُ أَغرْتُهَا؟
أَزُوْرُ فُؤَادِيْ كُلَّمَا اشْتقْتُ قَبْرَهَا
غَرَاماً لأَنِّيْ فِيْ فُؤَادِي دَفنْتُهَا!

وَأَشْرَقُ بِالْمَاءِ الَّذِيْ قَدْ شَرِبْتُهُ
وَمَا شَرَقِيْ إِلاَّ لأَنِّي ذَكَرْتُهَا
وَأَمْنَحُهَا نَفْسِي وَرُوْحِيْ وَأَدْمُعِي
وَلَوْ طَلَبَتْ مِنِّي الزِّيَادَةَ زِدْتُهَا
مَحَاسِنُها تَحتَ الثَّرَىٰ مَا تَغَيَّبَتْ
كَذَا بِجَنَانِيْ لا بِعَقْلِيَ خِلْتُهَا
وَلَوْ بَلِيَتْ تِلْكَ الْحُلَىٰ وَتَنَكَّرَتْ
وَأَبْصَرْتُهَا بَعْدَ البِلَىٰ لَعَرَفْتُهَا
يُرِيْنِيْ خَيَالِيْ شَخْصَهَا وَبَهَاءَهَا
وَنُضْرَتَهَا حَتَّى كَأَنِّي نَظَرْتُهَا
غَدَتْ فِيْ ثَرَاهَا عَاطِلاً وَبِجِيْدِهَا
عُقُوْدُ لآلٍ مِنْ دُمُوْعِي نَظَمْتُهَا
فيَا لَحْدَهَا يَا لَيْتَ أَنِّي سَكَنْتُهُ
وَأَكْفَانَهَا يَا لَيْتَ أَنِّي لَبِسْتُهَا
فَلاَ تَجْحَدِيْ إِنْ قُلْتُ: قَبْرُكِ جَنَّةٌ
فَرَائِحَةُ الْفِرْدَوْسِ مِنْهُ شَمَمْتُهَا!

ثَرَاكِ دَفَنْتُ بِهِ نَاظِرِيْ[1]

ثَرَاكِ دَفَنْتُ بِهِ نَاظِرِيْ ... وَقَالُوا مَدَدْتُ عَلَيْهِ الْحِجَابَا
بِلاهُ بِهِ رَمَدٌ لا بِلَىً ... لأَنِّي حَثَوْتُ عَلَيْهِ التُّرَابَا

---

(١) «ديوانه» ص ٧٧.

وَمَا ذُقْتُ أَوْجَعَ مِنْ فَقْدِهَا عَلَى أَنَّني قَدْ ثَكِلْتُ الشَّبَابَا

أستحي[1]

أَسْتَحِيْ أَنْ أَقُوْلَ لِلنَّاسِ ما أُضْمِرُ مِنْ حَسْرتِي عَلَيْهَا وَحُزْني

وأُرَاعِي مَا لا يَرَى مَا أُعَانِيْهِ لَئلَّا يَخِفَّ في النَّاسِ وَزْنِي

خَيَالُكِ لا يَبْلَى[2]

خَيَالُكِ لا يَبْلَى وَشَخْصُكِ بَالِ

ومِثْلِيَ مَنْ لا يَلْتَهِي بِمِثَالِ

وَإِنْ كُنْتِ في جَنَّاتِ عَدْنٍ فَرُبَّمَا

حَزِنْتِ لبُعْدِي لوْ عَلِمْتِ بِحَالِي

عَلَى الرَّغْمِ منِّي ذَا السُّلُوُّ وَإِنَّهَا

عَلَى رَغْمِهَا ألاَّ تُجِيْبَ سُؤَالي

سُكُوْتُكِ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ تَعَمُّداً

لِعَيٍّ لِسَانٍ أَمْ لِفَرْطِ دَلاَلِ؟

لَعَمْرِيْ أَمَّا عُمْرُهَا مَا وَفَى لَهَا

وأَمَّا لِسَانِي بَعْدَها فَوَفَى لِي

---

(١) «ديوانه» ص ٨٤٧.

(٢) «ديوانه» ص٦٤١.

اسْمَعْ بِعَيْنَيْكَ[1]

يَا أَيُّهَا الْغُصْنُ الَّذِيْ قَدْ ذَوَىْ بَلْ أَيُّهَا النَّجْمُ الَّذِيْ قَدْ هَوَىْ

بَكَيْتُ مِنْ حُسْنِكَ كَيْفَ اخْتَفَى عَنَّا وَمِنْ شَخْصِكِ كَيْفَ انْطَوَىْ

كَتَمْتَ ذَاكَ الْوَجْهَ لَمَّا انْتَهى حُسْناً وَذَاكَ الْقَدَّ لَمَّا اسْتَوَىْ

بَلِيْتُ فَوْقَ الأَرضِ حَزْناً كَمَا بَلِيْتَ فِيْهَا فَكِلاَنَا سَوَىْ[2]

وَمَرَّ بِيْ يَرْوِيْ حَدِيْثَ الأَسَى فَاسْمَعْ بِعَيْنَيْكَ الَّذِي قَدْ رَوَى

وَا وَحْشَةَ الْكَاسَاتِ مِنْ شِبْهِهَا رِيْقاً وَأَنْفَاساً تُدَاوِي الْجَوَى

فَيَا جَوَى الْقَلْبِ تَضَاعَفْ فَقَدْ تَرَحَّلَ الحيُّ وَأَقْوَى اللِّوى

لَهْفِيْ عَلَىْ رِيقِكَ مِنْ مَوْرِدٍ غَاضَ وَكَمْ صبٍّ بِهِ مَا ارْتَوَى

وَجَمْرَةٌ فِيْ خَدِّهِ مَا انْطَفَتْ لَكِنْ قَوَى قَلْبِيْ بِهَا فَاكْتَوَىْ

أَعْيَا دَوَاءُ الطِّبِّ فِيْ سُقْمِهِ وَالْمَوْتُ دَاءٌ مَا لَهُ مِنْ دَوَا

حَسَدْتُ فِيْهِ التُرْبَ إِذْ ضَمَّهُ دُوْنِيْ وَقَبْراً فِيْهِ لَمَّا ثَوَىْ

يَا مَنْ حَوَاهُ في الدُّنَا لَحْدُهُ وَالْقَبْرُ مَسْرُوْرٌ بِمَا قَدْ حَوَى

تَظُنُّنِيْ أَسْلُوْكَ أَوْ أَنَّهُ يَنْسَاكَ قَلْبِيْ؟ لا وَحَقِّ الْهَوَىْ

---

(١) «ديوانه» ص ٨٧٣.

(٢) في الديوان، بُليتُ، والأصح ما أوردناه «بَلِيْت» من البِلى، لأن الأولى أصلها البلاء تتعدى بالباء، فنقول بُليت به.

أَهَذَا صَنِيعُ التُّرْبِ بالغُصُنِ الرَّطْبِ[1]

لَئِنْ كُنْتِ مِنْ عَيْنِيْ نُقِلْتِ إِلَىٰ قَلْبِي
فَقَدْ صَارَ أَقْصَى البُعْدِ فِي أَقْرَب القُرْبِ
وَإِنْ كَـانَ هَـذَا الـصَّـدُّ مِـنْـكِ تَـعَـتُّـبَـاً
عَلَيَّ فعِنْدِي أَلْفُ عَتْبٍ مِنَ الْعَتْبِ
وَإِنْ كُنْتِ فِي شُغْلٍ فَهَلْ هُوَ شَاغِلٌ
كَشُغْلِكِ قِدْماً بالدَّلاَلِ وَبِالعُجْبِ
وإِنْ كُنْتِ غضبَىٰ مِنْ فِرَاقِي فإِنَّهُ،
ولا تَظْلمِي، ذَنْبُ الْمَنِيَّةِ لا ذَنْبي
دَعِي ذَا وَقُوْلِي كَيْفَ خُلِّيْتِ لِلرَّدَىْ
وأُخْرِجْتِ مِنْ خَلْفِ الْمَقَاصِيرِ وَالْحُجْبِ؟
وَكَيْفَ اعْتَدَى ذَاكَ الْحِمَامُ عَلَى الْحِمَى
وَكَيْفَ سَبَاكِ الْمَوْتُ جَهْراً بِلاَ حَرْبِ؟
وَكَيْفَ أَراقُوا مَاءَ وَجْهِك في الثَّرَى
فأَفْنَاهُ دُوْنِي شَرْبُهُ مِنْهُ لا شُرْبِي
وَكَيْفَ ابتَلَوا تِلْكَ الْمَعَاطِفَ بِالبِلَى
كَمَا امْتهَنُوا تِلْكَ التَّرَائِبَ بالتُّرْبِ
بِرغْمِيَ قَدْ أُنْزِلْتِ أَضْيَقَ مَنْزِلٍ
فَلا مَرْحَباً بِالْمَنْزِلِ الوَاسِعِ الرَّحْبِ

---

(١) «ديوانه» ص ٦٢.

وَمَا وَجْهُكِ الوَجْهُ الَّذِي غَابَ فِي الثَّرَى

وَلَكِنَّهُ البَدْرُ الَّذِي غَابَ فِي الغَرْبِ

فَلاَ تَسْأَلِي عَنْ حَالِ دَارِكِ وَانْظُرِي

إِلَى الشِّعْبِ أَخْلَتْ رَبْعَهُ ظَبْيَةُ الشِّعْبِ[1]

بَكَتْ دُوْرُكِ اللاَّتِي عَلَيْكِ تَسَلَّيَتْ

مِن الْحُزْنِ لمَّا عُوْجِلَتْ مِنْكِ بِالسَّلْبِ

وَرَبْعُكِ أَضْحَى خَاشِعَاً مُتَصَدِّعَاً

وَسَاخَ إِلَى أَنْ صَارَ أَعْلاَهُ كَالْجُبِّ

وَيَنْدُبُ حَتَّى يَسْمَعَ الْخَلْقُ نَدْبَهُ

مُصَلاَّكِ بِالتَّسْبِيْحِ لا العُوْدُ بالضَّرْبِ

وَحَاشَاكِ مِنْ لَغْوٍ وَحَاشَاكِ مِنْ رَدٍ

وَحَاشَاكِ منْ لَهْوٍ وَحَاشَاكِ منْ لَعْبِ

وما بَرحَتْ في الحُسْنِ قِنْدِيلَ قِبْلَةٍ

وفي الطُّهْرِ لا رَيْحَانَةَ الشَّرْبِ والشُّرْبِ[2]

إِذا ظَهرَتْ كان الْحِجَابُ مِنَ الْحجَىَ

وَإِنْ سَفَرَتْ نَابَ الحَيَاءُ عن النَّقْبِ

ومِنْ طَبْعِهَا ذَاكَ الْعَفَافُ وَكَسْبُهَا

وَمَا أَحْسَنَ الطَّبْعَ الَّذِي زِيْدَ بِالْكَسْبِ

---

(١) الشَّعْبُ: الحيّ. وقيل أن أصله أن يكون مكاناً بين جبلين.

(٢) الشَّرب بالفتح : الشراب، والشِّرب بالكسر: النصيب من الماء وهو الشربة.

وَقَدْ طُوِيَتْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْطوِي الصِّبا
وَقَدْ بَلِيَتْ مِنْ قَبْلِ أَثْوَابِها الْقُشْبِ[1]

وأَمَّا حَدِيْثِي أَنَّنِي الثَّاكِلُ الَّذِي
أَقَامَ زَمَاناً فِيْكِ يُعْرَفُ بالصَّبِ

ودَافَعْتُ عَنْكِ الْمَوْتَ بِالطِّبِّ جَاهِداً
وَذَا غَلَطٌ، هَلْ يُدْفَعُ الْمَوْتُ بالطِّبِّ؟

وحُمَّاكِ غَاثَتْ فِيْ حِمَاكِ وأَدْخَلَتْ
عَلَيْكِ الضَّنَىْ حَتَّىْ أَبَاحَتْهُ لِلنَّهْبِ

وزارَتْكِ غِبَّاً كَيْ يُحَبَّ مَزارُهَا
وَيَا جَهْلَهَا بِالْمَوْتِ فِيْ ذَلِكَ الْغِبِّ[2]

وَمَا أَنَا مِمَّنْ شَقَّ ثَوْباً وَإِنَّهُ
لَفِعْلُ خَلِيٍّ عَنْ تَفَعُّلِهِ يُنْبِيْ

نَعَمْ كَبِدِي وَالْقَلْبُ مِنِّيَ شُقِّقَا
عَلَيْكِ أَسَىً، هَذَا شِغَافِي وَذَا خَلْبِيْ[3]

ورُمْتُ نُهُوْضاً إِذْ عَثَرْتُ فَلَمْ أَقُمْ
عَلَى قَدَمِي لَكِنْ سَقَطْتُ عَلَى جَنْبي

وَرُزْؤُكِ أَشْهَى مِنْ سُهَادِي لِنَاظِرِيْ
ورُوْحِيْ إِلَى جِسْمِي وَأَمْنِيْ إِلى قَلْبي

---

(١) القُشب: الجديدة.

(٢) الغبُّ: هو أن ترتفع درجة حرارة المريض في يوم، وتنخفض في اليوم التالي، ثم تعاود الارتفاع.

(٣) الخِلب: اللب، وقيل هو خجاب القلب، وهو هنا كناية عن البواطن.

فَيَا مُهْجَتِي ذُبِّيْ وَيَا دَمْعَتِي اسْكُبي
وَيَا كَبِدِيْ شِيْبِي ويَا لَوْعَتِيْ شُبِّي
ولَمْ أُبْقِ مِنِّي العَيْنَ إلاَّ لأَنَّهَا
تُرِيْحُ ثرَاكِ الحُرَّ مِنْ مِنَّةِ السُّحْب
بَكَى نَاظِريْ بِالنُّورِ مِنْ بَعْدِ دَمْعِهِ
عَلَيْكِ وَهَذَا حَسْبُهُ فِيْكِ لا حَسْبي
وَوَاللهِ مَا وَفَّاكِ حَقَّكِ مَدْمَعِي
عَلى أنَّهُ قَدْ أَنْبَتَ الأَرْضَ بِالْعُشْبِ
أَقَامَتْ عَلَيْكِ الْقَفْرُ مَأْتَمَ حُزْنِهَا
فقُوْمِي انْظُرِيْ وسْطَ الْفَلاَ مَأْتَمَ السِّرْبِ
وَمُذْ مُتِّ صَارَتْ سَبْعَةُ الشُّهْبِ سِتَّةً
ومَاذَا الدُّجَى إلاَّ الحِدَادُ عَلَى الشُّهْبِ؟
أَحِنُّ إِلَيهَا كُلَّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ
حَنِيْنَ الْحَنَايَا لاَ الرَّؤوِمِ إِلى السَّقْبِ[1]
وآنَسَنِيْ مِنْ بُعْدِهَا طُوْلُ وَحْشَتِي
وَضَاجَعَنِي فِي مَضْجَعي بَعْدَها كَرْبِيْ
وَأَيْسَرُ مَا بِي أَنَّنِي مِنْ تَدَلُّهِي
أَرُوحُ بِلاَ ذِهْنٍ وأَغْدُوْ بِلاَ لُبِّ

---

(١) السقب: الذكر من ولد الناقة.

أَغِـيْـبُ ذُهُـولاً ثُـمَّ أَحْـضُـرُ فِـكْـرَةً

وأَعْلَـمُ مَنْ بي ثُمَّ أسأَلُهُمْ: مَنْ بِيْ؟

عَدِمْتُ الصِّبا مِنْ قَبْلِهَا وَعَدِمْتُهَا

وأَوجَعُ مِنْ فَقْدِ الصِّبا فَقْدُ مَنْ يُصْبي

وَأَشْبَـهَ حَالِـي حَالَـها فَتَـرَى الـرَّدَى

قَضَى نَحْبَها فِيْمَا أَرَى أَوْ قَضَى نحْبي؟

عَـدَتْ هَـذِهِ الـدُّنْيَـا عَـلـيَّ وأَسْـرَفَـتْ

بفجْعٍ عَلَى ثَلْمِي وندْبٍ عَلَى نَدْبِ

أَغَارَتْ عَلَى سَرْحِي أعانَتْ عَلَى دَمِي

أصرَّتْ عَلَى ثَلْمِي أَقَامَت عَلَى ثَلْبِيْ

وَسَـاعَـاتُـهَـا الـغِـرْبَـانُ إِذْ كُـلُّ سَـاعَـةٍ

تُـبَـشِّـرُنِـيْ بِـالـنَّـعْـي فِـيْـهَـا وَبِـالـنَّـعْـبِ

إِلَـى كَـمْ؟ إِلَـى كَـمْ؟ نَـكْـبَـةٍ بَـعْـدَ نَـكْـبَـةٍ

تُـزَعْـزِعُ رُكْـنِـي مِـنْ زَعَـازِعِـهَـا الـنُّـكْـب

فَـمَـالِـي وَلِـلـدُّنْـيـا وَمَـالِـي وَلِـلْـعِـدَى

ومالي ولِلعَدْوى وَمَالي وَلِلخَطْبِ؟

لَـقَـدْ قَـلَّ قَـلْـبُ الْـمَـرْءِ وَانْـحَـطَّ سُـمْـكُـهُ

وَلَـوْ أَنَّـهُ بَـيْـنَ الـسِّـمَـاكَـيْـن وَالـقَـلْـبِ[1]

---

(١) السِّماكان: نجمان كانت العرب توقِّتُ الصَّيْفَ بينهما، والْقَلْبُ: منزل من منازل القمر. ويتضح أن الشاعر يستخدم الجناس اللفظي بكثرة في هذه القصيدة، أي: استخدام كلمات متحدة في اللفظ، مختلفة في المعنى.

وَقَدْ قِيْلَ إِنَّ الشُّهْبَ يَنْفُذُ حُكْمُهَا
عَلَى ذَا الوَرَى بِالْخَفْضِ منْهَا وبالنَّصْبِ
وإِنْ صَحَّ هَذَا أَنَّ ثَوْراً وَعَقْرَباً
أَلَحَّا عَلى ذَا الْجِنْسِ بالنَّطْحِ وَالْلَّسْبِ
أَيَا تُرْبُ مَا أَنْصَفْتَ نُضْرَةَ غُصْنِهَا
أَهَذَا صَنِيْعُ التُّرْبِ بالغُصْنِ الرَّطْبِ؟
ويا عَاطِلاً مِنْ عِقْدِها إِنَّ أَدْمُعِي
لأَكْبَرُ مِمَّا فِيْهِ مِنْ ذلِكَ الْحَبِّ
خُذِيها وإِنْ لَمْ تَنْتَظِمْ فَلَرُبَّمَا
تَحَيَّلْتُ فِي تَثْقِيْبِهَا لَكِ بِالهُدْبِ
هَجَرْتُ مَعَانِيكِ الَّتِي كُنْتِ لُبَّهَا
وَغَيْرِيَ يَرْضَى بِالْقُشُوْرِ عَنِ اللُّبِّ
وَوَاصَلْتُ قَبْراً أَنْتِ فِيْهِ أَضُمُّهُ
لِصَدْرِي بَلْ أُهْدِي الْهَنَاءَ إِلَى النَّصْبِ
وأَهْدى إِلَيْكِ الذِّكْرَ مِثْلِيْ وَإِنَّهُ
سَلامِيَ لا أُهْدِي السَّلامَ مَعَ الرَّكْبِ
قَدِ اعْتَاضَ يَا بُؤْسَ الَّذِي اعْتَاضَهُ فَمِيْ
بِنَظْمِ الْمرَاثي عَنْ مُقبَّلِكِ الْعَذْبِ
قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبِي وَقَبْرِهِ
وَقُلْ للَّتي فِي القبْرِ حَلَّتْ: أَلا هُبِّي

وَيَا نَاصِحِي مَا أَنْتَ بِاللَّوْمِ نَاصِحِيْ
وَدَعْ صُحْبَتِي مَا أَنْتِ فِي الحُزْنِ مِنْ صَحْبِي

وَلَسْتَ رَفِيْقِي فِي طَرِيْقٍ إِنَّنِي
سأَرْكَبُ مِنْهَا كُلَّ مُسْتَوْعَرٍ صَعْبِ

وَلا تَنْهَ شِعْرِيْ عَنْ رِثَاهَا فَإِنَّهُ
مِنَ الْفَرْضِ عِنْدِي نَدْبُهَا لا مِنَ النَّدْب

وَقَد بَلِيَتْ تَحْتَ الثَّرَى وَتَغَيَّرَتْ
وَوَجْدِيْ بِهَا وَجْدِي وحُبِّي لَهَا حبِّيْ

وَجْهُ الدُّوَيْبَة الحِلِّي

(٦١٠ هـ = ١٢١٤ م)

هِبَةُ الله بن حامد بن أحمد بن أيُّوب بن عليّ بن أيُّوب أبو منصور عميدُ الرُّؤساء اللغويُّ من الحلة المزيدية[١]، كان أديباً فاضلاً نحوياً لغوياً شاعراً، تصدَّر ببلدِهِ وعنه أخذ أهلُها، وكان يُعرف بوجه الدُّويبة وينسب إلى التطفيل

ومن شعره يَرثي زوجته[٢]:

لَمْ تَذْهَبِيْ

لَمْ تَذْهَبِيْ فَأَقُوْلُ الذَّاهِبُ امْرَأَةٌ | وَإِنَّمَا ذَهَبَ الْمَعْرُوْفُ وْالْكَرَمُ
بِيْ مِثْلُ مَا بِكِ إلا أنَّ ذَاكَ بِلَىً | مُغيَّرٌ وَجْهَكِ الْحَالِيْ وَذَا سَقَمُ

---

(١) تنسب الحلَّة، إلى «بني مزْيَد» قبيلة سيف الدولة «صدقة بن منصور بن دبيس المزيدي» وهم الذين مصَّرُوْها بعد أن أقاموا فيها «معجم البلدان» الجزء الثاني ص ٢٩٤.

(٢) «الوافي بالوفيات» الجزء ٢٧ ص ٢٥٩.

إِبْنُ جُبَير

(٥٤٠ - ٦١٤ هـ = ١١٤٥ - ١٢١٧ م)

مُحمَّد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين: رحَّالةٌ أديبٌ، وُلِدَ في بلنسية «فالنسيا الحالية» ونزل بشاطبة، وبرَعَ في الأدب، ونظمَ الشِّعْرَ الرَّقيق، أولع بالترحُّل والتنقُّل فزار المشرق ثلاث مرات ألَّف في إحداها كتابه «رحلة ابن جُبير» ومات بالإسكندرية في رحلته الثالثة.

ويقال: أُنه لم يكتب كتابَ رحلته وإنما قيَّد معاني ما تضمنته فتولى ترتيبها بعض الآخذين عنه. ولابن جبير شعرٌ كثير بينه ديوان في رثاء زوجته عنوانه «نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح» ولعلَّهُ أوَّلُ كتاب مُخصَّص لرثاء الزوجة في الشِّعْرِ العربيِّ، روى لسان الدين بن الخطيب عن ابنِ عبد الملك قوله: وقفت منه على مجلد متوسِّطٍ يكون على قدر ديوان «أبي تمام حبيب بن أوس» ومنه جزء سماه «نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح في مراثي زوجه أمِّ المجد» ومنه جزءٌ سمَّاه «نظم الجمان في التشكِّي من إخوان الزَّمَان»[1]

بيد أن الكتاب لم يصل إلينا للأسف، لكنَّ المقري التلمساني ذكر له بيتين في رثاء زوجته.[2]

---

(١) «الإحاطة في أخبار غرناطة» الجزء الثاني ص ٢٣٤.

(٢) «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» الجزء الثاني ص ٤٨٩.

سَكَنٌ في الثَّرى

بِسَبْتَةَ لِيْ سَكَنٌ فِي الثَّرَىْ   وَخِلٌ كَرِيْمٌ إِلَيْهَا أَتَىْ
فَلَوْ اسْتَطِيْعُ رَكِبْتُ الهَوَا   فَزُرْتُ بِهَا الْحَيَّ وَالْمَيِّتَا

النَّاصِر لِدِينِ الله

(٥٥٣ - ٦٢٢ هـ = ١١٥٨ - ١٢٢٥ م)

أحمد بن الحسن أمير المؤمنين الإمام الناصر لدين الله أبو العبَّاس ابنُ الإمام المستضيء ابن الإمام المستنجد، بُويِعَ له في سنة ٥٧٥ هـ وكانت خلافته ٤٧ سنة. ولم يلِ الخلافة أحدٌ أطولَ مدَّة منه[1]. ومرثيته هنا في زوجته الخلاطية وهي «سلجوقي خاتُون» إبنة سلطان الرُّوم وتُعرف بـ«الخلاطيّة» زوجة الخليفة الناصر لدين الله العباسي وكَانَ يحبُّها. قَدِمتْ بغداد للحجِّ فوُصِفَتْ للناصر وأُخبرَ بِجَمَالها الزَّائد وكَانَتْ متزوِّجةً بصاحب حصن «كيفاء[2]» فحجَّت وعادت إلى بلدها فَتُوفيَ زوجُها فخطبَها الخليفة من أخيها فزوَّجها منه وشُغف الخليفة بِهَا. وبنت لَهَا رباطاً وتربةً بالجانب الغربي. توفِّيت سنة «٥٨٤ هـ» قبل فَرَاغ العمارة. ودَخلَ عَلَى الخليفة من الحزن مَا لا يوصف وارتفع البكاء من الجواري والخدم وعُمل لَهَا العزاء والختمات وتُركت دارها بجميع مَا فِيهَا من الأقمشة والأثاث عَلَى حالها سنينَ عديدة لا يؤخذُ منها شيءٌ ولا يُفتَح[3].

---

(١) «الوافي بالوفيات» الجزء السادس ص ٣١٠ ترجمة رقم ٢٨١٧

(٢) حِصْنُ كيفَا: ويقال كَيبًا قال ياقوت: واظنُّها أرمنية. وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. «معجم البلدان» الجزء الثاني ص ٢٦٥.

(٣) «الوافي بالوفيات» ص ٢٩٦ جزء ١٥ ترجمة رقم ٤١٣ باعتناء بيرند راتكه شترتمارت ١٩٩١

كَذَّبَهُ النُّحُوْلُ[1]

مَنْ قَالَ مُفْتَرِياً عَلَيَّ: سَلَوْتَ، كَذَّبَهُ النُّحُوْلُ
وَجْدِيْ عَلَى مَا تَعْهَدُوْنَ وَإِنَّمَا صَبْرِيْ جَمِيْلُ

(١) «التّذكرة الفخرية» ص ٧٣.

ابْنُ النَّرْسِي

(٥٤٤ - ٦٢٦ هـ = ١١٤٩- ١٢٢٩م)

هو محمَّد بن محمد بن أبي حرب بن عبد الصمد أبو الحسن ابن النرسي البغدادي الكاتب الشاعر، ولد سنة أربع وأربعين[١] وتوفي سنة ست وعشرين وست مائة، سَمعَ ورَوَى وله ديوان شعرٌ وله نثرٌ ونوادر سائرة، وكان من ظرفاء بغداد وأقعده الزمان ومسَّهُ الفَقْر وكسدتْ سوقُهُ، قال ابنُ النجار: كان ناظراً على عقار الخليفة، ومن شعره: يرثي امرأتَهُ:

تَعِيْشُ أَوْ نَمُوْتُ

لَمَّا تَعَذَّرَ أَنْ أَكُوْنَ بَهَا الْفِدَا   فَتَعِيْشَ بَعْدِيْ أَوْ نَمُوْتَ جَمِيْعَا

أَتْبَعْتُهَا حُلَلَ الشَّبَابِ فَمَا بَقِى   فَسَوَادُ عَيْنِيْ قَدْ أُذِيْبَ دُمُوْعَا

---

(١) هكذا وردت في النصّ في ترجمته في «الوافي بالوفيات» المجلد الأول باعتناء هلموت ريتر ص ١٤٦ دار النشر: فرانز شتاينر، فيسبادن ١٩٦٢ ولعلَّ الصحيح سنة أربع وأربعين وخمس مائة.

الصَّاحِب شَرَفُ الدِّيْن

(٥٨٦ - ٦٦٢ هـ/ ١١٩٠ - ١٢٦٤ م)

ولد الصاحب شرف الدين في حي الكشك بدمشق[١] ونشأ في «حماة» الأيوبية في عهد الملك المنصور الأول حيث كان والده قاضياً عليها، زار بغداد برفقة والده ثم عاد إلى الشام، وتنقَّلَ بين بعلبك والقاهرة والشام ثم عاد إلى «حماة» ثانية. واختاره المظفر الثاني وزيراً.

له مجلدٌ كبيرٌ في «لزوم ما لا يلزم» ذكره الصفدي في مقدمة كتابه «كشف المبهم في لزوم ما لا يلزم»، وسماه: «إلزام الضروب بالتزام المندوب». و«نظرة المعشوق إلى وجه المشتوق» وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

وله ديوان شعر ضخم طبع بأكثر من ٧٠٠ صفحة، سمي «ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري»، نشره المجمع العلمي العربي بدمشق.

كان مولعاً بإحدى جواريه وكتب فيها الأشعار مُتغزِّلاً، وانتهت تلك القصة بمأساة موت الحبيبة غرقاً في نهر العاصي.

توفي الصاحب شرف الدين في سنة ٦٦٢هـ ودفن بظاهر حماة.

---

(١) يقع درب الكشك في حارة اليهود الحالية بين محلتي باب شرقي والشاغور. راجع مقدمة الديوان «ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري» تحقيق الدكتور عمر موسى باشا مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٨.

ومن شعره في جارية له غرقت في نهر العاصي.[1]

«غريقان في نهرين»

وَجَارِيَةٍ مُذْ تَعَلَّقْتُهَا ... نَبَذْتُ إِلَيْهَا جَمِيْعَ الْعِلَقْ

تَمَلَّكْتُهَا فَاعْتَرَانِيْ لَهَا ... غَرَامٌ تَملَّكَنِيْ فَاسْتَرَقْ

وَقَدْ كُنْتُ أَغْرَقُ فِيْ حُبِّهَا ... وَمَا كُنْتُ أَخْشَى الْغَرَقْ

وَكُنْتُ أَخَافُ عَلَيْهَا الْعُيُوْنَ ... فَقَدْ حَقَّقَ النَّهْرُ ذَاكَ الْفَرَقْ

(١) «ديوان الصاحب شرف الدين» ص ٢٥٥.

أَبُو بَكِر السّتَالِي

(٥٨٤ - ٦٧٦ هـ = ١١٨٨ - ١٢٧٧ م)

أبو بكر أحمد بن سعيد الخروصي الستالي. شاعرٌ عُمَاني، من قبيلة بني خروص التي ينحدر منها عددٌ من العلماء ورجال الدين في عُمان. ولد في قرية «ستال» من وادي بني خروص وإليها ينسب وفيها نشأ وترعرع.

أنتقل إلى «نزوى» حيث كان يقيم النبهانيون، الذين حكموا عُمان لخمسة قرون، ومدحهم بقصائد عديدة، ونعتهم بالملوك.

كما سافر في فترة من حياته، إلى شرق أفريقيا، ومدح بعض الحكام هناك.

له ديوان شعر طبعته وزارة التراث القومي والثقافة في عمان، ١٩٩٢، ومنها هذا المقطع من مرثيته لزوجته.

كَأَنَّهَا كُلِّ يَوْمٍ عَرُوْسُ

مقطع

غَـدَا كَـلأُ الـلَّـذَاتِ وَهْـوَ يَـبِـيْـسُ

وَرَبْعُ الْـهَوَىْ مِنْ قَاطِنِيْهِ دَرِيْسُ[1]

ووَلَّتْ مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيْدِ بَشَاشَةٌ

وَأَقْـبَـلَ مِـنْ وَجْـهِ الـزَّمَـان عُـبُـوْسُ

---

(١) الدريس: المكان البالي.

فَيَا لَكَ مِنْ يَوْمٍ عَسِيْرٍ بَدَتْ لَنَا
بِفُرْقَةِ زَادِ الْمَالِ فِيْهِ نُحُوْسُ

وَشَلَّتْ قَنَاتِيْ عَنْوَةً مِنْ حَيَاتِهَا
وَبرَّ بِهَا عِلْقٌ لَدَيَّ نَفِيْسُ

إلا إنَّمَا شَخْصُ الْمَسَرَّاتِ وَالْمُنَىٰ
غَدَا وَهْوَ فِيْ بَطْنِ التُّرَابِ دَسِيْسُ

لِبَاسِيْ مُوَشًّيٌ بِهَا وَمُحَبَّرٌ
وَوِرْدِيَ مِنْهَا بَارِدٌ وَمَسُوْسُ[1]

مُنَعَّمَةٌ رَيَّا الْبَنَانِ عَزِيْزَةٌ
تَثَنَّىٰ بِرَيْعَانِ الصِّبَا وَتَمِيْسُ

وَتَهْتَزُّ دَلاًّ كَالْغَزَالِ فَمَنْ رَأَىٰ
غَزَالاً عَلَيْهِ رَعْشَةٌ وَسَلُوْسُ[2]

مُرَبَّبَةٌ فِيْ خِدْرِ عِزٍّ كَأَنَّهُ
بِبِيْشَةَ لِلَّيْثِ الْهَصُوْرِ عَرِيْسُ

تَزَايَدُ حُسْناً وَابْتِهَاجاً كَأَنَّمَا
عَلَىٰ كُلِّ يَوْمٍ فِي الْهِدَاءِ عَرُوْسُ[3]

---

(١) الْمَسُوْس: العذب الصافي.

(٢) الرعشة: طول العنق، والرعشاء طويلة العنق، السلوس: الحليّ، وقيل هو القرط.

(٣) الهداء: الزفاف.

وَكَانَتْ لأَهْلِ الدَّارِ زَيْناً كَأَنَّمَا

تَوَقَّدُ فِيْهَا أَنْجُمٌ وَشُمُوْسُ

فَأَصْبَحَ رَبْعُ الدَّارِ مِنَّا كَأَنَّهُ

عَفَاءٌ قَوَاءٌ لَيْسَ فِيْهِ أَنِيْسُ

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْعَيْشِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

مَلاعِبَ مَا أَضْحَىٰ لَهُنَّ حَسِيْسُ

لَئِنْ طُمِسَتْ مِنْ نَاضِرِيَّ عُهُوْدُهَا

فَهُنَّ لِقَلْبِيْ مَا لَهُنَّ طُمُوْسُ

خَلِيْلَيَّ زَادُ الْمَالِ لَمْ يُنْسِنِي اسْمَهَا

مِنَ الْغَانِيَاتِ «زَيْنَبٌ» وَ«لَمِيْسُ»

وَكُلُّ الَّذِيْ عِنْدِيْ مِنَ الْمَالِ بَعْدَهَا

لِعَيْنِيْ وَقَلْبِيْ نَاقِصٌ وَخَسِيْسُ

كَذَا عَلَّلانِيْ كُلَّ يَوْمٍ بِذِكْرِهَا

وَإِنْ شَفَّنِيْ مِنْهَا جَوًى وَرَسِيْسُ

فَواللهِ لَوْ انْصَفْتُهَا وَبِحَقِّهَا

وَتِلْكَ يَمِيْنٌ لَوْ عَلِمْتَ غَمُوْسُ[1]

لِمَا سَمَعَتْ أُذْنَايَ مِنْ بَعْدِ صَوْتِهَا

غِنَاءً وَلا دَارَتْ عَلَيَّ كُؤُوْسُ

---

(١) الغموس: الشديد.

أُعَلِّلُ نَفْسِيْ بِالأَبَاطِيْلِ بَعْدَهَا
وَفِي الْقَلْبِ مِنْهَا لَوْعَةٌ وَرَسِيْسُ[1]
وَأُلْزِمُ نَفْسِيْ ظَاهِرَ الصَّبْرِ إِنَّنِيْ
عَنِ الصَّبْرِ عَنْهَا بَاطِنَاً لَيَؤُوْسُ
أَرُوْضُ مِنَ السُّلْوَانِ صَعْبَاً بِعَزْمَةٍ
وَهَى الصَّبْرُ عَنْهَا وَالسُّلُوُّ شَمُوْسُ[2]
وَلِيْ كَبِدٌ وَقْفٌ عَلَى الْوَجْدِ بَعْدَهَا
وَدَمْعٌ عَلَىْ طُوْلِ الْبُكَاءِ حَبِيْسُ
وَكَمْ هَالِكٍ يَبْكِيْ بِحُزْنٍ وَعَبْرَةٍ
وَلا مِثْلُ زَادِ الْمَالِ حِيْنَ نَقِيْسُ
سَقَى اللهُ زَادَ الْمَالِ غَيْثَاً وَعُلِّلَتْ
بِهِ أَعْظُمٌ تَحْتَ التُّرَابِ دَرُوْسُ
وَعَاوَدَهَا طِيْبُ السَّلامِ وَقُدِّسَتْ
سَبَاسِبُ تَحْوِيْ قَبْرَهَا وَوُعُوْسُ[3]

---

(١) الرسيس: الحمى.
(٢) الشموس: الجامح، صعب المطاوعة.
(٣) السباسب: القفار، والوعوس: الأرض الرملية اللينة.

الْقَاسِم بنُ هُتَيْمِل

(٦٩٦ هـ = ١٢٩٧ م)

القاسم بن علي بن هُتِيْمل الخزاعي: شاعرُ المخلاف السليماني«منطقة جازان» في عصره. كان كثير التنقُّل بين اليمن والحجاز. مدح المظفر الرسولي ورجال دولته، وأحمد بن الحسين القاسمي الإمام الزيدي المقتول وبعض أشراف مكَّة وأمراء «المخلاف السليماني».

نشأ في «ضَمَد» وإليها ينسب و«ضَمَد» واد باليمن تسكنه خزاعة وعاش ما يقرب المائة عام[1].

في شعره رقَّةٌ واضحة خاصة في قصائد الغزل التي تشكُّلُ إلى جانب المديح الجزءَ الأكبرَ من ديوانه، وله إضافة إلى ذلك، مراثٍ آسية في زوجته «فاطمة» تحكي قصة حبٍّ مجهضة.

لَيْتَ جِلْدِيْ لَهَا كَفَنٌ[2]

في رثاء زوجته فاطمة

يَعِزُّ عَلَيَّ إنْ عَظُمَ الْمُصَابُ ... وَلا صَبْرٌ لَدَيَّ وَلا احْتِسَابُ

فَتَخْسَرُ صَفْقَتِيْ دُنْيَا وَأُخْرَىْ ... فَلا ذَاتِ الْوِشَاحِ وَلا الثَّوَابُ

---

(١) «الأعلام» الجزء ٥ ص ١٧٨.

(٢) «ديوان القاسم بن علي بن هتيمل» دار الكتاب العربي بمصر / الطبعة الأولى ١٩٦١ دراسة وتحليل محمد بن أحمد عيسى العقيلي ص ٨٣.

عَرَفْتُ النَّائِبَاتِ فَكُلُّ حِيْنٍ ... أُعَاتِبُهَا فَمَا نَفَعَ الْعِتَابُ
إِذَا اسْتَفْتَحْتُهَا لِلْخَيْرِ بَابَاً ... تَعَرَّضَ دُوْنَهُ لِلْشَّرِّ بَابُ
يَئُوْبُ الْغَائِبُوْنَ وَكُلُّ مَيْتٍ ... يُشَيَّعُ مَا لِغَيْبَتِهِ إِيَابُ
بِنَفْسِيَ عَصْرَ يَوَمِ السَّبْتِ نَعْشٌ ... تَدَاوَلَهُ الْمَنَاكِبُ وَالرِّقَابُ
تُسَلُّ إِلَى الْحُفَيْرَةِ مِنْهُ شَمْسٌ ... تَبَلَّجَ فِي جَوَانِبِهَا شِهَابُ
مِنَ الْخَفِرَاتِ يُخْفِي اللَّيْلَ مِنْهَا ... إِذَا مَا جَنَّ مَا لا يُسْتَرَابُ
فَفِي الْوَقَدَاتِ كَانُوْنٌ إِذَا مَا ... لَهَوْتُ بِهَا وَفِي الشَّتَوَاتِ آبُ
تُكَفَّنُ فِي التُّرَابِ فَلَيْتَ جِلْدِيْ ... لَهَا كَفَنٌ وَلَيْتَ دَمِيْ خِضَابُ
أَقَلْبِيْ مُضْغَةٌ أَمْ طُوْدُ رَعْنٍ ... وَأَضْلاعِيْ حَنَايَا أَمْ هِضَابُ[1]؟
فَإِنْ تُرْثَىْ فَلاْ وَجْدٌ كَوَجْدِيْ ... وَمَا كَمُصَابِ «فَاطِمَةٍ» مُصَابُ
أَأُمُّ «الْمَعْزِبِيِّ» أَمِ ابْتِعَادٌ ... عَنِ الْوَطَنِ الْقَرِيْبِ أَمِ اقْتِرَابُ[2]
أَهَابُ عَلَيْكِ عَادِيَةَ اللَّيَالِيْ ... وَلا أَخْشَى عَلَيَّ وَلا أَهَابُ

* * *

يُجَدِّدُ قَبْرَكِ الْمَعْهُوْدَ حُزْنِيْ ... مُطَاوَلَةً وَمَنْزِلُكِ الْخَرَابُ
وَعَزَّ عَلَيَّ أَنْ أُمْسِيْ وَبَيْنِيْ ... وَبَيْنَكِ مِنْ سِوَى الدُّنْيَا حِجَابُ
أُحِيِّي بِالسَّلامِ فَلا أُحَيَّاْ ... وَأُعْلِنُ بِالْكَلامِ فَلاْ أُجَابُ
وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكِ قَابُ قَوْسٍ ... وَأَقْرَبُ مَا يَكُوْنُ الْقُرْبِ قَابُ

---

(١) الرَّعْنُ: النُّتُوْءُ الْبَارِزُ مِنَ الْجَبَلِ.
(٢) أم المعزبي كنية زوجته «فاطمة» ومعنى المعزب: الذي يبتعد عن أهله بإبله نحو المراعي.

وَلَوَ إنِّي قَتَلْتُ عَلَيْكِ نَفْسِيْ ... لَكَانَ خَطَايَ فِي الْفِعْلِ الصَّوَابُ

وَلَوْ أَدَّيْتُ حَقَّكِ مَا حَلا لِيْ ... لِفُرْقَتِكِ الطَّعَامُ وَلا الشَّرَابُ

أُوَسِّدُكِ التُّرَابَ وَكُنْتَ أَحْفَى ... بِخَدِّكِ أَنْ يُبَاشِرَهُ التُّرَابُ

وَأَسْمَعُ لِلْبِلَىٰ بِجَمَالِ وَجْهٍ ... يُؤَثِّرُ فِي مَحَاسِنِهِ النِّقَابُ

فَمَا فَعَلَ الثَّرَىٰ وَيَدُ اللَّيَالِيْ ... بِجِسْمٍ كَانَ تُؤَلِّمُهُ الثِّيَابُ؟

وَمَا فَعَلَتْ مَحَاجِرُكِ السَّوَاجِيْ ... وَمَا فَعَلَتْ ثَنَايَاكِ الْعِذَابُ؟

وَمَا فَعَلَ الصِّبَا الْغَضُّ الْمُبَاهِيْ ... بِزَهْرَتِهِ وَمَا فَعَلَ الشَّبَابُ؟

تُجَاذِبُنِي النِّسَاءُ حِبَالَ وِدٍ ... وَهَيْهَاتَ الْمَوَدَّةُ وَالْجِذَابُ

فَمَا عِوَضٌ عَنِ الْبِيْضِ الدَّآدِيْ ... وَلا خَلَفٌ مِنَ الْمَاءِ السَّرَابُ[(١)]

يُهَوِّنُ لَوْعَتِي أَنْ لاْ حِسَابٌ ... عَلَيْكِ مِنَ الإِلَهِ وَلاْ عِقَابُ

وَأَنَّ الدَّهْرَ لانَ لَهُ الْمُقَاسِيْ ... لِعِزَّتِهِ وَذَلَّ لَهُ الصِّعَابُ

فَمَا خَلَدَ «الْفَوَاطِمُ» فِيْهِ قُدْماً ... وَلا سَكَنَتْ «سُكَيْنَةُ» وَ«الرَّبَابُ»

سَتَمْضِيْ إِخْوَةٌ كَثُرُوا وَقَلُّوا ... وَيَمْضِيْ إِخْوَةٌ خَبُثُوا وَطَابُوا

وَيَنْصَدِعُ الصِّلابُ الصُّمُّ حَتَّى ... يُزَايِلُ بَعْضَهَا الصَّمُّ الصِّلابُ

وَلا يَبْقَى عَلَى أَمَدِ اللَّيَالِي ... مِنَ الْبَشَرِ الْقُشُوْرُ وَلاْ اللُّبَابُ

سَقَاكِ الرِّفْهُ بَعْدَ الرِّفْهِ حَتَّى ... يَمُحُّ ثَرَاكِ دَمْعِيْ وَالسَّرَابُ[(٢)]

---

(١) الدآدي: ثلاثُ ليالٍ من آخر الشهر قبلَ ليالي المِحاق، والمِحاقُ آخِرُها؛ وسُمِّينَ دَآدِئ لأن القمر فيها يُدَأدِئ إلى الغُيوب أي يُسْرِعُ، ومنه قول الشاعر:

أَبْدَى لَنا غُرَّةَ وَجْهٍ بادِيْ، ... كَزُهْرَةِ النُّجُومِ في الدَّآدِي

(٢) الرفه: أن يرد الإبل الماء متى ما أرادت.

وَمِنْ ضَعْفِ حَظِّيْ أَنَّنِيْ مُتَأَخِّرُ[1]

عَـلَـىٰ مِـثْـلِ مَـنْ وَدَّعْـتُـهُ وَوِسَـادُهُ

عَلَى الْمَضْجَعِ الأَرْضِيِّ كَفٌّ وَمِعْصَمُ

وَمِنْ غَـصَـبَـتْـهُ الـنَّـائِـبَـاتِ وَشَـاءَنِـيْ

بِـفِـرْقَـتِـهِ يَـوْمٌ مِـنَ الـسُّـوْءِ أَيْـوَمُ[2]

أَحِـنُّ حَـنِـيْـنَ الْـهِـيْـمَ ذَادَ خِـمَـاسَـهَـا

عَنِ الْـوَارِدَاتِ الْـبَـقَـرَةَ الْـغَـشْـمَـشَـمُ[3]

أَمُـقْـتَـصِـرِي أَن لا أَحِّـنُ صَـبَـابَـةً

لِـزَوْجِـيْ مَـا لِـيْ لا أَحِـنُّ وَأُرْزِمُ[4]

تُـبَـاكِـرُ لَـوْمِـيْ طَـيْـرُ غَـيْـرِكَ أَيْـمَـنٌ

بِـإِعْـرَاضِـهِ عَـنِّـي وَطَـيْـرُكَ أَشْـأَمُ[5]

---

(١) «ديوانه» ص ٩٥ .

(٢) شاءني: أحزنني.

(٣) الهيم: الإبل العطاش، وذاد خماسها: أي منعت عن الماء خمسة أيام، والبقرة: عين ماء، والغشمشم: الذي يركب رأسه في ما يريد من أمر.

(٤) أرزم، من الرَّزَمَة: وهو نوع من حَنين الناقة على ولدها حين تَرْأَمُه، وقيل: هو دون الحنين.

(٥) كَانَ العرب إذا غَدَا أَحَدُهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِ يُرِيدُ أَمْراً يُطَيِّرُ أَوَّلَ طَائِرٍ يَرَاهُ، فَإِنْ سَنَحَ عَنْ يَسَارِهِ ، فَاجْتَازَ عَنْ يَمِينِهِ ، قَالَ: هَذِهِ طَيْرُ «الأَيَامِنِ» وتيمَّنَ بِهِ خيراً، فَمَضَى فِي حَاجَتِهِ، وَإِنْ سَنَحَ الطَّائِرُ عَنْ يَمِينِهِ ، فَمَرَّ عَنْ يَسَارِهِ، قَالَ : هَذِهِ طَيْرُ «الأَشَائِمِ» فَرَجَعَ، وَقَالَ: هَذِهِ حَاجَةٌ مَشْئومَةٌ، وَإِذَا لَمْ يَرَ طَائِرًا سَانِحاً، وَرَأَى طَائِرًا فِي وَكْرِهِ، حَرَّكَهُ مِنْ وَكْرِهِ؛ لِيَطِيرَ فَيَنْظُرَ مَا يَسْلُكُ لَهُ مِنْ طَرِيقِ «الأَشَائِمِ» أَوْ «الأَيَامِنِ»، ولذلك جاء الحديث النبوي، ليلغي هذا الطَّقْسَ وَيَنْهَى عَنْ زَجْرِ الطَّيْرِ «أَقِرُّوا الطَّيْرَ عَلَى مَكِنَاتِهَا» أي أماكنها.

وَهَلْ أَنَا إلاَّ نُطْفَةٌ بَشَرِيَّةٌ

تَوَلَّدَ مِنْ أَمْشَاجِهَا اللَّحْمُ وَالدَّمُ

عَدِمْتُكَ قَلْبَاً لَوْ وَفَى بِاعْتِقَادِهِ

لَكَانَ عَلَى دُوْنَ الَّذِيْ كَانَ يَعْدَمُ

فَمَا ذُو الْحِفَاظِ الْحَيُّ بَعْدَ جَلِيْلِهِ

وَلا ذُو الْغَرَامِ الضَّاحِكُ الْمُتَبَسِّمُ

أَمَسْرُوْرَةٌ مِنْ «أَمِّ حَمْزَةَ» بَالرَّدَى

تَظَلُّ إِلَىْ غَمٍّ بِهَا تَتَبَغَّمُ[1]

تُرَاهِنُ عَمَّا فِي الضَّمِيْرِ وَنَشْرُهَا

عَلَىْ الْفَوْرِ عَمْدَاً، وَالضَّمِيْرُ يُتَرْجِمُ

بِكَ الرَّيْبُ قَدْ مَاتَتْ هُنَاكَ «خَدِيْجَةٌ»

وَ«فَاطِمَةٌ أَمُّ الْحُسَيْنِ» وَ«مَرْيَمُ»

كَأَنِّي وَ«أَمَّ الْمُعْزُبِيِّ» تَقَاصَرَا

عَلَى صِفَتَيْنَا «مَالِكٌ» وَ«مُتَمِّمُ»[2]

---

(١) تَبَغَّمُ: أي لم تُفصِح له عن معنَى ما تحدِّثه به. قال ذو الرمة:

لا يَنْعَشُ الطَرفَ إلاّ ما تَخَوَّنَهُ

داعٍ يناديه باسمِ الماءِ مبغومُ

والمُباغَمَةُ: المحادَثة بصوتٍ رخيم. قال الكميت:

يَتَقَنَصْنَ لي جآذِرَ كالدُّرِّ يُباغِمْنَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ.

(٢) تقاصر على صفتينا مالك ومتمم: أي لم يشبهنا في علاقتنا سوى «مالك بن نويرة» وأخيه «متمم» وكان «متمم» قد رثى أخيه «مالك» بعد مقتله بأجمل المراثي في الشِّعر العربي. ولعله يشير إلي بيتي «متمم» في تلك المرثية: =

أَبِيْتُ عَلَى جَنْبِ الْفِرَاشِ كَأَنَّنِيْ
ضَجِيْعِيَ مِنْ بَعْدِ الْمَلِيْحَةِ أَرْقَمُ[1]
أَتَارِكَتِيْ فَرْداً بِغَيْرِ قَرِيْنَةٍ
وَمَا كُلُّ مَأْخُوْذِ الْقَرِيْنَةِ تَوْأَمُ
تَنَدَّمْتُ فِيْمَا كَانَ مِنْ عَجْرَفِيَّةٍ
عَلَيْكِ فَمَا أَغْنَى عَلَيَّ التَّنَدُّمُ[2]
وَأَطْمَعَنِيْ فِيْك الْمُنَجِّمُ بُرْهَةً
فَأَكْذَبُ شِيْءٍ مَا يَقُوْل الْمُنَجِّمُ
فَمَنْ لِيْ إِنِّيْ فِيْ مَكَانِيَ أَرْمَلٌ
وَأَنَّكِ مِنِّيْ فِي مَكَانِيَ أَيِّمُ[3]
وَمِنْ ضَعْفِ حَظِّيْ أَنَّنِيْ مُتَأَخِّرٌ
فَيَا بَرْدَهَا لَوْ أَنَّنِيْ مُتَقَدِّمُ

* * *

أَهَابُكِ حَتَّىْ أنَّ كُلَّ مُحَلَّلٍ
عَلَيَّ مِمَّا تَعْهَدِيْنَ مُحَرَّمُ
كَأَنَّكِ كُنْتِ الْمَاءَ مَا حَلَّ بَعْدَهُ
عَلَى الْمَرْءِ فِي الْمَفْرُوْضِ إلا التَّيَمُّمُ

= وكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمةَ حِقْبَةً ... مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيْلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كأنّي وَمَالِكاً ... لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

(١) الأرقم: الثعبان.
(٢) العجرفية: من التعجرف، وهي الجفوة في الكلام.
(٣) الأيّم: المرأة التي مات زوجها.

وَحَسْبُكِ أَنِّي حَوْلَ قَبْرِكِ كُلَّمَا
هَمَتْ كَبِدِيْ مُسْتَغْفِرٌ مُتَرَحِّمُ
وَمَا مُغْفِرٌ عَصْمَاءُ فِي مُسْتَقَرِّهَا
مِنَ النِّيْقِ مَجْدُوْلُ السَّوَامِتِ أعْصَمُ[1]
يَكُفُّ الضَّوَارِيْ عَنْهُ أعْسَرُ شَاهِقٌ
وَيَحْجُبُ عَنْهُ الشَّمْسَ أَعْيَطُ أَيْهَمُ[2]
مَشَى تَحْتَهُ الْمَوْتُ الْوَحِيُّ بِمُعْظَمٍ
حِبَالَتُهُ لِلصَّيْدِ قَوْسٌ وَأَسْهُمُ[3]
فَأَصْعَدَ فِي الشِّمْرَاخِ مُعْتَصِماً بِهِ
وَلاَ شَيْءَ إنْ لَمْ يَعْصِمِ اللهُ يَعْصِمُ[4]
فَطَارَ لَهُ عَنْ قَلْبِ زَوْرَاءَ مِشْقِصٌ
مِنَ الزُّرْقِ مَمْهُوُّ الْجَوَانِبِ مِخْذَمُ[5]
فَخَرَّ كَأَنَّ النَّضْحَ مِمَّا يُصِيْبُهُ
عَلَى الأَمْعَزِ اللابِيْ حُصٌّ وَعَنْدَمُ[6]

---

(١) المعفر: ولد الناقة الذي تمنعه أمه من الرضاع يومين او ثلاثة. والنيق: نتوء في الجبل، والسوامت: الطرق، وأعصم: صعب المرتقى.

(٢) أعسر: صعب، وأعيط: مرتفع، وأيهم: الذي يسد الطريق، وهو يريد الجبل.

(٣) الوحِيّ: السريع، وحبالته: شراكه..

(٤) الشمراخ: قمة الجبل.

(٥) الزَّوراء: القوس، وسميت كذلك لميلها واستدارتها، والمِشْقَصُ من النِّصَال: ما طالَ وَعَرُضَ، والممهوّ: المصقول، ومخذم: قاطع.

(٦) الأمعز اللابي: الحجارة السوداء، والحص: العزعفران الأحمر ـ وعندم: صبغة حمراء.

وَمَا أُمُّ فَرْدٍ لَمْ تَزَلْ فِي صَلاتِهَا

تَضَرَّعُ فِي إِنْشَائِهِ وَتُهَيْنِمُ[1]

أَنَافَ عَلَى الْعِشْرِيْنَ وَهْيَ لِحُبِّهِ

تُعَوِّذُهُ خَوْفَ الرَّدَى وَتُتَمتِمُ[2]

فَدَبَّ لَهُ تَحْتَ الثَّرَىْ مُتَغَضِّنٌ

مِنَ الرَّقْشِ مَنْفُوْشُ الظَّهَارَة أَعْظَمُ[3]

بِأَكْثَرَ مِنِّيْ لَوْعَةً وَصَبَابَةً

عَلَيْكِ، وَلَكِنِّيْ أَسِرُّ وَأَكْتُمُ

أَبَيْنَ ضُلُوْعِيْ جَمْرَةٌ تَسِمُ الْجَوُىْ

سُوَيْدَاءَهُ أَمْ يَذْبُلٌ ويَلَمْلَمُ[4]

تَجَانَفُ عَنْهَا مِيْتَةً لَوْ أَتَيْتَهَا

أَتَيْتَ إِلَى الرَّأيِ الَّذِيْ هُوَ أَحزَمُ

مَضَتْ غَضَّةً وَالْمَوْتُ غَضٌّ فَإِنَّهُ

إِلَىْ مَنْ تَوَلَّت مَنْ يَشِبُّ وَيَهرَمُ

---

(١) تهينم: تتكلم بصوت خفي وخافت.

(٢) وتتمتم: أي تجهل له تميمة.

(٣) التغضن: الخطوط في الجلد، والرقش: النقش، والظهارة: ظاهر الجسد.

(٤) يذبل: جبل في طريق اليمامة من أرض نجد معدود في نواحي اليمامة. ويلملم: جبل على مقربة من الطائف.

أبُو حَيَّان الأنْدَلُسِيّ

(٦٥٤ - ٧٤٥ هـ = ١٢٥٦ - ١٣٤٤ م)

أبو حيَّان مُحمَّد بنُ يُوسف بن عليّ بن يُوسُف ابن حَيَّان الغرناطيّ الأندلسيّ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. وُلِدَ في إحدى جهات «غرناطة» ورحل إلى «مالقة» وتنقَّلَ إلى أن أقامَ بالقاهرة. وتوفي فيها، بعد أن كفَّ بصرُهُ. ودُفِنَ بمقبرة الصوفية خارج باب النصر وصلِّيَ عليه بالجامع الأموي بدمشق صلاة الغائب.

له العشرات من المؤلفات في النحو والتفسير والحديث. له مراث عديدة في عائلته: فإضافة إلى رثائه زوجته «زمرُّد» التي نوردُ مقطعين من مراثيه لها هنا، فقد رَثى كذلك ابنته «نُضار» التي خصَّها بمراث عدَّة ثاكِلَة، وبكتاب سمَّاه «النّضار في المَسلاة عن نَضار[1]» وكذلك رثى ابنه حيَّان.

وزوجته المرثي لها هنا هي «زُمرُّد بنت أيرق» ترجم لها الصفدي في «أعيان العصر» وكانت عالمة وقد توفيت، بعد أن عاشت معه أربعين عاماً، وقد جاوزت الخمسين عاماً وذلك سنة ٧٣٦ هجرية، ودفنت عند ابنتها في البرقية داخل القاهرة[2].

---

(١) «أعيان العصر وأعوان النصر» لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق الدكاترة: علي أبو زيد - نبيل أبو عمشة - محمد موعد - محمود سالم محمد قدم له: مازن عبد القادر المبارك الطبعة الأولى ١٩٩٨. الجزء الخامس ص ٥٢١.

(٢) «أعيان العصر وأعوان النصر» الجزء الثاني ٣٨٣ .

أَأَرْجُوْ حَيَّاةً بَعْدَ فَقْدِ زُمُرُّدِ؟[1]

أَأَرْجُـوْ حَـيَـاةً بَـعْـدَ فَـقْـدِ زُمُـرُّدِ؟
وَكـانَـتْ بِـهَـا رُوْحِـيْ تَـلَـذُّ وَتَـغـتَـذِيْ

«زُمُرُّدُ» قَـدْ خَـلَّـفْـتِ لِـلَـصَّـبِّ لَـوعَـةً
وَحُـزْنـاً بِـقَـلْـبِـيْ آخِـذاً كُـلَّ مَـأخَـذِ

رَمَيْتِ بِسَهْمٍ وَسْطَ قَلْبٍ مُجَرَّحٍ
كَأَنَّ بِهِ وَقْعَ الْحُسَامِ الْمُشَحَّذِ

فَحَصَّنْتُهُ بِالصَّبْرِ فِيْكِ وَعِنْدَمَا
نَبَضْتُ أَتَاهُ السَّهْمُ مِنْ كُلِّ مَنْفَذِ

فَمِنْ مُقْلَتِيْ تَسْهَادُ جَفْنٍ كَأَنَّمَا
يَمُرُّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ جِلْدَةَ قُنْفُذِ

وَمِنْ مَسْمَعِيْ صَغْوٌ لِصَوْتِكِ دَائِماً
وَمِنْ مَعْطَسِيْ تَوْقٌ إِلَى عَرْفِكِ الشَّذِيْ

وَمِنْ مَبْسَمِيْ أَنْفَاسُ نَارٍ تَرَدَّدَتْ
عَلَىْ كَبِدٍ حَرَّىْ وَعَقْلٍ مُؤَخَّذِ

بِـهِ لَـمَـمٌ قَـدْ مَـسَّـهُ وَتَـخَـبُّـطٌ
فَلا بِالرُّقَىْ يُهْدَىْ وَلاْ بِالتَّعَوُّذِ

---

(١) «ديوان أبي حيان الأندلسي» تحقيق د. أحمد مطلوب، و د. خديجة الحديثي مطبعة العاني/ بغداد ١٩٦٩.

تَقَدَّمَهَا بِنْتِي «نَضِيْرَةُ» بِنْتُهَا
وَقَدْ جُمِعَا فِيْ مُلْحَدٍ لَمْ يُسْرَّدِ[1]

وَكُنَّا الَّذِيْ مَعْ وَصْلَةٍ لِيْ وَعَائِدٍ
وَقَدْ حُذِفَا لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى الَّذِيْ!

وَزِيْنَةِ حِلْمٍ عَقْلُهَا ثَابِتٌ فَلاَ
تَأَثَّرُ مِنْ إِيْهَامِ كُلِّ مُشَعْوِذِ

وَحَازَتْ لِحُسْنِ الْخَلْقِ خُلْقاً مُدَمَّثاً
وَلِيْنَ كَلامٍ طَاهِرٍ لَيْسَ بِالبَذِيْ

فَمَا دَنَّسَتْ فَاهَا بِغِيْبَةِ غَائِبٍ
وَلا مَنَعَتْ رَفْداً لِمَنْ جَاءَ يَحتَذِيْ

وَتَعْرِفُ أَجْنَاسَ الْمَبِيْعِ جَمِيْعَهُ
وَأَثْمَانَهُ مِنْ فَحْمَةٍ لِلزُّمُرُّذِ

وَإِنْ جَاءَ كَحَّالٌ وَذُو الطِّبِّ نَحْوَهَا
تُبَارِيْهُمَا فَأَذْعَنَّا لِلتَّتَلْمُذِ

تَغَيَّرَ ذِهْنِيْ بَعْدَ جِسْمِيْ
فَعَقْلِيَ لَمْ يَقْبَلْ عَزَائِمَ عُوَّذِ

وَجِسْمِيْ إِذَا رُمْتُ اضْطِجَاعاً لِرَاحَةٍ
يُقَلَّبُ عَلَىْ جَمْرِ الغَضَا ثُمَّ يَحْتَذِيْ

---

(١) يسرَّذ: لغة في يسرد، أي يثقب.

وَإِنْ رُمْتُ نَهْضاً لِلْقِيَامِ فَأَخْمَصِيْ

أَرَاهُ كَأَنْ شَوْكُ الْقَتَادِ بِهِ حُذِيْ

وَإِنْ أَنَا حَاوَلْتُ الْقُعُوْدَ تَوَاتَرَتْ

هُمُوْمٌ مَتَى تَعْلَقْ بِرُوْحِيَ تَجْبَذِ[1]

فَقَلْبِيَ فِيْ حُزْنٍ وَعَيْنِيَ فِي بُكَا

فَيَا لَكَ شَجْواً بَيْنَ ذَا قَدْ ثَوَى وَذِيْ

جَمِيْلَةُ خَلْقٍ سَهْلَةُ الْخُلْقِ لَيْنَةٌ

رَقِيْقَةُ قَلْبٍ ثَاقِبِ الذِّهْنِ أَحْوَذِيْ

أَجِدَّكِ لَنْ تُصْغِيْ لِشَاكٍ مُوَلَّهٍ

جَرِيْحِ فُؤَادٍ فِيْكِ ذِيْ مَدمَعٍ قَذِيْ[2]

تَبَاخَلْتِ حَتَّى الطَّيْفُ لَيْسَ بِزائِرٍ

لَدَىْ هَجْعَةٍ سَاهِي الفُؤَادِ مُجَذَّذِ

....

قَضَى اللهُ أَنْ عَاشَتْ وَمَاتَت سَعِيْدَةً

وَلَيْسَ امْرُؤٌ مِمَّا قَضَاهُ بِمُنْفَذِ

مَضَتْ وَلَهَا ذِكْرٌ جَمِيْلٌ مُخَلَّدٌ

ثَنَاءٌ كَعَرْفِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الشَّذِيْ

---

(١) الجبذ: لغة في الجذب، وقيل جبذ: ارتفع.

(٢) أجِدَّكَ وأجَدَّكَ معناهما: ما لَكَ أَجِداً منك؟ وقيل: أَجِدَّكَ معناه أَبِجِدٍّ هذا منك؟

إِلَى الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ رَاحُوا بِرُوْحِهَا
لِـرَوْحٍ وَرَيْـحَـانٍ وَجَـنَّـةِ مُـغْـتَـذِ
وَلَـمْ تَـكْـتَـرِثْ يَـوْمَـاً بِلِبْسٍ وَزِيْنَـةٍ
وَحَلْيٍ فَتَبْدُو فِي النَّعِيْمِ الْمُلَذَّذِ
وَلَـكِـنْ بِـجُـوْدٍ وَاحْـتِـمَـالٍ يَـزِيْـنُـهَـا
بِنَفْحٍ لِذِيْ فَقْرٍ وَصَفْحٍ عَنِ الْبَذِيْ
مُـطَـهْـرَةٌ لَـفْـظَـاً وَقَـلْـبَـاً وَبَـرَّةٌ
مُـبَـرَّأَةٌ عَـنْ كُـلِّ مَـا قَـادِحٍ رَذِيْ

حَيَاتِي كَثَوْبٍ مُعَارِ

كَانَتِ انْسِيْ فِي وَحْدَتِي وَاغْتِرَابِيْ — وَمَنَامِيْ وَيَقْظَتِيْ وَسِفَارِيْ
وَنَدِيْمِيْ فِيْ رِحْلَتِي وَمُقَامِيْ — وَزَمِيْلِي فِي حُجَّتِي وَاعْتِمَارِيْ
كُنْتُ أَرْجُوْ بِأَنْ تَعِيْشَ وَتَبْقَى — حِيْنَ سُقْمِيْ تَدُوْرُ بِي وَتُدَارِيْ
لَـمْ تَـكُـنْ زَوْجَـةً وَلَـكِـنْ كَـأُمٍّ — وَأَنَا كَابْنِهَا صَغِيْرُ الصِّغَارِ
كَانَتِ الرُّوْحَ بَيْنَ جَنْبَيَّ رَاحَتْ — فَحَيَاتِي صَارَتْ كَثَوْبٍ مُعَارِ
دَعَتِ اللهَ أَنْ تَمُوْتَ سَرِيْعَاً — فِيْ حَيَاتِيْ فِيْ عِزَّةٍ وَاسْتِتَارِ
فَـأَجَـابَ الإِلَـهُ مِـنْـهَـا دُعَـاءً — وَقَضَتْ نَحْبَهَا لِدَارِ الْقَرَارِ
فَسَقَى اللهُ قَبْرَهَا غَيْرَ عَاثٍ — وَحَـبَـاهَـا بِـدِيْـمَـةٍ مِـدْرَارِ

الْكِرْيَانِي

(٧٤٩ هـ = ١٣٤٩ م)

أحمد بن مُحمَّد بن شعيب الكرياني شاعرٌ مِنْ أهلِ فاس، يكنَّى أبا العباس، ويُعرفُ بابن شُعيب من «كريانة» قبيلة من قبائل الرِّيف الغربي. كان من أهل المعرفة بصناعة الطبّ، وتدقيق النظر فيها، مشاركاً في الفنون، وخصوصاً في علم الأدب، حافظاً للشعر، والغالب عليه العلوم الفلسفية، وقد مُقِتَ لذلك، وتهتَّكَ في علم الكيمياء، وخلعَ فيه العِذار، فلم يُحل بطائل، إلا أنه كان تفوَّهَ بالوصول، شنشنةُ المفتونين بها على مدى الدَّهر. وله شعرٌ رائق، وكتابة حَسَنَة، وخطٌّ ظَرِيفٌ، وتسرَّى[١] جارية رُومية إسمها «صُبْح» من أجمل الجواري حُسناً، فأدَّبها حتى لُقِّنتْ حظَّاً من العربيَّةِ، ونَظَمَتِ الشِّعْرَ وكان شديدَ الغرامِ بها، فهلكتْ أشدَّ ما كان حباً لها، وامتداد أمل فيها، فكان بعد وفاتِها لا يُرَى إلا في تأوُّهٍ دَائمٍ، وأسَفٍ مُتمادٍ، وله فيها أشعارٌ بديعة في غَرَضِ الرِّثَاء[٢].

يَا قَبْرَ صُبْحٍ

يَـا قَـبْـرَ صُـبْـحٍ حَـلَّ فِـيْـكَ بِـمُـهْـجَـتِـيْ أَسْـنَـى الأمَـانْ
وَغَـدَوْتُ بَـعْـدَ عَـيَـانِـهَـا أَشْـهَـى الْـبِـقَـاعِ إِلَـى الْـعَـيَـانِ

---

(١) تسرَّى: إذا اتخذ الجارية المملوكة حليلة له.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة» الجزء الأول ص ٢٧٢.

أَخْشَى الْمَنِيَّةَ إِنَّهَا تُقْصِي مَكَانَكَ عَنْ مَكَانِ

كَمْ بَيْنَ مَقْبُوْرٍ «بِفَاسَ» وَقَابِرٍ «بِالْقَيْرَوَانِ»

أَيْأَسْتَنِيْ فَكَأَنَّنِيْ لَمْ أَيْأَسِ

يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ الَّذِيْ أَعْلامُهُ دَرَسَتْ

وَثَابِتُ حُبِّهِ لَمْ يَدْرُسِ

مَا الْيَأْسُ مِنْكَ عَلَى التَّصَبُّرِ حَامِلِيْ

أَيْأَسْتَنِيْ فَكَأَنَّنِيْ لَمْ أَيْأَسِ

لَمَّا ذَهَبْتَ بِكُلِّ حُسْنٍ أَصْبَحَتْ

نَفْسِيْ تُعَانِيْ شَجْوَ كُلِّ الأَنْفُسِ

أَصْبَاحُ أَيَّامِيْ لَيَالٍ كُلُّهَا

لا تَنْجَلِيْ عَنْ صُبْحِكِ الْمُتَنَفِّسِ

أَبُو الْعَبَّاسِ الْجزْنَانِي

(٧٥٠ هـ = ١٣٥٠ م)

أبو العبَّاسُ أحمد بن شعيب الجزناني، تازيٌّ المنشأ حيث ولد في مدينة تازة المغربية، وعاش في «فاس» وتوفي بتونس. له شعرٌ عالي الطبقة والجودة وله براعة في مجال في الطب وعلوم الحساب والفلك والفقه، من أصول بربرية لكنَّ براعته بالعربية لا تضاهى كما يقول ابن الأحمر«العجب من بربريٍّ الأصل، يذري مدارك الأعراب، ويأتي من الفصاحة اليعربية بالإعراب.»

ومن شِعْرِهِ في جاريةٍ توفيت[1]:

يَا غَائِبَاً فِي الضَّمِيْرِ

يَا غَائِبَاً فِي الضَّمِيْرِ مَا بَرِحَا ... دَانِيْ مَحَلِّ الْهَوَى إِذَا نَزَحَا

لَمْ تَضْمُرِ الصَّبْرَ عَنْكَ جَارِحَةٌ ... وَلا فُؤَادِيْ لِسَلْوَةٍ جَنَحَا

مُسْتَعْبِرُ الْمُزْنِ فِيْكَ أَدْمُعَهُ ... يَظَلُّ يَبْكِيْكَ كُلَّمَا سَفَحَا

وَلا أَرَى الْبَرْقَ عَادَ مُبْتَسِمَاً ... بَعْدَكَ، بَلْ زَنْدُ شَوْقِهِ قَدَحَا

وَمَا تَغَنَّى الْحَمَامُ مِنْ طَرَبٍ ... بَلْ يُعْلِنُ النَّوْحَ كُلَّمَا صَدَحَا

---

(١) «نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان» لأبي الوليد اسماعيل بن الاحمر، توفي ٨٠٧ هـ تحقيق محمد رضوان الداية / بيروت / عالم الكتب، ١٩٨٦.

الْقَاضِيْ عَلَمُ الدِّيْن

(٦٧٧ - ٧٤٤ هـ = ١٢٧٩ - ١٣٤٤م)

سُليمانُ بن إبراهيم بن سليمان المعروف بالقاضي علم الدين أبو الرَّبيع، والمشهور بابن كاتب «قرا سنقر»، في الديار المصرية. وكان في الشام يعرف بالمستوفي، وورد من الديار المصرية أولاً مستوفي النظر بدمشق، ثم عُزِلَ في أيَّام الصاحب أمين الدين، «كان من ذوي المروءات، وأُوْلِي الرغبة في الفتوات، يخدم النَّاسَ بجاهه وماله، ويُولي الإحسان قبل سؤاله. وكان النظم عندَهُ أهونَ من التنفُّس، وأسرعَ من القطر عند التبجُّس، فكنتُ أتعجَّب مِنْ أمره، ويحصل لي نشوةٌ من كؤوس خمره، مع أنه نظم عذب أمضى من عضب، قد خلا من التعقيد والتعاظل المكروه، وانسجم فلا يظهر عليه كلف تكلُّفُ، ولا يعروه. وكان فصيحاً في اللغة التركية[1]»

وَكُنْتُ أَغَارُ[2]:

إِنِّيْ لأَعْجَبُ لاصْطِبَارِيْ بَعْدَمَا ... قَدْ غُيِّبَتْ بَعْدَ التَّنَعُّمِ فِي الثَّرَىْ

هَذَا وَكُنْتُ أَغَارُ حَالَ حَيَاتِهَا ... مِنْ مَرِّ عَاطِفَةِ النَّسِيْمِ إِذَا سَرَىْ

---

(١) «أعيان العصر وأعوان النصر» الجزء الثاني ص ٤١٣.

(٢) جاء «أعيان العصر وأعوان النصر» الجزء الثاني ص ٤١٨: «وأنشدني من لفظه لنفسه، وقد توفيت زوجته»

لا حِيْلَةٌ

أَقُوْلُ لِقَلْبِيْ حِيْنَ غَيَّبَهَا الثَّرَىْ: تَسَلَّ فَكُلٌّ لِلْمَنِيَّةِ صَائِرُ
وَفِيْ كُلِّ شَيءٍ لِلْفَتَى أَلْفُ حِيْلَةٍ وَلا حِيْلَةٌ فِيْمَنْ حَوَتْهُ الْمَقَابِرُ

ابْنُ هُذَيْل التُّجِيْبِيّ

(٧٥٣ هـ = ١٣٥٢م)

يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي[1] ويكنى أبا زكريا، أرجدوني الأصل، كان آخر حَمَلَة الفنون العقلية بالأندلس، وخاتمةَ العُلَماء بها، من طبٍّ وهندسة وهيئة وحساب وأصول وأدب، إلى إمتاع المحاضرة، وحسن المجالسة، وعموم الفائدة، وحسن العهد، وسلامة الصدر، وحفظ الغيب، والبراءة من التصنُّع والسمت، مؤثراً للخمول، غير مبالٍ بالنَّاس، مشغولاً بخاصة نفسه.

وله عدَّة مؤلَّفات في شتَّى حُقول المعرفة منها: ديوان شعره المسمى «بالسليمانيات والعربيات وتنشيط الكسل» ومنها شرحه لكراسة الفخر، وهو غريب المأخذ، جمع فيه بين طريقتي القدماء والمتأخرين من المنطقيين. وكتابه المسمى «الاختيار والاعتبار في الطب» وكتابه المسمى «التذكرة في الطب»

وعن شعره جاء في «التاج المحلى»[2]: درة بين الناس مغفلة، وخزانة على كل فائدة مقفلة، وهدية من الدهر الضنين لبنيه محتفلة. أبدع من رتب التعاليم وعلمها، وركض في الألواح قلمها، وأتقن من صور الهيئة ومثَّلها، وأسسَ قواعد البراهين وأثَّلها، وأعرفُ من زاول

---

(١) ترجمته في «الإحاطة في أخبار غرناطة» المجلد الرابع ص ٣٩٠.

(٢) «التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى» كتاب للسان الدين بن الخطيب.

شكاية، ودفع عن جسم نكاية، وارتدى من البلاغة بكل رداءٍ مذهب، والأدب نقطة من حوضه، وزهرة من زهرات روضه.

ويقول لسان الدين بن الخطيب: أصيب التجيبي بالفالج فالتزم المنزل عندي لمكان فضله، ووجوب حقِّه، وقد كانت زوجُهُ توفيتْ، وصحبه عليها وجدٌ شديدٌ، وحزنٌ مُلازم، فلمَّا ثَقُلَ، وقربتْ وفاتُهُ، استدعاني، وقد كان لسانه لا يبين القول، وأملى علي فيما وصاني به من مهمِّ أمرِهِ هذه القصيدة التي يطلب فيه أنْ يدفن إلى جوار زوجته، ومات في ليلة الخامس والعشرين من عام ثلاثة وخمسين وسبعماية، ودفنته عصره بباب «إلبيرة» حذاء حليلته كما عهد[1].

ادْفِنِّي مَعَهَا

إذَا مِـتُّ فَـادْفِـنِّـي حِـذَاءَ حَـلِـيْـلَـتِـيْ
يُخَالِطُ عَظْمِيْ فِي التُّرَابِ عِظَامَهَا

وَلا تَـدْفِـنَّـنِـي فِـي الْـبَـقِـيْـعِ فَـإنَّـنِـيْ
أُرِيْـدَ إِلَىْ يَـوْمِ الْـحِـسَـابِ الْـتِـزَامَـهَـا

وَرَتِّـبْ ضَـرِيْـحِـيْ كَـيْـفَـمَـا شَـاءَهُ الْـهَـوَىْ
تَـكُـوْنُ أَمَـامِـيْ أَوْ أَكُـوْنُ أَمَـامَـهَـا

لَـعَـلَّ إِلَـهَ الْـعَـرْشِ يَـجْـبِـرُ صَـدْعَـتِـيْ
فَـيُـعْـلِـيْ مَـقَـامِـيْ عِـنْـدَهُ وَمَـقَـامَـهَـا

(١) «الإحاطة في أخبار غرناطة» المجلد الرابع ص ٤٠٠.

صَلَاحُ الدِّين الصَّفَدي

(٦٩٦ - ٧٦٤ هـ ١٢٩٦ - ١٣٦٣ م)

صلاح الدين، أبو الصفاء، خليل ابن الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله الصفدي المولد، الدمشقي المنزل والوفاة. أديبٌ، مؤرِّخٌ، كثيرُ التصانيف المُمتعة. كان والدُهُ من أمراء المماليك في «صَفَد»«بفلسطين» وفيها وُلد خليل وإليها نسبته. وتعلَّمَ في دمشق الرسم فمهرَ به، ثم ولعَ بالأدب وتراجم الأعيان. وتولَّى ديوان الإنشاء في «صفد» و«مصر» و«حلب» ثم وكالة بيت المال في «دمشق» فتوفي فيها. له زهاء مئتي مصنف، أشهرها «الوافي بالوفيات» في التراجم و«الشعور بالعور» في تراجم العور وأخبارهم و«نكث الهميان في نكت العميان» ترجم به فضلاء العميان و«ألحان السواجع» و «التذكرة» و«جنان الجناس» و«نصرة الثائر في نقد المثل السائر» و«تشنيف السمع في انسكاب الدمع» و«لوعة الشاكي دمعة الباكي» و«أعيان العصر وأعوان النصر» وغيرها[١].

وهذه الأبيات منتقاة من كتابه «الرَّوْضُ الْبَاسِم والعَرفُ النَّاسم[٢]» الذي جمع فيه مقطوعات من أشعاره وكذلك كتابه «أعيان العصر وأعوان النصر» حيث يستشهد بشعره عند ترجمته للشعراء الآخرين.

---

(١) «الأعلام» الجزء ٢ ص ٣١٥.

(٢) «الرَّوْض الباسِم والعرف الناسم» لصلاح الدين الصفدي دار الآفاق العربية ٢٠٠٥.

وقلت في جارية لي توفيت[1] :

دَفَنْتُهَا

دَفَنْتُهَا كَالْبَذْرِ تَحْتَ الثَّرَىْ وَمِنْ شَقَائِيْ مُدَّتِيْ مُدَّتِ
كَانَتْ إذَا مَا سَيْفُ أَجْفَانِهَا الْمُرْهَفُ يَدْعُوْ لُبَّتِي لَبَّتِ
مَا سَجَعَتْ فِي الأَيْكِ وَرْقُ الْحِمَى لَكِنَّهَا فِي عِزَّتِيْ عَزَّتِ

أَذُوْقُ الْمَوْتَ أَلْوَانَا

يَا غَائِبَاً فِي الثَّرَىْ تَبْلَىْ مَحَاسِنُهُ
اللهُ يُوْلِيْكَ غُفْرَانا وَإحْسَانَا
إنْ كُنْتَ جُرِّعْتَ كَأسَ الْمَوْتِ وَاحِدَةً
فَكُلَّ يَوْمٍ أَذُوْقُ الْمَوْتَ أَلْوَانَا

بَقَايَا الْكَرَىْ

يَا دُرَّةً أَوْدَعْتُهَا فِي الثَّرَىْ وَيَا هِلالاً غَابَ إذْ أقْمَرَا
قَدْ ذَابَ قَلْبِيْ فَجَرَىْ أَدْمُعَاً يَغْسِلُ مِنْ جَفْنِيْ بَقَايَا الْكَرَىْ

بَرْقٌ تَأَلَّقَ ثُمَّ انْطَوَىْ

مَا لاحَ فِيْ أُفْقِ الشَّبِيْبَةِ طَالِعَاً كَالْبَدْرِ لَيْلُ تَمَامِهِ حَتَّى هَوَىْ
غَابَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ فَكَأَنَّهَا بَرْقٌ تَأَلَّقَ بِالْحِمَىْ ثُمَّ انْطَوَىْ

---

(١) : «أعيان العصر» الجزء الرابع ص ٢٧٠ .

كَغُصْنٍ تَحْتَ الأَرْضِ

بِنَفْسِيْ حَبِيْباً كَانَ لِيْنُ قِوَامِهِ
كَغُصْنِ نَقَا فَوْقَ الْكَثِيْبِ يَمِيْلُ
فَأَصْبَحَ تَحْتَ الأَرْضِ غُصْناً مُنَعَّماً
عَلَيْهِ كَثِيْبٌ لِلتَّرَابِ مَهِيْلُ

وَجْهٌ لا يَصْلَحُ لِلتَّعْذِيْبِ

يَا مَوْتُ حَجَبْتَنِيْ عَنِ الْمَحْبُوْبِ
ظُلْماً وَمَنَعْتَنِيْ مِنَ الْمَطْلُوْبِ
يَا قَبْرُ تَجَافَ الأَرْضَ عَنْ مَضْجَعِهِ
مَا يَصْلَحُ ذَاكَ الْوَجْهِ لِلتَّعْذِيْبِ

اسْوَدَّ قَلْبِيْ

أَيَا نُوْرَ عَيْنِيْ صِرْتَ فِيْ ظُلْمَةِ الْلَحْدِ
وَبَالَغْتِ مَعْ قُرْبِ الْمَنَازِلِ فِي الْبُعْدِ
كَأَنَّكْ لَمْ يَعْطِفُ مَعَاطِفَكَ الصِّبَا
كَمَا رَنَّحَتْ رِيْحُ الصَّبَا مَائِسَ الرَّنْدِ
وَلا بَاتَ ذَاكَ الْوَجْهُ يَبْسِمُ ثَغْرُهُ
وَيَفْتَرُّ عَنْ دُرٍّ تَنَضَّدَ فِي عِقْدِ
لَقَدْ ظَمِئَتْ نَفْسِيْ لِرَشْفِ رِضَابِهِ
وَهَيْهَاتَ وَا سُهْدِيْ عَلَىٰ ذَلِكَ الشَّهْدِ

إِذَا اسْوَدَّ قَلْبِيْ فِيْكَ مِنْ نَارِ حُزْنِهِ
فَمَا تَغْسِلُ الأَجْفَانُ مِنِّيْ سِوَى خَدِّيْ

وَقَدْ صِرْتُ أَبْكِيْ كُلَّ شَيْءٍ بِمِثْلِهِ
لأَنِّيَ فَرْدٌ فِي الصَّبَابَةِ وَالْوَجْدِ

فَثَغْرُكَ أَبْكِيْهِ بَأَبْيَضِ أَدْمُعِيْ
وَأَحْمَرِهَا أَبْكِيْ بِهِ خَدَّكَ الْوَرْدِي

لِسَانُ الدِّيْنِ بنُ الْخَطِيْب

(٧١٣ - ٧٧٦ هـ / ١٣١٣ - ١٣٧٤ م)

مُحمَّد بن عبدالله بن سعيد السلماني، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله الشهير بلسان الدين بن الخطيب.

وزيرٌ مؤرِّخٌ أديب نبيل. كان أسلافُه يُعرفون ببني الوزير. وُلِدَ ونشأ بغرناطة. واستوزره سلطانها «أبو الحجَّاج يوسف بن إسماعيل» ثم ابنه «الغني بالله» من بعده. وعظمت مكانته. وشَعَرَ بسعي حاسديه في الوشاية به، فكاتب السلطان عبد العزيز بن علي الميني، برغبته في الرحلة إليه.

وترك الأندلس خلسة إلى جبل طارق، ومنه إلى سبتة فتلمسان واستقر بفاس القديمة. واشترى ضياعاً وحفظت عليه رسومه السلطانية. ومات عبدالعزيز الميني، فتولى المغرب السلطان «المستنصر»، وقد ساعده «الغني بالله» صاحب غرناطة مشترطاً عليه شروطاً منها تسليمه «ابن الخطيب» فقبض عليه «المستنصر» وكتب بذلك إلى «الغني بالله» فأرسل هذا وزيره «ابن زمرك» إلى فاس، فعقد بها مجلس الشورى، وأحضر ابن الخطيب، فوجِّهتْ إليه تهمة «الزندقة» و «سلوك مذهب الفلاسفة» وأفتى بعض الفقهاء بقتله، فأعيد إلى السجن.

ودسَّ له رئيس الشورى بعض الأوغاد من حاشيته، فدخلوا عليه السجن ليلاً، وخنقوه. ثم دفن في مقبرة «باب المحروق» بفاس. وكان يلقَّبُ بذي الوزاتين: القلم والسيف؛ ويقال له «ذو العمرين» لاشتغاله

بالتصنيف في ليله، وبتدبير المملكة في نهاره.

فقُلْ لِلْعِدَا ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيْبِ وَفَاتَ ومَنْ ذَا الَّذِيْ لا يَفُوْتْ

ومؤلفاته تقع في نحو ستين كتاباً[1].

وعن قصيدته في رثاء زوجته يقول لسانُ الدين بن الخطيب [2]«في السادس لذي القعدة من عام اثنين وستين وسبعمائة المذكور، طرقني ما كدَّر شُربي ونغَّصَ عيشي من وفاة أم الولد عن أصاغرَ زُغْبِ الحواصل بين ذكران وإناث في بلد الغربة وتحت سرادق الوحشة، ودون أذيال النكبة، فَجَلَّتْ عليها حسرتي واشتد جزعي، وأشفيت لعظم حزني، إذ كانت واحدة نساء زمانها جزالة وصبراً ومكارم أخلاق، حازت بذلك مزية الشهرة حيث حلَّت من القطرين، فدفنتها بالبستان المتصل بالدار بمدينة «سلا» ووقفت على قبرها الحبس المغل لمتولي القراءة دائماً عليها، وصدر عني مما كتب على ضريحها وقد أغرى به التنويه والاحتفال:

وَمَهِّدِي لِي لَدَيْكِ مُضْطَجَعَاً

رُوِّعَ بَالِي وَهَاجَ بَلْبَالِي وَسَامَنِي الثُّكْلَ بَعْدَ إقْبَالِ

ذَخِيْرَتِيْ حِيْنَ خَانَنِيْ زَمَنِيْ وَعُدَّتِي فِي اشْتِدَادِ أَهْوَالِ

---

(١) «الأعلام» الجزء السادس ص ٢٣٥.

(٢) «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب» للسان الدين بن الخطيب تحقيق: الدكتور أحمد مختار العبادي مراجعة: الدكتور عبد العزيز الاهواني/ دار الشؤون الثقافية بغداد. وهذا الكتاب ألفه لسان الدين بن الخطيب في أواخر أيامه في منفاه في المغرب بعد هروبه من الأندلس، ومن هنا جاءت تسميته ورغم أن هذا الكتاب ألف في أربعة أجزاء، إلا أنه لم يصلنا منها إلا جزء واحد، حيث أحرقت كتب ابن الخطيب بعد قتله بفاس القديمة.

حَفَرْتُ فِي دَارِيَ الضَّرِيْحَ لَهَا تَعَلُّلاً بِالْمُحَالِ فِي الْحَالِ
وَغِبْطَةً تُوْهِمُ الْمُقَامَ مَعِيْ وَكَيْفَ لِي بَعْدَهَا بِإِمْهَالِ؟
سَقَى الْحَيَا قَبْرَكِ الْغَرِيبَ وَلاَ زَالَ مُنَاخاً لِكلِّ هَطَّالِ
قَدْ كُنْتِ مَالِي لَمَّا اقْتَضَى زَمَنِيْ ذَهَابَ مَالِي وَكُنْتِ آمَالِي
أَمَّا وَقَدْ غَابَ فِي تُرَابِ «سَلاً» وَجْهُكِ عَنِّي فَلَسْتُ بِالسَّالِي
وَاللَّهِ حُزْنِيْ لاَ كَانَ بَعْدُ عَلَىْ ذَاكَ الشَّبَابِ الْجَدِيْدِ بِالْبَالِي
فَانْتَظِرِيْنِي فالشَّوْقُ يُقْلِقُنِي وَيَقْتَضِي سُرْعَتِي وَإِعْجَالِي
وَمَهِّدِي لِي لَدَيْكِ مُضْطَجَعاً فَعَنْ قَرِيبٍ يَكُوْنُ تَرْحَالِي
وَاسْمُكِ مَقْلُوبُهُ يُبَيِّنُ لِي مَآلَ أَمْرِي فِي مَعْرِضِ الْفَالِ

قَبْرٌ بِجَنْبِ الدَّارِ(١)

صِحْتُ بِالرَّبْعِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ يَمْضِي الْغَرِيْبُ؟
وَبِجَنْبِ الدَّارِ قَبْرٌ خَصِيْبٌ مِنْهُ يَسْتَسْقِي الْمَكَانُ الْجَدِيْبُ
غَابَ قَلْبِي فِيهِ عِنْدَ التِمَاحِي قُلْتُ: هذَا الْقَبْرُ فِيْهِ الْحَبِيْبُ
لاَ تَسَلْ عَنْ رَجْعَتِي كَيْفَ كَانَتْ إِنَّ يَوْمَ الْبَيْنِ يَوْمٌ عَصِيْبُ
باقْتِرَابِ الْمَوْتِ عَلَّلْتُ نَفْسِيْ بَعْدَ إِلْفِي كُلُّ آتٍ قَرِيْبُ

(١) «ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب» لسان الدين بن الخطيب تحقيق محمد عبد الله عنان / مكتبة الخانجي القاهرة / الطبعة الأولى ١٩٨١ الجزء الثاني ص ٤٤١.

ابْنُ نَبَاتَة الْمِصْرِيّ

(٦٨٦ - ٧٦٨ هـ / ١٢٨٧ - ١٣٦٦م)

مُحمَّد بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري أبو بكر جمال الدين.

شاعرُ عصره «العصر المملوكي» ولد في القاهرة «زقاق القناديل» وتوفي فيها، سكن الشام لفترة ورجع إلى القاهرة، قال عنه الصفدي: تفرَّد بلطف النظم وعذوبة اللفظ وجودة المعنى وغرابة المقصد وجزالة الكلام وانسجام التركيب، وأما نثره فإنه الغاية في الفصاحة، في شعره نبرة حزن واضحة يجسدها الرِّثاء حيث لم يعشْ له ولد «كلهم إذا ترعرعَ وبلغ خمساً أو ستاً أو سبعاً يتوفَّاه الله تعالى فدفن فيما أظن قريباً من ستة عشر ولداً» كما يذكر الصفدي، فيجد لذلك الآلام المبرحة ويرثيهم بالأشعار الرائقة الرقيقة، ومراثيه هنا، ويبدو أنها لأكثر من شريكة واحدة لا تنقطع عن تلك النبرة الخلاقة وإن كانت صعبة.

بُكَائِيَّةٌ لِستِّ الْجِهَات[1]

أَقِيْمَا فُرُوْضَ الْحُزْنِ فَالْوَقْتُ وَقْتُهَا

لِشَمْسِ ضُحَىً عِنْدَ الزَّوَالِ نَدَبْتُهَا

---

(١) «ديوان ابن نباتة المصري» مطبعة التمدُّن بعابدين مصر ١٩٠٥ ص ٧٣. «وقال يرثي جارية له» ويلاحظ هنا تماثل قصيدة ابن نباتة مع قصيدة ابن سناء الملك في عناصر عدَّة.

وَلاَ تَـبْـخَـلا عَـنِّـيْ بِـإِنْـفَـاقِ أَدْمُـعٍ

مُـلـوَّنَـةٍ أُكْـوَىٰ بِـهَـا إنْ كَـنَـزْتُـهَـا

لِغَائِبَةٍ عَنِّيْ وَفِي الْقَلْبِ شَخْصُهَا

كَأَنِّيَ مِنْ عَيْنِيْ لِقَلْبِيْ نَقَلْتُهَا

يَقُوْلُوْنَ: كَمْ تُجْرِيْ لِجَارِيةٍ بُكَىً؟

وَمَا عَلِمُوا النُّعْمَى الَّتِيْ قَدْ فَقَدْتُهَا

مَلَكْتِ جِهَاتِي السِّتَّ فِيْكِ مَحَبَّةً

فَأَنْتِ، وَمَا أَخْطَا الَّذِيْ قَالَ، سِتُّهَا

إلا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ شَمْسُ مَحَاسِنٍ

وَإنْ لَمْ تَكُنْ شَمْسُ النَّهارِ، فَأُخْتُهَا

تَعَرَّفْتُهَا دَهْراً يَسِيْراً فَأَعْقَبَتْ

دَوَامَ الأَسَىٰ يَا لَيْتَنِيْ لا عرَفْتُهَا

وَقَـالَ أُنَـاسٌ إنَّ فِـي الـدَّمْـعِ رَاحَـةً

وَتِلْكَ لَعَمْرِيْ رَاحَةٌ قَدْ نَكَرْتُهَا

هَلِ الدَّمْعُ إلاّ مُقْلَةٌ قَدْ أَذَبْتُهَا

عَلَيْكِ وإلاّ مُهْجَةٌ قَدْ غَسَلْتُهَا

نَصَبْتُ جُفُوْنِيْ بَعْدَ بُعْدِكِ لِلدُّجى

وَأَمَّا أَحَادِيْثُ الْكَرَىٰ فَرَفَعْتُهَا

وَقَالَ زَمَانِيْ: هَاكَ بَعْدَ تَنَعُّمٍ

كُؤُوْسَ الأَسَىٰ وَالْحُزْنِ مَلآىٰ فَقُلْتُ: هَا

بَكَيْتُكِ لِلْحُسْنِ الَّذِيْ قَدْ شَهِدْتُهُ

وَلِلشِّيَمِ الْغُرِّ الَّتِيْ قَدْ عَهِدْتُهَا

وَرَوْضَةِ لَحْدٍ حَلَّهَا غُصْنُ قَامَةٍ

لَعَمْرِيْ لَقَدْ طَابَتْ وَقَدْ طَابَ نَبْتُهَا

وَحُزْنِ فَلاةٍ يَمَّمْتُهُ وَإِنَّمَا

دِيَارُ الظِّبَا حُزْنُ الْفَلاةِ وَمَوْتُهَا

كِلانا طَرِيْحُ الْجِسْمِ بَالٍ فَلَوْ دَرَتْ

إذاً نَدَبَتْنِيْ فِي الثَّرَىْ مَنْ نَدَبْتُهَا

بِرُوْحيَ مَنْ أُخْفِيْ إذَا زُرْتُ قَبْرَهَا

جَوَايَ وَلَوْ أَعْلَمْتُهَا لَعَقَقْتُهَا

خَبِيَّةُ حُسْنٍ كُنْتُ مُغْتَبِطاً بِهَا

وَلَكِنْ بِرَغْمِي فِي التُّرَابِ دَفَنْتُهَا

وَآنِسَةٌ قَدْ كَانَ لِيْ لِيْنُ عَطْفُهَا

فَلَمْ يَبْقَ لِيْ إلاّ نِدَاهَا وَنَعْتُهَا

أنَادِيْ تُرَى الْحَسْنَاءِ وَالتُّرْبُ بَيْنَنَا

وَعزَّ عَلَى صَمْتِ الْمُتَيَّمِ صَمْتُهَا

كَفَىْ حُزْنَاً أنْ لاْ مُعِيْنَ عَلَى الأَسَىْ

سِوَىْ أَنَّنِيْ تَحْتَ الظَّلامِ بَعَثْتُهَا

وَتَنْمِيْقِ أَلْفَاظٍ عَلَيْكِ رَقِيْقَةٍ

كَأَنِّيَ مِنْ نَثْرِ الدُّمُوْعِ نَظَمْتُهَا

قَضَيْتِ فَمَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَكِ لَذَّةٌ

وَلاْ فِي أَمَانٍ لَوْ بَقَيْتُ بَلَغْتُهَا

سَلامٌ عَلَى الدُّنْيا فَقَدْ رَحَلَ الَّذِيْ

تَطَلَّبْتُهَا مِنْ أَجْلِهِ وَأَرَدْتُهَا

لَقَدْ تَأَنَّقَ فِيْكَ الْمَوْتُ وَاحْتَفَلا[1]

حَاشَاكَ مِنْ وَحْشَةٍ تَحْتَ الثَّرَىْ وَجَلا

يَا سَائِراً صِرْتُ فِيْ حُزْنِيْ لَهُ مَثَلا

سَقْيَاً لِقُرْبِكَ وَالأَيَّامُ عَاطِفَةٌ

وَالْقَلْبُ يَسْحَبُ أَذْيَالَ الْهَنا جَذِلا

وَالسَّمْعُ قَدْ صَمَّ عَنْ نَجْوَىْ عَوَاذِلِهِ

وَسَيْفُ جَفْنِكَ عِنْدِيْ يَسْبِقُ الْعَذَلا

حَيْثُ التَّبَسُّمُ طلاَّعُ الثَّنِيَّةِ مِنْ

فَرْطِ السُّرُوْرِ وَبِشْرُ الطَّلْعَةِ بِنُ جَلا

فَبَيْنَمَا أَنَا مَعْطُوْفٌ عَلَىْ سَكَنٍ

حَتَّى تَحَرَّكَتِ الأَيَّامَ فَانْتَقَلا

أَشْكُو إِلَى اللهِ بَيْنَاً لا انْقِضَاءَ لَهُ

وَرِحْلَةً لِلنَّوَى لا تُشْبِهُ الرِّحَلا

بَيْنَاً أَرَىْ فِيْهِ لِلنَّعْشِ انْبِعَاثَ سُرَىً

لا نَاقَةً لِلسُّرَىْ فِيْهِ وَلا جَمَلا

---

(١) وقال يرثي جارية: «ديوانه» ٥٥٧.

فَلَيْتَ أَنَّ بَنَاتِ النَّعْشِ تُسْعِدُنِيْ

بِأَدْمُعِ النَّوْءِ لِلْبَدْرِ الَّذِي أَفَلا

لَهَفِيْ عَلَيْكَ وَهَلْ لَهَفٌ بِنَافِعَةٍ

إِذَا تَحَدَّرَ دَمْعُ الْعَيْنِ وَانْهَمَلا

لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْ أَوْقَاتِ مُنْتَظَرِيْ

إِلَّا وَآخِرُ عُمْرٍ تَنْدُبُ الأُوَلا

وَتُرْبَةٍ يَتَلَقَّى الْحُزْنُ زَائِرَهَا

كَأَنَّهَا تُنْبِتُ التَّبْرِيْحَ وَالوَجَلاَ

حَدِيْثُهُ الظَّهْرَ إلا أَنَّ بَاطِنَهَا

قَدِ اسْتَجَنَّ جِنَانَ الرَّوْضَةِ الْخَضِلا

أَسْتَوْقِفُ الْجَسَدَ الْمُضْنَى لأَنْدُبَهَا

يَا مَنْ رَأَىْ نَادِبَاً يَسْتَوْقِفُ الطَّلَلا

مُتَيَّمَاً نَصَلَتْ فُوْدَاً شَبِيْبَتُهُ

وَقَلْبُهُ مِنْ حِدَادِ الْحُزْنِ مَا نَصَلا

يَا غَائِبَاً ذَهَبَتْ أَيْدِي الْحِمَامِ بِهِ

بُعْدَاً لِيَوْمِكَ مَاذَا بِالْحَشَا فَعَلا؟

إِنْ يَنْأَ شَخْصُكَ إِنِّيْ بَعْدَ فُرْقَتِهِ

أَدْنَى وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلا

أَوْ يَنْقَضِي لِلْمَنَايَا بَعْدَنَا شُغُلٌ

فَقَدْ تَرَكْنَ بِقَلْبِيْ لِلأَسَى شُغُلا

آهاً لِعَطْفِ مَعَانٍ فِيْكَ ذِيْ نَسَقٍ

جَعَلْتُ مِنْ بَعْدِهِ نَارَ الأَسَى بَدَلا

هَلاَّ بِغَيْرِكَ أَلْقَى الْمَوْتَ جَانِبَةً

لَقَدْ تَأَنَّقَ فِيْكَ الْمَوْتُ وَاحْتَفَلا

هَلاَّ قَضَى غُصْنُكَ الزَّاهِيْ شَبِيْبَتَهُ

فَمَا تَرَعْرَعَ حَتَّى قِيْلَ قَدْ ذَبَلا

أَفْدِي الَّذِيْ كَانَ لِيْ عَيْشَاً أَلَذُّ بِهِ

فَمَا أُبَالِيْ أَجَادَ الْعَيْشُ أَمْ بَخَلا

دَعَا التَّجَلُّدُ قَلْبِيْ يَوْمَ رِحْلَتِهِ

فَقُلْتَ: لاْ وَدَعَا سُقْمِيْ فَقَالُ: هَلا!

سُقْمٌ مَلَكْتُ بِهِ مَعْنَى النُّحُوْلِ فَإِنْ

جَاءَ الْخِلالَ بِسُقْمٍ جَاءَ مُنْتَحَلا

وَمُقْلَةٍ قَدْ طَغَىْ إِنْسَانُ نَاظِرِهَا

فَكَانَ أَكْثَرَ شَيءٍ بِالْبُكَا جَدَلا

لاْ نِلْتُ قُرْبَكَ مِنْ دَارِ النَّعِيْمِ غَدَاً

إِنْ كَانَ قَلْبِي الْمُعَنَّى عَنْ هَوَاكَ سَلا

يَا مُنْيَةَ الصَبِّ أَمَّا ثُكْلُ مُهْجَتِهِ

فَقَدْ أَقَامَ، وَأَمَّا صَبْرُهَا فَخَلا

مَا أَحْسَنَ الْعَيْشِ فِي عَيْنِيْ وَأَنْتَ بِهِ

أَمَا وَأَنْتَ بِأَكْنَافِ التُّرَابِ فَلا

سَقَىٰ ضَرِيحَكَ رِضْوَانٌ وَلا بَرِحَتْ
رَكَائِبُ السُّحْبِ فِيْ أَقْطَارِهِ ذُلَلا

دَفَنْتُكَ وَقُلْتُ: إِنَّكَ دَافِنِيْ[1]

هَجَرْتُ بَدِيْعَ الْقَوْلِ هَجْرَ الْمُبَايِنِ
فَلا بِالْمَعَانِيْ لاُ وَلا بِالْمُعَايِنِ
وَكَيْفَ أُعَانِيْ سَجْعَةً أَوْ قَرِيْنَةً
وَقَدْ فُقِدَتْ مِنِّيْ أَجَلُّ الْقَرَائِنِ
ثَوَتْ فِيْ مَهَاوِي التُّرْبِ كَالتِّبْرِ خَالِصاً
فَحَقَّقْتُ أَنَّ التُّرْبَ بَعْضُ الْمَعَادِنِ
فَوَاللهِ مَا أَدْرِيْ لِحُسْنِ خَلائِقٍ
تَسِحُّ جُفُوْنِيْ أَمْ لِخَلْقِ مَحَاسِنِ
دَفَنْتُكَ يَا شَخْصَ الْحَبِيْبِ وَقَدْ بَدَا
لِعَيْنِكَ حَالِيْ قُلْتُ: إِنَّكَ دَافِنِيْ
كِلانَا عَلَىٰ الأَيَّام بَاكٍ وَإِنَّمَا
أَشَدُّ الْبَلا بَيْنَ الْحَشَا كُلُّ كَامِنِ
إِلَىٰ اللهِ أَشْكُوْ يَوْمَ فَقْدِكَ إِنَّهُ
عَلَيَّ لَيَوْمُ الْحَشْرِ يَوْمُ التَّغَابُنِ
وَكُنْتُ أَخَافُ الْبَيْنَ قَبْلَكَ وَالنَّوَىٰ
فَأَصْبَحْتُ لا آسِيْ عَلَىٰ إِثْرِ بَائِنِ

---

(١) «ديوانه» ٥١٦ «وقال يرثي زوجته».

كَأَنَّكَ بَادَرْتَ الرَّحِيْلَ تَخَوُّفاً
عَلَيَّ مِنَ الْحُسْنِ الَّذِيْ هُوَ فَاتِنِي
فَدَيْتُكَ مَنْ لِيْ مِنْ سَنَاكَ بِلَمْحَةٍ
وَيَنْزِلُ بِيْ مِنْ بَعْدِهَا كُلُّ كَائِنِ
أَأَنْسَىٰ قِوَاماً أَثْقَفَ الْحُسْنُ رُمْحَهُ
فَمَا فِيْهِ مِنْ عَيْبٍ يُعَدُّ لِطَاعِنِ
وَوَجْهاً حَكَىٰ عَنْ حُسْنِهِ كُلُّ مُقْمِرٍ
وَلَحْظاً رَوَىٰ عَنْ طَرْفِهِ كُلُّ شَادِنِ
فَوَا أَسَفاً حَتَّى أُوَسَّدَ فِي الثَّرَىٰ
وَيُدْنِيْ الرَّدَىٰ مِنَّا مُقِيْماً لِظَاعِنِ
وَيَا لَيْتَ شِعْرِيْ فِي الْقِيَامَةِ هَلْ أَرَىٰ
مَحَاسِنَهَا مَا بَيْنَ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ؟
رَشَاقَةُ ذَاكَ الْقَدِّ فَوْقَ صِرَاطِهِ
وَدِيْنَارُ ذَاكَ الْخَدِّ بَيْنَ الْمَوَازِنِ
سَقَتْكَ غَوَادِي الْمُزْنِ إِنِّيَ ظَامِئٌ
إِلَى التُّرْبِ طَوْعاً لِلزَّمَانِ الْمُحَارِنِ[1]
شَكَوْتُ زَمَاناً خَانَ بَعْدَ أَحِبَّتِي
وَبَالَغَ فِي الْعَدْوَىٰ وَبَثِّ الضَّغَائِنِ
فَلَوْ طَابَ لِيَ طَابَتْ حَيَاتِيَ بَعْدَهُمْ
وَكُنْتُ أُلاقِيْهِمْ بِطَلْعَةِ خَائِنِ

---

(١) المُحارن: العنيد.

شَرَفُ الدِّيْن الْمُتَوَكِّل

(٨٧٧ - ٩٦٥ هـ = ١٤٧٣ - ١٥٥٨ م)

يحيى «شرف الدين» بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى الحسني العلوي، الإمام المتوكل على الله: له اسمان أحدهما «شرف الدين» الذي اشتهر به، والآخر «يحيى» ولم يشتهر به، وهو من أئمة الزيدية في اليمن، ومن فقهائهم وشعرائهم، ولد بحصن «حُضُور» وبويع بالإمامة في جبال صنعاء، بعد وفاة أبيه وعظم أمره، فكانت له وقائع مع الترك، وأطاعته قبائل كثيرة، ونشب خلافٌ بينه وبين ابنه المطهِّر «محمد بن يحيى» أدى إلى استيلاء الترك على كثير من جهات اليمن ثم اتَّفَقَا على أن يحتفظَ الأب بالإمامة ويتولَّى الابنُ سياسةَ البلاد، وضربت السكة باسم «المطهِّر» في حياة أبيه، واستقر المتوكل في «حصن كوكبان» ثم انتقلَ إلى «ظفير حجَّة» وفقد بصره، وتوفي بالظفير، له كتب، منها «الأثمار في فقه الزيدية» و«الرِّسالة الصَّادعة» و«الجوابات والرسائل» وغيرها.[1]

أما زوجته التي يرثيها فهي كما جاء في ترجمتها[2]: فاضلة،

---

(١) ترجمته في «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ حقَّقه وعلق عليه محمد حسن حلاق منشورات دار ابن كثير / دمشق / بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م الجزء الأول ص ٣١٨.

(٢) «الملحق التابع للبدر الطالع» لمحمد بن محمد بن يحيى زبارة الحسني اليمني الصنعاني «المتوفى: ١٣٨١هـ» طبعة مطبعة السعادة بمصر ١٩٢٩ ص ١٨٥.

فقيهة، متكلمة. تزوجت «يحيى بن شمس الدين» قبل توليه الإمامة، وكانت أول زوجاته. وابتليت آخر عمرها بأمراض عديدة لازمتها من سنة ٨٩٥ هـ/ ١٤٩٠م، حتى توفيت بعيدة عن زوجها الذي ذهب إلى حصن «كوكبان». وكانت غاية في الجمال والكمال، لها ذكاء وفطنة.

وقد رثاها زوجها بقصيدة ومنها هذه الأبيات[1]:

مِنَ الْحُوْرِ

هِيَ النَّفْسُ حَنَّتْ مِنْ شَجَاهَا وَأَنَّتِ
فَفِيْمَ تَلُوْمُ الْعَيْنَ إِنْ هِيَ شَنَّتِ

مَرَاجِلُ حُزْنٍ فِي فُؤَادِيَ أُوْقِدَتْ
فَمِنْ فَيْضِهَا تِلْكَ الدُّمُوْعِ اسْتَهَلَّتِ

وَهَلْ يَنْبَغِيْ لِيْ أَنْ أُرَى الْيَوْمَ سَالِيَاً
وَ«فَاطِمَةٌ» فِيْ بَاطِنِ اللَّحْدِ سُلَّتِ؟

عَقِيْلَةُ آلِ الْمُصْطَفَى الطُّهْرِ وَالَّتِيْ
بِكُلِّ الأُمُوْرِ الصَّالِحَاتِ تَحَلَّتِ

فُلَيْذَةُ قَلْبِيْ بَلْ سُوَيْدَاءُ مُهْجَتِيْ
وَمُطَّلَبِيْ مِنْ كُلِّ شَيءٍ وَمُنْيَتِيْ

وَمَا «فَاطِمٌ» إلا مِنَ الْحُوْرِ أُخْرِجَتْ
لِنَعْرِفَ قَدْرَ الْحُوْرِ، ثُمَّتَ رُدَّتِ

(١) القصيدة في «الملحق التابع للبدر الطالع» ص ١٨٦.

جَلالُ الدِّيْنِ السُّيُوْطِي

(٨٤٩ - ٩١١ هـ = ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م)

عبد الرَّحمن بنُ أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السُّيُوطي، جلال الدين. إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة.

نشأ في القاهرة يتيماً «مات والده وعمره خمس سنوات» ولما بلغ أربعين سنةً اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة «المقياس» على النيل، مُنزوياً عن أصحابه جميعاً، كأنه لا يعرف أحداً منهم، فألَّفَ أكثرَ كُتُبِهِ، وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردُّها. وطلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردَّها. وبقي على ذلك إلى أن توفي.

من كتبه «الإتقان في علوم القرآن»، و«الأحاديث المنيفة»، و«الأرج في الفرج» و«الأذكار في ما عقده الشعراء من الآثار»، و«إسعاف المبطأ في رجال الموطأ»، و«الأشباه والنَّظائر» في العربية، و«الأشباه والنظائر» في فروع الشافعية.[1]

---

(١) «الأعلام» جزء ٣ ص ٣٠١.

الْمُطَوَّق[1]

يَـا مَـنْ رَآنِـيْ بِـالْـهُـمُـوْمِ مُـطَـوَّقَـاً
وَظَلَلْتُ مِنْ نَقْدِيْ «غُصُوْنَاً» فِيْ شُجُوْنِ
أَتَلُوْمُنِيْ فِي عِظَمِ نَوْحِيْ وَالْبُكَا؟
شَأْنُ الْمُطَوَّقِ أَنْ يَنُوْحَ عَلَى غُصُوْنِ!

(١) «شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان» جلال الدين السيوطي «وقلت في ذلك أرني غصوناً أمَّ أولادي» ص ١١٧.

اللَّوَّاحُ الْخَرُوْصِيّ

(٩٨١ هـ = ١٥٧٣ م)

سالمُ بنُ غسَّان بنُ راشد الخروصي، وَلُقِّبَ باللَّوَّاح، لعملِهِ في صناعة الألواح «السبورات» من الرخام الأسود ويبيعها لطلاب المدارس.

وُلِدَ بقرية «ثقب» من وادي بني خروص. وتنقَّل من «الرستاق» إلى «بهلا» ثم رحل إلى نزوى للتعلم.

سَيِّدُ أَهْلِ الْحُزْنِ[1]

- مقطع -

فُؤَادٌ بِنِيْرَانِ الْمُصَابِ مُفْأَدُ
وَعَيْنٌ سَمَاهَا مُبْرِقُ الْمُزْنِ مُرْعِدُ[2]

وَجِسْمٌ بَرَاهُ الْحُزْنُ كِالْبَرْيِ بِالْمُدَىٰ
فَصَارَ كَمِثْلِ السِّلْكِ فِي الْحَرْبِ تُسْرَدُ

---

(١) «ديوان اللواح» أبو حمزة سالم بن غسان بن راشد بن محمد الخروصي حقَّقَه: محمد علي الصليبي/ وزارة التراث القومي والثقافة/ سلطنة عمان سنة ١٩٨٩، الجزء الثاني ص ١٤٥.

(٢) مفأدٌ: مكتوٍ بالجمر ومشوي.

طَرِيْحاً عَلَىٰ فَرْشِ الضَّنَىٰ لَمْ يَزَلْ لَقَىً
وَلِيْ كَبِدٌ حَرَّىٰ وَطَرْفٌ مُسَهَّدُ[1]

وَأَنَّةُ قَدْ قَدَّتْ ضُلُوْعِيْ وَزَفْرَةٌ
تَكَادُ بِرُوْحِيْ لِلْخَيَاشِيْمِ تَصْعَدُ

وَقَدْ عَبَّدَتْ مِنِّيْ الرَّزَايَا خَلائِقاً
وَعَهْدِيْ بِهَا مِنْ قَبْلُ ذَا لا تُعَبَّدُ[2]

وَكُنْتُ امْرِأً جَلْداً عَلَىٰ كُلِّ حَادِثٍ
فَقَدْ صَارَ لِيْ أَعْدَى الأَعَادِيِ التَّجَلُّدُ

لِكُلِّ أُنَاسٍ سَيِّدٌ يَقْتَدِيْ بِهِ
وَإِنِّيْ لأَهْلِ الْفَقْدِ وَالْحُزْنِ سَيِّدُ

لَدَيَّ عَجِيْبٌ أَنْ أَرَىٰ مُتَبَسِّماً
وَمَا سَرَّنِيْ إلا الْبُكَا وَالتَّوَجُّدُ

فَلَيْتَ فَمِيْ إِنْ أَكْثَرَ السِّنُّ ضَاحِكَاً
سُرُوْراً يُرَىٰ كَالطَّعْنَةِ الرُّمْحُ أَدْرَدُ

وَقَدْ لَذَّتِ الأَحْزَانُ عِنْدِيْ لأَنَّهَا
غَدَتْ دَيْدَنَا حَيْثُ الأَسَىٰ يَتَجَدَّدُ

وَقَدْ أَتَلَقَّى النَّاسَ وَالْعَقْلُ عَازِبٌ
وَلَمْ أَدْرِ إِصْدَارِيْ مِنْ حَيْثُ أَوْرِدُ

---

(١) لَقى: مُلقى ومطروح بهوانٍ.

(٢) عبدت: أخضعت وذلت.

مَصَائِبُ شَتَّى جَمَّعَتْ لِيْ مُصِيْبَةً
وَعِـدَّةُ حُـزْنٍ أَكْـشَـفَـتْ لا تُـعَـدَّدُ

عَلَى تَالِدِ الأَيَّامِ لِيْ طَارِفُ الأَسَىْ
وَفِيْ كُلِّ يَوْمٍ لَيْ مِنَ الْحُزْنِ مَشْهَدُ

كَأَنَّ الْلَيَالِيْ طَالَبَتْنِيْ بِثَأْرِهَا
وَقَدْ أَدْرَكَتْهُ حَيْثُ مِنِّيَ يُوْجَدُ

وَإِنْ دَامَ هَذَا الْحُزْنُ عِنْدِيْ قَلِيْلُهُ
فَقَدْتُ مَعَ الْمَفْقُوْدِ مِنْ حَيْثُ يُفْقَدُ

وَهَيْهَاتَ لا حُزْنٌ كَحُزْنِيْ لأَنَّنِيْ
أَقُوْمُ بِهِ مِنْ غَيْرِ عَقْلٍ وَأَقْعُدُ

أَلا بَكَرَ النَّاعِيْ بِكَامِلَةِ الْحَجَىْ
وَطَاهِرَةِ الأَعْرَاقِ وَالْعِرْضُ أَمْجَدُ

كَرِيْمَةُ قَوْمٍ مَا بِهَا عَضُّ هُجْنَةٍ
يُقَدِّسُهَا صِيْتٌ وَمَجْدُ وَمَحْتَدُ

حِصَاناً كَسَا أَخْلاقَهَا رَوْنَقُ الْحَيَا
وَمَا هِيَ إِلا فِي الْمُلِمَّاتِ جَلْمَدُ

خَدِيْراً تَمَنَّى النَّجْمُ إِسْقَاطَ لَفْظِهَا
وَيَسْقُطُ إِجْلالاً لَهَا وَيُمَجِّدُ

تَبِيْتُ خَمِيْصَ الْبَطْنِ غَرْثَىْ مِنَ الطَّوَىْ
وَجَارَاتُهَا فِيْ عَيْشِهَا الرَّغْدِ رُغَّدُ[1]

---

(١) الطَّوَىْ: الجوع.

عَقِيْمٌ مِنَ الْفَحْشَا وَلُوْدٌ مِنَ الثَّنَا
سَبُوْقٌ إِلَى الْحُسْنَى لَهَا الْفَضْلُ وَالْيَدُ

بَقِيَّةُ نِسْوَانٍ مَضَتْ لِسَبِيْلِهَا
فَلاَ دَهْرُهَا يُرْجَى وَلا هِيَ تُوْجَدُ

هِيَ الزَّوْجَةُ الْمِعْوَانُ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَى
وَفِي الدِّيْنِ وَالدُّنْيَا وَجَدُّكَ مُسْعَدُ

إِذَا حَلَّتِ الأَضْيَافُ بِاللَّيْلِ سَاحَتِيْ
وَنَامَ عَلَى لَيْنِ الْفِرَاشِ الْمُزَنَّدُ

تَطُوْفُ عَلَى خَفْضِ الْقُدُوْرِ وَرَفْعِهَا
وَجَارَاتُهَا فَوْقَ الْمَطَارِحِ هُجَّدُ

وَتُمْلِيْ جِفَاناً كَالْجَوَابِيْ لِضِيْفِهَا
ثَرِيْداً وَذُو الإِحْسَانِ لِلْضَّيْفِ يَثْرُدُ[1]

وَكَانَتْ عَلَى الدِّيْنِ الْحَنِيْفِيِّ حَافِظاً
عَلَى أَنَّهَا فِيْهِ تَنُصُّ وَتَسْنُدُ

وَكَانَتْ عَلَى فَقْدِيْ تُحَاذِرُ قَبْلَهَا
وَتَدْعُو بِأَنْ أَبْقَى لِنَسْلِيْ وَتُفْقَدُ

---

(١) وجفاناً كالجوابي: أي قدور كبيرة تشبه الأحواض، جاء في القرآن «يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» «سبأ ١٣» وقرئت «وجِفانٍ كالجَوَابِي» بالياء.

لَبِسْتُ قَشِيْبَ الدَّهْرِ مُنْذُ لَبِسْتُهَا
فَلا الْمَاءُ مُغْبَرٌّ وَلا الْعَيْشُ أَنْكَدُ
زَمَانِيْ بَهَا غَضٌّ وَعُوْدِيْ بِهَا يَدٌ
وَحِلْمِيْ بِهَا كَهْلٌ وَخَدِّيَ أَمْرَدُ

....

يَقُوْلُوْنَ لِيْ: يَوْمُ الْخَمِيْسِ مُبَارَكٌ
لَهُ الْمُشْتَرِيْ سَعْدٌ وَمَا فِيْهِ أَسْعَدُ
إِذَا مَرَّ لِيْ يَوْمُ الْخَمِيْسِ وَلَيْلُهُ
تَمَرَّرَ شُرْبِيْ وَهْوَ عَذْبٌ مُبَرَّدُ
وَإِنْ عَرَضَتْ فَوْقَ الرِّقَابِ جِنَازَةٌ
تَحَيَّرْتُ أَو أَنِّيْ عَلَى الْحُزْنِ أَوْجَدُ
وَإِنْ نَظَرَتْ عَيْنِيْ «غَرِيْباً» وَ«حَمْزَةً»
وَإِخْوَتَهُمْ حَوْلِيْ وَهُمْ يَتَوَجَّدُوا[1]
يَقُوْلُوْنَ لِيْ: قُلْ مَنْ لَنَا بَعْدَ أُمِّنَا
وَمَنْ غَيْرُهَا نَأْوِيْ إِلَيْهَا وَنَقْصِدُ
أَجُوْدُ بِنَفْسِيْ فِيْ عَزَاهُمْ كَآبَةً
وَهُمْ بِالنُّفُوْسِ لِلْكَآبَةِ أَجْوَدُ
أَقُوْلُ لَهُمْ: إِنَّ الْحَيَاةَ شَهِيَّةٌ
وَلَكِنْ عَلَىٰ مَرِّ الْجَدِيْدَيْنِ تَنْفَدُ

---

(١) غريب وحمزة: أسما ولديه.

وَكُلٌّ لَهُ وَقْتٌ فَمَا عَنْهُ مَرْحَلٌ
وَلَيْسَ لَهُ عَنْ يَوْمِهِ الْفَرْدُ مُفْرِدُ
وَمَا الْمَالُ وَالأَهْلُوْنَ إلا تَعِلَّةٌ
وَمَا الدَّارُ إلا مَا قَنَاهَا الْمُخَلَّدُ
عَلَيْكَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ فَالصَّبْرُ حُلَّةٌ
مُعَظَّمَةُ الْمِقْدَارِ مِنْ حَيْثُ تُوْجَدُ
سَقَىٰ أُمَّكُمْ فِيْ قَبْرِهَا كُلَّ سَاعَةٍ
مِنَ الْمُزْنِ رَجَّاسُ الْعَشِيَّاتِ مُلْبِدُ[1]
وَصَلَّىٰ عَلَيْهَا اللهُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
فَخَيْرُ صَلاةٍ خُصَّ فِيْهَا مُحَمَّدُ

(١) الرَّجَّاس: الرعد الشديد.

مُحمَّد مُرتضى الزَّبيديّ
«صاحب تاج العروس»

(١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ = ١٧٣٢ - ١٧٩١ م)

مُحمَّد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، ينتهي نسبه إلى زيد بن عليٍّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب. اشتهر بالسيد المرتضى الحسيني الزبيدي اليماني الواسطي العراقي الحنفي، ويكنى أبا الفيض وأبا الجود وأبا الوقت. لغويٌّ وكاتبٌ وشاعرٌ ومُؤرخٌ، أصلُهُ من العراق وقيل من الهند. نشأ في «زبيد» من بلدان اليمن، ثم رحل عنها، وتنقَّلَ في الحجاز بين مكَّةَ والمدينة والطائف، وقصد أخيراً إلى مصر فطاب له فيها المقام حيث أمضى في رحابها بقية حياته، وقد وجد في مكتباتها كُلَّ ما يحتاج إليه من أمَّهَات الكُتُب التي أعانته في تأليف كُتُبه الكثيرة، فذاع صِيتُهُ واتجهت إليه الأنظار، وأُذِنَ له بالتدريس في القاهرة فسعى إلى سماعه كثيرٌ من رجالات الأزهر وطلاب العلم، وكان معجمه الكبير الذي أسماه «تاج العروس من جواهر القاموس» أهم مؤلفاته وبه اشتهر، ويعد من أوسع المعاجم العربية، ولا يضارعُهُ في حجمه أو يفوقه إلا «لسان العرب» لابن منظور وقد أمضى في تأليفه أربعة عشر عاماً كان يواصل فيها عمله من دون انقطاع.

بلغت أعمال الزبيدي أكثرَ من ١٠٠ بين كتاب ورسالة، منها «أمهات الرسول»، و«الميسر والقداح»، و«شجرة الدخان»، و«قهوة اليمن». وكان المؤرخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي أبرز تلاميذه.

وتوفي بالطاعون عام ١٧٣٢ هـ = ١٧٩١م»[١]

كان لطيفَ الشَّكل حَسَنَ الصفات بشوشاً وقوراً محتشماً عارفاً بالفارسية والتركية، وقد تزوج من «زبيدة بنت ذي الفقار الدمياطي» وعاشَ سعيداً معها. ثم فُجِعَ بوفاتها سنة ١١٩٦ هجرية فحزن عليها حزناً كثيراً، ودفنها عند مشهد السيِّدة رُقيَّة، وعمل على قبرها مقاماً ومقصورة، وستوراً وفرشاً وقناديل، ولازم قبرها أياماً كثيرة، تجتمع عنده الناس والقرَّاء والمنشدون، واشترى مكاناً بجوار المقبرة وعمَّرَهُ بيتاً صغيراً، وفرشه وأسكنَ به أمها، وكان يبيت به أحياناً، ورثاها بقصائد، على طريقة شعر مجنون ليلى.[٢]

سَحَر زُبَيْدَة

أَعَـاذِلُ مَـنْ يُـرْزَأْ كَـرُزْئِـيَ لا يَـزَلْ
كَئِيْبَاً وَيَزْهَدْ بَعْدَهُ فِي الْعَوَاقِبِ

---

(١) مقدمة كتابه «تاج العروس من جواهر القاموس» محمد مرتضى الحسيني الزبيدي / تحقيق ضاحي عبد الباقي مراجعة الدكتور عبد اللطيف محمد خطيب / سلسة التراث العربي/ الكويت ٢٠٠١.

(٢) «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي ١١٦٧ - ١٢٣٧ هـ تحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم/ مطبعة دار الكتب المصرية/ القاهرة ١٩٩٧ / عن طبعة بولاق/ الجزء الثاني ص ٣١٠. وقد نسخ عبد الرزاق البيطار نص كلام الجبرتي في ترجمته للزبيدي واكتفى بالقول: «قال صاحب عجائب الآثار في ترجمة هذا السيد المعدود من الأخيار»، راجع «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» عبد الرزاق البيطار ١٢٥٣ - ١٣٣٥ هـ / دار صادر / حققه ونسَّقَهُ وعلَّق عليه: حفيده محمد بهجة البيطار/ الطبعة الثانية ١٩٩٣/ الجزء الثالث ص ١٥٠١.

أَصَابَتْ يَدُ الْبَيْنِ الْمُشِتِّ شَمَائِلِيْ
وَحَاقَتْ بِنِظَامِيْ عَادِيَاتُ النَّوَائِبِ

وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتَ «زُبْدَاً» سُحَيْرَةً
أَعُوْدُ إِلَىْ رَحْلِيْ بَطِيْنَ الْحَقَائِبِ

أَرَى الأَرْضَ تُطْوَىْ لِيْ وَيَدْنُوْ بَعِيْدُهَا
مِنَ الْخِفَرَاتِ الْبِيْضِ غَيْرِ الْكَوَاعِبِ[1]

فَتَاةُ النَّدَى وَالْجُوْدِ وَالْحِلْمِ وَالْحَيَا
وَلاْ يَكْشِفُ الأَخْلاقَ غَيْرُ التَّجَارِبِ

فُدِيْتُ لَهَا، مَا يَسْتَذِمُّ رِدَاؤُهَا
عَمِيْدَةُ قَوْمٍ مَنْ كِرَامٍ أَطَايِبِ

عَلَيْهَا سَلامُ اللهِ فِيْ كُلِّ حَالَةٍ
وَيَصْحَبُهُ الرِّضْوَانُ فَوْقَ الْمَرَاتِبِ

مَدَى الدَّهْرِ مَا نَاحَتْ حَمَامَةُ أَيْكَةٍ
بِشَجْوٍ يُثِيْرُ الْحُزْنَ مِنْ كُلِّ نَادِبِ

إِلَى آخِرِ الْعُمْرِ[2]

يَقُوْلُوْنَ لاْ تَبْكِ «زُبَيْدَةَ» وَاتَّئِدْ
وَسَلِّ هُمُوْمَ النَّفْسِ بِالذِّكْرِ وَالصَّبْرِ

(١) الخفرات: العذارى. الكواعب: الفتيات اللواتي ظهرت أثداؤهنَّ للتوِّ.
(٢) «عجائب الآثار» الجزء الثاني ص ٣١١.

وَتَأْتِيْ لِيَ الأَشْجَانُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ

بِمُخْتَلِفِ الأَحْزَانِ، بِالْهَمِّ وَالْفِكْرِ

وَهَلْ لِيْ تَسَلٍّ مِنْ فِرَاقِ حَبِيْبَةٍ

لَهَا الْجَدَثُ الأَعْلَى «بِيَشْكَرَ» مِنْ مِصْرِ[1]

أَبَى الدَّمْعُ إلا أنْ يُعَاهِدَ أعْيُنِيْ

بِمِحْجَرِهَا وَالْقَدْرُ يَجْرِيْ إِلَى الْقَدْرِ

فَأَمَّا تَرَوْنِي لاْ تَزَالُ مَدَامِعِيْ

لَدَىْ ذِكْرِهَا تَجْرِيْ إِلَى آخِرِ الْعُمْرِ

مَضَتْ بِهَا كُلُّ لَذَّةٍ[2]

خَلِيْلَيَّ مَا لِلأُنْسِ أَضْحَىْ مُقَطَّعَاً

وَمَا لِفُؤَادِيْ لا يَزَال مُرَوَّعَا؟

أَمِنْ غِيَرِ الدَّهْرِ الْمُشِتِّ وَحَادِثٍ

أَلَمَّ بِرَحْلِيْ؟ أَمْ تَذَكَّرْتُ مَصْرَعَا؟

وَإلا فِرَاقٌ مِنْ أَلِيْفَةِ مُهْجَتِيْ

«زُبَيْدَةٍ» ذَاتِ الْحُسْنِ وَالْفَضْلِ أَجْمَعَا

مَضَتْ فَمَضَتْ عَنِّيْ بِهَا كُلُّ لَذَّةٍ

تَقَرُّ بِهَا عَيْنَايَ فَانْقَطَعَا مَعَا

---

(١) يشكر: وتسمى أيضاً جبل يشكر هضبة في القاهرة قريبة من السيدة زينب بُني عليه جامع أحمد بن طولون المشهور.

(٢) «عجائب الآثار» الجزء الثاني ص ٣١١.

لَقَدْ شَرِبَتْ كَأْسَاً سَنَشْرَبُ كُلُّنَا
كَمَا شَرِبَتْ، لَمْ يُجْدِ عَنْ ذَاك مَدْفَعَا
فَمَنْ مُبْلِغٌ صَحْبِيْ بِمَكَّةَ أَنَّنِيْ
بَكَيْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِعَيْنَيَّ مَدْمَعَا

مَاذَا أدْرَجُوْا[1]

خَلِيْلَيَّ هَلْ ذِكْرَى الأَحِبَّةِ نَافِعُ
فَقَدْ خَانَنِي الصَّبْرُ الْجَمِيْلِ الْعَوَاقِبِ
وَهَلْ لِيَ عَوْدٌ فِي الْحِمَى أَمْ تَرَاجُعٌ
لِوَصْلٍ بِتِلْكِ الآنِسَاتِ الْكَوَاعِبِ
لَقَدْ رَحَلَتْ عَنِّي الْحَبِيْبَةُ غُدْوَةً
وَسَارَتْ إِلَى بَيْتٍ بِأَعْلَى السَّبَاسِبِ[2]
أَقُوْلُ وَمَا يَدْرِيْ أُنَاسٌ غَدَوا بِهَا
إِلَى اللَّحْدِ: مَاذَا أَدْرَجُوْا فِي السَّبَاسِبِ
فَأُخِّرْتُ عَنْهَا فِي الْمَسِيْرِ وَلَيْتَنِيْ
تَقَدَّمْتُ لاَ أَلْوِيْ عَلَىْ حُزْنِ نَادِبِ

---

(١) «عجائب الآثار» الجزء الثاني ص ٣١١.

(٢) السباسب: الفلوات.

طَبْلُ السَّمَاءِ[1]

«زُبَيْدَةُ» شَدَّتْ لِلرَّحِيْلِ مَطِيَّهَا
غَدَاةَ الثُّلاثَا فِي غَلائِلِهَا الْخُضْرِ
وَطَافَتْ بِهَا الأمْلاكُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ
وَدُقَّ لَهَا طَبْلُ السَّمَاءِ بِلاَ نُكْرِ[2]
تَمِيْسُ كَمَا مَاسَتْ عَرُوْسٌ بِدَلِّهَا
وَتَخْطُرُ تِيْهاً فِي الْبَرَانِسِ وَالأُزْرِ[3]
سَأَبْكِيْ عَلَيْهَا مَا حُيِيْتَ وَإِنْ أَمُتْ
سَتَبْكِيْ عِظَامِيْ وَالأضَالِعُ فِي الْقَبْرِ
وَلَسْتُ بِهَا مُسْتَبْقِياً فَيْضَ عَبْرَةٍ
وَلا طَالِباً بِالصَّبْرِ عَاقِبَةَ الصَّبْرِ!

هَجَرْتَ فَهَلْ مِنْ سَبَبٍ؟[4]

نِعْمَ الْفَتَاةُ بِهَا فُجِعْتُ غُدَيَّةً
وَكَذَاكَ فِعْلُ حَوَادِثِ الأَيَّامِ
شَدَّتْ مَطَايَا الْبَيْنِ ثُمَّ تَرَحَّلَتْ
وَتَمَايَلَتْ أَكْوَارُهَا بِسَلامِ

---

(١) «عجائب الآثار» الجزء الثاني ص ٣١١.
(٢) الأملاك: الملائكة.
(٣) تميس: تميل، بدلها: بدلالها.
(٤) «عجائب الآثار» الجزء الثاني ص ٣١١.

رَحَلَتْ لِرِحْلَتِهَا غَدَاةَ تَجَمَّلَتْ
أَحْلامُنَا مِنْ قَاعِدٍ وَقِيَامِ
مَا خَلَّفَتْ مِنْ بَعْدِهَا فِيْ أَهْلِهَا
غَيْرَ الْبُكَا وَالْحُزْنِ وَالإِيْتَامِ
يَا لَهْفَ نَفْسٍ حُسْنُ أَخْلاقٍ لَهَا
جُبِلَتْ عَلَيْهِ وَوُصْلَةُ الأَرْحَامِ
وَإِطَاعَةٌ لِلْبَعْلِ ثُمَّ عِنَايَةٌ
صُرِفَتْ لإِطْعَامٍ وَلِيْنِ كَلامِ
تِلْكَ الْمَكَارِمُ فَابْكِهَا مَا رَنَّحَتْ
رِيْحُ الصَّبا سَحَراً غُصُوْنَ بِشَامِ[1]
يَا وَارِداً يَوْمَاً عَلَى قَبْرٍ لَهَا
قِفْ ثُمَّ رَاجِعْ مِنْ شَجٍ بِسَلامِ[2]
وَقُلَنْ لَهَا قَدْ كُنْتِ فِيْمَا قَدْ مَضَى
تَأْتِيْ لَهُ عِنْدَ الْلِقَا بِمَقَامِ
وَالْيَوْمَ مَا لَكِ قَدْ هَجَرْتِ فَهَلْ لِذَا
سَبَبٌ؟ فَقُوْلِي يَا ابْنَةَ الأَعْلامِ

(١) رنحت: هزَّت، وأمالت، والبشام: شجرة طيبة الرائحة.
(٢) شجٍ: حزين.

بَيْرَمُ الثَّانِي

(١١٦٣ - ١٢٤٧ هـ = ١٧٤٩ - ١٨٣١ م)

مُحمَّد بنُ محمَّد. ولد في تونس «العاصمة»، وفيها توفي. ويعرفُ والده ببيرم الأول.

نشأ في كنف العائلة، وتأدَّبَ بأدَبها، ثم تلقَّى تعليمه بالكتَّاب، وجامع الزيتونة، عمل مدرساً بالمدرسة الباشية، ثم بالجامع الأعظم إلى جانب قيامه على الخطابة بجامع «يوسف داي»

كان نقيباً للأشراف إلى جانب ولايته لخطَّةِ الإفتاء ثم رئاسته للفتوى. وقد قصر نشاطه على التَّدريس والقضاء والإفتاء.

يعدُّ من أعلم أهل عصره، فهو حافظٌ وفقيهٌ من حاملي المذهب الحنفي، حتى دعي بحامل لواء المذهب النعماني، إلى جانب توليه لمشيخة الإسلام عام ١٨٠٠م، فقام بأعبائها إلى أن توفي.(١)

قصيدته هنا هي مرثية لعائلته وهم «عشرون نفساً» كما يقول في قصيدته، بينهم أولاده الخمسة وأمهم بوباء بالطاعون الجارف الذي أصاب البلاد عام ١١٩٩هـ = ١٧٨٥م.

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين/ الكويت ٢٠٠٨.

رثاء العائلة

قِفْ بِالدِّيَارِ وَسَلْهَا عَنْ أَهَالِيْهَا
وَمَا جَرَىٰ لَهُمُ مِنْ حَادِثٍ فِيْهَا

وَقُلْ عَهِدْتُكِ يَا أَرْضَ البِلَىٰ فَلكاً
تَجْرِي الْكَوَاكِبُ مِنْهُ فِيْ مَجَارِيْهَا

وَرَوْضَةً أُنُفاً تَسْبِيْ جَآذِرُهَا
بِمَا حَوَتْ مِنْ بَهَاءٍ لُبَّ رَائِيْهَا[1]

فَأَيْنَ تِلْكَ الشُّمُوْسُ النَيِّرَاتُ وَمَا
يَسْتَوْقِفُ الطَّرْفَ حُسْناً مِنْ مَعَانِيْهَا؟

وَأَيْنَ تِلْكَ الظِّبَاءُ الآنِسَاتُ وَمَا
صَارَتْ بِهِ نَافِرَاتٍ مِنْ مَرَاعِيْهَا؟

تُجِبْكَ: نَادَىٰ بِهَا دَاعِي الْوَبَا سَفَراً
إِلَى الْفَنَاءِ فَلَبَّتْ مَنْ يِنَادِيْهَا

وَصَاحَ فِيْهَا غُرَابُ الْبَيْنِ فَانْتَثَرَتْ
فَمَا تَمزَّقَ مِنْ سِلْكٍ لآلِيْهَا

فِيْ نَحْوِ سَبْعِيْنَ يَوْمَاً لَمْ تجدْ أثَراً
لَهُمْ كَأَنْ لَمْ يَكُوْنُوا سَاعَةً فِيْهَا

أُوْلَئِكَ الْقَوْمُ أَوْلادِيْ وَوَالِدَتِيْ
وَزَوْجَتِيْ ثُمَّ أُخْتِيْ مَعْ حَوَاشِيْهَا

---

(١) الجاذر: جمع جؤذر وهي البقر الوحشية.

عُشْرُوْنَ نَفْساً أَرَانِي اللهُ مَصْرَعَهُمْ

مُصِيْبَةٌ أَرِنِيْ خَطْباً يُدَانِيْهَا؟

فَقَدْتُ فِيْهَا دُمُوْعَ الْعَيْنِ إِذْ عَظُمَتْ

وَأَيُّ قَدْرٍ تَرَاهُ كَانَ يَكْفِيْهَا

إِنِّي لأَعْجَبُ مِنْ قَلْبِيْ وَقَسْوَتِهِ

أَنْ لَمْ يَذُبْ إِذْ حَدَا بِالسَّفْرِ حَادِيْهَا

وَكَيْفَ لَمْ يَتَصَدَّعْ بَعْدَمَا لَمَسَتْ

كَفَّايَ كَبْدِيَ فِيْ تُرْبٍ أُوَارِيْهَا

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَلْبِيْ أَنْ يُطَاوِعَنِيْ

وَكَيْفَ يَا قَلْبُ ذَاتاً مِنْكَ تَعْصِيْهَا؟

مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ وَالأَحْبَابُ قَدْ ظَعَنُوا

وَخَلَّفُوْكَ لأَنْكَادٍ تُقَاسِيْهَا

يَا مَرْكَبَ الْهَمِّ مَاذَا كُنْتِ حَامِلَةً

وَكَمْ مَرَائِرَ أَحْوَالٍ تُعَانِيْهَا؟

وَيَا خَزَانَةَ أَنْكَادٍ قَدِ اخْتَلَفَتْ

طَالَ التَّعَجُّبُ مِنْكِ كَيْفَ تَحْوِيْهَا؟

أَسْتَغْفِرُ اللهَ، آجَالٌ مُقَدَّرَةٌ

لا الْخَيْرُ يُبْعِدُهَا لا الشَّرُّ يُدْنِيْهَا

فَأَسْأَلُ اللهَ لُطْفاً فِي الْقَضَاءِ وَلاْ

أَرْجُوْ سِوَاهُ لأَحْزَانِيْ يُجَلِّيْهَا

عَلِيّ نَقِي الإحْسَائِي

(١٢٤٦هـ = ١٨٣٠م)

علي نَقِيّ المعروف «ببدر الإيمان» والده الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي المعروف «بالشيخ الأوحد» والمؤسس الأول لتيار الشيخية.

وَلِدَ في الإحساء «هجر»

ذكره كلٌّ من تعرض لترجمته بالإكبار والإجلال، وعظم المنزلة، ورفعة الشأن، وقيل عنه أنه كان يحفظ اثني عشر ألف حديث مع السند، وما يتلى عنده شعر إلا قرأه من أوله إلى آخره.

وقال السيد كاظم الرشتي: كان من العلماء المبرزين، والفضلاء المتبحرين، وكان من حملة الأسرار رافق أبيه في أكثر أسفاره إلى العراق وإيران، وحصلت له أسفار بمفرده إلى بعض المدن العراقية والإيرانية نظم في بعضها أبياتاً.

من مؤلفاته: «نهج المحجَّة» في مجلدين و«منهاج السالكين» في السلوك والأخلاق و«مشرق الأنوار» في الحكمة. له ديوان شعر حقَّقه محمد كاظم الطريحي وطبع في طهران ١٩٥٥.

مات بمرض الطاعون سنة ١٢٤٦هـ = ١٨٣٠م في كرمنشاه بإيران ودفن هناك[١].

---

(١) الشيخ علي نقي الأحسائي. لمحات من سيرته وأدبه عقيل بن ناجي المسكين / مجلة الواحة/ ٢٠ / ٢ / ٢٠١١م العدد «٦١».

وممّا قال في رثاء «زوجته» من قصيدة طويلة:

نَوَارُ يَا نَوَار

فَيَا لَهْفَ نَفْسِيْ حِيْنَ قُرِّبَ نَعْشُهَا
وَيَا وَيْحَ رُوْحِيْ كَمْ تُقَاسِيْ مِنَ الشَّرِّ

جَرَتْ لِي الأُمُوْرُ الْحَادِثَاتُ فَرَوَّعَتْ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِيْ قَبْلَ فَرْقَاكِ مَا يَجْرِيْ

تَجُوْدُ الْغَوَادِي الْمُدْلِجَاتُ بِمَائِهَا
وَتَنْهَلُّ عَيْنِيْ مِنْ مَدَامِعَهَا الْحُمْرِ

«نَوَارُ» لَقَدْ حَلَّتْ بِتُرْبِكَ رَحْمَةٌ
تَعَطَّرَ مِنْهَا سَاكِنُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

«نَوَارُ» خُذِيْهَا بِالتَّحِيَّةِ وَاعْلَمِيْ
بَأَنَّ اللَّيَالِيْ وَصْلُهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ

سَقَى اللهُ قَبْراً يَا «نوار» اكْتَنَفْنِهِ
هَوَاطِلَ غَيْثٍ ضَمَّ قَلْبِيَ مِنْ قَبْرِ

مُحَمَّدُ الْبُخَاري عُثْمَان

(١٢٠٩ - ١٢٢٦ هـ = ١٧٩٤ - ١٨٤٩ م)

مُحمَّد البخاري بن عثمان بن محمد فودي. أحدُ روَّاد الشِّعْر العربي والثقافة الإسلامية في نيجيريا، ولد في منطقة صكتو «الغرب من نيجيريا» وتوفي في مدينة «تمبول» إبان إمارته لها في عهد خلافة أخيه أبي بكر العتيق.

أحد أبناء عثمان بن فودي مؤسس دولة «صكتو» في غربي أفريقيا.

برع في علوم العربية، وحفظ أشعار العرب وخطبهم وأسجاعهم وأيامهم وأنسابهم.

له ديوان شعري «قصائد محمد البخاري»

إضافة إلى أعمال أخرى منها: «كف الإخوان من اتباع خطوات الشيطان»، ومجموع «إن وأن»[1].

لاحِقٌ بِهَا عَمَّا قَلِيْلِ

مرثية أمّ مُحَمَّد

أَيَا رُزْءَ بِنْتِ الْخَيْرِ أمِّ مُحَمَّدِ
أَسَلْتَ مَعَ الدَّمْعِ النَّجِيْعَ عَلَى نَحْرِيْ

---

(١) «معجم البابطين».

فَوَاللهِ لا أَنْسَاكِ مَا حَنَّ عَاشِقٌ
وَطرَّبَ ذَا الطَّيْرُ الْمُسَبِّحُ بِالْفَجْرِ
حُبِيْتِ مَعَ الإجْمَالِ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ
حَيَاءً عَلَيْنَا لِلْحَبِيْبِ وَلِلْغَيْرِ
وَأُعْطِيْتِ مَعْ حُسْنِ التَّبعُّلِ عِفَّةً
وَقَاراً وحُسْنَ الْعَهْدِ وَالصَّوْنِ
لَئِنْ غِبْتِ عَنِّيْ يَا مُنَايَ وَبُغْيَتِيْ
فَعَهْدُكِ مَحْفُوْظٌ وَإِنْ كُنْت لا تَدْرِيْ
وَلَوْلا التَّأَسِّيْ وَالْحَيَاءُ وَخَوْفُ مَا
أَتَىْ مِنْ فَوَاتِ الأجْرِ فِيْ عَدَمِ الصَّبْرِ
وَعِلْمِيْ بِلُطْفِ اللهِ بِيْ وَبِأَنَّنِيْ
بِهَا لاحِقٌ عَمَّا قَلِيْلٍ مِنَ الدَّهْرِ
بَكَيْتُ عَلَيْهَا بِالَّذِيْ هِيَ أَهْلُهُ
وَطَوَّحْتُ نَفْسِيْ فِي الْمَهَامِهِ وَالقَفْرِ
وَلَكِنَّنِيْ رَاضٍ بَرَبِّي وَحُكْمِهِ
وَمِقْدَارِهِ فِي خَلْقِهِ الْحُلْوِ وَالْمُرِّ
فَلا زَالَ غَيْثُ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَالرِّضَا
عَلَىْ قبْرِهَا يهْمِيْ مِنَ الْمَلِكِ الْبِرِّ

صَالِح الصَّايْفِي

(كان حياً عام ١٢٩٥ هـ = ١٨٧٨ م)

شاعرٌ جزائري أقام في تونس وفي الآستانة. له قصيدة نشرت في جريدة «الجوائب». هي مرثية قصيرة، قالها الشاعر في امرأة عالمة تقية رفيعة النسب، يذكر من دلائل سموها، حجّها، وزيارتها للمسجد الأقصى، ولدار الخلافة أيضاً، ويذكر أنها توفيت في المدينة المنورة، وذفنت بمقابر الأنصار، ينهي مرثيته بالتأريخ للوفاة بحساب الجُمَّل.[1]

دُرَّةُ الإِيْمَانِ

في رثاء زوجته

حَيَّا الْحَيَا لَحْداً حَوَتْهُ دُرَّةٌ
كَانَتْ تُضِيءُ بِجَوْهَرِ الإِيْمَانِ

ذَاتُ التُّقَىْ وَالْبِرِّ «آمِنَةُ» الَّتِيْ
قَضَتِ الْحَيَاةَ بِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ

شَهِدَتْ لِهَا بَصَلاحِهَا وَفَلاحِهَا
أَفْعَالُهَا فِيْ خَلْوَةٍ وَعِيَانِ

وَعَلَتْ عَلَىْ كُلِّ النِّسَاءِ بِعِلْمِهَا
وَتَمَيَّزَتْ بِالْحُسْنِ وَالإِحْسَانِ

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

مِنْ آلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ نَسَباً وَفِيْ
حَسَبٍ صَحِيْحٍ مِنْ مُلُوْكِ عَنَانِ
كُتِبَ الْحَدِيْثُ عَلَىْ صَحَائِفِ قَلْبِهَا
بِمِدَادِ إِيْمَانٍ مَعَ الْقُرْآنِ
حَجَّتْ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَبَعْدَهُ
لِلْمَسْجِدِ الأَقْصَىْ بِحُسْنِ أَمَانِ
زَارَتْ جَمِيْعَ الأَنْبِيَاءِ وَقَدْ أَتَتْ
دَارَ السَّعَادَةِ مَنْزِلَ السُّلْطَانِ
فِيْهَا قَضَتْ أَجَلاً وَفِيْ «أَيُّوْبَ» قَدْ
دُفِنَتْ مَعَ الأَنْصَارِ وَالأَعْوَانِ
فَابْكُوا عَلَىْ تِلْكَ الْغَرِيْبَةِ وَانْدُبُوا
يَا أَهْلَ «تُوْنُسَ» أَفْضَلَ النِّسْوَانِ
لاْ تَحْسَبُوْهَا فِي الثَّرَىْ لاْ وَالَّذِيْ
خَلَقَ الْوَرَىْ بَلْ فِيْ نَعِيْمِ جِنَانِ
قَضَتِ الْفُرُوْضَ وَمُذْ قَضَتْ أَرَّخْتُهَا
«كَدَحَتْ لِجَنَّةِ رَبِّهَا الْمَنَّانِ»[1]

(١) نتيجة حساب الجمَّل لهذا الشطر تؤرخ لوفاة زوجته في العام «١٢٩٥هـ=١٨٧٨م»

صَالِح مَجْدِي

(١٢٤٢ - ١٢٩٨ هـ = ١٨٢٧ - ١٨٨١ م)

محمَّد بن صالح بن أحمد بن محمد ابن علي بن أحمد ابن الشريف مجد الدين المشهور بصالح مجدي بك: باحث، مترجم، وشاعر. وُلِدَ بقرية «أبو رجوان» وهي من قرى الجيزة بمصر، وكان جدُّهُ قد هاجر من مكَّة إلى مصر، بدأ بالدراسة في «الكتاتيب» ثم انتقل ليدرس في مدرسة الألسن بالأزبكية وتعلم اللغة الفرنسية وكان أستاذه رفاعة الطهطاوي، وعمل في الترجمة.

نشأ نشأة عسكرية ووصل إلى رتبة بكباشي«مقدم» ولما ولي الخديوي إسماعيل، انتدبه لترجمة القوانين الفرنسية المعروفة باسم «كود نابليون» فترجمها إلى العربية، ثم أنتقل إلى القضاء.

ونقل الزركلي عن علي مبارك أنَّ لصالح مجدي من التراجم والمؤلفات ما يزيد على ٦٥ كتاباً ورسالة[١].

تُوفي في العام ١٨٨١ م ودفن في مقبرة الإمام الشافعي.

أمَّا زوجته وأمَّ وَلَدِهِ الوحيد فقد كانت توفيت عام ١٨٦٤ ميلادي[٢]، وهي شابة فرثاها بواحدة من أجمل قصائده.

---

(١) «الأعلام» للزركلي: الجزء السادس ص ١٦٥.

(٢) أرَّخَ الشاعر لسنة وفاة زوجته «عائشة» في عجز البيت الأخير من القصيدة: «العيوشة دار النعيم بناها» وهي تساوي في حساب الجمل ١٢٨١ هجرية أي ١٨٦٤ ميلادية.

أَنُوْحُ كَثكْلَى

«تفاصيل موت عائشة[1]»

بِرُوْحِيَ مَنْ رَيْبُ الْمَنُوْنِ رَمَاهَا
بِصَائِبِ سَهْمٍ سَالَ مِنْهُ دِمَاهَا

وَغَادَرَنِيْ مِنْ بَعْدِ شَرْخِ شَبَابِهَا
أَنُوْحُ كَثَكْلَى جَفَّ مَاءُ بُكَاهَا

أَنُوْحُ كَثَكْلَى عِنْدَ فَقْدِ وَحِيْدِهَا
تَقَطَّعُ فِيْ يَوْمِ الْوَدَاعِ حَشَاهَا

أَنُوْحُ كَثَكْلَى عِنْدَ فَقْدِ وَحِيْدِهَا
قَضَى بَعْلُهَا فَوْرَاً وَخَابَ رَجَاهَا

أَنُوْحُ كَثَكْلَى مَاتَ بَعْدَ حَلِيْلِهَا
أَخُوْهَا وَبَاقِيْ قَوْمِهَا وَفَتَاهَا

«أَعَائِشُ» لَوْلا أَنَّنِي لِمُحَمَّدٍ
وَلِيٌّ وَأَخْشَىٰ أَنْ يَضِيْعَ سَفَاهَا

لَشَيَّعَ نَعْشِيْ قَبْل نَعْشِكِ صَارِمٌ
يُبلِّغُ نَفْسِيْ سُؤْلَهَا وَمُنَاهَا

«أَعَائِشُ» لَوْ تُفْدَىٰ بِبَعْلٍ حَلِيْلَةٌ
لَكَانَ لِنَفْسِيْ فِي الْفِدَاءِ رِضَاهَا

---

(١) «ديوان صالح مجدي» طبعة بولاق ١٣١١ هجرية = ١٨٩٣ ميلادية ص ٣٤٧ قصيدة «مرثية حليف الأحزان».

فَقَدْ كُنْتُ أَرْجُوْ قَبْلَ مَوْتِكِ أَنَّهُمْ

يَقُوْلُوْنَ: مَاتَ الْمَجْدُ وَهْوَ فِدَاهَا

«أَعَائِشُ» إِنَّ الْعَيْشَ بَعْدَكِ مَا صَفَا

لِمَنْ طَلَّقِ الدُّنْيَا وَحَلَّ وِكَاهَا[1]

أَأَطْمَعُ فِي الدُّنْيَا وَلَسْتِ مَعِيْ بِهَا؟

وَأَنْتِ لِعَيْنِيْ نُوْرُهَا وَضِيَاهَا

«أَعَائِشُ» حِفْظِيْ لِلْعُهُوْدِ سَجِيَّةٌ

أَقُوْمُ وَإِنْ خَانَ الْوَرَى بِوَفَاهَا

فَيَا طَالَمَا عَايَنْتِ مِنِّيْ مَوَدَّةً

يَدُوْمُ عَلَى طُوْلِ الزَّمَانِ بَقَاهَا

«أَعَائِشُ» صَبْرِيْ عِيْلَ مُذْ بِنْتِ وَانْقَضَتْ

لَيَالِيْ مَسَرَّاتٍ مَضَتْ بِسَنَاهَا[2]

وَكَيْفَ تُطِيْقُ الصَّبْرَ بَعْدَكِ سَاعَةً

حُشَاشَةُ صَبٍّ فِي الْمَنُوْنِ شِفَاهَا

«أَعَائِشُ» أُمِّيْ حِيْنَ مَاتَتْ تَخَرَّبَتْ

دِيَارُ أَبِيْ قَبْلَ انْقِضَاءِ عَزَاهَا

وَعَاشَ قَلِيْلاً بَعْدَهَا بَيْنَ أَهْلِهَا

عَلِيْلاً حَلِيْفَ الْحُزْنِ ثُمَّ تَلاهَا

---

(١) الوكاء: ما يشدُّ به رأس القربة.

(٢) عيل صبره: أي غُلِبَ على أمره.

وَهَيْهَاتَ أَنِّي لاْ أَمُوْتُ بِحَسْرَةٍ

سَرِيْعَاً عَلَىْ شَمْسِ الْعُلا وَضُحَاهَا

«أَعَائِشُ» إِنَّا عَنْ قَرِيْبٍ سَنَلْتَقِيْ

عَلى حَوْضِ يَاسِيْنَ الْمُشَفَّعِ طَاهَا

وَإِنَّا سَنَنْسَىْ مَا لَقِيْنَا مِنَ الْعَنَا

وَنَذْكُرُ فِي الْجَنَّاتِ حُسْنَ صَفَاهَا

«أَعَائِشُ» إِنِّيْ عَنْكِ رَاضٍ فَسَارِعِيْ

إِلَى رَوْضِ جَنَّاتٍ يَفُوْحُ شَذَاهَا

وَفَوْزِيْ بِرَيْحَانٍ وَرَوْحٍ وَنِعْمَةٍ

وَفَاكِهَةٍ لَذَّتْ وَطَابَ غِذَاهَا[1]

وَبِالوَصْلِ نَحْظَىْ فِي قُصُوْرٍ مُشَيَّدَةٍ

لَكِ اللهُ فِي تِلْكِ الْجِنَان بَنَاهَا

فَلا كَانَ حَبْسُ الطَمْثِ أَوْدَى بِجِسْمِهَا

إِلَى ذَاتِ جَنْبٍ فِيْهِ عَزَّ دَوَاهَا

وَلا كَانَ لَيْلُ السَّبْتِ مِنْ رَجَبٍ أَتَىْ

بِصَرْعٍ وَهَتْ فِي الْحَالِ مِنْهُ قِوَاهَا

وَلاْ كَانَ بَعْدَ الصَّرْعِ خَالَطَ عَقْلَهَا

ذُهُوْلٌ طَوَىْ مَنْشُوْرَ نُوْرَ حِجَاهَا

---

(١) الروح: الرائحة الطيبة، ومن معانيها كذلك: الراحة.

وَلا كَانَ بَذْرٌ جَاءَ يُحْيِيْ مَوَاتَهَا

بِطِبٍّ عَسِيْفٍ كَانَ فِيْهِ أَذَاهَا

فَإِنَّ انْصِبَابَ الْمَاءِ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهَا

عَلَى رَغْمِ أَنْفِيْ كَانَ فِيْهِ بِلاهَا

وَفِي الأَخْذِ مِنْهَا لِلدِّمَاءِ مَدَامِعي

رَوَتْ كُلَّ أَرْضٍ لا يُقَاسُ فَضَاهَا

وَفِي الْخَرْدَلِ الْمَوْضُوْعِ مِنْ فَوْقِ سَاقِهَا

شَوَاظٌ بِقَلْبٍ فِيْهِ شِيْدَ حِمَاهَا[1]

وَفِيْ نَزْعِهَا إِتْلافُ مُهْجَةِ سَامِعٍ

مُطِيْعٍ مُجِيْبٍ بِالْقَبُوْلِ نَدَاهَا

وَلاْ كَانَ شَهْرُ اللهِ سَابِعُ عَشْرِهِ

بَدَتْ شَمْسُهُ إِلا بِغَيْرِ عَنَاهَا

وَلا كُنْتَ يَا يَوْمَ الْعَرُوْبَةِ مُشْرِفاً

بِفَقْدِ فَتَاةٍ لا أُحِبُّ سِوَاهَا

وَلاْ كُنْتَ يَا يَوْمَ الوَدَاعِ أَتَيْتَنِي

بِمَا فِيْهِ عِنْدِي لِلنُّفُوْسِ شِفَاهَا

وَلاْ كُنْتَ يَا صُبْحَ الْقَطِيْعَةِ مُسْفِراً

بِنَزْعِ الثُّرَيَّا مِنْ نُجُوْمِ سَمَاهَا

---

(١) الشواظ: اللهب.

وَلا كُنْتَ يَا لَيْلَ الْفِرَاقِ مُفَاجِئاً
بِنَعْيِ الَّتِي لِيْ سَاغَ بَثُّ ثَنَاهَا
فَلَيْتَ سُهَادِيْ طُوْلَ لَيْلِيَ بِالَّذِيْ
لَهَا كَانَ عَنْهَا رَدَّ بَأْسَ رَدَاهَا
وَلَيْتَ اِهْتِمَامِي بِالْبَخُوْرِ أَفَادَنِيْ
لَهَا صِحَّةٌ فِيْهَا يَطُوْلُ مَدَاهَا
وَلَيْتَ اِعْتِنَائِي بِالتَّمَائِمِ عَمَّهَا
بِنَفْعٍ وَعَنْهَا قَدْ أَزَالَ عَيَاهَا
وَلَيْتَ رِضَاهَا بِالْعِلاجِ إِطَاعَةً
لِأَمْرِيَ بِالْعُمْرِ الطَّوِيْلِ حَبَاهَا
وَلَيْتَ غُرَابَ الْبَيْنِ قُصَّ جَنَاحُهُ
وَلاْ كَانَ لِيْ قَبْلَ الأَوَانِ نَعَاهَا
وَلَيْتَ زَمَانِيْ مَا سَقَانِيْ لِفَقْدِهَا
بِكَأْسِ فِرَاقٍ بِالْهَوَانِ مَلاهَا
وَلَيْتَ الْمَنَايَا حِيْنَ فُوِّقَ سَهْمُهَا
إِلَىْ نَحْرِهَا شُلَّتْ بِمَصْرَ يَدَاهَا
وَلَيْتَ الرَّدَىْ مَا كَانَ جَرَّدَ سَيْفَهُ
وَشَقَّ بِهِ أَحْشَاءَهَا وَكِلاهَا
وَكَانَ رَمَانِيْ مِنْ كِنَانَةِ نَبْلِهِ
بِمَا فِيْهِ لِيْ حَتْفِيْ وَفِيْهِ نَجَاهَا

وَيا لَيْتَهَا كَانَتْ بِأَفْرَاحِ نَجْلِهَا

«نَظِيْم» تَحلَّى جِيْدُها بِحُلاهَا

وَكانَتْ رَأَتْ مِنْ نَسْلِهِ نَحْوَ عَشْرَةٍ

بِهِمْ يَزْدَهِيْ بَيْنَ النِّسَاء بَهَاهَا

وَكَانَتْ بِهِمْ عَنِّيْ إذَا مِتُّ قَبْلَهَا

تَسَلَّتْ وَعَاشَتْ مَعْهُمُ بِخِبَاهَا

وَكَانَتْ تَرَى فِي النَّوْمِ رُوْحِيْ تَزُوْرُهَا

كَمَا تَشْتَهِيْ فِي صُبْحِهَا وَمَسَاهَا

فَلَسْتُ عَلَيْهَا بَاخِلاً بِحُشَاشَةٍ

بَرَتْهَا مَوَاضِيْ صَدِّهَا وَجَفَاهَا

وَيَا لَيْتَنِيْ مِنْ قَبْلِ حَمْلِ سَرِيْرِهَا

وَقَفْتُ مَعَ الأَمْوَاتِ تَحتَ لِوَاهَا

وَإِلا مَحَى رَسْمِيْ لَدَى قَبْضِ رُوْحِهَا

وَسِرْتُ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ وَرَاهَا

وَهَالُوا عَلَى جِسْمِيْ وَجِسْمِ حَلِيْلَتِيْ

تُرَاب الرِّضَا كَيْمَا بِهَا أَتَبَاهَى

وَأَظْفَرُ مِنْهَا فِي الضَّرِيْحِ بِقُربِهَا

وَأَرْشُفُ مِنْهَا ثَغرَهَا وَلَمَاهَا

وَمَا كَانَ ظَنِّيْ وَهْيَ رُوْحِيْ وَراحَتِيْ

بِأَنِّيَ أَحْيَا بَعْدَ يَوْمَ فَنَاهَا

وَلَكِنَّ أَمْرَ اللهِ في الخَلْقِ نَافِذٌ

وَلَيْسَ لِنَفْسٍ أَنْ تَرُدَّ قَضَاهَا

فَطُوبَى لَهَا حَيْثُ الْمُهَيْمِنُ خَصَّهَا

بِرَحْمَتِهِ لَمَّا أَرَاد لِقَاهَا

وَسارَتْ إِلَىٰ جَنَّاتِ عَدْنٍ فَقابَلَتْ

بِهَا فِيْ نَعِيْمٍ أُخْتَهَا وَأَبَاهَا

وَخَالَتَهَا مَعْ بِنْتِهَا وَهْيَ طِفْلَةٌ

بِهِا اِزْدَادَ فِيْهَا أُنْسَهَا وَهَنَاهَا

وَرِضْوَانُ مُذْ وَافَتْهُ قَالَ مُؤرِّخاً:

لِعَيُّوْشَةٍ دَارَ النَّعِيْمِ بَنَاهَا

حَنَّا الأَسْعَد

(١٢٣٥ - ١٣١٥ هـ = ١٨٢٠ - ١٨٩٧م)

حَنَّا بن أسعد بن جريس أبي صعب اللبناني المعروف بحنا بك الأسعد، من أسرة المشايخ الموارنة أبي الصعب الشهيرين بنواحي «البترون» كان أبوه أمين سرّ عسكر الأمير «بشير الشهابي الكبير» فنشأ صغيراً على حبِّ الآداب فاتخذه الأمير في خدمته فتعلَّم العلوم اللسانية وبرع في الخط العربي حتى ضُرِبَ المثل في خطِّه البديع. ولما سار الأمير بشير إلى «مالطة» اختاره بصفة كاتب لأسراره فرافقه إلى تلك الجزيرة ثم إلى «الآستانة» وانتهز الفرصة ليتعلم لغات عِدَّة كـ«الإيطالية» و«الفرنسية» و«التركية» ودرس الفنون العصرية حتى أصاب له شهرة واسعة. ولما عاد إلى وطنه انتدبته الحكومة لعدة مناصب مُدَّةَ أربعين سنة، وكان أوَّلَ من حاز لقب «البيك» بين مسيحيي لبنان وبرِّ الشام. توفي في أواسط سنة ١٨٩٦. ولحنا بك الصعبي رسالات وشروح لم تطبع وله شعرٌ كثيرٌ تفنَّنَ فيه وأجاد وقد جمعه في ديوان طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت[١].

---

(١) «تاريخ الآداب العربية ١٨٠٠ - ١٩٢٥» لويس شيخو ١٢٥٣ - ١٣٣٥ هـ دار المشرق بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩١ الجزء الثاني ص ٢٨٥.

مَاسَةُ التُّرَاب[1]

أَضَاقَ الْفَضَا الْمَوْهُوْمُ تِلْقَاءَ مُقْلَتِيْ

أَمِ الطَّالِعُ الْمَشْؤُوْمُ أَعْمَىْ بَصِيْرَتِي؟

أَمِ الْفَلَكُ الْغَدَّارُ أَرْخَىْ سُدُوْلَهُ

فَحَجَّبَ نُوْرَ الشَّمْسِ عِنْدَ الظَّهِيْرَةِ

أَرَانِي كَمَا الْعَشْوَاءِ فِي حَوْمَةِ الضُّحَى

أُخَابِطُ بِالدَّهْيَاءِ فِي جَوْفِ ظُلْمَتِيْ

أَطُوْفُ مَفَازَاتِ الدَّوَاهِيْ مُشَتَّتاً

وَقَدْ بِتُّ جَوَّاباً بَأَوْعَارِ حَيْرَتِيْ

وَقَدْ صَالَ ذُو الْكَيْسَانِ بِالضُّرِّ وَالأَسَى

عَلَيَّ بِجَيْشِ الْغَدْرِ كَرَّارَ صَوْلَةِ[2]

دَعَانِي وَقَوْداً لِلسَّعِيْرِ مُقَلِّباً

بِقَلْبِيْ لَظَى الإِحْرَاقِ فِي كُلِّ حُرْقَةِ

رَمَانِيْ بَأَوْصَابٍ صَرِيْعاً إِلَى البَلا

وَقَدْ دَكَّ بِالأَشْجَانِ أَطْوَادَ رِفْعَتِيْ

تَلَقَّفَ مِنِّي الْعَيْنَ وَالْقَلْبَ بَغْتَةً

وَمَا زَالَ فِي جَدٍّ إِلَى خَطْفِ مُهْجَتِيْ

---

(١) هو تاريخ وفاة زوجته كما يتضح من حساب الجمل في عجز البيت الأخير من القصيدة.

(٢) الكيسان: الغدر، والعرب تكني عن الغدر بأبي كيسان.

دَعَانِي وَحِيْدَاً فَاقِدَ الرُّشْدِ وَالْهدَىْ

وَقَدْ بِتُّ فِي الأَرْزَاءِ أَبْكِيْ بِوَحْدَتِيْ

أَمَاتَ الْبَهَا وَاللُّطفَ وَالظُّرْفَ وَالزَّهَى

وَصَيَّرَ مَاسَ الْحُسْنِ تُرْبَاً بِتُرْبَةِ

لَفِيْفُ الْوَلا الْمَقْرُوْنُ أَمْسَى مُفَرَّقَا

وَبِتُّ قَرِيْنَ الْبُؤْسِ بَعْدَ الْقَرِيْنَةِ

أَذَلَّكَ مِنْ دَهْرٍ ظَلُوْمٍ عَلَى الْمَلا

يُفَاخِرُ فِيْ ظُلْمٍ بِوَقْعِ الْبَلِيَّةِ

أَهَذِيْ فِعَالٌ بِالْمَنُوْنِ لَقَدْ نَمَتْ

وَقَدْ ضَيَّعَتْ مَنِّي الْمُنَى بِالْمَنيَّةِ

بَوَارٌ أَرَاشَ الْقَلْبَ فِي سَهْمِ غَدْرِهِ

فَشَقَّ بِهِ خِلْبِيْ بِمِخْلابِ نَبْلَةِ[1]

أَدَارَ رَحَى الْكَيْسَانِ وَالْجوْرِ وَالرَّدَىْ

وَفتَّتَ أَعْظَامِيْ بِفَقْدِ الْعَظِيْمَةِ

دُرُوْجٌ دَعَا مَاسِيْ تُرَابَاً بِبَغْيِهِ

وَأَخْمَدَ نُوْرَ الْحُسْنِ مِنْ صُبْحِ طِلْعَةِ

أَيَا غَاشِمَا أَغْشَى الْغَزَالَةَ فِي الضُّحَى

غَيَاهِبَ بَرْدٍ أَغْرَبَتْهَا بِغُرْبَةِ

---

(١) الخِلبُ: حِجَابُ الْقَلْبِ.

أَيَا ظَالِمَاً بَثُّ الْمَظَالِمِ دَأْبُهُ

عَلَى الْبَغْيِ مَفْطُوْرٌ بِأَقْبَحِ فِطْرَةِ

أَيَا بَاغِيَاً يَبْغِيْ مُلاشَاةَ عَالِمِ

لَعَلَّكَ مَجْبُوْلٌ بِطِيْنِ الضَّغِيْنَةِ

أَمَا لَكَ فِكْرٌ يَخْتَشِي دَوْرَ غَائِلٍ

وَلا قَلْبُ مَخْلُوْقٍ بِأُنْسِ الطَّبِيْعَةِ؟

أَيَا قَاسِيَاً قَلْبَاً فَهَلْ جَازَ أَنْ تَرَىْ

حَلالاً بِقَتْلِ الْعَمْدِ مِنْ دُوْنِ زَلَّةِ

«فَالْمَاسَتِيْ» كَانَتْ عَلَى الطُّهْرِ وَالتُّقَى

تُتَابِعُ أَمْرَ اللهِ بَارِي الْبَرِيَّةِ

طَهُوْرٌ حَكَتْ شَمْسَ النَّهَارِ نُعُوْتُهَا

تُجَلُّ بِأَنْوَارٍ إِذَا مَا تَجَلَّتِ

مَحَاسِنُهَا الْغَرَّاءُ يُبْهِرُ نُوْرُهَا

بَصَائِرَ مَنْ خُصُّوا بِحُسْنِ الْبَصِيْرَةِ

بَدِيْعَةُ أَوْصَافٍ تَسَامَتْ بِوَصْفِهَا

بَرِيْعَةُ أَلْطَافٍ سَبَتْ كُلَّ مُقْلَةِ[1]

لِطَلْعَتِهَا الْحَسْنَاءِ تَرْنُوْ كَوَاكِبٌ

كَمَا سَجَدَتْ لِلفَرْقِ شَمْسُ الْمَجَرَّةِ

---

(١) البَرِيعَةُ: المَرْأَةُ الفائِقَةُ الجَمَالِ والعَقْلِ.

وَمُقْلَتُهَا الْوَسْنَاءُ لَمْ تُبْقِ وَاسِنَاً

وَهَلْ شِيْمَ نَعْسَانٌ يَجُوْدُ بِيَقْظَةِ[١]

وَكَمْ أَخْجَلَ الْجُوْرِيَّ زَهْوَاً خُدُوْدُهَا

وَقَدْ بَاتَ مَخْفُوْرَاً وَأَيَّةَ خَجْلَةِ

وَكَمْ بَاتَ عِقْدُ الدُّرِّ يَبْغِيْ تَسَتُّرَاً

بَإِسْفَارِهَا تِلْكَ الدَّرَارِيْ بِضِحْكَةِ[٢]

سَمَا جِيْدُها صَافِي الْلُجَيْنِ ضِيَاءُهُ

فَبَاتَتْ ظِبَا الأَوْجَارِ فِيْ غَارِ وَجْرَةِ[٣]

وَمُذْ ضَارَعَ الْخُطَيَّ لِيْنَاً قِوَامُهَا

غُصُوْنُ النَّقَا خَرَّتْ سُجُوْدَاً بِحِشْمَةِ[٤]

وَكَمْ قَدْ سَمَتْ دُرَّاً جَوَاهِرُ ثَغْرِهَا

أُصِيْغَتْ مِنَ الأَلْمَاسِ فِي صُنْعِ قُدْرَةِ

مُكَمَّلَةُ الأَلْطَافِ بِالْحُسْنِ وَالْبَهَا

مُجَمَّلَةُ الأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ لَهْجَةِ

فَرِيْدَةُ خَلْقٍ أَحْكَمَ اللهُ خَلْقَهَا

حَمِيْدَةُ خُلْقٍ فَاقَ حَمْدَ الْخَلِيْقَةِ

---

(١) شِيْمَ، مبني للمجهول، مِنْ شَامَ: أي نَظَرَ، قال ابن ميَّادة «أموي»:

وَمَا ذُقْتُهُ إِلَّا بِعَيْنَيْ تَفَرُّسَاً
كَمَا شِيْمَ فِيْ أَعْلَى السَّحَابَةِ بارِقُ.

(٢) الدَّرَارِيّ: جَمْعُ مَنْسُوْبٌ للدُّرِّ.

(٣) الأَوْجَارُ: جَمْعُ وَجْرَةٍ وَهِيَ الْحُفْرَةُ الَّتِي تَنَامُ فِيْهَا الظِّبَاءُ والوحوشُ.

(٤) الخطيّ: الرمح، وسنيب إلى الخط بالبحرين.

أَنَارَتْ سَمَا «لُبْنَانَ» مِنْ نُوْرِ بَدْرِهَا

وَقَدْ شَهِدَ الآفَاقُ فِي ذَا وَقَرَّتِ

وَحَازَتْ ثَنَاءً فَاقَ وَصْفِي سَنَاؤُهُ

عَفَافاً سَمَا طُهْراً وَكُلَّ فَضِيْلَةِ

وَلَهْجَتُهَا مَدْحُ الأَنَامِ تَعَشَّقَتْ

وَلَمْ تَأْتِ فِي هَجْوٍ وَلَفْظِ النَّمِيْمَةِ

وَضِيْعَةُ قَلْبٍ وَالسُّمُوُّ مَقَامُهَا

كَرِيْمَةُ قِنْسٍ سَادَ سُمْكَ الْبَسِيْطَةِ[1]

وَلَوْ فَاخَرَتْ كُلَّ الْعِبَادِ بِحُسْنِهَا

لَقَرُّوا وَكَلٌّ قَالَ: أَنْتِ مَلِيْكَتِيْ

فَوَيْحَكَ يَا هَذَا الْبَوَارِ فَهَلْ يُرَى

جَوَازاً تُجَازِي الْخَيْرَ شَرّاً بِنَقْمَةِ

أَقَلْبُكَ جُلْمُوْدٌ وَلَسْتَ بِبَاصِرٍ

أَمِ الطَّبْعُ مَطْبُوْعٌ بِصَدْرِ الْمَضَرَّةِ؟

الا الْكُفْرُ أَنْ تُلْقَى الظَّرِيْفَةُ فِي الثَّرَىٰ

وَهَلْ جَازَ دَفْنُ الْمَاسِ دَهْراً بِحُفْرَةِ؟

أَمَا رَقَّ مِنْكَ الْقَلْبُ حِيْنَ نَظَرْتَهَا؟

بِرِقَّةِ أَلْطَافٍ حَكَتْ حُوْرَ جَنَّةِ

(١) القِنْسُ: الأصلُ.

أَمَا لانَ مِنْكَ الطَّبْعُ مِنْ لِيْنِ طَبْعِهَا
وَمِنْ فَرْطِ إِيْنَاسٍ وَحُبِّ السَّكِيْنَةِ؟
أَمَا خَجِلَتْ عَيْنَاكَ حِيْنَ تَفَرَّسَتْ
بِرُؤْيَا مَلاكٍ فَاقَ فِي حُسْنِ صُوْرَةِ
أَمَا ارْتَعَشَتْ يُمْنَاكَ حِيْنَ مَدَدْتَهَا
إِلَى قَبْضِ هَاتِيْكَ اليَّمِيْنِ الطَّرِيَّةِ؟
وَهَلاَّ أَبَى نُطْقاً لِسَانُكَ حِيْنَمَا
تَلَوْتَ: اتْرُكِيْ صَحْباً تَعَالِيْ بِصُحْبَتِيْ؟
تَلَقَّفْتَهَا يَا ذَا الْبَغْيُّ بِبَغْتَةٍ
فَلَيْتَكَ لَمْ تَظْفَرْ لَدَيْنَا بِبُغْيَةِ
وَصَيَّرْتَ رَبْعاً كَانَ بَالأُنْسِ زَاهِياً
بِثَوْبِ سَوَادٍ مِنْ دَيَاجِي الدُّجُنَّةِ
وَبِتْنَا حَيَارَى بِالشَّجُوْنِ بِلاَ هُدَىً
نَجُوْبُ مَفَازَاتٍ بِغَمٍّ وَلَهْفَةِ
فَيَا لَهَفِيْ مَا الْبَدْرُ قَدْ غَابَ وَانْثَنَى
وَمَالِي إِلَى بَدْرِيْ رَجَاءٌ بِعَوْدَةِ
فَيَا لَهَفِيْ مَا الشَّمْسُ ذَرَّتْ بِشَرْقِهَا
وَيُفْعِمُنِيْ نَوْحِيْ غَصِيْصاً بِشَرْقَةِ[1]

---

(١) ذَرَّتِ الشَّمْسُ: طَلَعَتْ.

فَيَا حُزْنِي مَا الْوَرْدُ قَدْ لاحَ زَاهِيَاً

كَأَوْرَادِ هَاتِيْكَ الْخُدُوْدِ النَّضِيْرَةِ

فَيَا شَجَنِيْ مَا الْمَاسَ ضَاءَتْ عُقُوْدُهُ

تُضَارِعُ ثَغْرَاً مِنْ دَرَارٍ نَفِيْسَةِ

فَأنَّى وَلاْ أَبْكِيْ دُمُوْمَاً عَلَى الَّتِيْ

تَجَلَّتْ بِذِي الدُّنْيَا بِذَاتٍ فَرِيْدَةِ

فَأنَّى وَلاْ أَبْكِيْ عَلَى مَنْ تَسَرْبَلَتْ

مِنَ الْحُسْنِ وَالتَّقْوَى بِأَبْهَجِ حُلَّةِ

فَأنَّى وَلاْ أَبْكِيْ عَلَىْ مَنْ تَجَلَّلَتْ

جَمَالاً بِأَخْلاقٍ سَمَتْ كُلَّ خِلْقَةِ

تَجَمَّعَ حُسْنُ الْكَوْنِ طُرَّاً بِوَجْهِهَا

وَحَازَتْ كَمَالاً مُدْهِشَاً كُلَّ فِكْرَةِ

أَيَا حَرَّ قَلْبِي زِدْ سَعِيْرَاً حُشَاشَتِيْ

وَلاْ تَتَّئِدْ مِنْ هَتْنِ أَمْطَارِ عَبْرَتِيْ

أَيَا لَهْجَتِي زِيْدِيْ حَنِيْنَاً وَأَنْشِدِيْ

رِثَاءً عَلَى طُوْلِ الْمَدَى لِلْحَبِيْبَةِ

أَيَا آلَ بَيْتِيْ بِالْحِدَادِ ألا الْبَسُوا

سَوَاداً عَلَى مَرِّ السِّنِيْنِ الْمَدِيْدَةِ

ألا أَيْنَ هَاتِيْكَ الْمَلِيْكَةُ لَنْ تُرَىْ

أَغَادَرَتِ الأَوْطَانُ عَنَّا بِرِحْلَةِ؟

أَلاَ أَيْنَ مَنْ كَانَتْ إِلَى الْقَلْبِ سَلْوَةً
تُزِيْلُ كُرُوْبِي مِنْ هُمُوْمٍ وَغُصَّةِ
وَأَيْنَ الَّتِي كَانَ الصُّرُوْحَ مَقَرُّهَا
وَتَخْطُرُ فِي أَسْمَى خُدُوْرٍ سَنِيَّةِ
فَهَلْ جَازَ أَنْ تَثْوِي الرُّمُوْسَ ضَجِيْعَةً
بِجَوْفِ الثَّرَىْ مِنْ بَعْدِ نَوْمِ الأَسِرَّةِ
أَيَا لائِمِيْ خَلٍّ الْمَلامَ فَهَلْ تَرَىْ
حَلالاً سُلُوِّيْ انْحِلالَ الْحَلِيْلَةِ
فَحَاشَا فَمَا السُّلْوَانُ بِالْحُرِّ لائِقٌ
وَهَلْ يَبْتَغِي السُّلْوَانَ صَافِي السَّرِيْرَةِ؟
فَإِنِّي لأَبْكِيْهَا مَدَى الدَّهْرِ نَائِحاً
وَأَهْمِيْ دُمُوْمَاً مِنْ عُيُوْنٍ قَرِيْحَةِ
وَهَلْ أَنْثَنِي عَنْ حِفْظِ عَهْدٍ لِمُهْجَتِي
وَحِفْظِ الْوَلا وَالْعَهْدِ دَأْبِي وَشِيْمَتِي
فَإِنِّي عَلَى حِفْظِ الْعُهُوْدِ لَثَابَتٌ
وَلَمْ اتَّصِفْ، عُمْرِيْ، بِنَقْصِ الْمُرُوْءَةِ
وَإِذْ قُلْتُ يَا مَوْلايَ بِالرُّحْمِ حِفَّهَا
دِهَاراً بَأَخْدَارِ النَّعِيْمِ بِنِعْمَةِ
وَنَادَيْتُ: يَا بِكْراً طَهُوْراً كَرَامَةً
لَهَا مِنْ كَرِيْمٍ بَاذِلٍ كُلُّ رَحْمَةِ
فَقَالَتْ لِقَلْبٍ بَاتَ أَرِّخْ بَوَجْدِهِ
لِحَنَّا حَنِيْنُ النَّوْحِ فِي طُوْلِ غَيْبَتِي

حَسَن الطُّوَيْرَانيّ

(١٢٦٧ - ١٣١٥ هـ = ١٨٥٠ - ١٨٩٧م)

حسن حسني الطُّوَيْرانيّ بن حسين عارف بن حسن سهراب بن محمود، شاعرٌ تركيُّ الأصل مُستعرب، تعود أصوله إلى تويران «من قضاء سالونيك وهي إحدى مدن اليونان حالياً» وُلِدَ في مصر وتوفي في الآستانة «اسنطبول» نشط منذ حداثته في العلم والأدب حتى برز بين كُتَّاب زمانه وقضى قسماً من عمره في السياحة في أفريقيا وآسيا وبلاد الروملي«رومانيا» وأنشأ عدة جرائد كـ«الزمان» و«الإنسان» و«النيل» و«العدل» و«مجلة المعارف» و«المجلة الزراعية» وألف تآليف عديدة دينية واجتماعية وأدبية بعضها تركية وبعضها عربية. وله ديوان شعر سمَّاه «من ثمرات الحياة» اختار قسماً منه عبد الغني العريسي وطبعه في مصر سنة «١٣٢٥»[١].

وله مسرحية بعنوان «مدهشات» وله مؤلفات عِدَّة أخرى مطبوعة منها «الحقُّ روحُ الفضيلة» و«خطُّ الإشارات» و«مصباح الفكر في السير والنظر» و«النَّشر الزهري في رسائل النسر الدهري»

يَا حَامِلِيْ نَعْشَ الْحَبِيْبِ

قِفْ نَحْوَ أَطْلالٍ دَرَسْنَ خَوَالِيَا
وَانْدُبْ زَمَانَاً مَرَّ قَلْبَكَ خَالِيَا

---

(١) تاريخ الآداب العربية/ لويس شيخو/ الجزء الثاني ص ٢٢٨.

وَاذْكُرْ لَنَا عَهْدَ الصَّبَابَةِ وَالصِّبَا

وَلَذِيْذَ أُنْسٍ كُنْتَ تَغْنَمُ صَابِيَا

أَوْ جُرَّ أَذْيَالِ الْخَلاعَةِ رَافِلاً

أَوْ جِيْدَ عُمْرٍ بِالْمَسَرَّة حَالِيَا

وَانْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا وَكَيْفَ تَقَلَّبَتْ

وَمَحَتْ رُسُوْمَ أَحِبَّةٍ وَمَغَانِيَا

مَنْ كَانَ يَأْمَنُهَا وَيَأْمَنُ مَكْرَهَاً

نَبِّهْهُ أَنْ يَلْقَى الَّذِيْ لاقَانِيَا

نُثِرَتْ ثُرَيَّاهَا وَغَابَ مُنِيْرُهَا

وَخَلَتْ سَمَاهَا فَانْدَهَيْنَ لِمَا بِيَا

فَاسْتَقْصِ فَيْضَ الدَّمْعِ بَعْدَهُمَا فَمَا

تَبْغِيْ مِنَ الدُّنْيَا وَتَخْضَعُ رَاجِيَا

وَاجْرِ الْعُيُوْنَ عَلَىْ جِنَانِ مَعَاهِدٍ

فِيْهَا عَهِدْتَ الْقُرْبَ كَأْسَاً صَافِيَا

وَاحْرُقْ فُؤَاداً كَانَ مَنْزِلَ وِدِّهِمْ

كَيْ لا تَرَاهُ لِغَيْرِ ذَلِكَ آوِيَا

وَاذِا اسْتَغَاثَ تَجاهُلاً مِمَّا جَرَىْ

قُلْ مَاتَ رَبْعُكَ عَادَ رَبْعُكَ فَانِيَا

يَا قَلْبُ أَيْنَ أَحِبَّةٌ آوَيْتَهُمْ

حَفَظُوا الْعُهُوْدَ وَلَمْ يَزَلْنَ غَوَالِيَا

يَا قَلْبُ أَيْنَ الْبَدْرُ آنَ مَحَاقُهُ

أَمْ بَاتَ فِي التُّرْبِ الدَّوَارِسِ خَافِيَا؟

يَا قَلْبُ أَيْنَ ذَوُو الْبَشَاشَةِ وَالْبَهَا

وَالْحُسْنِ وَالإِحْسَانِ، مَاتَ وِدَادِيَا؟

يَا قَلْبُ جَدِّدْ لِيْ عُهُوْدَ تَشَوُّقٍ

كَانَتْ لَهُمْ وَالْيَوْمَ تِلْكَ كَمَا هِيَا

يَا قَلْبُ لَمْ يَبْقَ صَدِيْقٌ مُخْلِصٌ

تَرْجُوْ وَفَاهُ وَلا يُجِيْبُ مُنَادِيَا

أَسَفِيْ عَلَىْ حُسْنٍ تَكَنَّفَهُ الرَّدَى

حَتَّى هَوَى فِي التُّرْبِ فَرْداً ثَاوِيَا

أَسَفِيْ عَلَى غُصْنٍ تَمَايَلَ لا صَبَا

تَهْفُوْ وَلا مَاءُ الْبَشَاشِةِ جَارِيَا

أَسَفِيْ عَلَى تِلْكَ الْمَحَاسِنِ شَأْنُهَا

أَسَفٌ عَلَى مَنْ عَاشَ عَنْهَا رَاوِيَا

يَا خَيْرَ حَافِظَةِ الوِدَادِ فَدَيْتُهَا

مِنْ نَازِلٍ أوجَ النَّعِيْمِ وَرَاقِيَا

أَبْكِيْ عَلَىْ كَيْدِ الزَّمَانِ وَمَا عَسَىْ

يُجْدِي الْبُكَاءُ وَمَا يجِيْرُ ثَبَاتِيَا

أَتَمُوْتُ قَبْلِيْ فِي الْمَقَابِرِ فَانِيَا

وَأَعِيْشُ بَعْدَكَ فِي الْمَحَافِلِ بَاقِيَا؟

أَشْكُوْ إِلَى اللهِ زَمانِي وَالنَّوَى
مَا كَانَ أَعْظَمُهُ ظَلُوْماً بَاغِيَا
مَنْ لِلْخَلاعَةِ وَالتَّنَادُمِ بَعْدَهَا
مَنْ لِلْبَشَاشَةِ إِذْ تَشَرَّفُ نَادِيَا
مَنْ لِلسَّتَائِرِ وَالْقُصُوْرِ وَقَدْ نَرَىْ
حُكْمَ الْخَفَاءِ عَلَى الْمَعَالِنِ بَادِيَا
فَلْيَبْكِهَا نَوْءُ السَّمَاءِ عَلى الثَّرَىْ
وَلْيَرْعَهَا طَرَفُ الثَّوَابِتِ سَاهِيَا
وَلْيُضْرِمِ النِّيْرَانَ قَلْبٌ كَانَ فِيْ
مَا قَدْ مَضَى مَغْرَى الْجَمَالِ وَلاهِيَا
بَانَتْ كَبَانٍ رَنَّحَتْهُ صَبَا النَّوَىْ
لَوْ «يَدْرِ» حَامِلُ نَعْشَهَا لَنَعَانِيَا
يَا رَوْضَ حُسْنٍ أَيْنَعَتْ أَزْهَارُهُ
جَفَّتْ مَنَاهِلُهُ فَجُدْنَ مَآقِيَا
يَا شَمْسَ حُسْنٍ كُنْتِ أَصْبَحَ مَا أَرَىْ
لا كَانَ أَصْبَحَ يَوْمَ حَانَ فِرَاقِيَا
يَا مَوْتُ مَالَكَ قَدْ عَبَثْتَ بِمُهْجَتِيْ
وَسَلَبْتَ أُنْسِيْ وَاسْتَبَيْتَ رَشَادِيَا؟
غَادَرْتَنِي عَنْهَا وَكَانَتْ جَنَّتِيْ
فَتَرَكْتَ مَاءَ الْعَيْنِ نَهْراً جَارِيَا

قَدْ كُنْتُ شَهْمَاً فِي الْعَظَائِمِ قَبْلَهَا

وَالْيَوْمَ أَيْنَ تَجَلُّدِيْ وَعَزَائِيَا

يَوْمٌ عَلَيَّ ضَيَاءُ ثَغْرِ صَبَاحِهِ

أَدْهَى وَأَحْلَكُ مِنْ ظَلامِةِ حَالِيَا

وَالصَّبْرُ قَدْ زَلْزَلْتُهُ فَتَرَكْتُهُ

هَبْأً وَكَانَ الصَّبْرُ طَوْدَاً رَاسِيَا

يَا عَيْنُ جُوْدِيْ بَعْدَهُمْ بِمَدَامِعٍ

تَسْقِي الثَّرَى لِنَرَى الْعُيُوْنَ سَوَاقِيَا

يَا عَيْنُ مَنْ بَعْدَ الْحَبِيْبِ تَرَيْنَهُ

حُسْنَاً وَمَنْ يُدْعَى سِوَاك مُوَالِيَا؟

يَا عَيْنُ غُضِّيْ بَعْدَهَا عَنْ كُلِّ ذِيْ

تِيْهٍ وَدَلٍّ فِي الْجَمَالِ تَنَاهَيَا

يَا عَيْنُ قَدْ غَابَتْ بَوَاعِثُ نُوْرِنَا

فَبِأَيِّ نُوْرٍ تَنْظُرِيْنَ الْفَانِيَا

يَا عَيْنُ هَذَا يَوْمُ صَبِّ مَدَامِعٍ

تَدَعُ الْفَيَافِي كَالْبُحُوْرِ طَوَافِيَا

يَا عَيْنُ هَذَا يَوْمُ أَوَّلِ حَسْرَةٍ

تَبْقَى لآخِرِ مَوْعِدٍ بِلِقَائِيَا

يَا عَيْنُ مَنْ مِنْ بَعْدِها تَبْكِيْنَهُ

أَوْ مَنْ عَلَيْهِ بَعْدَهَا قَدْ تَبَاكَيَا؟

يَا عَيْنُ فَابْكِيْ ثَمَّ فَابْكِهِمُ فَمَنْ
تَبْكِيْهِمُ عَنِّي وَمَنْ تَتَوَالَيَا
يَا عَيْنُ إنْ لَمْ تُسْعِدِيْنِي بِالْبُكَا
فَمَنِ الَّذِيْ يُدْعَى سِوَانا بَاكِيَا
يَا عَيْنُ وَدَّعْنَا الأَحِبَّةَ وَالْهَوَىْ
يَا عَيْنُ أَوْدَعْتُ السُّهَادَ مَنَامِيَا
يَا عَيْنُ لا تَنْسَي الْجَمَالَ وَإنْ مَضَىْ
فَالْقَلْبُ لَيْسَ مَدَى الأَدْاهِرِ سَالِيَا
كَمْ مَرَّ مِنْ عَيْشٍ بِهِنَّ غَنِمْتُهُ
وَظِلالُ هَاتِيْك اِلْغِوَايَةِ ضَافِيَا
وَالدَّهْرُ يَضْحَكُ وَالْمَعَالِمُ تَزْدَهِيْ
وَالْقُرْبُ دَانٍ وَالتَّنَائِيْ نَائِيَا
وَالْيَوْمُ وَجْهٌ ضَاحِكٌ مُسْتَبْشِرٌ
وَالْلَيْلُ سَاتِرُهُ لِشَمْلِيْ وَاقِيَا
فَإذا غَدَوْتُ، غَدَوْتُ ظَاهِرَ غِبْطَةٍ
أَوْ رُحْتُ كَانَ مَعَ السُّرُوْرِ رَوَاحِيَا
وَالْعُمْرُ نُوْرٌ وَالشَّبِيْبَةُ نَضْرَةٌ
يَا حُسْنَ ذَا نَادٍ وَذَلِكَ زَاهِيَا
سَلَكَ الْهَوَىْ مَا بَيْنَنَا فِي مُهْجَتِيْ
ذِيْ خُلَّةٍ عَلَمَا الْهَوَى فَتَصَافَيَا

فِيْ مَهْدِ وِدٍّ قَدْ رَبَيْنا صُحْبَةً
وَعَلَى كَذَا مَضَتِ السُّنُوْنُ تَهَادِيَا
وَلَكَمْ ظَنَنَّا الْوِدَّ يُسْعِدُهُ الْبَقَا
وَاحَسْرَتَا مَاتَتْ وَعِشْتُ بِمَا بِيَا
فَبِأيِّ عَزْمٍ لِيْ يَسُوْغُ تَسَتُّرِيْ
وَبِأيِّ حَزْمٍ أَسْتَزِيْلُ عَنَائِيَا
وَبِأيِّ صَبْرٍ أَسْتَطِيْعُ فِرَاقَهَا
وَبِأَيِّ مَاءٍ تَنْطَفِيْ نِيْرَانِيَا
فَعَزَاءَ يَا نِعْمَ الْخَلِيْلَةِ لا عَزَا
وَتَأَسِيَّاً، حَاشَا، وَلَيْسَ تَأَسِّيَا
فَلَئِنْ مَحَتْ كَفُّ التُّرَابِ مَحَاسِنَاً
فَلَقَدْ مَحَتْ صُوُرُ الصَّفَا عَنْ بَالِيَا
وَالْقَلْبُ مِنِّيْ لَمْ يَزَلْ لَكِ مَنْزِلاً
وَالطَّرْفُ مُنْتَظِراً لِقَاكَ وَهَامِيَا
وَالْوِدُّ مِنِّيْ دَائِمٌ لا تَنْتَهِيْ
آنَاؤُهُ حَتَّى أَجُوْبَ حَيَاتِيَا
حُكْمُ الإلهِ بِأَنْ يُفَرِّقَ جَمْعَنَا
فَأَمَادَ مِنْ مَغْنَى الْحُبُوْرِ مَبَانِيَا
أَبْكِيْ عَلَيْهَا حَسْرَةً وَتَلَهُّفَاً
لَوْ أَنَّهَا تَدْرِيْهُمَا لَبَكَتْ لِيَا

يَا عَزْمَ قَلْبٍ كُنْتُ فِيْهِ عَلَى النَّوَىٰ
مَا كَانَ أَقْسَاهُ وَلَمْ يَكُ قَاسِيَا
يَا وَيْحَ صَبٍّ بَانَ عَنْهُ حُبُّهُ
وَتَنَاهَبَتْ مِنْهُ الْفُؤَادَ دَوَاعِيَا
إنْ أنَّ قَالُوا: أَيْنَ مَنْ تَبْكِيْهُمُ؟
وَإذا بَكَىٰ قَالُوا: نَرَاك مُرَائِيَا[1]
يَشْتَاقُ أَحْبَاباً لَهُ لَوْ أَنَّهُمْ
طَلَبُوا الْفِدَاءَ لَكَانَ عَنْهُمْ فَادِيَا
وَكَذَا زَمَانُ السُّوْءِ يَفْعَلُ بِالْوَرَىٰ
كَمْ جَارَ فِي قَوْمٍ وَخَانَ مُوَافِيَا
وَلَوَ انَّنِيْ خُيِّرْتُ كَانَتْ بُغْيَتِيْ
أَنِّيْ أَرَىٰ مَا بِالأحِبَّةِ مَا بِيَا
لَكِنَّهَا حِكَمٌ بِأَيْدِيْ قَاهِرٍ
قَهَرَ الْعِبَادَ بِعِزَّةٍ وَبِكِبْرِيَا
وَلَقَدْ قَضَىٰ أنْ كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ
فَانٍ وَيُصْبِحُ لِلْفَنَاءِ مُوَافِيَا
وَهْوَ الَّذِيْ يَبْقَىٰ فَجَلَّ جَلالُهُ الْ
فَرْدُ الْمُهَيْمِنُ غَالِيَا مُتَعَالِيَا
كَمْ مَرَّ مِنْ هَذَا الطَّرِيْقِ مَعَاشِرٌ
وَتَرَى الَّذِيْ يَمْضِيْ يُصَافِحُ آتِيَا

---

(١) أنَّ: يئنُّ من الأنين.

مَلَكُوا الدُّنَا وَتَبَوَّأوا مِنْ رَحْبِهَا

مَلِكاً وَجَالُوا فِي الْغَرَامِ مَجَالِيَا

سَلْ شَمْسَهَا كَمْ أَبْصَرَتْ مِنْ غَادَةٍ

وَسَلِ الأَهِلَّةَ كَمْ صَحَبْنَ مُبَاهِيَا

بَادُوا جَمِيْعَاً وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُمْ

فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا سَحَاباً غَادِيَا

وَسَلِ التُّرَابَ فَكَمْ طَوَىْ مِنْ عَادِلٍ

جُوْرَاً وَكَمْ أَخْفَىْ مُنِيْراً هَادِيَا

وَفَرَائِدٍ صَارَ التُّرَابُ مَرَاقِداً

فِيْهَا ارْتَضَيْنَ الْعَيْشَ صَعْباً جَافِيَا

أَلِفَتْ تَفَرُّدَهَا عَلَى حُكْمِ الْقَضَا

وَتَنَاسَتِ الْمَغْنَى الْعَزِيْزَ تَنَاسِيَا

وَلَو انَّهَا الدُّنْيَا صَفَتْ لِمَعَاشِرٍ

مَا فَرَّقَتْ جَمْعَ الْكِرَامِ الأَنْبِيَا

فَعَلامَ أَرْجو الْبُرْءَ مِنْ دَاءٍ نَمَا

وَبَلاءُ أَيُّوْبٍ أَرَاهُ شَفَائِيَا

عَدَمَ الرُّسُوْمَ وُصُوْلُهُ مَا بَيْنَنَا

فَمَنِ الْمُجِيْبُ إِذَا يَطُوْلُ نِدَائِيَا

يَا حَامِلِيْ نَعْشَ الْحَبِيْبِ فَدَيْتُكُمْ

سِيْرُوا رُوَيْداً وَانْصِتُوا لِوَدَاعِيَا

وَتَمَهَّلُوا فِي سَيْرِكُمْ، لا تَعْجَلُوا

مَا تِلْكَ إلا سَاعَةٌ أَوْلَى بِيَا

وَقِفُوا بِنَا نُعْطِي الْوَدَاعَ حُقُوْقَهُ

فَنَذِيْعَ مَكْتُوْمَاً وَنُظْهِرُ خَافِيَا

يَا رَحْمَةَ الْمَوْلَى عَلَى ذَاتِ الْبَهَا

يَا فَضْلَهُ بِالصَّبْرِ ثَبِّتْ رَاثِيَا

وَسَقَاهُ مِنْ جَدَثٍ يَضُمُّ قِوَامَهَا

كَالْغُصْنِ مَيَّلَ عَطْفَهُ خَمْرُ الْحَيَا

لا تَحْسَبُوا أَنَّ الْهَوَى بَعْدَ النَّوَى

يَحْلُوْ مَذَاقَاً أَوْ يَمُرُّ بِبَالِيَا

لَعَدَاكَ عَيْشٌ مَثِلُ عَيْشِي آسِفَاً

إِنِّيْ ذَكَرْتُ عَلَى الزَّمَانِ تَدَانِيَا

يَا مُسْتَرِيْحَاً فِي الثَّرَى أَتْعَبْتَنِيْ

يَا غَافِيَاً فِيْهِ أَطَلْتَ سُهَادِيَا

لَقَّاكَ مَوْلاكَ النَّعِيْمَ فَدُمْ بِهِ

وَلْيَرْضَ عُذَّالي عَلَيْكَ شَقَائِيَا

فَكَفَى مُحِبُّكَ حَسْرَةً مِنْ قَوْلِه:

قِفْ نَحْوَ أَطْلال دَرَسْنَ خَوالِيا[1]

---

(١) أرخ لتاريخ وفاة زوجته في هذه الجملة، وهي تساوي في حساب الجمل: سنة ١٢٧٧هـ = ١٨٦٠ م

للهمّ وقتٌ

في رثاء حبيبة:[1]

لِـلْـهَـمِّ وَقْـتٌ وَلِـلأَفْـرَاحِ أَوْقَـاتُ
فَلْيُضْرَمِ الْقَلْبُ أَوْ فَلْتَجْرِ عَبْرَاتُ

فَكَيْفَ صَبْرٌ وَهَلْ لِلْبَيْنِ مُضْطَبِرٌ؟
وَكَيْفَ نَوْمٌ وَبَيْنَ الصَّدْرِ جَمْرَاتُ؟

شَكَتْ يَدُ الْبَيْنِ مَاذَا تَبْتَغِيْ أَبَداً
أَمَا كَفَىٰ مِنْ قَدِيْمِ الدَّهْرِ لَوْعَاتُ؟

أَبْكِيْ عَلَىٰ فَقْدِهَا بَيْنَ الْوَرَى وَلَهَا
مَا دَامَتِ الأَرْضُ تَعْلُوْهَا السَّمَاوَاتُ

حَتَّى النَّسِيْمُ عَلِيْلٌ فِي الْجِنَانِ سَرَىٰ
وَالـطَّـلُّ أَدْمُـعُـهُ وَالـزَّهْـرُ وَجْـنَـاتُ

وَلَوْ نَظَمْتُ الثُّرَيَّا فِي الرِّثَاءِ لَهَا
أَفْنَى، وَقَدْ بَقِيَتْ فِي النَّفْسِ حَاجَاتُ

مَـا لِـلْـنَـوَىٰ وَفُـؤَادِيْ كَـمْ يُـعَـرِّضُـهُ
نَـحْوَ الْجَوَىٰ وَلَكَـمْ تَـرْمِيْهِ آفَاتُ؟

زَفَفْتُهَا نَحْوَ جَنَّاتِ النَّعِيْمِ وَهَلْ
يُهْدَىٰ - فَدَيْتُكِ - لِلْجَنَّاتِ جَنَّاتُ؟

مَا كُنْتَ أَحْسَبُ مَا لاقَيْتُ مِنْ زَمَنِي
أَنْ يَسْتَطِيْعَ لَهُ الصَّبْرَ الْجَمَادَاتُ

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

وَالْـمَـرْءُ فِـي قَـبْـضَـةِ الأَيَّـامِ عَـادِيَـةً

تَهْوِيْ بِحَالاتِهِ فِي الدَّهْرِ حالاتُ

كُـلُّ الـنَّـوَىْ هَـيِّـنٌ يَـقْـوَى لِـصَـدْمَـتِـهِ

مَا دَام لِلْقُرْبِ بَعْدَ الْبُعْدِ مِيْقَاتُ

أَرْجُو الْبَقَا رَاثِياً حَتَّى إِذا ذَكَرَتْ

نَفْسِي اللِقَا عَلِقَتْ بِالْمَوْتَ شَهْوَاتُ

حَسْبُ الْفَتَى عَيْشَةٌ يَهْوَى الْحِمَامَ بِهَا

وَوَيْـحَ حُبِّيْ يُبَكِّيْهُ الأُلَـى مَاتُـوا

قِفْ مَوْقِفَ الذُّلِّ مَا بَيْنَ الْقُبُوْرِ وَقُلْ

يَا مَنْزِلَ الْقَفْرِ قَدْ وَافَتْكَ سَادَاتُ

فَـرُبَّـمـا عَـاشَ أَقْـوَامٌ رُثُـوا سَـلَـفَـاً

وَلَـوْ دَرَتْ رَثَّـتِ الأَحْـيَـاءَ أَمْـوَاتُ

وَإِنَّمَا الْمَوْتُ خَطْبٌ يَنْجَلِيْ وَتَرَىْ

مَـا قَـدَّمَـتْـهُ يَـدٌ تَـدْعُـوْهَـا غَـايَـاتُ

وَفَاقِدُ الْخِلِّ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ عَظُمَتْ

فِيْ عَيْنِهِ فَلَهَا فِي الْقَلْبِ صُنْعَاتُ

يَا نَفْسُ هَذَا سَبِيْلٌ سَوْفَ نَسْلُكُهُ

وَذَاك دَنٌّ سـتُـمْـلا مِـنْـهُ كَـاسَـاتُ

إِذَا عَـلِـمْـنَـا فَـلاَ نَـأْسَـى عَـلَـىْ أَحِـدٍ

فَـالـدَّهْـرُ مَـيْـدَانُـنَـا وَالْـعُـمْـرُ كَـرَّاتُ

وَاللهُ يَبْقَىْ وَيَفْنَى الـخَـلْـقُ كُـلُّـهُـمُ

فَاصْبِرْ، أَوْ اجْزَعْ، فَقَدْ يَمْحُوكَ إِثْبَاتُ

مَحْمُوْد سَامِي الْبَارُوْدِيْ

(١٢٥٥ - ١٣٢٢ هـ = ١٨٣٩ - ١٩٠٤ م)

محمود سامي باشا بن حسن حسني بن عبد الله البارودي، وكان أبوه من أمراء المدفعية، شركسيُّ الأصل نسبته إلى «إيتاي البارود» بمصر، وكانت لأحد أجداده في زمن الالتزام [١]، يُعَدُّ الباروديُّ رائدَ عصر النهضة في الشِّعْر العربي. دخل المدرسة الحربية في السادسة عشرة من عمره، ثم رحل إلى «الآستانة» فأتقن الفارسية والتركية، ولما اندلعت الثورة العرابية كان في صفوف الثائرين، ودخل الإنجليز القاهرة، فقُبِضَ عليه وسُجِنَ وحُكِمَ بإعدامه، ثم أبدل الحكم بالنفي إلى جزيرة «سيلان». حيث أقام سبعة عشر عاماً، أكثرها في «كِنْدِيْ» تعلَّم الإنجليزية في خلالها وترجم كتباً إلى العربية وكفَّ بصرُهُ وعُفِيَ عنهُ سنة «١٨٩٩م» فعاد إلى مصر وتوفي فيها بعد خمس سنوات.

مرثيته هذه كتبها في زوجته الثانية «عديلة يكن بنت المشير أحمد يكن باشا» وهي زوجته الثانية تزوجها«١٨٦٧م» وله منها ابنٌ واحدٌ وأربع بنات وتوفيت في القاهرة ١٨٨٣، وهي في السابعة والثلاثين من عمرها ونعيتْ له وهو كان منفياً بـ«سرنديب» في جزيرة سيلان.

---

(١) نظام الألتزام: نوع من النظام الإقطاعي بمصر خلال الحكم العثماني، يقوم على جباية الأموال والضرائب من عامة الشعب لإرسالها إلى السلطان العثمانى، وقد تولى الالتزام طبقة من الأثرياء الذين كانوا يتعهَّدون بجمع الضرائب من الفلاحين.

يَدُ المَنُوْن[1]

أَيَـدَ الْـمَـنُـوْنِ قَـدَحْـتِ أَيَّ زِنَـادِ
وَأَطَـرْتِ أَيَّـةَ شُـعْـلَـةٍ بِـفُـؤَادِي؟

أَوْهَنْتِ عَزْمِي وَهْوَ حَمْلَةُ فَيْلَقٍ
وَحَطَمْتِ عُوْدِي وَهْوَ رُمْحُ طِرَادِ

لَمْ أَدْرِ هَلْ خَطْبٌ أَلَمَّ بِسَاحَتِي
فَأَنَاخَ أَمْ سَهْمٌ أَصَابَ سَوَادِي؟

أَقْذَى الْعُيُوْنَ فأَسْبَلَتْ بِمَدَامِعٍ
تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ كَالْفِرْصَادِ[2]

ما كُنْتُ أَحْسَبُنِي أُرَاعُ لِحَادِثٍ
حَتَّى مُنِيْتُ بِهِ فَأَوْهَنَ آدِي[3]

أَبْلَتْنِيَ الْحَسَرَاتُ حَتَّى لَمْ يَكَدْ
جِسْمِي يَلُوْحُ لأَعْيُنِ الْعُوَّادِ

أَسْتَنْجِدُ الزَّفَرَاتِ وَهْيَ لَوَافِحٌ
وَأُسَفِّهُ الْعَبَرَاتِ وَهْيَ بَوَادِي

لا لَوْعَتِي تَدَعُ الْفُؤَادَ وَلا يَدِيْ
تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيْبِ الْغَادِي

---

(١) «ديوان رئيس الوزراء محمود سامي البارودي» شرح: علي عبد المقصود دار الجيل ١٩٩٥ ص ١٣٢، وكذلك في«ديوانه» طبعة دار العودة/ بيروت ١٩٩٨ تحقيق: علي الجارم ومحمد شفيق معروف ص ١٥٣.

(٢) الفِرصاد: الصبغ الأحمر.

(٣) آدِيْ: قُوَّتي.

يا دَهْرُ فِيْمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيْلَةٍ
كَانَتْ خُلاصَةَ عُدَّتِي وَعَتَادِي

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِهَا
أَفَلا رَحِمْتَ مِنَ الأَسَى أَوْلادِي؟

أَفْرَدْتَهُنَّ فَلَمْ يَنَمْنَ تَوَجُّعاً
قَرْحَى الْعُيُوْنِ رَوَاجِفَ الأَكْبَادِ

أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ وَصُغْنَ مِنْ
دُرِّ الدُّمُوعِ قَلائِدَ الأَجْيَادِ

يَبْكِيْنَ مِنْ وَلَهٍ فِرَاقَ حَفِيَّةٍ
كَانَتْ لَهُنَّ كَثِيْرَةَ الإِسْعَادِ[1]

فَخُدُودُهُنَّ مِنَ الدُّمُوْعِ نَدِيَّةٌ
وَقُلُوْبُهُنَّ مِنَ الْهُمُوْمِ صَوَادِي

أَسَلِيْلَةَ الْقَمَرَيْنِ أَيُّ فَجِيْعَةٍ
حَلَّتْ لِفَقْدِكِ بَيْنَ هَذَا النَّادِي؟

أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكِ رَهِيْنَةً
فِيْ جَوْفِ أَغْبَرَ قَاتِمِ الأَسْدَادِ

أَوْ أَنْ تَبِيْنِي عَنْ قَرَارَةِ مَنْزِلٍ
كُنْتِ الضِّيَاءَ لَهُ بِكُلِّ سَوَادِ

---

(١) الحَفِيَّة: الكثيرة الحفاوة التي تظهر الإكرام والسعادة بمن حولها.

لَوْ كَانَ هَذَا الدَّهْرُ يَقْبَلُ فِدْيَةً

بِالنَّفْسِ عَنْكِ لَكُنْتُ أَوَّلَ فَادِي

أَوْ كَانَ يَرْهَبُ صَوْلَةً مِنْ فَاتِكٍ

لَفَعَلْتُ فِعْلَ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادِ[1]

لَكِنَّهَا الأَقْدَارُ لَيْسَ بِنَاجِعٍ

فِيْهَا سِوَى التَّسْلِيمِ وَالإِخْلادِ

فَبِأَيِّ مَقْدِرَةٍ أَرُدُّ يَدَ الأَسَى

عَنِّي وَقَدْ مَلَكَتْ عِنَانَ رَشَادِي؟

أَفَأَسْتَعِيْنُ الصَّبْرَ وَهْوَ قَسَاوَةٌ

أَمْ أَصْحَبُ السُّلْوَانَ وَهْوَ تَعَادِي؟[2]

جَزَعُ الْفَتَى سِمَةُ الْوَفَاءِ وصَبْرُهُ

غَدْرٌ يَدُلُّ بِهِ عَلَى الأَحْقَادِ

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الأَسَى

رَعْيَ التَّجَلُّدِ وَهْوَ غَيْرُ جَمَادِ

هَيْهَاتَ بَعْدَكِ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِي

أَسَفاً لِبُعْدِكِ أَوْ يَلِيْنَ مِهَادِي[3]

---

(١) الحارث بن عباد البكري: كان من سادات العرب وشعرائهم وأبطالهم في الجاهلية، ومن أيامه المشهورة «يوم قضَّة» وهي موضع كانت فيه وقعة كبيرة بين قبيلتي بكر وتغلب، إنتصر فيه لقومه بني بكر من بني عمهم تغلب «قوم كليب» في حرب البسوس الشهيرة.

(٢) التعادي: التباعد.

(٣) المِهاد: الفراش.

وَلَهِي عَلَيْكِ مُصَاحِبٌ لِمَسِيْرَتِي
وَالدَّمْعُ فِيْكِ مُلازِمٌ لِوِسَادِي

فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذُكْرَتِي
وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِي

أَمْسَيْتُ بَعْدَكِ عِبْرَةً لِذَوِي الأَسَى
فِي يَوْمِ كُلِّ مُصِيْبَةٍ وَحِدَادِ

مُتَخَشِّعاً أَمْشِي الضَّرَّاءَ كَأَنَّنِي
أَخْشَى الْفُجَاءَةَ مِنْ صِيَالِ أَعَادِي[1]

مَا بَيْنَ حُزْنٍ بَاطِنٍ أَكَلَ الْحَشَا
بِلَهِيْبِ سَوْرَتِهِ وَسُقْمٍ بَادِي

وَرَدَ الْبَرِيْدُ بِغَيْرِ ما أَمَّلْتُهُ
تَعِسَ الْبَرِيْدُ وشَاهَ وَجْهُ الْحَادِي

فَسَقَطْتُ مَغْشِيّاً عَلَيَّ كَأَنَّمَا
نَهَشَتْ صَمِيْمَ الْقَلْبِ حَيَّةُ وَادِي

وَيْلُمِّهِ رُزْءاً أَطَارَ نَعِيُّهُ
بِالْقَلْبِ شُعْلَةَ مَارِجٍ وَقَّادِ[2]

قَدْ أَظْلَمَتْ مِنْهُ الْعُيُوْنُ كَأَنَّما
كَحَلَ الْبُكَاءُ جُفُوْنَهَا بِقَتَادِ[3]

---

(١) مشي الضراء: مشيمستخفياً والصيال: الصولة.

(٢) المارج: النار المستعرة التي لا دخان لها وإنَّما لهب فقط.

(٣) القتاد: شجر له شوك كالإبر.

عَظُمَتْ مُصِيْبَتُهُ عَلَيَّ بِقَدْرِ مَا
عَظُمَتْ لَدَيَّ شَمَاتَةُ الْحُسَّادِ
لامُوا عَلَىٰ جَزَعِي وَلَمَّا يَعْلَمُوا
أَنَّ الْمَلامَةَ لا تَرُدُّ قِيَادِي
فَلَئِنْ «لَبِيْدُ» قَضَى بِحَوْلٍ كَامِلٍ
فِي الْحُزْنِ فَهْوَ قَضَاءُ غَيْرِ جَوَادِ[1]
لَبِسَ الزَّمَانَ عَلَى اخْتِلافِ صُرُوفِهِ
دُوَلاً وَفَلَّ عَرَائِكَ الآبَادِ[2]
كَمْ بَيْنَ عَادِيٍّ تَمَلَّى عُمْرَهُ
حِقَباً وَبَيْنَ حَدِيثَةِ الْمِيْلادِ
هَذَا قَضَى وَطَرَ الْحَيَاةِ وتِلْكَ لَمْ
تَبْلُغْ شَبِيْبَةَ عُمْرِهَا الْمُعْتَادِ

---

(١) لَبِيْد: هو لبيد بن ربيعة الشاعر الجاهلي المُخضرم، ولعل البارودي يشير إلى أبيات «لَبِيْد» مخاطباً ابنتيه لما حضرته الوفاة:

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيْشَ أَبُوهُمَا
وهَلْ أَنَا إلاَّ مِن «رَبِيعَةَ» أَوْ «مُضَرْ»
فَإنْ حَانَ يَوْمٌ أَنْ يَمُوْتَ أَبُوكُمَا
فَلا تَخْمِشَا وَجْهَاً وَلا تَحْلِقَا شَعَرْ
وَقُوْلا: هُوَ الْمَرْءُ الَّذِيْ لا خَلِيْلَهُ
أَضَاعَ، وَلا خَانَ الصَّدِيْقَ وَلا غَدَرْ
إِلَى الحَوْلِ، ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُما
ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ

(٢) العرائك: جمع عريكة، وهي الطبيعة أو النفس، والآباد جمع أبد: الدهور.

فَعَلامَ أَتْبَعُ مَا يَقُوْلُ؟ وَحُكْمُهُ

لا يَسْتَوِي لِتَبَايُنِ الأَضْدَادِ

سِرْ يَا نَسِيمُ فَبَلِّغِ الْقَبْرَ الَّذِي

بِحِمَى الإِمَامِ تَحِيَّتِي وودَادِي[1]

أَخْبِرْهُ أَنِّي بَعْدَهُ في مَعْشَرٍ

يَسْتَجْلِبُوْنَ صَلاحَهُمْ بِفَسَادِي

طُبِعُوا على حَسَدٍ فَأَنْتَ تَرَاهُمُ

مَرْضَى الْقُلُوْبِ أَصِحَّةَ الأَجْسَادِ

وَلَوَ انَّهُمْ عَلِمُوا خَبِيْئَةَ ما طَوَى

لَهُمُ الرَّدَى لَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ

كُلُّ امْرِئٍ يَوْمَاً مُلاقٍ رَبَّهُ

والنَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَلى مِيْعَادِ

وَكَفَى بِعَادِيَةِ الْحَوَادِثِ مُنْذِراً

لِلْغَافِلِيْنَ لَوِ اكْتَفُوا بِعَوَادِي

فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ نَظْرَةَ عَاقِلٍ

لِمَصَارِعِ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ

عَصَفَ الزَمَانُ بِهِمْ فَبَدَّدَ شَمْلَهُمْ

فِي الأَرْضِ بَيْنَ تَهَائِمٍ وَنِجَادِ

---

(١) حمى الإمام: المقصود مقبرة الإمام الشافعي بالقاهرة حيث دفنت زوجته «عديلة».

دَهْرٌ كَأَنَّا مِنْ جَرَائِرِ سِلْمِهِ
فِي حَرِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَجِلادِ

أَفْنَى الْجَبَابِرَ مِنْ مَقَاوِلِ «حِمْيَرٍ»
وأُولِي الزَّعَامَةِ مِنْ «ثَمُوْدَ» وَ«عَادِ»

وَرَمَى «قُضَاعَةَ» فَاسْتَبَاحَ دِيارَهَا
بِالسُّخْطِ مِنْ «سابُورَ» ذِي الأَجْنَادِ

وَأَصَابَ عَنْ عُرْضٍ «إِيادَ» فَأَصْبَحَتْ
مَنْكُوسَةَ الأَعْلامِ فِي «سِنْدَادِ»[1]

فَسَلِ «الْمَدَائِنَ» فَهْيَ مَنْجَمُ عِبْرَةٍ
عَمَّا رَأَتْ مِنْ حَاضِرٍ أَوْ بَادِي

كَرَّتْ عَلَيْهَا الْحَادِثَاتُ فَلَمْ تَدَعْ
إِلَّا بَقَايَا أَرْسُمٍ وَعِمَادِ

وَاعْكُفْ عَلَى الْهَرَمَيْنِ واسْأَلْ عَنْهُمَا
«بَلْهِيْبَ» فَهْوَ خَطِيبُ ذَاكَ الْوَادِي[2]

تُنْبِئْكَ أَلْسِنَةُ الصُّمُوْتِ بِمَا جَرَى
فِي الدَّهْرِ مِنْ عَدَمٍ ومِنْ إِيجَادِ

أُمَمٌ خَلَتْ فَاسْتَعْجَمَتْ أَخْبَارُها
حَتَّى غَدَتْ مَجْهُولَةَ الإِسْنَادِ

---

(١) سنداد: منازل لإياد، نزلتها لما قاربت الريف، وهو أسفل سواد الكوفة، سميت باسم «سنداد» من ملوك الفرس.

(٢) لهيب: تمثال أبو الهول في جيزة مصر.

فَعَلامَ يَخْشَى الْمَرْءُ صَرْعَةَ يَوْمِهِ
أَوَلَيْسَ أَنَّ حَيَاتَهُ لِنَفَادِ؟

تَعَسَ امْرُؤٌ نَسِيَ الْمَعَادَ وَمَا دَرَى
أَنَّ الْمَنُوْنَ إِلَيْهِ بِالْمِرْصَادِ

فَاسْتَهْدِ يَا «مَحْمُودُ» رَبَّكَ وَالْتَمِسْ
مِنْهُ الْمَعُونَةَ فَهْوَ نِعْمَ الْهَادِي

وَاسْأَلْهُ مَغْفِرَةً لِمَنْ حَلَّ الثَّرَى
بِالأَمْسِ فَهْوَ مُجِيْبُ كُلِّ مُنَادِي

هِيَ مُهْجَةٌ وَدَّعْتُ يَوْمَ زِيَالِهَا
نَفْسِي وَعِشْتُ بِحَسْرَةٍ وَبِعَادِ

تَاللهِ مَا جَفَّتْ دُمُوْعِي بَعْدَمَا
ذَهَبَ الرَّدَى بِكِ يَا ابْنَةَ الأَمْجَادِ

لا تَحْسَبِينِي مِلْتُ عَنْكِ مَعَ الْهَوَى
هَيْهَاتَ مَا تَرْكُ الْوَفَاءِ بِعَادِي

قَدْ كِدْتُ أَقْضِي حَسْرَةً لَوْ لَمْ أَكُنْ
مُتَوَقِّعاً لُقْيَاكِ يَوْمَ مَعَادِي

فَعَلَيْكِ مِنْ قَلْبِي التَّحِيَّةُ كُلَّمَا
نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ عَلَى الأَعْوَادِ

مَاجِد بنُ صَالِح الخليفي

(١٢٩٠ - ١٣٢٥ هـ = ١٨٧٣ - ١٩٠٧ م)

ماجد صالح ماجد الخليفي. شاعر قطري، وُلِدَ في «الدوحة» وتوفي في منطقة «أم الكتيب» جنوبي جزيرة حالول، عاش في قطر، وزار الحجاز.

تعلَّم مبادئ القراءة والكتابة وقسطًا من التعليم الديني في الكتّاب على يد «المطوَّع» بمدينته الدوحة، ثم درس علوم الدين واللغة على يد بعض العلماء.

عمل في مهنة الغوص لاصطياد اللؤلو، والتجارة فيه، وظل في هذه المهنة حتى وفاته غرقاً في رحلة غوص. صدر له ديوان «الخليفي» وله قصائد «نبطية» عديدة تضمن ديوانه بعضها، ولها تأثير واضح في تسرُّب بعض مفرداتها إلى شعره الفصيح.[(١)]

يَا عَيْنُ جُوْدِيْ

في رثاء زوجته

يَا عَيْنُ جُوْدِيْ بِدَمْعٍ مِنْكِ مِدْرَارِ

وَاحْكِي السَّحَابَ إِذَا هَلَّتْ بِأَمْطَارِ

---

(١) «مختارات من الشِّعْر العربي في القرن العشرين» الجزء الثالث إصدار مؤسسة عبد العزيز البابطين ٢٠٠١. ومحمد احمد القضاة/ الشاعر القطري: ماجد صالح الخليفي الفروسية والمغامرة/ مجلة نزوى العدد الثالث حزيران /يونية ١٩٩٥.

وَابْكِيْ عَلَىٰ جَنَّةٍ طَافُ الْمَنُوْنُ بِهَا
قَضَيْتُ مِنْهَا فَمَا قَضَّيْتُ أَوْطَارِيْ
يَا عَيْنُ هَذَا أَوَانُ الدَّمْعِ فَانْسَكِبِيْ
وَابْكِيْ عَلَيْهَا وَسُحِّيْ دَمْعَكِ الْجَارِيْ
فَلَوْ بَكَيْتُ عَلَيْهَا الدَّهْرَ فَيْضَ دَمٍ
فِيْ حَقِّهَا مَا بَلَغْتُ رُبْعَ مِعْشَارِ
قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ هَذَا قَبْلَ مَوْقِعِهِ
فَالآنَ يَا بَيْنُ قَدْ حَقَّقْتَ أَحْذَارِيْ
يَا دَهْرُ مَا لَكَ قَدْ كَدَّرْتَ عِيْشَتَنَا
بَعْدَ الصَّفَاءِ فَقَدْ شِيْبَتْ بِأَكْدَارِ
أَبْقَيْتَنِيْ وَاحِداً فِي الدَّارِ مُنْفَرِداً
مِنْ بَعْدِ أُنْسِيْ بِهَا يَا طُوْلَ إِحْسَارِيْ
إِنْ كُنْتَ أَسْقَيْتَهَا كَأْسَ الرَّدَى فَلَقَدْ
أَسْقَيْتَنِيْ بَعْدَهَا كَاسَاتِ إِمْرَارِ
وقْفاً عَلَيْهَا سَلامُ اللهِ مَا طَلَعَتْ
شَمْسٌ وَمَا خَفَقَتْ فِيْ الْجوِّ أَطْيَارِيْ
وَمَا تَأَوَّهَ قَلْبِيْ ثُمَّ مَا ذَرَفَتْ
عَيْنِيْ عَلَيْهَا بِآصَالٍ وَإِبْكَارِ
إِنِّي لأَرْجُوْ مِنَ الرَّحْمَنِ يَجْمَعُنَا
فِيْ جَنَّةِ الْخُلْدِ فِيْ ظِلٍّ وَأَشْجَارِ

أَمِيْن يُوْسُف الْخُوْرِي

(١٢٦٩ - ١٣٣٨ هـ = ١٨٥٢ - ١٩١٩ م)

أمين يوسف إبراهيم أسطفان، شاعرٌ لبنانيٌّ وُلِدَ في بلدة بكاسين «جنوبي لبنان» وفيها توفي.

عاش في لبنان، ومصر، والسودان.

تلقَّى علومه الابتدائية في مدرستي البطريركية، والآباء اليسوعيين في «غزير» ثم سافر إلى مصر عام ١٨٧٤ ليدرس الطب في مدرسة القصر العيني، ونال شهادة الطب عام ١٨٨٠ .

عمل طبيباً أول في مستشفيات السودان، ثم عاد إلى مصر، فالتحقَ بالعمل طبيباً بمدينة المنصورة، فعاشَ بها حتى توفيت زوجته، فعاد إلى مسقط رأسه «بكاسين» ليستريح من عناء رحلته[1].

نَفَثَاتُ مَصْدُوْر

يُفَاجِئُنَا الزَّمَانُ بَكُلِّ خَطْبٍ ... وَتَفْجَعُنَا الْمَنُوْنُ بِكُلِّ غَالِ

وَلَسْنَا بِالْكَوَارِثِ نَازِلاتٍ ... بِغَيْرِ الْمَوْتِ إِنْ فَدَحَتْ نُبَالِيْ

وَلَوْ غَيْرُ الْمَنُوْنِ غَزَا حِمَانَا ... حَمَيْنَاهُ بِمَا تُحْمَى الْمَعَالِيْ

بَآدَابٍ وَإِثْرَاءٍ وَعِلْمٍ ... وَجَاهٍ وَالْمُثَقَّفَةِ الْعَوَالِيْ

فَهَلْ عَرَفَتْ بِجَدْوَانَا الْمَعَالِيْ ... فَمَدَّتْ نَحْوَنَا كَفَّ السُّؤَالِ؟

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

وَمَا اخْتَارَتْ كَعَادَتِنَا دَوَاماً   لِسَائِلِ جُوْدِنَا إلا الَلآلِيْ
أَمَاثِلُ مِنْ ذَوِيْنَا كُلُّ فَرْدٍ   بَعِيْدِ الذِّكْرِ مَفْقُوْدِ الْمِثَالِ
وَكُلُّ مَصُوْنَةٍ خَوْدٍ نَوَارٍ   تَنَاهَتْ بَالجَمِيْلِ وَبَالْجَمَالِ
كَمَنْ هَابَتْ بِهَا أَيْدِي الْمَنَايَا   فَكَانَ تَتِمَّةَ الْخَطْبِ الْعُضَالِ
مَضَتْ لِلَّهِ تَارِكَةً ذَوِيْهَا   بِمُهْجَةِ مُوْجَعٍ وَجُفُوْنٍ سَالِ
يُجَدِّدُ حُزْنُهَا فِيْ غَيْرِ بَالٍ   وَمِنْهُ مَا نُقَاسِيْ غَيْرَ بَالِ
لَقَدْ فَجَعَتْ بَنِيْهَا بَالتَّنَائِيْ   وَجَافَتْ خَيْرَ كُفْءٍ بِالزِّيَالِ
وَكَانَتْ خَيْرَ مَنْ رَأَفَتْ بِوُلْدٍ   وَأَصْدَقَ مُخْلِصَاتٍ لِلْبِعَالِ

ابْنُ شِهَاب الْعَلَوِيّ

(١٢٦٢ - ١٣٤١ هـ = ١٨٤٦ - ١٩٢٣ م)

أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد العلوي الحسيني، عالم موسوعيّ جامع مصلح. ويعرف بابن شهاب، وهو جدّه السابع شهاب الدين أحمد الذي ينتسب إلى الإمام جعفر الصادق.

وُلِدَ في «حضرموت» وتوفي في «حيدر آباد» في الهند نظم في الثامنة عشرة من عمره أرجوزة. رحل إلى مكّة، ثمّ عاد إلى حضرموت، وأقام مدَّة، ثم ذهب إلى «عدن» وما جاورها، وتوثقت صلته بأُمراء الحج. وانطلق من عدن ليقضي سنوات في بلدان الشرق مثل «سنغافورة» و«جاوة» واشتغل بالعمل التجاري، وقد اشتهر هناك بوصفه عالماً يدعو إلى الإصلاح.

ولما عاد إلى بلده بذل جهوداً للوساطة بين أمراء شبه الجزيرة العربية، خلال الحروب الداخلية التي كانت ناشبة هناك، فأثمرت جهوده عن إخماد نيران الحرب.

ثمّ سافر إلى مصر والشام وبيت المقدس واسطنبول. بعدها توجّه إلى «حيدر آباد» وأقام بها حتّى وفاته.

له مؤلفات كثيرة، عُرف منها ما يقرب من ٣٠ كتاباً. ومن كتبه المطبوعة: «إسعاف الطلاب ببيان مساحة السطوح وما يتوقّف عليه من الحساب» و«إقامة الحجة على ابن حجّة في نقد بديعية ابن حجّة الحمَوي» و«تحفة المحقق بشرح نظام المنطق» و«الترياق النافع بإيضاح

وتكملة مسائل جمع الجوامع» وغيرها إضافة إلى «ديوان شعر» «يعتقد السيد محسن الأمين أن طائفة من شعره قد حُذفت عند طبع الديوان[1]».

وله من قصيدة يرثي بها أم أولاده «سيدة بنت علي بن عبد الله بن شهاب الدين» وجاءه الخبر بوفاتها وهو بمصر سنة (١٣٠٣هـ = ١٨٨٥م) والقصيدة طويلة وفيها استطرادات نختار منها مقطعين.

أَسَىً فِي الْبَرِيْد

أَسَىً وَافَى بِحَادِثَةِ الْبَرِيْدِ ... وَحُزْنٌ دَائِمٌ وَجَوَىً يَزِيْدُ

مُصَابٌ هُدَّ مِنْ جَلَدِيْ وَصَبْرِيْ ... بِكَارِثِ خَطْبِهِ الرُّكْنُ الْمشِيْدُ

عَلَى أَنِّيْ رَبِيْطُ الْجَاشِ ثَبْتٌ ... وَإِنْ حُشِدَتْ مِنَ الدَّهْرِ الْجُنُوْدُ

وَلَكِنَّ اللَّيَالِيْ فَاجَأَتْنِيْ ... بِمُوْجِعَةٍ يَذُوْبَ لَهَا الْجَلِيْدُ

كَأَنَّ ضَئِيْلَةً لَسَعَتْ فُؤَادِيْ ... فَحَمَّ بِسُمِّهَا الْجَسَدُ الْجَلِيْدُ[2]

فَكُلُّ مُصِيْبَةٍ جَلَلٌ سِوَاهَا ... لَدِيَّ وَكُلُّ ذِيْ خَطَرٍ زَهِيْدُ

لَقَدْ قَطَفَتْ يَدُ الأَيَّامِ غَضَّاً ... مَحَلُّ غِرَاسِهِ قَلْبِي الْعَمِيْدُ

أَحَالَ الدَّهْرُ رَوْنَقَهُ وَأَذْوَىْ ... نَضَارَةَ عُوْدِهِ الزَّمَنُ الْعَتِيْدُ

وَأَنْشَبَتِ الْمَنِيَّةُ فِيْهِ ظُفْرَاً ... فَكَادَ الْحَيُّ مِنْ جَزَعٍ يَمِيْدُ

فَيَا لِلهِ مِنْ قَمَرٍ بِقَبْرٍ ... تُعَظِّمُهُ لِسَاكِنِهِ الْلُحُوْدُ

---

(١) «أعيان الشيعة» السيد محسن الأمين العاملي ١٢٨٢ - ١٣٧١ هـ / دار التعارف للمطبوعات / بيروت/ ١٩٨٣ المجلد الثاني ص ٢٩٤.

(٢) الضَّئيلةُ: الحية الصغيرة.

وَكَمْ يَا لَيْتَ شِعْرِيْ مِنْ عَفَافٍ ... تَضَمَّنَ ذَلِكَ الْجَدَثُ الْجَدِيْدُ

* * *

لَقَدْ أَوْدَىْ فَأَوْدَعَ نَارَ وَجْدٍ ... لَهَا مَا بَيْنَ أَضْلاعِيْ وَقُوْدُ
فَقَدْتُ بِفَقْدِهِ الدُّنْيَا جَمِيْعَاً ... بِرُوْحِيَ ذَلِكَ الإِلْفُ الْفَقِيْدُ
أَقَامَ لِعِشْرَتِيْ عِشْرِيْنَ عَامَاً ... وَكُلُّ أُوْلَئِكَ الأَيَّامِ عِيْدُ
بِهِ ابْتَهَجَتْ سُمَيَّات الْمَغَانِيْ ... وَتَاهَ بِعِزِّهِ الْقَصْرُ الْمَشِيْدُ
دَعَتْهُ الْغِيْدُ سَيِّدَهُنَّ طَوْعَاً ... وَمَنْ ذَا بَعْدَ غَيْبَتِهِ يَسَوْدُ؟
أَيَحْسَنُ بَعْدَهُ فِيْ رَأْيِ عَيْنِيْ ... مِنَ الدُّنْيَا طَرِيْفٌ أَوْ تَلِيْدُ؟
وَهَلْ أَسْلُوْ؟ بَلَى أَسْلُوْ سُلُوِّيْ ... إِلَىْ يَوْمٍ يَقُوْمُ بِهِ الْهُجُوْدُ
وَهَلْ بِتَدَاوِلِ الأَيَّامِ حُزْنِيْ ... يِقِلُّ لِفَقْدِهِ؟ لا بَلْ يَزِيْدُ!
وَهَلْ يَبْلَىْ، مَعَاذَ اللهِ، وِدٌّ ... لَهُ بِالْقَلْبِ مُمْتَزَجٌ أَكِيْدُ
فَلا عَيْشِيْ يَطِيْبُ وَلا شَرَابِيْ ... يَرُوْقُ وَلا كَرَى جَفْنِيْ يَعُوْدُ
سَيَبْدُو لِيْ خَيَالٌ مِنْهُ مَهْمَا ... تَرَاءَتْ غُرَّةٌ لِلْعَيْنِ خُوْدُ
وَمَالِيْ فِي الْحَيَاةِ هَوَىً وَلَكِنْ ... قَضَىْ بِبَقَايَ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيْدُ

مُحَمَّد كَمَال الدِّيْن الأَدْهَمِيّ

(١٢٩٦ - ١٣٥٣ هـ = ١٨٧٨- ١٩٣٤م)

مُحمَّد كمال الدين بن محمد الأدهمي، أديبٌ من أعيان طرابلس الشام. كان نقيب أشرافها. وذَكَرَ في سيرته آخر كتابه «مرآة النساء فيما حَسُنَ منهُنَّ وساء» أنه وُلِدَ في منزل والده بسوق العطارين في محله المهاترة بطرابلس الشام في سنة ١٢٩٦ هجرية = ١٨٧٨م.

وفيها أيضاً أنَّ له عدداً من المؤلفات في حقول ثقافية شتى، منها «لوامع الإسعاد في جوامع الأعداد» و«تخميس لامية ابن الوردي» و«كتاب التذكير في المرجع والمصير» و«كتاب الفوائد الكمالية في المنافع الدينية والدنيوية»

وجاء في خاتمة الكتاب الذي تضمَّنَ المراثي[1]، كذلك، ترجمة لزوجتيه اللتين يرثيهما في الكتاب: وهما ترجمتان مفصلتان خلاصتهما: أن زوجته الأولى «قدسية رشيدة» ذات أصول ونشأة تركية، أقامت معه ثلاث عشرة سنة وماتت عن «واحد وثلاثين عاماً» عاماً بمرض القلب وهي حامل بولدها السادس لثمانية أشهر من الحمل، أما زوجته الثانية «حميدة» فقد تزوجها بعد وفاة زوجته الأولى، وماتت وهي في «التاسعة والعشرين». توفي الأدهمي في العام ١٩٣٤.

---

(١) «مرآة النساء فيما حَسُنَ منهُنَّ وساء» للشيخ محمد كمال الدين الأدهمي دار التوفيق / بيروت ٢٠٠٤».

امْرَأةُ الضِّيَاءِ

«رثاء قُدْسِيَّة»

عُيُوْنِيْ لا تَجِفُّ مِنَ الْبُكَاءِ وَقَلْبِيْ لا يَكُفُّ عِنِ الْعَنَاءِ

وَحُزْنِيْ لا يَخِفُّ بِرَغْمِ صَبْرِيْ وَمَنْ لِيْ بِالتَّصَبُّرِ وَالْعَزَاءِ؟

وَلَمْ أَحْزَنْ عَلَىٰ أَحَدٍ كَحُزْنِيْ عَلَىٰ «قُدْسِيَّةَ» امْرَأةِ الضِّيَاءِ

لَقَدْ مَاتَتْ فَهَدَّتْ صَرْحَ صَبْرِيْ وَكَانَ مُمَرَّداً عَالِي الْبِنَاءِ

فَقَدْتُ حَيَاتَهَا أَبْهَىٰ فَتَاةٍ وَمَا أَنْ جَاوَزَتْ حَدَّ الْفَتَاءِ

تَمُرُّ بِيَ السِّنُوْنَ وَإِنَّ حُزْنِيْ عَلَيْهَا دَائِمٌ دُوْنَ انْقِضَاءِ

وَزَاد تَحَسُّرِيْ أَبَداً عَلَيْهَا مُصَابِيْ بِالْحَمِيْدَةِ فِي النِّسَاءِ

فَأَضْحَىٰ عَنِّيْ بَعِيْداً كَبُعْدِ الأَرْضِ مِنْ أُفْقِ السَّمَاءِ

عَلَيْهَا رَحْمَةُ الرَّحْمَنْ تَتْرَىٰ وَجَادَ ضَرِيْحُهَا صَوْبَ الرِّضَاءِ

كَأَنَّنِيْ لَسْتُ فِي الْحَيَاةِ

يَا طُوْلَ حُزْنِيْ وَيَا شَتَاتِيْ مِنْ بَعْدِ «قُدْسِيَّةِ» الْفَتَاةِ

كُنْتُ بِهَا فِيْ هَنَاءِ عَيْشٍ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ وَلا شَكَاةِ

لَمْ أَدْرِ مَا قَدْرُهَا إِلَىٰ أَنْ عَالَجَهَا اللهُ بِالْوَفَاةِ

فَبَدَّلَتْ حَالَتِيْ بِعَكْسٍ أَحَاطَ مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ

ضَاقَتْ عَلَيَّ الْحَيَاةُ حَتَّى كَأَنَّنِيْ لَسْتُ فِي الْحَيَاةِ

يرثي زوجته «حميدة» ويذكر زوجته المتوفاة قبلها «قدسية»:

سَلامٌ عَلَيْهَا

سَلامٌ عَلَى ذَاتِ الْكَمَالِ «حَمِيْدَةٍ» وَرَحْمَةُ رَبٍّ فَضْلُهُ لَيْسَ يُحْسَمُ
سَلامٌ عَلَيْهَا بَلْ وَأَلْفُ تَحِيَّةٍ عَلَىٰ قَبْرِهَا كَالْغَيْثِ يَهْمِيْ وَيَسْجُمُ
أَحِنُّ إِلَيْهَا كُلَّ وَقْتٍ وَسَاعَةٍ حَنِيْناً بِهِ قَلْبِي الشَّجِيُّ مُحَطَّمُ
لَئِنْ غَابَ عَنْ عَيْنِيَّ مَحْبُوْبُ شَكْلِهَا فَقَلْبِي بِه تِلْكَ الْحَقِيْقَةُ تُرْسَمُ
إِلَىٰ قَبْرِهَا أَسْعَىٰ لأَلْثُمَ تُرْبَهُ وَيَسْقِيْ ثَرَاهُ مِنْ دُمُوْعِيَ عَنْدَمُ[1]
أَكُلُّ امْرِئٍ، أَوَّاهُ، يَفْقِدُ زَوْجَهُ حَزِيْنٌ كَحُزْنِيْ بَاكِياً يَتَأَلَّمُ؟
وَمِنْ قَبْلِهَا مَاتَتْ كَمَا هِيَ زَوْجَةٌ فَتِيَّةُ عُمْرٍ مِثْلُ دُرٍّ يُنَظَّمُ
وَكِلْتَاهُمَا دُوْنَ الثَّلاثِيْنَ حُجَّةً كَأَنَّهُمَا فِي الدِّيْنِ وَالْخَلْقِ مَرْيَمُ
فَأَسْكُنْهُمَا رَبِّيْ بِفَضْلِكَ جَنَّةً بِهَا كُلُّ شَخْصٍ صَالِحٍ يَتَنَعَّمُ
وَنَوِّلْهُمَا يَا رَبِّ عَفْواً وَرَحْمَةً فَعَفْوُكَ يَا رَبِّيْ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ

---

(١) العندم: الأحمر، وقيل هو الدم.

مُحَمَّد الأَزْهَرِي

مُحمَّد أَفَنْدي الأَزْهَريّ المحامي في مصر يرثي زوجته من قصيدة[1]

مَا كَانَ عَهْدِيْ

عَلَيْكِ سَلامُ اللهِ مَا غِبْتِ «زَيْنَبُ»
فَمَا كَانَ عَهْدِيْ أَنْ يَطُوْلَ التَّغَيُّبُ
لَقَدْ كُنْتُ مَمْلُوْءَ الْفُؤَادِ بَأُنْسِهَا
وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْبَيْنَ يَوْمَاً يَشْعَبُ
تَعَجَّلِهَا رَيْبَ الْمَنُوْنِ عَلَى الصِّبَا
وَلَيْسَ لَهَا مِمَّا قَضَى اللهُ مَهْرَبُ
فَضَائِلُهَا شَتَّى وَمَنْ كَانَ مِثْلُهَا
يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ تَمُوْتَ وَنَصْعُبُ
سَقَىْ قَبْرَهَا صَوْبٌ مِنَ الْمُزْنُ وَاكِفٌ
وَيَرْحَمُهَا الرَّحْمَنُ مَا ضَاء كَوْكَبُ

(١) «مرآة النساء فيما حَسُنَ منهُنَّ وساء».

مُحَمَّد النَّخْلِي

(١٢٨٦ - ١٣٤٣ هـ = ١٨٦٩ - ١٩٢٤ م)

محمد بن محمد بن حمودة النخلي القيرواني. شاعر تونسي ولد بمدينة القيروان «تونس» وتوفي في تونس «العاصمة»قضى حياته في تونس.

تلقَّى تعليمَهُ الأولي بكُتّاب مدينته، وعمل مدرساً، ثم عملَ مُدرِّساً للأدب العربي في معهد الخلدونية.

له عدة مؤلفات منها: «منظومة في علم العروض»، ورسالة بعنوان «حياة اللغة العربية» وكتاب علم المنطق، وتعليق على كتاب المزهر لجلال الدين السيوطي، وألفية في الجغرافيا، وأرجوزة في المساحة، وتراجم بعض الأعلام التونسيين، ودراسة حول الوليد بن عبد الملك والمنصور والمأمون[1].

من قصيدة: تجرَّعتُ كَأسِ الصَّبْرِ

تَجَرَّعْتُ كَأْسَ الصَّبْرِ كَالصَّبْرِ مِنْ دَهْرِيْ
وَسَاوَرْتُ أَحْزَانَاً تَكَبَّدَهَا عُمْرِيْ

فَوَا أَسَفَاً مِنْ حَظِّيَ الأَسْوَدِ الَّذِيْ
بِهِ ابْيَضَّ فَوْدِيْ وَالْهُمُوْمُ بِلاَ حَصْرِ

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»

كَمَا احْمَرَّ دَمْعِيْ هَامِيَاً فَوْقَ وَجْنَتِيْ

فَيَا مُقْلَتِيْ جُوْدِيْ بِدَمْعِيَ كَيْ يَجْرِيْ

أَمَا بَعْدَ فَقْدِ الإلْفِ فِيْ الْعَيْشِ لَذَّةٌ

قَرِيْنَةُ أَعْوَامٍ تَدَانَيْنَ مِنْ عَشْرِ

حَلِيْلَةُ خَيْرٍ لَمْ تَكُنْ غَيْرَ بَرَّةٍ

وَغَيْرَ وَدُوْدٍ عَفَّةُ السِّرِّ وَالْجَهْرِ

وَصَادِقَةُ الأَقْوَالِ فِيْ كُلِّ حَالَةٍ

وَخَيِّرَةُ الأَفْعَالِ سَامِيَةُ الْقَدْرِ

وَطيِّبَةُ الأَنْفَاسِ طَاهِرَةُ الرِّدَا

وَعَاطِرَةُ الأَخْلاقِ صَائِبَةُ الْفِكْرِ

وَقُرَّةُ عَيْنِيْ وَالْحَنُوْنُ الَّتِيْ رَبَا

حَنَانُهَا عَنْ أُمٍّ وَعَنْ وَالِدٍ بَرِّ

مَضَتْ فَمَضَىٰ صَفْوُ الْحَيَاةِ وَعَهْدُنَا

فَعَيْشٌ طَلِيْقُ الْوَجْهِ مُبْتَسِمُ الثَّغْرِ

لَعَمْرِيْ لَقَدْ حُمِّلْتُ عِبْءَ رَزِيَّةٍ

وَلَكِنَّنِيْ وَاللهِ نَاءَ بِهَا ظَهْرِيْ

لَقَدْ أَوْحَشَتْ دَاراً تُحِبُّ قَرَارَهَا

وَآنَسَتِ الْقَبْرَ الْوَحُوْشَ وَلاْ تَدْرِيْ

فَيَا ظُلْمَةَ الدَّارِ الَّتِيْ كَانَ بَدْرُهَا

مُضِيْئَاً بِهَا دَهْراً وَيَا بَهْجَةَ الْقَبْرِ

وَيَا قَلْبُ قَدْ أَصْبَحْتَ بَعْدَ فِرَاقِهَا
قَرَارَةَ أَحْزَانٍ كَمُضْطَرِمِ الْجَمْرِ
هَنِيْئَاً لِرَمْسٍ ضَمَّ خَيْرَ عَفِيْفَةٍ
طَهُوْرَاً مِنَ الأَحْقَادِ وَالشَّرِّ وَالضُّرِّ

إبْرَاهِيم عَبْد القَادِر المازِني

(١٣٠٨ - ١٣٦٨ هـ = ١٨٩٠ - ١٩٤٩ م)

إبراهيم بن محمد بن عبد القادر المازني: أديبٌ وشاعرٌ وقاصٌّ وكاتبُ مقالة مصريٌّ من الرواد. وُلِدَ في «كوم مازن» من المنوفية بمصر، امتاز بأسلوب السخرية في كتاباته رغم حياته المأساوية إذْ فَقَدَ والده في سنٍّ مبكرة وتكفَّلت والدته بتربيته، فدخل المدرسة ثم التحق بالطبِّ، لكنه لم يكد يدخل حجرة التشريح حتى أغمي عليه، فانصرف عنها، وحال ضيق يده دون دخوله مدرسة الحقوق، فدخل مدرسة المعلمين العليا. وعمل بعد تخرُّجه بالتدريس في المدارس الحكومية، ثم تركها إلى المدارس الحرة، ثم ترك التدريس إلى الصحافة وظل يعمل فيها حتى توفي عام ١٩٤٩م.

اشترك مع العقَّاد في كتاب «الديوان» الذي هاجما فيه شعر حافظ وشوقي، وضمَّناه دعوتهما إلى التجديد في الشعر، كما كتب في مجال النقد السياسي، فاشترك مع الدكتور محمد حسين هيكل ومحمد عبد الله عنان في وضع كتاب «السياسة المصرية والانقلاب الدستوري» هاجموا فيه حكم «صدقي باشا»

وكان من أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة. من أعماله: «حصاد الهشيم - مقالات» و«إبراهيم الكاتب -رواية» و«قبض الريح» و«صندوق الدنيا» و«ديوان شعر» و«رحلة إلى الحجاز» و«بشار بن برد- دراسة» و«ميدو وشركاه - رواية»

و«ثلاثة رجال وامرأة» و«غريزة المرأة» و«عَ الماشي» و«شعر حافظ - نقد» و«الشعر، غاياته ووسائطه - دراسة» وترجم عن الإنكليزية «مختارات من القصص الإنجليزي» و«الكتاب الأبيض الانجليزي»

كان ضئيلَ الحجم، وسقط من فوق السلم في صغره فأصيب إصابة انتهت به إلى العرج بقية حياته، تزوَّج في عام ١٩١٠م وبعد ١١ عاماً رحلت زوجته وتركت له آلاماً نفسية مبرحة، كما تركت له ابنة اسمها «مندورة» وقد تفرغ لرعايتها سبع سنوات ثم رحلت هذه البنت بشكل مفاجئ ليدخل الرَّجُلُ في دوامة من الحزن وكتب فيها مرثيات باكية.

تزوَّج المازني بعد رحيل ابنته وتمنى أن ينجب بنتاً أخرى إلى جانب أولاده الذكور، وقد جاءت الابنة بالفعل لكنها سرعان ما رحلت كذلك لتتركه أطلال إنسان.

من مراثيه في زوجته:

أَيْنَ أُمُّك؟
مُحَاورة مع ابني مُحَمَّد[1]

وَلَثَمْتُهُ!
لَمْ أُكَلِّمْهُ وَلَكِنْ نَظْرَتِيْ
سَاءَلَتْهُ: أَيْنَ أُمُّكْ؟
أَيْنَ امُّكْ
وَهْوَ يَهْذِيْ لِيْ عَلَىْ عَادِتِهِ

(١) «المازني شاعر النفس والحياة» الدكتور عبد اللطيف عبد الحميد الدار المصرية /اللبنانية ١٩٩٨ ص ٨٧ و«حصاد الهشيم» إبراهيم عبد القادر المازني / الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة مكتبة الأسرة ص ١٨.

- مُذ تَولَّتْ - كُلَّ يَوْمْ!
كُلَّ يَوْمْ!
فَانثَنَى يَبْسُطُ مِنْ وَجْهِي الغُضُوْنْ!
ولَعَمْرِي كَيْفَ ذَاكْ!
كَيْفَ ذَاكْ!
قُلْتُ لَمَّا مَسَحَتْ وَجْهِيْ يَدَاهْ:
«أَتُرَىْ تَمْلِكُ حِيْلَهْ؟
أَيَّ حِيْلَهْ»
قَالَ: «مَا تَعْنِيْ بِذَا يَا أَبَتَاهْ؟»
قُلْتُ: «لا شَيءَ أَرَدْتُهْ»!
وَلَثَمْتُهْ!

لَيْسَ الأَسَىْ[1]

بَكَيْتُكِ بِالدَّمْعِ السَّخِيْنِ وَلَمْ أَزَلْ
بِقَلْبِيْ، وَإِنْ جَفَّتْ مَآقِيَّ، بَاكِيَا
وَلَسْتُ أَرَى الدُّنْيَا الَّتِيْ كُنْتِ رَوْحَهَا
وَرَيْحَانَهَا تَأْسَىْ عَلَيْكِ وَلاْ لِيَا
وَلَيْسَ الأَسَىْ أَنْ تَذْرِفَ الْعَيْنُ دَمْعَةً
يُبَرِّدُ مَهْوَاهَا الْقُلُوْبَ الصَّوَالِيَا
وَلَكِنَّهُ عَطْفٌ، وَلَهْفٌ، وَحَسْرَةٌ
وَتَقْلِيْعُكَ الأَحْلامَ حُمْراً دَوَامِيَا

(1) «حصاد الهشيم» ص ١٨.

صُوْرَتُها[1]

تَـأَمَّـلْـتُـهَـا حَـتَّـى تَـحَـرَّكَ سَـاكِـنٌ
مِنَ الثَّغْرِ وَالْعَيْنَيْنِ وَالرَّأْسِ وَالصَّدْرِ
أَيُصْبِحُ هَذَا الْحُسْنِ قُبْحاً وَجِيْفَةً؟
بَلَى، وَيَسُدُّ الأَنْفَ مِنْ نَتْنِهِ الْمَزْرَي
وَيُمْسِيْ صَدِيْداً كُلُّ مَا كَانَ مِنْ قِوَىً
وَمَاءِ شَبَابٍ مُسْتَحِيْرٍ وَمِنْ سِحْرِ[2]
فَيَا بُؤْسَ لِلْبَوْغَاءِ يَعْفِرُ وَجْهَهَا
وَيَكْحُلُ جِفْنَيْهَا وَيَلْصِقُ بِالنَّحْرِ[3]
وَلِلدُّوْدِ يَقْتَاتُ، الْلَيَالِيْ، بِحُسْنِهَا
وَيَتْرُكُهَا كَوْمَاً مِنَ الأَعْظُمِ النُّخْرِ

هَاتِفٌ مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ[4]

جَمَالَكَ.. لا تَحْزَنْ عَلَيَّ وَلا تَأْسَا
فَإِنِّيَ تَحْتَ الأَرْضَ لا أَحْفَلُ الْحَبْسَا[5]

---

(١) «حصاد الهشيم» ص ١٩.
(٢) استحار الشباب: تجمَّع ودار، مثل الماء إذا تحيَّرَ: أي تجمَّعَ في العين أو الحوض.
(٣) البوغاء: التربة الرخوة، ويريد بها هنا تربة القبر.
(٤) «حصاد الهشيم» ص ١٥و«قبض الريح» إبراهيم عبدالقادرالمازني/ دار الشعب القاهرة ١٩٧١ ص ٧٥.
(٥) جمالك: أي صبرك، تجمَّل.

طَـوَانِـي الـرَّدَىٰ عَـنْ نَـاظِـرَيْـكَ فُـجَـاءَةً
وَمَا كَانَ ظَنِّيْ قَطُّ أَنْ أَسْكُنَ الرَّمْسَا

أَرَانِي الصِّبَا شَمْسِيْ بَعِيْدَاً مَغِيْبُهَا
فَسُرْعَانَ مَا وَلَّى النَّهَارُ وَمَا أَمْسَى

وَكُنْتُ سُرُوْرَ الْعَيْنِ وَالأَنْفِ وَالْحَشَا
فَأَصْبَحْتُ أُوْذِي الْعَيْنَ وَالأَنْفَ وَالنَّفْسَا

وَلا تَـتَـجَـشَّـمْ لِـي الْـحِـفَـاظَ فَـإِنَّـنِـيْ
وَقَدْ مِتُّ .. لا أُوْلِيْكَ شُكْرَاً وَلا حِسَّا

وَأَدْخِـلْ إِلَـيْـكَ الـشَّـمْـسَ مِـنْ كُـلِّ كُـوَّةٍ
فَمَا يَتَمَلَّى الْعَيْشَ مَنْ يَحْجِبُ الشَّمْسَا

سَتُـسْـلِـيْـكَ عَـنِّـيْ كُـلُّ زَهْـرَاءَ نَـاهِـدٍ
وَإِنْ بَقِيَتْ ذِكْرَايَ... تَهْمُسُ بِيْ هَمْسَا

فَـمَـا أَنْـتَ بِـالْـبَـاكِـيْ عَـلَـيَّ وَإِنَّـمَـا
عَلَى فَقْدِ مَا قَدْ كُنْتَ طِبْتَ بِهِ نَفْسَا

إِسْمَاعِيْل صَبْرِيْ «أَبُو أُمَيْمَة»

(١٣٠٣ - ١٣٧٢هـ = ١٨٨٦ - ١٩٥٣م)

ويُعرف كذلك بإسماعيل صبري الصَّغير تمييزاً له عن معاصره الشاعر المعروف إسماعيل صبري باشا (١٨٥٤ - ١٩٢٣م) شاعرٌ مصري ولد في القاهرة وتوفِّي فيها. ولم ينلْ شهرة في عصر ازدهر به الشِّعْر المصري واكتظَّ بالأسماء الكبيرة والتيارات التجديدية.

عُرِفَ بالقصائد الدينية ذات النكهة العرفانية والنَّفَس الطَّويل، كالنونية الكبرى التي تقع في ألف بيت، والهمزية الكبرى التي تقع في ستمائة بيت.

رِداءُ الضَّيَاءِ . . [1]
إلى زَوْجَةٍ رَاحِلَة

حَـوْلَ رَمْـسٍ تَـظَـلُّـهُ الأَوْفِـيَـاءُ وَعَـلَـيْـهِ تُـرَفْـرِفُ الْـوَرْقَـاءُ

وَغُـصُـوْنُ الأَرَاكِ مُـنْـحَـنِـيَـاتٌ كَـالْـبَـوَاكِـيْ وَالأَدْمُـعُ الأَنْـدَاءُ

وَنُـجُـوْمُ الـسَّـمَـاءِ تَـحْـجُـبُـهَـا الـسُّـحْـبُ وَتَـبْـدُو كَـأَنَّـهَـا رُقَـبَـاءُ

وَقَـفَـتْ غَـادَةٌ سَـمَـاوِيَّـةُ الْـوَجْـهِ عَـلَـيْـهَـا مِـنَ الـضِّـيَـاءِ رِدَاءُ

---

(١) «ديوان اسماعيل صبري» - أبو أميَّة» تحقيق الدكتور محمد القصاص وعامر محمد بحيري والدكتور أحمد كمال زكي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت / لبنان ص ١٥٦.

يَسْتَبِي النَّاظِرِيْنَ مِنْهَا جَمَالٌ   لَمْ تَصِفْ بَعْضَ حُسْنِهِ الشُّعَرَاءُ

إنْ بَدَا الْوَجْهُ فَالْمَسَاءُ صَبَاحٌ   أَوْ بَدَا الشَّعْرُ فَالصَّبَاحُ مَسَاءُ!

يَحْسَبُ الْقَلْبُ حِيْنَ تَرْنُوْ بِعَيْنٍ   أَنَّ مَا فِيْ عُيُوْنِهَا كَهْرَبَاءُ

وَلَهَا مِنْ شَجُوْنِهَا زَفَرَاتٌ   مُحْرِقَاتٌ مِنْ دُوْنِهَا الرَّمْضَاءُ

تَلْطُمُ الْجِيْدَ تَارَةً وَتَدُقُّ الصَّدْرَ طَوْراً كَأَنَّهَا الْخَنْسَاءُ

وَتُرِيْقُ الدُّمُوْعَ جَمْراً عَلَى الأَرْضِ فَتُرْوَىٰ أَعْشَابُهَا الْخَضْرَاءُ

وَشَكَتْ حَالَهَا الطَّبِيْعَةُ حَتَّى   رَكَدَ الْمَاءُ وَاسْتَكَنَّ الْهَوَاءُ

وَعَلا ذَلِكَ الْمَكَانَ وَقَارٌ   أَنْزَلَتْهُ عَلَى الضَّرِيْحِ السَّمَاءُ

لَهْفَ قَلْبِيْ عَلَى شَرِيْكَةِ عُمْرِيْ   ذَهَبَ الْعِزُّ بَعْدَهَا وَالْوَفَاءُ[١]

لَيْسَ لِيْ بَعْدَ نَأْيِهَا مِنْ حَبِيْبٍ   أَرْتَجِيْهِ وَلَيْسَ إلا الْعَزَاءُ

كُنْتِ لِيْ فِي الْوَرَى أَعَزَّ مَقَامٍ   دُوْنَهُ الْفَرْقَدَانِ وَالْجَوْزَاءُ

كُنْتِ لِلْغِيْدِ خَيْرَ مَنْ عَفَّ طُهْراً   وَلَهَا جِلَّةُ الْوَرَى أَصْفِيَاءُ

يَا زَمَانَ الشَّقَاءِ لَوْ عَاتَبَ اللهُ زَمَاناً لَكُنْتَ أَنْتَ الشَّقَاءُ

لا يُرَىٰ فِي بَنِيْكَ وَافٍ بِعَهْدٍ   أَوْ صَدِيْقٌ إنْ حَقَّتِ الأَصْدِقَاءُ

ذَاكَ يَسْعَى فِي قَلْبِهِ أَرْقَمُ الْحِقْدِ وَهَذَا تَهُزُّهُ الْكِبْرِيَاءُ

حَسَدٌ زَائِدٌ وخُبْثٌ شَدِيْدٌ   وَخِدَاعٌ وَغَيْبَةٌ وَرِيَاءُ

يَتَوَارُوْنَ فِي النَّزَاهَةِ وَالصِّدْقِ كَمَا يَسْتُرُ الإنَاءَ الطِّلاءُ

---

(١) في هذا البيت إشارة إلى أن الشاعر يرثي زوجته بهذه القصيدة ولعلها الزوجة الأولى، وقد أشار في آخرها إلى أن اسمها زينب «الهامش من الديوان».

وَيُشِيْرُوْنَ بِالدَّوَاءِ عَلَى مَنْ حَازَ فَضْلاً، كَأَنَّمَا الْفَضْلُ دَاءُ
بِكِ ضَاعَ الْجَمِيْلُ وَاشْتَهَرَ النَّكْثُ كَثِيْراً وَعَمَّتِ الْبَلْوَاءُ
وَالْمُرَاؤُوْنَ فِيْكِ حَظُّهُمُ الْوُدُّ مِنَ النَّاسِ أَحْسَنُوْا أَمْ أَسَاؤُوْا

وَإِذَا كَانَ مِنْكِ بَعْضُ كِرَامٍ «كَانَ أَهْلَ الْحَبِيْبَةِ الأَوْفِيَاءُ»
يَا حَيَاتِيْ قَدْ عِيْلَ بَعْدَكِ صَبْرِيْ وَدَهَتْنِيْ الْمَصَائِبُ الدَّهْمَاءُ
أَبْتَغِي الْمَوْتَ وَهْوَ غَايَةُ مَا يُرْ جَى دَوَاءً وَلَيْسَ فِيْهِ الدَّوَاءُ
أَنْتَ يَا قَبْرُ قَدْ حَوَيْتَ جَمَالاً وَمَلاكاً قَدِ احْتَوَتْهُ السَّمَاءُ
فُتِحَ الرَّمْسُ فِيْهِ «زَيْنَبُ» غَابَتْ كَيْفَ يَا رَمْسُ مِنْكَ يَبْدُو الضِّيَاءُ؟
وَدَوَى مِنْهُ فِي الْمَسَامِعِ صَوْتٌ رَجَّعَتْهُ الْجِبَالُ وَالأَدْوَاءُ[1]
إِنَّ هَذِي هِيَ الأَمَانَةُ ضُمَّتْ فِي ضَرِيْحٍ بِهِ أَخُوْهَا الْوَفَاءُ
إِنَّ صَبْرِيْ حِيَالَ هَذَا يُنَادِيْ: يَا إِلَهَ السَّمَاءِ أَيْنَ الْعَزَاءُ؟

---

(١) الصواب: دوًى، بالتشديد، والشاعر كثيراً ما يجري على هذا الاستعمال في شعره، ولعله يريد بالأدواء: جمع دوّ، وهي الصحراء مترامية الأطراف «الهامش من الديوان».

خَلِيْل السَّكَاكِيْنِي

(١٢٩٥ - ١٣٧٢ هـ = ١٨٧٨ - ١٩٥٣م)

خليل السكاكيني مثقَّفٌ فلسطينيّ مقدسيٌّ مسيحي اهتمَّ باللغة والثقافة العربية، ويعدُّ أحد رواد التربية الحديثة في الوطن العربي. حيث أسهم في تأسيس المدارس الحديثة في فلسطين، ولد في القدس وتوفي في القاهرة ١٩٥٣. نشر اثني عشر كتاباً في حياته. عاش في فترات متلاحقة في كلٍّ من المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وسوريا ومصر.

كان عضواً بالمجمع اللغوي بدمشق والمجمع اللغوي بالقاهرة.

ومراثيه لزوجته «سلطانة عبده» هي جزء من ديوان كامل في رثائها بعنوان لذكراك، وكانت سلطانة حبيبته قبل أن تصبح زوجته وكان يراسلها من مغتربه في أمريكا بأجمل الرسائل[١].

وقد دوَّنَ تفاصيل رحيلها شعراً ونثراً في يومياته وكانت وفاتها عام «١٩٣٩م» وقد صادف بعد أن بَنى بيتاً جديداً. فقال حينها: لمَّا عِشنا متنا. وكتب في يومياته أنه مات يوم ماتت زوجته وحبيبته «سلطانة» فهي بالنسبة له «ملء القدس وملء فلسطين» ولم ينقطع عن زيارة قبرها، لسنتين كاملتين بعد وفاتها. ولم تخلُ من ذكرها معظم يومياته التي كتبها حتى وفاته في العام «١٩٥٣م».

---

(١) «يوميات السكاكيني» الجزء السابع خليل السكاكيني تحرير: أكرم مسلم مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية الطبعة: الأولى٢٠٠٩.

قِفَا نَبْكِ

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىٰ أَذَابَتْ حُشَاشَتِيْ
وَلاْ تَبْخَلاْ بِالدَّمْعِ فَالدَّمْعُ حَاجَتِيْ

قِفَا اسْعِفَانِيْ فِي مُصَابِي فَإِنَّنِيْ
أَرَاهُ مُصَاباً قَدْ تَجَاوَزَ طَاقَتِي

لَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَحْسَبُ أَنَّنِيْ
صَبُوْرٌ عَلى الأَرْزَاءِ يَقْرَعْنَ سَاحَتِيْ

وَأَنِّي كَبِيْرُ الْقَلْبِ لا تَسْتَخِفُّهُ
حَوَادِثُ هَذَا الدَّهْرِ إِمَّا تَوَلَّتِ

فَلَمَّا دَهَانِي مَا دَهَانِي وَجَدْتُنِي
ضَعِيْفاً جَزُوْعاً ذَا شَجَى وَكَآبَةِ

تَلَفَّتُ عَلَّيْ أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً
وَأَصْغَيْتُ عَلِّيْ أَنْ أَفُوْزَ بِنَأْمَةِ[1]

وَقُلْتُ: هُنَا عَاشَتْ وَهَذَا مَكَانُهَا
وَكِدْتُ أُنَادِيْهَا عَلَى مِثْلِ عَادَتِي

فَلَمْ أَلْقَ إِلاّ خُدْعَةً بَعْدَ خُدْعَةٍ
وَلَمْ أَلْقَ إِلاّ مَا يَشُقُّ مَرَارَتِي

وَلَمْ يَبْقَ لِيْ مِنْ سَلْوَةٍ غَيْرُ قَبْرِهَا
اِلَيْهِ أُوَالِيْ، مَا حَيِيْتُ، زِيَارَتِيْ

(١) النَّأْمَةُ: الصَّوْتُ الضَّعِيْفُ الَّذِيْ يُشْبِهُ الأَنِيْنَ.

يَوْمَ كُنَّا

أَسْعِفَانِي بِالْبُكَاءِ   وَدَعَا كُلَّ عَزَاءْ

لا تَقُوْلا الصَّبْرَ يُجْدِيْ   حِيْنَ يَشْتَدُّ الْبَلاءْ

إنْ يَجِلُّ الْخَطْبُ لاْ   تُجْدِيْ عِظَاتُ الْحُكَمَاءْ

آه وَا شَوْقِيْ إِلَىْ أَيَّامِنَا الْغُرِّ الوِضَاءْ

يَوْمَ كُنَّا نَغْنَمُ الأُنْسَ صَبَاحاً وَمَسَاءْ

يَوْمَ كُنَّا لاْ نَرَى مِنْ   دَهْرِنَا إلاّ الوَلاءْ

كُنْتِ يَا «أُمَّ سُرَى»   نَجْمَتِيْ ذَاتِ الْبَهَاءْ

تُرْسِلِيْنَ النُّوْرَ يَهْدِيْنِيْ إِلَىْ سُبْلِ الْعَلاءْ

آهِ لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا   قَبِلَتْ عَنْكِ الْفِدَاءْ

كَنْتُ أَفْدِيْكِ بِرُوْحِيْ   أَنْتَ أَوْلَىْ بِالْبَقَاءْ

لَيْتَنِيْ فِي الذَّاهِبِيْنَ

لَكِ الْوَيْلُ يَا سَنَتِي الْمَاضِيَةْ   لَكِ الْوَيْلُ مِنْ سَنَةٍ جَانِيَةْ

لَقَدْ كُنْتِ مَذْ كُنْتِ بَيْنَ السِّنِيْنِ   عَلَىْ بَيْتِيَ الضَّرْبَةَ الْقَاضِيَةْ

مَشَيْتُ إِلَيْهِ عَلَىْ غِرَّةٍ   وَلَيْتَكِ مَا كُنْتِ بِالْمَاشِيَةْ

مَشَيْتُ إِلَيْهِ فَفَجَّعْتِنِيْ   بِرَبَّتِهِ الدُّرَّةِ الْغَالِيَةْ

كَأَنَّكِ غَاظَكِ مَا نَحْنُ فِيهِ   مِنَ الصَّفْوِ وَالْعَيْشَةِ الرَّاضِيَةْ

نَبُثُّ السُّرُوْرَ هُنَا وَهُنَاكَ   وَنَحْسُو كُؤُوْسَ الْهَنَا صَافِيَةْ

فَزَعْزَعْتِ أَرْكَانَه الرَّاسِيَةْ   وَضَعْضَعْتِ جُدْرَانَهُ الْعَالِيَةْ

يَوْمَ كُنَّا

أَسْعِفَانِي بِالْبُكَاءِ　　وَدَعَا كُلَّ عَزَاءْ
لا تَقُوْلا الصَّبْرَ يُجْدِيْ　　حِيْنَ يَشْتَدُّ الْبَلاءْ
إنْ يَجِلَّ الْخَطْبُ لاْ　　تُجْدِيْ عِظَاتُ الْحُكَمَاءْ
آه وَا شَوْقِيْ إِلَىْ أَيَّامِنَا الْغُرِّ الوِضَاءْ
يَوْمَ كُنَّا نَغْنَمُ الأُنْسَ صَبَاحَاً وَمَسَاءْ
يَوْمَ كُنَّا لاْ نَرَى مِنْ　　دَهْرِنَا إلاّ الوَلاءْ
كُنْتِ يَا «أُمَّ سُرَى»　　نَجْمَتِيْ ذَاتِ الْبَهَاءْ
تُرْسِلِيْنَ النُّوْرَ يَهْدِيْنِيْ إلَىْ سُبْلِ الْعَلاءْ
آهِ لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا　　قَبِلَتْ عَنْكِ الْفِدَاءْ
كَنْتُ أَفْدِيْكِ بِرُوْحِيْ　　أَنْتَ أَوْلَىْ بِالْبَقَاءْ

لَيْتَنِيْ فِي الذَّاهِبِيْنَ

لَكِ الْوَيْلُ يَا سَنَتِي الْمَاضِيَةْ　　لَكِ الْوَيْلُ مِنْ سَنَةٍ جَانِيَةْ
لَقَدْ كُنْتِ مَذْ كُنْتِ بَيْنَ السِّنِيْنِ　　عَلَىْ بَيْتِيَ الضَّرْبَةَ الْقَاضِيَةْ
مَشَيْتُ إِلَيْهِ عَلَىْ غِرَّةٍ　　وَلَيْتَكِ مَا كُنْتِ بِالْمَاشِيَةْ
مَشَيْتُ إِلَيْهِ فَفَجَّعْتِنِيْ　　بِرَبَّتِهِ الدُّرَّةِ الْغَالِيَةْ
كَأَنَّكِ غَاظَكِ مَا نَحْنُ فِيهِ　　مِنَ الصَّفْوِ وَالْعَيْشَةِ الرَّاضِيَةْ
نَبُثُّ السُّرُوْرَ هُنَا وَهُنَاكَ　　وَنَحسُوْ كُؤُوْسَ الْهَنَا صَافِيَهْ
فَزَعْزَعْتِ أَرْكَانَه الرَّاسِيَهْ　　وَضَعْضَعْتِ جُدْرَانَهُ الْعَالِيَهْ

وَأَطْفَأَتِ أَنْوَارَهُ السَّاطِعَاتِ وَصَوَّحَتِ أَزْهَارَهُ الزَّاهِيَهْ
وَهَذِي الْقُلُوْبُ غَدَتْ دَامِيَهْ وَهَذِي الْعُيُوْنُ غَدَتْ بَاكِيَهْ
ألا إنَّ ذَا لَمْ يَكُنْ فِيْ حِسَابِيْ وَلَمْ يَكُ يَخْطُرُ فِيْ بَالِيَهْ
فَيَا لَيْتَنِيْ كُنْتُ فِي الذَّاهِبِيْنَ! وَيَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْبَاقِيَهْ!

عَبْدُ الْحَقّ رِفَاقَتْ

(١٣٠٥ - ١٣٧٤ هـ = ١٨٨٧ - ١٩٥٤ م)

عبد الحق بن رفاقت علي المدني. شاعرٌ من أصول هندية وُلِدَ في المدينة المنورة، كان أبوه طبيباً هِنْدِيًّاً يعمل هناك، فتلقَّى تعليمه الأولي فيها.

قَصَدَ الشام وعملَ فيها بالتدريس قرابة ثلاث سنوات، عاد بعدها إلى بلاده «١٩١٩» حيث عمل بالتدريس في «ديوبند» عدة أشهر، قصد بعدها «دار العلوم» في كراتشي، فعمل بتدريس التفسير والحديث بها.

توفي في مدينة ديوبند «الهند»

كان متزوِّجاً قبل هجرته الى «الهند» بامرأة من أهل المدينة اسمها «زينب بنت حسن دفتردار»

اضطر الى طلاقها عند هجرته ، وبعد عام توفيت فرثاها.

الدَّهْرَ شَتَّتَ دُنْيَا ذَلِكَ الْبَلَدِ[١]

الْيَوْمَ بُدِّلَ صَفْوُ الْعَيْشِ بِالنَّكَدِ

وَفَتَّتَ الْحَادِثَاتُ السُّوْدُ فِي عَضُدِيْ

وَافَتْنِي الْيَوْمَ أَنْبَاءٌ شَقِيْتُ لَهَا

مِنَ الْمَدِيْنَةِ أَوْهَىْ ذِكْرُهَا جَلَدِيْ

---

(١) «الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد» إبراهيم الفوزان/ القاهرة/ مكتبة الخانجي/ ١٩٨١ الجزء ١ ص٢٠٧.

فَقَدْتُ «زَيْنَبَ» لا أَنْسَىٰ فَضَائِلَهَا
رُزِئْتُ فِيْهَا بِفَقْدِيْ خَيْرَ مُفْتَقَدِ

اللهُ فِيْ قَلْبِيَ الْمَصْدُوْعِ مِنْ جَزَعٍ
عَلَىٰ فِرَاقِ حَبِيْبٍ بِالْبَقِيْعِ رَدِ

لَوْ عَالَجَ الْعَقْلُ فِيْ لُطْفٍ قَضِيَّتَهَا
لَمَا انْتَهَىٰ أَمْرُهَا لِلشَّرِّ وَالنَّكَدِ

لَـكِنَّـهُ عَـنْ قَـضَـاءٍ لا مَـرَدَّ لَـهُ
وَمَنْ يُعَارِضُ حُكْمَ الْوَاحِدِ الأَحَدِ؟

مَنْ أَشْتَكِي الْمَوْتَ إِذْ أَوْدَىٰ بِسَيِّدَةٍ
كَانَتْ مَنَاقِبُهَا أُنْشُوْدَةَ الْبَلَدِ

مَـاذَا أَقُـوْلُ إِذَا عَـزَّيْـتُ وَالِـدَهَـا
وَقَدْ بَكَاهَا سِوَىٰ أَنِّيْ أَقُوْلُ: زِدِ

كُـنَّـا إِلِـيْـفَـيْـن قَـدْ قَـرَّتْ بَـلابُـلُـهُ
وَالـدَّهْـرَ شَـتَّـتَ دُنْـيَـا ذَلِـكَ الْـبَـلَـدِ

جَرَىٰ بِهَا الْخُلُقُ الْعَالِيْ إِلَىٰ أَمَدٍ
مِـنَ الْـقَـنَـاعَـةِ وَالـتَّـدْبِـيْـرِ وَالـرُّشِـدِ

تَرْعَى حُقُوْقِيْ وَلَمْ تُرْهِقْ مَطَالِبُهَا
نَفْسِيْ وَقَدْ مُنِيَتْ بِالْفَقْرِ ذَاتِ يَدِ

لَوْ يُطْفِئُ الدَّمْعُ نَارِيْ كُنْتُ أَشْرَبُهُ
لا يُطْفِئُ الدَّمْعِ نَارَ الْحُزْنِ وَالْكَمَدِ

صَبْراً وَلَوْلا اضْطِبَارٍ كُنْتُ أَمْلِكُهُ

هَلْ يُرْجِعُ الدَّمْعُ مَفْقُوْداً إلَى الأَبَدِ؟

أبَا «عَلِيٍّ» وَأَنْتَ الْيَوْمَ وَالِدُنَا

إرْفَعْ يَدِيْكَ إِذَا صَلَّيْتَ وَاجْتَهِدِ

وَاطْلُبْ مِنَ اللهِ أَنْ يَوْلِيْ بَوَاكِيَهَا

صَبْراً يُحَلِّلُ مَا اسْتَعْصَىْ مِنَ الْعُقَدِ

وَسَلْ لَهَا رَحْمَةً مِنْ عِنْدِ خَالِقِهَا

فَهْوَ الرَّحِيْمُ لِمَنْ نَادَاهُ بِالْمَدَدِ

أَحْمَد زَكِيْ أَبُوْ شَادِي

(١٣٠٩ - ١٣٧٤ هـ = ١٨٩٢- ١٩٥٥م)

وُلَدَ أحمد زكي أبو شادي بحيٍّ «عابدين» بالقاهرة من أسرة ميسورة، كان والده نقيباً للمحامين وأحد أعضاء حزب الوفد البارزين. سافر عام «١٩١٣م» إلى إنجلترا لدراسة الطب، حيث أتقن اللغة الإنجليزية واطلع على آدابها، أسس في سنة ١٩٣٢ مجلة «أبوللو» وجماعة أبوللو الأدبية ودعا فيها إلى التجديد في الشِّعْر العربي، وكانت مدرسة ذات سمة رومانسية وكان أبرز رموز هذه الدعوة إبراهيم ناجي وعلي محمود طه ومحمود حسن إسماعيل وغيرهم، ودخلت الجماعة في صراع مع التيار المحافظ في الشِّعْر المصري متمثلاً بجماعة الديوان «العقاد والمازني تحديداً»

اتسمت تجربته بغزارة الإنتاج في مختلف حقول الأدب والمعرفة، ومن بين إصداراته: الشفق الباكي «١٩٢٦» روح الماسونية وآمال الإنسانية «١٩٢٦» إحسان «١٩٢٧»؛ أشعَّة وظلال «١٩٢٨» الشعلة «١٩٣٣» فوق العباب «١٩٣٥». وله مؤلفات مسرحية منها: الآلهة «١٩٢٧» إخناتون فرعون مصر «١٩٣٣».

هاجر إلى نيويورك سنة ١٩٤٦، واصطدم بموقف شعراء المهجر هناك إذ استقبله إيليا أبي ماضي بمقالة عنوانها «ليس منَّا» فأسَّسَ أبو شادي جماعة أدبية أسماها «رابطة منيرفا» ضمَّتْ عَدَدًا من الأدباء العرب والأمريكيين، وتوفي في واشنطن عام ١٩٥٥.

مرثيته لزوجته هنا كتبها، قبل أن يغادر إلى أميركا حيث كان يعدُّ العدَّةَ للهجرة وهي معه، لكنها رحلت إلى مكان آخر، وزوجته هي من أصول إنكليزية دفنها بمقابر المسيحيين في الإسكندرية، إذ بقيت على دينها وهي على ذمَّتِه.

وكان أبو شادي قد أرسل هذه القصيدة، إلى مجلة الرسالة «العدد ٦٦٨ - بتاريخ: ٢٢/٠٤/١٩٤٦» قبل سفره إلى أمريكا، ونشرت بعد سفره بأيام، وصدَّرها كلمة لرئيس التحرير أحمد حسن الزيات ومما جاء في كلمته: كان بودي لو حملت رسالة توديعي طاقة باسمة لا هذه المرثية الحزينة لزوجتي ولكنها أغلى ما أملكه الآن وقد ارتسمت فيها ذكرياتي وعواطفي وأشجاني.

زَادَ الْمَمَاتُ جَمَالَكِ[1]

مَـاذَا تُـفِـيْـدُكِ لَـوْعَـتِـيْ وَبُـكَـائِـيْ؟
هَـذَا فَـنَـاؤكِ مُـؤْذِنٌ بِـفَـنَـائِـيْ
أَسْدَيْتِ عُمْرَكِ لِلْحَيَاةِ فَمَا وَفَتْ
وَمَـضَـيْـتِ لِـلأَبْـرَارِ والـشُّـهَـدَاءِ
لَـهَـفِـيْ عَـلَـيْـكِ وَقَـدْ أَتَيْتُ مُـوَدِّعَـاً
فَـبَـكَـيْـتُ فَـوْقَ جَـبِـيْـنِـكِ الْـوَضَّـاءِ
زَادَ الْـمَـمَـاتُ جَـمَـالَـهُ وَتَـنَـاثَـرَتْ
مِـنِّـي الـدُّمُـوْعُ عَـلَـيْـكِ كَـالأَنْـدَاءِ

(١) «أحمد زكي أبو شادي» الأعمال الشعرية الكاملة دار العودة / بيروت ٢٠٠٥ قصيدة «رثاء زوجتي» ص ٥٦٣.

كَانَتْ حُشَاشَتِيَ الْمُذَابَةَ حُرْقَةً

وَبَقِيَّةَ الْمَكْنُوْزِ مِنْ نَعْمَائِيْ

فَتَرَنَّحَتْ بِفَجِيْعَتِيْ وَتَضَوَّعَتْ

بِسَرِيْرَتِيْ، وَتَلألأَتْ بِوَفَائِيْ

وَرَوَتْ مُحَيًّا كَانَ جَنَّةَ نِعْمَتِيْ

وَمَلاذَ تَفْكِيْرِيْ وَوَحْيَ ذَكَائِيْ

وَطَرَحْتِ آلامَ الْحَيَاةِ عَزِيْزَةً

فَبَدَوْتِ بَيْنَ سَمَاحَةٍ وَصَفَاءِ

وَأُقبِّلُ الْوَجْهَ الْحَبِيْبَ، وَطَالَمَا

أَوْدَعْتُ فِيْهِ صَبَابَتِيْ وَرَجَائِيْ

شَمَلَ السَّلامُ هُدُوْءَهُ وَتَبَدَّدَتْ

غِيَرُ السِّنِيْنِ، وَزَالَ بَرْحُ الدَّاءِ

وَأَكَادُ أَنْسَى لِلْمَمَاتِ خُشُوْعَهُ

لَمَّا نَسِيْتُ تَجَلُّدِيْ وَمَضَائِيْ

كَمْ كُنْتَ اعْلَقُ بِالْخَيَالِ تَوَهُّمَا

وَارَى الشِّفَاءَ وَلاتَ حِيْنَ شِفَاءِ

وَيُغَالِطُ الْقَدَرَ الْعَتِيَّ تَفَاؤُلِيْ

وَأَنَا الْخَصِيْمُ لِخُدْعَةٍ وَرِيَاءِ

آبى اعْتِرَافاً بِالْمَمَاتِ كَأَنَّنِيْ

لَمَّا بَكَيْتُكِ قَدْ أَضَلَّ بُكَائِي

أَوْ أنَّ هَـذَا الْـمَـوْتَ حَـقٌّ ثَـابِـتٌ

إلا عَـلَـى الأَحْـبَابِ وَالْـخُـلَـصَـاءِ؟

أَوْ أَنَّ عَـيْـشِـيَ أَنْ أرَاكِ بِـجَـانِـبِـيْ

مَـهْـمَـا هَـزِلْـتُ فَـلاْ يُـهَـدُّ بِـنَـائِـيْ

أعْـتَـاضُ بِـالْـلَـمَـحَاتِ عَـنْ أُغْـنِـيَّـةٍ

وَعَـنِ الْـحَـدِيْـثِ الْـعَـذْبِ بِـالإيْـمَـاءِ

وَأَعُـدُّ أنْـفَـاسَـاً، وَهَـبْـتِ، ذَخِـيْـرَتِـي

وَحَـفِـيْـفَ أَلْـفَـاظٍ، هَـمَـسْـتِ، رَخَـائِـيْ

وَأُمَـوِّهُ الألَـمَ الـدَّفِـيْـنَ وَأَتَّـقِـيْ

عِـلْـمَـاً بِـهِ وَأَصُـدُّهُ بِـغَـبَـائِـيْ

وَأَكَـادُ أَقْـسُـوْ فِـي مُـجَـانَـبَـةٍ لَـهُ

أوَ لَـيْـسَ جِـسْـمُـكِ رَمْـزَ كُـلِّ نَـقَـاءِ؟

مُـتَـنَـزِّهَـا عَـنْ كُـلِّ مَـا شَـانَ الْـوَرَىْ

مُـتَـرَفِّـعَـاً عَـنْ عِـلَّـةٍ وَعَـفَـاءِ[1]

حَـتَى صُـدِمْـتُ وَلاْ كَـصَـدْمَـةِ شَـاهِـقٍ

مُـتَـحَـطِّـمٍ بِـصُـخُـوْرِهِ الـصَّـمَّـاءِ

فَجُنِنْتُ مِنْ حُزْنِيْ وَعِفْتُ حَصَانَتِيْ

وَدَفَـنْـتُ كُـلَّ رَجَـاحَـتِـي الْـعَـمْـيَـاءِ

* * *

(١) شان: عاب، والعفاء: الموت.

لَهَفِيْ عَلَيْكِ زَمِيْلَتِيْ فِي رِحْلَتِيْ
وَشَرِيْكَتِي فِي الصَّفْوِ وَالضَّرَّاءِ
لَمْ أَرْضَ غَيْرِيْ أَنْ يَسِيْرَ مُشَيِّعاً
أَوْ أَنْ تُوَزِّعَ حُرْقَتِيْ وَعَنَائِيْ
وَكَتَمْتُ نَعْيَكِ، كَمْ أَضَنُّ بِذِكْرِهِ
وَأَحُوْطَهُ بِنُهَايَ وَاسْتِيحَائِيْ[1]
لَبَّيْتُ رَغْبَتَكِ الزَّكِيَّةَ دَائِماً
وَوَعَيْتُهَا نُبْلاً وَلُطْفَ حَيَاءِ
وَجَعَلْتُ مَأْتَمَكِ الرَّهِيْبَ عَوَاطِفِيْ
وَبَخِلْتُ بِالتَّنْوِيْهِ وَالإِفْضَاءِ
حَتَّى تَفَجَّر بِي الأَنِيْنُ مَلاحِمَاً
وَجَرَى النَّظِيْمُ بَأَدْمُعِيْ وَدِمَائِيْ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ يَوْمَكِ سَابِقِيْ
أَوْ أَنَّ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَرَائِيْ
كُنَّا نُهَيِّئُ لِلرَّحِيْلِ مَتَاعَنَا
وَنُنَسِّقُ الآمَالَ غَيْرَ بِطَاءِ[2]
وَنُهِيْبُ بِالدُّنْيَا لِتَشْهَدَ حَظَّنَا
وَنَهَشُّ لِلأَيَّامِ وَالأَنْبَاءِ[3]

---

(١) النهى: العقل.

(٢) الرحيل: يقصد به السفر إلى أميركا، وغير بطاء، غير بطيئات.

(٣) نَهَشُّ: نرتاح ونفرح.

وَنَـرُدُّ عَـادِيَـةَ الأنَـامِ تَـسَـامُـحَـاً

مُـسْـتَـغْـفِـرِيْـنَ لِـجَـاحِـدٍ وَمُـرَائِـيْ

مُتَسَابِقِيْن لِنَمْلأَ الدُّنْيَا سَنَىً

بِـالْـحُـبِّ وَالإِيْـثَـارِ وَالإِيْـحَـاءِ

فَـإِذا رَحِـيْـلُـكِ لِـلـنَّـوَىْ وَوَدَاعُـنَـا

لِلْحَظِّ وَالْبَاقِي الْكَلِيْمُ ذِمَائِيْ[1]

غَدَرَتْ بِيَ الدُّنْيَا كَأنِّيْ لَمْ أَصُغْ

فِيْهَا الثَّنَاءَ، فَمَا أفَادَ ثَنَائِيْ

وَوَهَبْتُهَا - كَرَمَاً - عَزِيْزَ مَوَاهِبِيْ

فَجَنَتْ عَلَيَّ شَهَامَتِي وَعَطَائِيْ

الْـيَـوْمَ أُدْرِكُ أَيَّ عَـبْءٍ فَـادِحٍ

عَنِّيْ رَفَعْتِ وَمَا مَدَى أعْبَائِيْ

كَمْ كُنْتُ أَحْلُمُ بِالْهَنَاءَةِ والرِّضَا

لَكِ فِي نِهَايَةِ عُمْرِكِ الْمُتَنَائِيْ

وَأَوَدُّ مِنْ قَلْبِيْ بَقَاءَكِ بَعْدَمَا

أَفْنَىْ وَأَحْسَبُ فِي هَوَاكِ بَقَائِيْ

وَأَعُدُّ عُمْرَكِ، وَحْدَهُ، عُمْرِيْ وَمَا

أرْضَى سِوَاك مِن الْحَيَاةِ جَزَائِيْ

(١) الكليم: المجروح: والذماء: بقية الروح في المذبوح.

فَتَنَاثَرَ الْحُلْمُ الْجَمِيْلُ وَأَقْفَرَتْ
دُنْيَايَ مِنْ حُلُمٍ وَمِنْ أَضْوَاءِ
وَبَقِيْتُ وَحْدِيْ لاْ عَزَاءَ أَرُوْمُهُ
وَالذِّكْرَيَاتُ تُزِيْدُ مِنْ بُرَحَائِيْ[1]
يَا طَالَمَا نَاجَيْتُهَا فِي نَشْوَتِي
وَالْيَوْمَ قَدْ أَصْبَحْنَ مِنْ أَعْدَائِيْ
مَا نِعْمَتِيْ فِيْهَا وَأَنْتِ هِيَ الَّتِيْ
جَعَلَتْ بِصِحْبَتِهَا الأَسَىٰ نَعْمَائِيْ؟

* * *

يَا مَنْ فُتِنْتِ بِكُلِّ مَا هُوَ رَائِعٌ
وَخَلَقْتِ أَلْوَانَ الْجَمَال إِزَائِيْ
وَرَسَمْتِ لِي الدُّنْيَا مُنَوَّعَةَ الشَّذَىٰ
قُدْسِيَّةَ الأَلْحَانِ وَالأَصْدَاءِ
وَبَثَثْتِ بِيْ حُبَّ «الطَّبِيْعَةِ» فَاغْتَدَتْ
أَمِّي، أَضَعْتِ عَزَاءَهَا وَعَزَائِيْ
يَا مَنْ غِنَاؤُكِ شَدْوُهَا وَحَنِيْنُهَا
وَصَدَاهُ فِي قَلْبِي الشَّجِيِّ غِنَائِيْ
لَمَّا سَكَتِّ تَقَاطَرَتْ عَبَرَاتُهَا
واسْتَسْلَمَتْ لِلَوْعَةِ الْخَرْسَاءِ

(١) البُرَحاء: الحمَّى الشديدة.

وَمَضَى الرَّبِيْعُ مَعَ الشِّتَاءِ فَلَمْ أَجِدْ
إلا مَظَاهِرَ وَحْشَةٍ وَخَلاءِ
تَبْكِيْكِ أَخْلَصَ مَنْ وَفَتْ لِرَوَائِهَا
وَتَصَوَّفَتْ بِمُرُوْجِهَا الْغَنَّاءِ
وَرَأَتْ بِهَا الْخَيْرَ اللُّبَابَ فَمَا شَكَتْ
مِنْهَا وَنَاجَتْهَا أَرَقَّ نَجَاءِ
وَتَنَاوَلَتْ أَلَقَ النُّجُوْمِ فَأَتْرَعَتْ
مِنْهُ دِنَانَ الْحُبَّ لِلشُّعَرَاءِ[1]
كَمْ أَلْهَمَتْنِيْ مِنْ عُيُوْنِكِ صُوْرَةٌ
جَمَعَتْ أَحَبَّ عَوَاطِفٍ وَمَرَائِيْ[2]
وَتَبَسُّمٌ تَتَبَسَّمُ الدُّنْيَا لَهُ
وَيَغِيْبُ عَنْ مَعْنَىً وَعَنْ خُيَلاءِ[3]
وَرَشَاقَةٌ مَعْشُوْقَةٌ مَلْحُوْنَةٌ
كَقَصِيْدَةٍ خَلابَةٍ عَصْمَاءِ
كَمْ كُنْتُ أَهْتِفُ بِالنَّشِيْدِ وَلَمْ يَكُنْ
إلا خُطُوْطَ جَمَالِكِ الْوَضَّاءِ
تَجْرِي الْيَرَاعَةُ فِي يَدِيْ مَزْهُوَّةً
بِتَغَزُّلِيْ وَيَهُزُّنِي إِمْلائِيْ

---

(١) اترعت: ملأت.

(٢) مرائي: جمع مرئى: وهو المشهد.

(٣) الخيلاء: الزهو والكبرياء.

مُـتَـرَنِّـمَـا بِـالْـحُـبِّ بَـيْـنَ وَلائِـمِ
لِـلـزَّهْـرِ وَالأَمْـوَاهِ وَالأَضْـوَاءِ[1]
وَأَخَالُ فِي دِعَةِ الْمُرُوْجِ جِنَانَنَا
وَأَشِيْمُ فِي أَلَقِ الْغَدِيْرِ سَمَائِيْ[2]
أَيَّامَ كُنَّا وَالشَّبِيْبَةَ وَالْهَوَىْ
حُلَفَاءَ فِيْ أَمْنٍ مِنَ الْغُرَمَاءِ
أَيَّامَ كُنَّا نَسْتَعِيْدُ ثَرَاءَنَا
قُبَلاً، وَنَضْحَكُ مِنْ غِنَىً وَثَرَاءِ
أَيَّامَ كُنَّا حَاكِمَيْنِ بِأَمْرِنَا
السَّاكِنَيْنِ مَنَازِلَ الْجَوْزَاءِ
أَيَّامَ كُنَّا ذَاهِلَيْنَ عَنَ الرَّدَى
نَجْرِيْ وَنَمْرَحُ فِي الرُّبَى الْفَيْحَاءِ[3]
وَنَخُوْضُ مَوْجَ الْبَحْرِ مِلْءَ دُعَابَةٍ
مُتَعَانِقَيْنِ عَلَى هَدِيْرِ الْمَاءِ
مُتَحَمِّسَيْنِ كَأَنَّمَا خَمْرُ الصِّبَا
خَمْرُ الأُلُوْهَةِ مِنْ أَعَزِّ سَمَاءِ
مُتَلَمِّسَيْنِ بِكُلِّ شَيْءٍ لَذَّةً
وَمُطَوِّعَيْنِ الْمُسْتَحِيْلَ النَّائِيْ

---

(١) الأمواه: المياه.
(٢) شام البرق والسَّحاب: إذا نظر أين يقصد وأين يمطر.
(٣) ذهل عن الأمر: نسيه وأغفل عنه.

وَإِذا غَـضِـبْـنَـا عَـادَ حُـبُّـكِ غَـافِـرَاً

وَتَـعَـثَّـرَتْ شَـكْـوَاكِ عِـنْـدَ نِـدَائِـيْ

وَفَرِحْتِ بِي فَرَحَ الْحَبِيْبِ بِأِلْفِهِ

قَـدْ عَـادَ بَـعْـدَ مَـخَـاطِـرٍ هَـوْجَـاءِ

عِـشْـنَـا الـسِّـنِـيْـنَ كَـأَنَّـهَـا أنْـشُـوْدَةٌ

عُـلْـوِيَّـةٌ جَـلَّـتْ عَـنِ الـضَّـوْضَـاءِ

مُـتَـجَـدِّدَيْـنِ، وَإِذْ فَـقَـدْتُـكِ لَـمْ يَـكُـنْ

فَـقْـدِيْ لِـغَـيْـرِ فَـتَـاتِـيَ الْـهَـيْـفَـاءِ

مَـنْ رَامَـهَـا أَهْـلُ الْـفُـنُـوْنِ نَـمَـوْذَجَـاً

لِـلْـمُـبْـدِعِـيْـنَ وَمَـنْ لَـهَـا أهْـوَائِـيْ

مَنْ صَوْتُهَا الْحُلْوُ الشَّجِيُّ سُلافَتِيْ

وَحَـنَـانُـهَـا الْـعَـذْبُ الـسَّـخِـيُّ دَوَائِـيْ

مَنْ لَمْ تَدَعْ غَيْرَ الْبَشَاشَةِ وَحْدَهَا

تُـفْـشِـيْ خَـوَاطِـرَهَـا لِـنَـقْـدِ الـرَّائِـي

مَنْ أُشْرِبَتْ حُبَّ الدَّعَابَةِ سَمْحَةً

وَاسْـتَـضْـحَـكَـتْ لِـمَـصَـاعِـبِ الأَشْـيَـاءِ

مَـنْ لَـمْ تَـرَ الـدُّنْـيَـا سِـوَىْ تَـغْـرِيْـدَةٍ

فَـأَبَـتْ هَـوَاجِـسَـهَـا أَشَـدَّ إِبَـاءِ

مَـنْ لَـمْ تُـرَدِّدْ غَـيْـرَ آمَـالِ الـصِّـبَـا

لِـتَـرُدَّنِـيْ لِـطَـلاقَـتِـيْ وَرِضَـائِـيْ

مَنْ عِشْتُ أَفْدِيْهَا بُكُلِّ جَوَارِحِيْ

فَإِذَا الْفِدَاء يَهُوْنُ وَهْيَ فِدَائِيْ

مَنْ عَلَّمَتْنِيْ أنْ أُقَدِّسَ وَاجِبِيْ

مَهْمَا شَقِيْتُ فَأَسْتَطِيْبُ شَقَائِيْ

مَنْ لَمْ تُوَدِّعْ فِي السَّقَام وَفَاءَهَا

لِلنَّاسِ حِيْنَ مَضوا بِكُلِّ وَفَاءِ

مَنْ لَمْ تُفَارِقْهَا الشَّجَاعَةُ مَرَّةً

حَتَّى الْمَمَاتِ، شَجَاعَةُ الْعُظَمَاءِ

فَمَضَتْ وَخَلَّتْنِيْ وَحِيْداً عَابِراً

قَفْرَ الْحَيَاةِ أَنُوْءُ بِالأَنْوَاء

هَيْمَانَ، قُرْبُكَ وَحْدَهُ مُسْتَنْقِذِي

ظَمْآنَ، لَيْسَ سِوَاكِ رَيَّ ظِمَائِي

أَقْتَاتُ بِالْحُزْنِ الْمُبَرِّحِ رَاضِياً

وَأَعَافُ كُلَّ مَلاحَةٍ وَسْنَاءِ

وَأضَعْتُ فَنِّيْ بَعْدَ مَوْتكِ فِي الأَسَى

وَكَأَنَّمَا صُوُرُ الْجَمَالِ بَلائِيْ

مَنْ طَالَمَا نَاجَيْتُهَا مُتَغَزِّلاً

غَرِداً، فَمَاتَ بَهَاؤهَا وَبَهَائي

كَانَتْ لِرُوْحِيْ مِنْكِ أُنْسَ مَدَامَةٍ

وَمَجَالَ أشْوَاقٍ وَنَبْعَ صَفَاءِ

وَمَثَلْتِ أَنْتِ بِكُلِّ مَا أَحْبَبْتُهُ

فَالآنْ أَيْنَ تَهَافُتِيْ وَنَجَاتِي؟

أَيْنَ ابْتِسَامَتُكِ الشَّذِيَّةُ بَالْمُنَى

وَالنُّوْرِ حِيْنَ أَهِيْمُ فِي الظَّلْمَاءِ؟

أَيْنَ ابْتِدَاعُكِ لِلْحَدِيْثِ تَفَنُّنَاً

وَتَسَلْسُلاً يُغْنِيْ عَنِ النُّدَمَاءِ؟

أَيْن اغْتِبَاطُكِ بِالْمُرُوْءَةِ وَالنَّدَى

وَالْعَطْفِ وَالْغُفْرَانِ وَالإسْدَاءِ

قُبِرَتْ كَمَا غَابَ النَّهَارُ أَشِعَّةً

وَكَأَنَّمَا أَشْلاؤهَا أَشْلائِيْ

وَتُرِكْتُ فِي دُنْيَا الْقَسَاوَةِ وَالأَذَى

مُتَهَالِكاً أَمْشِي عَلَى الرَّمْضَاءِ!

* * *

قَالُوْا تَبَصَّرْ! إنَّ حَوْلَكَ رِفْقَةً

مِنْهَا وَحَسْبُكَ صَفْوَةُ الأَبْنَاءِ

وَرِثُوْا مَكَارِمَ خَلْقِهَا وَسِمَاتِهَا

إرْثَاً تُدِلُّ بِهِ عَلَى الآبَاءِ

يَا لَيْتَهُمْ عَرَفُوا شُمُوْلَ عَوَاطِفِيْ

وَوَفَاءَ وِجْدَانِيْ وَصِدْقَ وَلائِيْ

شِيَمٌ شَقِيْتُ بِهَا، وَمَا عَفَّ الْوَرَى

فَأَثَارَهُمْ شَمَمِيْ وَفَرْطُ إبَائِي[1]

---

(١) الشمم: الأنفة.

وَبَقِيْتُ أَسْخَرُ مِنْ جِرَاحِيَ هَازِئاً
بَـــفَـــوَاجِـــعِ الآلامِ وَالأَرْزَاءِ
مُسْتَلْهِمَاً مَنْ لَمْ تَدَعْنِي مَرَّةً
فِي الْحَادِثَاتِ أَضِيْقُ بِالأُحَيَاءِ
فَالآنَ بَعْدَ ذَهَابِهَا وَمُصَابِهَا
لَمْ يُغْنِنِيْ شَمَمَيْ وَلا اسْتِعْلائِيْ

* * *

تَمْضِي الْحَوَادِثُ وَالسُّنُوْنُ وَتَنْقَضِيْ
أُمَمٌ عَلَى أُمَمٍ صَبَاحَ مَسَاءِ
وَيَظَلُّ قَلْبِي هَيْكَلاً لَكِ خَالِدَاً
أَبَدَاً يُرَتِّلُ لَوْعَتِيْ وَرِثَائِيْ

١٩٤٦

مَاءُ الْعَيْنَيْنِ بنُ الْعَتِيْقِ

(١٣٠١ - ١٣٧٦ هـ = ١٨٨٣ - ١٩٥٦ م)

ماءُ العينين بن مُحمَّد العتيق الحَسَنيّ. شاعرٌ مُوريتاني وُلِدَ شمالي غرب موريتانيا، وعاش في جنوبيّ المغرب «السمارة» وتوفي في مدينة مراكش.

تنقَّلَ ما بين موريتانيا والمغرب والحجاز وليبيا ومصر.

عَملَ بالتدريس في الجامعة اليوسفية في مدينة مراكش «المغرب»، وعمل قاضياً في مدينة طنطان «المغرب»[1]

من قصيدة: صَفْوِ الْجِدِيْدَيْنِ

صَفْوُ الْجَدِيْدَيْنِ مَمْزُوْجٌ بَأَكْدَارِ
وَالدَّهْرُ يُرْدِفُ إِقْبَالاً بَإِدْبَارِ

وَالْمَوْتُ عُقْبَى بَنِي الدُّنْيَا وَإِنْ رُزِقُوا
وَعُمِّرُوا أَيَّ أَرْزَاقٍ وَأَعْمَارِ

وَاللهُ فِي الأَزَلِ الآجَالَ قَدَّرَهَا
فَلَمْ تَزَلْ أَبَدَاً تَأْتِيْ بِأَقْدَارِ

وَالْمَرْءُ مِنْ مَبْدَأَ الإِيْجَادِ مُنْتَقِلٌ
إِلَى الزَّوَالِ وَمِنْ طَوْرٍ لأَطْوَارِ

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

وَإِنَّمَا يَنْتَقِي الْمَوْتُ الْخِيَارَ وَلَمْ

يَأْسَفْ لِمَوْتِ خِيَارٍ غَيْرُ أَخْيَارِ

وَمَا يُصِيْبُ عَظِيْمَ الأَجْرِ غَيْرُ فَتًى

مَهْمَا يُصَبْ بِعَظِيْمِ الرِّزْءِ صَبَّارِ

وَخَيْرُ نَفْسٍ لِتِلْكَ الدَّارِ ذَاهِبَةٍ

مَنْ سَعْيُهَا حَسَنٌ فِيْ هَذِهِ الدَّارِ

وَيَرْحَمُ اللهُ مَنْ عَاشَتْ مُطَهَّرَةً

مَشْكُوْرَةَ السَّعْيِ فِيْ جَهْرٍ وَإِسْرَارِ

مَنْ أَرْضَعَتْهَا التَّقَى أَلْبَانَهَا وَرَبَتْ

فِيْ حِجْرِ عِلْمٍ وَآدَابٍ وَأَذْكَارِ

بِنْتَ الأَسَاتِذَةِ الْغَيْرَىْ الَّتِيْ سَلَفَتْ

مَا فِي الْوَرَىْ تَرَكُوا مِنْ حُسْنِ آثَارِ

سَرَىْ لَهَا مِنْهُمُ الطَّبْعُ الْكَرِيْمُ فَسَا

رَتْ تَرْتَقِيْ كَرَماً فِيْ طَبْعِهَا السَّارِيْ

تِلْكَ ابْنَةُ الشَّيْخِ «حَسَّان» الَّتِي سَبَقَتْ

شَأْوَ الْحِسَانِ فَلَمْ تُلْحَقْ بِمِضْمَارِ

مَنْ كَانَ مَرْآىْ مُحيَّاهَا الْحَيِيِّ بِهِ

تَحْلُو الْحَيَاةُ بِأَحْيَاءٍ وَأَمْصَارِ

آهٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ آهِيْ بِنَافِعَةٍ

لِمَا أُكَابِدُ آصَالِيْ وَإِبْكَارِيْ

لِفَقْدِهَا مِنْ سَقَامٍ وَاحْتِرَاقِ حَشَاً

وَبَـرْحِ شَـجْـوٍ وَتَـهْـيَـامٍ وَتَـذْكَـارِ

لاْ لَوْمَ فِيْ زَفْرَةِ الشَّجْوَىْ عَلَى نَفَسِيْ

وَلا عَلَى مُقْلَتِيْ فِي الْمَدْمَعِ الْجَارِيْ

إنْ أسْطَعِ الصَّبْرَ فَاللهُ الْمُعِيْنُ وإِنْ

أَجْـزَعْ فَـبِـيِّـنَـةٌ فِـي الْـبَـثِّ أَعْـذَارِي

لِمَا غَدَا الْيَوْمَ مِنْ مَجْدٍ وَمَحْمَدَةٍ

وَرِفْـعَـةٍ وَسَـنَـاءٍ تَـحْـتَ أَحْـجَـارِ

وَمِـنْ خُـشُـوْعٍ وَإِخْـلاصٍ وَمَـعْـرِفَـةٍ

وَحِـكْـمَـةٍ وَكَـرَامَـاتٍ وَأَنْـوَارِ

عَبْدُ الله نَوْفَل

(١٢٩٤ - ١٣٧٧ هـ = ١٨٧٧ - ١٩٥٧ م)

عبد الله بن حبيب نوفل، شاعرٌ لبنانيٌّ وُلِدَ في مدينة طرابلس الشام، وفيها توفي. عاش في لبنان.

تلقى علومه في مدارس طرابلس، وعلى يد علمائها.

كان عضواً معيناً في المجلس النيابي إبان الانتداب الفرنسي «١٩٢٩ - ١٩٣٢».

أهدى مكتبته وما يتعلق بها - قبيل وفاته - إلى الجامعة الأمريكية في بيروت.

من مؤلفاته «تراجم علماء طرابلس وأدبائها» «المجاهد العربي الأمين - رياض الصلح»[١]

كَرِيْمَةُ

«في رثاء زوجته»

«كَرِيْمَةُ» إنْ رَحَلْتِ فَمَا نَسِيْنَا ... لَيَالِيَ كُنْتِ بَهْجَتَهَا سِنِيْنَا

«كَرِيْمَةُ» رَاشَتِ الأَيَّامُ سَهْماً ... سَمِعْنَا فِي الْقُلُوْبِ لَهُ رَنِيْنَا

سَلِيْنَا كَيْفَ نُحْيِي اللَّيْلَ نَحْباً ... وَكَيْفَ نُصَارِعِ الْبَلْوَىٰ سَلَيْنَا

فَيَا أمَّ الْحَبِيْبِ وَلاْ أُغَالِيْ ... بِمَوْتِكِ مَاتَتِ الآمَالُ فِيْنَا

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

وَيَا أمَّ الْحَبِيْبِ، «حَبِيْبُ» أَضْحَىٰ   وَحِيْدَاً لا رَفِيْقَ وَلا مُعِيْنَا

ولِمْ يَا قَلْبُ حِيْن ثَوَتْ بِلَحْدٍ   «كِرِيْمَةُ» رُحْتَ بَيْنَ الْخَافِقِيْنَا؟

أَمَا كَانَتْ تُخفِّفُ عَنْكَ وَقْراً   وَتُدْهَشُ فِي مُحَيَّاهَا الْعُيُوْنَا؟

«كَرِيْمَةُ» فِيْ فِرَاشِ الْمَوْتِ كَانَتْ   تَفِيْضُ مَحَاسِنَاً لِلنَّاظِرِيْنَا

تُجِيْلُ الطَّرْفَ آوِنَةً وَ   تُحَدِّقُ فِيْ وُجُوْهِ الْعَائِدِيْنَا

وَتَبْغِيْ أَنْ تَفُوْهَ عُقَيْبَ صَمْتٍ   فَيَمْنَعُهَا السَّقَامُ بَأَنْ تُبِيْنَا

فَتَذْرِفُ مِنْ مَآقِيْهَا دُمُوْعَاً   وَتَبْسِمُ مَرَّةً لِلْحَاضِرِيْنَا

وَتَسْأَلُ خَالِقَ الأَكْوَانِ عَوْنَاً   لِفِتْيَتِهَا الصِّغَارِ الْبَائِسِيْنَا

وَمَاتَتْ وَهْيَ بَاسِمَةُ الْمُحَيَّا   تُحَدِّقُ بَابنِهَا نَظَرَاً حَزِيْنَا

فَمَا يَوْمُ الْحِسَابِ أَشَدُّ هَوْلاً   وَأَكْثَرُ مِنْ نُوَاحِ النَّائِحِيْنَا

وَكُنْتُ أَرَىٰ بِهَا الدُّنْيَا جَمِيْعَاً   وَكَانَتْ لِيْ مِنَ الدُّنْيَا مُعِيْنَا

فَهَلْ تَقْوَىٰ يَدُ الْحَدَثَانِ تَمْحُوْ   هَوَىً فِي الْقَلْبِ نَحْفَظُهُ سِنِيْنَا؟

مُحَمَّد الْخِضْر حُسَيْن

(١٢٩٣ - ١٣٧٧ هـ = ١٨٧٦ - ١٩٥٨ م)

مُحمَّد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي، عالم إسلامي وأديب وباحث، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، وممَّنْ تولوا مشيخة الأزهر. وُلِدَ في «نفطة» بتونس وهو من أصول جزائرية، انتقل إلى تونس مع أبيه وتخرج بجامع الزيتونة، ودرَّسَ فيه. وأنشأ مجلة «السعادة العظمى» ووليَ قضاءَ «بنزرت» رحل إلى «دمشق» ومنها إلى «الآستانة» ثم استقرَّ في «دمشق» مدرِّساً في المدرسة السلطانية قبل الحرب العالمية الأولى.

ولما احتلَّ الفرنسيون سورية انتقل إلى القاهرة ودرس في الأزهر. وأنشأ جمعية الهداية الإسلامية وتولى رئاستها وتحرير مجلتها. ثم كان من «هيئة كبار العلماء» وَعُيِّنَ شيخاً للأزهر عام «١٩٥٢» واستقال «١٩٥٤» ودخل في سجالات مع أدباء ومفكري عصره كطه حسين وعلي عبد الرازق، توفي بالقاهرة. ودُفِنَ بوصيَّةٍ منه في تربة صديقة «أحمد تيمور باشا» له مؤلفات عديدة، منها «حياة اللغة العربية» و«الخيال في الشِّعْر العربي و«مناهج الشرف» و«الدعوة إلى الإصلاح» و«طائفة القاديانية» و«مدارك الشريعة الإسلامية» و«الحرية في الإسلام» و«نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم» و«نقض كتاب في الشِّعْرِ الجاهليّ» و«خواطر الحياة» ديوان شعره، وصدرت٣أعماله الكاملة في ٢٧ مجلداً، عن دار النوادر دمشق - بيروت - الكويت ٢٠١٠.

وهذه المرثية كتبها في رثاء زوجته «زينب» التي توفيت في القاهرة ١٩٥٢ وكان عمره آنذاك تسعاً وسبعين سنة.

طَائِرُ الْمَوْتِ «مقطع»[(١)]

أَعَاذِلُ غُضَّ الطَّرْفَ عَنْ جَفْنِيَ الْبَاكِيْ
فَخَطْبٌ رَمَى الأَكْبَادَ مِنِّيْ بَأَشْوَاكِ

وَلِيْ جَارَةٌ أَوْدَى بِهَا سُقْمٌ إِلَىْ
نَوَىً دُوْنَ مَنْآهَا الْمُحِيْطُ بَأَفْلاكِ

أَيَا جَارَتَا عَهْدُ الْلِقَاءِ قَدِ انْقَضَى
فَصَمْتُكِ إِذْ أَدْعُوْكِ آخِرُ مَلْقَاكِ

أَجَارَةُ هَذَا طَائِرُ الْمَوْتِ حَائِمٌ
لِيَذْهَبَ مِنْ زَهْرِ الْحَيَاةِ بِمَجْنَاكِ

وَكَيْفَ يَرُوْمُ الصَّحْبُ مِنِّيْ تَصَبُّرَاً
وَمَرْكَبَةٌ حَدْبَاءُ أَرْسَتْ بِمِيْنَاكِ

وَكُنْتُ أُلاقِي كُلَّمَا جِئْتُ مُؤْنِسَاً
فَمَالِيْ أُلاقِيْ الْيَوْمَ صَيْحَةَ مَنْعَاكِ

حَنَانَيْكِ هَلْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيْقَةٌ
فَأَنْكَرْتِ دُنْيَانَا وَآثَرْتِ أُخْرَاكِ؟

وَكُنْتُ أُعَزِّي النَّفْسَ مِنْ قَبْلُ إِنَّنِيْ
أَفُوْتُ قَرِيْرَ الْمُقْلَتَيْنِ بِمَحْيَاكِ

---

(١) ديوان «خواطر الحياة» محمد الخضر حسن ضمن موسوعة الأعمال الكاملة المجلد١٣ دار النوادر دمشق / بيروت / الكويت ٢٠١٠.

وَلَمْ أَدْرِ مَا طَعْمُ الْمَنُوْنِ فَذُقْتُهُ
مَسَاءَ لَفَظْتِ الرُّوْحَ وَالْعَيْنُ تَرْعَاكِ
هَوَىً بَكِ بَيْنٌ لَسْتُ أَرْجُوْ وَرَاءَهُ
زَمَاناً يَجُوْدُ الدَّهْرُ فِيْهِ بِمَرْآكِ
فَهَيْهَاتَ أَنْ أَنْسَاكِ مَاعِشْتُ وَالأَسَىْ
يَمُوْجُ بِقَلْبِيْ مَا جَرَتْ فِيْهِ ذِكْرَاكِ
وَهَيْهَاتَ لا أَنْسَىْ مَوَاطِنَ كُنْتِ لِيْ
مُسَلِيَّةً لا أُنْسَ إلا بِمَغْنَاكِ
وَلَوْلاكِ لَمْ أَقْضِ الْيَرَاعَةَ حَقَّهَا
كَأَنَّ نَسِيْجَ الْفِكْرِ حِيْكَ بِيُمْنَاكِ
لَقَدْ صُنْتِ فِي الْحَالَيْنِ عَهْداً فلا أَرَىْ
لَدَىْ عُسْرَةٍ إلا انْطِلاقَ مُحَيَّاكِ
وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّبْتِ لِيْ الْعَيْشَ بَعْدَمَا
سَئِمْتُ فَطِيْبُ الْعَيْشِ بَعْضُ مَزَايَاكِ
وَإِنْ سَامَنِيْ يَوْمٌ شَكَاةٍ تَدَفَّقَتْ
دُمُوْعُكِ مِنْ جَفْنٍ يُخَالُ هُوَ الشَّاكِيْ
يُجَافِي الْكَرَىْ عَيْنِيْ إِذَا مَسَّكِ الضَّنَىْ
وَيَرْتَاحُ مَا بَيْنَ الْحَنَايَا لِمَنْجَاكِ
تَمُرُّ بِنَا الأَيَّامُ مَوْصُوْلَةَ الْمُنَىْ
فَمَا ضَرَّنَا ألا نَكُوْنَ كَأَمْلاكِ

لَيَالِيْكِ أَيَّامٌ بِمَنْزِلَةِ اللِّوىْ

وَمَطْلَعُ أَقْمَارِ السَّمَاءِ بِمَأْوَاكِ

أَجَارَةُ لَوْ شَاهَدْتِ كَيْفَ وَقَفْتُ

فِيْ مَزَارِكِ لَكِنْ مَا ظَفَرْتُ بِنَجْوَاكِ

إِذَاً لَرَأَيْتِ الْحُزْنَ يَصْلَىْ بِنَارِهِ

حَشَاً وَكَأَنَّ الْحُزْنَ شُدَّ بِأَسْلاكِ

وُعُدْتُ إِلَى الْبَيْتِ الْكَئِيْبِ كَأَنَّنِيْ

خُلِقْتُ فَرِيْدَاً لَسْتُ أَعْرِفُ إِلّاكِ

أَغَصُّ بِشَجْوٍ كُلَّمَا مَرَّ مَوْضِعٌ

حَلَلْتِ بِهِ وَالنَّفسُ مِرْآةُ سِيْمَاكِ

زَكِي الطَّوِيْل

(١٣١٥ - ١٣٨١ هـ = ١٨٩٧ - ١٩٦١ م)

محمود زكي بن عبد الحميد الطويل. أديبٌ وشاعرٌ مصريٌّ، وُلِدَ فيَ مدينة طنطا «محافظة الغربية وسط الدلتا بمصر»، وتوفي في القاهرة.

عاش في مصر وإنجلترا وفرنسا وأمريكا والمملكة العربية السعودية.

تلقَّى تعليماً نظامياً، وواصل دراسته حتى التحق بمدرسة المهندسخانة «كلية الهندسة» وتخرج فيها «١٩٢٤» ثم ابتعث إلى جامعة ليفربول بإنجلترا، قسم العمارة.

عمل في مصر مهندساً، وتدرَّجَ في وظائفه حتى أصبح مديراً عاماً بمصلحة الطرق والكباري بوزارة المواصلات، فوكيلاً برئاسة مجلس الوزراء لشؤون السودان.

سافر إلى السعودية للعمل بمجال تخصُّصه في الهندسة.

كان عضواً بحزب الوفد، وهو والد الملحن المصري «كمال الطويل» الذي قام بتلحين بعض أشعار والده، كما ورث عنه الانتماء إلى حزب الوفد بعد السماح بعودة الأحزاب السياسية في مصر في سبعينيات القرن العشرين[١].

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

لَيْتَنِيْ فِزْتُ بِالْعَدَمِ

إلى روح العزيزة زينب

مِنْ صَدْمَةِ الْخَطْبِ أَمْ مِنْ حِدَّةِ الأَلَمِ
خَانَتْكَ عَيْنُكَ لَمْ تَدْمَعْ وَلَمْ تَنَمِ
ضَنَّتْ بِدَمْعِكَ فِيْ يَوْمٍ فَزِعْتُ لَهُ
لَمْ تَسْتَطِعْ فِيْهِ أَنْ تَمْشِيْ عَلَىْ قَدَمِ
صَرَخْتُ وَالنَّاسُ يَقْظَىْ فِيْ فِرَاشِهِمُ
وَالسَّقْمُ يَمْلأُ بِالآهَاتِ كُلَّ فَمِ
وَاللهُ يَعْلَمُ كَمْ مِنْهُمْ عَلَىْ سَفَرٍ
إِلَى الْخُلُوْدِ وَكَمْ نَاجٍ مِنَ السَّقَمِ
لَمَّا تَرَنَّحْتَ - فَاضَ السَّيْلُ مُنْدَفِعاً
مِنْ مُقْلَتَيْكَ، وَهَلْ فِي السَّيْلِ غَيْرُ دَمٍ؟
ظَنُّوْكَ - لَمَّا نَعَى النَّاعِيْ - قَضَيْتَ أَسَىً
يَا لَيْتَنِيْ فِزْتُ بَعْدَ النَّعْيِ بِالْعَدَمِ
سِيَّانَ بَعْدَكِ - يَا رُوْحِيْ وَيَا أَمَلِيْ
سُكْنَى الْقُبُوْرِ وَسُكْنَى شَاهِقٍ فَخِمِ
رَبَّاهُ رُحْمَاكَ هَلْ أُقْضِيْ عَلَى كِبَرٍ
بَقِيَّةَ الْعُمْرِ فِي كُرْسِيٍّ وَفِيْ سَقَمِ؟
أَنْتَ الرَّحِيْمُ وَعُذْرِيْ أَنْتَ تَعْرِفُهُ
فَاشْفِقْ عَلَى اثْنَيْنِ مِنْ صُلْبِيْ وَمِنْ رَحِمِيْ

رَبَّــاهُ حُـكْـمُـكَ جَـارٍ لا يُـغَـيِّـرُهُ
طِبُّ الطَّبِيْبِ وَلا مَنْجَىً لِمُعْتَصِمِ
جَـعَـلْـتَ لِـلْـعَـيْشَ آجَـالاً مُـحَـدَّدَةً
وَحِكْمَةُ الْمَوْتِ كَالإِنْسَانِ فِيْ الْقِدَمِ
أَهَبْتُ بِـالـصَّبْرِ وَالـسِّلْـوَانِ أَنْ يَلِجَا
قَلْبِيْ فَلَمْ يَفْقَهَا قَصْدِيْ وَلا كَلِمِيْ
وَهَـلْ أُرِيْـدُ مِـنَ الـدُّنْـيَـا وَبَـهْـجَـتِـهَـا
إِلا حَـبِـيْـبِـيَ مَـهْـمَـا كَـانَ مِـنْ أَلَـمِيْ!
أَهَبْتُ بِالصَّبْرِ فَاسْتَعْصَىْ فَوَا أَسَفِيْ!
الـدَّارُ خَـالِـيَـةٌ وَالـصَّـبْـرُ فِيْ صَمَمِ
أَمْ كَـيْـفَ يَـصْـبُـرُ قَـلْـبٌ لا حَـيَـاةَ بِـهِ
أَمْ كَيْفَ يَقْوَىْ وَسَهْمُ الْمَوْتِ فِيْهِ رُمِيْ
حَبِيْبَتِيْ - إِيْ وَرَبِّيْ - أَنْتِ مَالِكَتِيْ
أَنْـتِ الْـحَـيَـاةُ وَمَـا فِـيْـهَـا مِـنَ الـنِّـعَـمِ
عِـشْـنَـا سَـوِيّـاً فَـلَـمْ نَـأْبَـهْ بِـنَـازِلَـةٍ
وَلا شَـعَـرْنَـا لَـدَى الأَحْـدَاثِ بَـالـسَّـأَمِ
لَـمْ نَـلْـتَـفِـتْ لِـوِشَـاةِ الْـحَـيِّ حِـيْـنَ وَشَـوْا
وَلا تَـفَـرَّقَ عَـقْـدٌ غَـيْـرُ مُـلْـتَـئِـمِ
حَـتَّـى أَتَـى الْـمَـوْتُ فَـاسْـتَـعْـصَىْ تَـفَـرُّقُـنَـا
فَـذِكْـرُكِ الْـحَـيُّ فِـيْ قَـلْـبِـيْ وَمِـلْءُ فَـمِـيْ

فَأنْتِ يَا زِيْنَةَ الدُّنْيَا وَبَهْجَتَهَا
كَالنَّوْرِ فِي الْعَيْنِ إِذْ تَصْحُوْ وَإِذْ تَنَمِ
يَا رَبِّ جَلَّ مُصَابِيْ فِيْ فَقِيْدَتِنَا
وَلَيْسَ يَنْفَعُنِيْ عَقْلِيْ وَلا قَلَمِيْ
لَو أنَّهَا لَمْ تَقَاسِ الْهَوْلَ فِي مَرَضٍ
أَعْيَا الأَطِبَّاءَ وَاسْتَعْصَىٰ عَلَى الْفَهَمِ
لَخَفَّتِ النَّارُ فِيْ قَلْبِيْ وَفِيْ كَبِدِيْ
وَخَفَّفَ الدَّمْعُ مَا فِي الصَّدْرِ مِنْ حِمَمِ
لَو أنَّهَا وَدَّعَتْنِيْ وَهْيَ رَاحِلَةٌ
لَرَدَّدَ الْقَلْبُ مَا فِي السَّمِعِ مِنْ نَغَمِ
لَكِنَّهَا سَكَرَاتُ الْمَوْتِ قَدْ عَقَدَتْ
لِسَانَهَا فَحُرِمْنَا مُتْعَةَ الْكَلِمِ
فَإذْ بِهَا ويَدُ الأَقْدَارِ تَدْفَعُهَا
دَفْعاً إِلَى الْقَبْرِ لَمْ تَجْزَعْ، وَلِمْ تَلُمِ
بَلْ دَاعَبَتْ بِيَدٍ مِنْهَا مُطَهَّرَةٍ
وَجْهَ الصِّغَارِ وَثْغِرٍ عَاطِرٍ بَسِمِ
وَأَكَّدَتْ حُبَّهَا لِيْ رَغْمَ شِدَّتِهَا
وَالْحُبُّ أَقْوَى مِنَ الْعِلاّتِ وَالأَلَمِ
وَاسْتَسْلَمَتْ لِقَضَاءِ اللهِ رَاضِيَةً
وَفِي الرِّضَا رَحْمَةٌ بَلْ خَيْرُ مُغْتَنَمِ

رُحْمَاكَ رَبَّاهُ لا تَجْعَلْ فَجِيْعَتَنَا

فِيْهَا بِدَايَةَ عَهْدِ الْهَمِّ وَالنِّقَمِ

وَأَنْتَ يَا رَبُّ خَيْرُ الْحَاكِمِيْنَ فَلا

تَجْعَلْ قَضَاءَكَ فِيْنَا سَيْفَ مُنْتَقِمِ

وَالطُفْ بِحَقِّ رَسُوْلِ اللهِ بِيْ وَبِهِمْ

وَادْفَعْ أَذَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ وَمُتَّهِمِ

عَلِي الشَّرْقِيّ

(١٣٠٩ - ١٣٨٤ هـ = ١٨٩٢- ١٩٦٤م)

وُلِدَ الشيخ علي الشرقيّ في مدينة النجف في العراق عام ١٨٩٢م، ونشأ يتيماً في أحضان أمّه التي أصبحت بعد وفاة أبيه تحت رعاية والدها الشيخ عبد علي بن محمد حسن صاحب الجواهر، وأخيها الشيخ عبد الحسين الجواهري.

درس في الكتاتيب ليتعلَّمَ القراءة والكتابة، ثم درس اللغة العربية والعلوم الشرعية والأصول والفلسفة وهو يعيش تحت رعاية خاله، والد الشاعر محمد مهدي الجواهري، ثم انتقل إلى مدرسة علمية في النجف وتعلَّم الفارسية.

واكب مسيرة المقاومة ضد الإنكليز التي قادها علماء الدين عام ١٩١٥م، وكان إلى جانب السيد محمد سعيد الحبُّوبي في معركة «الشعيبة» عام ١٩١٥م. وكان الشرقي في صفوف حملة الفكرة العربية في حصار النجف عام ١٩١٨م.

عين عضواً في محكمة التمييز الشرعي في بغداد. ثم نقل قاضياً شرعياً إلى مدينة البصرة، وأصبح رئيساً لمحكمة التمييز الشرعي الجعفري في العراق، ثم عين عضواً في مجلس الأعيان في العراق عام ١٩٥٧م.

اختير وزيراً متفرغاً في وزارة علي جودة الأيُّوبي عام ١٩٤٩م، ثم تولَّى العمل الوزاري في وزارات أخرى كان آخرها وزارة «أحمد بابان»

حيث قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م.

تقاعد عن الوظيفة عام ١٩٥٨م، واتَّجَهَ نحو القراءة والبحث وطبع كتبه.

توفي ظهيرة الثلاثاء الثاني عشر من شهر آب/أغسطس عام ١٩٦٤م ودفن في النجف.

طبع مجموعته الشعرية «عواطف وعواصف» في مطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٥٣م، ونشر ضمنها رباعياته التي أسماها «الشرقيات» وموشحاته وأشعاره.

ثم أعيد نشر ديوانه الكامل ببغداد عام ١٩٧٩م جمعه وحققه إبراهيم الوائلي وموسى إبراهيم الكرباسي.

ومن آثاره النثرية: «الأحلام»: و«ذكرى السعدون أو تأريخ بطل التضحية والإخلاص» و«العرب والعراق» و«موسوعة الشيخ علي الشرقية النثرية»

كما قام بتحقيق ديوان السيد إبراهيم الطباطبائي. ونشر كثيراً من الأبحاث في مجلات «العرفان» و«الاعتدال» و«الهاتف» و«لغة العرب» و«العلم» وجرائد «العراق» و«النهضة» و«البلاد» مرثيته هنا لامرأته التي توفيت ليلة عُرْسَها، وتصوِّر القصيدة تراجيديا من نوع خاص ونادر في الشِّعْر العربي.

شَمْعَةُ الْعُرْسِ[1]

شَمْعَةَ الْعُرْسِ مَا أَجَدْتِ التَّأَسِّيْ   أَنْتِ مَوْقُوْدَةٌ وَيُطْفَأُ عُرْسِيْ؟

---

(١) نظمها الشاعر اثر وفاة عروسة فجأة ليلة الزفاف / ديوان: «عواطف وعواصف» و«ديوان علي الشرقي» الجمهورية العراقية / وزارة الثقافة والفنون/ =

أنتِ مِثْلِيْ مَشْبُوْبَةُ الْقَلْبِ لَكِنْ مِنْ سَنَاكِ الْمَشْؤُوْمِ ظُلْمَةُ نَفْسِيْ

يَا رَعَى اللهُ للزِّفَافِ شُمُوْعَاً يَتَهَافَتْنَ حَوْلَ نَعْشٍ وَرَمْسِ

عَكَسَتْ حَظَّهَا اللَّيَالِيْ فَذَابَتْ خَجَلاً تُرْسِلُ الدُّمُوْعَ بِهَمْسِ

هَكَذَا ذَابَ بِاحْتِرَاقٍ فُؤَادِيْ هَكَذَا سَوْرَةُ الدُّمُوْعِ بِرَأْسِي

جَلْوَةٌ أَمْ مَنَاحَةٌ لِنُجُوْمٍ يَتَنَاثَرْنَ بَيْنَ سَعْدٍ وَنَحْسِ

كَانَ حَدْسِيْ تَذْكُو الأَمَانِيْ شُمُوْعَاً وَاللَّيَالِيْ خَيَّبْنَ ظَنِّيْ وَحَدْسِي

الرَّجَا كَانَ شَمْعَةً وَتَلاشَىْ وَانْطَفَا صَارِمُ الرَّجَاءِ بِيَأْسِ

أَجْفَلَتْ دَهْشَةُ الْمَصَابِ الْغَوَانِيْ فتَطَالَعْنَ مِنْ سُتُوْرِ الدِّمَقْسِ

تَتَبَارَىْ بِخَشْعَةٍ وَانْصِدَاعٍ تَطَأُ الأَرْضَ بِارْتِبَاكٍ وهَجْسِ

كَنُجُوْمٍ تَكَدَّرَتْ فَتَهَاوَتْ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى حَظِيْرَةِ قُدْسِ

فُوْجِئَتْ بِالْبُكَا ومُذْ جَمَدَ الدَّمْعُ تَبَاكَيْنَ بِاحْوِرَارٍ وَلَعْسِ[1]

أَبْدَلُوْهَا عَنِ الْمَنَصَّةِ نَعْشَاً طَالَمَا ضَمَّ رَبَّ عَرْشٍ وَكُرْسِيْ

وَتَرَىْ نَعْشَهَا كَبَاقَةِ وَرْدٍ تَتَهَادَى الأَكُفُّ فِيْهَا بِخَلْسِ

رَقَدَتْ رَقْدَةَ النَّدِيْمِ بَجَنْبِ الْكَأْسِ فِيْ سَاعَةِ ارْتِيَاحٍ وأُنْسِ

= دار الرشيد للنشر/ جمع وتحقيق ابراهيم الوائلي وموسى الكرباسي ١٩٧٩ ص ١٢٧، و«الأدب العصري في العراق العربي» القسم الأول/ المنظوم/ رفائيل بطي المطبعة السلفية بمصر ١٩٢٣ الجزء الثاني ص ١١ مع اختلاف في بعض المفردات بين النسختين»

(١) اللَّعَسُ: سَوادُ اللِّثَة والشَّفة، وقيل: هو سواد في حمرة يعلو شَفَةَ المرأة البيضاء؛ قال ذو الرمة:

لَمْيَاءُ فِيْ شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسٌ وَفِي اللِّثَاتِ، وَفِيْ أَنْيَابِهَا شَنَبُ

وَبِحُضْنِ الرَّبِيْعِ أَغْفَتْ فَمَاتَتْ　　مِيْتَةَ الْوَرْدِ فِي ذُبُوْلٍ وَيُبْسِ

رَفْرَفَتْ حَوْلَهَا الْبَلابِلُ خُرْسَاً　　وَبَكَاْهَا نَزْعُ الْحُلِيِّ بِجَرْسِ

حُزْنُ وَادٍ وَارَىْ شَبَابَكِ أَلَّاْ　　يَنْبُتَ الْوَرْدُ فِيْهِ مِنْ كُلِّ جِنْسِ

أَسَفَاً يُخْرِجُ الرَّبِيْعُ الرَّيَاْحِيْنَ مِنَ التُّرْبِ وهْيَ في التُّرْب تُمْسِيْ

وَكَثِيْرٌ فِيْ ذَا التُّرَابِ رَيَاْحِيْنٌ، تَعَطَّلْنَ عَنْ نَبَاتٍ وَغَرْسِ

صَالِح الْحَامِد

(١٣٢١- ١٣٨٧ هـ = ١٩٠٣- ١٩٦٧م)

صالح بن حامد العلوي، شاعرٌ يمني وُلِدَ في مدينة سيؤون «حضرموت اليمن» من أمٍّ اندونيسية وفيها توفي عام وهو أحد رواد القصيدة الرومانسية في الشِّعْر اليمني، نشر نماذج من شعره الرومانسي في مجلة «أبوللو» المصرية بين عامي ١٩٣٣ و١٩٣٤ وكذلك في مجلة «الرسالة» لأحمد حسن الزيات، وهو شاعرٌ كثيرُ السفر، إذ سافر مع والده في المرة الأولى إلى سنغافورة عام ١٩٢٣، كما زار اندونيسيا موطن أمِّهِ الأصلي.

صدرت له الدواوين الآتية: «نسمات الربيع» القاهرة ١٩٣٦، و«ليالي المصيف» - القاهرة ١٩٥٠، و«على شاطئ الحياة» - جدة ١٩٨٤.

اتجه إلى السياسة والعمل الحزبي، وهجر الشِّعْر والأدب، وكان قد أسس حزب «الاتحاد الوطني» بسيؤون عام ١٩٥٦. [(١)]

تزوَّجَ صالح الحامد من فتاة صغيرة لم تبلغ السابعة عشرة من العمر، لكنَّهَا رحلت بعد أقلّ من عام على زواجهما وهي يافعة في عمر الصبا، وقد رثاها بقصائد عدَّة في ديوانه «ليالي المصيف» الذي أهداه

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»

لها «إلى تلك الروح الطاهرة الدارجة إلى عالم الخلود أهدي ديواني هذا»[1]

كُلُّ الرُّؤىٰ صُوَرُكْ

من قصيدة بعنوان ريحانتي

حَبِيْبَتِيْ سَافَرَ السِّلْوَانُ عَنْ خَلَدِيْ
لَمَّا نَوَيْتِ إِلَى دَارِ الْبِلَىٰ سَفَرَكْ

وَارَحْمَتَا لِكَلِيْمِ الْقَلْبِ مُرْتَبِكٌ
يُذْرِي الدُّمُوْعَ دِمَاءً كُلَّمَا ذَكَرَكْ

أَضْحَى يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ وَيُلْصِقُهَا
بِخَافِقٍ قَبَرَ الآمَالَ إِذْ قَبَرَكْ

مُجَانِبَاً كُلَّ شُغْلٍ غَيْرَ عَبْرَتِهِ
وَنَاسِيَاً كُلَّ شَيءٍ مَا عَدَا ذِكَرَكْ

مَا هَمَّ يَسْلُوْكِ إلا قُمْتِ مَاثِلَةً
كَأَنَّمَا حَمَلَتْ كُلُّ الرُّؤىٰ صُوَرَكْ

فَيَا مَجَالِسَ أُنْسِيْ رَاقِبِيْ شَجَنِيْ
فَجَنِّبِي الْكَأْسَ عَنِّي وَاقْطَعِيْ وَتَرَكْ

يَا مَوْتُ أَوْقَعْتَ عِنْدِيْ أيَّ فَاجِعَةٍ
مُذْ قِيْلَ أَنْشَبْتَ فِي زَيْنِ الصِّبَا ظَفَرَكْ

---

(١) لم أقع على ديوانه «ليالي المصيف» والمختارات هنا وردت في كتاب «علي أحمد باكثير بمناسبة مرور قرن على مولده» للدكتور عبد الحكيم الزبيدي/ سلسة كتاب الرافد/ دار الثقافة والإعلام/ الشارقة ٢٠١٠.

لا كَانَ عَيْشٌ

من قصيدة بعنوان الزهرة الذاوية.

لَمْ أَنْسَ سَاعَتَكِ الرَّهِيْبَةَ حِيْنَمَا
حَلَّ الْقَضَاءُ وَحَالَ مِنْكِ الْمَصْرَعُ
قَالُوا: بِهَا جِنٌّ! فَقُلْتَ: تَخَرَّصُوا
إِنِّيْ أَخَافُ مِنَ الْحَقِيْقَةِ فَادَّعَوا
وَلَقَدْ دَعَوْتُكِ فَاسْتَجَبْتِ بِدَعْوَةٍ
خَرْسَاء أَرْسَلَهَا حَشَاكِ الْمَوَجَّعُ
أَوْدَعْتِ فِيْهَا لِلْحَيَاة وَلِلصِّبَا
وَالْحُبُّ أَبْلَغُ مَا يَقُوْلُ مُوَدَّعُ
فَاضَتْ لَهَا عَيْنِيْ وَخَارَ لِشَجْوِهَا
لا كَانَ عَيْشٌ بِالْفِرَاقِ مَرَوَّعُ
وَرَغِبْتُ فِيْ دَارِ الْبَقَاءِ لَعَلَّنَا
فِي الْخُلْدِ نَحْظَى بِالْلِقَا وَنُمَتَّعُ

كُنْتُ سَعِيْدَاً

من قصيدة بعنوان المنزل الحزين

لا تُرَعْ مِنْ جَزَعِيْ يَا رَبْعَ أَسْمَارِيْ وَأُنْسِيْ
غَلَبَتْ ذِكْرَىْ لَيَالِيْكَ عَلَى عَقْلِيْ وَحِسِّيْ
كَمْ لِحُبِّيْ وَغَرَامِيْ فِيْكَ عَهْدٌ غَيْرُ مَنْسِي
بِحَبِيْبٍ هُوَ آمَالِيْ وَأُمْنِيَّةُ نَفْسِيْ

كَـانَ بِـالأُنْـسِ بِـهِ عِـنْـدِيْ غِـنَـىً عَـنْ كُـلِّ أُنْـسِـي

وَبِـهِ كُـنْـتُ سَـعِـيْـدَاً نَـاعِـمَـاً أُضْـحِـيْ وَأُمْـسِـيْ

لِـيَ فِـيْـهِ قُـدْسُ صُـوْفِـيٍّ وَتَـأَلِـيْـهَـاتُ قَـسٍّ

فَـهْـوَ رَيْـحَـانِـيْ وَقِـيْـثَـارِيْ وَمِـصْـبَـاحِـيْ وَكَـأْسِـيْ

وَهْـوَ، مَـهْـمَـا أَظْـلَـمَـتْ حَـوْلِـيْ دُجَـى الأَحْـدَاث، شَـمْـسِـيْ

عَلِي أَحْمَد بَاكَثِيْر

(١٣٢٨ - ١٣٨٩ هـ = ١٩١٠ - ١٩٦٩م)

كاتب مسرحيٌّ، وروائي، وشاعرٌ، ومُترجم من اليمن. وُلِدَ في اندونيسيا لأبوين عربيين من حضرموت، حيث كان أبوه يعمل في التجارة هناك.

وفي العاشرة من عمره، عاد به والده إلى حضرموت لينشأ فيها نشأة عربية، حيث تلقى تعليمه الأوَّليَّ وظهرت مواهبه الأدبية في وقت مبكر، فبدأ بنظم الشِّعْر وهو في الثالثة عشرة من عمره، ثمَّ عَمِلَ مدرِّساً بعد تخرجه.

غادر حضرموت عام ١٩٣١، بعد وفاة زوجته الأولى وهي شابَّة، وتوجَّه إلى عدن ومنها إلى الصومال والحبشة واستقرَّ زمناً في الحِجاز. وخلال هذه الفترة بدا تأثُّرُه بالأفكار الإسلامية الجديدة، خاصة طروحات السيد محمد رشيد رضا في مجلة «المنار» كما كتب فيها مسرحيته الأولى: «همام في بلاد الأحقاف» التي ظهر فيها تأثره بمسرحيات شوقي.

انتقل إلى مصر ١٩٣٤، في مرحلة مثلت انعطافة مهمة في حياته الثقافية، والتحق بجامعة فؤاد الأول «جامعة القاهرة حالياً» حيث حصل على ليسانس الآداب قسم اللغة الانكليزية في عام ١٩٣٩، وخلال دراسته في الجامعة ترجم مسرحية «روميو وجولييت» لشكسبير بالشعر

المُرْسَل، كما كتب مسرحيَّته «أخناتون ونفرتيتي» بالشعر الحرِّ، فكانت تجربة رائدة في هذا المجال.

سافر إلى فرنسا عام ١٩٥٤ في بعثة دراسية.

اشتغل بالتدريس خمسة عشر عاماً ثم انتقل للعمل في وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر وظلَّ يعمل فيها.

تزوج في مصر من سيدةٍ مصرية، وحصل على الجنسية المصرية بموجب مرسوم ملكي في عام ١٩٥١.

كان يجيد اللغات: الإنجليزية والفرنسية والملاوية.

تنوَّعَ أنتاجُهُ الأدبيُّ بين الرواية - التاريخية بشكل خاص - والمسرحية الشعرية والنثرية، ومن أشهر أعماله الروائية «وا إسلاماه» و«الثائر الأحمر» و«سلامة القَسّ» أما أشهر أعماله المسرحية فهي «سرُّ الحاكم بأمر الله» و«سرُّ شهرزاد» التي ترجمت إلى الفرنسية و«مأساة أوديب» المستوحاة من «أوديب سوفوكليس» وقد ترجمت إلى الإنكليزية.

لم ينشر «باكثير» أي ديوان شعري في حياته لكنَّهُ نشر قصائدَ مُتفرِّقات في الصحف والمجلات.

ونشر له بعد وفاته ديوان «أزهار الربى في أشعار الصبا» الذي ضمَّ قصائد من أشعاره التي كتبها عندما كان يعيش في حضرموت، قبل انتقاله إلى القاهرة. ونُشر ديوانه «سحر عدن وفخر اليمن» عام ٢٠٠٨م.

توفي في مصر في ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٩، ودفن بمدافن الإمام الشافعي في مقبرة عائلة زوجته المصرية.

الْحُبُّ وَالْمَوْت[1]

نَسَفَ الـيَـأْسُ نَـفْـسِـيْ   بَـعْـدَ مَـوْتِ حَـبِـيْـبِـيْ
كُـلَّ حِـيْـنٍ لِـذِكْـرَاهُ لَـظَـىً فِـيْ جُـنُـوْبِـيْ[2]
نَـارُهَـا فِـيْ فُـؤَادِي   دَائِـمَـاً فِـيْ شُـبُـوْبِ
آهِ أَوَّاهُ يَـا رَبَّـاهُ   هَـبْ لِـيْ ذُنُـوْبِـيْ
آهِ أَوَّاهُ يَـا رَبَّـاهُ بَـرِّدْ لَـهِـيْـبِـيْ
رَبِّ فَـرِّجْ هُـمُـوْمِـيْ   رَبِّ وَاكْـشِـفْ كُـرُوبِـيْ
رَبِّ هَـبْ لِـيْ عَـزَاءً   شَـافِـيَـاً لِـلْـقُـلُـوْبِ
كَـيْ يَـكُـوْنَ ضَـمَـادَاً لِـلـثَّـأْيِ وَالـنُّـدُوْبِ[3]
رَبِّ أَنْـتَ نَـصِـيْـرِيْ رَبِّ أَنْـتَ حَـسِـيْـبِـيْ

فَلا بُدَّ مِنْ لُقْيَا وَإِنْ بَعُدَ السَّفَرْ[4]

يُذَكِّرُنِيْكِ الْبَدْرُ فِيْ غَسَقِ الدُّجَىْ
وَشَمْسُ الضُّحَىْ تُشْجِيْ فُؤَادِيَ بِالذِّكْرْ
أُصَبِّرُ عَنْكِ النَّفْسُ وَالنَّفْسُ مَا لَهَا
وَإِنْ أُعْطِيَتْ مُلْكَ الدُّنَا، عَنْكِ مُصْطَبَرْ

---

(١) هذه المختارات في رثاء زوجته «نور» من ديوان علي أحمد باكثير «سحر عدن وفخر اليمن» تحقيق: د محمد أبو بكر حميد / مكتبة كنوز المعرفة، جدة، ٢٠٠٨م.

(٢) الجُنُوْبُ: جمع جَنْب.

(٣) الثأي: الجراحات.

(٤) «سحر عدن وفخر اليمن» من قصيدة الحب والذكرى ص ٥٨.

وَلَمْ يُسْلِنِيْ إلَّا شُعُوْرِيْ بِأَنَّنِيْ
سَأَلْقَاكِ عِنْدَ اللهِ فِيْ خَيْرِ مُسْتَقَرْ
دَفَنْتُمْ حَبِيْبَ الْقَلْبِ أَوَّاهِ لَيْتَكُمْ
دَفَنْتُمْ «عَلِيّاً» بَيْنَ هَاتِيْكُمُ الْحُفَرْ[1]
لِيَهْنَكِ قَلْبٌ بَيْنَ جَنْبَيَّ ذَاكِرٌ
عُهُوْدَ هَوَاكِ فِي الْعَشَاءِ وَفِي الْبُكَرْ
حَبِيْبَةَ قَلْبِيْ لا تَخَافِيْ وَتَحْزَنِيْ
فَلا بُدَّ مِنْ لُقْيَا وَإِنْ بَعُدَ السَّفَرْ
بِحَيْثُ يَطِيْبُ الْعَيْشُ خُلْدٌ بِلا فَنَا
وَأُنْسٌ بِلا هَمٍّ وَصَفْوٌ بِلا كَدَرْ
يُظَلِّلُنَا الرِّضْوَانُ مِنْ رَبِّنَا فَلَنْ
نَرَىْ سَخَطاً مِنْهُ وَذَا مُنْتَهَى الْوَطَرْ
إِلَى الْمُلْتَقَىْ يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ وَالرِّضَا
إِلَى الْمُلْتَقَىْ يَا رَبَّةَ الطُّهْرِ وَالْخَفَرْ
عَلَيْكِ سَلامُ اللهِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَرَحْمَتُهُ مَا غَابَ نَجْمٌ وَمَا سَفَرْ

الْيَوْمَ مَأْتَمُهُ وَبِالأَمْسِ الزَّفَافُ وَمِهْرَجَانُهْ

نَبَأٌ تَلَقَّاهُ الْفُؤَادُ فَأُنْشِبَتْ فِيْهِ سِنَانُهْ
فَمَضَىْ يَنُوْءُ كَمَطْعُوْنٍ يَنُوْءُ بِهِ حِصَانُهْ

(١) عَلِيّاً: يقصد نفسه «علي أحمد باكثير»

مُـتَـمَـيِّـزٌ مِـنْ حَـسْـرَةٍ فَـيَـكَـادُ يَـلْـفُـظُـهُ لَـبَـانُـهْ[1]

آهٍ عَـلَـى ذَاكَ الْـحَـبِـيْـبِ جَـلاءُ أَبْـصَـارِيْ عِـيَـانُـهْ

مَـا كَـانَ أقْـصَـرَ عُـمْـرَهُ مَـا قَـدْ مَـضَـىْ مِـنْـهُ لُـبُـانُـهْ[2]

الْـيَـوْمَ مَـأتَـمُـهُ وَبِـالأَمْـسِ الـزَّفَـافُ وَمِـهْـرَجَـانُـهْ

الْحُبُّ وَالانْتِظَار

ألا لَيْتَ شِعْرِيْ هَلْ عَنِ الْهَمِّ مَزْحَلُ

وَهَلْ عَنْ تَبَارِيْحِ الْجَوَىْ مُتَحَوَّلُ[3]

أَيَـعْـبُـرُ عَـامٌ بَـعْـدَ آخَـرَ بِـيْ وَلَـمْ

يَزَلْ حُلُمَاً ذَاكَ الْوِصَالُ الْمُؤَمَّلُ

أَأَقْضِيْ زَمَانِيْ هَكَذَا فِي تَعَلُّلٍ

وَمَاذَا يُفِيْدُ الْمُسْتَهَامَ التَّعَلُّلُ؟

إِذَا مَا بَدَا صُبْحُ الرَّجَاءِ لِنَاظِرِيْ

تَعَرَّضَ لِيْ لَيْلٌ مِنَ الْيَأْسِ أَلْيَلُ

فَوَا رَحْمَتَا لِلصَّبِّ يَخْلُوْ بِنَفْسِهِ

إِلَىْ سَرْحَةِ الْوَادِيْ فَيَبْكِيْ وَيُعْوِلُ[4]

---

(١) اللَّبَان: بالفتحة صدر الحصان.

(٢) اللُّبان: بالضمِّ الحاجة، والمراد.

(٣) مَزْحَل: مَبْعَد، ومالي عنه مزحل، أي ما لي عنه مبعد.

(٤) السرحة شجرة واسعة الظلال، والسرحة أيضاً الفيء والظل نفسه.

تُهَيِّجُهُ الذِّكْرَىٰ وَيَخْنُقُهُ الْبُكَا
وَتَعْلُوْ حَشَاهُ بِالنَّشِيْجِ وَتَسْفِلُ
وَمِنْدِيْلُهُ فِيْ كَفِّهِ لَيْسَ بَارِحاً
تُجَفِّفُهُ الآهَاتُ وَهْوَ مُبَلَّلُ

مَرْثِيَةٌ مُعَارَة[1]

حَبِيْبِيَ مَالِيْ فِي رِثَائِكَ مِقْوَلٌ
كَأَنَّ فَمِيْ شُكَّتْ بِرُمْحٍ لَهَاتُهُ
رِثَاؤكَ فِي قَلْبِيْ يَهُدُّ أَضَالِعِيْ
وَتَدْفَعُ فِي أَحْنَائِهَا ضَرَبَاتُهُ
وَلاْ يَسْتَطِيْعُ الشِّعْرُ وَصْفاً لِهَوْلِهِ
وَتَقْصُرُ عَنْ تَصْوِيْرِهِ خَطَوَاتُهُ
عَلَى أنَّهُ الشِّعْرُ الَّذِي الشِّعْرُ دونَه
سَرَتْ فِي الْوَرَىٰ مَسْرَى الضُّحى بيِّنَاتُهُ
وَإِنَّ قَرِيْضاً أَنْتَ مَصْدَرُ وَحْيِهِ
لَتَسْجِدُ «عُزَّاهُ» لَهُ وَ«مُنَاتُهُ»
يَمِيْلُ بعِطْفِ الْكَوْنِ قَدْسِيُّ لَحْنِهِ
وَتَعْذُبُ فِي سَمْعِ الدُّنَا نَغَمَاتُهُ

---

(١) من مسرحية «همام في بلاد الأحقاف» علي أحمد باكثير طبعة مكتبة مصر القاهرة بدون تاريخ ص ١١٠ على لسان همام بطل المسرحية.

تَـقَـطَّـعُ أَعْـنَـاقُ الْـبَـلاغَـةِ دُوْنَـهُ
وَتُـزْهَـى بِـهِ بَـيْـنَ الأَنَـامِ رُوَاتُـهُ
تَـغَـصُّ بِـهِ حُـسَّـادُهُ وَهْـوَ سَـائِـغٌ
وَأَقْـتَـلُ مَـاءٍ لِـلْـحَـسُـوْدِ فُـرَاتُـهُ
وَلِكنَّهُ الْخَطْبُ الَّذِي الْخَطْبُ دُوْنَهُ
تَـلَـقَّـاهُ قَـلْـبٌ لا تَـلِـيْـنُ صِـفَـاتُـهُ
وَلَوْ غَيْرُهُ أَضْحَى بِهِ بَعْضُ ثِقْلِهِ
لَقَامَتْ عَلَيْهِ فِي الْمَسَاءِ نُعَاتُهُ
فَهَا هُوَ ذَا قَلْبِيْ كَسِيْراً مُحَطَّمَاً
تَفِيْضُ دَمَاً ثَجَّاجَةً جَنَبَاتُهُ[1]
لِمَنْ أَطْلُبُ الْعَلْيَاءَ بَعْدَكَ؟ إِنَّمَا
حَدَتْنِي إِلَيْهَا مِنْ سَنَاكَ حُدَاتُهُ
وَأَيْنَ سَبِيْلُ الْمَجْدِ بَعْدَكَ؟ إِنَّمَا
بِنُوْرِ مُحَيَّاكَ انْجَلَتْ ظُلُمَاتُهُ
فَأَنْتَ الَّذِيْ عَلَّمْتَ نَفْسِيْ رُكُوْبَهُ
وَلَـوْلاكَ مَـا ذَلَّـتْ لَـهُ صَـهَـوَاتُـهُ
وَلَقَّنْتَهَا حُبَّ الْهُدَى وَجِهَادِهِ
وَلَوْلاكَ مَا اجْتِيْزَتْ لَهَا عَقَبَاتُهُ

(١) الثجاج: المنهمر.

أَتَمْضِي وَمَا جَفَّتْ رَيَاحِيْنُ عُرْسِنَا
وَمَا بَرِحَتْ بَسَّامَةً زَهَرَاتُهُ؟
أَتَمْضِيْ وَلَمَّا يَشْفِ قَلْبِيْ أوَامَهُ
وَمَا شَقَّقَتْ أَكْمَامَهَا صَبَوَاتُهُ
سَلامٌ عَلَى قَبْرِ الْحَبِيْبِ وَرْحَمَةٌ
وَغَيْثُ رِضَىً مَا تَنْتَهِي قَطَرَاتُهُ
لَئِنْ كَانَ أُنْسِي فِي الْحَيَاةِ لِقَاؤهُ
فَأُنْسِيْ وَهَمِّي بَعْدَهُ ذِكْرَيَاتُهُ
كأَنِّيَ بِالثَّغْرِ الْجَمِيْلِ عَلَى فَمِيْ
تَرِفُّ بِهِ فِي نَشْوَةٍ قُبُلاتُهُ
كَأَنِّيَ بِالْفَرْعِ الْجَمِيْلِ بِمَنْكِبِيْ
تُدَاعِبُنِي فِي عُرْفِهَا خُصُلاتُهُ
كَأَنِّي بِيُمْنَاهُ تَجُوْلُ بِمَفْرِقِيْ
فَتَلْثُمُهَا فِي نَشْوَةٍ شَعَرَاتُهُ
لِئِنْ حَالَتِ الأَيَّامُ بَيْنِيْ وَبَيْنَهُ
وقُدِّرَ لِلشَّمْلِ الْجَمِيْعِ شَتَاتُهُ
فَفِيْ جَنَّةِ الْمَأْوَى غَدَاً سَوْفَ نَلْتَقِيْ
بِفَضْلِ كَرِيْمٍ لا تُحَدُّ هِبَاتُهُ
وَإِنَّ عَزَاءَ الْقَلْبِ إِيْمَانُهُ بِهِ
وَقَدْ فَارَقَتْهُ فِي الْحَيَاةِ حَيَاتُهُ

عَزِيْز أَبَاظَة

(١٣١٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٩٨ - ١٩٧٣ م)

وُلِدَ عزيز أباظة في «منيا القمح» في محافظة الشرقية. شاعر مصري يُعدُّ رائداً للحركة المسرحية الشعرية إلى جانب أحمد شوقي، درس القانون وتخرج من كلية الحقوق بالقاهرة عام ١٩٢٣، ثم التحق بالحكومة وشغل عدة مناصب فيها فعمل مساعداً للنيابة فوكيلاً للنيابة في مديرية الغربية.

فاز بعضوية مجلس النواب عام ١٩٢٩، ثم عاد بعدها ليتولَّى عدَّةَ مناصب إدارية منها وكيلاً لمديرية البحيرة، ومديراً للقليوبية ثم مديراً للفيوم ثم مديراً للبحيرة، ثم عُين محافظاً لبورسعيد وحاكماً عسكرياً عام ١٩٤٢، ومنها مديراً لأسيوط.

نال رتبة «الباشوية» أثناء خدمته في أسيوط، ثم عُيِّنَ عُضواً في مجلس الشيوخ عام ١٩٤٧.

أُختير عضواً بمجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٥٩ ورئيساً للجنة الشِّعْر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب كما عُيِّنَ عُضواً بالمجمع العلمي العراقي. نشر ديوان «أنات حائرة» عام ١٩٤٣ في رثاء زوجته «زينب أباظة» وهي ابنة عمِّهِ وكان قد تزوَّجَها بعد قصَّةِ حبٍّ بدأت منذ الطفولة «كان حباً بريئاً نَبَتَ في قلبيهما وهما يلعبان معاً في حديقة منزل أبيها عند شجرة الياسمين التي شهدت على هذا الحبِّ الذي كبر معهما ثم توَّجهُ زواجٌ كان من أسعد الزيجات. رزقا

بفردوس، ثم عفاف، ثم أخي محمد. كانت حياتنا في ذلك الوقت عبارة عن حبٍّ وفنٍّ وشعرٍ.. كانت أمي مثالاً للحنان والعطف والعطاء رعت أولادها بحبٍ غامرٍ وبحزمٍ رحيمٍ وأغدقت عليهم مشاعرها وأعطتهم من صحتها ووقتها ما لا يخطر على بالٍ.. كان قلبها يتسع للناس جميعاً تستمع إلى شكواهم وتهبُّ إلى مساعدتهم وتبذل ما في وسعها لإسعادهم.

كان أبي إلى جانب حبه المتدفِّق لها يقدِّرها ويحترمها ويستأنس برأيها. ولما فَقدَها وفقَدَ معها حبَّهُ الكبير لجأ إلى الشِّعْر كمتنفَّس لما يلاقيه من شجنٍ وما يكابده من حزنٍ[1]»

نشر أباظة عشر مسرحيات شعرية هي:

«قيس ولبنى» و«العباسة» و «الناصر» و«شجرة الدر» و«غروب الأندلس» و«شهريار» و«أوراق الخريف» و«قيصر» و«زهرة» وهي آخر مسرحياته.

حصل عزيز أباظة على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٦٥.

توفي في ١٠ تموز / يوليو ١٩٧٣.

عهد؟[2]

تَـرَكْـتِ دُنَـا الآلامِ وَالـشَّـرِ فَـانْـعَـمِـيْ
وَفُزْتِ بِقُرْبِ اللهِ نَاهِيْكِ عَنْ قُرْبِ

(١) عفاف أباظة «زوجة أبي امرأة من الزمن الجميل» دار المعارف القاهرة ٢٠٠٥.

(٢) ديوان «أنّاتٌ حائرة» عزيز أباظة تقديم الدكتور طه حسين الطبعة الأولى دار المعارف ١٩٤٣ ص١٧.

وَأُقْسِمُ قَدْ أَدَّيْتِ الْفَضْلَ حَقَّهُ
وَلِلأَهْلِ وَالأَبْنَاءِ وَالزَّوْجِ وَالرَّبِّ
سَأَلْقَاكِ لَمْ يُشْغَلْ فَرَاغُ تَرَكْتِهِ
بِبَيْتِيْ وَلَمْ يُمْلأْ مَكَانُكِ مِنْ قَلْبِيْ

الزِّيَارة الأولى[1]

أَإِنْ بَعُدَ الأَحْبَابُ أَعْرَضْتَ عَنْهُمُ
كَمَا أَعْرَضُوا، أَمْ زَائِرٌ فَمُسَلِّمُ؟!
دَعَانِيْ لَهَا الشَّوْقُ الدَّخِيْلُ وَهَزَّنِيْ
إِلَى الْمَضْجَعِ الأَسْنَى حَنِيْنٌ مُكَتَّمُ
أَفَضْتُ لَهَا حَتَّى إِذَا جِئْتُ شَفَّنِيْ
تَهَيُّبُ، أَوَّاهِ، يَهُمُّ وَيُحْجِمُ
فَلاَ أَنَا أَسْطِيْعُ الْقُفُوْلَ فَأَنْثَنِيْ
وَلاَ أَنَا أَسْطِيْعُ الْمُثُوْلَ فَأَقْدِمُ
وَلَمَّا كَفَفْتُ الدَّمْعَ إِلَّا أَقَلَّهُ
وَنَهْنَهْتُ فِيْ جَنْبَيَّ نَاراً تُضَرَّمُ
دَخَلْتُ عَلَيْهَا فِيْ وُضُوئِيْ وَرَوْعَتِيْ
كَمَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ الْمُحَرَّمَ مُحْرِمُ

(١) «أنّاتٌ حائرة» ص ٢٨.

فَـوَالـلـهِ مَـا آنَـسْـتُ إِلّاْ تَـأَلُّـقَـاً

ولا اسْتَفْتُ إلا ذَاكِيَاً يُتَنَسَّم[1]

وَقَفْتُ، يَقُصُّ الدَّهْرُ تَأْرِيْخَ غَابِرٍ

مِنَ الْعُمْرِ، وَالْعُمْرُ ابْتِسَامٌ وَأَنْعُمُ

تَـمُـرُّ لَـيَـاْلِـي الـذِّكْـرَيَـاْتِ كَـرِيْـمَـةً

كَمَاْ مَرَّ بِالْمَمْطُوْلِ طَيْفٌ مُسَلِّمُ

تَمَثَّلْتُها مَنْضُوْرَةَ الْحُسْنِ طِفْلَةً

يُضِيءُ الدُّجَىْ مِنْهَاْ جَبِيْنٌ وَمَبْسَمُ

وَطَـاْوِيَـةً عَـهْـدَ الـدِّرَاْسَـةِ كَـاْعِـبَـاً

تَـرُوْعُـكَ فِـيْـهَـاْ نَـضْـرَةٌ تُـتَـوَسَّـمُ

وَمَـجْـلُـوَّةً لِـلَـعُـرْسِ وَضَّـاْءَةَ الـسَّـنَـاْ

تَـأَوَّدُ فِـيْ وَشْـيِ الـشَّـبَـاْبِ وَتَـنْـعَـمُ

وَجَاْمِعَةً فِيْ بَيْتِهَا شَمْلَ بَيْتِهَا

تَوَسَّطُهُمْ كَالْبَدْرِ حَفَّتْهُ أَنْجُمُ

فَـمَـحْـمَـوْلَـةً مِـنْـهُ إِلَـىْ سَـاْحِ مُـنَـعَّـمِ

يُثِيْبُ وَيَعْفُوْ عَنْ كَثِيْرٍ وَيَرْحَمُ

وَقَفْتُ أُنَاْدِيْهَاْ وَأَهْتُفُ بِاسْمِهَاْ

وَأُلْحِفُ، حَتَّىْ أَوْشَكَتْ تَتَكَلَّمُ

---

(١) استفتُ: شممتُ، وذاكياً ساطع النور.

وَقُلْتَ لَهَاْ: «يَاْ زَيْنُ» مَاْ مِنْ فَجِيْعَةٍ
تَـعَـاْظِـمُـنِـيْ إِلَّاْ وَفَـقْـدُكِ أَعْـظَـمُ
فَـأَنْـتِ لِـعَـيْـنِـيْ مُـذْ تَـرَاْءَتْـكِ قُـرَّةٌ
وَأَنْـتِ لِـنَـفْـسِـيْ مُـذْ تَـمَـلَّـتْـكِ تَـوْأَمُ
وَحبَّبَ فِيْكِ النَّفْسَ عُلْيَاْ خَلاْئِقٍ
إِذَاْ لَـمْ تَـحْـبِّـبْـهَـا الـوَشَـاْئِـجُ وَالـدَّمُ
سَـأُكْـرِمُ أَكْـبَـاْداً تَـرَكْـتِ فَـإِنْ أَمُـتْ
فَـإِنَّ إِلَـهَ الـنَّـاْسِ بِـالـنَّـاْسِ أَكْـرَمُ
عَـلَـيْـكِ سَـلاْمُ الـلـهِ «يَـاْ أُمَّ وَاْثِـقٍ»
وَوَالَاْكِ مِنْ جَدْوَاْهُ هتَّاْنُ يَثْجُمُ[1]
سَيَبْكِيْكِ، لاْ يَفْنَى دُمُوْعاً وَلاْ دَمَاً
مَدَى الْعُمْرِ، مَكْلُوْمُ الْجَوَاْرِحِ أَيِّمُ[2]

قَدْ ذُقْتُ بِعْدَكِ يُتْماً[3]

أَقُوْلُ وَالْقَلْبُ فِيْ أَضْلاعِهِ شَرَقٌ
بِالدَّمْعِ: لاْ عُدْتَ لِيْ يَا يَوْمَ مِيْلادِيْ
نَزَلْتَ بِيْ وَدَخِيْلُ الْحُزْنِ يَعْصِفُ بِيْ
وَفَـادِحُ الْـبَـثِّ مَـا يَـنْـفَـكُّ مُـعْـتَـادِيْ

---

(١) يثجمُ: يهطل.
(٢) الأيِّمُ: الأرمل، من فقد زوجته.
(٣) «أنات حائرة» قصيدة «يوم ميلادي» ص ١٨.

وَكُنْتَ تَحْمِلُ لِيْ وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ

أُنْسَاً يَفِيْضُ عَلَىْ زَوْجِيْ وَأَوْلادِيْ

فَانْظُرْ تَرَ الدَّارَ قَدْ هِيْضَتْ جَوَانِبُهَا

وَانْظُرْ تَجِدْ أَهْلَهَا أَشْبَاحَ أَجْسَادِ

فَقَدْتُهَا خَلَّةً لِلنَّفْسِ كَافِيَةً

تَكَادُ تُغْنِيْ غِنَاءَ الْمَاءِ وَالزَّادِ[1]

وَمَوْئِلاً أَجِدُ الأَمْنَ الْكَرِيْمَ بِهِ

إِذَا تَعَاوَرَنِيْ بِالْبَغْيِ حُسَّادِيْ

تَحْنُوْ عَلَيَّ وَتَرْعَانِيْ وَتَبْسِطُ لِيْ

فِيْ غَمْرَةِ الرَّأْيِ رَأْيَ النَّاصِحِ الْهَادِيْ

مَالَ الزَّمَانُ بِنَا لَمَّا أُحِيْطَ بِهَا

فِيْ سَاعَةٍ لا غِنَىً يُغْنِيْ وَلا فَادِيْ

وَكُلُّ عُمْرٍ فَمَصْرُوْفٌ إِلَى أَجَلٍ

وَكُلُّ أُنْسٍ فَمَرْدُوْدٌ لِمِيْعَادِ

وَكُلُّ مَنْ حَمَلَتْهُ الأَرْضُ بَالِغَةٌ

بِهِ مَثَاوِيَ آبَاءٍ وَأَجْدَادِيْ

وَيْحَ ابْنِ حَوَّاءَ وَالدُّنْيَا تُسَاوِرُهُ

بِالشَّرِّ مِنْ طَامِعٍ بِالْعُمْرِ مُزْدَادِ

---

(١) خَلَّةً: حاجة.

أَمَا دَرَىٰ وَهْوَ هَاوٍ فِيْ مَبَاذِلِهِ
وَسَادِرٌ فِيْ هَوَاهُ أَنَّهُ رَادِ؟
مَا فُسْحَةُ الْعَيْشِ إلا لَمْحَةٌ عَرَضَتْ
ثُمَّ انْطَوَتْ بَيْنَ آمَادٍ وَآبَادِ
يَا أُخْتَ ذِي الرَّوْنَقِ الْمَوْشِيِّ مِنْ عُمُرِيْ
وعِدْلَ نَفْسِيْ مِنَ الدُّنْيَا وَأَوْلادِيْ
قَدْ ذُقْتُ بِعْدَكِ يُتْماً حَزَّ فِيْ كَبِدِيْ
وَذَاقَهُ فِيْ رَبِيْعِ الْعُمْرِ أَكْبَادِيْ
كُنَّا عَلَىٰ أَيْكَةِ الدُّنْيَا وَرَفْرَفِهَا
نَخْتَالُ فِيْ نَشْوَةٍ مِنْهَا وَإِسْعَادِ
وَالدَّارُ حَالِيَةٌ تَزْهُو بِرَبَّتِهَا
كَمَا ازْدَهَىٰ بِالنَّمِيْرِ السَّلْسَلُ الْوَادِيْ
تَضُمَّنَا بِجَنَاحَيْ رَحْمَةٍ وَهُدَىٰ
كَالطَّيْرِ تَخْشَىٰ عَلَىٰ أَفْرَاخِهَا الْعَادِيْ
مُنَىً تَرَاءَتْ فَلَمَّا نِلْتُهَا انْقَشَعَتْ
وَخَلَّفَتْنِيْ لِبَرْحٍ رَائِحٍ غَادِيْ

* * *

قَدْ كُنْتَ فِيْمَا مَضَىٰ عِيْداً فَمُذْ ذَهَبَتْ
أَصْبَحْتُ أَشْقَىٰ بِأَيَّامِيْ وَأَعْيَادِيْ
كَأَنَّ مَا غَاضَ مِنْ نَعْمَائِنَا نَغَمٌ
مَا كَادَ يَفْرَغُ مِنْ تَجْوِيْدِهَا الشَّادِيْ

لَوْ قَدْ عَلِمْتَ بِمَا نَبَّهْتَ مِنْ شَجَنٍ
لَجِئْتَ تَبْكِيْ دَمَاً يَا يَوْمَ مِيْلادِيْ

٣ اغسطس سنة ١٩٤٢

ذِكْرَيَات[1]

يُذَكِّرنِيْكِ كُلُّ جَلِيْلِ أَمْرٍ ... وَكُلُّ يَسِيْرِهِ فَتَذُوْبُ نَفْسِيْ
إِذَا سَكَبَ الصَّبَاحُ فَأَنْتِ هَمِّيْ ... وَإِنْ وَقَبَ الْمَسَاءُ فَأَنْتِ أُنْسِيْ[2]
جَمَعْتِ عَلَى الْهَوَىٰ طَرَفَيْ نَهَارِيْ ... كَأَنِّيْ لَمْ أُرَعْ بِنَوَاكِ أَمْسِيْ
رَعَاكِ اللهُ مَا فَارَقْتِ رُوْحِيْ ... وَإِنْ فَارَقْتِ بَعْضَ الْوَقْتِ حِسِّيْ
أَرَاكِ كَمَا رَأَيْتُكِ حِيْنَ كُنَّا ... عَلَى حَرَمِ الصِّبَا نُضْحِيْ وَنُمْسِيْ
نَذُوْقَ رَحِيْقَهُ طِفْلَيْنَ شَبَّا ... عَلَى وَدٍّ وَخَالِصَةٍ وَقُدْسٍ
هُنَاكَ عَلَى مَلاعِبَ ضَاحِكَاتٍ ... وِسَامٍ لَمْ يُرَعْنَ بِيَوْمِ وَكْسٍ[3]
بِشَطِّيْ عَنْبَرِيِّ الْمَاءِ يَحْنُوْ ... عَلَى وَادِيْهِ فِيْ حَدْبٍ وَهَمْسٍ
جَرَىٰ بَيْنَ الْحُقُوْلِ رَسُوْلَ رِفْهٍ ... وَمَسَّ زُرُوْعَهِنَّ أَبَرَّ مَسٍّ
يُبَاكِرَ أَيْنَ سَالَ وَحَيْثُ أَفْضَىٰ ... بِمَوْشِيِّ النَّضَارَةِ كُلَّ غَرْسٍ
ذَكَرْتُ الْقَصْرَ ذَا الأَبْهَاءِ تَعْلُوْ ... قَوَاعِدُهُ عَلَىٰ كَرَمٍ وَتُرْسِيْ
يَرِفُّ رَفَاغَةً وَسَنَىً وَبِشْراً ... كَمَا رَفَّتْ عَرُوْسٌ يَوْمَ عُرْسٍ[4]

---

(١) «أنات حائرة» ص ٤٢ والقصيدة مكونة من سبعة مقاطع هنا ثلاثة منها.
(٢) وَقَبَ: دخل.
(٣) الوكس: المكروه.
(٤) الرفاغة: الرغد وسعة العيش والخصب.

وَيَمْرَحُ أَهْلُهُ فِيْ ظِلِّ سَرْوٍ وَشَمْلٍ غَيْرِ مُنْشَعِبٍ وَأُنْسِ

فَمَا زَالَتْ صُرُوْفُ الدَّهْرِ تَجْرِيْ بِمَكْرُوْهٍ مِنَ الأَقْدَارِ نَحْسِ

فَمَالُوا كَالنُّجُوْمِ الزُّهْرِ خَمْسَاً وَمَا كَانُوا وَحَقِّكِ غَيْرَ خَمْسِ[1]

حَمَلْتِ مَصِيْرَهُمْ فَضَنِيْتِ حُزْنَاً فَرُحْتِ شَهِيْدَةً تَفْدِيْكِ نَفْسِيْ

رَأَيْتُ «الرُّبْعُمَايَةَ» وَهْيَ تَبْكِيْ مَصَارِعَ خُرَّدٍ مِنْهَا وَشُمْسِ[2]

فَلَمْ أَرَهَا كَيَوْمِكِ قَدْ دَهَاهَا أَسَىً صَدَعَ النُّفُوْسَ عَنِ التَّأَسِّيْ

٢

تُذَكِّرِنِيْكِ أَشْيَاءٌ أَرَاهَا فَيَنْشَطِرُ الْفُؤَادُ لَهَا انْشِطَارَا

إِذَا قُمْنَا لِمَائِدَةٍ مَسَاءً وَإِنْ قُمْنَا لِمَائِدَةٍ صَبَاحَاً

يُطَالِعُنَا مَكَانُكِ وَهْوَ خَالٍ فَتَبْتَدِرُ الدُّمُوْعُ لَهُ ابْتِدَارَا

نُحِيْطُ بِهِ فَنُوْسِعُهُ حَنِيْنَاً وَتَقْدِيْسَاً لِذِكْرِكِ وَادِّكَارَا

نَرَىْ بِصِحَافِكِ الْجَدَّ الْعِثَارَا وَفِي كُرْسِيِّكِ الأَمَلَ الْقِفَارَا[3]

وَمَا يَفْرَيْ فُؤَادَ أَبٍ حَزِيْنٍ كَأَطْفَالٍ لَهُ نُكِبُوْا صِغَارَا[4]

نَأَتْ كَالشَّمْسِ أُمُّهُمُ فَأَمْسَوْا وَإِنْ كُنْتُ الْحَفِيَّ بِهِمْ حَيَارَىْ

وَكَانُوا فِيْ فَمِ الدُّنْيَا ابْتِسَامَا فَأَضْحَوا أَدْمُعَاً فِيْهَا غِزَارَا

تُذَكِّرَنِيْكِ وَعْكَتُهُمْ فَأُمْسِيْ أُعَانِيْ لَوْعَةً وَأَذُوْقُ نَارَا

---

(١) يشيرُ إلى إخوة زوجته الخمسة.

(٢) الربعماية: قرية الشاعر في محافظة الشرقيه بمصر، وشمس جمع شمس.

(٣) الصحاف: الصحون والاواني.

(٤) يفرى: يتحيَّر ويدهش.

أَذُوْبُ عَلَى فِرَاشِهِمُ اللَّيَالِيْ وَأَطْوِيْهَا طِوَالاً أَوْ قِصَارَا

وَلَوْ أَسْكَنْتُهُمْ حَبَّاتِ قَلْبِيْ لَمَا هَدَأُوا وَلا طَعِمُوا قَرَارَا

فَلاَ يُغْنِيْهُمُ «يَا زَيْنُ» عَطْفِيْ وَلَوْ قَدْ سَالَ مِنْ كَبِدِيْ وَمَارَا

حُنُوُّ الأُمَّهَاتِ حُنُوُّ طَبْعٍ وَتَضْحِيَةٍ فَكَيْفَ إِذَنْ يُجَارَى؟

٣

تَذَكِّرُنِيْكِ أَحْدَاثُ اللَّيَالِيْ فَإِنَّكِ كُنْتِ لِيْ مِنْهَا مَجَنَّا

إِذَا نَزَلَتْ أَشَارَ إِلَيْكِ قَلْبِيْ وَأَجْهَشَ فِيْ أَضَالِعِهِ وَحَنَّا

فَدَيْتُكِ مَنْ أُطَالِعُهُ بِهَمِّيْ؟ وَمَنْ أَشْكُوْ لَهَ بَثّاً وَحُزْنَاً؟

وَمَنْ أُفْضِيْ لَهُ بِحَدِيْثِ نَفْسِيْ وَنَجْوَاهَا إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّا

وَمَنْ فِيْ أُذْنِهِ يَا «زَيْنُ» هَمْسِيْ إِذَا عَمٌّ جَفَا وَأَخٌ تَجَنَّى؟

فَقَدْتُكِ زَوْجَةً وَأَخاً وَأُخْتَاً وَأُمّاً بَرَّةً وَأَبَاً وَخِدْنَاً

وَنَاصِحَةً تَزُفُّ الرَّأْيَ فَصْلاً إِذَا مَا أَوْجُهُ الرَّأْيِ اصْطَرَعْنَا

وَحَافِزَةً لِكُلِّ عَظِيْمِ أَمْرٍ وَهَادِيَةً خُطَايَ إِذَا ضَلَلْنَا

وَكُنْتِ عَلِيْمَةً بِقَلْيِلِ نَقْصِيْ سَوَاءٌ مَا اسْتَبَانَ وَمَا اسْتَجَنَّا[1]

عَرَضْتِ لَهُ بِتَهْذِيْبٍ وَئِيْدٍ وَمَنْ يَهْمِمْ بِإِصْلاحٍ تَأَنَّى

وَكُنْتِ إِذَا جَهِلْتُ بَذَلْتِ حِلْمَاً فَعُدْتُ إِلَيْكِ مُعْتَذِراً مُعَنَّى

وَكُنْتِ إِذَا حَرِجْتُ وَضَاقَ صَدْرِيْ سَكَبْتِ عَلَيْهِ أُنْسَكِ فَاطْمَأَنَّا

سَتَفْنَى ذِكْرِيَاتُ الْخَلْقِ عِنْدِيْ وَذِكْرُكِ فِي الْجَوَانِحِ لَيْسَ يَفْنَى

---

(١) استجنَّ: تخفى.

لَيْلَةٌ وَ.. لَيْلَة[1]

يَا لَيْلَةً جَمَعتْنَا بَعْدَ طُوْلِ نَوَىً
ذِكْرَاكِ هَاجَتْ لَنَا الأَشْجَانَ أَلْوَانَا
ذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنْ عُرْسٍ جَلَوْتِ بِهِ
عَلَيَّ أَكْرَمَ خَلْقِ اللهِ إِنْسَانَا
بَيْضَاءُ هَيْفَاءُ تَحْكِي الصُّبْحَ مُؤْتَلِقَاً
وَالرَّوْضَ مُتَّسِقَاً، وَالْبَانَ رَيَّانَا
بِتْنَا تُضِيءُ ظَلاَمَ اللَيْلِ بَسْمَتُنَا
وَتَسْتَثِيْرُ شُجُوْنَ اللَيْلِ نَجْوَانَا
قَالَتْ وَقُلْتُ، فَلَمْ تَفْرَغْ مَقَالَتُنَا
إِلَى الصَّبَاحِ، وَلَمْ تَهْدَأْ شَكَاوَانَا
وَحَوْلَنَا اللَيْلُ يَطْوِيْ فِيْ غَلاَئِلِهِ
وَتَحْتَ أَعْطَافِهِ نَشْوَىْ وَنشْوَانَا
فَمَا رَأَىْ قَبْلَنَا إِلْفَيْنِ قَدْ فَنِيَا
وَجْدَاً، وَذَابَا تَبَارِيْحَاً وَتَحْنَانَا
نَكَادُ مِنْ بَهْجَةِ اللُقْيَا وَرَوْعَتِهَا
نَرَى الدُّنَا أَيْكَةً، وَالدَّهْرَ بُسْتَانَا
وَنَحْسَبُ الْكَوْنَ عُشَّ اثْنَيْنِ يَجْمَعُنَا
وَالْمَاءَ صَهْبَاءَ، وَالأَنْسَامَ أَلْحَانَا

---

(١) «أنّات حائرة» ص ١٠٠ .

وَالْـعُـمْـرَ وَصْـلاً، وَآمَـالاً مُـذَلَّـلَـةً

وَالْـغَـيْـبَ مُـؤْتَـلِـقَ الآفَـاقِ مُـزْدَانَـا

لَـمْ نَـعْـتَـنِـقْ وُذهُـوْلُ الْـعُـرْسِ يَـغْـمُـرُنَـا

وَكَـمْ تَـعَـانَـقَ رُوْحَـانَـا وَقَـلْـبَـانَـا

ثُـمَّ انْـثَـنَـيْـنَـا وَمَـا زَالَ الْـغَـلِـيْـلُ لَـظَـىً

وَالْـوَجْـدُ مُـحْـتَـدِمـاً، وَالـشَّـوْقُ ظَـمْـآنَـا

* * *

يَـا لَـيْـلَـةً شَـبَّـتِ الـذِّكْـرَىْ بِـعَـوْدَتِـهَـا

فِيْ دَوْرَةِ الْعَامِ، مَاذَا هِجْتِ لِيْ الآنَا!؟

قَدْ كُنْتِ فِيْ مَا مَضَىْ أُنْسَاً نَطِيْبُ بِهِ

نَفْسَاً، فَأَمْسَيْتِ أَوْصَاباً وَأَشْجَانَا

أَضْنَيْتِ أَسْوَانَ مَا تَرْقَى مَدَامِعُهُ

وَهِجْتِ فَوْقَ حَشَايَا السُّهْدِ حَيْرَانَا[1]

يَبِيْتُ يُوْدِعُ سَمْعَ الْلَيْلِ عَاطِفَةً

ضَاقَ النَّهَارُ بِهَا سِتْرَاً وَكِتْمَانَا

وَيُرْسِلُ الشَّجْوَ فِيْ سِرِّ الدُّجَىْ حُرَقَاً

لَوِ الدُّجَىْ قُدَّ مِنْ صَخْرٍ إِذَاً لاَنَا

وَأَدْمُعَاً مِنْ حَنَايَا الْقَلْبِ سَاكِبَةً

قَدْ يَدْمَعُ الْقَلْبُ دُوْنَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا!

---

(١) أسوان: حزين، وحشايا جمع حشية وهي الفراش الوسادة.

أَشْكُوْ إِلَى اللهِ يَأْسَاً مَا أُطِيْقَ لَهُ

حَمْلاً وَبَثَّاً وَأَحْزَانَاً وَحِرْمَانَا

وَأَنَّهُ عَزَّ فِي عُلْيَا مَشَارِفِهِ

حَيْنَ ابْتَلَى لَمْ يَهِبْ صَبْرَاً وَإِذْعَانَا

أَشْكُوْ إِلَيْهِ وَفَاءً قَرَّ فِيْ كَبِدِيْ

وَخَالَطَ الدَّمَ شِرْيَانَاً فَشِرْيَانَا

فَإِنْ جَنَحْتُ إِلَى السُّلْوَانِ أَوْسَعَنِيْ

عَتْبَاً وَضَمَّ إِلَى النِّيْرَانِ نِيْرَانَا

يَا مَنْ تَعَاهَدْنَا وِدَّاً وَخَالِصَةً

وَزَادَنَا بَعْدُ إِيْثَارَاً وَإِحْسَانَا

وَمَنْ تَوَافَتْ لَنَا الدُّنْيَا بِنُضْرَتِهَا

فِيْ ظِلِّهِ فَإِذَا الْفِرْدَوْسُ دُنْيَانَا

وَمَنْ سَعِدْنَا عَلَىْ مَوْشِيٍّ رَفْرَفِهِ

بِالْعَيْشِ طَلْقَاً وَبِالإِقْبَالِ فَيْنَانَا[1]

الْمُوْنِقُ الْخَضِلُ الْجَذْلانُ مَلْعَبُنَا

وَالضَّاحِكُ الْمُشْرِقُ الْمَأْنُوْسُ مَغْدَانَا

أَثَابَكِ اللهُ مِنْ مُنْهَلٍّ رَحْمَتِهِ

عَنَّا وَجَازَاكِ غُفْرَانَا وَرِضْوَانَا

ظَلَمْتِ وِدِّيَ مَا أَنْصَفْتُ بِرُّكِ بِيْ

لَوْ قَدْ وَقَفْتُ عَلَيْكِ الْعُمْرَ شُكْرَانَا

---

(١) الرفرفه: البِسَاط والمجلس.

فَلَمْ أَبِتْ مِنْكِ مَطْوِيَاً عَلَى غَضَبٍ
وَلَمْ أَبِتْ قَلِقَ الْجَنْبَيْنِ غَيْرَانَا
وَلاْ تَمَنَّيْتُ إِلَّاْ أَنْ تُسَاْءِلُنِيْ
فِيْكِ الدُّنَاْ يَاْ أَحَبَّ النَّاْسِ إِنْسَانَا
قَدْ كُنْتُ حَسْبِيْ مِنْهَاْ لَوْ سَلَمْتِ لَنَاْ
وَزَاْلَتِ الأَرْضُ بُلْدَانَاْ وَقُطَّانَا

الْمَشْهَدُ الأَخِيْر[1]

دَفَعَتْ صَدْرَهَا إِلَيَّ وَأَلْقَتْ رَأْسَهَا عِنْدَ مَوْجِعٍ ذِيْ خُفُوْقِ
ثُمَّ قَالَتْ فِيْ أَنَّةٍ وَأَنَاةٍ: أَزِفَتْ سَاعَةُ الْفِرَاقِ السَّحِيْقِ
لا تَرَعْ وَاحْمِلِ الْفَجِيْعَةَ جَلْدَاً لَسْتَ لِلْضَعْفِ دُوْنَها بِخَلِيْقِ
وَأَشَارَتْ لِطِفْلَةٍ تَشْهَدُ الْهَوْلَ بِقَلْبٍ دَامٍ وَجَفْنٍ غَرِيْقِ
قَالَتِ إِرْعَ الأَوْلادَ وَابْقَ كَمَا كُنْتَ مِثَالَ الأَبِ الْمُحِبِّ الرَّفِيْقِ
وَمَضَتْ تَنْزَعُ الْحَيَاةَ وَتُلْقِيْ فِيْ زَفِيْرٍ أَعْبَاءَهَا وَشَهِيْقِ
فِيْ سَنَاً لامِحٍ وَعَرْفٍ ذَكِيٍّ وَإِبْتِسَامٍ عَذْبٍ وَوَجْهٍ طَلِيْقِ
لَوْ تَرَاهَا تَقُوْلُ : قَدْ مَسَّهَا الْبَهْرُ فَآوَتْ إِلَى سُبَاتٍ عَمِيْقِ
وَوَقَفْنَا مُرَوَّعِيْنَ نُجِيْلُ الطَّرْفَ بَيْنَ التَّكْذِيْبِ وَالتَّصْدِيْقِ
ثُمَّ عُدْنَا لِلْحَقِّ عَاْنِيْنَ صَرْعَىْ مِنْ مُفِيْقٍ يَهْذِيْ وَغَيْرِ مُفِيْقِ

---

(١) «أنَّات حائرة» مقطع من قصيدة «وحي الغروب» ص ٣٩.

عَبْدُ الرَّحْمَن صِدْقِي

(١٣١٤ - ١٣٩٢ هـ = ١٨٩٦ - ١٩٧٣م)

وُلِدَ عبد الرَّحمن صدقي في المنصورة «شمالي مصر» وانتقل مع أبيه إلى القاهرة طفلاً وتعلَّمَ في مدارسها، وعاش وتوفي بها.

عمل في وزارة المعارف مشرفاً على دار الأوبرا، وَعُيِّن وكيلاً فمديراً لها، مدَّةَ عشرين سنة. وكان من أعضاء مجلس الفنون مما أتاح له السفر في بعثات فنية إلى بلاد كثيرة.

ينتمي عبد الرحمن صدقي إلى جيل الرَّعيل الأول الذي غذّى نفسه بالثقافة الرفيعة وتفاعل معها بمجهوده الشخصي بعيداً عن الأجواء الأكاديمية، فشقَّ طريقه بنفسه حتى وصل إلى مراتب مرموقة في عالم الأدب أمثال: عبَّاس محمود العقاد وإسماعيل مظهر وسلامة موسى وغيرهم ممَّن عاصرهم.

تأثر، في بداياته، بالقصائد والمقطوعات الشعرية في كتاب ألف ليلة وليلة، كما تأثر بابن الرومي والمتنبي، ونصحه المازني بقراءة الشريف الرضي، ومختارات من الشِّعْر العربي الذي جمع فيه البارودي مختارات من الشِّعْر العربي ضمن أغراضه المعروفة.

لم يكن صدقي قد أصدر ديواناً شعرياً، حتى اختطف الموت زوجته و«شريكة درسه» كما كان يسميها «ماري كانيلا» وهي ايطالية الجنسية مصرية المولد ولديها ثقافة جيدة وتجيد اللغات الفرنسية والانكليزية والايطالية وشيئاً من العربية وكانت تساعد زوجها في أبحاثه ودراساته

التي كان يحتاج فيها إلى اللغة الأخرى، يُقرُّ صدقي بأن فجيعته تلك بموت زوجته «ماري» وكان قد تجاوز سنَّ الأربعين، قد فجَّرتْ شاعريته ليكتبَ في رثائها ديواناً كاملاً، أسماه «من وحي المرأة»

وقد تصدرت الديوان بطبعته الأولى عن دار المعارف صورة شخصية لزوجته وتحتها كتب بيتين:

لَقَدْ كُنْتِ يَوْمَاً آيَةَ الْخَالِقِ الْبَارِيْ
وَكَوْنَاً عَظِيْمَاً مِنْ شُعُوْرٍ وَأَفْكَارِ
فَأَمْسَيْتِ مَنْعَىْ فِيْ صَحِيْفَةِ أَخْبَارِ
وَبِضْعَةَ أَشْعَارٍ وَصُوْرَةَ تِذْكَارِ

وتكثر المقارنات الأكاديمية بين ديوان «وحي المرأة ١٩٤٥» لعبد الرحمن صدقي وديوان «أنات حائرة ١٩٤٣» لعزيز أباظة في كونهما يمثلان أول ديوانين مخصَّصين لرثاء المرأة في الشِّعْر العربي بعد عصر النهضة.

كما صدرت لعبد الرحمن صدقي كتب أخرى من بينها «بودلير، الشاعر الرجيم» و «أزهار الشر» و«أبو نواس» و«ألحان الحان» و«الشرق والإسلام في أدب جوته» و«طاغور والمسرح الهندي» و«ألوان من الحب» وأصدر كذلك ديوان شعري بعنوان «حواء والشاعر» وهو لزوجته الإيطالية الثانية.

الأَنَّةُ الأَوْلَىْ[1]

كَانَ لِيْ فِيْ أُخْرَيَاْتِ الْعُمْرِ بَيْتٌ فَعَدِمْتُهْ
سَنَوَاْتٌ أَرْبَعٌ؟ أَمْ كَاْنَ ذَاْ حُلْمَاً حَلَمْتُهْ؟!

(١) «من وحي المرأة» عبد الرحمن صدقي ص ١٧.

لِـيْـتَـهُ طَـاْلَ، وَلَـوْ طَـاْلَ، لَـمَـاْ كُـنْـتُ سِـئِـمْـتُـه
زَوْجَتِيْ صِنْوِيْ، وَمَاْ لِيْ غَـيْـرُهَـاْ صِـنـوٌ عِـلِـمْـتُـه
هِـيَ لَـمْ تَـنْـقَـمْ عَـلَـىْ نَـقْـصِـيْ، وَلاْ شَـيءَ نَـقِـمْـتُـه
هَـمُّـهَـا هَـمِّـيْ، فَـلاْ تَـعْـزِمُ إلّاْ مَـا عَـزِمْـتُـه
هَـمُّـنـا الـدَّرْسُ، وَمَـا تَـفْـهَـمُـهُ مِـنْـهُ فَـهِـمْـتُـه
نَـظَـمَـتْ بِـالْـعَـطْـفِ والـتَّـفْـكِـيْـرِ عَـيْـشِـيْ وَنَـظَـمْـتُـه
وَارْتَـضَـيْـنَـاْ مِـنْ لِـقَـانَـاْ عِـوَضَـاً عَـمَّـا حُـرِمْـتُـه
بُـرْهَـةً، وَأنْـتَـبَـهَ الـدَّهْـرُ، فَـعَـفَّـىْ مَـاْ رَسَـمْـتُـه
أتَـرُى الـرِّضْـوَاْنَ ذَنْـبَـاً أثِـمَـتْـهُ وأثِـمْـتُـه؟
أحَـرَاْمٌ أنْ سَـعِـدْنَـاْ؟ أمْ خَـبَـاْلٌ مَـاْ زَعَـمْـتُـه؟
كُـلُّ مَـاْ أعْـرِفُ أنِّـيْ كَـاْنَ لِـيْ بَـيْـتٌ عَـدِمْـتُـه!

خَيَالُكِ فِي التَّابُوْتِ[1]

مَمَاتُكِ فِي الرَّيْعَانِ أَصْمَىْ مَقَاتِلِيْ
وَفَقْدِيْكِ مِنْ عَيْشِيْ مُثِيْرٌ مَشَاكِلِيْ
وَكُنْتِ الْغِنَىْ مِنْ مُشْكِلٍ بَعْدَ مُشْكِلٍ
وَعُـقْـدَاتِ نَـفْـسٍ تَـسْـتَـدِيْـمُ قَـلاقِـلِيْ
مَشَاكِلُ شَتَّىْ: حَاجَةُ النَّفْسِ لِلْهَوَىْ
وَحَـاجَـةُ ذِيْ حِـسٍّ وَحَـاجَـةُ عَـاقِـلِ

(١) «من وحي المرأة» قصيدة «بعد أيام» ص ٢٩.

جَمَعْتِ لِيَ الدُّنْيا، فَأَغْنَيْتِ مُعْدَمِيْ

وَأَمْتَعْتِ مَحْرُوْمِيْ، وَزَيَّنْتِ عَاطِلِيْ

* * *

أَدُوْرُ بِعَيْنِيْ كَالشَّرِيْدِ بَلا هُدَىً

وَلا مَنْزِلٍ مِثْلِ الْهَوَىْ وَالْمَنَازِلِ

وَمَا مَنْزِلِيْ إلا الَّذِيْ أَنْتِ مِلْؤُهُ

وَمَا مِنْ هَوَىً إلاّكِ بَيْنَ الْعَقَائِلِ

رَأَيْتُ الْغَوَانِيْ وَهْيَ لَهْوٌ وَمَظْهَرٌ

وَأَنْتِ مِزَاجٌ مِنْ جَمِيْلٍ وَكَامِلِ

وَرِقَّةِ إِحْسَاسٍ وَعِفَّةِ نَظْرَةٍ

وَلَفْظٍ وَتَفْكِيْرٍ وَحَفْلِ فَضَائِلِ

تَعَزَّيْتُ لَوْ أَنِّيْ كَغَيْرِيْ مِنَ الْوَرَىْ

وَأَنَّكِ أُنْثَىْ كَالنِّسَاءِ الْحَوَامِلِ

وَلَكِنَّنِيْ، نَفْساً وَحِسّاً، مُعَقَّدٌ

وَأَنَّكِ طَبٌّ لِلنُّفُوْسِ الْعَلائِلِ

أَقُوْلُ لِدَهْرِيْ فِيْمَ فِيْمَ حَرَمْتَنِيْ

وَكُلُّ عَزَائِيْ كَانَ فِيْهَا وَنَائِلِيْ؟

أُسَائِلُهُ فِيْ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

وَلَنْ يَنْتَهِيْ مَهْمَا حَيِيْتُ تَسَاؤُلِيْ

* * *

أَرَانِـيْ مَـعَ الأَيَّـامِ تَـزْدَادُ لَـوْعَـتِـيْ

وَعَهْدِيْ بِهَا لِلْنَّقْصِ فِيْ قَوْلِ قَائِلِ

وَيُـوْحِـشُـنِـيْ أَنِّـيْ وَحِـيْـدٌ وَأَنَّـنِـيْ

مَعَ النَّاسِ أَبْغِي الأُنْسَ فِيْ غَيْرِ طَائِلِ

يُـزَلْـزِلُـنِـيْ هَـمِّـيْ فَـأَخْـرُجُ هَـائِـمَـاً

أُسَكِّنُ فِيْ رَحْبِ الْفَضَاءِ زَلازِلِيْ

فَـأَذْهَـلُ أَنْ أَلْـقَـى الـسَّـمَـاءَ وَضِـيْـئَـةً

تَـشِـعُّ عَـلَـى الآفَـاقِ بَـسْـمَـةَ آمِـلِ

وَأَنْ تَكْتَسِي الأَشْجَارُ أَنْضَرَ خُضْرَةٍ

وَيَرْقُصَ مَوْجُ النِّيْلِ رَقْصَةَ جَاذِلِ

بِـنَـا تَـسْـخَـرُ الأَقْـدَارُ: مَـوْتٌ وَأَدْمُـعٌ

وَثَـمَّـةَ أَنْـوَارٌ وَزَهْـرُ خَـمَـائِـلِ؟!

* * *

خَيَالُكِ فِي التَّابُوْتِ غَيْرُ مُفَارِقِيْ

يُطَالِعُنِيْ فِيْ وَحْدَتِيْ وَالْمَحَافِلِ

لَمَحْتُكِ فِيْهِ لَمْحَةً ثَلَجَتْ دَمِيْ

وَأَوْدَتْ بِأَعْصَابِيْ وَهَدَّتْ مَفَاصِلِيْ

لَقَدْ كُنْتُ أَذْرِي الدَّمْعَ مِنْ قَبْلِ هَوْلِهَا

كَـمَـا شَـاءَ حُـبِّـيْ وَابِـلاً بَـعْـدَ وَابِـلِ

فَـأَجْـمَـدَ عَـيْـنِـي أَنْ رَأَيْـتُـكِ جُـثَّـةً

وَجِسْمُكِ مَعْرُوْقُ الذُّرَى وَالأَسَافِلِ

وَوَجْهُكِ شَمْعٌ ذُو شُحُوبٍ وَصُفْرَةٍ

كَرَسْمٍ عَتِيْقٍ فِي التَّصَاوِيْرِ حَائِلِ

وَشَعْرُكِ غِرْبِيْبٌ، وَهُدْبُكِ أَسْوَدٌ

كَذَيْلِ غُدَافٍ حَالِكِ الرِّيْشِ ذَائِلِ[1]

وَمَا عِشْتُ لا أَنْسَى جَبِيْنَكِ عَالِياً

قَوِيّاً عَلَى رَغْمِ الرَّدَىْ غَيْرَ نَاكِلِ

كَأَنَّ الرَّدَىْ قَدْ هَابَ مَا فِيْ وِطَابِهِ

مِنَ الْعِلْمِ عَصْرِيّاً وَعِلْمَ الأَوَائِلِ[2]

ظَلَلْتُ نَهَارِيْ جَامِدَ الْعَيْنِ نَاقِمَاً

عَلَىْ قَدَرٍ جَارٍ عَلَى النَّاسِ نَازِلِ

إِلَىْ أَنْ دَعَتْنِي الذِّكْرَيَاتُ وَغُلِّبَتْ

عَلَىْ قَلْبِ زَوْجٍ ذَاكِرٍ غَيْرِ غَافِلِ

فَأَذْكُرُ زَوْجِيْ كَيْفَ كَانَتْ إِلَىْ مَدَىً

قَرِيْبٍ وَمَا اخْتَصَّتْ بِهِ مِنْ شَمَائِلِ

فَأَسْمَعُ دَمْعِيْ هَامِراً بَعْدَ حَبْسَةٍ

تَفَجُّرَ مُزْنٍ حَافِلٍ هَاطِلِ

فَكَمْ حِرْتُ فِيْ شَأْنِ الْحَيَاةِ وَصَرْفِهَا

وَكَمْ حِرْتُ في شَأْنِ الْمَنُوْنِ الْمُعَاجِلِ

---

(١) الغداف: الغراب الأسود، ويقال للشعرالأسود: غداف.

(٢) وطابه: صُفرته، ويال للإنسان إذا مات : صفرت وطابه، ويعنون بذلك خروج الدم من الجسد.

وَتَبْلُغُ مِنْ فِعْلِ الْمَقَادِيْرِ حَيْرَتِيْ

فَأَضْحَكُ كَالْمَفْجُوْءِ مِنْ فِعْلِ هَازِلِ

هُنَا كَانَ إِنْسَانَانِ : شَطْرٌ وَصُنْوُهُ

سَعِيْدَانِ فِيْ فَيْضٍ مِنَ الْعَطْفِ شَامِلِ

فَفِيْمَ انْصِدَاعُ الشَّمْلِ شَطْراً عَلَى الثَّرَى

وَآخَرَ مِنْ تَحْتِ الثَّرَىْ وَالْجَنَادِلِ

لَقَدْ كَانَ لِيْ فِي الْحُبِّ مَحْياً مُضَاعَفٌ

وَحُبُّكِ بَعْدَ الْبَيْنِ لا شَكَّ قَاتِلِيْ

طريقي

طَرِيْقِيْ إِلَىْ بَيْتِيْ، نَعِمْتَ طَرِيْقِيْ

إِلَىْ خَيْرِ مَحْبُوْبٍ وَخَيْرِ رَفِيْقِ

طَرِيْقِيْ إِلَىْ دُنْيَا غَرَامٍ وَنَشْوَةٍ

وَفِرْدَوْسِ أَرْضٍ، نَاضِرٍ وَأَنِيْقِ

وَهَيْكَلِ تَفْكِيْرِيْ، وَقُدْسِ عِبَادَتِيْ

وَآيَةِ تَوْفِيْقِيْ، وَكَنْزِ حُقُوْقِيْ

تقلَّبتَ فِيْ عَيْنِيْ كَرِيْهَاً مُعبِّسَاً

وَكُنْتَ تَلْقَّانِيْ بِوَجْهٍ طَلِيْقِ

شُجَيْرَاتُكَ اللَّفَّاءُ تُقْعِيْ كَأَنَّهَا

أَفَاعٍ عَلَىْ أَذْنَابِهَا بِمَضِيْقِ

نَهَارُكَ مُغْبَرٌّ، وَشَمْسُكَ سَمْجَةٌ

كَأَنَّ شُرُوْقاً فِيْكَ غَيْرُ شُرُوْقِ[1]

وَجَوُّكَ خَنَّاقٌ أَبِيْتُ لِثِقْلِهِ

بِأَنْفَاسِ مَضْغُوْطِ الضُّلُوْعِ خَنِيْقِ

كَذَا أَنْتَ مُذْ جَازَتْ سَرَاْتَكَ فِي الضُّحَىْ

جِنَاْزَةُ زَوْجِيْ، زَوْجَتِيْ وَصَدِيْقِيْ

تَسِيْرُ وَئِيْدَاً لِلتُّرَاْبِ، وَخَلْفَهَا

أَنَا الأَرْمَلُ الْبَاْكِيْ أجرِّرُ سُوْقِيْ[2]

طَرِيْقِيْ، لَقَدْ جَاْزَتْكَ أَيَّاْمُ أُنْسِنَاْ

بِخَطْوٍ لَهَاْ حُلْوِ الأَنَاْةِ رَشِيْقِ

فَمَاْ لَكَ، قَدْ مَرَّتْ حَمِيْلاً بِنَعْشِهَا

عَلَيْكَ فَمَاْ زُلْزِلْتَ غَيْرَ مُطِيْقِ

طَرِيْقِيْ، وَمَاْ زِلْتَ الطَّرِيْقَ، وَإِنَّمَاْ

إِلَىْ وَحْدَتِيْ مِنْ بَعْدِهَاْ وَحَرِيْقِيْ

إِلَى الْبَيْتِ مَبْنَاْهُ، وَأَمَّاْ صَمِيْمُهُ

فَكَالْقَبْرِ مَكْشُوْفَاً وَغَيْرَ سَحِيْقِ

طَرِيْقِيْ، طَرِيْقِيْ، كُلُّ دُوْرِكَ ظُلْمَةٌ

بِغَيْرِ بَرِيْقٍ، وَهْيَ ذَاْتِ بَرِيْقِ

---

(١) سمجة: قبيحة.

(٢) سوقي: سيقاني.

إِذَا سِرْتُ فِيْكَ الْيَوْمَ سِرْتُ كَأَنَّنِيْ
جِنَازَتُهَا نَحْوَ الْحِمَامِ طُرُوْقِيْ
قَطَعْتَ فَأَوْصِلْ شَائِقاً بِمَشُوْقِ
وإِلَّاْ ، فَتَعْساً لِيْ، وَتَعْسَ طَرِيْقِيْ

الورد الأحمر[1]

هُوَ الْوَرْدُ، لاْ يَجْلُو النَّوَاْظِرَ كَالْوَرْدِ
لَهُ حُمْرَةُ الْقَاْنِيْ مِنَ الدَّمِ فِي الْخَدِّ
أُطَاْلِعُ مِنْهُ كُلَّ حَمْرَاْءَ غَضَّةٍ
تَرِفُّ بِمَاْ ضَمَّتْ مِنَ الْمَاءِ وَالْوَقْدِ
فَتَضْحَكُ لَي الدُّنْيَاْ وَيُسْفِرُ نُوْرُهَا
وَيَنْجَاْبُ عَنْهَا كُلُّ أدْجَنَ مُرْبَدٍّ[2]
وَيَسْكَرُ حِسِّيْ بِالصَّبَاْبَةِ وَالصِّبا
وَأَسْتَافُ حَوْلِيْ مِثْلَ رَاْئِحَةِ الْخُلْدِ
كَذَلِكَ كَانَ الْوَرْدُ وَالْوَرْدُ لَمْ يَزَلْ
عَلَىْ عَهْدِهِ مَاْ حَاْلَ وَرْدٌ عَنِ الْعَهْدِ
فَيَاْ تَعْسَ نَفْسِي الْيَوْمَ مَاْ بَاْلُهَاْ انْطَوَتْ
عَلَىْ سَلْوَةٍ عَنْهُ وَبَاْتَتْ عَلَىْ زُهْدِ

(١) «من وحي المرأة» ص ١٨٦.
(٢) الأدجن الغائم، والمربد: المسود.

تُجَانِبُهُ عَيْنَيْ، فَمَا امْتَدَّ لَحْظُهَا
إِلَىٰ بَاقَةٍ إِلَّا أَشَاحَتْهُ عَنْ قَصْدِ
أَوَسِّعُ مِنْ حِمْلَاقِهَا وَهْوَ مُغْرَقٌ
أُغَيِّضُ فِيْهِ الدَّمْعَ مُنْفَرِطَ العِقْدِ[1]
وَأَنْجُوْ كَأَنَّ الْوَرْدَ أَلْسِنَةُ اللَّظَىٰ
وَبِيْ مِثْلُ مَسِّ النَّارِ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ
هُوَ الْوَرْدُ، إلا أَنَّهُ الْيَوْمَ بَاقَتِيْ
إِلَىٰ حُبِّيَ الْغَالِي الْمُغَيَّبُ فِي اللَّحْدِ
إِلَىٰ زَوْجَتِيْ بِالْحِسِّ وَالرُّوْحِ وَالْحِجَا
وَصِنْوِيَ مِنْ دُوْنِ النِّسَاءِ وَمُعْتَدِّيْ
أَحُجُّ إِلَيْهَا أَحْمِلُ الْوَرْدَ زَاهِيَاً
كَمَا كُنْتُ أَغْشَىٰ دَارَهَا خَاطِبَ الْوِدِّ
وَسِيَّانِ فِي الْحَالَيْنِ وَرْدٌ وَبَاقَةٌ
وَلَكِنَّ هَوْلَ الْخَطْبِ فِي الْخَاطِبِ الْمُهْدِيْ
فَيَا بُعدَ بَيْنَ الْخَاطِبَيْنِ: مُؤَمِّلٌ
سَعِيْدٌ وَمَشْؤُوْمُ الْهَوَىٰ عَاثِرُ الْجِدِّ
وَإِنِّيْ لأَسْعَىٰ كُلَّ حِيْنٍ لِقَبْرِهَا
عَلَىٰ قَدَمِيْ رَسْفَ الْمُكبَّلِ فِي الْقَيْدِ[2]

---

(١) حملاق العين: باطن الجفن.

(٢) رسف المكبل: مسي المقيَّد.

أشُقُّ عَلَىْ نَفسِيْ كَمَاْ هَاْنَ حُسْنُهَاْ
وَبَاْتَ رَهِيْنَ التُّرْبِ وَالْحَجَرِ الصَّلْدِ

وَأُكْرِمُهَا أنْ أَطْرُقَ الْقَبْرَ رَاْكِباً
وَإِنْ كُنْتُ مَهْدُوْدَ الْقِوَىْ قَاْصِرَ الْجُهْدِ

وَآبى عَلَى الأَهْلِيْنَ حَمْلَ تَحيَّتِيْ
فَأَحْمِلُ طُوْلَ الدَّرْبِ بَاْقتَهَا وَحْدِيْ

إذَاْ اسْتَشْرَفَتْ عَيْنِي الْمَقَاْبرَ ثَاْرَ بِيْ
حَنِيْنٌ فَحَثْحَثْتُ الْخُطَاْ طَاْئِرَ الْوَخْدِ(١)

وَأَجْهَشُ كَالْمُشْتَاقِ حَاْنَ لِقَاْؤهُ
لِمَنْ ذَاْقَ فِيْ أَحْضَاْنِهَاْ كجَنَى الشَّهْدِ

وَأُفْضِيْ إِلَى الْمَثْوَىْ أَضُمُّ رُخَاْمَهُ
وَأُوْسِعُهُ لَثْمَاً كَمُسْتَقْدِحِ الزَّنْدِ

فَيَلْقَىْ رُخَاْمُ الْقَبْرِ ضَمِّيَ جَاْفِيَاً
صَلِيْباً، وَيُجْزِيْ حَرَّ لَثْمِيَ بَالْبَرْدِ

وَأَنْظُرُ لِلْوَرْدِ الْجَنِيِّ نَشَرْتُهُ
هُنَاْ كَدَمِ الْقُرْبَاْنِ فِي الْمَعْبَدِ العِدِّ(٢)

فَأَرْجُوَ لَوْ انَّ الرَّمْزَ كَاْنَ حَقِيْقَةً
وَأنِّيَ قُرْبَاْنُ الْحَبِيْبَةِ لَوْ يُجْدِيْ

---

(١) الوخد: سعة الخطو وسرعته.

(٢) العدّ: القديم.

وَأَلْمَسُ مَعْنَى الْوَرْدِ يُهْدَىٰ احْمِرَارُهُ
لِمَعْرُوْقَةِ الأَجَلاْدِ شَاْحِبَةِ الْجِلْدِ
فَأَبْكِيْ لَهَاْ مَنْزُوْفَةً جَفَّ عُوْدُهَا
وَمَاْ كَاْنَ أَجْرَى الْمَاْءُ فِيْ عُوْدِهَا الْمَلْدِ[1]
وَأَبْكِيْ لِوَرْدٍ كَاْنَ فِي الْخَدِّ وَالْلَمَىْ
وَقَدْ كَانَ أَنْدَى الْوَرْدِ طُرّاً عَلَىْ كِبْدِيْ
تَمُرُّ بِيَ السَّاْعَاْتُ مَاْ إِنْ أَحِسُّهَا
فَهَذَا الْحِمَى أَلْغَى الزَّمَاْنَ عَلى الْحَدِّ
أُطِيْلُ مُقَاْمِيْ عَاْزِبَ الرُّشْدِ ذَاْهِلاً
فَإِنْ غَرَبَتْ شَمْسُ الضَّحَىْ ثَاْبَ لِيْ رُشْدِيْ[2]
فَأَمْضِيْ وَشَمْسُ الْغَرْبِ حَمْرَاءُ وَرْدَةٌ
وَقَدْ نَفَضَتْ فَوْقَ الْمَقَاْبِرِ كَالْوَرْدِ

الرباط الأسود[3]

قَدْ غَبَرَ الْعَامُ وَمَا يُحْمَدُ وَحَلَّ عَامٌ مِثْلُهُ أَرْبَدُ[4]
دُنْيَايَ مِنْ بَعْدِكِ يَا زَوْجَتِيْ آنَسُ مِنْهَا قَبْرُكِ الْمُوْصَدُ
وَكُلُّ أَيَّامِيْ مَشْؤُوْمَةٌ وَلَوْ طَغَى اللَّهْوُ بِهَا وَالدَّدُ[5]

(١) الملد: الشاب واللين.
(٢) عازب الرشد: غائب التفكير والعقل. وثاب: عاد.
(٣) مجلة الرسالة العدد ٦٧٠ السنة الرابعة عشرة.
(٤) اربد: أسود ومعتم.
(٥) الدَّدُ: اللعب والمرح.

نِضْوُ أسىً، فِيْ عُنُقِيْ رَبْطَةٌ   سَوْدَاءُ كَابٍ لَوْنُهَا أَكْمَدُ
يَرْنُوْ إِلَيْهَا صَاحِبِيْ مُنْكِراً   وَقَدْ تَوَلَّى الْعَامُ أَوْ أَزْيَدُ
يَسْأَلُنِيْ مِنْ رَحْمَةٍ لَحْظُهُ   أَمَا أَنَىْ لِخَلْعِهَا الْمَوْعِدُ؟
يَا لَوْعَتَا مِنْ خَاطِرٍ مُزْعِجٍ   يَهْتَاجُ أَشْجَانِيْ وَيَسْتَوْقِدُ
يَرُوْعُ نَفْسِيْ، وَكَأَنِّيْ بِهِ   يَرُوْعُ مَنْ تَحْتِ الثَّرَىْ تَرْقُدُ
كَأَنَّنِيْ أَجْحَدُ عَهْدَ الْهَوَىْ   وَعَهْدُنَا الْمَوْثُوْقُ لا يُجْحَدُ
يَا مُهْجَتِيْ قَرِّيْ، وَيَا رُوْحَهَا   قَرِّي، فَمَا انْحَلَّ لَنَا مَعْقَدُ
لَمَّا نَزَلْ عِرْسَيْن نَمْشِيْ مَعاً   تَشَابَكَتْ مِنِّي وَمِنْكِ الْيَدُ[1]
أَسْرِي وتَسْرِيْنَ عَلَى بَرْزَخٍ   يَتَّصِلُ الْيَوْمُ بِهِ وَالْغَدُ
يَرْبُطُ رُوْحَيْنَا بِرَغْمِ الرَّدَىْ   هَذَا الرِّبَاطُ الثَّاكِلُ الأَسْوَدُ

(١) عِرس: زوج.

عَبْدُ الْعَظِيْم قَنَاوِي

(١٣١٨ - ١٣٩٢ هـ = ١٩٠٠ - ١٩٧٢ م)

عبد العظيم علي مُحمَّد قَنَاوي. شاعرٌ مصريٌّ ولد في قرية بني هاني التابعة لمدينة أهناسيا «محافظة بني سويف»، وتوفي في القاهرة. عاش في مصر وسورية والسودان.

حفظ القرآن في كُتّاب القرية قبل أن يلتحق بالمدرسة الابتدائية في مسقط رأسه «١٩٠٩» وقصد الأزهر «١٩٢٠» ولم يكمل دراسته به، فالتحق بمدرسة دار العلوم العليا «١٩٢١» لينال شهادتها «١٩٢٦».

عمل معلماً في بعض مدارس أسيوط، وشارك بوضع مناهج اللغة العربية وتأليف الكتب الدراسية وتبسيط علوم العربية»[1].

عَلَيْكِ سلامُ الله

عَـلَـيْـكِ سَـلامُ الـلـهِ يَـا آيَـةَ الْـعَـصْـرِ
فَقَدْ كُنْتِ رَمْزَ النُّبلِ وَالْفَضْلِ وَالطُّهْرِ

عَلَيْكِ سَلامُ اللهِ يَا خَيْرَ مَنْ سَعَتْ
إِلَى اللهِ فِيْ زهْوِ النَّضِيْرِ مِنَ الْعُمْرِ

عَـلَـيْـكَ سَـلامُ الـلـهِ مَـا ذَرَّ شَـارِقٌ
وَمَـا نَـارَتِ الآفَـاقُ بَـالأَنْـجُـمِ الزُّهْـرِ

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

لَقَدْ أَوْهَنَ الْخَطْبُ الْجَسِيْمُ عَزِيْمَتِيْ
وَقَوَّضَ مِنْ حِلْمِيْ، وَبَدَّدَ مِنْ صَبْرِيْ

وَحَطَّمَنِيْ الْحِدْثَانِ لَحْماً وَأَعْظُماً
فَمَا أَنَا إلا الطَّيْفُ فِي الْمهْمَهِ الْقَفْرِ

أبِيْتُ أُنَاجِي الْبُؤْسَ وَالْيَأْسَ وَالْجَوَىْ
أُسَائِلُهُمْ أَيْنَ الطَّرِيْقُ إِلَىْ قَبْرِيْ؟

فَلاْ كُنْتَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ مُقَدَّراً
فَإِنَّكَ مَشْؤُوْمُ الطَّلِيْعَةِ وَالْفَجْرِ

أَتَيْتَ فَمَزَّقْتَ الْقُلُوْبَ حَوَانِيَاً
وَأَخْرَبْتَ بَيْتَاً كَانَ يَعْمَرُ بِالبِشْرِ

أَتَيْتَ لِتَغْتَالَ الْفَقِيْدَةَ بَعْدَمَا
حَسِبْنَا الشِّفَا يَسْعَىْ حَثِيْثاً إِلَى السَّحْرِ

تَقُوْلُ لَنَا: شَاءَ الرَّحِيْمُ سَلامَتِيْ
لأُوْفِيْ بِمَا أَهْدَيْتُ للهِ مِنْ نَذْرِ

فَكَانَ الَّذِيْ ظَنَّتْ سَرَاباً مُخَادِعَاً
وَحُمَّ الْقَضَاءُ الْحَقُّ فِيْ سَاعَةِ الصِّفْرِ

«أَزَيْنَبُ» يَا امَّ الأَعِزَّةِ نَظْرَةً
فَأَبْنَاؤُكِ الشُّمُّ الْمَيَامِيْنُ فِيْ بُهْرِ

يَبِيْتُوْنَ يَحْكُوْنَ الثَّكَالَىْ فَوَاجِعَاً
كَأَنَّ مَآقِيْهُمْ فُصُوْصٌ مِنَ الْجَمْرِ

وَيَبْدُوْنَ وَالرُّزْءُ الْفَجُوْعُ يَؤُدُّهُمْ
غُصُوْنَاً تَهَاوَىْ بِالذُّبُوْلِ وَبِالْهَصْرِ[1]

وَأَصْغَرُهُمْ يَبْكِيْ وَيَنْدُبُ مُعْوِلاً:
أَجُوْدُ لأُمِّيْ بِالْبَقِيَّةِ مِنْ عُمْرِيْ

وَإِمَّا يَرَوْنِيْ يُظْهِرُوا لِيْ تَجَلُّدَاً
وَصَبْرَاً وَإِنَّ الْحُزْنَ فِيْ دَمِهِمْ يَسْرِيْ

يَقُوْلُوْنَ لِيْ: لاْ تَبْكِ حَسْبُكَ إِنَّهُ
سَبِيْلُ الْبَرَايَا فَادَّخِرْ أَوْفَرَ الأَجْرِ

عَهِدْنَاكَ ثَبْتَاً فِي الْمُلِمَّات مُؤْمِنَاً
تُلاقِي ابْتِلاءَ اللهِ مُسْتَوْثِقَ الصَّدْرِ

وَإِنَّكَ ذُوْ تَقْوَىْ وَصَبْرٍ وَدَعْوَةٍ
إِلَى اللهِ بِالتَّسْلِيْمِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ

وَإِنَّكَ تَهْدِيْنَا إِلَى الرُّشْدِ وَالرِّضَا
فَمَا بَالُ هَذَا الرُّزْءِ هَاضَكَ مِنْ وَقْرِ؟

فَقُلْتُ: وَهَلْ أَنْكَرْتُ حَقَّاً لِخَالِقِيْ
أَلَسْتُ بِرَاضٍ بِالْقَضَاءِ وَبِالْقَدْرِ؟

ثَلاثُوْنَ عَامَاً قَدْ مَضَيْنَ وَخَمْسَةٌ
حَظِيْتُ بِهَا بِالْخُلْقِ وَالْحُسْنِ وَالْبِرِّ

---

(١) هصرت الغصن: كسرته.

ثَلاثُونَ عَامَاً لاْ تَشْكَّى وَخَمْسَةٌ
تُقَاسِمُنِي الأَعْبَاءَ فِي الْحُلْوِ وَالْمُرِّ
فَيَا قَبْرُ صُنْ خَيْرَ الْوَدِائِعِ، إِنَّهَا
تُرَاثِيَ مِنْ رَبِّي وَذُخْرِيْ مَدَى الدَّهْرِ
وَكُنْ رَوْضَةً غَنَّاءَ يَهْمِيْ سَحَابُهَا
فَيَنْسِجُ أَفْوَافَاً عَلَيْهَا مِنَ الزَّهْرِ
وَضُمَّ أَيَا رَبِّيْ جَنَاحَيْ مَحَبَّةٍ
عَلَى ذَلِكَ الْجُثْمَانِ فِيْ رَوْضَةِ الْقَبْرِ
وَنَوِّرْ ضَرِيْحَاً ضَمَّ أَنْضَرَ طَاقَةٍ
مِنَ الْحُسْنِ وَالإِحْسَانِ وَالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ
وَكُنْ بِيْ رَحِيْمَاً لا تَكِلْنِي لِزَلَّتِيْ
فَرُزْئِيَ يَا رَبِّيْ أَجَلُّ مِنَ الصَّبْرِ

كَمَال خَلِيْل

(١٣٤٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٩٢٧ - ١٩٧٣ م)

مُحمَّد كمال الدين أمين خليل. شاعرٌ مصري وُلِدَ في قرية سحيم «التابعة لمدينة السنطة - محافظة الغربية - مصر» وتوفي في مدينة طنطا «عاصمة محافظة الغربية».

عاش في مصر وليبيا.

حصل على تعليمه في المرحلة الإلزامية بقريته ثمَّ التحق بالتعليم الأزهري، وحصل على الشهادتين الابتدائية والثانوية من معهد طنطا الأزهري.

انتقل إلى القاهرة، فالتحق بكلية دار العلوم جامعة فؤاد الأول وتخرَّج فيها «١٩٥٢».

عمل مدرساً في مدينة بورسعيد،كان عضواً بجماعة الإخوان المسلمين في آخريات حياته بعد أن كان مناصراً للنهج الجمهوري[١].

ذِكْرَىْ حَيَاةٌ لَمْ تُعَمِّرْ
إلى زوجتي في ذكراها

«نَوَالُ» قَرِيْنَتِيْ أَنْتِ الْـمَنَالُ وَهَلْ يَنْسَاكِ فِي الدُّنْيَا «كَمَالُ»

جَمَالُكِ لَيْسَ يُشْبِهُهُ جَمَالٌ فَمَا لَكَ فِي النِّسَاءِ هُنَا مِثَالُ

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»

خَيَالُكِ لاَ يَغِيْبُ أَمَامَ عَيْنِيْ وَلَوْلا الصَّبْرِ دَاهَمَنِي الْخَبَالُ

وَصُوْرَتُنَا «بِبَنِغَازِيْ» أَمَامِيْ تُحِيْطُ بِهَا الْمَهَابَةُ وَالْجَلالُ

بِهَا ذِكْرَىْ حَيَاةٌ لَمْ تُعَمِّرْ طَوِيْلاً طَابَ لِيْ فِيْهَا الْوِصَالُ

بِهَا سِتٌّ مِنَ السَّنَوَاتِ مَرَّتْ سَرِيْعَاً ثُمَّ حَلَّ بِنَا الْوَبَالُ

بِهَا أَجَلٌ تَرَبَّصَ بَعْدَ سِتٍّ وَمَا لِلْمَرْءِ مِنْ أَجَلٍ مُحَالُ

بِهَا عَطْفٌ بِهَا وِدٌّ وَحُبٌّ بِهَا أَمَلٌ بَنَاهُ لَنَا الْخَيَالُ

بِهَا دَمْعِيْ عَلَى الْخَدَّيْنِ يَجْرِيْ إِذَا ذُكِرَ النِّسَاءُ أو الْحِجَالُ

تَرَكْتِ «كَمَالَ» فِي الدُّنْيَا وَحِيْدَاً تُـؤَرِّقُـهُ بِـدُنْـيَـاهِ الْـعِـيَـالُ

لَقَدْ عِفْتُ النِّسَاءَ وَلَسْتُ أَدْرِيْ سُئِلْتُ لِمَا؟ وَأَعْيَانِي السُّؤَالُ

عَلَى الذِّكْرَىْ سَأَحْيَا طُوْلَ عُمْرِيْ أَخَافُ مَتَاعِبَاً فِيْهَا الْجِدَالُ

مِنَ الزَّوْجِ الْجَدِيْدَةِ لِلْعِيَالِ وَيَكْثُرُ مِنْهُمُ عَنْهَا الْمَقَالُ

سَأَصْبِرُ دَائِمَاً صَبْرِيْ دَوَائِيْ أَصَمَّ الأُذْنِ عَمَّا قَدْ يُقَالُ

عُبَيْد مَدَنِيّ

(١٣٣٥ - ١٣٩٦ هـ = ١٩١٦ - ١٩٧٦ م)

عبيد بن عبد الله بن حمزة المدني، شاعرٌ سعودي وُلِدَ في المدينة المنورة، وتوفي في القاهرة، ودفن في المدينة المنورة.

عاش في المملكة العربية السعودية ومصر وزار أوروبا وأمريكا.

التحق بالمدرسة الفيصلية في العهد الهاشمي، فحاز شهادتها الابتدائية، ثم درس في المسجد النبوي على يد مُحمَّد الطيب الأنصاري فنال الشهادة العالمية التقليدية.

تقلَّد وظائف حكومية عدَّة منها: مدير أوقاف المدينة.

له ديوان: «المدنيات في ثلاثة أجزاء» ومجموعة من المؤلفات الأخرى منها: «تاريخ المدينة المنورة في خمسة مجلدات» و«تاريخ مساجد المدينة المنورة» و«تاريخ المسجد النبويّ»[١].

ذِكْرَىٰ

لاْ تَحْسَبِيْ أَنِّيْ سَلَوْتُ هَوَاكِ ... لَمَّا تَجَاوَزَتِ السُّنُوْنَ نَوَاكِ

مِنْ أَيْنَ لِلسُّلْوَانِ يَطْرُقُ وَهْمُهُ ... قَلْبِيْ وَقَلْبِيْ لَمْ يُحِبَّ سِوَاكِ؟

لَمْ يَنْفَتِحْ إلا لِحُبِّكِ وَحْدَهُ ... يَوْمَاً وَلَمْ يَسْكُنْ بِهِ إلاَّكِ

أَوَ يَسْتَطِيْعُ الْمَوْتُ يَصْدَعُ وَحْدَةً ... عَقَدَتْ أَوَاصِرَهَا يَدُ «الإمْلاك»

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

إنَّ الرَّدَىٰ أَوْدَىٰ بِكُلِّ سَعَادَتِيْ وَطَوَىٰ سَلامَ النَّفْسِ يَوْمَ طَوَاكِ

فَلَفَفْتُ آمَالِيْ وَعِفْتُ هَنَاءَتِيْ وَدَرَجْتُ حَظِّيْ فِي عَبِيْرِ ثَرَاكِ

مَا لِيْ وَللدُّنْيَا وَمَا زَخرَتْ بِهِ مَا دُمْتُ أَنْعَمُ فِي هَوَىٰ ذِكْرَاكِ

أَحْيَا مَعَ الْمَاضِيْ السَّعِيْدِ وَأَلْتَقِيْ بِكِ فِيْهِ بَيْنَ مَسَابِحِ الأَفْلاكِ

أُفْضِيْ إِلَيْكِ بِمَا تَجِيْشُ بِبَثِّهِ نَفْسِيْ وَأَسْمَعُ عِنْدَهُ نَجْوَاكِ

وَأَعِيْشُ مَعْكِ كَأَنَّنَا لَمْ نَفْتَرِقْ يَوْمَاً وَلَمْ يَشْكُ الْفَجِيْعَةَ شَاكِيْ

وَإِذَا تَوَحَّدَتِ الْقُلُوْبُ عَلَى الْهَوَىٰ خَلَدَتْ رَوَابُطُهَا مَعَ الأَمْلاكِ

يَا «أَمَّ عَدْنَانٍ» كَفَانِيْ أَنَّنِيْ لَمْ أَنْسَ ذِكْرَانَا مَعَاً وَكَفَاكِ

أَنِيْسُ الْمَقْدِسِي

(١٣٠٣ - ١٣٩٨ هـ = ١٨٨٥ - ١٩٧٧ م)

أنيس إلياس الخوري سابا إلياس نصَّار نعمة المقدسي. وُلِدَ في طرابلس «الشام» وتوفي في بيروت. عاش في لبنان، ومصر، والولايات المتحدة الأمريكية، وإسبانيا، وإيران، والمملكة العربية السعودية، والعراق.

تلقَّى دراسته الابتدائية في طرابلس، وتابع دراسته في مدرسة سوق الغرب لمدة سنة واحدة، ثم انتقل إلى مدرسة الفنون في مدينة صيدا، وتابع دراسته الثانوية في الكلية الإنجيلية السورية، في بيروت، ثم حصل على بكالوريوس العلوم، ونال درجة الماجستير من الكلية عينها عام ١٩٠٨.

بدأ نظم الشِّعْر عام ١٩٠٠ وكان «جبر ضومط» من بين الموجهين له في هذه المرحلة.

أنشأ إبان دراسته في الكلية الإنجيلية السورية مجلة طلابية باسم «المنتهون».

قام بالتدريس في الجامعة الأمريكية في بيروت عقب حصوله على الماجستير، وكان رئيس الدائرة العربية في هذه الجامعة لمدة ربع قرن، كان عضواً بالمجمع اللغوي بالقاهرة، وعضواً مراسلاً بالمجمع العلمي بدمشق.

من أعماله «تحقيق ديوان ابن الساعاتي» و«تطور الأساليب النثرية

في الأدب العربي» و«أمراء الشِّعْر في العصر العباسي» و«الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث» و«مقدمة في دراسة النقد الأدبي» و«المختارات السائرة»[1].

أُنَادِيْكِ يَا «سَلْمَىٰ»

تأبين الزوج

لمَنْ أَشْتَكِي دَهْرِيْ وَقَدْ رَاشَ لِيْ سَهْمَا
أَبَىٰ غَيْرَ قَلْبِيْ أَنْ يَكُوْنَ لَهُ مَرْمَىٰ
رَمَانِي كَمَا يَرْمِيْ أَخُو الثَّأْرِ خَصْمَهُ
وَلَمْ أَدْرِ أَنِّي كُنْتُ يَوْمَاً لَهُ خَصْمَا
أَبِيْتُ عَلَىٰ جَمْرِ الأَسَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ
سَقِيْمَ الْحَشَا مَنْ لِيْ بِمَنْ يُبْرِئُ السَّقْمَا؟
أُنَادِيْكِ يَا «سَلْمَىٰ» وَلَيْسَ يُجِيْبُنِيْ
سِوَىٰ رَجْعِ صَوْتِيْ إِذْ أُنَادِيْكِ: يَا سَلْمَىٰ
رَفِيْقَةَ عُمْرِيْ كَيْفَ أَنْسَىٰ حَيَاتَنَا؟
وَنَحْنُ مَعَاً بِالْحُبِّ نَرْتَعُ وَالنُّعْمَىٰ
يُحِيْطُ بِنَا الأَحْبَابُ أَهْلٌ وَمَعْشَرٌ
كِرَامٌ بِهِمْ صَفْوُ الْحَيَاةِ لَنَا تَمَّا
وَتَبْتَسِمُ الدُّنْيَا لَنَا عَنْ صَفَائِهَا
فَلا كَدَرَاً نَخْشَىٰ لَدِيْهَا وَلا هَمَّا

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين»

لَقَدْ كُنْتِ نَوْرَ الْبَيْتِ رَأْيَاً وَحِكْمَةً
وَعُرْوَتَهُ الْوِثْقَى وَبَهْجَتَهُ الْعُظْمَىٰ

فَأَمْسَىٰ خَلاءً مِثْلَ قَفْرٍ تَتَابَعَتْ
عَلَيْهِ السَّوَارِيْ مَا تَرَكْنَ لَهُ رَسْمَا

سَلامٌ عَلَىٰ عَهْدٍ لَنَا كَانَ وَانْقَضَىٰ
وَخَلَّفَ لِيْ مِنْ بَعْدِهِ الْحُزْنَ وَالْغَمَّا

أَقُوْلُ لِشِعْرِيْ وَهْوَ مِثْلِيَ جَازِعٌ
وَقَدْ سَجَمَتْ عَيْنَاهُ دَمْعَ الأَسَىٰ سَجْمَا[1]

أَيَا شِعْرُ مَنْ نَهْوَىٰ مَضَتْ لِسَبِيْلِهَا
فَحَطِّمْ قَيَاثِيْراً عَزَفْنَا بِهَا قِدْمَا

وَمَا نَرْتَجِيْ فِي الْعَيْشِ إِذْ غَابَ نَجْمُهَا
سِوَىٰ ظُلْمَةٍ نَسْرَيْ بِهَا لا نَرَىٰ نَجْمَا

فَللهِ «سَلْمَىٰ» مِنْ رَفِيْقٍ مُؤَانِسٍ
وَيَا حُبَّهَا رَوْحاً وَيَا عَطْفَهَا أُمَّا

حَبِيْبَةَ قَلْبِيْ وَالْحَيَاةُ إِلَىٰ مَدَىً
وَمَا لِيَ فِيْهَا بَعْدُ مِنْ غَرَضٍ يُرْمَىٰ

لَئِنْ عِشْتُ حِيْنَاً كَانَ ذِكْرُكِ مُؤْنِسِيْ
بِدَارٍ أَرَاهَا فِي حَقِيْقَتِهَا وَهْمَا

---

(١) سَجَمَتِ العَيْنُ: إذا تقطَّرَ دمعُها وَسَال.

أُعَـدِّدُ أَيَّـامِـيْ صَـبَـوْرَاً عَـلَـى الْـقَـضَـا

وَأَحْـكَـامِـهِ مَـنْ ذَا يَـرُدُّ لَـهُ حُـكْـمَـا

وَإِنْ مِـتُّ فَـالْـحُـبُّ الَّـذِيْ ضَـمَّـنَـا هُـنَـا

سَـيَـجْـمَـعُـنَـا مِـنْ بَـعْـدُ فِـيْ عَـالَـمٍ أَسْـمَـىْ

نَدِيْم الْجِسْر

(١٣١٥ - ١٤٠١ هـ = ١٨٩٧ - ١٩٨٠ م)

نديم بن حسين بن محمد الجسر. شاعرٌ ومفتي وباحثٌ لبنانيٌّ وُلِدَ في طرابلس الشام، وفيها توفي.

عاش في لبنان وسورية، كما زار المغرب والجزائر والعراق.

تولى عدداً من المناصب القضائية والإدارية، منها: مستشار محكمة الاستئناف اللبنانية، وعضو المجلس العدلي، وقائمقام منطقة عكار شمالي لبنان «١٩١» ثم استقال ليعمل بالمحاماة.

تولى منصب القاضي الشرعي «١٩٣٩ - ١٩٤٧»، وانتخب نائباً عن طرابلس «١٩٥٧ - ١٩٦٠».

انتخبه علماء طرابلس ومشايخها مُفتياً لها «١٩٦٠».

له عددٌ من المؤلفات متنوعة الموضوعات، منها: «قانون الجزاء اللبناني» و«موجز الفلسفة العربية» و«تراثنا بين التقدمية والرجعية» و«الإسلام وحقوق الإنسان»[١]

كَبِدٌ حرّى

في رثاء زوجته فضيلة

لَقَدْ تَرَكَتْ مِنِّيْ «فَضِيْلَةُ» مُدْنَفَاً
لَـهُ كَـبِـدٌ حَـرَّىْ عَـلَـيْـهَـا تَـفَـطَّـرُ

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

فَلا هُوَ حَيٌّ يُرْتَجَى عِنْدَ أَهْلِهِ
وَلاْ هُوَ مَيْتٌ يَسْتَرِيْحُ فَيُقْبَرُ

لِفَقْدِكِ بِنْتَ «الرَّافِعِيِّ» تَفَرَّقَتْ
مَجَامِعُ بَيْتِ «الْجِسْرِ» فَالْبَيْتُ مُقْفِرُ

يُخَيِّمُ فِيْ سَاحَاتِهِ الْحُزْنُ وَالأَسَىْ
وَيَجْثِمُ فِي الْقَاعَاتِ مِنْهُ التَّحَسُّرُ

لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُوْ أَنْ يَطُوْلَ بِنَا الْمَدَىْ
لَعَلِّيَ أَبْدِيْ كُلَّ مَا كُنْتُ أُضْمِرُ

وَفِيْتُ وَلَكِنْ لَيْسَ مَا قَدْ فَعَلْتُهُ
بِجَانِبِ فَضْلٍ مِنْكَ يَا «فَضْلُ» يُذْكَرُ

وَشَتَّانَ بَيْنَ الْوِدِّ يَأْتِيْ تَكَرُّمَاً
وَوِدٍّ عَلَيْهِ الْقَلْبُ بِالْفَضْلِ يُقْهَرُ

إِلَهِيَ يَا رَحْمَانُ يَا مَنْ وَعَدْتَنَا
عَلَى الصَّبْرِ بِالأَجْرِ الَّذِيْ لَيْسَ يُحْصَرُ

لَقَدْ صَبَرَتْ «فَضْلٌ» عَلَى الضُّرِّ وَالضَّنَىْ
بِقَلْبٍ تَلَقَّىْ حَتْفَهُ وَهْوَ يَشْكُرُ

فَأَنجِزْ إِلَهِيْ وَعْدَكَ الْحَقَّ إِنَّنَا
بِنِعْمَةِ هَذَا الْوَعْدِ نَرْضَىْ وَنَصْبِرُ

مُحَمَّد زَكِي مُجَاهِد

(١٣٢٢ - ١٤٠١ هـ = ١٩٠٤ - ١٩٨٠ م)

مُحمَّد زكي بن محمد بن حسين بن مجاهد بن إبراهيم الشافعي. عاش في القاهرة.

له مؤلفات في التاريخ أشهرها: كتاب «الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية» «وهو معجم في تراجم مشاهير الشرق في أربعة أجزاء» و«الأخبار التاريخية في السيرة الزكية» و«مناقب الإمام الرِّفاعي و«فهرس الكتب الخاصة بمصر والسودان»[١]

زَيْنَ النِّسَاءِ
في رثاء زوجته

زَيْنَ النِّسَاءِ وَخَيْرَةَ الزَّوْجَاتِ ... أَبْكِيْكِ بِالْحَسَرَات وَالْعَبَرَاتِ

يَا أُنْسَ أَيَّامِيْ وَصَرْحَ سَعَادَتِيْ ... وَمَلاذَ أَبْنَائِيْ وَحِصْنَ بَنَاتِيْ

أَبْكِيْكِ لا الدَّمْعُ الْهَتُوْنَ بِنَافِعِيْ ... فِيْمَا فَقَدْتُ وَلا لَظَى زَفَرَاتِيْ

قَاسَمْتِنِيْ حُلْوَ الْحَيَاةِ وَمُرَّهَا ... وَحَمَيْتِ آمَالِيْ مِنَ الْعَثَرَاتِ

وَبَنَيْتِ أَمْجَادِيْ وَصُغْتِ كَرَامَتِيْ ... وَقَهَرْتِ حُسَّادِيْ وَكِدْتِ عِدَاتِيْ

كَمْ كُنْتِ مِعْوَانِي الْوَفِيَّ وَسَاعِدِيْ ... وَحِمَايَ مِنْ نُوَبِ الزَّمَانِ الْعَاتِيْ

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

لَهَفِيْ عَلَىْ حُلْوِ الشَّمَائِلِ وَالتُّقَىْ وَالْبِرِّ وَالإِحْسَانِ وَالْخَيْرَاتِ
وَعَلَى الأَمَانَةِ وَالْوَفَاءِ وَفِطْرَةٍ تَحْكِيْ نَقَاءَ صَفْحَةَ الْمِرْآةِ
قَضَّيْتِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ نَقِيَّةً مَمْنُوْنَةَ الْغَدَوَاتِ وَالرَّوْحَاتِ
أَسَفِيْ لأَيَّامٍ مَضَيْنَ وَعِشْرَةٍ مَرَّتْ عَلَيَّ بَأَسْعَدِ الأَوْقَاتِ
يَا «حِكْمَةُ» كَمْ كُنْتِ خَيْرَ حَكِيْمَةٍ تَزِنُ الأُمُوْرَ بِحِكْمَةٍ وَحَصَاةِ
أَعْزِزْ عَلَيَّ بَأَنْ أَرَاكِ رَهِيْنَةً فِيْ جَوْفِ قَبْرٍ مُوْحِشِ الظُّلُمَاتِ
كُنْتِ الْمَنَارَ لِمَنْزِلِيْ فَتَرَكْتِهِ كَالْقَبْرِ بَعْدَكِ مُظْلِمَ الْجَنَبَاتِ
فَرَغَتْ حَيَاتِيْ مِنْكِ حَتَّىْ أَصْبَحَتْ عِبْئاً عَلَيَّ وَكُنْت مِلءَ حَيَاتِيْ
آلَيْتُ لاْ أَنْسَاكِ مَهْمَا طَالَ بِيْ عُمُرِيْ وَلا أَنْسَاكِ مِنْ دَعَوَاتِيْ
سَأَعِيْشُ فِيْ ذِكْرَاكِ أَرْعَىْ عَهْدَنَا وَأَصُوْنُهُ حَتَّىْ تَحِيْنَ وَفَاتِيْ
فَعَلَيْكِ مِنِّيْ مَا حِيِيْتُ تَرَحُّمٌ فِي الْجَهْرِ وَالْمَكْنُوْنِ مِنْ خَطَرَاتِيْ
أَسْتَوْدِعُ الرَّحْمَنَ رُوْحَكِ فَانْعَمِيْ فِيْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بِالرَّحْمَاتِ

عَلِي صَالِح إبْرَاهِيْم

(١٣٣٧ - ١٤٠٣ هـ = ١٩١٨ - ١٩٨٢ م)

علي صالح إبراهيم. شاعرٌ مصريٌّ وُلِدَ في مدينة الزقازيق «عاصمة محافظة الشرقية»، وتوفي في مدينة أسوان.

أمضى حياته في مصر.

تلقَّى تعليمه الأولي بمدارس مدينة الزقازيق، فحصلَ على الابتدائية، ثمَّ أتمَّ دراسته الثانوية، فنال درجة البكالوريا القديمة أو الثقافة عام ١٩٣٤.

عمل موظفاً بمحطة الري «بمحافظة أسوان»[١]

أَلَسْنَا لِلتُّرَابِ؟

في رثاء زوجته

صَبْرِيْ جَلِيْلٌ غَيْرَ أَنَّ مُصِيْبَتِيْ

مِنْهُ أَجَلُّ وَمِنْ جَنَانِي الْقَاهِرِ

قَالُوا: أَلَسْنَا لِلتُّرَابِ جَمِيْعُنَا؟

هَـذَا مَـصِـيْـرُ أَصَـاغِـرٍ وَأَكَـابِـرِ

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَهَا أَنَّ الثَّرَىْ

لِـلآدَمِـيِّ وَلِـلْـمَـلاكِ الـطَّـاهِـرِ

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

أَبْكِيْكِ بَلْ أَبْكِي الْفُؤَادَ لأَنَّهُ

قَدْ هَامَ بَعْدَكِ فِي ظَلامٍ زَاخِرِ

أَبْكِيْكِ بَلْ أَبْكِيْ صِفَاتِكِ كُلَّهَا

مِنْ نُبْلِ إِحْسَاسٍ وَطُهْرِ مَشَاعِرِ

أَبْكِيْكِ بَلْ سَأَظَلُّ عُمْرِيْ بَاكِيَاً

فَعلَيَّ كَمْ لَكِ مِنْ يَدٍ وَمَآثِرِ!

قَدْ قُلْتُ لَمَّا قُلْتِ تَمَّ صَفَاؤُنَا:

وَيْلِيْ وَوَيْلُكِ مِنْ قَضَاءٍ مَاكِرِ

فَإِذَا دُفِنْتِ وَغَاضَ جِسْمُكِ فِي الثَّرَىٰ

وَسَنَاكِ مِلءُ الْقَلْبِ مِلءُ النَّاظِرِ

أَوْدَعْتُ وِجْدَانِيْ بِلَحْدِكِ رَاضِيَاً

لأَعِيْشَ صَخْرَاً لا بِقَلْبِ الشَّاعِرِ

وَدَفَنْتُ بَعْدَكِ هِمَّتِيْ وَعَزِيْمَتِيْ

لأَعِيْشَ مَخْذُوْلاً بِعَزمٍ خَائِرِ

أَنَا لا أَقُوْلُ إِلَى الْخُلُوْدِ بلَ انَّنِيْ

أَقْسَمْتُ إِنَّكِ فِي نَعِيْمٍ زَاهِرِ

وَلَكِ الْجِنَانُ تَهَيَّأَتْ فَاحْظَيْ بِهَا

هَلْ لِلأَزَاهِرِ غَيْرُ رَوْضٍ نَاضِرِ؟

أَمَّا عَزَائِيْ أَنَّنِيْ بِكِ لاحِقٌ

يَوْمَاً فَيَهْدَأُ بِاجْتِلائِكِ خَاطِرِيْ

عَبْدُ الْجَبَّار الْعَبْدَلِي

(١٣٥٥ - ١٤٠٥ هـ = ١٩٣٦ - ١٩٨٤ م)

عبد الجبار منعم العبدلي، وُلِدَ في بلدة الميمونة «محافظة العمارة جنوبي العراق». قضى حياته في العراق.

تلقَّى علومه الابتدائية في قضاء الميمونة، حتى تخرج فيها عام ١٩٤٧، ثم أكمل الدراسة المتوسطة، حتى أتمّها عام ١٩٥٠، ثم سافر إلى بغداد فانتسب إلى دار المعلمين، وتخرج فيها عام ١٩٥١.

عُيِّنَ مُدرِّساً في مدارس ريف العمارة، ثم انتقل إلى قضاء الميمونة، ثم شارك في الحرب الإيرانية العراقية واعتبر مفقوداً[١].

بُؤرَةُ الألَم

بَيْنَ الْقُبُوْرِ يَلُوْحُ قَبْرُكِ نَيِّرَاً ... كَالْبَدْرِ بَيْنَ نُجُوْمِهِ يَتَلالا

غَضُّ الأَدِيْمِ كَأَنَّهُ يُوْحِيْ لَنَا ... فَنَكَادُ نَحْسَبُهُ يَقُوْلَ: تَعَالا!

وَكَأَنَّهُ فِي الْقَفْرِ وَجْنَةُ غَادَةٍ ... سَكَبَ الْحَيَا فِيْهَا سَنَىً وَجَمَالا

وَكَأَنَّمَا نَثَّ الرَّبِيْعُ بِتُرْبِهِ ... نُوْرَاً فَأَلْبَسَهُ بِهِ سِرْبَالا

وَكَأَنَّهُ بَيْنَ الْمَقَابِرِ سَاطِعٌ ... فَنَخَالُهُ مَا بَيْنَهُنَّ هِلالْا

وَكَأَنَّهُ فِي الصَّمْتِ مَوْكِبُ فَاتِحٍ ... يَخْتَالُ مَا بَيْنَ الْقِفَارِ جَلالْا

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

أَنِسَتْ بِهِ هَذِي الْهِضَابُ فَتَاهَ فِيْ حُضْنِ الرِّمَالِ مَسَرَّةً وَدَلالاْ
وَتَعَانَقَتْ أَيْدِي الْجَدَاوِلِ حَوْلَهُ فَثَوَىْ عَلَى جَنَبَاتِهَا يَتَعَالَىْ
وَجَرَىْ قَرَاحُ الْمَاءِ بَيْنَ عُرُوْقِهَا وَلَعَلَّهُ أَضْحَىْ بِهَا سَلْسَالاْ
وَتَسَامَرَتْ فِي الْحَقْلِ نَايَاتُ الْهَوَىْ فَسَرَىْ بِعُمْقِ لُحُوْنِهَا مَوَّالاْ
وَإِذَا النَّدَىْ حَيَّا الْمُرُوْجِ بِقَطْرِهِ أَهْمَىْ فَأَصْبَحَ قَطْرَهَا الْمُنْثَالاْ
وَإِذَا الرُّعَاةُ الْعَاشِقُوْنَ تَهَامَسُوا فَهْوَ الَّذِيْ شَرَحَ الْهَوَىْ وَأَطَالاْ
وَإِذَا الْعَنَادِلُ لَفَّهَا جُنْحُ الْهَوَىْ فَبِقُرْبِهِ بَاحَ الْمُحِبُّ سُؤَالاْ

غَدَاً نَلْتَقِيْ

غَدَاً حِيْنَمَا تَسْمَعِيْنَ الْبَشِيْرَ يُنَادِيْ بِأَنْ قَدْ أَتَى الْمَوْعِدُ
وَيَرْتَاعُ وَجْهُ السَّمَاءِ الْجَمِيْلُ وَتَخْبُوْ بِهِ الشَّمْسُ وَالْفَرْقَدُ
وَيَمْشِي عَلَى الأُفْقِ طَيْفُ الإِلَهِ فَيُمْرِعُ فِي إِثْرِهِ الأَجْرَدُ[1]
غَدَاً فَتِّقِي الأَرْضَ أَهْزُوْجَةً تُنَادِي السَّمَاء وَتَسْتَنْجِدُ
وَرِقِّي بِأَكْفَانِكِ الْمُخْضَلاتِ مَلاكاً مِنَ الْخُلْدِ يَسْتَرْفِدُ
غَدَاً نَلْتَقِيْ بَيْنَ أَيْدِي الإِلَهِ نُرَوِّيْ مِنَ الْوَجْدِ مَا يُوْقَدُ

---

(١) أمرع: أخصب.

نَذِيرُ الْبَيْنِ

نَذِيرَ الْبَيْنِ لاَ تَعْجَلْ وَدَعْنِيْ قَلِيْلاً كَيْ أُقَبِّلَهَا طَوِيْلا

أَرَاهَا كَالْفَرَاشَةِ فِي احْتِضَارٍ فَيَعْتَصِرُ الأَسَى مِنِّي الدَّلِيْلا

وَلَوْ أَسْطِيْعَ دَفْعَ الْمَوْتِ عَنْهَا لَقَدَّمْتُ الْفُؤَادَ لَهَا بَدِيْلا

أَرَاهَا وَالضَّنَى يَمْتَصُّ مِنْهَا حَيَاةً كَيْ يُعَوِّضَهَا النُّحُوْلا

أَرَاهَا وَالْمَنَايَا فِي اصْطِرَاعٍ تُكَابِدُ أَمْرَهَا الْمُرَّ الثَّقِيْلا

جَعْفَرُ الْخَلِيْلِي

(١٣١٩-١٤٠٥هـ = ١٩٠١ - ١٩٨٥م)

جعفر ابن الشيخ أسد الله ابن المولى علي ابن الميرزا خليل الطبيب. قاص وشاعر، ومؤرخ وصحفي عراقي.

ولد في النجف، في بيت دين وأدب ، ونهل العلم من خزانة كتب والده، ودرس في المدينة وانصرف إلى الأدب والكتابة والشعر قبل أن ينتقل إلى بغداد.

زاول الصحافة مدّة ربع قرن وكتب الكثير من المقالات والبحوث الأدبية والاجتماعية.

أصدر صحفاً عدة من بواكير المنشورات الصحافية في العراق بينها: جريدة «الفجر الصادق» و«الراعي» و«الهاتف». وأسس مطبعة «الراعي» في النجف.

إنتقل إلى بغداد وواصل نشاطه العلمي والأدبي بشكل واسع فأصدر كتابه الشهير«موسوعة العتبات المقدسة».

بعد أن نشبت الحرب العراقية/ الإيرانية في خريف العام ١٩٨٠، وبدء حملات التهجير القسري للعديد من العائلات العراقية بحجَّة تبعيتها الإيرانية، كانت عائلة الخليلي من بين تلك العائلات التي طالتها حَمَلات التهجير، وتحت هذه الظروف القاهرة، اضطرَّ الخليلي للمغادرة إلى الأردن، ومن هناك إلى دولة الإمارات حيث أمضى بقيَّةَ حياته في عزلة شخصية واعتزال ثقافي حتى رحيله عام ١٩٨٥.

لا أَنْسَاكِ[1]

في رثاء زوجته

أَنْـسَـاكِ؟ لا وَالـلـهِ لا أَنْـسَـاكِ
أَنْـسَـىٰ وَمِـلْءُ جَـوانِـحـي ذِكْـرَاكِ؟

الْبَيْتُ بَعْدَكِ مُعْوِلٌ لا صَوْتَ فِيْ
أَرْجَـائِـهِ إلا عَـوِيْـلُ الْـبَـاكِـيْ

وَالْـبَـابُ بَـعْـدَكِ مُـقْـفَـلٌ لا زَائِـرٌ
يَـأْتِـيْ وَلا ضَـيْـفٌ يَـؤُمُّ حِـمَـاكِ

(١) «مجلة الموسم» العدد السابع وكذلك «معجم البابطين».

عَبْدُ الْحَمِيْد الْعَشْمَاوِي

(١٣٣٩ - ١٤٠٦ هـ = ١٩٢٠ - ١٩٨٥ م)

عبد الحميد محمود محمد العشماوي. شاعرٌ مصري وُلِدَ في محافظة البحيرة، وتوفي في مركز بدر «مديرية التحرير - غربي الدلتا». قضى حياته في مصر.

تلقَّى تعليمه الابتدائي بمدارس القاهرة، ثم التحق بكلية الحقوق، وتخرج فيها عام «١٩٤٤»[(١)].

أُخْتُ عُمْرِيْ

أَيُّـهَـا الأَحْـبَـابُ وَالـرَّاحَـةُ وَالْـمَـوْتُ هُـنَـا

أَيْـنَ مَـنْ كَـانَـتْ تَـرَانَـا وَنَـرَاهَـا حَـوْلَـنَـا؟

أَيْنَ مَنْ كَـانَـتْ تُـحَـاكِـيْ نَـضْـرَةَ الـدُّنْـيَـا لَـنَـا

غَـيَّـبَ الـتُّـرْبُ سَـنَـاهَـا وَهْـوَ فِـيْ أَعْـيُـنِـنَـا

* * *

أُخْـتَ عُـمْـرِيْ إِنَّـمَـا هَـذِهِ الـدُّنْـيَـا تَـهُـونْ

حِيْـنَـمَـا أَذْكُـرُ مَـا تَـصْـنَـعُ بِـالْـخَـلْـقِ الْـمَـنُـونْ

الـرُّحَـى الـشَّـمْـطَـاءُ مَـا تَـفْـتَـأُ تُـجْـرِيْـهَـا الـسُّـنُـونْ

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

وَالْـبَـرَايَـا بَـيْـنَ شِـقَّـيْـهَـا - قَـلُـوْبٌ وَعُـيُـونْ

* * *

طِبْتِ فِيْ مَثْوَاكِ مَاشَاءَ الإلَـهُ الْـمُـسْـتَـعَـانْ

وَعَــلَــىٰ قَــبْــرِكِ رِضْــوَانُــهُ نُــوْرٌ وَأَمَــانْ

وَعَلَى الأَكْبَادِ بَعْدَ الْفَقْدِ سُلْوَانُ الزَّمَانْ

«فَاطِمٌ» فِيْ ذِمَّةِ اللهِ، وَمَا بَيْنَ الْجِنَانْ

عَبْدُ الرَّحْمن الْخَمِيْسي

(١٣٣٩ - ١٤٠٧ هـ = ١٩٢٠ - ١٩٨٧م)

عبد الرحمن عبد الملك الخميسي مراد، شاعر مصري رومانسي متعدِّدُ المواهب في شتى حقول الفنِّ والأدب، وله أعمال في الشِّعْر والقصة والمسرح والتمثيل والصحافة والتأليف الإذاعي والإخراج السينمائي، وعرفَ بأنَّه مكتشف لِعَددٍ من نجمات السينما المصرية في الستينات والسبعينات.

ولد فى قرية «منية النصر» «بالمنصورة» وانتقل إلى القاهرة في ١٩٣٧، وكان بلا مأوى حتى إنه كان ينام بعض الليالي في المقاهي والحدائق، وعمل فى محل بقالة ومحصلاً فى الترام ومصحِّحاً فى مطبعة، قبل أن ينخرط في فرقة مسرحية شعبية، لتبدأ حياته مع الأدب والفن. كما بدأ بنشر نتاجاته الأدبية في مجلة «الرسالة» للزيات.

وللخميسي سبعة دواوين شعرية وسبع مجموعات قصصية وثلاثة أفلام سينمائية من إخراجه.

ترك مصر فى ١٩٧٢ مرتحلاً من بيروت إلى بغداد إلى موسكو، وكان بوهيمياً كَثيرَ الزِّيجات، توفي في العام ١٩٨٧، ودفن في «المنصورة» ومرثيته هذه في زوجته الرابعة «فاتن الشوباشي» التي تزوَّج بعدها رحيلها مرَّتين! وكانت متخرِّجة في كلية الأداب قسم اللغه الفرنسية عندما أكتشفها الخميسى وتزوَّجَها وقدَّمها للمسرح والسينما، وقد توفيت في العام ١٩٦٨ في حادث حريق بفعل انفجار موقد وهي في الثالثة والثلاثين من العمر.

مقاطع من «ديوان الحب»[1]

«فَاتِنُ»

يَا زَهْرَةَ أَحْلامِيْ

حِيْنَ يَطُوْفُ الْلَيْلُ

بِمَبْخَرَةِ غَمَامْ

وَالزَّمَنُ يَئِنُّ عَلَىْ

دَرَجِ الأَحْلامِ

أَتَأَهَّبُ يَا قَمَرِيْ

كَيْ أَلْقَاكِ بِشُرْفَةِ سَهَرِيْ

أَتَأَهَّبُ يَا قَدَرِيْ

أَدْهَنُ جِسْمِيْ بِالأَطْيَابْ

أَتَخَيَّرُ أَبْهَى الأَثْوَابْ

فَأَنَا فِي الْلَيْلِ

أَرَاكِ

***

«فَاتِنُ»

إِنِّيْ أَمْضِيْ نَحْوَ الْوَحْدِةِ

فَوْقَ جَوَادِ الظُّلْمَةِ

---

(١) هذه مقاطع متفرقة منتقاة من كتاب «عبد الرحمن الخميسي الكلمة والموقف» مجموعة من الكتاب / مؤسسة ناصر للثقافة دار الوحدة/ بيروت ١٩٧٥ .

فَالْوَحْدَةُ خَيْمَةُ مُعْتَزِلٍ
مُغْتَرَبُ الْقَلْبِ

***

كَانَ الْحُبُّ قَبْلَ رَحِيْلِكِ
جَنَّةَ رِضْوَانْ
كَانَ رَبِيْعَ حَنَانْ
كَانَ السِّيمْفُوْنِيَّةَ
كَانَ قَصَائِدَ فِي شِعْرِ الثُّوَّارْ
كَانَ «كَإِيْلُوَارْ»
نَبْضاً شِعْرِيّاً فِي الأَشْيَاءِ
وَرُؤَى تَتَكَشَّفُ
مَا بَعْدَ الظَّلْمَاءِ
كَانَ رَحِيْقَ حَضَارَةْ
كَانَ الْغُصْنَ الأَخْضَرْ
كَانَ اللَّوْحَةَ أَبْدَعَهَا «سِيزَانْ»
يَمْزُجُ فِيْهِ الشِّعْرَ بِأَلْوَانْ
كَانَ الْحُبُّ قُبَيْلَ رَحِيْلِكِ
زَقْزَقَةَ الطَّيْرِ

***

كُنَّا نُغْلِقُ بَابَ الْبَيْتِ عَلَيْنَا
نَصْنَعُ مِنْ أَحْلامِ فُؤَادَيْنَا
دُنْيَا أُخْرَىٰ

تَتَفَتَّحُ كَالْوَرْدِ
أَمَامَ الثَّوْرَةِ فِي الْعَالَمِ
دُنْيَا أُخرَىٰ
لاَ يَأْكُلُ فِيهَا السُّلْطَانُ
لُحُومَ رَعَايَاهُ
أَوْ يَقْتُلُ عَسْكَرُهُ
فِيْ وَهَجِ الشَّمْسِ، ضَحَايَاهُ.

***

آهٍ يَالِيْ مِنْ إِنْسَانْ
أَضْعَفُ مِنْ دَمْعِ الثَّكْلَىٰ
أَتَفَجَّر كَالْبُرْكَانْ

***

آهٍ يَا مَعْبُوْدَةَ قَلْبِيْ لَوْ تَدْرِيْنَ
أَدْفَعُ عَنْ كَتِفِيَّ نَهَارِيْ
وَأُزَحْزِحُهُ كَالأَشْجَارِ
أَنْتَظِرُ اللَّيْلَ كَمَا الرَّحْمَةُ لِلْمِسْكِيْنِ
يَطْحَنُنِيْ أَنَّ رَحِيْلَكِ
كَانَ وَدَاعَاً أَبَدِيَّاً
أَقِفُ بِسَاحَةِ فَرَاغِ الزَّمِنِ إِلَيْكِ
تَبْكِيْنَا مُدُنٌ وَشَوَارِعْ

***

وَنَهَارِيْ سِجْنٌ أَهْرُبُ مِنْهُ

إِلَى حَلَكٍ مَأْمُوْنٍ
أَغدُوْ.. أَغدُوْ..
تَحتَ جَنَاحِ اللَّيْلِ
أَحمِلُ غُرْبَةَ قَلْبِيْ
مِثْلَ الطِّفلِ
وَأُضِيءُ بِأَشْوَاقِيْ شَمْعَ الذِّكْرَىْ
وَعَلَى خَفْقِ سَنَاهُ
يَحلُمُ قَلْبِيْ أَنْ يَلْقَاكِ
كُلُّ جُرُوْحِيَ تَبْرَأُ
نَقْتَسِمُ الْغُرْبَةَ يَا رُوْحِيْ
نُصبِحُ غَيْماً.. لَيْلاً... فَجْراً...

***

رُوْحِيْ مَكْسُوْرَةْ
لَيْلُ شُجُوْنِيْ مَا أَطْوَلَهُ
قَلْبِيْ...
صَارَ يَتِيْمَ الْكُرَةِ الأَرْضِيَّةْ..

***

لَمْ تَمُتِ الأَحْلامُ
نَحنَ تَسَاقَيْنَاهَا خَمْرَ أَغَانٍ
وَمَوَاوِيْلَ مِنْ أَجْلِ أَيَادٍ
مُوْحِلَةٍ، طَاهِرَةٍ خَشِنَةْ
تَغرِسُ فِي الأَرْضِ بُذُوْراً

قَصَباً وَزُهُوْراً

وَزُجَاجَةَ عِطْرِ بَنَفْسَجْ

***

رِيْقُكِ عَسَلُ الْحُبِّ وَأَشْهَى

أَنْفَاسُكِ أَعْطَارُ أُلُوْفِ الزَّهَرَاتِ

خَطْوَتُكِ كَمَا الظَّبْيُ

وَإِقْبَالُكِ كَرَبِيْعٍ طَلْقِ الْبَسَمَاتِ

شَعْرُكِ كَالْيَاقُوْتِ الأَحْمَرِ

فَاضَ بِقَوْسِ قُزَحْ

فِيْ مِرْآةِ الشَّمْسِ

شَفَتَاكِ عَنَاقِيْدُ الْوَجْدُ

وَطَعْمُ الشَّهْدِ

وَقِوَامِكُ غُصْنُ

أَمْلُوْدٍ أَشْقَرْ

رَائِحَتُكُ رَائِحَة الزَّهْرِ الأَخْضَرْ

بِحُقُوْلِ النَّيْلِ

لَوْنُكِ أَلْوَانُ الطَّيْفِ السَّبْعَةْ

كَزَفَافٍ وَوَدَاعِ حَيَاةْ

صَوْتُكِ هَمْسُ كَمَنْجَاتْ

فَرَحٌ جَاشَتْ فِيْهِ اللَّوْعَةُ

رِقْرَاقُ النَّغَمَاتْ

***

«فَاتِنُ» يَا مَعْبُودَةَ قَلْبِيْ
آهٍ لَوْ تَدْرِيْنْ
مَنْزِلُنَا الْمِرْآةُ بِهِ صَدِئَتْ
إِنْتَحَرَتْ.... وَشَظَايَاهَا
لَمْ يَبْقَ أَمَامِيْ إِلَّاهَا
***
جَلْسَتُنَا فِيْ رُكْنِ الْبَيْتِ
مِصْبَاحٌ يَتَسَمَّعُ فِيْهِ النُّوْرُ
كَلامَ الصَّمْتِ
وَمَرَايَا... وَبَقَايَا مُشْطٍ
عَاشَ يُقَبِّلُ عِطْرَ ضَفَائِرِكِ
وَحِزَامٌ أَسْوَدُ كَانَ يُخَاصِرُكِ
قَدَحٌ يَتَلأْلأُ كُنْتِ تُحِبِّيْنَهْ
وَزُجَاجَةُ عِطْرِ بَنَفْسَجْ
فَقْدُكِ يَذْبَحُنِيْ
يَمْلأُ بِفِمِيْ
طَعْمَ دَمِيْ
***
أَجْنِحَةٌ سَوْدَاءُ تَحُوْمُ
تَنْفَذُ فِيْ قَلْبِيْ وَتُدَمْدِمُ
مَاتَ الْبَدْرُ وَكَفَّنَنِيْ
لَيْلٌ أَبَدِيٌّ الْكَفَنِ

«فَاتِنُ» رَاحَتْ مِنْ زَمَنِيْ

***

يَا «هِنْدُ» يَا طِفْلَتَنَا الْجَمِيْلَةَ الصَّغِيْرَةْ

يَا فَلْذَةَ الصَّفَاءِ وَالأَحْلامْ

يَا بِنْتَ قَلْبَيْنِ مِنَ الْغَرَامْ

أَعْتَصِرُ الْكَلامَ مِنْ دَمِيْ

وَأَنْظُمُ الدُّمُوْعَ وَالآلامْ

أَزْهَارُهَا تَنْبُتُ مِنْ أَعْظُمِيْ

وَتَحْتَسِي الرَّمَقْ!

يَا هِنْدُ يَا نُوْرَ الْحَدَقْ

يَا خَفْقَةً مِنَ الأَلَقْ

أَبُوْكِ يَحْتَرِقْ

أَنَا أَحْتَرِق

مُحَمَّد بنُ يَحْيِى الإرْيَانِي

(١٣٢٦ - ١٤٠٩ هـ = ١٩٠٨ - ١٩٨٨ م)

مُحمَّد بن يحيى بن محمد بن عبد الله الإرياني. ولد في إريان «لواء إب - جنوبي اليمن»، وتوفي في صنعاء.

عاش في اليمن. تلقَّى العلم عن والده، ثم رحل إلى صنعاء، ودرس على بعض العلماء بالمدرسة العلمية.

عمل بالقضاء في مناطق عدة من اليمن وفي عهد الجمهورية عُيِّنَ حاكماً في قضاء «الحجرية بتعز»، ثم رئيساً للمحكمة الشرعية الاستئنافية، وقدم استقالته من هذا المنصب ١٩٧٢، عُيِّنَ بعدها مُستشاراً لرئاسة مجلس الوزراء لشؤون العدل، وظلَّ فيه حتى وفاته[١].

كَالشَّمْسِ تَحْتَ سَحَابِ الأُفْقِ تَسْتَتِرُ

من قصيدة: دَمْعَةُ أَسَىْ في رثاء زوجته

مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ وَنَيْفٍ قَدْ أَنِسْتُ بِهَا
فِيْ خَيْرِ عَيْشٍ فَلاْ هَمٌّ وَلا كَدَرُ

إِذَا طَغَى الْخَطْبُ وَاسْتَرْدَتْ نَوَازِلُهُ
تَبَسَّمَتْ فَتَجَلَّى لَيْلُهُ الْعَكِرُ

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

كَانَتْ ضَمَادَ جُرُوْحِيْ وَهْيَ دَامِيَةٌ

هِيَ الْحَيَاةُ، هِيَ الدُّنْيَا، هِيَ الْعُمُرُ

يَا نَفْحَةً مِنْ جَنَابِ اللهِ طَيِّبَةً

مِسْكِيَّةَ الْعَرْفِ يَزْكُوْ عَرْفُهَا الْعَطِرُ

قُدْسِيَّةُ الرُّوْحِ، أَطْهَارٌ عَرَائِقُهَا

لَمْ يَثْنِ مِنْ عَزْمِهَا سَقْمٌ وَلا كِبَرُ

طُهْرُ الضَّمِيْرِ فَلا غِلٌّ وَلا حَسَدٌ

عَفُّ اللِّسَانِ، فَلا لَغْوٌ وَلا هَذَرُ

سَمْحَاءُ طَيِّبَةُ الأَعْرَاقِ مِنْ نَفَرٍ

سَمَوا فَكَانَ لَهُمْ فَوْقَ السُّهَا وَطَرُ[1]

آبَاؤُهَا الطُّهْرُ أَحْيَا فِيْ ضَمَائِرِنَا

كَأَنَّمَا الْقَوْمُ مَا مَاتَوا وَلا قُبِرُوا

لَمَّا تَوَارَتْ وَحَلَّتْ فِيْ مَضَاجِعِهِمْ

ضَاءَتْ بِهِمْ وَتَسَامَتْ فِيْهِمُ الْحُفَرُ

كَانَتْ مِثَالاً مِنَ التَّقْوَىْ لَهَا صِلَةٌ

بِاللهِ، أَخْلاقُهَا الْقُرْآنَ تَزْدَهِرُ

هَالُوا التُّرَابَ عَلَيْهَا وَهْيَ نَيِّرَةٌ

كَالشَّمْسِ تَحْتَ سَحَابِ الأُفْقِ تَسْتَتِرُ

---

(١) السُّها: كَوْكبٌ خفيٌّ في بنات نعشٍ الكبرى والناس يمتحنون به أبصارَهم. وفي المثل: أُرِيها السُّها وتُرِيني القمر.

يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ يَا مِشْكَاةَ بَهْجَتِهِ

الْعَيْشُ بَعْدَكِ مُرٌّ كُلُّهُ صَبِرُ

فِيْ كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْكِ بِهِ أَثَرُ

إِذَا مَرَرْتُ عَلَيْهِ «يُبْكِنِيَ[1]» الأَثَرُ

كَانَتْ لَنَا فِيْهِ أَوْطَارٌ تُعَلِّلُنَا

وَبِاخْتِفَائِكِ عَنْهُ اِنْتَهَى الْوَطَرُ

وَحَوْلَنَا فِيْ زَوَايَاهُ، لَنَا شَجَرٌ

فُرُوْعُهَا أَيْنَعَتْ مِنَّا لَهَا ثَمَرُ

مَا زَالَ مِنْكِ بِأَفْكَارِيْ وَفِيْ بَصَرِيْ

وَفِيْ سُوَيْدَاءِ قَلْبِيْ تَطْلُعُ الصُّوَرُ

تَسْوَدُّ فِيْ عَيْنِيَ الدُّنْيَا إِذَا خَطَرَتْ

كَأَنَّمَا الْكَوْنُ لا شَمْسٌ وَلا قَمَرُ

بَكَتْكِ «إِرْيَانُ» وَانْهَالَتْ مَدَامِعُهَا

وَكَادَ يَبْكِيْكِ مِنْ جُدْرَانِهَا الْحَجَرُ

وَنَاحَ «رَيْمَانُ[2]» وَاهْتَزَّتْ جَوَانِبُهُ

وَكَادَ لِلْهَوْلِ وَالْمَأْسَاةِ يَنْفَطِرُ

عِشْنَا عَلَيْهِ زَمَاناً فِيْ شَبِيْبَتِنَا

وَالدَّهْرُ سِلْمٌ فَلا خَوْفٌ وَلا خَطَرُ

---

(١) ليس من موجب لجزم الفعل هنا.

(٢) رَيْمَان: جبل يطل على مدينة «أب» في اليمن.

كَأَنَّ سَاحَاتُهُ الْعُلْيَا لَنَا حَرَمٌ

لاَ لَهْوَ فِيْ عَيْشِنَا فِيْهَا وَلا بَطَرُ

مَازِلْتُ أَذْكُرُ فِيْهَا خَطْوَنَا وَأَنَا

وَأَنْتِ نَحْبُوْ إِلَىْ أَنْ عَاقَنَا الْكِبَرُ

أَصْدَاءُ أَقْدَامِنا فِيْهَا لَهَا نَغَمٌ

وَخَطْوُنَا لَمْ يَزَلْ فِيْهَا لَهَا أَثَرُ

طَاهِر أَبُو فَاشَا

(١٣٢٦ - ١٤٠٩ هـ = ١٩٠٨ - ١٩٨٩)

وُلِدَ طاهر أبو فاشا في محافظة دمياط - وتوفي في القاهرة ودفن فيها، شاعرٌ وزجَّالٌ وكاتبٌ إذاعيٌّ وتلفزيوني.

بدأ تعليمه بمدرسة الحزاوي الابتدائية ثم بمعهد دمياط الديني ثم التحق بمعهد الزقازيق الديني حيث حَصَلَ على شهادة الثانوية ثم التحق بكلية دار العلوم بالقاهرة ليتخرج بها سنة ١٩٣٩.

عمل في بداية حياته المهنية مدرساً بالواحات، لكنه سرعان ما تركها ليعود للقاهرة ويعمل بالفن والصحافة.

من أعماله الشعرية: «صوت الشباب» و«القيثارة السارية» و«الأشواك» و«راهب الليل» و«الليالي» و«دموع لا تجفُّ».

وقد جمع الأديب السعودي عبد الحميد المشخص بتكليف من الأمير عبد الله الفيصل الأعمال الشعرية الكاملة لطاهر أبو فاشا بعد رحيله وصدرت في العام ١٩٩٢ عن مكتبة الملك فيصل الإسلامية.

كتب للإذاعة أكثر من ألفي عمل فني، أشهرها «ألف ليلة وليلة» التي ألَّفَ منها ٨٠٠ حلقة، على امتداد ربع قرن. كما كتب عَدَداً من الأغاني «لأمّ كُلْثُوم» غَنَّتْ أغلبَهَا في فيلم «رابعة العدوية».

عِيْدٌ بِلا نَازِلِيْ

إلى زوجي في أول عيد يأتي بعد رحيلها.[1]

«نازلي المهدي» توفيت في ١٩٧٩/٩/٢٩.

أَتى الْعِيْدُ «نَازِلِيْ» وَلَمْ نَلْتَقِ ... وَغَامَتْ سَمَائِيْ فَلَمْ تُشْرِقِ

أَتى الْعِيْدُ يَطْرُقُ بَابِيْ فَمَا ... أَجَابَ سِوَىٰ دَمْعِيَ الْمُهْرَقِ

أَعِيْدٌ وَأَنْتِ بَعِيْدٌ هُنَاكَ ... تُقِيْمِيْنَ تَحْتَ الثَّرَىٰ الْمُطْبِقِ؟

وَكَيْفَ وَقَدْ شَاهَ وَجْهُ الْحَياةِ ... بِعَيْنِيْ وَبَاتَتْ بِلا رَوْنَقِ

أَعِيْدٌ يَلُمُّ بِنَا سَاقِيَاً ... بِكَأْسِ الْمَسَرَّةِ مَنْ يَسْتَقِي؟

وَكَيْفَ وَقَدْ أَوْحَشَ الْبَيْتُ مِنْكِ ... وَأَقْفَرَ مِنْ أُنْسِهِ الْمُشْرِقِ

***

لَقَدْ كُنْتِ ظِلاً أَفِيْءُ إِلَيْهِ ... وَأَهْرُبُ مِنْ يَوْمِيَ الْمُرْهِقِ

وَقَدْ كُنْتِ أَمْنَاً لِرُوْحِيَ مِمَّاً ... أَخَافُ أَذَاهُ وَمَا أَتَّقِيْ

وَقَدْ كُنْتِ قَلْبَاً كَبِيْرَ الْمُنَىٰ ... لِغَيْرِ الْمَحَبَّةِ لَمْ يُخْلَقِ

وَقَدْ كُنْتِ رَوْضَاً، تَخَايَلَ عَيْنِيْ ... مَخَايِلَ مِنْ سَحْنَةِ الرَّيِّقِ

وَكُنْتِ هُتُوْفَاً تُنَاغِمُ سَمْعِيْ ... بِلَحْنٍ مِنَ الْخُلْدِ لَمْ يُسْبَقِ

وَكُنْتِ قَصِيْدَاً جَدِيْدَ الرُّؤَىٰ ... شَجِيَّاً مَعَانِيْهِ لَمْ تُطْرَقِ

وَكُنْتِ وَكُنْتُ وَكَانَتْ لَنَا ... عَوَالِمُ مِنْ رُوْحِكِ الْمُغْدِقِ

مَضَىٰ كُلُّ هَذَا وَلَمْ يَبْقَ لِيْ ... سِوَىٰ ذِكْرَيَاتِ الأَسى الْمُوْبِقِ

فَيَا لَهْفَ نَفْسِيَ مَاذَا مضَى؟ ... وَيَا لَهْفَ نَفْسِيَ مَاذَا بَقِيْ؟

---

(١) من ديوان «راهب الليل» دار الشروق الطبعة الأولى ١٩٨٣ ص ١٥٣.

دُمُوعٌ لا تَجفُّ[1]

٢

أَبْكِيْ عَلَى أَيَّامِنَا الْقِصَارْ

وَأَنْتِ - يَا حُزْنِيْ - غَرِيْبَةُ الدِّيَارِ

بَعِيْدَةٌ بَالرَّغْمِ مِنْ قُرْبِ الْمَزَار

***

كَانَتْ لَنَا الدُّنْيَا كَمَا نَخْتَارْ

وَاللَّيْلُ حَوْلَنَا جَنَىً يُشْتَارْ

فِيْ جَنَّةٍ مِعْطَارْ

صَدَّاحَةِ الأَطْيَارِ

فَوَّاحَةِ الأَزْهَارْ

فِمَا الَّذِيْ جَرَىْ لَنَا

وَكَيْفَ مَالَتْ اللَّيَالِي بِنَا؟

فَبَدَّلَتْ أَحْوَالَنَا

وَبَدَّدَتْ أَحْلامَنَا

وَصَيَّرَتْنِيْ دَائِمَ الأَوَارْ

فِيْ لَيْلَةٍ لَيْسَ لَهَا نَهَارْ

أَبْكِيْ عَلَىْ أَيَّامِنَا الْقِصَار

وَأَنْتِ - يَا حُزْنِيْ - غَرِيْبَةُ الدِّيَارْ

---

(١) راهب الليل ص ١٥٩.

بَعِيْدَةٌ بِالرَّغْمِ مِنْ قُرْبِ الْمَزَارْ

***

يَا نَسْمَةَ الْفَجْرِ الَّتِيْ نَشَقْتُهَا
يَا جَنَّةَ الْحُبِّ الَّتِيْ غَرَسْتُهَا
يَا نِعْمَةَ اللهِ الَّتِيْ فَقَدْتُهَا
وَرُحْتُ بَعْدَهَا أُعَاتِبُ الزَّمَانْ
وَلا عِتَابَ للزَّمَانْ
فَهَذِهِ حُكُوْمَةُ الأَقْدَارْ
وَلَيْسَ لِيْ فِيْ ذَلِكَ اخْتِيَارْ
وَلا اصْطِبَارْ
وَأَنْتِ خَلْفَ هَذِهِ الأَحْجَارْ
فِيْ عَالَمِ الأَسْرَارْ
بَعِيْدَةٌ بِالرَّغْمِ مِنْ قُرْبِ الْمَزَارْ.

***

وَسَأَلْتُ عَنْ سِرِّ الْحَيَاةِ
وَهَالَنِيْ أَنِّيْ ضَلَلْتُ
وَأَنَّنِيْ فِي تِيهْ
وَنَظَرْتُ للدُّنْيَا وَمَا تَعْنِيهْ
وَأَزَلْتُ صِبْغَ خُدُوْدِهَا
فَتَكَشَّفَتْ عَنْ مَنْظَرٍ تَحْتَ الصِّبَاغِ كَرِيهْ.

عَبْدُ الْهَادِي الطَّوِيْل

(١٣٢٧ - ١٤١١ هـ = ١٩٠٩ - ١٩٩٠ م)

عبد الهادي محمود عطية الطويل. ولد في قرية بيبان «بمحافظة البحيرة - مصر» وتوفي فيها.

قضى حياته في مصر. حفظ القرآن في كتَّاب القرية صغيراً، ثم حصل على أولية التعليم عام ١٩٢٣ .

عمل مُدرِّساً في قريته، ثم ترقَّى إلى ناظر مدرسة، وتنقَّل بين عدة مدارس حتى أحيل إلى التقاعد.

مَا بَالُ صَبْرِيْ فِيْكِ لَيْسَ يُطِيْعُنِيْ؟

من قصيدة: عَلَىْ قَبْرِهَا

سَلِي الْقَلْبَ هَلْ فِيْهِ لِغَيْرِكِ مَوْضِعُ؟
وَهَلْ لِسِوَىْ ذِكْرَاكِ يَهْفُوْ وَيُسْرِعُ؟
وَهَلْ ذَابَ مِنْ طُوْلِ الْحَنِيْنِ إِلَى الْلِقَا؟
وَهَلْ عَادَهُ عِيْدٌ مِنَ الشَّوْقِ مُوْجِعُ؟
وَهَلْ حَاوَلَ الإفْلاتَ وَالصَّدْرُ عَاقَهُ؟
وَهَلْ أَمْسَكَتْهُ، حِيْنَمَا طَارَ، أَضْلُعُ؟
وَهَلْ قَطَّعَتْ كَفُّ الْهُمُوْمِ نِيَاطَهُ؟
وَهَلْ هُوَ مِنْ فَرْطِ الْجَوَىْ يَتَصَدَّعُ؟

وَهَلْ بَاتَ فِيْ ذُعْرٍ كَمَا بَاتِ طَائِرٌ
أَتَاهُ الرَّدَىْ مِنْ حَيْثُ لا يَتَوَقَّعُ؟
دَهَتْهُ عُقَابٌ وَهْوَ فِي الْعُشِّ آمِنٌ
فَغَالَتْهُ، وَالدُّنْيَا تَرُوْعُ وَتُفْزِعُ
سَلِيْ سَاكِنَ الأَضْلاعِ هَلْ هُوَ رَاهِبٌ
لَهُ فِيْ حَنَايَاهَا بُكاً وَتَضَرُّعُ؟
مُصَلاَّهُ صَدْرِيْ فِيْهِ يَعْبُدُ رَبَّهُ
وَيَسْجُدُ فِيْهِ كُلَّ آنٍ وَيَرْكَعُ
وَقُرْآنُهُ شِعْرِيْ يُرَدِّدُ آيَهُ
مَدَى الدَّهْرِ فِي مِحْرَابِهِ وَيُرَجِّعُ
يُردِّدُهُ وَالْكَوْنُ فِي غَيْلَمِ الدُّجَىْ[1]
غَرِيْقٌ، وَرَبُّ الْكَوْنِ يَرْنُوْ وَيَسْمَعُ
وَيَتْلُوْهُ وَالإِصْبَاحُ يَبْدُوْ كَأَنَّمَا
هُوَ السَّيْفُ مَسْلُوْلاً، أَو الْبَرْقُ يَلْمَعُ
يُنَاجِي الَّذِيْ نَاجَاهُ مُوْسَىْ نَبِيُّهُ
وَكَلَّمَهُ فِي الطُّوْرِ، وَالطُّوْرُ يَخْشَعُ
حَنَانَيْكَ رَبِّيْ، إِنَّ فِي الصَّدْرِ لَوْعَةً
يَضِيْقُ بِهَا طُوْلَ الْمَدَى وَيُروِّعُ

---

(١) الغيلم: البئر الواسعة.

حَنَانَيْكَ، هَلْ غَيْرِيْ يُعَذِّبُهُ الأَسَىٰ
وَيَصْنَعُ فِيْهِ مِثْلَمَا فِيَّ يَصْنَعُ؟
حَنَانَيْكَ، هَلْ مِنْ بَعْدِ فَقْدِ أَحِبَّتِيْ
تَطِيْبُ لِيَ الدُّنْيَا أَوِ الْعَيْشُ يَنْفَعُ؟
حَنَانَيْكَ، إِنِّيْ لَسْتُ أُبْصِرُ رَاحَةً
وَلا أَنَا فِيْ شَيءٍ مِنَ الْعَيْشِ أَطْمَعُ
حَنَانَيْكَ، إِنِّي مُتُّ شَوْقاً إِلَى الرَّدَىٰ
وَلَمْ يَبْقَ فِي قَوْسِ التَّصَبُّرِ مَنْزَعُ
سَلِي الْعَيْنَ هَلْ أَغْفَيْتُ بَعْدَكِ سَاعَةً؟
وَهَلْ أَنَا إلا بِالسُّهَادِ مُمَتَّعُ؟
وَهَلْ قَرَّحَتْهَا كَثْرَةُ السُّهْدِ وَالبُكَا؟
وَهَلْ جَفَّ لِيْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكِ مَدْمَعُ؟
وَهَلْ فَاضَتِ الأَمْوَاه مِنْهَا كَأَنَّهَا
أَتِيٌّ، حَثِيْثٌ سَيْرُهُ، مُتَدَفِّعُ[1]؟
سَلِي النَّجْمَ هَلْ زَارَ الْكَرَى لِيَ مُقْلَةً؟
وَهَلْ قَرَّ جَنْبِيْ أَوْ هَدَا لِيَ مَضْجَعُ؟
وَهَلْ بِتُّ أَرْعَاهُ إِلَىٰ أَنْ مَضَى الدُّجَىٰ
وَجَاءَ السَّنَا مِنْ جَانِبِ الْفَجْرِ يَسْطَعُ؟
سَلِي الْلَيْلَ هَلْ فِيْهِ صَفَتْ لِيَ لَحْظَةٌ؟
وَهَلْ أَنَا فِيْهِ أَسْتَرِيْحُ وَأَهْجَعُ؟

---

(١) الأتي: السيل الذي ينفع من مكان إلى آخر.

وَهَلْ فِيْهِ قَدْ سَامَرْتُ غَيْرَ كَوَاكِبٍ
بِطَاءِ الخُطَا، تَمْشِي الْهُوَيْنَىْ، وَتَطْلَعُ؟
سَلِي الْفَجْرَ هَلْ أَذْكَىْ بِمَطْلَعِهِ الأَسَىْ؟
وَهَلْ هَاجَهُ لِيْ وَهْوَ فِي الْقَلْبِ مُوْدَعُ؟
وَهَلْ أَنَا فِيْهِ كُلَّمَا لاحَ ذَاكِرٌ
جَبِيْناً كَنُوْرِ الْفَجْرِ أَوْ هُوَ أَبْدَعُ؟
سَلِي الزَّهْرَ هَلْ ذِكْرَاكِ عَاطِرَةُ الشَّذَا؟
وَهَلْ فِي الرَّوَابِيْ نَشْرُهَا يَتَضَوَّعُ؟
وَهَلْ ذَكَّرَتْنِيْ أَعْيُنُ الزَّهْرِ أَعْيُناً
تُشِيْعُ الْمُنَى فِي النَّفْسِ إِذْ تَتَطَلَّعُ؟
وَهَلْ كُنْتُ فِي سُكْرٍ إِذَا هِيَ لِيْ رَنَتْ؟
وَهَلْ كَانَ لِيْ فِيْهَا رَحِيْقٌ مُشَعْشَعُ؟
وَهَلْ فِي انْبِلاجِ الصُّبْحِ وَالزَّهْرِ ضَاحِكٌ
وَقَفْتُ حَزِيْنَ الْقَلْبِ وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ؟
تَذَكَّرْتُ ثَغْراً لا يَزَالُ لِضِحْكِهِ
رَنِيْنٌ عَلَىْ أَوْتَارِ أُذْنِي يُوَقَّعُ
سَلِي الْوُرْقَ فِي الأَفْنَانِ هَلْ أَنَا هِجْتُهَا
بِنَوْحِيْ، فَقَامَتْ فِي دُجَى اللَّيْلِ تَسْجَعُ؟
وَهَلْ أَنَا قَدْ عَلَّمْتُهَا لُغَةَ الْجَوَىْ
وَطَارَحْتُهَا وَالنَّجْمُ لِلأُفْقِ يَذْرَعُ؟

سَلِي الْبَحْرَ هَلْ سَاجَلْتُهُ بِمَدَامِعِيْ

فَغَاضَ، وَمَا غَاضَتْ لِعَيْنَيَ أَدْمُعُ؟

سَلِي الصَّبْرَ إنْ أَلْفَيْتُهُ كَيْفَ خَانَنِيْ

وَكَيْفَ عَصَانِيْ وَهْوَ لِي الدَّهْرَ طَيِّعُ؟

وَهَلْ كُنْتَ صَبَّاراً وَبِالصَّبْرِ كُلَّمَا

تَجَمَّعتِ الأَحْدَاثُ لِيْ أَتَذَرَّعُ؟

فَمَا بَالُ صَبْرِيْ فِيْكِ لَيْسَ يُطِيْعُنِيْ؟

وَمَا بَالُ قَلْبِيْ الْجَلْدِ لاَ يَتَشَجَّعُ؟

سَلِيْ هَلْ مَضَىْ يَوْمٌ خَلا مِنْ تَأَلُّمٍ؟

وَهَلْ مَرَّ وَقْتٌ فِيْهِ لاَ أَتَوَجَّعُ؟

يَمُرُّ نَهَارِيْ فِي الْهُمُوْمِ وَيَنْقَضِيْ

وَيَنْجَابُ فِي الأَحْزَان لَيْلِيْ وَيُقْطَعُ

سَلِيْ كُلَّ مَنْ تَبْغِيْنِ عَنِّيْ سُؤَالَهُ

فَحَسْبُ فُؤَادِيْ أَنَّهُ يَتَقَطَّعُ

وَحَسْبِيْ مِنَ الأَشْجَانِ كُلَّ عَشِيَّةٍ

وَكُلَّ صَبَاحٍ أَنَّ نَفْسِيَ تُصْرَعُ

وَأَنِّيَ لاَ أَحْيَا حَيَاةً مَرِيْرَةً

وَأَنِّيْ لِصَابِ الْعَيْشِ لاَ أَتَجَرَّعُ

وَلَكِنْ حَيَاتِيْ دُوْنَهَا الْمَوْتُ شِدَّةً

وَعَيْشِيَ مِنْ رَيْبِ الرَّدَىْ هُوَ أَفْظَعُ

مُحَمَّد آلُ حَيْدَر

(١٣٤٥ - ١٤١١ هـ = ١٩٢٧-١٩٩١ م)

وُلِدَ الشيخ محمد آل حيدر في مدينة «سوق الشيوخ» في الناصرية جنوبي العراق. وكان والده رجل دين في تلك المنطقة العشائرية، وفي سنة ١٩٤٥م أرسله والده إلى النجف ليصبحَ رجل دين من بعده.

أصبحَ أماماً لعددٍ من المساجد في مختلف مناطق العراق حيث تنقَّلَ في مناطق عدَّة من العراق بينها «بعقوبة» و«جلولاء» و«تَلّ محمد ببغداد» وكانت له إسهامات مهمَّة على الصعيدين الديني والاجتماعي والثقافي في هذه المناطق، قبل أن يستقرَّ في «الحلة» إمَاماً لمسجد «ابن نما».

«عشت مع زوجتي في الحلة في جوٍّ لا أكاد أحلم بمثله، ودرَّت الحياة واخضرَّتْ جوانبُها، وأقبلت النِّعم من كلِّ مكان. وأنا وحدي وفي مواضع السرِّ من تأملاتي ألاحظُ شيئاً يطاردني وأقرأ في الغيب المصون ما لا تراه عينٌ ولا يحسُّه سمعٌ. وللأقدار يدٌ لا تردُّ، وللمسمَّيات من الآجال كلُّ مجال، فانتابت الأقدار، وهي الحكم، زوجي الحامل وكانت ليلة حُبْلى بالآلام، وكان فجرُها أشدَّ وأقسى وخضْتُ غمرة صراع جديد، وفَتَحتْ عَلَيَّ أبواباً كانت مغلقة واستجدَّت أحداثٌ ودبَّت الآلام النفسية وأكلتْ من تأملاتي وضاعَفَتْ من مشاكلي[١]»

---

(١) من أوراق الشيخ محمد آل حيدر نشر جزءاً منها الدكتور سعد الحداد في =

ماتت زوجته وهي حاملٌ فخلَّفتْ له الآلامَ النفسية ومرارةَ الفقد.

تزوَّجَ ثانية، ولم تعوضه الزوجة الجديدة عن فداحة الفقدان: «فتزوجتُ وكرهتُ فطلَّقْت»

اعتقل في آذار من العام ١٩٩١، من قبل الأجهزة الأمنية في العراق، وغابت آثارُهُ بينما وِجَدَ أحدُ أبنائه الذي اعتقل معه في إحدى المقابر الجماعية التي اكتشفت بعد سقوط النظام السابق في العراق عام ٢٠٠٣.

صدر له ديوان في مجلَّدين جمعه وحقَّقه الدكتور سعد الحداد وصدر عن مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية ٢٠٠٩. وفيه ثمان عشرة مرثية لزوجته وهي تشكَّلُ ديواناً مستقلاً أفرد له عنواناً خاصاً «في الطريق إليك» واللافت أنه ظلَّ يرثيها طوال ثمانية عشر عاماً وهي الفترة بين رحيلها ورحيله!

«فَاطِمَة» بَيْنَ النُّجُوْم!

بعد مرور عام[1]

عَـامُ يَـمُـرُّ وَكُـلُّـهُ رَجَـبُ ... سُـمَّارُنَا الأَحْدَاثُ وَالنُّوَبُ

الْبَيْتُ ضَاقَ بِنَا عَلَىْ سِعَةٍ ... إِذْ أَنْتِ أَنْتِ الْمَاءُ وَالْعُشُبُ

حَتَّى الصَّبَاحِ عُيُوْنُنَا أَبَدَاً ... وَكَأَنَّهَا فِيْ جَرْيِهَا سُحُبُ

أَرْعَى النُّجُوْمَ لَعَلَّ «فَاطِمَةً» ... مَا بَيْنَهَا بِصِبَايَ تَغْتَصِبُ

= تقديمه للديوان «ديوان الشيخ محمد آل حيدر» جمع وتحقيق الدكتور سعد الحداد مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية الطبعة الأولى ٢٠٠٩ الجزء الأول ص٥٥.

(١) «ديوان الشيخ محمد آل حيدر» الجزء الثاني ص ١١٩.

وَلَعَلَّهَا بِجَمِيْلِ قَامَتِهَا تَخْتَالُ حَوْلِيْ وَالْهَوَىٰ يَثِبُ
عَيْنِيْ لِطَلْعَتِهَا عَلَىٰ مِقَةٍ وَالْقَلْبُ مِنِّيْ وَالِهٌ وَجِبُ
وَأُنِيْمُ أَطْفَالِيْ عَلَىٰ نَغَمٍ جَمَرَاتُهُ فِي الْقَلْبِ تَلْتَهِبُ
يَتَلَفَّتُوْنَ لِحُجْرَةٍ وَسِعَتْ أَحْلامَهَمُ أُمٌّ بِهَا وَأَبُ
لا يَرْتَوُوْنَ وَفِي الْكُؤُوْسِ دَمُ الْعَنْقُوْدِ مَا أَحْلاهُ لَوْ شَرِبُوا
ذَاكَ الْحَنَانُ يَفُوْحُ فِيْ ارَجٍ وَيَسِيْلُ مِنْهُ الْخَاطِرُ الْحَدِبُ
أُمَّاهُ مَا أَرْوَىٰ عَلَىٰ كَبِدٍ مَجٌّ الْمَشَارِبِ حِيْنَ يَنْتَسِبُ
طِفْلٌ عَلَى أَهْدَابِ نَاظِرِهِ حُلُمٌ كَأَنَّ رَفِيْقَهُ الشُّهُبُ
لا «يَدْرِي» أَيْنَ وَكَيْفَ مُعْتَرَكٌ غَايَاتُهُ الْقُصْوَى هِيَ التُّرُبُ[1]
يَبْكِيْ وَيَضْحَكُ وَالْفُؤَادُ مَعاً فِيْ حَالَتَيْهِ يَسُوْدُهُ الْعَجَبُ
أَعْمَىٰ يَدُبُّ وَفِيْ مَسِيْرَتِهِ لا «يَدْرِي» كَيْفَ رِضَاهُ وَالْغَضَبُ
عَامٌ يَمُرُّ وَلِلْهَوَىٰ رُسُلٌ وَكَمَا عَهِدْتِ وَلِلْوَفَا كُتُبُ
لا الدَّمْعُ لا الْحَسَرَاتُ أَجْمَعُهَا كَلا وَلا الأَكْبَادُ تَضْطَرِبُ
لَكِنَّ لَحْظَةَ عَاشِقٍ رَسَمَتْ لِلْحُبِّ خَطّاً فِيْهِ نَقْتَرِبُ
أَلْقَاكِ فِيْ صِلَةٍ لِعَاطِفَةٍ وَلأَنْتِ فِيْ أَكْوَابِهَا الْحَبَبُ
وَأَرَاكِ فِيْ مِرْآتِهَا صُوَراً فِيْهَا يَلُوْحُ شَبَابُنَا التَّرِبُ
عِشْرِيْنَ عَاماً ذُقْتُ أَكْؤُوْسَهَا مَا لاتَهَا أُفُكٌ وَلا كَذِبُ

---

(١) «لا يدري» بياء مشبعة، أحدثت خللاً عروضياً في البيت، وكذلك الحال في البيت الذي بعد الذي يليه، وفي البيت الأخير من القصيدة كذلك، ولو قال «لم يدرِ» لاستقام الوزن.

وَالنَّفْسُ تَمْرَحُ فِيْ رَغَائِبِهَا وَالدَّهْرُ مِنْ حَالاتِهِ النَّصَبُ[1]

سَكَنَاً خُلِقْتِ لِمَا أَعِيْشُ بِهِ وَجْهٌ أَغَرُّ وَمَنْطِقٌ عَذِبُ

وَلَكَمْ غَضِبْتُ وَأَنْتِ رَاضِيَةٌ وَلَكَمْ ظَمِئْتُ وَأَنْتِ مُحْتَلَبُ

وَإِذَا خَلَوْتُ فَكُلُّ جَارِحَةٍ نَبْعٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ مُنْسَكِبُ

أَلْقَاكِ عَاطِلَةً وَحَالِيَةً سِيَّيْنِ حَيْثُ شَبَابُنَا طَرِبُ

وَإِذَا النُّفُوْسُ زَكَتْ عَنَاصِرُهَا لا لَحْمُهَا لَحْمٌ وَلا الْعَصَبُ

وَإِذَا سَقَاهَا الْحُبُّ نَضَّرَهَا وَالْحُبُّ يَأْخُذُ مِثْلَمَا يَهِبُ

***

يَا أُمَّ «آلاءٍ» وَمَا بَرِحَتْ عَيْنَايَ تَحْكِيْ دَمْعَهَا السُّحُبُ

فَلَقَدْ تَجَشَّمْنَا الْحَيَاةَ مَعَاً فَأَنَا وَأَنْتِ لِنَارِهَا حَطَبُ

مِنْ هَمِّنَا وَمَذَابِ أَدْمُعِنَا أَطْفَالُنَا أَكَلُوا كَمَا شَرِبُوا

وَلَقَدْ عَهِدْتُكِ عَفَّةً وَكَمَا دَلَّتْ عَلَيْكِ أَمَاجِدٌ نُجُبُ

رَكَضَتْ بِيَ الأَحْدَاثُ قَاسِيَةً وَتَنَاهَبَتْ أَحْلامِيَ الْكُرَبُ

وَضَرَبْتُ أَرْضَ الله أَطْلُبُهَا سَعْيَاً وَأَنِّيْ شَاعِرٌ حَدِبُ

فَإِذَا الْحَيَاةُ يَشِعُّ كَوْكَبُهَا فَيُجَابُ لَيْلٌ كُلُّهُ عَطَبُ

وَتَلَفَّتَتْ عَيْنَاكِ عِنْدَهُمَا سِرٌّ عَلَيْهِ تَرَاكَمَتْ حُجُبُ

وَهَمَسْتِ فِي أُذُنِيْ وَمِنْ أَدَبٍ أَنَّ الْحَيَاةَ طَرِيْقُهَا عَجَبُ

وَالرِّزْقُ لا «نَدْرِي» مَوَاقِعَهُ حَتَّى لَو أَنَّ دَلِيْلَنَا الشُّهُبُ

---

(١) النصب: العِدَاء.

ذَكَرْتُ زَمَاناً[1]

إِذَا أَدْرَكَتْ مَعْنَايَ مَنْ كُنْتُ صَاحِباً

لَهَا، حَسْبُهَا إِنْ لَمْ تُدْرِكِ الشِّعْرَا

ذَكَرْتُ زَمَانَاً مَرَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا

وَلا بُدَّ يَوْماً مَا تُسْتَعَادُ لَنَا الذِّكْرَىٰ

إِذَا كَانَ قَلْبِيْ مَسْكَناً فِي حَيَاتِهَا

فَلا ضَيْرَ بَعْدَ الْمَوْتِ أَنْ تَسْكُنَ الْقَبْرَا

١٦/ ١٠/ ١٩٨٧

لَنْ أُطِلَّ عَلَيْكِ مِنْ شُبَّاكِيْ[2]

أَنَا مَا مَلَلْتُ وَلا يَزَالُ هَوَاكِ

وَعَلَىٰ فَمِيْ كَعَقِيْدَتِيْ ذِكْرَاكِ

وَالْحُبُّ مِثْلُ شَرَارَةٍ بِعُرُوْقِنَا

وَأَظُنُّهُ كَدِمَائِنَا بِدِمَاكِ

مَا زِلْتُ فِي أَلَمٍ أَعِيْشُ كَأَنَّنِيْ

طَيْرٌ، عَلَىٰ غُلْوَائِهِ، بِشِرَاكِ

سَعَةُ الْوُجُوْدِ تَضِيْقُ عِنْدَ نَوَاظِرِيْ

أَنْ لَنْ أُطِلَّ عَلَيْكِ مِنْ شُبَّاكِيْ

---

(١) إلى روح زوجتي الوفية «ديوانه» الجزء الثاني ص ١٣١.

(٢) قصيدة قرّي عيناً «ديوانه» الجزء الثاني ص١٣٩. قال في رثاء زوجته بعد مرور اثني عشر عاماً على رحيلها.

مَا زَارَنِيْ طِيْفٌ وَكَانَتْ مُنْيَتِيْ
أَنِّيْ وَلَوْ عِنْدَ الْمَنَامِ أَرَاكِ
لَكِنَّ قَلْبَكِ إِذْ يَعِيْشُ قُلُوْبَنَا
يَأْبَى الْمَزَارَ عَلَى جَنَاحِ مَلاكِ
لَوْلا الْمَنَايَا لارْتَمَتْ مِنْ جِسْمِهَا
رُوْحِيْ مُرَفْرِفَةً إِلَىٰ لُقْيَاكِ
لأَرَاكِ فِيْ دَارِ الْخُلُوْدِ وَإِنَّهَا
دَارُ الأَحِبَّةِ وَالشُّعُوْرِ الزَّاكِيْ
كُشِفَ الْغِطَاءُ بِهَا فَكُلُّ سَرِيْرَةٍ
مَجْلُوَّةٌ كَالنَّجْمِ فِي الأَفْلاكِ
وَهُنَاكِ لا أَلَمٌ وَلا أُكْذُوْبَةٌ
وَهُنَاكَ تَوْحِيْدٌ بِلا إِشْرَاكِ
قَرِّيْ عُيُوْنَاً فَالْفُرُوْعُ وَرِيْقَةٌ
مِعْطَارَةٌ فَيْ ظِلِّ أَصْلٍ زَاكِ
فِيْ كُلِّ قَلْبٍ صُوْرَةٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ
مِنْهَا عَلَى الْمِرْآةِ ظِلٌّ حَاكِي

٢٤/ ٤/ ١٩٨٤

إِبْرَاهِيم عَبْد الْلَطِيْف شَرِيْف

(١٣٣٣ - ١٤٣٠ هـ = ١٩١٥ - ٢٠٠٩ م)

شَاعِرٌ سوري، وُلِدَ في قرية عين التينة «من قرى محافظة اللاذقية» وتوفي فيها.

بدأ حياته العملية معلماً في قريته عام ١٩٣٧، ثم انتقل إلى المملكة العربية السعودية عام ١٩٦٥ وعمل مدرساً للغة الفرنسية في بعض مدارسها.

يعدُّ من المربين ورواد التعليم في منطقته، حيث أنشأ على حسابه الخاص، اول مدرسة أعدادية في قريته «أعدادية سيف الدولة» وظل يتعهدها طيلة حياته.

صدرت أشعاره في ديوان بعنوان «خواطر» عن دار المنارة في اللاذقية ١٩٩٨.

توفي في ١٤/ ٢/ ٢٠٠٩، ودُفِنَ بمسقط رأسه بعين التينة.

آتٍ مِنَ الْعَيْشِ مَا أَقْسَىٰ تَجَرُّعَهُ

من قصيدة «وَدَاعُ إِلْف» في رِثاءِ زَوْجَتِهِ

أَسْتَوْدِعُ اللهَ إِلْفاً كَانَ لِيْ سَكَناً ... فَأَصْبَحَ الْقَبْرُ سُكْنَاهُ وَمَضْجَعَهُ

«وَدَّعتُهُ وَبِوِدِّيْ لَوْ يُوَدِّعُنِيْ ... صَفْوُ الْحَيَاةِ وَأَنِّيْ لاْ أُوَدِّعُهُ»[1]

---

(١) هذا البيت تضمين من أحد أبيات قصيدة ابن زريق البغدادي الشهيرة، وقصيدة =

مَاضٍ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ نَهْنَأْ بِهِ زَمَنَاً آتٍ مِنَ الْعَيْشِ مَا أَقْسَىٰ تَجَرُّعَهُ

وَيْلِيْ عَلَىٰ الزُّغْبِ لا أَمٌّ تُهَدْهِدُهُمْ وَلا يَذُوْقُوْنَ عَيْشَاً طَابَ مَرْتَعُهُ

تَحَوَّلَ النُّورُ فِيْ أَبْصَارِهِمْ حَلَكَاً فَلا الصَّبَاحُ صَبَاحٌ لاحَ مَطْلَعُهُ

وَلا النَّهَارُ نَهَارٌ فِيْ دِيَارِهِمُ كَأَنَّهُمْ مِنْ ظَلامِ اللَّيْلِ مَقْطَعُهُ

= ابراهيم شريف عموماً، معارضة ومحاكاة واضحة لقصيدة البغدادي. ويلاحظ أن هناك أقواءً في حركة الروي في البيت الذي يسبقه وكذلك البيت الذي يليه من القصيدة.

مُحمَّد الأَمِيْن عَاج

(١٣٦١ - ١٤١٥ هـ = ١٩٤٢ - ١٩٩٤ م)

محمد الأمين عاج. ولد في ريد ياو سيلا «السنغال»، وتوفي في دكار.

عاش في السنغال وموريتانيا وتونس والمغرب.

الْوَرْدَةُ الذَّابِلَة

غَـدَاً يُـعَـاوِدُنِـيْ دَاءٌ يُـهَـيِّـجُـنِـيْ
أَشَدَّ مِنْ وَقْعِ سَيْفِ الْفَارِسِ الْقَاسِيْ

دَاءٌ وَلا يَـدَ فِـيْـهِ لِـلـطَّـبِـيْـبِ وَلاْ
لِلنَّاسِ جَدْوَىْ وَمَا لِيْ فِيْهِ مِنْ آسِ

دَاءٌ يُـمَـزِّقُ قَـلْـبِـيْ مُـنْـذُ فَـاجَـأَنِـيْ
فِيْ غِرَّةٍ نَعْيُ مَنْ فِيْ فَقْدِهَا بَاسِيْ

حَـبِـيْـبَـتِـيْ أَيْـنَ أَحْـلامِـيْ وَآنِـسَـتِـيْ
وَفِـيْ الْـفُـتُـوَّةِ جَـاءَتْـنِـيْ بِـإِفْـلاسِ

فَـاتَـتْ فَـكَـادَ يُـغْـفِّـيْـنِـيْ تَـغَـيُّـبُـهَـا
زَوْجِيْ، أَيَا ضِيْقَ أَفْكَارِيْ وَأَنْفَاسِيْ

كَـانَـتْ تُـهَـدْهِـدُنِـيْ كَـفُّ الْـهَـنَـاءِ لَـهَـا
فَـعَـاكَـسَـتْـنِـيْ يَـدٌ سَـوْدَاءُ يَـا نَـاسِـيْ

كَانَتْ حَيَاتِيْ بِهَا بَالأَمْسِ، زَاهِرَةً
فَالْيَوْمَ يَا حَيْرَتِيْ مِنْ بَيْنِ جُلاسِيْ

يَا وَرْدَةً فِيْ رَبِيْعِ الْعُمْرِ ذَابِلَةً
أَوْحَشْتِنِيْ، وَبَآلامِيْ أَنَا الْقَاسِيْ

لَكِنْ خِصَالُكَ لِلأَجْيَالِ خَالِدَةٌ
سَقَاكِ رَبُّكِ مَاءَ الْعَفْوِ بِالْكَاسِ

وَعَاذِلِيْ جَاهِلٌ عَمَّا أُصِبْتُ بِهِ
فَالْقَلْب يُحْوِيْ بِمَا لَمْ يَحْوِ قِرْطَاسِيْ

فَقَدُ الْحَبِيْبِ بِهَذَا الْعُمْرِ يُفْجِعُنَا
فَكَيْفَ بِالْمَوْتِ؟ حُزْنٌ مُؤْلِمٌ رَاسِ

مَا سَاءَنِيْ فِعْلُهَا مُنْذُ اقْتَرَنْتُ بِهَا
فَعُدَّهَا يَا أَخِيْ مِنْ بَيْنِ أَكْيَاسِ

هَلْ مِنْ مُبِيْحٍ يُبِيْحُ الْعَزْبُ أَلْزَمُهُ
لَوْلا مَخَافَةُ رَبِّيْ خَالِقِ النَّاسِ؟

وَرَحْمَةُ اللهِ أَرْجَىْ فِيْ مُضَاعَفَةٍ
مِنَ الذُّنُوْبِ، وَفِيْ بَاكِ أَخِيْ يَاسِ

وَجِيْه الْبَارُوْدِي

(١٣٢٤ - ١٤١٧ هـ = ١٩٠٦- ١٩٩٦م)

شاعرٌ وطبيبٌ سوري، من مواليد مدينة حماة السورية.

ويعدُّ عَلماً من أعلام الطبِّ والشعر في مدينة حماة «التي تعرف بمدينة النواعير التي تدور على نهر العاصي».

سافر إلى لبنان بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ليتابعَ دراسته في الجامعة الأمريكية في بيروت «الكلية السورية الإنجيلية»

خلال دراسته في الجامعة الأمريكية في بيروت تعرّف على مجموعة من الأدباء العرب منهم: «عمر فروخ من لبنان وإبراهيم طوقان من فلسطين وحافظ جميل من العراق» وأسسوا جمعيةً أسموها دار الندوة عام ١٩٢٦.

فتح عيادته الطبية الخاصة في مدينة حماة عام ١٩٣٢ م إثر عودته من لبنان.

مارس مهنة الطبِّ منذ عام ١٩٣٢إلى أن توفي عام ١٩٩٦.

توفيت زوجته وثلاثة من أبنائه العشرة فاكتست تجربته الشعرية بنبرة جديدة. فرثى ابنته الصغيرة، وابنه سمير، كما رثى زوجته «مسرَّة علواني» بقصائد آسية، رغم أنه عُرِفَ على الدَّوام بشاعر الفرح والظرف والتهتك والتمرد، وتنطوي أشعاره على نكهة حسية واضحة:

«أَنَا شَاعِرُ الشَّفَتَيْنِ وَالنَّهْدَيْنِ وَالإِبْطَيْنِ وَالرِّدْفَيْنِ وَالسَّيْقَانِ»

طبع ديوانه الأول «بيني وبين الغواني» عام ١٩٥٠ ثمَّ أعاد طباعته

مع ديوانه الثاني «كذا أنا» عام ١٩٧١، و صدر ديوانه الثالث «سيد العشّاق» عام ١٩٩٤ وفيه هاتان المرثيتان[1].

لا سَبِيْلَ إِلَى النَّجَاةِ

رثاء أم اسامة

سَأَقْضِيْ مَا تَبَقَّى مِنْ حَيَاتِيْ ... غَرِيْقَاً فِيْ بِحَارِ الذِّكْرَيَاتِ

وَيَسْعَى الأَقْرَبُوْنَ إِلَى انْتِشَالِيْ ... وَلَكِنْ لا سَبِيْلَ إِلَى النَّجَاةِ

فَبَحْرُ هَوَاكِ لَيْسَ لَهُ قَرَارٌ ... تَحَدَّى اللانِهَايَةَ فِي الْجِهَاتِ

وَتِلْكَ الأَرْبَعُوْنَ خَلَتْ وَخَمْسٌ ... قَصَارَى الدَّهْرِ مِنْ مَاضٍ وَآتِ

هُنَيْهَاتٌ لَنَا زَخَرَتْ بِحُبٍ ... يُوَازِيْ كُلَّ حُبِّ الْكَائِنَاتِ

* * *

جَرَيْنَا فِي الصِّبَا فَرَسَيْ رِهَانٍ ... وَكَانَ لَكِ التَّفَوُّقُ وَالتَّجَلِّيْ

وَطَابَ لَكِ الْمُضِيُّ وَلَيْسَ بِدْعَاً ... بُلُوْغُكِ غَايَةَ الْغَايَاتِ قَبْلِيْ

وَلَوْ أَنِّيْ سَبَقْتُ، نَجَوْتُ مِمَّا ... لَقِيْتُ مِنَ الأَسَىْ ، وَفُجِعْتِ مِثْلِيْ

وَلَيْسَ لَدَيْكِ صَبْرِيْ وَاحْتِمَالِيْ ... فَكَيْفَ الْحَالُ لَوْ حُمِّلْتِ حَمْلِيْ

حَزِنْتُ عَلَيْكِ حُزْنَاً هَاضَ قَلْبِيْ ... وَهَدَّ عَزِيْمَتِيْ ، وَأَطَارَ عَقْلِيْ

وَحُزْنُ النَّاسِ فِيْ دَمْعٍ وَنَوْحٍ ... وَحُزْنِيْ لَيْسَ مُنْحَصِرَاً بِشَكْلِ

وَقَالُوا سَوْفَ تَسْلُوْهَا قَرِيْبَاً ... سَأَدْحَضُ قَوْلَهُمْ وَأَقُوْلُ قَوْلِيْ:

يَمِيْنُ اللهِ أَمْضِيْ فِيْ وَفَائِيْ ... وَإِلا ، أَيْنَ أَخْلاقِيْ وَنُبْلِيْ؟

هَوَاكِ مُقَدَّسٌ وَالْغَدْرُ كُفْرٌ ... فَإِنْ أَغْدُرْ كَفَرْتُ وَحَلَّ قَتْلِيْ

---

(١) ديوان «سيد العشاق» وجيه البارودي تقديم وليد قنباز/ طبع ١٩٩٤.

لَوْ تَرْجِعُ الأَيَّامُ

لَيْمُوْنَةٌ أَمَامَ شُبَّاكِيْ
تَهَشُّ لِيْ وَقَلْبُهَا بَاكِ[1]
غَرْسُ الَّتِيْ مِنْ طِيْبِهَا زَوَّدَتْ
بِالطِّيْبِ، أَزْهَارِيْ وَأَشْوَاكِيْ

***

تَسْأَلُنِيْ عَنْهَا فَيَا حَسْرَتِيْ
الرَّدُّ فِيْ صَمْتِيْ وَفِيْ عَبْرَتِيْ
يَا زَهْرَةَ الأَزْهَارِ يَا زَهْرَتِيْ
كَيْفَ لأَهْلِ الرَّوْضِ أَنْعَاكِ؟

***

مَا كُنْتُ أَدْرِيْ قَبْلَ صَرْفِ الرَّدَىْ
أَنَّ الْهَوَىْ يَطْغَىْ لِهَذَا الْمَدَىْ
وَدَدْتُ لَوْ عِشْتِ ، وَكُنْتُ الْفِدَىْ
لَوْ رُدَّتُ الرَّوْحُ ، وَأَبْصَرْتِنِيْ
لاغْرَوْرَقَتْ بِالدَّمْعِ عَيْنَاكِ

***

دُنْيَا مِنَ الْحُبِّ، جَهِلْنَاهَا
فِيْ بَيْتِنَا كَانَتْ أَضَعْنَاهَا
لَمَّا وَجَدْنَاهَا، فَقَدْنَاهَا

---

(١) هشّ إلى فلان: فيه لغتان: يهَشُّ ويهِشُّ خفَّ إليه وارتاح له.

لَوْ تَرْجِعُ الأَيَّامُ أَدْرَاجَهَا
لَكَانَ عِيْدِيْ يَوْمَ أَلْقَاكِ

***

أَبْنَاؤكِ الْعَشْرُ بِآلامِهِمْ
يَبْكُوْنَ، قَدْ جُنُّوا عَلَىْ أُمِّهِمْ
وَفَوْقَ هَمِّيْ، حِرْتُ فِيْ هَمِّهِمْ
فَالْخَطْبُ خَطْبَانِ ، وَلا حِيْلَةٌ
إلا تَأَسِّيْنَا ، بِذْكَرَاكِ

الْجَوَاهِرِيُّ

(١٣١٧ - ١٤١٨ هـ = ١٨٩٩ - ١٩٩٧ م)

وُلِدَ مُحمَّد مهدي الجواهري في النجف، وهو يتحدَّر من أسرة نجفية عريقة في العلم والأدب والشعر تُعرف بآل الجواهري، نسبة إلى أحد أجداد الأسرة والذي يُدعى الشيخ محمد حسن «صاحب الجواهر» والذي ألَّف كتاباً في الفقه باسم «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام».

كان الجواهري قويَّ الذاكرة، سريع الحفظ، وكان في أول حياته يرتدي العمامة لأنه نشأ نشأةً دينيه محافظة، ثم ترك العمامة وراح يعمل بالصحافة بعد أن غادر النجف إلى بغداد، فأصدر مجموعة من الصحف منها جريدة «الفرات» وجريدة «الانقلاب» ثم جريدة «الرأي العام» وانتخب مرَّاتٍ عدة رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين .

ترك النجف عام ١٩٢٧ ليُعَيَّن مُدرِّساً في المدارس الثانوية، ولكنه فوجئ بتعيينه معلماً على الملاك الابتدائي في الكاظمية.

توفيت زوجته الأولى «أمُّ فُرات» عام ١٩٣٩، فرثاها بقصيدة «ناجيت قبرك» وتزوَّجَ شقيقتها «أمونة» «أمّ نجاح».

انتُخِبَ رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين ونقيباً للصحفيين بعد ثورة ١٩٥٨.

واجه مضايقات مختلفة فغادر العراق عام ١٩٦١ إلى لبنان ومن هناك استقرَّ في براغ ضيفاً على اتحاد الأدباء التشيكوسلوفاكيين، وأقام

فيها سبع سنوات، وصدر له فيها في عام ١٩٦٥ ديوانه «بَرِيْدُ الْغُرْبَة».
ثمَّ عاد إلى العراق في عام ١٩٦٨ وخصَّصت له الحكومة راتباً تقاعدياً.

منح عام «١٩٧٥» جائزة الكتاب والأدباء الأفرواسيويين «اللوتس».

غادر العراق نهائياً عام «١٩٧٩»، وأقام منذ عام «١٩٨٣» في سوريا. بدعوة من الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد وبقي مقيماً فيها حتى رحيله.

منح في نهاية عام «١٩٩١» جائزة «سلطان العويس» الإماراتية للإنجاز العلمي والثقافي.

في «٨/ ١/ ١٩٩٢» توفيت زوجته الثانية ورفيقة مسيرته العصيبة، لأكثر من نصف قرن، السيدة «أمُّوْنَة الجواهري».

لم تستقم صحة الشاعر إثر رحيل زوجته، «نصف وطنه» - حسب وصفه - الهائم معه في دروب التغرّب العسيرة ولتتصاعد محنه وعذاباته النفسية حتى رحيله.

توفي الجواهري في دمشق في السابع والعشرين من تموز ١٩٩٧.
ودُفِنَ في مقبرة الغرباء بالسيدة زينب إلى جانب زوجته الثانية «أمُّوْنة»

ناجيت قبرك[1]

فِيْ ذِمَّةِ اللهِ مَاْ أَلقَىْ وَمَاْ أَجِدُ
أَهَذِهِ صَخْرَةٌ؟ أَمْ هَذِهِ كَبِدُ؟

---

(١) نظمت والشاعر في بيروت في طريقه إلى المؤتمر الطبي العربي، مندوباً عن العراق، وقد وصله خبر وفاة عقيلته المفاجئ، عن عارض مؤلم لم يمهلها سوى يومين، فتخلّى عن الالتحاق بالمؤتمر وقفل راجعاً إلى بغداد، وكان ذلك عام ١٩٣٩. ونشرت في جريدة «الرأي العام» العدد ١٧٨ في ١٨ آذار ١٩٣٩. «ذكرياتي» محمد مهدي الجواهري الجزء الأول دار الرافدين/ دمشق =

قَدْ يَقْتُلُ الحُزنُ مَنْ أَحْبَابُهُ بَعُدُوا

عَنْهُ فَكَيْفَ بِمَنْ أَحْبَابُهُ فُقِدُوا

تَجْرِيْ عَلَىْ رَسْلِهَا الدُّنْيَا وَيَتْبَعُهَا

رَأْيٌ بِتَعْلِيْلِ مَجْرَاهَا ومُعْتَقَدُ

أَعْيَا الْفَلاْسِفَةَ الأَحْرَاْرَ جَهْلُهُمُ

مَاْذَاْ يُخَبِّي لَهُمْ فِيْ دَفَّتَيْهِ غَدُ

طَاْلَ التَّمَحُّلُ وَاعْتَاصَتْ حُلُوْلُهُمُ

وَلاْ تَزالُ عَلَىْ مَاْ كَاْنَتِ العُقَدُ[1]

لَيْتَ الْحَيَاةَ وَلَيْتَ الْمَوْتَ مَرْحَمَةٌ

فَلاْ الشَّبَاْبُ ابْنُ عِشْرِيْنٍ وَلاْ لَبَدُ[2]

وَلاْ الْفَتَاةُ بِرَيْعَانِ الصِّبا قُصِفَتْ

وَلاْ الْعَجُوْزُ عَلَى الكَفَّيْنِ تَعْتَمِدُ

= ١٩٨٨ ص ٥٢٦ وردت في ستة عشر بيتاً. وكذلك «الجواهري في العيون من أشعاره» دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر الطبعة الرابعة ١٩٩٨ ص ١٧٧ كما أن هناك اختلافاً في عدد الأبيات في كل من هذه المنشورات عن القصيدة في الديوان، ديوان الجواهري-الجزء الثاني-وزارة الاعلام العراقية/ مديرية الثقافة العامة-مطبعة الأديب البغدادية ١٩٧٣م.

(١) التمحُّل : اللف والدوران حول الشيء، والتحيل للوصول إليه .واعتاصت : تصعبت وتعقدت.

(٢) لُبَدُ : هو اسم أحد النسور التي احتضنها «لقمان بن عاديا» في الأسطورة الواردة من طول عمره وأنه استنزف أعمار النسور كلها وكان لبد اطولها عمراً. ويوضح ذلك في الأبيات التي تلي.

وَلَيْتَ أنَّ النُّسُوْرَ اسْتُنْزِفَتْ نَصَفاً

أَعْمَارُهُنَّ وَلَمْ يُخْصَصْ بِهَا أَحَدُ

حُيِّيتِ «أمَّ فُرَاتٍ» إنَّ وَالِدَةً

بِمِثْلِ مَا أنْجَبَتْ تُكْنَى بِمَا تَلِدُ

تحيَّةً لَمْ أجِدْ مِنْ بَثِّ لاعِجِهَا

بُدّاً، وَإنْ قَامَ سَدّاً بَيْنَنَا اللَّحِدُ

بِالرُّوْحِ رُدِّيْ عَلَيْهَا إنَّهَا صِلَةٌ

بَيْنَ الْمُحِبِّيْنَ مَاذَا يَنْفَعُ الْجَسَدُ؟

عَزَّتْ دُمُوْعِيَ لَوْ لَمْ تَبْعَثِيْ شَجَناً

رَجَعْتُ مِنْهُ لِحَرِّ الدَّمْعِ أَبْتَرِدُ

خَلَعْتُ ثَوْبَ اصْطِبَارٍ كَانَ يَسْتُرُنِيْ

وَبَانَ كِذْبُ ادِّعَائِيْ أنَّنِيْ جَلِدُ

بَكَيْتُ حَتَّىْ بَكَا مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُنِيْ

ونُحْتُ حَتَّىْ حَكَانِيْ طَائِرٌ غَرِدُ

كَمَا تَفَجَرَ عَيْنَاً ثَرَّةً حَجَرٌ

قَاسٍ تَفَجَّرَ دَمْعَاً قَلْبِيَ الصَّلِدُ[1]

إنَّا إلَى اللهِ! قَوْلٌ يَسْتَرِيْحُ بِهِ

وَيَسْتَوِيْ فِيْهِ مَنْ دَانُوا وَمَنْ جَحَدُوا

---

(١) حجر : فاعل لتفجر، عيناً : تتميز به، والثرة : الفياضة الغزيرة. والصلد : الصلب.

مُـدِّيْ إِلَـيَّ يَـدَاً تُـمْـدَدْ إِلَـيْـكِ يَـدُ
لا بُدَّ فِي الْعَيْشِ أَوْ فِي الْمَوْتِ نَتَّحِدُ
كُـنَّـا كـشِـقَّـيْـنِ وَأَفَـىْ وَاحِـدا ً قَـدَرٌ
وَأَمْـرُ ثَـانِـيْـهُـمَـاْ مِـنْ أَمْـرِهِ صَـدَدُ
نَاجَيْتُ قَبْرَكِ أَسْتَوْحِيْ غَيَاهِبَهُ
عَنْ حَالِ ضَيْفٍ عَلَيْهِ مُعْجَلاً يَفِدُ[1]
وَرَدَّدَتْ قَفْرَة ً فِي القَلْبِ قَاحِلَة
صَدَى الَّذِيْ يَبْتَغِيْ وِرْدَاً فَلاْ يَجِدُ
وَلَـفَّـنِـيْ شَـبَـحٌ مَـا كَـانَ أَشْـبَـهَـهُ
بِجَعْدِ شَعْرِكِ حَوْلَ الْوَجْهِ يَنْعَقِدُ
أَلْـقَـيْـتُ رَأْسِـيَ فِـيْ طَّـيـاتِـهِ فَـزِعَـاً
نَـظِـيْـرَ صُـنْـعِـيَ إِذْ آسَـىْ وأُفْـتَـأَدُ[2]
أَيَّاْمَ إِنْ ضَاقَ صَدْرِيْ أَسْتَرِيْحُ إِلَىْ
صَدْرٍ هُوَ الدَّهْرُ مَاْ وَفَّى وَمَاْ يَعِدُ
لاْ يُـوْحِـشُ الـلـهُ رَبْـعَـاً تَـنْـزِلِـيْـنَ بـهِ
أَظُـنُّ قَـبْـرَكِ رَوْضَـاً نُـوْرُهُ يَـقِـدُ

(١) القصيدة كلها تشير إلى وقفة حزينة وقفها الشاعر على قبر عقيلته في النجف ساعة وصوله إليها من بيروت، وإلى ما طاف به من أشباح الذكريات وخيالاتها.

(٢) المفؤود: الذي أصيب فؤاده.

وأنَّ رَوْحَكِ رُوْحٌ تَأْنَسِيْنَ بِهَا
إِذَا تَمَلْمَلَ مَيْتٌ رُوْحُهُ نَكَدُ[1]

كُنَّا كَنَبْتَةِ رَيْحَانٍ تَخَطَّمَهَا
صِرٌّ فَأَوْرَاقُهَا مَنْزُوْعَةٌ بَدَدُ[2]

غَطَّى جَنَاحَاكِ أَطْفَالِيْ فكُنْتِ لَهُمْ
ثَغْرَاً إِذَا اسْتَيْقَظُوا ، عَيْنَاً إِذَا رَقَدُوا

شَتَّى حُقُوْقٍ لَهَا ضَاقَ الوَفَاءُ بِهَا
فَهَلْ يَكُوْنُ وَفَاءً أَنَّنِيْ كَمِدُ؟

لَمْ يَلْقَ فِيْ قَلْبِهَا غِلٌّ وَلاَ دَنَسٌ
لَهُ مَحَلاً، وَلاَ خُبْثٌ وَلاَ حَسَدُ

وَلَمْ تَكُنْ ضَرَّةً غَيْرَىْ لِجَارَتِهَا
تُلْوَىْ لِخَيْرٍ يُوَاتِيْهَا وَتُضْطَهَدُ[3]

وَلاَ تَذِلُّ لِخَطْبٍ حُمَّ نَازِلُهُ
وَلاَ يُصَعِّرُ مِنْهَا الْمَالُ وَالْوَلَدُ

قَالُوْا: أَتَىْ الْبَرْقُ عَجْلاَناً فَقُلْتُ لَهُمْ:
وَاللهِ لَوْ كَانَ خَيْرٌ أَبْطَأَتْ بُرُدُ

ضَاْقَتْ مَرَاْبِعُ «لُبْنَاْنٍ» بِمَاْ رَحُبَتْ
عَلَيَّ وَالْتَفَّتِ الآكَامُ والنُجُدُ

---

(١) الرَّوْحُ : بمعنى الراحة والاطمئنان.

(٢) الصِرُّ : الريح الشديد والباردة. وتخطمها : كسرها.

(٣) الضَّرَّة : معناها الأصلي: الجارة.

تِلْكَ الَّتِيْ رَقَصَتْ لِلْعَيْنِ بَهْجَتُهَا

أَيَّامَ كُنَّا وَكَانَتْ عِيْشَةٌ رَغَدُ

سَوْدَاءُ تَنْفُخُ عَنْ ذِكْرَىْ تُحَرِّقُنِيْ

حَتَّى كَأَنِّيْ عَلَىْ رَيْعَانِهَا حَرِدُ[1]

وَاللهِ لَمْ يَحْلُ لِيْ مَغْدَىً ومُنْتَقَلٌ

لَمَّا نُعِيْتِ وَلاْ شَخْصٌ وَلاْ بَلَدُ

أَيْنَ الْمَفَرُّ؟ وَمَاْ فِيْهَاْ يُطَارِدُنِيْ

وَالذِّكْرَيَاْتُ، طَرِيَّاً عُودُهَا، جُدُدُ

أَالظِّلالُ الَّتِيْ كَانَتْ تُفَيِّئُنَا؟

أمِ الْهِضَابُ؟ أمِ الْمَاْءُ الَّذِيْ نَرِدُ؟

أَمْ أَنْتِ مَاثِلَةٌ؟ مِنْ ثَمَّ مُطَّرَحٌ

لَنَا ومِنْ ثَمَّ مُرْتَاحٌ ومُتَّسَدُ

سُرْعَانَ مَا حَالَتِ الرُّؤْيَا وَمَاْ اخْتَلَفَتْ

رُؤَىً ، وَلاْ طَالَ- إِلَّاْ سَاعَةً - أَمَدُ

مَرَرْتُ بِالْحَوْرِ وَالأَعْرَاسُ تَمْلأُهُ

وعُدْتُ وَهْوَ كَمَثْوَى الْجَانِ يَرْتَعِدُ

مُنَىً - وَاْتعِسْ بِهَاْ- أَنْ لاْ يَكُوْنَ عَلَىْ

تَوْدِيْعِهَا وَهْيَ فِيْ تَاْبُوْتِها رَصَدُ

---

(١) حرد: غضب.

لَعَلَّنِي قَارِئٌ فِيْ حُرِّ صَفْحَتِهَا

أيَّ الْعَوَاْطِفِ وَالأَهْوَاءِ تَحْتَشِدُ

وَسَامِعٌ لَفْظَةً مِنْهَا تُقَرِّظُنِيْ

أمْ أنَّهَا - وَمَعَاذَ اللهِ - تَنْتَقِدُ

ولاقِطٌ نَظْرَةً عَجْلَى يَكُوْنُ بِهَاْ

لِيْ فِي الْحَيَاْةِ وَمَاْ أَلْقَى بِهَا، سَنَدُ

عَلَىْ قَبْرِ أُمُّوْنَة[1]

هَاْ نَحْنُ «أَمُّوْنَةٌ» نَنْأَىْ وَنَفْتَرِقُ

وَالْلَّيْلُ يَمْكُثُ وَالتَّسْهِيْدُ وَالْحُرَقُ

وَالصُّبْحُ يَمْكُثُ لا وَجْهٌ يُصَبِّحُنِي

بِهِ، وَلا بَسَمَاتٌ مِنْكِ تَنْطَلِقُ

---

(١) «أمونة جعفر الجواهري المولودة في النجف ١٩٢١ والتي توفيت في أحد مشافي لندن ٨/ ١٢/ ١٩٩٢ إثر نوبة قلبية» كتبت القصيدة على رخام قبرها في مقبرة الغرباء في السيدة زينب بدمشق ونشر مطلعها في كتاب «الجواهري وسيمفونية الرحيل» للدكتورة خيال محمد مهدي الجواهري منشورات وزارة الثقافة السورية دمشق ١٩٩٩، ونشرها صباح المندلاوي في كتابه «الجواهري. . الليالي والكتب» بغداد ٢٠٠٩ ص ٥، وهناك أبيات ضمنها في المرثية تعود في الأصل إلى قصيدة بعنوان «حبيبتي» وتقع في أكثر من سبعين بيتاً «ديوان الجواهري» المجلد السادس ١٩٧٠ - ١٩٧٩» ونشرت صورتها الأولى في جريدة «الجمهورية» بغداد/ ملحق العدد ٢٦٥٧ يوم السبت ٢٩ آيار ١٩٧٦. وكذلك في كتاب «الجواهري في العيون من أشعاره ص ٥٩٧» وبإهداء «إلى التي أفنت شبابها وكهولتها معي، واثقة، مؤمنة في حياة تشبه الأساطير، إلى زوجتي أمونة».

«أَمُّونَـهُ» وَالضَّمِيْرُ الْحَيُّ ضَارِبَةٌ
عُرُوْقُهُ وَالضَمِيْرَ الْمَيِتِ يَغْتَرِقُ

خَمْسٌ وَخَمْسُوْنَ عِشْنَاهَا مُرَاوَحَةً
نَبُزُّ مَنْ سُعِدُوا فِيْهَا وَمَنْ شُنِقُوا

يَا حُلْوَةَ الْمُجْتَلَى وَالنَّفْسُ ضَائِقَةٌ
وَالأَمْرُ مُخْتَلِطٌ وَالجَوُّ مُخْتَنِقُ

وَيَا ضُحُوْكَةَ ثَغْرٍ وَالدُّنَى عَبَسٌ
وَيَا صَفِيَّةَ طَبْعٍ وَالْمُنَى رُنَقُ[1]

وَيَا صَبُوْراً عَلَى الْبَلْوَىْ تُلَطِّفُهَا
حَتَّىْ تَعُوْدَ كَبِنْتِ الْحَانُ تَصْطَفِقُ

مِنِّي عَلَيْكِ سَلامٌ لا يَقُوْمُ بِهِ
سَنُّ الْيَرَاعِ وَلا يَقْوَى بِهِ الوَرَقُ

كَأَنَّ نَفْسِيَ إِذْ تَغْشَيْنَ وَحْشَتَهَا
إِنْسَانُ عَيْنٍ بِمَرْأَىْ أُخْتِهَا غَرِقُ[2]

يَا رَحْمَةَ اللهِ «غَادَ الْمُؤْمِنِيْنَ» بِهِ
وَخَلِّ «أَمُّوْنَةَ» حِنْوَاً لِمَنْ سَبَقُوا

---

(١) رُنَقُ: متكدّرة.

(٢) في الأصل: إن تخشين، وواضح أنها خطأ مطبعي.

نِزَار قَبَّانِيْ

(١٣٤١ - ١٤١٩ هـ = ١٩٢٣- ١٩٩٨م)

التقى نزار قباني بزوجته العراقية بلقيس الرَّاوي في بغداد للمرَّة الأولى عام ١٩٦٢، في مهرجان شعري، ولم ينجح في الإقتران بها بسبب رفض أهلها، وبعد سبع سنوات، عاد نزار قباني للعراق للأشتراك، بمهرجان المربد الشعري، وقرأ قصيدته «أفادة في محكة الشعر»

مَرْحَباً يَاعِرَاقُ، جِئْتُ أُغَنَّيْكَ وَبَعْضٌ مِنَ الْغِنَاءِ بُكَاءُ

مَرْحَباً، مَرْحَباً.. أَتَعْرِفُ وَجْهاً حَفَرَتْهُ الأَيَّامُ وَالأَنْوَاءُ؟

أَكَلَ الْحُبُّ مِنْ حُشَاشَةِ قَلْبِيْ وَالْبَقَايَا تَقَاسَمَتْهَا النِّسَاءُ

وفيها أشارات لقصَّته مع بلقيس:

كَيْفَ أَحْبَابُنَا عَلَىْ ضَفَةِ النَّهْرِ وَكَيْفَ الْبِسَاطُ وَالنُّدَمَاءُ؟

كَانَ عِنْدِيْ هُنا أَمِيْرَةُ حَبٍ ثُمَّ ضَاعَتْ أَمِيْرَتِي الْحَسْنَاءُ

أَيْنَ وَجْهٌ فِي الأَعْظَمِيَّةِ حُلْوٌ لَوْ رَأَتْهُ تَغَارُ مِنْهُ السَّمَاءُ

إِنَّنِي السِّنْدِبَادُ.. مَزَّقَهُ الْبَحْرُ وَعَيْنَا حَبِيْبَتِي الْمِيْنَاءُ

مَضَغَ الْمَوْجُ مَرْكَبِيْ.. وَجَبِيْنِيْ ثَقَبَتْهُ الْعَوَاصِفُ الْهَوْجَاءُ

إِنَّ فِيْ دَاخِلِيْ عُصُوْراً مِنَ الْحُزْنِ فَهَلْ لِيْ إِلَى الْعِرَاقِ الْتِجَاءُ؟

وَأَنَا الْعَاشِقُ الْكَبِيْرُ.. وَلَكِنْ لَيْسَ تَكْفِيْ دَفَاتِرِي الزَّرْقَاءُ!

وعند ذلك قام مسؤلون في السلطة العراقية أنذاك بينهم الشاعران «شفيق الكمالي» الذي كان وزيراً للشباب و«شاذل طاقة» الذي كان وكيلاً لوزراة الخارجية العراقية، بالتدخُّل لدى أهل «بلقيس» الذين وافقوا على طلب نزار الاقتران بابنتهم هذه المرَّة.

ولدت بلقيس الراوي في ٢٤/٣/١٩٣٩ في محلة السفينة بالأعظمية ببغداد.

تزوجت من نزار قباني ١٩٦٩. وأنجبت منه «زينب» و«عمر»

عملت بلقيس في السفارة العراقية في بيروت، وقتلت في التفجير الذي تعرضت له السفارة بواسطة سيارة مفخَّخة يقودها انتحاري، في منتصف نهار ١٥ كانون الأول ديسمبر ١٩٨١. بعد أن هوى المبنى بطوابقه الثلاثة جراء شدَّة الإنفجار.

أجْمَلُ الْمَلِكَاتِ

مقاطع من قصيدة بلقيس(١)

....

بَلْقِيسُ

كَانَتْ أجْمَلَ الْمَلِكَاتِ فِيْ تَارِيْخِ بابِلْ

بَلْقِيسُ

كَانَتْ أطْوَلَ النَّخْلاتِ فِيْ أرْضِ الْعِرَاقْ

كَانتْ إذَا تَمْشِي

تُرَافِقُها طَوَاوِيْسٌ

(١) نزار قباني «قصيدة بلقيس» منشورات نزار قباني/ بيروت / لبنان/ الطبعة السادسة ١٩٩٨.

وَتتبعُهَا أيَائِلْ
بَلْقِيسُ يَا وَجَعِي
ويا وَجَعَ الْقَصِيْدةِ حِيْنَ تَلْمَسُهَا الأَنَامِلْ
هَلْ يَا تُرَىٰ
مِنْ بَعْدِ شَعْرِكِ سَوْفَ تَرْتَفِعُ السَّنَابِلْ؟
يا نَيْنَوَى الْخَضْرَاءُ
يا غَجَرِيَّتِي الشَّقْرَاءَ
يا أمْوَاجَ دَجْلَةَ
تَلْبَسُ فِي الرَّبِيْعِ بِسَاقِهَا
أَحْلَى الْخَلاخِلْ.

. . . .

بَلْقِيْسُ
لاْ تَتَغَيَّبِي عَنِّيْ
فَإِنَّ الشَّمْسَ بَعْدَكِ
لا تُضيءُ عَلَى السَّوَاحِلْ . .

. . . .

بَلْقِيسُ
أيَّتُهَا الشَّهِيْدَةُ وَالْقَصِيْدَةُ
وَالْمُطَهَّرَةُ النَّقِيَّةْ
سَبَأٌ تُفَتِّشُ عَنْ مَلِيْكَتِهَا
فرُدِّي لِلْجَمَاهِيْرِ التَّحِيَّةْ
يَا أَعْظَمَ الْمَلِكَاتِ

يَا امْرَأَةً تُجَسِّدُ كُلَّ أَمْجَادِ الْعُصُوْرِ السُّومَرِيَّةْ
بَلْقِيْسُ
يَا عُصْفُوْرَتِي الأَحْلَى
وَيَا أَيْقُوْنَتِي الأَغْلَى
وَيَا دَمْعاً تَنَاثَرَ فَوْقَ خَدِّ الْمَجْدَلِيَّةْ
أَتُرَى ظَلَمْتُكِ إِذْ نَقَلْتُكِ
ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ ضِفَافِ الأَعْظَمِيَّةْ؟

. . . .

هَلْ تَعْرِفُوْنَ حَبِيْبَتِيْ بَلْقِيْسَ؟
فَهِيَ أَهَمُّ مَا كَتَبُوْهُ فِي كُتُبِ الْغَرَامْ
كَانَتْ مَزِيْجاً رَائِعاً
بَيْنَ الْقَطِيْفَةِ وَالرُّخَامْ
كَانَ الْبَنَفْسَجُ بَيْنَ عَيْنَيْهَا
يَنَامُ وَلا يَنَامْ.

. . . .

بَلْقِيْسُ
مَذْبُوْحُوْنَ حَتَّى الْعَظْمِ
وَالأَوْلادُ لا يَدْرُوْنَ مَا يَجْرِي
وَلا أَدْرِي أَنَا مَاذَا أَقُوْلُ؟
هَلْ تَقْرَعِيْنَ الْبَابَ بَعْدَ دَقَائِقٍ؟
هَلْ تَخْلَعِيْنَ الْمِعْطَفَ الشَّتَوِيَّ؟
هَلْ تَأْتِيْنَ بَاسِمَةً

وَنَاضِرَةً

ومُشْرِقَةً كَأَزْهَارِ الْحُقُولْ؟

بَلْقِيْسُ

إنَّ زُرُوْعَكِ الْخَضْرَاءَ

مَا زَالَتْ عَلَى الْحِيْطَانِ بَاكِيَةً

وَوَجْهَكِ لَمْ يَزَلْ مُتَنَقِّلاً

بَيْنَ الْمَرَايَا وَالسَّتَائِرْ

حَتَّى سِجَارَتُكِ الَّتِي أَشْعَلْتِهَا

لَمْ تَنْطَفِئْ

وَدُخَانُهَا

مَا زَالَ يَرْفُضُ أَنْ يُسَافِرْ.

بَلْقِيْسُ

مَطْعُوْنُوْنَ. . . مَطْعُوْنُوْنَ فِي الأَعْمَاقِ

وَالأَحْدَاقُ يَسْكُنُهَا الذُّهُولْ

بَلْقِيْسُ

كَيْفَ أَخَذْتِ أَيَّامِي وَأَحْلامِي

وَأَلْغَيْتِ الْحَدَائِقَ وَالْفُصُولْ؟

يَا زَوْجَتِي

وَحَبِيْبَتِي وَقَصِيْدَتِي وَضِيَاءَ عَيْنِي

قَدْ كُنْتِ عُصْفُوْرِي الْجَمِيْلَ

فَكَيْفَ هَرَبْتِ يَا بَلْقِيْسُ مِنِّي؟

بَلْقِيْسُ

هَذَا مَوْعِدُ الشَّايِ الْعِرَاقِيِّ الْمُعَطَّرِ
وَالْمُعَتَّقِ كَالسُّلافَةْ
فَمَنِ الَّذِي سَيُوَزِّعُ الأَقْدَاحَ أَيَّتُهَا الزُّرَافَةْ؟
ومَنِ الذي نَقَلَ الْفُرَاتَ لِبَيْتِنَا
وَوُرُوْدَ دَجْلَةَ وَالرَّصَافَةْ؟

. . . .

بَلْقِيْسُ
يَا بَلْقِيْسُ
يَا بَلْقِيْسُ
كُلُّ غَمَامةٍ تَبْكِي عَلَيْكِ
فَمَنْ تُرَى يَبْكِيْ عَلَيَّا؟
بَلْقِيْسُ كَيْفَ رَحَلْتِ صَامِتَةً
وَلَمْ تَضَعِيْ يَدَيْكِ عَلَى يَدَيَّا؟
بَلْقِيْسُ
كَيْفَ تَرَكْتِنَا فِي الرِّيح
نَرْجِفُ مِثْلَ أَوْرَاقَ الشَّجَرْ؟
وَتَرَكْتِنَا - نَحْنُ الثَّلاثَةَ - ضَائِعِيْنَ
كَرِيْشَةٍ تَحْتَ الْمَطَرْ
أَتُرَاكِ ما فَكَّرْتِ بِيْ؟
وَأَنَا الَّذِيْ يَحْتَاجُ حُبَّكِ مِثْلَ «زَيْنَبَ» أَوْ «عُمَرْ»
بَلْقِيسُ
يا كَنْزاً خُرَافِيّاً

ويا رُمْحاً عِرَاقيّاً
وغابَةَ خَيْزُرَانْ
يا مَنْ تَحدَّيْتِ النُّجُوْمَ تَرفُّعاً
مِنْ أيْنَ جِئْتِ بِكُلِّ هَذَا العُنْفُوانْ؟

. . . .

بَلْقِيْسُ
يا بَلْقِيْسُ يا بَلْقِيْسُ
لَوْ تَدْرِيْنَ مِا وَجَعُ الْمَكَانِ؟
فَي كُلِّ رُكنٍ أنْتِ حَائمةٌ كَعُصْفُوْرٍ
وَعَابِقَةٌ كَغَابةِ بَيْلَسَانِ
فَهُنَاكَ كُنْتِ تُدَخِّنِينَ
هُنَاكَ كُنْتِ تُطالِعِيْنَ
هُنَاكَ كُنْتِ كَنَخْلةٍ تَتَمَشَّطِيْنَ
وَتَدْخُلِيْنَ على الضُّيُوفِ
كأنَّكِ السَّيْفُ اليَمَاني.

. . . .

الْبَحْرُ فِي بَيْرُوْتَ
بَعْدَ رَحِيْلِ عَيْنَيْكِ اسْتَقَالْ
والشِّعْرُ يَسْأَلُ عَنْ قَصِيْدَتِهِ
التي لَمْ تَكْتَمِلْ كَلِمَاتُهَا
ولا أَحَدٌ يُجِيْبُ عَلَى السُّؤَالْ.
الْحُزْنُ يا بَلْقِيْسُ

يَعْصُرُ مُهْجَتِي كالبُرْتُقَالَةْ

الآنَ أَعْرِفُ مَأزَقَ الْكَلِمَاتِ

أَعْرِفُ وَرْطَةَ اللُّغَةِ الْمُحَالَةْ

وَأنَا الَّذِي اخْتَرَعَ الرَّسَائِلَ

لَسْتُ أدْرِي كَيْفَ أَبْتَدِئُ الرِّسَالَةْ.

السَّيْفُ يَدْخُلُ لَحْمَ خَاصِرَتِي

وخاصِرَةِ الْعِبَارَةْ

كلُّ الْحَضَارةِ، أنتِ يا بَلْقِيْسُ، والأُنثى حضارَةْ

بَلْقِيْسُ: أنتِ بِشَارَتِي الْكُبْرَى

فَمَنْ سَرَق البِشَارَةْ؟

أنْتِ الْكِتابَةُ قبْلَمَا كانَتْ كِتَابَةْ

أنتِ الْجزيْرةُ والْمَنَارَةْ

بَلْقِيْسُ:

يا قَمَرِي الَّذِي طَمَرُوْهُ ما بَيْنَ الْحِجَارَةْ

الآنَ ترتفعُ السِّتَارَةْ

الآنَ تَرْتَفِعُ السِّتَارةْ.

....

لَمَّا تَنَاثَرَ جِسْمُكِ الضَّوْئِيُّ

يا بَلْقِيْسُ،

لُؤْلُؤَةً كَرِيْمَةْ

فَكَّرْتُ: هَلْ قَتْلُ النِّسَاءِ هِوَايَةٌ عَربيَّةٌ

أم أنَّنا فِي الأصْلِ، مُحْتَرِفُوْ جَرِيْمَةْ؟

بَلْقِيسُ
يَا فَرَسِي الْجَمِيْلَةَ إنَّنِي
مِنْ كُلِّ تَارِيْخِي خَجُوْلْ
هَذِي بِلادٌ يَقْتلُونَ بِهَا الْخُيُوْلْ
هَذِيْ بِلادٌ يَقْتُلُوْنَ بِهَا الْخُيُوْلْ.
مِنْ يَوْمِ أنْ نَحَرُوْكِ
يا بَلْقِيسُ
يا أحْلَى وَطَنْ
لا يَعْرِفُ الإنْسَانُ كَيْفَ يَعِيْشُ فِيْ هَذَا الوَطَنْ
لا يَعْرِفُ الإنْسَانُ كَيْفَ يَمُوْتُ فِيْ هَذَا الوَطَنْ
مَا زِلْتُ أَدْفَعُ مِنْ دَمِي
أعْلَى جَزَاءْ
كَيْ أُسْعِدَ الدُّنْيَا ولكنَّ السَّمَاءْ
شاءَتْ بأنْ أبقى وَحِيْداً
مِثْلَ أَوْرَاقِ الشِّتَاءْ
هَلْ يُوْلَدُ الشُّعَرَاءُ من رَحِمِ الشقاءْ؟
وَهَلِ الْقَصِيْدَةُ طَعْنَةٌ
فِي الْقَلْبِ لَيْسَ لَهَا شِفَاءْ؟
أَمْ أَنَّنِي وَحْدِي الَّذِيْ
عَيْنَاهُ تَخْتَصِرَانِ تَارِيْخَ الْبُكَاءْ؟

. . . .

نَامِيْ بِحفْظِ اللهِ أيَّتُهَا الْجَمِيْلَةْ

فالشِّعْرُ بَعْدَكِ مُسْتَحِيلٌ
والأُنوثَةُ مُسْتَحِيلَةْ
سَتَظَلُّ أَجْيَالٌ مِنَ الأَطْفَالِ
تَسْأَلُ عَنْ ضَفَائِرِكِ الطَّوِيلَةْ
وَتَظَلُّ أَجْيَالٌ مِنَ الْعُشَّاقِ
تَقْرَأُ عَنْكِ أَيَّتُهَا الْمُعَلِّمَةُ الأَصِيْلَةْ
وَسَيَعْرِفُ الأَعْرَابُ يَوْمَاً
أَنَّهُمْ قَتَلُوا الرَّسُولَةْ
قَتَلُوا الرَّسُوْلَةْ
ق. ت. ل. و. ا
ال. ر. س. و. ل. ة

بيروت في ١٥/١٢/١٩٨١

مُصْطَفَى الزَّرْقَا

(١٣٢٢ - ١٤٢٠ هـ = ١٩٠٤ - ١٩٩٩ م)

مصطفى بن أحمد بن محمد الزرقاء، وُلِدَ في مدينة «حلب» بسورية، وبدأ دراسته في كتاتيب القرآن، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية ثم الثانوية «الخسروية» الشرعية، والتحق بالجامعة السورية، حيث درس الحقوق والآداب في وقت واحد.

وفي سنة ١٩٣٣م، تخرج في الكليتين، وهو يتكلَّمُ الفرنسية جيِّداً، وعمل محامياً أمام المحاكم الوطنية والمختلطة في حلب.

درَّس في عدد من كليات الشريعة في سوريا والجامعة الأردنية والخليج، له إراء في الاجتهاد المعاصر مثل قضايا البنوك والتلقيح الاصطناعي والبيوع الحديثة. انتخب في المجلس النيابي السوري نائباً عن مدينة حلب عام ١٩٥٤م وشغلَ وزارتي العدل والأوقاف عامي ١٩٥٦ ثم ١٩٦٢م.

من أهم مؤلفاته: السلسلة الفقهية: وعنوانها العام: «الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد» بأربعة مجلدات.

السلسلة القانونية: وتتألف من ثلاثة مجلدات في: شرح القانون المدني السوري. له ديوان شعر بعنوان «قوس قزح» ومنه قصيدتان في رثاء زوجتيه الأولى والثانية قدَّمَ لهما بمقدمتين طويلتين نسبياً:

عَبْرَةٌ مِنْ أَسَىً لا آسِيْ لَهُ[1]

«توفيت زوجتي الأولى «وطفاء» في حلب ١٩٤٢م إثر بثرة جرثومية سَمَّمَتْ دمَها، وتورَّم وجهها في سبعة أيام، ولم يكن المضاد الحيوي «البنسلين» قد اكتشف، بل ظهر بعد سنتين من وفاتها.

وقد تركت لي ثلاثة أولاد أكبرهم ابن سبع، وصُغراهم بنتُ ثلاث، وكانت حاملاً في الشهر الثامن فذهب حملُها معها.

كان ذلك صدمةً نفسيَّةً عاطفية مفاجئة لي كادت نفسي تذوب كَمَداً تحت وطأتها وتأثيرها، فجاشت نفسي بهذه القصيدة الرِّثَائِيَّة لها، خلال أيام التَّعزية»

جَنِيْنُها فِيْ جَوْفِهَا خَابِطٌ فَهَلْ دَرَى؟

بَـأَيِّ مَـعْـنَـى نَـعَـبَ الـنَّـاعِـبُ	وأيَّ وَتْــرٍ أَدرَكَ الــطَّــالِــبُ؟
وَأَيُّ مَـحْـبُـوبٍ هَـوَىْ عِـنْـدَمَـا	أَصْـمَـاهُ سَـهْـمٌ لِـلـرَّدَىْ صَـائِـبُ
يَـا مُـزْعَـةً مِـنْ كَـبِـدِيْ شَـقَّـهَـا	مِخْلَبُ ذَيَّاكَ الرَّدَى الْخَالِبُ[2]
وَقِـطْـعَـةً مِـنْ مُـهْـجَـتِـيْ عَـزَّنِـيْ	وَبَـزَّنِـيْـهَـا سَـالِـبٌ غَـالِـبُ
لاْ يَـرْحَـمُ الـضَّـارِعَ مِـنْ عُـنْـفِـهِ	وَهْـوَ عَـلَـىْ أَهْـدَافِـهِ لائِـبُ
فَـلا إِذَا اسْـتَـأْنَـيْـتَـهُ مُـمْـهِـلٌ	وَلاْ إِذَا اسْـتَـفْـدَيْـتَـهُ رَاغِـبُ
وَيَـا صَـبـاً أَنْـشَـقُ مِـنْـهَـا الـصِّـبَـا	يَحْجُبُ عَنِّيْ نَفْحَهَا حَاجِبُ
يَـوْمِـيْ وَلَـيْـلِـيْ وَمَـدٌ بَـعْـدَهَـا	كَـأَنَّـهُ مُـضْـطَـهَـرٌ لاهِـبُ[3]

---

(١) ديوان «قوس قزح» مصطفى أحمد الزرقا الناشر/ عبد المقصود خوجه/ جدَّة. الطبعة الأولى، ١٩٩٦م. وهنا مقطع من القصيدة.

(٢) المُزْعة: القطعة من اللحم أو الشحم.

(٣) الوَمَد: سكون الهواء مع شدة الحر، والفعل: وَمِد. وزان: فَرِحَ.

وَيَا شَبَاباً مُورِقاً مُونِقاً يَنْهَبُهُ مِنْ جَانِبِيْ نَاهِبُ
وَيَا ضياءً يَنْطَفِيْ، فَاسْتَوَىْ فِيْ ظُلْمَتِي الشَّاهِدُ وَالْغَائِبُ!

***

يَا أُختَ رُوْحِيْ، أَيْنَ مِنْكِ انْطَوَىْ بِالأَمْسِ أُنْسٌ مَرِحٌ لاعِبُ؟
سَبْعُ سِنِيْنٍ مِنْ حَيَاةٍ لَنَا تُضْحِي كَأَنْهَا حُلُمٌ ذَاهِبُ
تَبْلَعُهَا سَبْعُ لَيَالٍ عَدَتْ سَيْطَرَ فِيْهَا دَاؤهَا النَّاشِبُ
سَبْعٌ سِمَانٌ أَكَلَتْهَا لَنَا سَبْعٌ عِجَافٌ نَابُهَا قَاضِبُ!
كَأَنَّنِيْ مِنْ بَعْدِهَا ضَائِعٌ فِيْ مَهْمَهٍ لَيْسَ بِهِ صَاحِبُ[1]
وَلا إِلَى الْمَاءِ بِهِ مِنْ هُدَىً وَلاْ مِنْ الإنْسِ بِهِ سَارِبُ
كَأَنَّ نَوْمِيْ بَعْدَهَا طَائِرٌ يُفْزِعُهُ مِنْ مَضْجَعي ضَاغبُ[2]
فَكُلَّمَا حَامَ عَلَىْ مُقْلَتِيْ كَأَنَّمَا يَحْصُبُهُ حَاصِبُ![3]
أَنَّىْ تَوَجَّهْتُ وَفِيْ خَلْوَتِي خَيَالُهَا بِيْ طَائِفٌ رَازِبُ
فِيْ صُوَرٍ مِنْ ذِكْرَيَاتٍ حَلَتْ أَعْقَبَنِيْ مِنْهَا الأَسَى النَّاصِبُ
بَانَتْ كَأَنْ لَمْ تَكُ مَخْطُوْبَةً وَلاْ كَأَنِّيْ ذَلِكَ الْخَاطِبُ
بَلَى، وَلَكِنَّ الرَّدَىْ جَائِلٌ بِفَأْسِهِ لِنَارِهِ حَاطِبُ
قَدِ اسْتَوَىْ لَدَيْهِ مِنْ غَرْسِنَا نَاضِرُه وَالذَّابِلُ النَّاضِبُ
سَاقَتْ إِلَيْهَا حَتْفَهَا بَثْرَةٌ دُوْنَ أَذَاهَا الطَّاعِنُ الضَّارِبُ

---

(١) المَهْمَه: الصحراء الواسعة.

(٢) الضاغب: الإنسان الذي يختبئ فيخيف غيره بمثل أصوات الوحوش.

(٣) حصبه: قذف في وجهه بالحصباء «الحصى».

فِيْهَا الرَّدَى مُخْتَبِئٌ كَامِنٌ لا لادِغٌ فِيْهَا وَلا لاسِبُ[1]

* * *

إنْ أَنْسَ لا أَنْسَ لَهَا سَاعَةً يَذُوْبِ تَحْنَانَاً لَهَا الرَّاقِبُ

تَلَفُظَ أَنْفَاسَاً عَلَى وَجْنَتِي وَصَوْبُ دَمْعِي فَوْقَهَا سَاكِبُ

وَقَدْ عَلاهَا مَنْظَرٌ شَاحِبٌ يَا بِدَمِي مَنْظَرُهَا الشَّاحِبُ!

تُمْلِيْ وَدَاعَاً بَيْنَ أَيْدِيْ الرَّدَى بِنَظْرَةٍ قَلْبِي لَهَا الْكَاتِبُ

أَقْرَأُ فِيْهَا عَهْدَ وِدٍّ مَضَى كَنُغْبَةٍ غَصَّ بِهَا النَّاغِبُ[2]

حِيالَهَا الآسِيْ غَدَا وَاجِمَاً كَأَنَّمَا الطِبُّ هُوَ النَّاكِبُ

قَدْ جَمَدَتْ أَطْرَافُهَا فِيْ يَدِيْ وَقَدْ وَهَى قَلْبٌ لَهَا وَاجِبُ

جَنِيْنُها فِيْ جَوْفِهَا خَابِطٌ فَهَلْ دَرَى أَنْ قَدْ أَتَى السَّائِبُ؟[3]

بَاتَ لَهُ قَابِلَةٌ فِي الثَّرَى مَا حَوْلَهَا أَهْلٌ وَلا حَادِبُ

* * *

حلب، في ١٦ من جمادى الأولى ١٣٦٢هـ = ٢٠/ ٥/ ١٩٤٣م.

فِي الدَّيْجُوْرِ يُمْكِنُنَا التَّنَاجِي[4]

بعد وفاة زوجتي الأولى «وطفاء» بأقل من عام تزوجت زوجتي الثانية «فخرية» بنت أحد أصدقائي في حلب. وقد احتضنت أطفالي

---

(١) اللَّذغ للحيَّة، واللَّسْب للعقرب. وقيل: كلاهما يقال في كليهما.

(٢) النغبة الجرعة من الماء أو غيره مما يشرب، والناغب: الشارب.

(٣) السائب: الخانق، يقال: سأَبَهُ سَأباً، إذا خنقه حتى القتل.

(٤) عنوان القصيدة الأصلي

بقيتُ وغِبتِ بعدكِ ما البقاءُ فديتُكِ لو يُتاح لي الفداءُ.... وهنا مقطع من القصيدة.

الثلاثة من زوجتي الأولى كأنها أُمُّهم الحقيقية. وقضيت معها أربعين عاماً، ورزقت منها ولديَّ الأصغرين. وفي منتصف عام / ١٩٨١م/ ظهر معها داء السرطان في الأمعاء. وفي نهاية سنتين من الإصابة توفيت. وكانت وفاتُها، بالنسبة إلي، كارثة هدَّتْ ركنَ حياتي وزعْزَعتْ كياني كلَّه، وأصبحتُ وحيداً فريداً، إذ كان كلُّ ولدٍ من أولادي الخمسة في بقعة نائية من الأرض، وكانت هي لي كل شيء[1].

بَقَيْتُ وَغِبْتِ!! بَعْدَكِ مَا البقاءُ؟ ... فَدَيْتُكِ لَوْ يُتَاحُ لِي الْفِدَاءُ

وَدِدْتُ لَوَ أنَّ يَوْمِيَ قَبْلَ يَوْمٍ ... فَقَدْتُكِ فِيْهِ وَانْقَطَعَ الرَّجَاءُ

شَقِيْقَةَ رُوْحِيَ اسْتَمِعِيْ وَرُدِّيْ ... فَمَا عَهْدِيْ بِشِيْمَتِكِ الْجَفَاءُ

رَثَيْتُ سِوَاكِ يَا فَخْرَ الْغَوَالِيْ ... فَأَمَّا أَنْتِ فَاسْتَعْصَى الرِّثَاءُ

وَيَسْأَلُنِيْ صَدِيْقٌ كَيْفَ حَالِيْ؟ ... فَيَخْنِقُنِيْ وَيَغْلِبُنِي الْبُكَاءُ!

كَذَاكِ الدَّمْعُ يُصْبِحُ خَيْرَ رَاثٍ ... إِذَا مَا الرُّزْءُ ضَاقَ بِهِ الْوِعَاءُ

تَلَجْلَجَ بِيْ لِسَانٌ لَمْ يَخُنِّيْ ... وَلَمْ يَكُ قَطُّ يُعْيِيْهِ الأَدَاءُ

وَلَكِنِّيْ بِفَقْدِكِ عُدْتُ طِفْلاً ... أَضَاعَ الْبَيْتَ إِذْ حَلَّ الْمَسَاءُ

فَلَيْسَ لَدَيْهِ غَيْرُ الدَّمْعِ نُطْقٌ ... وَلا صَبْرٌ لَدَيْهِ وَلا اهْتِدَاءُ

وَبَاتَ الْكَوْنُ فِيْ عَيْنَيْهِ غُوْلاً ... وَلَيْسَ لَهُ سِوَى «مَامَا» نِدَاءُ

فَقَدْتُ الْوَالِدَيْنِ فَكُنْتُ ثَبْتاً ... أَخَا جَلَدٍ، وَفِيْ عَزْمِيْ مَضَاءُ

وَلَكِنِّيْ فَقَدْتُكِ حِيْنَ عَزْمِيْ ... تَخَاذَلَ، وَاسْتَبَدَّ بِي الْعَيَاءُ

* * *

(١) ديوان «قوس قزح» وهنا مقطع من القصيدة.

حَنَانُكِ كَانَ إِنْعَاشاً لِرُوْحِيْ وَمِنْ كُرَبِ الْهُمُوْمِ هُوَ الشِّفَاءُ

وَكُنْتِ الْعَقْلَ وَالأَخْلاقَ زَانَتْ لِيَ النُّعْمَىْ، وَتَوَّجَهَا الْوَفَاءُ

وَنِعْمَ الْمُسْتَشَارُ، وَكَمْ هَدَانِيْ لِخَيْرِ مَسَالِكِيْ مِنْكِ الذَّكَاءُ

وَبَيْتِيْ جَنَّةٌ مَا كُنْتِ فِيْهِ وَيَلْفَحُنِيْ إِذَا غِبْتِ الشَّقَاءُ

وَفِيْ حُسْنِ التَّعَاطُفِ كَانَ مِنَّا لَنَا عَنْ طُوْلِ غُرْبَتِنَا عَزَاءُ

فَأَنْتِ الرُّكْنُ فِيْ دُنْيَا حَيَاتِيْ وَأَنْتِ وَأَنْتِ مَائِيْ وَالْغِذَاءُ

وَفَرْتِ رَغَائِبِيْ حُبّاً وَرُشْداً كَأَنَّكِ قَدْ خُلِقْتِ كَمَا أَشَاءُ

قَضَيْنَا فِي الشَّبَابِ الثَّرِّ عُمْراً وَفِيْ شَيْخُوْخَتِيْ ازْدَادَ الْوَلاءُ

***

أَحَبُّ إِلَيَّ بَعْدَكِ مِنْ ضِيَاءٍ ظَلامٌ فِي اللَّيَالِيْ وَانْزِوَاءُ

فَفِي الدَّيْجُوْرِ يُمْكِنُنَا التَّنَاجِيْ وَفِيْهِ عَلَى الْخَيَالِ لَنَا لِقَاءُ

فَيُؤْنِسُنِيْ خَيَالُكِ فِي الدَّيَاجِيْ وَيُوْحِشُنِيْ بِفُرْقَتِهِ الضِّيَاءُ

***

عمَّان ١٥ من رمضان ١٤٠٣هـ = ٢٥/٦/١٩٨٣م

حَامِد حَسَن

(١٣٣٣ - ١٤١٩ هـ = ١٩١٥ - ١٩٩٩ م)

وُلِدَ في قرية «حبسو» في الدريكيش «محافظة طرطوس» بسورية.

تلقَّى تعليمه في«اللاييك» بطرطوس، وفي كلية القديس يوسف «الآداب العربية المدرسية». وعمل في حقل التعليم «١٨» عاماً، فدرَّسَ اللغة العربية وآدابها، وأصبح مديراً للثانوية الأرثذوكسية في طرطوس.

أصدر مجلة «النهضة بالاشتراك مع الدكتور وجيه محيي الدين عام ١٩٣٨ في طرطوس». وعيِّن في لجنة الشِّعْر في المجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية في دمشق.

انتقل عام ١٩٣٦ من وزارة التعليم الى وزارة الثقافة والارشاد القومي، فعمل في دائرة المراكز الثقافية وفي مديرية التأليف والنشر. وأحيل عام ١٩٧٥ إلى التقاعد وتفرغ للشعر والبحث.

له العديد من المؤلفات منها: «ثورة العاطفة» شعر و«في سبيل الحقيقة والتاريخ» دراسة و«المكزون السنجاري» دراسة بثلاثة أجزاء و«صالح العلي ثائراً وشاعراً» دراسة ومختارات «الشعر بنية وتشريحاً» دراسة.

صدرت أعماله الشعرية الكاملة بعد وفاته في مجلدين عن دار الينابيع دمشق ٢٠٠٣.

قصيدته في رثاء زوجته «هاجر» كتبها في ١٨ شباط ١٩٩٢ وهي

تصوَّر حزناً مريراً كابده بعد فراق شريكته لنصف قرن من عمر الزمان[1].

وَغَدَاً أَخِفُّ إِلَىٰ التُّرَابِ لأَسْتَرِيْحَ إِلَىٰ جِوَارِكْ

هاجر ـ أم سهيل

-١-

هَلْ تَسْأَلِيْنَ عَلَىٰ بِعَادِكِ كَيْفَ حَالُ أَبِيْ سُهَيْلِ؟
رَقَدَتْ جُفُوْنُ الْهَانِئِيْنَ وَضَجَّ بِالْحَسَرَاتِ لَيْلِيْ

جَلَّ الْمُصَابُ ـ مُصَابُ قَلْبِيْ ـ فِيْكِ عَنْ حُسْنِ الْعَزَاءْ
هَلْ تَمْسَحَنَّ عَلَىٰ نَزِيْفِ جِرَاحِهِ كَفُّ الْمَسَاءْ؟

سِيَّانَ بَعْدَكِ شَامِخَاتُ الْقَصْرِ عِنْدِيْ وَالتُّرَابُ
مَا نَفْعُ هَذَا الْقَلْبِ إِنْ مَاتَتْ أَمَانِيْهِ الْعِذَاب

عِشْنَا مَعَاً مُتَوَحِّدَيْنِ عَلَى الْهَوَىٰ عُمْرَاً مَدِيْدَا
وَالْعَيْشُ كَانَ عَلَىٰ بَسَاطَتِهِ كَمَا شِئْنَا رَغِيْدَا

خَمْسُوْنَ عَامَاً أَوْ يَزِيْدُ مِنَ الْمُصَاحَبَةِ النَّبِيْلَةْ
لَمْ يَدْرِ حَرَّ الشَّمْسِ عُصْفُوْرَانِ دَارُهُمَا خَمِيْلَةْ

---

(١) «إلى روح أم سهيل - عاد الربيع بكل لاهثة العبير ولم تعودي» حامد حسن/ صدرت في كراس منفرد عن مطبعة عكرمة بدمشق بدون تاريخ.

زَوْجٌ كَـأَنَّ الـلـهَ رَبَّ الْـعَـطْـفِ لَـمْ يُـبْـدِعْ سِـوَاهَـا
تَـحْـنُـوْ عَـلَـىْ بَـيْـتِـيْ وَأَطْـفَـالِـيْ تَـزُقُّـهُـمُ صِـبَـاهَـا

بِالأَمْسِ كَانَ الْبَيْتُ يَطْفَحُ بِالْحَيَاةِ، وَكَانَ يَـزْهُـوْ
وَأَنَا بِـهِ كَـالـطِّـفْـلِ، أَعْـبَـثُ فِيْ جَـوَانِـبِـهِ، وَأَلْـهُـوْ!!

سَارَتْ سَفِيْنَتُنَا وَبَحْرُ الْعُمْرِ مُضْطَرِبٌ وَهَادِئْ
لَوْلاكِ ضَيَّعْتُ الْمَرَافِئَ، وَابْتَعَدْتُ عَنِ الشَّوَاطِئْ

الْحُبُّ عِنْدِيْ فِي الْمَشَاعِرِ، وَالْجَوَارِح وَالْعِظَامِ
وَأَرَاهُ يَـنْـبَـعُ مِـنْ عُـيُـوْنِـكِ، وَابْـتِـسَـامِـكِ وَالْـكَـلامِ

كُــلُّ اخْــتِــلافٍ كَــانَ أَوَّلُــهُ، وَآخِــرُهُ عِــتَــابُ
وَأَجُـوْزُ بِـالْـخَـطَـإِ الـصَّـوَابَ، وَمَـا تَـعَـدَّاكِ الـصَّـوَابُ

إِنْ ثُرْتُ أَحْيَانَاً تُطَالِعُنِيْ - مَعَ الْحُبِّ - ابْتِسَامَةْ
فَأَخِفُّ مُعْتَذِراً - وَبِيْ خَجَلٌ - وَتَنْقَشِعُ الْغَمَامَةْ

عِشْنَا، وَكُنْتِ مَدَىْ حَيَاتِكِ كُلَّ شَيءٍ فِيْ حَيَاتِيْ
وَأَنَـا أَنَـا حَـتَّـى الْـمَـمَـاتِ، وَرُبَّـمَـا بَـعْـدَ الْـمَـمَـاتِ

عَـلَّـمْـتِـنِـيْ، وأَخَـذْتُ عَـنْـكِ رَوِيَّـةً وَهُـدُوْءَ طَـبْـعِ
لَوْ تُشْفِقِيْنَ عَلَيَّ كُنْتِ تَرَكْتِ لِيْ بَصَرِيْ وَسَمْعِيْ

-٢-

وَغَدَاةَ أَزْمَعْتِ الرَّحِيْلَ إِلَى دِمَشْقَ، إِلَى الطَّبِيْبِ
كَانَ الْوَدَاعُ مِنَ الأَكُفِّ مِنَ الْعُيُوْنِ مِنَ الْقُلُوْبِ!!

وَدَّعْتِنِيْ وَمَشَيْتِ نَحْوَ الْبَابِ مُثْقَلَةً خُطَاكِ
وَنَظَرْتِ لاهِفَةً إِلَيَّ وَقَدْ تَنَدَّتْ مُقْلَتَاكِ

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ النَّظْرَةَ الْوَلْهَى نَذِيْرَةْ
كَانَتْ تَقُوْلُ ـ وَكُنْتُ أَجْهَلُ مَا تَقُوْلُ ـ أَنَا الأَخِيْرَةْ

-٣-

لا تَسْأَلِيْنِيْ كَيْفَ قَامَتْ «بِالدِّرِيْكِيْشِ[١]» الْقِيَامَةْ؟؟
أَوَ لَمْ تَرَيْهَا خَيْرَ أَرْضِ اللهِ دَاراً لِلإِقَامَةْ؟

الشَّعْبُ يَزْحَمُ كُلَّ مُنْعَطَفٍ، وَيَشْغَلُ كُلَّ سَاحِ
لَوْ تُبْصِرِيْنَ وَتَسْمَعِيْنَ، هَدِيْرَ نَازِفَةِ الْجِرَاحِ!!

الزَّاحِفُوْنَ إِلَىْ وَدَاعِكِ يَمْلأوْنَ الدَّرْبَ سَيْلا
وَأَنَا وَرَاءَهُمُ وَقَدْ حَمَلُوا إِلَىْ «التَّوْبَادِ[٢]» لَيْلَىْ

---

(١) الدريكيش: مدينة جبلية تابعة لمحافظة طرطوس السورية، وهي مدينة الشاعر وزوجته الراحلة.

(٢) «التوباد» جبل في أرض بني عامر بنجد، تابعة لمنطقة الرِّياض الحالية، نشأت =

ضَاقَتْ بِهِمْ كُلُّ الدُّرُوْبِ إِلَى الضَّرِيْحِ وَكُلُّ مَعْبَرْ
فَذَكَرْتُ يَوْمَ الْعُرْسِ.. لَكِنْ كانَ عُرْسُ الْمَوْتِ أَكْبَرْ

وَقَفَ الْبَنُوْنَ حِيَالَ نَعْشِ الأُمِّ أَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعْ
لَوْ أَنَّ مَا فِيْ صَدْرِ وَاحِدِهِمْ عَلَىْ جَبَلٍ تَصَدَّعْ

هَذَا ضَرِيْحُكِ أَمْ تِلالٌ مِنْ أَكَالِيْلِ «الْورَادِ»؟
وَأَظُنُّ كَفَّكِ رَاحَ بَيْنَ الْوَرْدِ يَبْحَثُ عَنْ فُؤَادِيْ

نَامِيْ بِظِلِّ السِّنْدِيَانِ وَعِنْدَ هَسْهَسَةِ السَّوَاقِيْ
وَاللهُ يَعْلَمُ مَا لَقِيْتُ غَدَ الْفِرَاقِ وَمَا أُلاقِيْ

لَمْ يَدْرِ غَيْرُ اللهِ مَا أَلْقَىْ، وَمَا أُخْفِيْ، وَأُبْدِيْ
أَتُسَافِرِيْنَ مَعَ الْحَيَاةِ وَحِيْدَةً وَأَظَلُّ وَحْدِيْ؟

مَاذَا أَقُوْلُ؟ وَلَمْ يَزُرْ جَفْنَيَّ طَيْفُكِ فِي الْمَنَامِ
وَلأَنْتِ أَرْفَعُ فِي الْحَيَاةِ، وَفِي الْمَمَاتِ عَنِ الْمَلامِ

هَلْ تَسْمَحِيْنَ بَأَنْ يَزُوْرَ الطَّيْفُ أَجْفَانِيْ لِمَامَا؟
فَأَنَا الْيَتِيْمُ، وَصَارَ كُلُّ النَّاسِ فِيْ نَظَرِيْ يَتَامَىْ

= عند سفوحه قصة الحب الشهيرة بين قيس وليلى حيث كانا يرعيان الغنم حوله، ولما ذهب عقل قيس وتوحش كان يأتي الجبل ويتذكر أيامه مع ليلى.

مَا أَوْجَعَ النَّكَبَاتِ إِنْ نَزَلَتْ عَلَىٰ غَيْرِ انْتِظَارِ
لاْ تَعْجَبِيْ إِنْ رُحْتُ أَبْحَثُ فِي النَّهَارِ عَنِ النَّهَارِ

- ٤ -

يَا رَبَّةَ الْكَفِّ النَّدِيَّةِ وَالطَّهَارَةِ وَالضَّمِيْرِ
مَنْ يُغْدِقَنَّ الْعَطْفَ بَعْدَكِ وَالْحُنُوَّ عَلَىٰ الْفَقِيْرِ

تَهِبِيْنَ مَا تَجِدِيْنَ بَيْنَ يَدَيْكِ مِنْ حَاجٍ وَمَالِ
وَأَحَبُّهُ لِلّهِ مَا تَهِبِيْنَهُ قَبْلَ السُّؤَالِ

أَنَا لا أَمُدُّ يَدَيَّ بَعْدِ غَدٍ لأَفْتَتِحَ الْخِزَانَةْ
تَبْقَىٰ ثِيَابُكِ وَالْحُلِيُّ، عَلَى الْمَدَىٰ عِنْدِيْ أَمَانَةْ

لا أَعْتُبَنَّ عَلَى الزَّمَانِ، وَلَسْتُ أُوْسِعُهُ مَلامَا
أَوَ لَمْ يَكُنْ أَغْضَىْ، وَسَالَمَنِيْ مَدَىْ خَمْسِيْنَ عَامَا؟

لَكِنْ تَنَكَّرَ لِيْ عَلَى كِبَرِيْ وَأَرْهَقَنِيْ وَأَشْقَىْ
لَمْ يُبْقِ لِيْ أَمَلاً أَعِيْشُ لأَجْلِهِ فَعَلامَ أَبْقَىْ؟

فَإِذَا طَغَىْ وَبَغَىْ وَعَرْبَدَ، وَاعْتَدَىْ سَأَظَلُّ سَاكِتْ
وَالْقَوْلُ أَبْلَغُ مَا تُغِيْظُ بِهِ الْعُدَاةَ وَأَنْتَ صَامِتْ!

- ٥ -

أَنَا فِي الدُّجَىْ وَالْبَيْتُ ـ كُلُّ الْبَيْتِ ـ تَغْمُرُهُ السَّكِيْنَةْ
تَرْتَادُهُ الأَشْبَاحُ، مُتْعَبَةَ الْخُطَىْ ـ مِثْلِيْ ـ حَزِيْنَةْ

هَجَرَ اللَّذَاتِ مَعَ الْغَدَاةِ نَدِيُّهُ وَانْفَضَّ سَامِرْ
وَالدَّهْرُ أَخْرَسَنِيْ ـ وَكُنْتُ ـ كَمَا يَقُوْلُ النَّاسُ ـ شَاعِرْ

أَنَا فِي الظَّلامِ وَغَامَ فِيْ قَلْبِيْ وَعَيْنَيَّ الضِّيَاءُ
هَلْ تَغْضَبِيْنَ إِذَا سَأَلْتُكِ: أَيْنَ عَدْلُكِ يَا سَمَاءُ؟

- ٦ -

بُعْدَاً وَسُوْءَ غَدٍ لِمَنْ ظَلَمُوْكَ يَا «عَبْدَ الْمُعِيْنِ»
هَلْ كُلُّ مَنْ يَشْكُوْ ظَلامَتَهُ يَكُوْنُ قَلِيْلَ دِيْنِ؟[1]

لَوْ أَدْرَكُوا السِّرَّ الَّذِيْ زَرَعَتْهُ كَفُّ اللهِ فِيْنَا
لَرَأَوا بَأَنَّا خَيْرُ مَنْ فِي الأَرْضِ أَخْلاقَاً وَدِيْنَا

---

(١) يشير إلى الشاعر «عبد المعين الملوحي» وما تعرض له بعد كتابته لمرثيته لزوجته، المنشورة هنا، لما انطوت عليه من ألم عَدَّهُ البعض خروجاً على الأعراف، ومن الواضح أن قصيدة حامد حسن تحاول محاكاة قصيدة الملوحي، في البناء الشكلي، بيد أنَّ ثمة تبايناً واضحاً في المضمون وقوة التعبير وجرأته بين القصيدتين.

الْـحُـبُّ كَـانَ وَظَـلَّ فِـيْـنَـا كَـالـزَّمَـانِ بِـلا حُـدُوْدِ
وَلَـنَـا إِذَا مَـا مَـاتَ وَاحِـدُنَـا بِـهِ أَجْـرُ الـشَّـهِـيْـدِ

زَرَعَـتْ يَـمِـيْـنُ الْـحُـبِّ حُـنْـجُـرَةَ الْـبَـلابِـلِ بِـالْـغِـنَـاءِ
وَأَضَـاءَ حَـتَّـى فِـي ظَـلامِ الْـيَـأْسِ مِـصْـبَـاحُ الـرَّجَـاءِ

كَـانَـتْ تُـمَـثِّـلُ كُـلَّ شَـيءٍ عِـنْـدَ شَـاعِـرِهَـا «بَـهِـيْـرَةْ»
كَـانَـتْ أَمِـيْـرَتَـهُ، أَيُـغْـفَـرُ ذَنْـبُ مَـنْ قَـتَـلَ الأَمِـيْـرَةْ؟

أَنَا فِيْ شِتَاءِ الْعُمْرِ يَا «عَبْدَ الْمُعِيْنِ» أَضَعْتُ قَلْبِيْ
مَـا كَـانَ ذَنْـبُـكَ فِـيْ رَبِـيْـعِ الْـعُـمْـرِ إلا بَـعْـض ذَنْـبِـيْ

كَانَتْ «بَهِيْرَةُ» فِيْ حَيَاتِكِ مِثْلَ «هَاجِرَ» فِيْ حَيَاتِيْ
وَالْـيَـوْمَ بَـعْـدَهُـمَـا نَـعِـيْـشُ عَـلَـىْ مَـرِيْـرِ الـذِّكْـرَيَـاتِ

يَـلْـتَـاعُ قَـلْـبُـكَ كُـلَّـمَـا خَـطَـرَتْ يَـتِـيْـمَـتُـهَـا «خُـزَامَـى»
وَأَنَـا مَـضَـتْ عَـنِّـيْ وَأَبْـقَـتْـهُـمْ ثَـمَـانِـيَـةً يَـتَـامَـىْ

فَـإِذَا أَطَـلَّـتْ عِـنْـدَ هَـادِئَـةِ الْـعَـشِـيَّـةِ نَـجْـمَـتَـانِ
تَـتَـغَـامَـزَانِ وَتَـهْـمِـسَـانِ وَتَـضْـحَـكَـانِ وَتَـبْـكِـيَـانِ

وَإِذَا تَـنَـهَّـدَتَـا وَمَـزَّقَـتِ الـسَّـكِـيْـنَـةَ أَنَّـتَـانِ
فَـهُـمَـا هُـمَـا، وَأَنَـا وَأَنْـتَ، عَـشِـيْـقَـتَـانِ وَعَـاشِـقَـانِ

- ٧ -

سَأُعَلِّمُ الأَزْوَاجَ كَيْفَ يُفَتِّشُوْنَ عَنِ الْحَقِيْقَهْ
وَأَقُوْلُ: جَدِّيْ آدَمُ الْمِسْكِيْنُ لَمْ يُخْطِئْ طَرِيْقَهْ

مَا بَالُهُمْ يَتَفَلْسَفُوْنَ وَيَبْحَثُوْنَ عَنِ الْخَطِيْئَةِ؟
لاْ تَظْلِمُوا حَوَّاءَ أُمَّكُمُ، فَأُمُّكُمُ بَرِيْئَةْ

لَمْ نَدْرِ لَوْلاهَا، وَلَوْلا حُبُّهَا مَعْنَى الْحَيَاةِ
وَالنُّوْرُ نُوْرُ اللهِ يُشْرِقُ مِنْ قُلُوْبِ الأُمَّهَاتِ

قِيْلَ: التَّأَنُّقُ وَالتَّبَرُّجُ شَاهِدَانِ عَلَى الْغَوَايَةْ
قُلْنَا: هُمَا هَدَفٌ يُرَادُ بُلُوْغُهُ وَنَبِيْلُ غَايَةْ

وَاللهِ مَا اتَّشَحَتْ بِكُلِّ حُلِيِّهَا إلا لِنَرْضَىْ
مَا ذَنْبُهَا إِنْ كَانَ بَعْضُ عُقُوْلِ هَذَا الشَّرْقِ مَرْضَىْ؟

لا تَنْسِبَنَّ لَهَا الْغَوَايَةَ، أَنْتَ يَا ابْنَ أَبِيْكَ أَغْوَىْ
لَمْ تَكْتُبِ التَّارِيْخَ إلا وِفْقَ مَا تَرْضَىْ وَتَهْوَىْ

- ٨ -

لِيْ فِيْ ظِلالِ السِّنْدِيَانِ وَعِنْدَ مُنْعَطَفِ السُّفُوْحِ
رُوْحٌ تَرِفُّ عَلَى الضَّرِيْحِ لِكَيْ تُعَانِقَ أُخْتَ رُوْحِيْ

سَأَعِيْشُ إِنْ طَالَتْ بِيَ الأَيَّامُ إِنْسَانَاً مُعَذَّبْ
وَأَنَا الَّذِيْ أَجِدُ الْعَذَابَ - عَذَابَ ذِكْرَاهَا - مُحَبَّبْ

- ٩ -

وَغَدَاً إِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ سَتَرْجِعِيْنَ مَعَ الشِّتَاءِ
مَاجِئْتِ عَاصِفَةً وَلَكِنْ صَحْوَةً وَنَفِيْفَ مَاءِ

وَإِذَا الرَّبِيْعُ رَمَىْ عَبَاءَتَهُ عَلَىْ فِيْحِ الْكُرُوْمِ[1]
كُنْتِ السَّنَا وَالْعِطْرَ فِي الزَّهْرِ الْفَتِيْحِ وَفِي الْكَمِيْمِ

وَتَحُوْلُ عِنْدَ الصَّيْفِ رُوْحُكِ فِيْ عَصِيْرِ الْكَرْمِ خَمْرَةْ
لاْ تَعْجَبِيْ أَنْ تَسْتَحِيْلَ عَلَىْ فَمِي وَالْقَلْبِ جَمْرَةْ

وَسَتَرْجِعِيْنَ مَعَ الْخَرِيْفِ سَحَابَةً تَمْشِي الْهُوَيْنَى
وَأَكَادُ أَسْمَعُ هَمْسَ صَوْتِكِ فِي الْغَمَامَةِ: مَانَسِيْنَا..

- ١٠ -

مَاذَا وَرَاءَ الْقَبْرِ مِنْ عَدَمٍ يُقَالُ وَمِنْ خُلُوْدِ؟
أَنَا جَاهِلٌ أَعْمَىْ بِكُلِّ خَفِيِّ أَسْرَارِ الْوُجُوْدِ

مَاذَا وَرَاءَ الْقَبْرِ؟ عِنْدِيْ مَا أَضِيْقُ بِهِ سُؤَالا
إِنْ رُحْتُ أُنْزِلُهُنَّ إِيْمَانِيْ يَقُوْلُ الْعَقْلُ: لاْ لاْ

---

(١) الفيح: الواسعة.

مَنْ رَاحَ يُنْكِرُ مَا يُقَالُ فَكَيْفَ يُثْبِتُ مَا يَقُوْلُ؟
أَنَحُوْلُ فِيْ صُوَرٍ - كَمَا قَالُوا - أَنَبْقَى؟ أَمْ نَزُوْلُ؟

إِنْ صَحَّ أَنَّ الْمَرْءَ يَرْجِعُ فِي الطَّبِيْعَةِ مِنْ جَدِيْدِ
هَلْ تَرْجِعِيْنَ مَعِيْ وَلَوْ فِيْ زَهْرَتَيْنِ مِنَ الْوُرُوْدِ؟

وَنَعُوْدُ فِي الْغَابَاتِ وَشْوَشَةً، وَنَوْحاً فِي النَّسِيْمِ
وَرَجِيْعَ أُغْنِيَةٍ عَلَى أَوْتَارِ شَلالٍ نَغِيْمِ

أَوْ نَسْتَحِيْلُ، وَقَدْ تَحَلَّلَتِ الْحَيَاةُ مِنَ الْقُيُوْدِ؟؟
فِيْ حَفْنَتَيْنِ مِنَ التُّرَابِ، وَذَرَّتَيْنِ مِنَ الْحَدِيْدِ؟

- ١١ -

أَنَا فِي الطَّرِيْقِ إِلَى دِمَشْقَ غَداً يُرَافِقُنِيْ سُهَيْلُ
وَالشَّمْسُ مُشْرِقَةٌ وَمِلءُ أَضَالِعِيْ لَيْلٌ وَوَيْلُ

الْوَيْلُ مَزْرُوْعٌ بِكُلِّ جَوَارِحِيْ وَنَزِيْلِ قَلْبِيْ
وَاللَّيْلُ مَفْرُوْشٌ بِأَجْفَانِيْ وَمِلءَ غَدِيْ وَدَرْبِيْ

لا تَعْجَبِيْ وَأَنَا الْمُبِيْنُ إِذَا عَجَزْتُ عَنِ الْبَيَانِ
اللَّفْظُ عَاصَانِيْ، وَضَاقَتْ عَنْ مَعَانِيْكِ الْمَعَانِيْ

مَـاذَا اجْـتَـرَحْـتِ؟ وَأَيَّ شَـائِـنَـةٍ أَتَـيْـتِ؟ وَأَيَّ ذَنْـبِ؟
وَرَفِـيْـقُ دَرْبِـكِ فِـيْ حَـيَـاتِـكِ صَـارَ غَـيْـرَ رَفِـيْـقِ دَرْبِ

وَأَظُـنُّ أَيَّـامَ الْـهَـنَـاءِ عَـلَـيَّ صَـارَتْ مُـسْـتَـحِـيْـلَـةْ
وَقَـلِـيْـلَـةً وَأَوَدُّ لَـوْ كَـانَـتْ أَقَـلَّ مِـنَ الْـقَـلِـيْـلَـةْ

سَـأُذِيْـبُ أَحْـلامِـيْ وَآلامِـيْ وَأَسْـكُـبُـهَـا قَـصِـيْـدَةْ
وَأُزِيْـنُ فِـيْـهَـا الـشِّـعْـرَ مَـعْـصَـمَـهُ وَمَـفْـرِقَـهُ وَجِـيْـدَهْ

سَأُحِيْلُ عُمْرِيْ يَارَفِيْقَةَ رِحْلَتِيْ فِي الْعُمْرِ شِعْرَا
يَـبْـقَـىْ عَـلَـى الأَفْـوَاهِ وَالأَسْـمَـاعِ وَالـتَّـارِيْـخِ ذِكْـرَىْ

وَغَـدَاً أَخِـفُّ إِلَـىْ الـتُّـرَابِ لأَسْـتَـرِيْـحَ إِلَـىْ جِـوَارِكْ
وَيَـكُـوْنَ دَارِيْ بَـعْـدَ أَنْ فَـارَقْـتِ دَارِيْ- قُـرْبَ دَارِكْ

الدريكيش ١٤ شباط ١٩٩٢

مِزْيَد الْخَطِيْب

(١٣٢٧ - ١٤٢١ هـ = ١٩٠٩ - ٢٠٠٠ م)

مِزْيَد نَجِيْب الْخَطِيْب. شَاعِرٌ لُبناني وُلِدَ في بلدة شحيم «إقليم الخروب - لبنان».

عاش في لبنان وسورية. إذ تلقَّى تعليمه الأولي في مدينة «صيدا» وتابع دراسته في دمشق وعمل فيها لبعض الوقت.

عمل في وظيفة إدارية في «إزرع» «متصرفية حوران» إلى جانب خاله متصرِّف حوران «سورية» وبعد عودته إلى لبنان، عمل بالتدريس في مدارس المقاصد الإسلامية، ثم صار مفتشاً عاماً تربويَّاً، إضافة إلى توليه الإمامة والخطابة في مسجد بلدته «شحيم»

كان له دور في مناهضة الاحتلال الفرنسي الذي دبَّر مُحَاولة لاغتياله مما دفعه لمغادرة لبنان «١٩٣٥».

صدر له ديوان: «خواطر» - مؤسسة البيادر - مزرعة الضهر - الشوف ١٩٨١.

وله أعمال الأخرى منها:

- «من أعماق الثورة العربية» و«التغلغل الأجنبي في الجزيرة العربية» و«الشعر والشاعرية والشاعر» و«نفثات في النثر والشعر» و«رباعيات الخطيب» و«دولة الأنباط العربية وعاصمتها البتراء» و«سد مأرب والسيل العرم في اليمن»

توفي في مسقط رأسِهِ «إقليم الخرُّوب بلبنان» عام ٢٠٠٠.

من قصيدة: فِيْ ظِلالِ الْمَوْتِ[1]

عَلَىْ مَهَاوِي الرَّدَىْ مَادَتْ رَوَاسِيْنَا
وَلَفَّهَا الْمَوْتُ، وَاسْوَدَّتْ لَيَالِيْنَا

نَطْوِي اغْتِرَاراً مَيَادِيْنَ الْحَيَاةِ فَلاْ
نُحِسُّ إِلَّاْ وَأَيْدِي الْمَوْتِ تَطْوِيْنَا

مَنْ مُخْبِرِيْ - عَنْ رُبُوْعِ الْوَادِ - مَا فَعَلَتْ
يَدُ الزَّمَانِ بِهَا؟ مَنْ لِيْ بِمَاضِيْنَا؟

وَخَبِّرُوْنِيْ عَنِ «الشَّلَّالِ» هَلْ عَصَفَتْ
رِيْحُ الرَّدَىْ فِيْهِ؟ وَانْدَكَّتْ سَوَاقِيْنَا!

سَكِرْتُ فِيْ خَمْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَهْرَجِهَا
وَمَا دَرَيْتُ بِأَنَّ الْمَوْتَ سَاقِيْنَا

وَخِلْتُ أَنَّ لَيَالِي الْحُبِّ خَالِدَةٌ
وَرَاعَنِي الْيَوْمَ صَوْتُ الْبَيْنِ «يَنْعِيْنَا»

بَانَتْ «شَرِيْكَةُ نَفْسِيْ» قَدْ فُجِعْتُ بِهَا
فَهَلْ يَكُوْنُ - وَرَا الدُّنْيَا - تَلاقِيْنَا؟

يَا مُنْيَةَ الْقَلْبِ مِنْ بَيْنِ الْقُبُوْرِ عَلَىْ
هَذِي الصُّخُوْرِ أُعَانِيْ مَا جَرَىْ فِيْنَا

اقَمْتُ أَرْثِيْ أُوَيْقَاتِ الصَّفَا تَعِسَاً
وَجِئْتُ أَرْثِيْكِ أَوْ أَرْثِيْ أَمَانِيْنَا

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

ثَاوٍ عَلَىٰ صَخْرَةٍ صَمَّاءَ فِيْ وَهَنٍ
بَيْنَ الْجَمَاجِمِ أَبْكِيْهَا فَتُبْكِيْنَا

أَبْكِيْ لِمَصْرَعِهِمْ، أَبْكِيْكِ - يَا أَمَلِيْ -
أَبْكِيْ لِفُرْقَتِنَا، أَبْكِيْ مَسَاعِيْنَا!

تِلْكَ الشَّوَاطِئُ مَا زَالَتْ مُرَنِّمَةً
تَرْوِيْ أَقَاصِيْصَنَا تَتْلُوْ أَغَانِيْنَا

تَشْدُوْ بَأَلْحَانِنَا بَيْنَ الْغُصُوْنِ عَلَى
رَجْعِ السَّوَاجِعِ حِيْناً، وَالْهَوَىٰ حِيْنَا

تَرِنُّ أَنْغَامُهَا - فِي الْوَادِ - سَاحِرَةً
كَنَغْمَةِ الخُلدِ - فِي الْفِرْدُوْسِ - تُصْبِيْنَا

كَنَغْمَةٍ حَمَلَتْ - بَيْنَ الجِنَانِ - صَدَىٰ
حَوَّا، وَآدَمَ نَشْدُوْهَا، وَتَشْدُوْنَا!

على الْحَوَاشِيْ، عَلَىٰ هَذِي التُّخُوْمِ، هُنَا
يَا دَهْرُ جِئْتُ أُنَاجِيْ، مَنْ تُنَاجِيْنَا؟

يَعْقُوْب جَوَاد

(١٣٧٠ - ١٤٢٣ هـ = ١٩٥٠ - ٢٠٠٢ م)

يعقوب جواد الدَّغَّاري. وُلِدَ في بلدة الدَّغّارة «محافظة الديوانية» في العراق وتوفي فيها.

دَرَسَ المرحلة الابتدائية في مدينته «الدَّغَّارة» وأكمل دراسته المتوسطة والثانوية في ثانوية الديوانية والتحق بكلية الزراعة جامعة الموصل غير أنه لم يكمل دراسته فيها.

افتتح حانوتاً لبيع الأدوات المدرسية، وأسهم بالنشر في الصحف والمجلات.

له ديوان بعنوان: «للخريف التاسع والعشرين» - دار الشؤون الثقافية - بغداد ٢٠٠٢ «صدر عقب رحيل الشاعر»، وديوان مشترك بعنوان «الوقوف على جسر الدَّغَّارة» - العراق ٢٠٠١.

أنا للحزن[1]

أَنَا لِلْحُزْنِ بَعْدَكِ، وَالدُّمُوْعُ ... شَرَابِيْ، وَالدُّمُوْعُ دَمٌ نَجِيْعُ

يَقُوْلُوْنَ: التَّصَبُّرُ عَنْكِ أَجْدَىٰ ... وَلَكِنِّيْ أَنَا لاْ أَسْتَطِيْعُ

هَبِيْنِيْ مِنْكِ لِلسُّلْوَانِ قَلْباً ... جَلِيْدَاً لا تَضِيْقُ بِهِ الضُّلُوْعُ

وَعَيْنَاً لا تَظَلُّ تَسُحُّ دَمْعَاً ... وَرُوْحَاً لاْ تُهَدِّمُهَا الصُّدُوْعُ

---

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

وَلاَ تَمْضِيْ فَإِنَّ شَتَاتَ عَقْلِيْ إِذَا مَا ضَعْتِ يَا «أَمَلِيْ» يَضِيْعُ

أَيَا «أُمَّ الْـمُـنَـوَّرِ» كَـلِّـمِـيْـنَـا كِلانَا ذَلِكَ الطِّفْلُ الرَّضِيْعُ

تَمُدُّ إِلَيْكَ كَفُّ الْمَوْتِ كَفّاً لَـهَا نَـابٌ وَمِخْلَبُـهَا فَظِيْعُ

وَتَخْطَفُكِ الْمَنُوْنُ أَمَامَ عَيْنِيْ وَأَدْفَعُـهَا، وَمَنْ ذَا يَسْتَطِيْعُ

يَمُرُّ عَلَيَّ عِيْدُكِ مِثْلَ ذِكْرَىْ وَقَدْ شَحَبَتْ وَأَذْبَلَهَا السُّطُوْعُ

لَقَدْ أَعْطَيْتِ، حَدَّ تَعِبْتِ بَذْلاً وَحَدَّ وَقَعْتِ إِذْ حَانَ الْوُقُوْعُ

لِقَبْرِكِ أَنْ يَضِيْقَ فَمَنْ لِقَلْبِيْ وَأَرْضُ اللهِ لِيْ قَبْرٌ وَسِيْعُ؟

يَشُقُّ عَليَّ يَا أَمَلِيْ وَرُوْحِيْ غِيَابُكِ، ذَلِكَ الْخَطْفُ السَّرِيْعُ

أَفِيْ لَمْحٍ يَصِيْرُ إِلَىْ تُرَابٍ نَسِيْقُ الشَّعْرِ وَالْوَجْهُ الْبَدِيْعُ؟

وَيَحْضُنُ ذَلِكَ الْجَسَدَ الْمُزَكَّىْ لَهِيْبُ الشَّمْسِ وَالْبَرْدُ الصَّقِيْعُ؟

ألا إِنَّ الْمُصِيْبَةَ فِيْكِ جُلَّىْ وَفَقْدُكِ هَكَذَا حَدَثٌ مُرِيْعُ

لَقَدْ غَادَرْتِ حِيْنَ مَضَيْتِ صَبّاً يُجَنُّ بِه لِلُقْيَاكِ الْوُلُوْعُ

لِمَنْ تُبْقِيْنَهُ دُنْيَاهُ دُنْيَا بَلا مَعْنَىً وَعَالَمُهُ صَدِيْعُ

أَحْمَدُ الْوَائِلِي

(١٣٤٦ - ١٤٢٤ هـ = ١٩٢٨ - ٢٠٠٣ م)

شيخ وخطيب وباحث وشاعر عراقي. ولد في النجف.

دخل المدارس الرسمية، ثم دخل في مدارس منتدى النشر حتى تخرج منها عام ١٩٦٢، وحصل على البكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية من كلية الفقه.

كما درس في الحوزة العلمية في النجف، ثم أكمل الماجستير في جامعة بغداد، وكانت رسالته بعنوان «أحكام السجون في الشريعة الإسلامية» ونال الدكتوراه في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عن أطروحته «استغلال الأجير وموقف الإسلام منه».

غادر العراق في عام ١٩٧٩ وقضى في المنفى ربع القرن الأخير من حياته، متنقِّلاً في أكثر من بلدٍ إسلامي وأقام مدَّة في إيران ومن ثم في دمشق.

توفي في ١٣ تموز من عام ٢٠٠٣ بعد عودته إلى العراق بأسابيع.

له عددٌ من المؤلفات والبحوث صدر منها:

«أحكام السجون في الشريعة الإسلامية» و«استغلال الأجير وموقف الإسلام منه» و«هوية التشيع» و«إيقاع الفكر» و«من فقه الجنس» و«جمعيات حماية الحيوان في الشريعة الإسلامية» و«الخلفية الحضارية لموقع النجف قبل الإسلام» و«تجاربي مع المنبر» و«نحو تفسير علمي

للقرآن الكريم» و«دفاع عن العقيدة» و«الأوليات في حياة الإمام علي» إضافة إلى «ثلاثة دواوين مطبوعة»

آهَةٌ فِي رِثَاءِ رَفِيْقَةِ الْعُمْر [1]

رَفِيْقَةَ عَمْرِيْ هَلْ لِجُرْحِيَ بَلْسَمُ
رَحِيْلُكِ أَدْمَاهُ وَمَا انْقَطَعَ الدَّمُ
مَدَدْتُ لَهُ كَفِّيْ فَلَمَّا رَدَدْتُهَا
إِذَا الْكَفُّ مِمَّا يَنْزِفُ الْجُرْحُ عَنْدَمُ [2]
أُحَاوِلُ أَسْلُو الْحُزْنَ وَأَطْرُدُ الشَّجَىٰ
فَيَكْبُرُ حُزْنِيْ بِالسُّلُوِّ وَيَعْظُمُ
أَنَامُ عَلَىٰ صَمْتِ الْجِرَاحِ وَصَمْتُهَا
يُعَبِّرُ عَنْ حَرِّ الْجَوَىٰ وَيُتَرْجِمُ
وَأَصْحُوْ عَلَىٰ سَكْبِ الدُّمُوْعِ وَنَوْحِهَا
وَلِلدَّمْعِ ثَغْرٌ رُبَّمَا يَتَكَلَّمُ

* * *

رَفِيْقَةَ عُمْرِيْ لَيْسَ يَحْجُبُكِ الثَّرَىٰ
وَشَخْصُكِ فِيْ أَعْمَاقِ رُوْحِيَ يُرْسَمُ

---

(١) «ديوان الوائلي» شرح وتدقيق سمير شيخ الأرض مؤسسة البلاغ/ دار سلوني ٢٠٠٧. ص ٤٠٨ / وكذلك «ديوانه» الجزء الثاني ص ١١٠ /الناشر ميثم الخرسان «دون تاريخ».

(٢) عندم: مصطبغة بالدم.

وَفِيْ خَاطِرِيْ مِمَّا طَبَعْتِ شَوَاخِصٌ
تُعَلِّلُ رُوْحِيْ بِالْحَنَانِ وَتُنْعِمُ
وُضُوْحٌ وَإِيْمَانٌ وَطُهْرُ بَرَاءَةٍ
وَوَجْهٌ وَإِنْ أَلْوَىٰ بِهِ الْهَمُّ يَبْسِمُ
وَلَيْسَ الْغِنَىٰ إلا غِنَى النَّفْسِ وَالَّذِيْ
يَحُوْزُ الدُّنَا مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ مُعْدَمُ
وَنَفْسٌ قَنُوْعٌ مَا أَرَتْنِيْ سِوَى الرِّضَا
وَتُشَارِكُ فِي الْعَيْشِ الْقَنُوْعِ وَتُسْهِمُ

***

مَشَيْتِ مَعِيْ فِي الدَّرْبِ وَالْعَيْشُ بُلْغَةٌ
وَوَجْهُ الأَمَانِيْ كَالِحٌ مُتَجَهِّمُ[1]
وَلَمَّا اسْتَرَاشَ الْفَرْخُ وَاشْتَدَّ عُوْدُهُ
وَجَاءَ الرَّغِيْدُ الْحُلْوُ وَانْزَاحَ عَلْقَمُ
شَكَرْتِ وَفِي الْحَالَيْنِ كُنْتِ رَضِيَّةً
وَثَغْرُكِ بِالشُّكْرَانِ لِلهِ مُفْعَمُ
رَفِيْقَيْنِ مِنْ بَعْدِ الثَّلاثِيْنَ خَمْسَةٌ
مَشَيْنَا بِهَا فِيْ دَرْبِنَا وَهْيَ أَنْجُمُ
فَفَرَّقَنَا رَيْبُ الْمَنُوْنِ فَهَا أَنَا
وَحِيْدٌ يَعَضُّ الْحُزْنُ فِيَّ وَيَقْضَمُ

---

(١) البُلْغة من العيش: ما يقتاتُ به، أي العيش على كفاف اليوم.

وَمَا الدَّرْبُ مِنْ دُوْنِ الرَّفِيْقِ سِوَىْ شَجَىً

وَوَحْشَةِ رُوْحٍ وَاكْتِئَابٍ يُخَيِّمُ

* * *

رَفِيْقَةَ عُمْرِيْ أَيُّ حِجْرٍ مُوَطَّئٍ

تَمَرَّغَ أَطْفَالِيْ بِهِ وَتَنَعَّمُوا

يَلُوْذُوْنَ مِنْ قَرِّ الشِّتَاءِ بِدِفْئِهِ

فَإِنْ أَلْحَفُوْهُ تَحْتَ جُنْحَيْكِ هَوَّمُوا

فَلا يَفْتَحُوْنَ الْعَيْنَ إلا لِتَضْحَكِيْ

وَلاْ يُغْلِقُوْنَ الْعَيْنَ إلا لِيَحْلَمُوا

لأَرْؤُسِهِمْ مِنْ جَانِحَيْكِ وِسَادَةٌ

وَأَذْرُعُهُمْ مِنْ تَحْتِ ثَدْيَيْكِ مَحْزَمُ

غَمَزْتِهُمُ تَحْتَ الضُّلُوْعِ فَزَقْزَقُوا

وَنَاغَيْتِهِمْ بِالأَغْنِيَاتِ فَتَمْتَمُوا

بَنَيْتِ لَهُمْ أَجْسَامَهُمْ وَعُقُوْلَهُمْ

وَمَا الأُمُّ إلا صَانِعٌ وَمُعَلِّمُ

فَلَوْلا الَّذِيْ هَدْهَدْتِهِمْ لَمْ يُزَغْرِدُوا

وَلَوْلا الَّذِيْ لَقَّنْتِهِمْ مَا تَفَهَّمُوا

* * *

رَفِيْقَةَ عُمْرِيْ آنَسَ اللهُ وَحْشَةً

وَبَلَّ ثَرَىً وَارَاكِ بِالْغَيْثِ يَسْجِمُ

وَأَعْطَاكِ مِمَّا عِنْدَهُ مِنْ نَعِيْمِهِ
فَمَا عِنْدَهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَأَرْحَمُ

هَنِيْئاً بِمَثْوَاكِ الْكَرِيْمِ بِتُرْبَةٍ
بِحَيْثِ مُجِيْرٌ جَارَهُ لا يُسَلِّمُ

وَجَارُ عَلِيٍّ بِالْحِمَىٰ وَأَبُو الْحِمَىٰ
سَرِيٌّ يُحَيِّ الْوَافِدِيْنَ وَيُكْرِمُ[1]

دَفَنْتُ بِهِ أَهْلِيْ وَرَهْطِيْ فَكُلُّهُمْ
لَدَىٰ تَلَعَاتٍ بِالْغَرِيَّيْنِ نُوَّمُ[2]

صِلِيْهِمْ وَقُوْلِيْ رَحْمَةٌ مِنْ مُخَلَّفٍ
يُقِيْمُ قَلِيْلاً بَعْدَكُمْ ثُمَّ يُقْدِمُ

وَإِنْ سَأَلُوا عَنِّيْ فَقُولِيْ حَبِيْبُكُمْ
يُصَلِّيْ عَلَىٰ أَجْدَاثِكِمْ وَيُسَلِّمُ

سَأَبْقَى إِلَى أَنْ نَلْتَقِيْ بِثَرَى الْحِمَىٰ
وَقَلْبِيْ لَصِيْقٌ بِالتُّرَاثِ مُتَيَّمُ

---

(١) السَّرِيُّ: السخي ذو المروؤة.

(٢) الغَرِيانِ: تثنية الغري وهو المطْلِي، والغريُ: الحسن من كل شيء، والغريان: بناءان كالصَّومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب. هذا ما جاء في «معجم البلدان» لياقوت الحموي، وهناك قصص متعدِّدة وغريبة حول بنائهما، أغلبها يرجعه إلى زمن النعمان بن المنذر.

رُوكس الْعَزِيْزي

(١٣٢١- ١٤٢٥ هـ = ١٩٠٣ - ٢٠٠٤ م)

أديب وباحث أردني من عشائر العزيزات المسيحية التي تنحدر من عزب الغساسنة، ولد في مدينة «مأدبا» «جنوبي عمان في الأردن» وقضى حياته بين الأردن وفلسطين والسعودية ومصر.

تلقَّى تعليمه الابتدائي في مدرسة اللاتين في مدينة «مأدبا» وأجاد اللغتين الفرنسية والإنجليزية.

عملَ مدرِّساً للغة العربية في مدرسة اللاتين في «مأدبا» كما عمل أستاذاً للأدب العربي بكلية «تراسانته» في القدس، ثم تفرغ للعمل الثقافي.

توفي عام ٢٠٠٤ بعد أن عاش قرناً كاملاً وعاماً من السنوات.

أصدر نحو ثمانين كتاباً في مجالات ثقافية مختلفة، ومنها كتابه «جمد الدمع» وهو نثر وشعر في رثاء زوجته «هيلانة»

نَعَيْتُ حَيَاتَيْ[1]

رَحَلْتِ فَخَلَّفْتِ مِنَ الْحُزْنِ لَوْعَةً

أَعِيْشُ بِهَا وَحْدِيْ وَأَكْتُمُهَا جَهْدِيْ

---

(١) هذه الأبيات من مجموعته «جَمدَ الدَّمْعُ» وقد وردت في مقالة د. عباس عبدالحليم عباس «روكس العزيزي خمس سنوات على الغياب» جريدة الدستور الأردنية ٢٠١٠/١/١.

تَذَكَّرْتُ أَيَّامِي الْخَوَالِيْ فَأَسْبَلَتْ

دُمُوْعِيْ وَطَالَ اللَّيْلُ يَا مُنْتَهَى قَصْدِيْ

عَرَفْتُكِ ، مَا أَحْزَنْتِ قَلْبِيَ لَحْظَةً

فَمَا بَالُكِ تَنْسَيْنَ فِيْ لَمْحَةٍ عَهْدِي؟

نَعَيْتُ حَيَاتِيْ فَانْعَمِيْ عِنْدَ رَبِّنَا

فَقَلْبِيْ دَفِيْنٌ فِيْ ضَرِيْحِكِ عَنْ عَمْدِ

بِخَمْسِيْنَ حَوْلاً مَا تَكَدَّرْتُ طَرْفَةً

وَسَبْعٌ تَلَتْهَا ، دُوْنَهَا لَذَّةُ الشَّهْدِ

مِثَالٌ مِنَ الأَخْلاقِ كُنْتِ فَرِيْدَةً

تَطِيْبُ بِكِ نَفْسِيْ وَيَعْلُوْ بِكِ مَجْدِيْ

وَدَاعاً إِلَىْ أَنْ نَلْتَقِيْ عِنْدَ رَبِّنَا

أُعَاتِبُكِ إِنْ كَانَ فِي الْعَتْبِ مَا يُجْدِيْ

إِلَىْ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ يَا «أُمَّ عَادِلٍ

رَضِيْنَا قَضَاءَ الْخَالِقِ الْقَادِرِ الْفَرْدِ

أَحْمَدُ مُحمَّدُ الشَّامِي

(١٣٤٢ - ١٤٢٦ هـ = ١٩٢٤ - ٢٠٠٥ م)

شاعرٌ ودبلوماسي وُلِدَ في مدينة الضالع في اليمن.

تخرَّج في مدارس صنعاء ومعاهدها العلمية.

عمل سكرتيراً بمجلس الوزراء، وقائماً بأعمال المفوضية اليمنية بالقاهرة، ووزيراً في مجلس اتحاد الدول العربية، ووزيراً مفوضاً في لندن، ووزيراً للخارجية اليمنية، وعضواً في المجلس الجمهوري، وسفيراً في لندن، وباريس، وسفيراً متجوِّلاً، ومتفرغا للكتابة والتأليف منذ ١٩٧٤.

من دواوينه الشعرية: «النفس الأولى» و«علالة مغترب» و«من اليمن» و«ألحان الشوق» و«إلياذة من صنعاء» و«حصاد العمر» و«مع العصافير» و«ألف باء اللزوميات» و«أطياف».

وله مؤلفات أخرى منها: «قصة الأدب في اليمن» و«مع الشِّعْر المعاصر في اليمن» «المتنبي» و«السوانح والبوارح» و«شعراء اليمن في الجاهلية والإسلام» و«رياح التغيير في اليمن»

طبعت أعماله الشعرية في ثلاثة مجلدات[1]

---

(١) أحمد محمد الشامي«الأعمال الشعرية الكاملة / ثلاثة مجلدات»«الناشر عبد المقصود محمد سعيد خوجة / جدة ١٩٩٢».

بَعْدَ الْحَبِيْبَةِ[1]

بَعْدَ الْحَبِيْبَةِ مَاتَ الْقَوْلُ وَانْتَحَرَتْ
أَوْزَانُ شِعْرِيْ كَأَنِّيْ صِرْتُ ذَا بَكَمِ
خَرَسْتُ عَامَيْنِ لا أَسْطِيْعُ أَنْدُبُهَا
إلا بِدَمْعٍ عَلَى الْخَدَّيْنِ مُنْسَجِمِ
وَالْيَوْمَ هَا أَنَا مِنْ قِبْرِ الْوُجُوْمِ ، وَفِيْ
ذِكْرَىٰ الْحَبِيْبَةِ رَغْمَ السَّقْمِ وَالْهَرَمِ
أَهُبُّ أَبْكِيْ بِشِعْرِيْ مَنْ لَهَا زَمَناً
أَخْلَصْتُ حُبِّيْ وَكَانَتْ فِيْهِ مُعْتَصَمِيْ

***

كَانَتْ نَدِيْمِيْ وَرَوْحِيْ، وَالْمُعِيْنَ عَلَىٰ
نَوَائِبِ الدَّهْرِ، وَالْمِصْبَاحَ فِي الظُّلَمِ
ظَلَّتْ رَفِيْقِيَ فِيْ حِلٍّ وَمُرْتَحَلٍ
تَرْعَىٰ حُقُوْقِيْ بَلا مَنٍّ وَلا سَأَمِ
وَالْيَوْمَ عَامَانِ قَدْ مَرَّا وَمَا بَرِحَتْ
نَجْوَىٰ خَيَالِيْ وَتَفْكِيْرِيْ وَلَحْنَ فَمِيْ
إِذَ هَجَعْتُ أَتَتْنِيْ فِيْ غَلائِلِهَا
تَخْتَالُ كَالرِّيْمِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ

---

(١) مقالة د. جابر قميحة «الرثاء في ديوان الشِّعْر العربي» رابطة أدباء الشام لندن ٣٠-٠١-٢٠١٠.

وَإنْ جَفَانِيْ الْكَرَىْ بَاتَتْ تُسَامِرُنِيْ

بِالذِّكْرَيَاتِ ، وَإِنْ هَوَّمْتُ لَمْ تَنَمِ

وَكُنْتُ كَالطِّفْلِ تَرْعَانِيْ أُمُوْمَتُهَا

لِلْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَالرَّحِمِ

* * *

كَانَتْ وَكُنْتُ رَفِيْقَيْ رِحْلَةٍ حَفَلَتْ

بَالطَّيِّبِ الْفَذِّ مِنْ عَيْشٍ وَمِنْ قِيَمِ

كُنَّا وَكُنَّا، وَمَاذَا بَعْدُ؟ هَا أَنَذَا..

كَأَنَّنِيْ صَارِمٌ فِيْ كَفِّ مُنْهَزِمِ

بَلا نَدِيْمٍ ، وَلا رَجْوَىْ وَلا وَطَنٍ

إلا الثَّمَالَةَ مِنْ حُبِّيْ وَمِنْ نَدَمِيْ

يُوْسُف الصَّائِغ

(١٣٥١ - ١٤٢٦ هـ = ١٩٣٣ - ٢٠٠٥ م)

يوسف نعُّوم الصائغ، شاعر عراقي، وقاص، ورسَّام، ومسرحي وُلِدَ في مدينة الموصل. وتوفي بدمشق في الرابع عشر من ديسمبر «كانون الأول» عام ٢٠٠٥.

نشأ في أسرة مسيحية تهتمُّ بالأدب والسياسة، وبعد أن أكمل دراسته الثانوية بالموصل التحق بدار المعلمين العالية وتخرج فيها عام ١٩٥٥، ثم حصل على درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث من قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة بغداد سنة ١٩٧٤ بمرتبة الشرف عن رسالته «الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام ١٩٥٧» وقد نشرت لاحقاً في كتاب صدر عن إتحاد الكتاب العرب بدمشق ٢٠٠٦. وبإهداء إلى «جولي» زوجته الراحلة.

عَمَل بعدَ تَخرُّجه في التَّدريس خمسة وعشرين عاماً، وعمل مديراً عاماً لدائرة السينما والمسرح، كما عمل بالصحافة وعرف بعموده الأسبوعي في مجلة ألف باء «فوق نار هادئة» و«أفكار بصوت عال»

دواوينه الشعرية: «قصائد غير صالحة للنشر» و«اعترافات مالك بن الريب» و«سيدة التفاحات الأربع» و«اعترافات» و«المعلم» و «قصائد يوسف الصائغ / المجموعة الكاملة/ ١٩٩٢».

وله أعمال أبداعية أخرى، في الرواية: «اللعبة» و«المسافة» وفي المسرح: «الباب» و «العودة» و«ديزدمونة»

كما نشر فصولاً من سيرته الذاتية بعنوان «الاعتراف الأخير لمالك بن الريب» في مجلة الأقلام العراقية، وصدرت لاحقاً في بغداد عن مطبعة الأديب ١٩٨٥، وأعادت نشرها بعد وفاته دار الشروق في القاهرة عام ٢٠٠٨.

في عام ١٩٨٣ كان موقفه المثير للجدل، بإعلانه البراءة من تاريخه السياسي في الحزب الشيوعي العراقي بمقالة عنوانها «مقدمة لقصيدة عن حب فاشل» ونشرها في جريدة خصومه السياسيين «جريدة الثورة»

في آذار عام ١٩٧٦ كان الصائغ وزوجته«جولي» في رحلة سياحية إلى تركيا صحبة صديقه «إبراهيم اليتيم» وزوجته في سيارة الأخير، وفي الطريق بين «أنقرة» و«أضنة» نزلت «جولي» زوجة الصائغ من السيارة، لتشتري أربع تفاحات من الرَّصِيف الآخر، وعند عودتها حاملة «التفاحات الأربع» تعرَّضت وهي تعبر الشارع لحادثة اصطدام فسقطت ميِّتة بينما تدحرجت «التفاحات الأربع» على جانبي جسدها فكانت مجموعته الشعرية في رثائها «سيدة التفاحات الأربع»

سَيِّدَةُ التُّفَّاحَاتِ الأَرْبَعِ

قَبْلَ قَلِيْلٍ
جَاءَتْ سَيِّدَةٌ
وَابْتَاعَتْ أَرْبَعَ تُفَّاحَاتٍ
أَرْبَعَ تُفَّاحَاتٍ حُمْرٍ
وَرَأَيْنَاهَا تَمْضِيْ مُسْرِعَةً
نَحْوَ الْقَفْرِ
كَانَتْ تَضْحَكُ

وَالتُّفَّاحَاتُ الأَرْبَعُ

تَكْبُرُ تَكْبُرُ

ثُمَّ انْقَطَعَ الضَّحْكُ

وَأَعْقَبَهُ صَوْتٌ أَبْيَضُ

وَرَأَيْنَا التُّفَّاحَاتِ الأَرْبَعَ تَسْقُطُ

فَوْقَ الأَرْضِ

أَرْبَعُ تُفَّاحَاتٍ حُمْرٍ

أَرْبَعُ ضَحْكَاتٍ

وَسَادَ الصَّمْتُ

....

اصْغُوا..

سَيِّدَةُ التُّفَّاحَاتِ الأَرْبَعِ

تَضْحَكُ بَعْدَ الْمَوت.

٢١ آذار ١٩٧٦

أَهَذَا كُلُّ مَا يَتَبَقَّى..؟[1]

إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ.. وَاسْوَدَّ....

لَيْلٌ بِلاَ قَمَرٍ أَوْ نُجُومْ،

وَصَارَ النَّدَى مُبْهَماً فِي الْحَدِيقَةِ...

---

(١) هذه المختارات من مجموعة «سيدة التفاحات الأربع» وقد أعتمدت نصوصها هنا، كما نشرت ضمن كتاب «قصائد/ يوسف الصائغ المجموعة الشعرية الكاملة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٢.

سَيِّدَتِي،
سَتَجِيءُ كَعَادَتِهَا،
سَتَعْبُرُ هَذَا الْمَمَرَّ الْكَئِيْبَ،
وَتَمْشِي عَلَى الْعُشْبِ حَافِيَةً،
لَحْظَةً،
وَأَرَى وَجْهَهَا، مُلْصَقاً، فِي زُجَاجَةِ نَافِذَتِيْ،
مِنْ هُنَا،
حَيْثُ يَنْكَسِرُ الضَّوْءُ وَالْوَهْمُ:
عَيْنَانِ ذَاهِلَتَانِ،
وَشَعْرٌ مِنَ الأَبَنُوسِ، قَدِ اخْضَرَّ مِنْ بَلَلِ اللَّيْلِ،
وَالْتَمَعَتْ خُصْلَةٌ مِنْهُ،
فَوْقَ الْجَبِيْنِ،
وَمِنْ دُوْنِمَا كِلْمَةٌ،
وَبِصَمْتِ الْمُحِبِّيْنَ،
سَوْفَ تَمُدُّ أَصَابِعَهَا
وَتُشِيْرُ إِلَىْ بُنْصُرٍ نَزَعُوا خَاتَمَ الْحُبِّ عَنْهُ،
فَمَوْضِعُهُ أَبْيَضُ مِثْلُ جُرْحٍ قَدِيْمٍ،
وَتَبْسِمُ لِيْ..
هَكَذَا .. لَمْحَةً
وَتَغِيْبُ،
وَتَتْرُكُ فَوْقَ ضَبَابِ الزُّجَاجَةِ،
هَذَا الْحَنِيْنَ الْغَرِيْبَ..

حَنِيْنٌ غَرِيْبٌ...
أَنَا .. يُشْبِهُ الْقُبُلاَتِ حَنِيْنِيْ...
سَأَبْحَثُ عَنْ شَعْرَةٍ عَلِقَتْ فِي الْوِسَادَةِ
قِنِّيْنَةِ عِطْرٍ .. عَلاَهَا الْغُبَارُ،
قَمِيْصٍ به عَرَقُ امْرَأَةٍ...
أَهَذَا ، إِذَنْ، كُلُّ مَا يَتَبَقَّى مِنَ الْحُبِّ؟

آذار ١٩٧٦

فَاكِهَةُ الْمَرْأةِ النَّائِمَةِ

كَانَتِ الْمَرْأَةُ النَّائِمَهْ
وَهْيَ فِيْ قَبْرِهَا..
تَسَمَّعُ أَصْوَاتَهُمْ،
وَتُغَالِبُ ضِحْكَتَهَا

....

حِيْنَ صَبُّوا عَلَى الْقَبْرِ،
مَاءَ الْوَدَاعِ الأَخِيْرَ
فَكَّرَتْ:
لُعْبَةُ الْمَوْتِ مُضْحِكَةٌ
وَرَاْحَتْ تُقَارِنُ ، بَيْنَ تَابُوْتِهَا
وَالسَّرِيْرِ

....

لَمْ تَعُدْ تَسْمَعُ الآنَ صَوْتَاً

لَقَدْ ذَهَبُوا كُلُّهُمْ....

وَأَحَسَّتْ نُعَاساً مِنَ الْحُزْنِ

يَمْلأُ تَابُوْتَهَا

وَشَيْئاً مِنَ الْجُوْعِ

مَدَّتْ أَصَابِعَهَا، إِلَىٰ بَاقَةِ الْوَرْدِ

قُرْبَ مَخَدَّتِهَا...

أَكَلَتْ وَرْدَتَيْنِ

.... وَنَامَتْ...

١٢ نيسان ١٩٧٦

حُلُم

حِيْنَ رَأَيْتُكِ فِيْ حُلُمِيْ

كَانَ عَلَىٰ كَتِفِكِ

طِفْلٌ

يَبْكِيْ...

قُلْتِ: إِحْمِلْ طِفْلَكَ عَنِّيْ.

فَحَمَلْتُهُ..

كَانَ جَمِيْلاً..

شَعْرُهُ أَبْيَضُ كَالثَّلْجِ

وَعَيْنَاهُ مُغْمِضَتَانِ

وَحِيْنَ أَخَذْتُهُ

صَارَ يَمُصُّ أَصَابِعَهُ..

إذَّاكَ... نَظَرْتُ إِلَيْكِ
رَأَيْتُكِ تَمْضِيْنَ عَلَىْ عَجَلٍ..
وَتَذَكَّرْتُ بِأَنَّكِ مَيْتَةٌ
فَأَفَقْتُ
اللَّيْلُ عَمِيْقٌ..
وَعَلَىْ كَتِفِيْ طِفْلٌ يَبْكِيْ..

٢ نيسان ١٩٧٦

الْجُثَّةُ

اللَّيْلَةَ..
فِي الأَحْلامِ
مَرَّ عَلَىْ وَجْهِيْ صَوْتُ تَنَفُّسِهَا
فَأَفَقْتُ..
رَأَيْتُ الْجُثَّةَ
فَوْقَ سَرِيْرِيْ
نَائِمَةً
قُمْتُ،
وَأَشْعَلْتُ الضَّوْءَ
فَفَتَحَتِ الجُثَّةُ عَيْنَيْهَا...
سَأَلَتْنِيْ
إِنْ كَانَ اللَّيْلُ عَلَىْ أَوَّلِهِ

قُلْتُ: أَجَلْ...
قَالَتْ: مَا تَأْتِيْ لِتَنَامْ؟!

مَوْتُ الْمَنْزِلِ

وَمِنْ بَعْدِ مَوْتِيْ..
نَظَرْتُ إِلَىْ جَسَدِيْ...
وَبَكَيْتُ
أَرَىْ جُثَّةَ امْرَأَةٍ،
رَافَقَتْنِيْ ثَلاَثِيْنَ عَاْمَاً
أَرَىْ مَنْزِلاً عِشْتُ فِيْهِ
يَمُوْتُ
وَمَاْ زَاْلَ مِنِّيْ بِهِ،
دُمْيَةٌ لِلطُّفُوْلَةِ
ثَوْبُ مُرَاْهِقَةٍ،
قِطَّةٌ...
وَرْدَةٌ فِيْ كِتَاْبٍ
رَسَاْئِلُ حُبٍّ مُخَبَّأَةٌ
بَعْدَ مَوْتِيْ
تَطَلَّعْتُ فِيْ جُثَّتِيْ... وَحَزِنْتُ
رَأَيْتُ عَلَىْ شَفَتِيْ كِلْمَةً
لَمْ تَنَمْ
انْحَنَيْتُ

مَدَدْتُ يَدِيْ
وَمَسَحْتُ عَلَىٰ شَفَتِيْ
وَمَضَيْتُ. . .
قَمِيْصُ نَوْمِهَاْ
مُلْقىً عَلَى السَّرِيْر
كِتَابُها
مِنْضَدَةُ الزِّيْنَةِ
مِشْطُهَا
الْمِرْآةُ
وَالْمِفْتَاحُ مَاْ يَزَالُ
فَوْقَ الْبَاْبِ
يَفْصِلُ بَيْنَ عَاْلَمِ الْحُضُور
وَعَاْلَمِ الْغِيَابْ

١٩ نيسان ١٩٧٦

جُمُعَةُ الأَمْوَاتِ

الْيَوْمَ جُمْعَةُ الأَمْوَاتِ
سَوْفَ يَخْرُجُ النَّاسُ إِلَى الْقُبُوْرِ
قُوْمِيْ مَعِيْ نبْكِ عَلَىْ قَبرِكِ يَاحَبِيْبَتِيْ
وَحِيْنَمَا يُتْعِبُنَا الْبُكَاءُ
نَتْرُكُ عِنْدَ الْقَبْرِ إِكْلِيْلاً مِنَ الزُّهُوْرِ

الْجُثَّةُ وَالسَّيِدَةُ وَالْحَبِيْبَةُ

بَعْدَمَا سَكَنَ الْمَوْتُ فِيْ جَسَدِ السَّيِّدَةْ
وأُلقِيَ فِي الْبَرِيَّةْ
جُثَّةً هَامِدَةْ
رَأَيْتُ الْقَتِيْلَةَ تَنْهَضُ مِنْ جِسْمِهَا
تُسَوِّيْ مَلابِسَهَا
تَتَلَفَّتُ بَاحِثَةً عَنْ حَقِيْبَةِ يَدِهَا
فَإِنْ وَجَدَتْهَا رَنَتْ بِاكْتِئَابٍ إِلَى الْجُثَّةِ الْمَيِّتَةْ
وَسَالَتْ عَلَىْ خَدِّهَا دَمْعَةٌ صَامِتَةْ.

عَبْدُ الْمُعِيْن الْمَلُّوْحِي

(١٣٣٥ - ١٤٢٧ هـ = ١٩١٧ - ٢٠٠٦ م)

وُلِدَ عبد المعين الملوحي في حمص. وتلقَّى تعليمه في حمص ودمشق، وتخرَّجَ في دار المعلمين الابتدائية ثمَّ دار المعلمين العليا، ثمَّ تخرَّجَ في جامعة القاهرة حاملاً الإجازة في اللغة العربية عام ١٩٤٥.

عمل مدرساً في حماة واللاذقية وحمص، ومديراً للمركز الثقافي في حمص، ومديراً للمراكز الثقافية في وزارة الثقافة، ومديراً للتراث العربي، ومستشاراً في القصر الجمهوري، ومدرساً في جامعة بكين. وعضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بدمشق.

توفي في ٢١/٠٣/٢٠٠٦ عن عمر قارب التسعين عاماً.

له أكثر من مائة كتاب في شتى حقول الثقافة، فمن ترجماته لأعمال مكسيم غوركي: «ذكريات حياتي الأدبية» و«المتشرِّدون» و«حادث فوق العادة» و لدوستويفسكي رواية «في سردابي» كما ترجم «حق الشعوب في تقرير مصيرها» للينين و«داغستان بلدي» لرسول حمزاتوف و«الله وبلانكو بوسيني الحقيقي» لبرناردشو و«مختارات من الشِّعْر الصيني»

ومن تحقيقاته: «ديوان ديك الجن الحمصي- جمع مع محيي الدين الدرويش» و«ديوان عروة بن الورد» و«الحماسة الشجرية» و«أشعار اللصوص وأخبارهم»

وله عددٌ من الدواوين الشعرية والمجموعات القصصية.

كما كتب العديد من المقالات للصحف وخصوصاً في جريدة

«صوت الشعب» التي تصدر بدمشق وكان يذيل مقالاته باسم عبد المعين الملوحي «شيوعي مزمن»

وتعدُّ قصيدته «قدر وجريمة» التي كتبها في رثاء زوجته «بهيرة» التي توفيت بالسرطان، أشهر أعماله الشعرية فقد طبعت ومن ثم سحبت من التداول، وبقي تداولها مخطوطة بكتابة اليد، لما تنطوي عليه من غضب وفجيعة وعدم القدرة على التسليم بالقدر، لكنه يعترف لاحقاً بما يشبه الاعتذار بأن نفثات الحزن في القصيدة كانت عاصفة كما يقول. وله مرثية أخرى شهيرة في رثاء ابنته «ورود» وقد صدرتا في كتاب واحدة مع مقدمة ودراسة.[1]

قدر وجريمة[2]

بهيرة عروس عام، وأم ثلاثة أشهر ١٩٤٧

فَـرَغَ الإلَـهُ وَجُـنْـدُهُ مِـنْ قَـتْـلِ زَوْجَـتِـيَ الـصَّـغـيْـرَةْ
وَتَـجَـمَّـعُـوا يَـتَـضَـاحـكُـوْنَ وَقَـدْ تَـوَارَتْ فِـي حَـفِـيْـرَةْ

هَـذَا يَـقُـوْلُ: تَـرَكْـتُـهَـا فِـي الـقـبْـرِ هَـامِـدَةً وَحِـيْـدَةْ
وَيَـقُـوْلُ آخـرُ: قَـدْ لَـمَـسْـتُ الـتُّـرْبَ أبـعْـثُ فِـيْـهِ دُوْدَهْ

وَيَـقُـوْلُ ثَـالـثُـهُـمْ: وَمَـاذَا تَـبْـتَـغِـي الـدَّيْـدَانُ مِـنْـهَـا؟
أَنَا قَدْ أَذَبْتُ عِظَامَهَا وَسَلخْتُ حتَّى الْجِلْدَ عَنْهَا

(١) عبد المعين الملوحي بين الشك واليقين مع قصيدتي «بهيرة» و«ورود» محمد غازي التدمري دار الإرشاد للنشر/ حمص/ سوريا ٢٠٠٧ ص ٦١.

(٢) عبد المعين الملوحي بين الشك واليقين ص ٦١.

وَأَجَابَ رَابِعُهُمْ: - وَكَانَ الْيَوْمَ نَشْوَانَ انْتِصَارْ-
مَا أَعْذَبَ الأَلْحَانَ تُرْسِلُهَا عَرُوسٌ فِي احْتِضَارْ

وَيَقُوْلُ خَامِسُهُمُ: وَمَا أَحْلَىْ أَغَارِيْدَ الْيَتَامَىْ
مَا سَرَّنِي إلا سَمَاعُ عَوِيْلِ طِفْلَتِهَا «خُزَامَىْ»

وَأُحِبُّ مَنْظَرَ زَوْجِهَا تَنْسَابُ أَدْمُعُهُ الْغَزِيْرَةْ
إِذْ رَاحَ يَلْثُمُهَا وَصَاحَ: مَعَ السَّلامَةِ يَا بَهِيْرَةْ

وَأَهَابَ سَادِسُهُمْ : وَهَزَّ الْمَأْتَمُ الدَّامِيْ فُؤَادَهْ:
هَذِي السَّعَادَةُ، لَيْسَ تَرْضِيْنِي سِوَىْ هَذِي السَّعَادَةْ

* * *

أَصْغَى الإِلَهُ وَقَدْ تَلَمَّظَ بِالأَحَادِيْثِ الْعِذَابْ
هَذَا عَذَابِي. .مَنْ أَرَدْتُ أَصَبْتُهُ بِلَظَى الْعَذَابْ

الْيَوْمَ تَمَّ مُؤَزَّراً نَصْرِيْ عَلَىْ فَرْخَيْ حَمَامْ
دَمَّرتُ عُشَّهُمَا وَوَارَيْتُ الْحَمَامَةَ فِي الرُّغَامْ[1]

سَجَدَ الْمَلائِكُ خُشَّعاً وَاللهُ يَرْمُقُهُمْ بَعِيْدَا
لَوْ شَاءَ صَيَّرَهُمْ دُمَىً أَوْ شَاءَ صَيَّرَهُمْ قُرُوْدَا

---

(١) الرغام: التراب.

وَرَآهُمُ إِبْلِيْسُ عَنْ كَثَبٍ فَشَجَّعَهُمْ بِنَظْرَةْ
وَعَلَىْ ذُرَىْ شَفَتَيْهِ مَاتَتَ بَسْمَةٌ صَفْرَاءُ مُرَّةْ

* * *

كَمْ ثَائِرٍ لِلْكِبْرِيَاءِ بَكَتْ عَلَيْهِ الْكِبْرِيَاءُ
الْحِقْدُ مِثْلُ النَّارِ يَأْكُلُهُ وَتَلْعَنُهُ السَّمَاءُ

وَرَمَى الإِلَهُ إِلَىْ سَوَادِ الأَرْضِ نَظْرَتَهُ الرَّهِيْبَةْ
فَإِذَا حَبِيْبٌ سَاهِرٌ يَرْعَىْ مَرِيْضَتَهُ الْحَبِيْبَةْ

نَادَتْهُ وَالآلامُ تَنْهَشُهَا: حَنَانَكَ يَا حَبِيْبِيْ!
نَادَتْهُ تَحْسَبُ فِي اسْمِهِ الْمَيْمُونِ أَدْوِيَةَ الطَّبِيْبِ

سَمِعَ الإلَهُ فَغَاضَهُ - فِيْ نَوْبَةِ الْحُمَّى- نِدَاهَا
مَا بَالُهَا تَدَعُ الإِلَهَ؟ وَمَا لَهَا تَدْعُوْ فَتَاهَا؟

أَنَا قَدْ خَلَقْتُ الأَرْضَ لاْ أَبْغِيْ طَعَاماً أَوْ شَرَابَا
أَنَاْ لَوْ دَعَانِي النَّاسُ كَانَتْ رَحْمَتِي الْكُبْرَىْ جَوَابَا.

هَيَّا انْزَعُوْهَا مِنْ يَدَيْهِ أَو انْزَعُوْهُ مِنْ يَدَيْهَا
أنَا لاْ أُطِيْقُ مَعَانِيَ الإِخْلاْصِ تَمْلأُ مُقْلَتَيْهَا

* * *

سَجَدَ الْمَلائِكُ ثُمَّ رَاحُوا يَرْكَبُوْنَ اللَّيْلَ خَيْلا
يَا رُبَّ جُرْمٍ ظَنَّهُ الإصْبَاحُ بَعْدَ الْفَجْرِ لَيْلا

أَبُهَيْرَتِيْ هَذَا إِلَهُ الْغَابِ فِي الزَّمِنِ الْقَدِيمْ
لاْ يَرْتَضِيْ لَقَباً يَلِيْقُ بِهِ سِوَى الرَّبِّ الرَّحِيمْ

أَحَبَيْبَتِيْ خَرِفَ الإِلَهُ وَمَاْتَ مِنْ زَمَنٍ بَعِيدْ
فَعَلامَ تَعْبُدُهُ الْبَهَائِمُ بِالرُّكُوْعِ وَبِالسُّجُودْ[1]

* * *

لَوْ ذَاْقَ رَبُّكِ لَوْعَةَ السَّرَطَاْنِ فِيْ نَوْبَاْتِهِ
لَوْ ذَاْقَ حُرْقَتَهُ وَقَدْ أَعْيَاْ عِلاْجَ أُسَاْتِهِ

لَوْ كَاْنَ مَسْلُوْلاً يَمُجُّ دِمَاْءَهُ عِنْدَ السُّعَالْ
وَيَرَىْ عَلَىْ مِنْدِيْلِهِ رِئَتَيْهِ تُنْثَرُ كَالرِّمَالْ

لَوْ كَاْنَ مَشْلُوْلاً يَرَى الأَفْعَىْ تَسِيْرُ وَلاْ يَسِيرَ
لَوْ كَاْنَ مَجْنُوْناً يَهِيْمُ فَلا يَجَاْرُ وَلاْ يُجِيرْ

لَوْ ذَاْقَ أَحْلامَ الشَّبَاْبِ وَذَاْقَ آمَاْلَ الصَّبَاْيَاْ
لَوْ ذَاْقَ مَضْرَعَهَا الْوَجِيْعَ يَمُوْجُ فِي صَدْرِ الضَّحَايَاْ

---

(١) هذا البيت حذف من كتاب التدمري، وكتب محله نقاط....

لَـوْ ذَاْقَ رَبُّــكِ لَــذَّةَ الــدُّنْــيَــا وَأَفْــرَاْحَ الْــحَــيَــاةْ
لَوْ ذَاْقَ طَعْـمَ الْـقُـبْلَـةِ الأُوْلَـىْ عَـلَـىْ شَـفَـتَـيْ فَـتَـاةْ

لَوْ كَـاْنَ رَبُّـكِ وَاْلِـدَاً يَـحْـنُـوْ عَـلَـى الطِّـفْـلِ الـرَّضِـيعْ
لَوْ كَـاْنَ يُـبْـصِـرُ حُـمْـرَةَ الْـخَـدَّيْـنِ فِـي الْـوَجْـهِ الْـبَـدِيْـعِ

لَـوْ كَـاْنَ يَـفْـهَـمُ ثَـوْرَةَ الأَحْـرَاْرِ فِـي دُنْـيَـا الْـعَـبِـيـدْ
هَدَموا السُّـجُوْنَ وَشَيَّدُوا مُسْتَقْبَلَ الشَّعْبِ السَّعِيدْ

لَـوْ كَـاْنَ رَبُّـكِ يَـقْـرَأُ الأَلْـوَاْنَ فِـيْ سِـفْـرِ الـصَّـبَـاحِ
لَـوْ كَـاْنَ يَـنْـشَـقُ طِـيْـبَ أَنْـفَـاْسِ الْـبَـنَـفْـسَـجِ وَالأَقَـاحِـيْ

لَـوْ كَـاْنَ يَـشْـعُـرُ بِـالْـوُجُـوْدِ بِـكُـلِّ أَعْـمَـاْقِ الـوُجُـوْدْ
فَـي الـشَّـمْـسِ فِـي الأَنْـسَـاْمِ فِـي تَـرْنِـيْـمَـةِ الـنَّـهْـرِ الْـبَـعِـيـدْ

لَـوْ ذَاْقَ هَـذَا . لَـمْ يَـكُـنْ يَـرْضَـىْ بِـقَـتْـلِ الْـكَـوْنِ ظُـلْـمَـاْ
لَـكِـنَّـهُ مَـاْ ذَاْقَـهُ .. لَـكِـنَّـهُ... مَـاْ كَـاْنَ يَـوْمَـاْ

***

«أَبَـهِـيْـرَتِـيْ» لاْ تَـزْعُـمِـيْ أَنْ قَـدْ عَـرَفْـتِ الْـحَـقَّ بَـعْـدِيْ
أَنَـا صُـنْـتُـهُ وَبَـذَلْـتُ فِـيْ تَـعْـلِـيْـمِـهِ عَـرَقِـيْ وَجَـهْـدِيْ

«أَبَـهِـيْـرَتِـيْ» مَـا الْـحَـقُّ تَـحْـتَ الأَرْضِ أَوْ بَـعْـدَ الْـمَـمَـاتْ
الْـحَـقُّ فَـوْقَ الأَرْضِ فِـي الإِنْـسَـاْنِ فِـيْ هَـذِي الْـحَـيَـاةْ

مَا فِي الْقُبُوْرِ سِوَى التُّرَابِ، سِوَى الظَّلامِ، سِوَى الصُّخُورْ
وَالْـبَـعْـثُ بَـعْـدَ الْـمَـوْتِ كَـانَ وَلا يَـزَالُ مِـنَ الْـغُـرُورْ

لاْ تَـرْتَـجِـيْ فَـرَحَ الـنَّـعِـيْـمِ وَتَـرْهَـبِـي هَـوْلَ الْـجَـحِـيْـمْ
هَـذَا وَذَلِـكَ أَصْـبَـحَـا ذِكْـرَى مِـنَ الْـمَـاضِـي الأَلِـيْـمْ

لاْ تَـطْـلُـبِـي الإِيْـمَـانَ مِـنِّـيْ إِنَّـهُ وَلَّـىْ وَرَاحَـا
قَـتَـلَـتْـهُ كَـارِثَـتِـيْ وَكَـانَ مُـكَـابِـدَاً أَمْـسِ الْـجِـرَاحَـا

لاْ تَـزْعُـمِـيْ أَنَّ الْـمَـمَـاتَ سَـبِـيْـلُ عَـدْلِ الـلـهِ فِـيْـنَـاْ
لَـنْ أَرْتَـضِـيْ غَـيْـرَ الْـحَـيَـاْةِ وَغَـيْـرَ دِيْـنِ الْـعَـقْـلِ دِيْـنَـاْ

* * *

أَحَـبِـيْـبَـتِـي الـعَـدْلُ أَنْ نَـبْـنِـي الـوُجُـوْدَ كَـمَـا نَـشَـاءُ
كَـمْ يَـائِـسٍ نَـادَى الـسَّـمَـاْءَ فَـهَـلْ أَجَـابَـتْـهُ الـسَّـمَـاءُ؟

صَـمْـتُ الْـفَـرَاْغِ يَـلُـفُّـهَـا فَـاشْـرَبْ عَـلَـىْ نَـغَـمِ الْـفَـرَاْغْ
وَاعْـجَـبْ فَـكَـمْ خَـطُّـوا لَـهَـا كُـتُـبَـاً وَصَـاغُـوا مِـنْ بَـلاغْ

إِنْ كُـنْـتُ جَـانَـبْـتُ الـصَّـوَابَ وَمَـا أَظُـنُّ فَـأَخْـبِـرِيْـنِـيْ
مَـاذَا لَـقِـيْـتِ لَـدَى الـتُّـرَابِ ؟ وَمَـا حَـقِـيْـقَـةُ كُـلِّ دِيْـنِ ؟

مَـا لِـيْ أَرَاكِ سَـكَـتِّ عَـنْ رَدِّ الْـجَـوَابِ وَلَـمْ تُـجِـيْـبِـي
قَدْ كَانَ مَعْنَى الصَّمْتِ أَمْسِ: نَعَمْ فَهِمْتُكَ يَا حَبِيْبِيْ

الصَّمْتُ أَبْلَغُ مَنْطِقٍ يَهْدِي النُّفُوْسَ إِلَى الْحَقِيْقَةْ
هَلْ ضَجَّةُ الأَمْوَاْجِ تَسْمَعُ أَنْفُسَاً مَاتَتْ غَرِيْقَةْ

يَا لَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ بَعْثَاً لِلْجُسُوْمِ وَلِلنُّفُوْسِ
لَوْ كَانَ، مَزَّقْتُ الْحَيَاْةَ عَلَىْ ضَرِيْحِكِ يَا عَرُوْسِيْ

لَكِنَّنِيْ أَحْيَا عَلَىْ سُوْرِ الْهَوَىْ وَالذِّكْرَيَاتِ
وَأَعِيْشُ أَعْصِرُ خَمْرَةَ الأَوْهَاْمِ مِنْ سُمِّ الْمَمَاتِ

وَأَعِيْشُ كَيْ تَجِدَ ابْنَتِيْ كَالنَّاْسِ فِيَّ أَبَاً وَأُمَّا
نَامِيْ إِذَاً يَا أُمَّ بِنْتِيْ وَاسْتَغْرِقِيْ فِي الْقَبْرِ نَوْمَا

* * *

«أَبَهِيْرَتِيْ» بَلْ لَسْتِ لِيْ بَلْ أَنْتِ خَائِنَةٌ أَثِيْمَةْ
حَمَّلْتِنِيْ عِبءَ الْهَوَىْ وَتَرَكْتِ طِفْلَتَنَا يَتِيْمَةْ

مَا الدَّاْءُ ؟ لَوْ لَمْ تَرْتَمِيْ لِلدَّاْءِ خَاْضِعَةً إِلَيْهِ
لِمَ لَمْ تَهُبِّيْ حِيْنَ حَلَّ الدَّاْءُ وَاثِبَةً عَلَيْهِ ؟

مَا الْمَوْتُ؟ لَيْسَ الْمَوْتُ عُذْرَاً لِلْخِيَاْنَةِ فِي الْخَؤُوْنْ
لِمَ لَمْ تَثُوْرِيْ لِلْحَيَاْةِ وَتَقْطَعِيْ كَفَّ الْمَنُوْنْ؟

أَزَعِمْتِ أَنَّكِ مُتِّ؟ لاْ مَا مَاْتَ مِنْكِ سِوَى الْوَفَاْءْ
وَلَقَدْ شَقِيْتُ وَكُنْتُ فِيْهِ وَحْدَهُ أَلْقَى الْعَزَاْءْ

سَنَةً قَضَيْتُ عَلَىٰ فِرَاشِكِ سَاهِراً بَرّاً شَفِيْقَا
حِيْنَ ارْتَمَيْتِ وَلَمْ تَرَيْ أَهْلاً وَلَمْ تَجِدِيْ شَقِيْقَا

كَانُوا وَكُنْتِ مَرِيْضَةً يَرْجُوْنَنِيْ بِهَوَى «خُزَامَىٰ»
وَالْيَوْمَ أَمْسَتْ طِفْلَتِيْ نَهْباً كَأَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ

كَانُوْا وَكُنْتِ مَرِيْضَةً يَتَنَافَسُوْنَ عَلَىٰ وِدَادِيْ
وَالْيَوْمَ بَاعُوا ثَوْبَ عُرْسِكِ يَا «بَهِيْرَةُ» فِي الْمَزَادِ

جَاءُوا بِقُمْصَانِ الْعَرُوْسِ وَأَبْرَزُوا سِرْبَالَهَا
فَشَرَتْهُ مُوْمَسَةٌ لِتَخْرِقَهُ وَتَخْسَرَ مَالَهَا

غَضِبَتْ لِبَيْعِ كِسَاءِ مَيِّتَةٍ وَرَأَتْ فِيْهِ عَارَا[1]
وَهْيِ الَّتِيْ بَاعَتْ - لِتَأْكُلَ- عِرْضَهَا الْغَالِيْ جِهَارَا

جَاءُوا بِمِنْدِيْلِ الزِّفَافِ عَلَيْهِ آثَارُ الدِّمَاءِ
لَمَّا رَأَى السِّمْسَارُ حُمْرَتَهُ تَلَعْثَمَ بِالنِّدَاءِ!

أَخْفَاهُ مَذْعُوْراً فَرَامَ النَّبْشَ عَنْهُ أَخٌ حَرِيْصُ
يَا لِلْصُوْصِ!! لَوْ انَّهُمْ شَهِدُوْهُ لانْتَحَرَ اللُّصُوْصُ

---

(١) هذا البيت فيه «زحاف عروضي».

سَنَةً قَضَيْتُ أُرِيْقُ وَجْهِيْ لِلصَّدِيْقِ وَالْمُرَابِيْ
وَأَمُوْتُ مِنْ جُوْعٍ لأَدْفَعَ عَنْكِ أَهْوَالَ الْمُصَابْ

أَسْقِيْكِ مِنْ قَلْبِيْ دَماً، وَجَعَلْتُ دَمْعَكِ لِيْ شَرَابَاْ
وَأَرَىْ عَذَابِيْ فِيْ رِعَاْيَتِكِ السَّعَاْدَةَ لا الْعَذَابَاْ

كَمْ قُلْتِ لِيْ: صَبْراً فَسَوْفَ تَعِيْشُ فِي الدُّنْيَا سَعِيْدَا
وَأَغُضُّ أَجْفَاْنِيْ لِيُبْصِرَ قَلْبِيَ الأَمَلَ الشَّرِيْدَا

أَهَزِئْتِ بِيْ..؟ وَزَعَمْتِ أَنَّكِ فِي طُهْرِ الْحَمَاْمِ
وَوَعَدْتِنِيْ بِسَعَادَتِيْ وَجَعَلْتِنِيْ أَشْقَى الأَنَاْمِ

لا تَزْعُمِيْ أَنَّ الْهَوَىْ لَمْ يَسْتَطِعْ لِلْمَوْتِ دَفْعَا
الْحُبُّ مُنْتَصِرٌ فَهَلْ أَحْبَبْتِنِيْ أَوْ كُنْتِ أَفْعَىْ!

إِنْ خُنْتِنِيْ ..فَعَلامَ خُنْتِ رَضِيْعَةً لَمْ تُكْسَ لَحْمَا
لَمْ تَأْوِ لِلصَّدْرِ الرَّحِيْبِ وَلَمْ تَذُقْ لِلنَّهْدِ طَعْمَاْ

سَتَعِيْشُ لا تَجْرِيْ إِذَا سَمِعَتْ نِدَاْءَكِ: يَا خُزَاْمَىْ.
سَتَعِيْشُ تَقْتُلُنِيْ إِذَاْ نَادَتْ مَعَ الأَطْفَاْلِ: مَاْمَاْ

لاْ ..لَنْ أَكُوْنَ ضَحِيَّةً لِلْغَدْرِ يَاْ أُخْتَ النِّسَاْءِ
سَتَثُوْرُ فِيْ قَلْبِيْ - فَتَغْسِلُ كُلَّ مَاْ فِيْهِ - دِمَاْئِيْ

مُوْتِيْ فَإِنِّيْ خَالِدٌ هَلْ يَعْرِفُ الْمَوْتُ الْخُلُوْدَا؟
سَأُمِيْتُ فِيْ قَلْبِي الْهَوَىْ وَأَعِيْشُ فِي السَّلْوَىْ وَحِيْدَا

مُوْتِيْ! فَلاْ عَاشَ الْجَبَاْنُ فَلَوْ أَرَدْتِ الْعَيْشَ عِشْتِ
إِنْ كُنْتِ أَهْلاً لِلْحَيَاْةِ وَمَجْدِهَا فَعَلاْمِ مُتِّ؟

مُصِّيْ تُرَاْبَ الْقَبْرِ وَاعْتَصِرِي جُسُوْمَ الدُّوْدِ خَمْرَا
لاْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا سِوَىْ مَنْ كَانَ فَوْقَ الأَرْضِ جَمْرَا

مُوْتِيْ فَمَا لَكِ فِي فُؤَاْدِيَ غَيْرُ جُرْحٍ سَوْفَ يَشْفَىْ
الْمَاْرِدُ الْجَبَّاْرُ لاْ يَأْسَىْ لِمَيْتٍ مَاتَ ضَعْفَا

«أَبَهِيْرَتِيْ» . . هَذَا الْجُنُوْنُ فَعَفْوَ قَلْبِكِ عَنْ جُنُوْنِيْ . .
لَمْ أَسْتَطِعْ فَهْماً لِمَوْتِكِ . . يَا «بَهِيْرَةُ» . . . . فَاعْذُرِيْنِيْ .

مَا زِلْتِ فِيْ نَفْسِيْ تَفِيْضِيْنَ الْهَوَىْ جَسَداً وَنَفْسَا
فَإِذَا الْتَفَتُّ - وَلَمْ أَجِدْكِ - قَضَمْتُ كَأْسَ الْخَمْرِ يَأْسَا

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ تَمُوْتِيْ وَالصِّبَا كَالطَّلِّ يَنْدَىْ
فَيَرِشُّ نَهْدَكِ زَنْبَقاً وَيُبَلِّلُ الْخَدَّيْنِ وَرْدَا

بَيْنِيْ وَبَيْنَ الْمَوْتِ حَرْبٌ لَمْ تَزَلْ حَرْباً عَوَانَا
وَسَقَطْتِ فِيْهَا فَانْثَنَيْتُ أُجَرِّعُ النَّفْسَ الْهَوَانَا

قَدْ كُنْتِ أَوَّلَ مَيْتَةٍ أَوْحَتْ عَلَىٰ نَفْسِي الْهَزِيْمَةْ
مَا أَقْتَلَ الذُّلَّ الْجَدِيْدَ لأَنْفِسٍ عَاشَتْ كَرِيْمَةْ

قَدْ كُنْتِ يَنْبُوْعاً مِنَ الإِخْلاصِ فِي صَحْرَاْءِ غَدْرِ
أَطْفَئْتِ لِيْ رُوْحِيْ وَرُحْتِ لِتُطْلِقِيْ كَالنَّسْرِ فِكْرِيْ

زَعَمُوا الْكَمَاْلَ - وَلَمْ نَعِشْ لِسِوَاْهُ - فِي الدُّنْيَا مُحَاْلاً
وَأَرَاْكِ أَدْرَكْتِ الْكَمَاْلَ - فَلَمْ يَغُرَّكِ - وَالْجَمَاْلاً

لَهَفِيْ عَلَىٰ تِلْكَ اللَّيَاْلِي الْوَاْثِبَاْتِ عَلَى السَّرِيرْ
مَا بَيْنَ تَمْتَمَةِ الشِّفَاهِ وَبَيْنَ عَرْبَدَةِ الصُّدُوْرِ

لَهَفِيْ عَلَىٰ ثَلْجِ الْجِبَاْلِ يُذِيْبُهُ لَهَبُ الصَّحَارَىٰ
لَهَفِيْ عَلَى الْوَعْيِ الذَّكِيِّ يَمُجُّهُ هَزَلُ السُّكَارَىٰ

لَهَفِيْ عَلَىٰ الْعِشْرِيْنِ يَحْفُرُ قَبْرَهَا زَوْجٌ جَرِيْحُ
فَتَّاْنَةٌ كَالْفَجْرِ لَوْ يَسْطِيْعُ فَدَّاها الضَّرِيْحُ

يَا أمَّ أَحْلامِيْ تَعَالَيْ نَحْصِ أَحْلامِي الْقَتِيْلَةْ
كَمْ بِتُّ أَسْقِيْهَا فَمَاْتَ الزَّهْرُ وَامَّحَتِ الْخَمِيْلَةْ

قَدْ كُنْتُ أَرْجُوْ فِي هَوَاكِ الأَمْنَ مِنْ نُوَبِ الزَّمَاْنِ
نَغَدَوْتِ أَنْتِ مُصِيْبَتِي الْكُبْرَىٰ وَقَاْتِلَةَ الأَمَاْنِيْ

قَدْ كُنْتُ أَرْجُوْ أَنْ أَرَىْ فِيْ صَدْرِكِ الْفَوَّاحِ وَاْحَةْ
آوِيْ إِلَيْهِ مِنَ الزَّمَاْنِ وَأَتَّقِيْ فِيْهِ جِرَاْحَةْ

فَغَدَوْتُ وَالسَّرَطَاْنُ يَفْتِكُ فِيْهِ لاْ أَسْطِيْعُ مَسَّهْ
يَمْتَصُّ نُضْرَتَهُ وَيَنْمِيْ فِيْهِ رَغْمَ الْمَوْتِ حِسَّهْ

الدَّمْعُ وَالزَّفَرَاْتُ قَدْ جَرَّبْتُ حُرْقَتَهَا جَمِيْعَا
فِيْ وَجْنَتَيْكِ وَقَلْبِكِ الْوَاْهِيْ بَنَتْ وَكْرَا مَنِيْعَا

يَاْ صَرْخَةَ السَّرَطَانِ تَسْمَعُهَا الْجِبَاْلُ وَلاْ تَمِيْدُ
لَو أَنَّهَا دَهَتِ الْحَدِيْدَ لَذَاْبَ كَالثَّلْجِ الْحَدِيْدُ

كَمْ قَدْ غَفَوْتِ عَلَىْ يَدِ «الْمُورفِيْن» بَيْنَ يَدَيَّ سَاعَةْ
وَأَرَاْكِ نَاْئِمَةً فَأَخْنُقُ فِيْ دَمِيْ صَوْتَ الْمَجَاْعَةْ

يَا زَنْدَهَا لَمْ يَبْقَ فِيْهِ مَوْضِعٌ مَا ذَاقَ إِبْرَةْ
قَدْ كَانَ أَبْيَضَ نَاْصِعَاً فَغَدَاْ مِنَ الْوَخَزَاتِ جَمْرَةْ

قَدْ كَانَ أَمْسِ لِرَأْسِيَ الْوَاهِيْ - إِذَاْ أَغْفُوْ - وِسَاْدَاْ
وَالْيَوْمَ أَصْبَحَ زَنْدُهَا كَالشَّوْكِ يَمْنَعُنِيْ الرُّقَاْدَاْ

أَثْوَاْبُ عُرْسِكِ يَا عَرُوْسَ الْعَامِ قَدْ كُفِّنْتِ فِيْهَا
لَمْ تَلْبَسِيْهَا فِي الْحَيَاةِ وَلَمْ تَمِسْ بِرِضَاْكِ تِيْهَا

قَدْ صَارَ عَرْشُ الْحُبِّ مُنْذُ اللَّيْلَةِ الْعَذْرَاءِ نَعْشَا
وَالْيَوْمَ قَدْ أَكَلَ التُّرَابُ كِلَيْهِمَا نَعْشاً وَعَرْشَا

«أَبَهِيْرَتِيْ» ذَاتَ الشُّعُوْرِ الْحُمْرِ قَدْ طَلَعَ الصَّبَاحُ
وَالدِّيْكُ صَاحَ فَكَيْفَ لَمْ يُوْقِظْكِ لِلْحُبِّ الصِّيَاحُ

مَا بَالُ طَرْفِكِ لاْ يَفِيْقُ مُرَنِّقاً يَرْعَى الْحَبِيْبَا[1]
مَا بَالُ ثَغْرِكِ لاْ يَرِنُّ بِقُبْلَةٍ تُحْيِي الْقُلُوْبَا

قُوْمِيْ بِنَا نَرْتَعْ فَقَدْ طَالَ الرُّقَادُ عَلَى السَّرِيْرِ
قُوْلِيْ ألاْ يُؤْذِيْكِ لَمْسُ التُّرْبِ لاْ . . مَسُّ الْحَرِيْرِ

مَا زِلْتُ أَلْثُمُ ثَغْرَكِ الْوَضَّاءَ فِي الرَّسْمِ الصَّغِيْرِ
قُبَلُ الأَمَاسِيْ لَسْتُ أَنْسَاهَا وَلاْ قُبَلَ الْبُكُوْرِ

قُوْلِيْ، أَمَا يَفْتَرُّ ثَغْرُكِ فِي ظَلامِ الْقَبْرِ فَجْرَاْ
فَتُنِيْرُ بَسْمَتُهُ الضَّرِيْحَ وَتَمْلأُ الدِّيْدَانَ ذُعْرَا

قُوْلِيْ: أَلَيْسَ يَرُدُّ لَيْ قُبَلِيْ وَكَانَ بِهَا وَلُوْعَا
كَمْ ثُرْتِ بِيْ أنْ إنْسَهَا يَوْماً، فَأَذْكُرُهَا سَرِيْعَا

---

(١) مرنقاً: مرفرفاً.

وَهْمٌ أُرِيدُ لَهُ الْبَقَاءُ وَلاْ بَقَاءَ لِكَيْ أَعِيشَهْ
أُخْبِيهِ فِيْ قَلْبِيْ فَيُصْبِحُ - فِيْ مَهَبِّ الرِّيحِ - رِيشَهْ

وَيَرُدُّنِيْ هَوْلُ الْمَمَاتِ إِلَى الْحَيَاةِ إِلَى الْحَضِيْضِ
أَلْوَانُ حُمَّىْ هَازِئَاتٌ بِالطَّبِيْبِ وَبِالْمَرِيْضِ

أَحَبِيْبَتِيْ لاْ تَطْلُبِيْ مِنِّي الْوَفَاءَ وَلا الأَمَانَةْ
أَصْبَحْتِ شَيْئَاً لَيْسَ يَدْرِيْ مَا الْوَفَاءُ وَلا الْخِيَانَةْ

الرَّوْضُ وَالأَطْيَارُ وَالأَنْهَارُ قَدْ عَلِمَتْ هَوَانَا
وَمَضَتْ كَمَا كَانَتْ تَفِيْضُ مِنَ الْحَنَانِ عَلى سِوَانَا

وَالشَّمْسُ مَا زَالَتْ - كَمَا كَانَتْ - تَغِيْبُ كَمَا تَغِيْبُ وَتَشْرُقُ
وَالْغُصْنُ يَزْهُوْ حِيْنَ يَلْثُمُهُ الرَّبِيْعُ وَيُوْرِقُ

وَالأَرْضُ كَفَّنَهَا الشِّتَاءُ فَعَادَ يُحْيِيْهَا الرَّبِيْعُ
وَالنَّهْرُ أَطْلَقَهُ فَرَاحَ وَكَانَ يَسْجُنُهُ الصَّقِيْعُ

مَازَالَتِ الأَزْهَارُ عَاطِرَةً تَمِيْسُ عَلَى الْغُصُوْنِ
مَا زَالَتِ الأَطْيَارُ تَشْرَبُ لَحْنَهَا أُذُنُ السُّكُوْنِ

وَالْبَحْرُ يَرْقُصُ مَوْجُهُ وَالشَّاءُ تَسْرَحُ فِي الْهِضَابِ
وَالرِّيْحُ تَمْسَحُ جَبْهَةَ الدُّنْيَا بِمِنْدِيْلِ الضَّبَابِ

وَمَضَتْ تُرِيْدُ الْحُبَّ أَسْرَابُ الْعَذَارَىْ وَالْبَغَايَاْ
وَيُقُلْنَ لِيْ: لاْ زَالَ فِي الدُّنْيَا - فَلاْ تَجْزَعْ - صَبَايَاْ

مَاْ زَالَتِ الشَّقْرَاءُ يُخْجِلُ جِيْدُهَا زَهْرَ الأَقَاحِيْ
وَتَوَدُّ تَسْرِقُ شَعْرَهَا لِشُعَاْعِهَا شَمْسُ الصَّبَاْحِ

مَا زَالَتِ السَّمْرَاءُ تَنْبِضُ شَهْوَةً وَتَبِضُّ فِتْنَةْ[1]
مَا بَيْنَ نَهْدَيْهَا تَثُوْرُ وَتَنْطَفِيْ نَارٌ وَجَنَّةْ

وَيَرَيْنَنِيْ أَذْوِيْ أَسَىْ فَيَقُلْنَ: وَيْحَكَ يَاْ غَبِيْ
النَّاْسُ كُلُّ النَّاسِ فِيْ فَرَحٍ وَأَنْتَ بِنَا شَقِيْ

مَشَتِ الْحَيَاةُ عَلَى الْمَمَاتِ فَلاْ يَلُمْهَا مَنْ يَمُوْتُ
لِلْمَيْتِ قَبْرٌ مُتْرَعٌ بِالدُّوْدِ يُرْهِبُهُ السُّكُوْتُ

وَالْحَيُّ فِيْ يَدِهِ الْوُجُوْدُ وَكُلُّ أَفْرَاْحِ الْوُجُوْدِ
يَحْيَاْ وَكُلُّ دَقِيْقَةٍ مِنْ عُمْرِهِ عُمْرُ الْخُلُوْدِ

لاْ يَسْتَطِيْعُ السَّيْلُ إِيْمَانَاً بِشُحٍّ فِي السَّحَابِ
فَيْضٌ مِنَ الْخَيْرَاْتِ تَفْزَعُ مِنْ تَدَفُّقِهِ الرَّوَابِيْ

---

(١) تَبِضُّ: تسيل وتقطر.

فَتَرَكْتُهُنَّ وَرُحْتُ أَسْعَىٰ نَحْوَ أَرْزَتِنَا الْوَحِيْدَةْ
فَوَجَدْتُهَا لَمْ تَرْعَ مَفْجُوْعاً وَلَمْ تَنْدُبْ فَقِيْدَةْ

أَغْصَانُهَا امْتَدَّتْ عَلَىٰ غَيْظٍ لِتَطْرُدَنِيْ وَحُزْنِيْ
وَحَنِيْنُهَا غَضْبَانُ يَهْتِفُ: يَاْ شَقِيُّ إِلَيْكَ عَنِّيْ

لَوْلا السَّعَادَةُ لَمْ أَعِشْ عُمْراً يُحَارِبُهُ الزَّمَانُ
أَنَا لِلْهَنَاءَةِ عِشْتُ لَمْ أُخْلَقْ لِيَقْتُلَنِي الْهَوَانُ

وَالْغُرْفَةُ الزَّرْقَاءُ فِيْ أَفْيَاءِ «إِهْدِنَ» لاْ تُبَالِيْ
سَاءَلْتُهَا عَنَّا وَعَنْ أَسْرَارِ هَاتِيْكَ اللَّيَالِيْ

فَوَجَدْتُهَا خَرْسَاءَ مَدَّتْ فِيْ غَبَاءٍ سَاعِدَيْهَا
كَالْمُومَسِ الْعَمْيَاءِ مَنْ تَسْمَعْ تَخَلْهُ رَنَاْ إِلَيْهَاْ

مِرْآتُهَاْ لَمَعَتْ تُرِيْدُ لِوَجْهِهَاْ وَجْهاً جَدِيْدَا
وَسَرِيْرُهَا مُتَوَثِّبٌ مُتَرَقِّبٌ عُرْساً سَعِيْدَا

وَمَضَيْتُ لاْ حَجَرٌ وَلاْ شَجَرٌ وَلاْ بَشَرٌ أَرَاهُ
وَشَرِبْتُ وَحْدِيْ لَوْعَتِيْ وَدَفَنْتُ فِيْ قَلْبِيْ أَسَاهُ

وَهُنَاكَ قَامَ عَلى الصُّخُوْرِ الصُّمِّ زَوْجُكِ كَالصُّخُوْرِ
أَقْوَىٰ مِنَ الدُّنْيَا وَأَسْمَىٰ مِنْ تَصَارِيْفِ الدُّهُوْرِ

جَبَلٌ مِنَ الْفُوْلاذِ تَلْطِمُهُ الْبِحَارُ فَلاَ تَكِلُّ
لا الطَّوْدُ مُنْهَارٌ وَلا الأَمْوَاجُ مِنْ عَبَثٍ تَمِلُّ

* * *

«أَبَهِيْرَتِيْ» لا الْبُوْمُ نَاحَ وَلاَ هَزَارُ الرَّوْضِ غَنَّىْ
مَاتَتْ تَعَابِيْرُ الْوُجُوْدِ فَمَا لَهَا فِي النَّفْسِ مَعْنَىْ

إِنْ كُنْتِ مِنْ مَوْتَى الْفَنَاءِ، فَإِنَّنِيْ مَيْتُ الْوُجُوْدِ
الْبَيْتُ قَبْرِيْ، وَالدُّجَىْ يَأْسِيْ، وَهَذَا النَّاسُ دُوْدِيْ

قَالُوْا «الْعَزَاءُ» فَقُلْتُ قَدْ مَاتَ الْعَزَاءُ مَعَ الْحَبِيْبَةْ
سَتَعِيْشُ نَفْسِيْ - بَعْدَ أُخْتِ النَّفْسِ - وَاحِدَةً غَرِيْبَةْ

قَدْ كُنْتُ أَرْجُوْ أَنْ نَسِيْرَ مَعَاً وَنَمْضِيْ فِي الطَّرِيْقِ
لَكِنْ طَلَبْتِ «الرَّاحَةَ الْكُبْرَىْ» فَسِرْتُ بِلاَ رَفِيْقِ

مَا كَانَ أَحْلانَا لَو إِنَّا لَمْ نَزَلْ بَيْنَ الرِّفَاْقِ
إِيْمَانُنَا فِي قَلْبِنَا خَفْقٌ وَنُوْرٌ فِي الْمَآقِيْ

«أَبَهِيْرَتِيْ» إِنِّي لأَسْمَعُ صَرْخَةً فِيْ أَرْضِ شَعْبِيْ
أَنَا وَاْجِدٌ فِيْ بَعْثِهِ سَلْوَايَ بَعْدَ مَمَاتِ حُبِّيْ

أَسْعَىٰ إِلَىٰ نَبْعِ الْحَيَاْةِ بِجَرَّةٍ مُلِئَتْ دُمُوْعَا
هَلْ يَنْقُذُ الْمَاءَ الْقُرَاْحَ فَتَىً يَمُوْتُ ضَنَىً وَجُوْعَا؟

* * *

«أَبَـهِيْرَتِيْ» قَاْلُوا لَنَا مَا هَكَذَا عُرِفَ الرِّثَاْءُ
قُوْلِيْ لَهُمْ بَلْ أَنَّهَاْ نَاْرٌ بِهَا أَحْتَرَقَ الْبُكَاْءُ

صُوَرٌ مُلَوَّنَةٌ تَهُزُّ بِلُغْزِهَا أَعْمَاْقَ نَفْسِيْ
مِنْ ثَوْرَةٍ وَتَمَرُّدٍ طَاغٍ وَمِنْ ضَعْفٍ وَيَأْسِ

الْمَوْتُ - مَاتَ الْمَوْتُ - وَحْشٌ كَاْسِرُ الأَنْيَاْبِ قَاسِيْ
يَلْهُوْ بِأَفْرَاحِ الْحَيَاْةِ فَتَسْتَحِيْلُ إِلَىٰ مَآسِيْ

وَنَظَلُّ - رَغْمَ الدَّاْءِ - رَغْمَ الْمَوْتِ - نَفْرَحُ بِالْوُجُوْدِ
وَنَظَلُّ - رَغْمَ الدَّاْءِ - رَغْمَ الْمَوْتِ - نَحْلُمُ بِالْخُلُوْدِ

حمص ١/ ٨/ ١٩٤٧

مُحَمَّدُ الْمَاغُوْط

(١٣٥٢ - ١٤٢٧ هـ = ١٩٣٤ - ٢٠٠٦ م)

شاعر سوري، وأحد رواد قصيدة النثر العربية، ولد في ٣ نيسان عام ١٩٣٤ في «سلمية» بمحافظة حماة. وفيها تلقَّى تعليمه، ونشأ في عائلة شديدة الفقر وكان أبوه فلاحاً بسيطاً يعمل أجيراً في أراضي الآخرين طوال حياته. انتمى الماغوط إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي دون أن يقرأ مبادئه، حيث يقول: كان في تلك الفترة حزبان كبيران هما «الحزب السوري القومي الاجتماعي» و«حزب البعث» وكان مَقرُّ «حزب البعث» في حارة بعيدة في حين كان مقر «القوميّ» بجانب بيته وفيه «مدفأة» أغرته! فدخل إليه وانضمَّ إلى صفوفه.

كان اغتيال عدنان المالكي«نائب رئيس أركان الجيش السوري» في ٢٢ أبريل ١٩٥٥ نقطة تحوُّل غير محسوبة في حياة الماغوط حيث اتُّهِمَ الحزب «السوري القومي الاجتماعي» باغتياله في ذلك الوقت، ولوحق أعضاء الحزب، وتمَّ اعتقال الكثيرين منهم، وكان الماغوط ضمنهم، فحُبس في سجن «المزَّة» بدمشق، وهناك بدأت حياته الأدبية الحقيقية، إذ تَعرَّف أثناء سجنه على «أدونيس» الذي كان في الزنزانة المجاورة.

خلال فترة الوحدة بين سورية ومصر كان الماغوط مطلوباً في دمشق، فقرَّر الهرب إلى بيروت، ودخل لبنان سيراً على الأقدام، وهناك انضمّ إلى جماعة مجلة «شعر» حيث تعرَّفَ على الشاعر يوسف الخال الذي احتضنه في المجلة بعد أن قدمه أدونيس للمجموعة.

وفي بيروت تعرَّفَ الماغوط، في بيت أدونيس، على الشاعرة سنية صالح «التي أصبحت زوجته لاحقاً» وهي شقيقة خالدة سعيد زوجة أدونيس.

عاد الماغوط إلى دمشق بعد أن صدرت مجموعته الأولى«حزن في ضوء القمر» «عن دار مجلة شعر، ١٩٥٩»، التي ألحقها عن الدار نفسها بعد عام واحد بمجموعته الثانية «غرفة بملايين الجدران» وتوطَّدت العلاقة بين الماغوط وسنية صالح بعد قدومها إلى دمشق لإكمال دراستها الجامعية. وفي العام ١٩٦١ أدخل الماغوط إلى السجن للمرة الثانية وأمضى فيه ثلاثة أشهر، ووقفت سنية صالح إلى جانبه خلال فترة السجن، وتزوجا عقب خروجه من السجن، وأنجبا ابنتيهما «شام» و«سلافة»

توفي الماغوط في دمشق يوم الاثنين ٣-٤-٢٠٠٦ بعد صراع مع المرض.

أما سنية صالح التي يوجه الماغوط هذه المرثية لها فقد ولدت في مصياف التابعة لمحافظة حماه عام ١٩٣٥ وتوفيت عام ١٩٨٥ بعد صراع مع مرض السرطان.

وهي من الأسماء النسوية البارزة في قصيدة النثر العربية. إضافة لكتابتها للقصة القصيرة. ومن أعمالها:

«الزمان الضيق، شعر» «حبر الإعدام، شعر» «قصائد، شعر» «ذكر الورد، شعر» «الغبار،قصص». كما صدرت لها الأعمال الشعرية الكاملة عن دار المدى بدمشق، عام ٢٠٠٨ وبتقديم شقيقتها خالدة سعيد.

سَيَّافُ الزُّهُوْرِ[1]

مقطع من موت واحتضار سنية صالح

يَا رَبّ
أَيُّهَا الإِلَهُ الْمُسِنُّ الْوَحِيْدُ فِيْ عَلْيَائِهِ
فِيْ لَيْلَةِ القَدْرِ هَذِهِ،
وَأَمَامَ قِبَابِ الْجَوَامِعِ وَالْكَنَائِسِ
اللامِعَةِ وَالْمُنْتَفِخَةِ كَالْحُرُوقِ الْجِلْدِيَّةِ
أُزَرِّرُ سِتْرَتِيْ
وَأَطْوِيْ غَمَامَةً بَيْضَاءَ عَلَى ذِرَاعِيْ
لأَصِيْرَ خَادِمَكَ الْمُطِيْعَ
وَوَكِيْلَ نِعَمِكَ، وَكَوَارِثِكَ إِلَى الأَبِد.
أُعَرِّي أَشْجَارَكَ فِي الْخَرِيْفِ
وَأَمْلَؤُهَا بِالزُّهُوْرِ وَالطُّيُوْرِ فِي الرَّبِيْعِ.
أُسَاعِدُ الْيَنَابِيْعَ الصَّغِيْرَةَ فِي جَرَيَانِهَا
وَالْحَمَائِمَ الْمُشَرَّدَةَ فِيْ بِنَاء أَبْرَاجِهَا
وَأُضَلِّلُ الْعَقَارِبَ وَالأَفَاعِيْ
عَنْ أَرْجُلِ الْعُمَّالِ وَالْفَلاحِيْنَ الْحُفَاةِ
وَأَكْسُوْ ثِيَابَ الأَطْفَالِ الْفُقَرَاءِ
بِالرُّقَعِ الْجَدِيْدَةِ الْمُلَوَّنَةِ فِي الأَعْيَادِ

(١) كتاب سياف الزهور «الناشر دار المدى للثقافة والنشر - دمشق. الطبعة الأولى ٢٠٠١».

وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ
سَأُرْشِدُ زَلازِلَكَ وَبَرَاكِينَكَ وَفَيَضَانَاتِكَ
إِلَى أَكْثَرِ الأَكْوَاخِ وَالأَحْيَاءِ فَقْراً وَازْدِحَاماً
حَتَّى لاْ تَضِيعَ حَجَرَةٌ مِنْ حِمَمِكَ
أَوْ قَطْرَةٌ مِنْ سِيُوْلِكَ ،
هَبَاءً بِلا جَدْوَىْ
بَلْ وَسَأُوْقِظُ «مَارْكِسَ» وَ«أَنْجِلز» مِنْ قَبْرَيْهِمَا
وَأُرْغِمُهُمَا عَلى الصُّرَاخِ بِأَسْنَانِهِمَا الْمُكَسَّرَةِ،
أَمَامَ ضَحَايَا الْمُعْتَقَلاتِ
وَجُثَثِ الْمَنَاجِمِ وَالانْهِيَارَاتِ الثَّلْجِيَّةِ
وَالْمَقَابِرِ الْجَمَاعِيَّةِ
وَأَمَامَ عَائِلاتِهِمْ وَأَطْفَالِهِمْ
وَالاعْتِرَافِ، وَهُمَا يَضْرِبَانِ أَخْمَاساً بِأَسْدَاسٍ
بأَنَّ هَذِهِ مَشِيْئَةُ اللهِ.
وَلَكِنْ أَبْقِ لِيْ عَلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْحُطَامِ
.. وَنَحْنُ أَطْفَالَهَا الْقُصَّرَ الْفُقَرَاءَ
سَنَهْدِيْ لُعَبَنَا وَأَقْرَاطَنا وَثِيَابَنَا الْجَدِيْدَةَ
لِمَلائِكَتِكَ الصِّغَارِ،
وَنَظَلُّ عُرَاةً إِلَى الأَبَدْ . . .
وَلَكِنْ أَبْقِ لَنَا عَلَيْهَا،
لِبِضْعَةِ شُهُوْرٍ
لِبِضْعَةِ أَيَّامٍ فَقَطْ.

نتَناوَبُ السَّهَرَ عَلَيْهَا
وَتَجْفِيْفِ الْعَرِقِ الْمُتَدَفِّقِ على جَبِيْنِهَا،
فَهْيَ ظِلُّنَا الْوَحِيْدُ فِي هَذِهِ الصَّحْرَاءِ
نَجْمُنَا الْوَحِيْدُ فِي هَذِهِ الظُّلُمَاتِ
جِدارُنَا الْمُتَبَقِّي فِي هَذَا الْخَرَابِ
ثُمَّ إنَّها لَمْ تَأخُذْ مِنْ تُرَابِ الْوَطَنِ
أكْثَرَ مِمَّا يَأخُذُهُ الْقَدَمُ مِن الْحِذَاءِ

***

أَيُّهَا الأَنْفُ الأَحْدَبُ الْجَمِيْلُ،
كَسُنْبُلَةٍ تَحْتَ طَائِرٍ
أَيُّهَا الفَمُ الدَّقِيْقُ، كَمَوَاعِيْدِ الْخَوَنَةِ أَوِ الأَبْطَال . . .
يَا بَذْرَةِ الْحُرُوْبِ الْمُقْبِلَةِ
لِمَ اسْتَعْجَلْتِ الرَّحِيْلَ
وَالرُّقَادَ إِلَى الأَبَدِ، بَاسِمَةً مُطْمَئِنَّةً
في أَقْرَبِ نِقْطَةٍ لآلِ الْبَيْتِ
مُوَلِيَةً ظَهْرَكِ لِكُلِّ ثَوْرَاتِ الْعَالَمِ؟
وَلَكِنْ لا عَلَيْكِ يَا حَبِيْبَتِيْ
لَقَدْ رَأَيْتُ بَأُمِّ عَيْنِيْ
فِيْ إِحْدَى اللَّيَالِي الثَّلْجِيَّةِ الْعَاصِفَةِ
عَلَى ضِفَافِ «الْفُولغَا»
مَارْكْسِيّاً مُشَرَّداً ، يَنَامُ تَحْتَ سَيْفِ الْقَيْصَر.

***

آهِ كَمْ فَرِحْنَا ، أَنَا وَ«شَامُ» وَ«سُلافَةُ»
بِالْحُمْرَةِ الْوَاهِيَةِ
وَقَدْ عَادَتْ إِلَى الْخَدَّيْنِ الشَّاحِبَيْنِ
وَكَمْ صَفَّقْنَا طَرَباً
لِشَعْرِكِ الْقَصِيْرِ الْمُنْهَكِ
وَقَدْ رَاحَ يَنْمُوْ بِحَمَاسَةٍ بَائِسَةٍ
كَشَعْبٍ زِنْجِيٍّ فِي حُقُوْلٍ بَيْضَاء . . .

***

يَا يَتِيْمَةَ الدَّهْرِ وَكُلِّ الدُّهُوْرِ
مِنْ أَيْنَ وَرِثْتِ
هَاتَيْنِ الرِّئَتَيْنِ الْوَاهِنَتَيْنِ كَرِئَتَيْ عُصْفُوْرٍ؟
وَهَذَا النَّمَشَ الْمُتَجَمِّعَ عَلَى ذُرَى الْكَتِفَيْنِ،
كَمَا تَتَجَمَّعُ الْعَصَافِيْرُ الْخَائِفَةُ فِي أَعَالِي الأَشْجَارِ؟
مِنْ أَيَّةِ مُطَارَدَةٍ،
تَعَلَّمْتِ إِغْلاقَ الأَبْوَابِ وَالنَّوَافِذِ
وَالرُّقَادَ مَعَ طِفْلَتَيْكِ
لاهِثَةً تَحْتَ الأَسِرَّةِ وَالْمَقَاعِدِ؟
بَلْ مِنْ أَيِّ مَعْرَكَةٍ
ادَّخَرْتِ هَذِهِ الدُّمُوْعَ الْمُقَاتِلَةَ
وَهَذَا الرَّحْمَ الْمُنْذِرَ وَالْمُتَرَفِّعَ كَأَبْوَاقِ الْحَرْبِ؟

***

آهِ يا حَبِيْبَتِيْ

الآنَ يَكْتَمِلُ جُنُوْنِي كَالْبَدْرِ
كُلُّ أسْلِحَتِيْ عَفَا عَلَيْهَا الزَّمَنُ
كُلُّ صُحْبَتِيْ تَفرَّقَتْ
وَحُجَجِيْ فُنِّدَتْ
وَطُرُقِي اسْتُنْفِدَتْ
وَمَقَاهِيَ تَهَدَّمَتْ
وَأَحْلامِيْ تَحَطَّمَتْ
وَلَمْ يَبْقَ لِيْ، إلا هَذِهِ اللُّغَةُ
فَمَاذَا أَفْعَلُ بَهَا،
بِحُرُوْفِهَا الْمُلْتَصِقَةِ بِمَخَارِجِهَا كَبَوْل الأفْعَى.
أَيَّتُهَا الزَّهْرَةُ الْمَطْرُوْدَةُ مِنْ غَابَتِهَا
أَيَّتُهَا الْعَضَّةُ الْعَمِيْقَةُ فِي قَلْبِ الرَّبِيْعِ
حُبُّكِ لاْ يُنْسَى أَبَدَاً
كَالإِهَانَةِ، كَجِرَاحِ الْحُسَيْنِ.

***

كُلُّ مَنْ أَحْبَبْتُ، كُنَّ نُجُوْمَاً
تُضِيءُ لِلَحْظَةٍ وَتَنْطَفِئُ إِلَى الأَبَدِ
وَأَنْتِ وَحْدَكِ السَّمَاءُ.
ثَلاثِيْنَ سَنَةً،
وَأَنْتِ تَحْمِلِيْنِي عَلَى ظَهْرِكِ كَالْجُنْدِيِّ الْجَرِيْحِ
وَأنَا لَمْ أَسْتَطِعْ
أَنْ أَحْمِلَكِ بِضْعَ خَطَوَاتٍ إِلَى قَبْرِكِ

أَزُورُهُ مُتَثَاقِلاً
وَأَعُودُ مُتَثَاقِلاً
لأَنَّنِي لَمْ أَكُنْ فِي حَيَاتِيْ كُلِّهَا
وَفِيَّاً أَوْ مُبَالِيَاً
بِحُبٍّ، أَوْ شَرَفٍ أَوْ بُطُوْلَةٍ،
وَلَمْ أُحِبَّ مَدِيْنَةً أَوْ رِيْفَاً
قَمَرَاً أَوْ شَجَرَةً ، غَنِيَّاً أَوْ فَقِيْرَاً
صَدِيْقَاً أَوْ جَارَاً، أَوْ مَقْهَىً،
جَبَلاً أَوْ سَهْلاً، أَوْ طِفْلاً أَوْ فَرَاشَةً.
فَكَرَاهِيَّتِي للإِرْهَابِ
لَمْ تَتْرُكْ لِيْ فُرْصَةً،
حَتَّى لِمَحَبَّةِ الله.

مُحَمَّد رَجَب الْبَيُّوْمِيْ

(١٣٤٢ - ١٤٣٢ هـ = ١٩٢٣ - ٢٠١١ م)

محمَّد رَجَب الْبَيّومي، شاعرٌ وباحثٌ وأستاذ جامعي مصري، وُلِدَ في «الكفر الجديد» بمحافظة الدقهلية بمصر. تخرج في الأزهر، وحصل على دبلوم معهد التربية، والماجستير، والدكتوراه في الأدب والنقد.

كتب في مجلة الرسالة لأحمد حسن الزيات.

عمل مُدرِّساً بالإسكندرية، ثمَّ بالفيُّوم وأعير إلى السعودية وأثناء الإعارة فقد زوجته وألَّفَ ديوان «حصاد الدمع» في رثائها وبعد عودته لمصر عيِّنَ عميداً لكلية اللغة العربية بالمنصورة. ورأس تحرير «مجلة الأزهر» توفي في ٥ شباط / فبراير ٢٠١١م. ودفن في قريته.

له أكثر من ثلاثين كتاباً في حقول علمية متعددة، إضافة إلى بعض الكتب في «أدب الأطفال»

من كتبه في الدرسات الإسلامية: «البيان القرآني» و«خطوات التفسير البياني» و«البيان النبوي» و«أدب السيرة النبوية عند الرواد المعاصرين»

ومن كتبه في النقد الأدبي: «الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير» و«النقد الأدبي للشعر الجاهلي و«أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد» و«دراسات أدبية».

ومن دواوينه الشعرية: «حصاد الدمع» و«صدى الأيام» و«حنين الليالي».

وفي «حصاد الدمع» جمع مراثيه المتعدِّدة لزوجته إذ أصدره بعد خمس سنوات من رحيلها كما يقول في مقدمة الديوان، الذي صدَّره بإمضاء «محمد رجب البيومي / الزوج الحزين» وبإهداء «إلى زوجتي الطاهرة الشابة عصمت أحمد عبدالملك»

ومما جاء في مقدمة الديوان عن ظروف زواجه بها: «رأيتها أول مرة في ثوبها المدرسي أنيقة لطيفة كبرعمٍ يهمّ أن يتفتَّح، فسألتها عن أخيها جمال وكان تلميذي بالمدرسة الثانوية حينئذٍ، فأخبرتني عنه في لطف رقيق، وكان طريقها إلى المدرسة يوافق طريقي، فكنت أستصبح ببراءتها الوديعة، وأنظر إليها في ميل هادئ، لم أفطن لحقيقته بادئ ذي بدء، حتى وجدتني أستوحش إذا لم أقابلها في الصباح، ثم أرى طيفها يعاودني في خلوتي فينعشني، كأنَّ شذى عاطراً يحمله النسيم، ولم أكن من إقليمها، ولكن الوظيفة قد حملتني إلى بلدها لتحتلّ مكانتها من قلبي، فأتقدَّم إلى والدها الكريم خاطباً فيجيب. فزفّت إليَّ في مفتتح صباها الأنيق[1]»

يَقُوْلُوْنَ: «مَامَا»[2]

يَقُوْلُوْنَ: «مَامَا» كُلَّمَا عَنَّ مُشْكِلٌ
وَأَوْلَىٰ بِهِمْ أَنْ يَسْكُتُوا لَوْ تَعَقَّلُوا

---

(١) ديوان «حصاد الدمع» محمد رجب البيومي مطبعة دار العالم العربي مصر ١٩٧٩، وهنا قصيدة ومقاطع أخرى متفرقة من الديوان.

(٢) «حصاد الدمع» ص ٢٥.

يَقُوْلُوْن: «مَامَا» مَا الَّذِيْ أَنَا صَانِعٌ؟

وَمِنْ دُوْنِ «مَامَاهُمْ» تُرَابٌ وَجَنْدَلُ

يَصِيْحُوْنَ بِيْ هَلَّا ذَهَبْتَ تُعِيْدُهَا؟

كَأَنِّيْ بِرَدِّ الرَّاحِلِيْنَ مُوَكَّلُ!

شَدِيْدٌ عَلَىْ نَفْسِ الأَبِ الْبَرِّ مَوْقِفٌ

يُهِيْبُ بِهِ أَطْفَالُهُ ثُمَّ يَنْكُلُ

يُعَذِّبُهُ إِحْسَاسُهُمْ بِرَحِيْلِهَا

وَإِحْسَاسُهُ الدَّامِيْ أَشَدُّ وَأَهْوَلُ

تَفَنَّنَ فِي جِلْبِ السُّرُوْرِ إِلَيْهِمُ

يُحَاوِلَ تَخْفِيْفَ الَّذِيْ يُتَحَمَّلُ

وَوَالَىْ فُنُوْنَ الْمُغْرِيَاتِ تَلَهِّيَاً

فَمَا رَاقَ مَلْبُوْسٌ وَلاْ طَابَ مَأْكَلُ

وَكَانَ حَرِيْصَاً أَنْ يَدُوْمَ سُرُوْرُهُمْ

بِهَا وَهْيَ بِالأَحْرَىْ أَسَرُّ وَأَجْذَلُ

وَلَكِنَّهَا الأَقْدَارُ تَفْعَلُ فِعْلَهَا

لِيَسْكُتَ لاْ يَدْرِي الَّذِيْ هُوَ يَفْعَلُ

يَقُوْلُوْنَ «مَامَا» مَنْ يَلُوْمُ مَقَالَهُمْ

وَقَدْ غَابَ عَنْهُمْ وَجْهُهَا الْمُتَهَلِّلُ

تَرَبُّوا فِرَاخَاً فِي الْعِشَاشِ تَزُقُّهُمْ

حَمَامَةُ أَيْكٍ بِالأَهَازِيْجِ تَهْدِلُ

يُحِسُّوْنَ فَيْضَ الْحُبِّ تَحْتَ جَنَاحِهَا
فَمَا مِنْهُمْ إلّا الأثِيْرُ الْمُدَلَّلُ !
إِذَا أَشْرَقَتْ شَمْسٌ بِدِفْءٍ سَعَتْ بِهِمْ
تِجَاهَ الضِّفَافِ الْخُضْرِ لا تَتَمَهَّلُ
وَإِنْ عَصَفَتْ رِيْحٌ بِغُصْنٍ تَجَمَّعَتْ
تَقِيْهِمْ هُبُوْبَ الرِّيْحِ سَاعَةَ تُقْبِلُ
رَعَتْهُمْ وَخَلَّتْ نَفْسَهَا فَهْيَ بَيْنَهُمْ
عَلَىْ غُلَوَاءِ الْكَدْحِ تَضْوِيْ وَتَنْحَلُ
إِلَىْ أَنْ مَضَتْ عَنْهُمْ شَهِيْدَةَ جَهْدِهَا
فَنَاحُوْا عَلَيْهَا صَارِخِيْنَ وَأَعْوَلُوا
لِي اللهُ مِنْ ذِيْ حَسْرَةٍ بِرَحِيْلِهَا
لَهَا مَسْرَبٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مُوْغِلُ
تُذِيْبُ شِغَافَ الْقَلْبِ، وَيْلِيْ، فَإِنْ عَلَتْ
إِلَى الْحَلْقِ قَرَّتْ فِيْهِ، وَالرِّيْقُ حَنْظَلُ
وَيُخْلِفُنِيْ مَا اعْتَدْتُ مِنْ رَاشِدِ الْحِجَا
فَأُفْحَمُ أَثْنَاءَ الْحَدِيْثِ وَأَذْهَلُ
وَأَهْفُوْ إِلَىْ أَمْسِيْ وَأَمْقُتُ حَاضِرِيْ
وَأَخْشَىْ غَدِيْ إِذْ لَيْسَ لِيْ فِيْهِ مَوْئِلُ
فَقَدْتُ الَّتِيْ كَانَتْ تَرُوْدُ سَرِيْرَتِيْ
فَمَا دُوْنَهَا سِتْرٌ عَلَى النَّفْسِ يُسْدَلُ

تَرَىٰ غُصَصاً فِيْ غَوْرِ نَفْسِيْ دَفِيْنَةً
فَتَعْلَمُهَا عِلْمِ الْيَقِيْنِ وَأَجْهَلُ
فَتَغْدُوْ نَطَاسِيَّاً يُعَالِجُ مُدْنَفاً
لِيُبْرِئَهُ مِنْ دَائِهِ وَهُوَ مُعْضِلُ[1]
أَجَلْ، هِيَ كَانَتْ فِي الْبَلايَا طَبِيْبَتِيْ
فَيَا لِجَرَاحٍ بَعْدَهَا لَيْسَ تُدْمَلُ
نَشَدْتُ عِلاجَ الرُّوْحِ فِيْ نَكَسَاتِهَا
وَأَيْنَ وَقَدْ غَابَ الطَّبِيْبُ الْمُعَلِّلُ؟
أُرَوِّحُ عَنْ نَفْسِيْ بِذِكْرِ نَقَائِصِيْ
لَيَسْكُتَ عَنِّيْ مَنْ يَلُوْمُ وَيَعْذِلُ
يَلُوْمُوْنَنِيْ أَنْ صِرْتُ أَبْكِيْ فِرَاقَهَا
فَهَلْ بَعْدَ أَنْ ضِعْنَا مَعَاً أَتَحَمَّلُ؟
وَكَانَتْ نَعِيْمَ اللهِ يُبْهِجُ مَنْزِلِيْ
وَهَا هُوَ ذَا عَنْ وِجْهَتِيْ يَتَحَوَّلُ
لِعَفْرِ صِبَاهَا الْغَضُّ فِيْ مُوْحِشِ الثَّرَىٰ
لَقَدْ كِدْتُ أَهْوِيْ لِلثَّرَىٰ فَأُقَبِّلُ
هِيَامَاً بِهِ إِذْ صَارَ مَنْزِلَ حُسْنِهَا
فَمَا شَاقَنِيْ مِنْ بَعْدِهِ الْيَوْمَ مَنْزِلُ
إِذَا صَاحَتِ الأَطْفَالُ «ماما» فَإِنَّنِيْ
بِـ«وَا زَوْجَتَاهُ» مَا بَيْنَ نَفْسِيْ أُوَلْوِلُ

---

(١) النطاسي: الطبيب.

بِأَيِّ اتِّجاهٍ[1]

بِأَيِّ اتِّجاهٍ أَسْتَحِثُّ الْقَوَافِيا؟ أَصُوغُ نَسِيبِيْ؟ أَمْ أُعِيْدُ بُكَائِيَا؟
يُمَثِّلُ لِيْ شَوْقِيْ خَيَالَكِ رَائِعاً فَأَلْتَمِسُ التَّشْبِيْبَ أُلْهِيْ فُؤَادِيَا
أُصَوِّرُ مَعْنَى الْحُسْنِ فِيْكِ وَإِنَّهُ لَيَخْلُقُ أَطْيَاراً بِسَمْعِيْ شَوَادِيَا
وَيَفْجَؤُنِي الصَّحْوُ الرَّهِيْبُ بِوَاقِعِيْ فَأَرْتَدُّ مَقْهُوْراً أَصُوْغُ رِثَائِيَا
نَسِيْبٌ تَلَظَّتْ بِالرِّثَاءِ حُرُوْفُهُ فَإِنْ رُحْتَ تَتْلُوْهُ تَأَوَّهْتَ صَالِيَا
تَرَى الْحُسْنَ خَلَّاباً فَتُبْدِعُ وَصْفَهُ وَتَذْكُرُ مَهْوَاهُ فَتَلْتَاعُ آسِيَا
كَمَا قَدْ وَصَفْتَ الْبَدْرَ لَيْلَةَ تَمِّهِ تَعَاوَرَهُ نَحْسٌ فَدَوَّمَ هَاوِيَا[2]
إِذَا مَا مَدَحْتَ الْحُسْنَ فِيْهِ مُفَضَّضاً وَضِيْئاً شَجَاكَ النُّوْرُ يَرْتَدُّ خَابِيَا
فَقِيْدَتُكَ الْحَسْنَاءُ تَحْكِيْهِ مُرْتَقىً وَمَهْوَاً فَإِنْ تَنْسِبْ تَحَرَّقْتَ دَامِيَا[3]

حَتَّى الْحِذَاء![4]

وَيْحَ آثَارِهَا الْحِسَانِ بِبَيْتِيْ إِذْ شَوَتْ رُوْحِيَ الْمُعَذَّبَ شَيَّا
مِنْ عُطُوْرٍ تُرِيْقُ دَمْعِيْ وَحُلِيٍّ وَثِيَابٍ بِحَضْرِهَا صِرْتُ أَعْيَا
وَلَهَا صُوْرَةٌ تَحَاشَيْتُ جَهْدِيْ أَنْ أَرَى وَجْهَهَا صَبِيْحاً نَدِيَّا
وَشَرِيْطُ التَّسْجِيْلِ أُقْصِيْهِ حَتَّى لاَ يَسِيْلُ اسْتِمَاعُهُ جَفْنَيَّا
بَلْ وَحَتَّى الْحِذَاءُ يَأْخُذُ مِنِّيْ مَأْخَذَ الْحُزْنِ مُهْمَلاً قَصِيَّا

---

(١) «حصاد الدمع» ص ١٠٦.

(٢) دوم: دار حول نفسه: ومنه الدوَّامة.

(٣) تنسب: من النسيب «الغزل».

(٤) «حصاد الدمع» ص ٦٠.

قَدْ تَبَدَّلْتُ غَيْرَ سُكْنَايَ حَتَّى   أُسْكِتَ الذِّكْرَيَاتِ عَنِّيْ مَلِيًّا
فَإِذَا الذِّكْرَيَاتُ فِيْ دَاخِلِ الْقَلْبِ فَمَهْمَا ارْتَحَلْتُ ثَارَتْ فِيَّا
مَنْزِلِيْ غَيْرُ مَنْزِلِ الأَمْسِ لَكِنْ   مَا شَقَانِيْ تَغْيِيْرُهُ دَاخِلِيًّا
لَيْسَ سِوَىْ سَنَا مُحَيَّاكِ يَجْلُوْ   ظُلْمَةِ الْبَيْتِ، مَا أَعَزَّ الْمُحَيَّا

لِمَ يَا حِمَامُ[1]

لِمَ يَا حِمَامُ هَصَرْتَ غُصْنَ شَبَابِهَا
وَلَــهُ زُهُــوْرٌ غَــضَّــةٌ وَثِــمَــارُ؟
أَوَصِرْتَ تَهْوَى الْحُسْنَ؟ تِلْكَ قَضِيَّةٌ
نَـهَـضَ الـدَّلِـيْـلُ بِـهَـا فَـلاَ إِنْـكَـارُ
دَعْ عَنْكَ نَاظِرَةَ الْغُصُوْنِ تَظُلَّنَا
وَخُـذِ الـذَّوَابِـلَ إِنَّـهُـنَّ كِـثَـارُ
لَـمْ تَـعْـتَـمِـدْهَـا بَـلْ أَرَدْتَ نِـكَـايَـتِـيْ
عَـجَـبَـاً! وَمَـا بَـيْـنِـيْ وَبَـيْـنَـكَ ثَـارُ!

هَلْ لِلْكَوَاكِبِ بِالتُّرَابِ مَدَارُ؟

يَا أُخْتَ ضَاحِكَةِ الْوُرُوْدِ أَهَكَذَا
لِرُبَى الْفَرَادِسِ تَنْتَمِيْ الأَزْهَارُ؟
إِنْ كَانَ مِنْ عَبَقٍ يُشَمُّ لَدَى الرُّبَى
فَلَدَيْكِ مِنْهُ الْجَوْهَرُ الْمِعْطَارُ

(١) «حصاد الدمع» والمقاطع التالية من قصيدة «أكباد اطفالي» ص ١٦ وما بعدها.

تَتَمَايَلِيْنَ مَعَ النَّضَارَةِ دَوْحَةً
زَهْرَاءَ فَضَّضَ تَاجَهَا النَّوَّارُ
مَرْأًى، وَظِلٌّ سَابِغٌ وَفَوَاكِهٌ
أَوَكُلُّ هَذَا تَحْمِلُ الأَشْجَارُ؟
يَا أُخْتَ نَيِّرَةِ السَّمَاءِ وَضَّاءَةً
هَلْ لِلْكَوَاكِبُ بالتُّرَابِ مَدَارُ؟

أَرَأَيْتِ؟[1]

أَرَأَيْتِ كَيْفَ تَصِيْرُ تَعْزِيَةُ الْوَرَىْ
نَغَرَاتِ جُرْحٍ هَاجَهُ تِذْكَارُ
أَنَظَرْتِ مِنْ أَعْلَى السَّمَاءِ هُنَيْهَةً
فَرَأَيْتِ صَرْحَ سَعَادَتِيْ يَنْهَارُ
قَدْ كُنْتِ رَاصِدَةً خُطَايَ فَهَلْ تُرَىْ
بَلَغَتْكِ عَنِّي فِيْ الَّذِي.. الأَخْبَارُ؟
أَلَمَحْتِ سَيْرِيْ فِي الشَّوَارِعِ هَائِمَاً
حَيْرَانَ لا جَلَدٌ وَلا اسْتِقْرَارُ
أَخْشَى اصْطِدَامَاً فِي الطَّرِيْقِ تُتِيْحُهُ
سَيَّارَةٌ أَوْ حُفْرَةٌ وَجِدَارُ
أَجْفُو الأَنَامَ تَفَرُّدَاً بِكَآبَتِيْ
فَإِذَا اضْطَرَرْتُ فَوَحْشَةٌ وَنِفَارُ

---

(١) «حصاد الدمع» ص ٢٣.

وَأَنَا الضَّعِيْفُ فَمَنْ يُعِيْنُ كُهُوْلَتِيْ

بِشَبَابِهِ إِنْ حَاقَتِ الأَخْطَارُ

أَيْنَ مَكَانُهَا فَيُزَارُ[1]

مَنْ ذَا أُوَاجِهُ إِذْ أُبَادِرُ غُرْفَتِيْ؟ «لا أَنْتِ أَنْتِ وَلا الدِّيَارُ دِيَارُ»[2]

آتَمثَّلُ الأَطْفَالَ فِيْ حَسَرَاتِهِمْ فَأَفِرُّ إِذْ لا يُسْتَحَبُّ فِرَارُ

كُلٌّ يُسِرُّ شُجُوْنَهُ مُتَحَرِّقَاً كَمَدَاً، وَلا يَخْفَىْ عَلَيَّ سِرَارُ

أُبْدِي التَّصَبُّرَ بَيْنَ أَطْفَالِيْ لِكَيْ يَنْسُوا وَمَا أَنَا بَيْنَهُمْ صَبَّارُ

وَأَرَىْ دُمُوْعَهُمُ تَفِيْضُ فَتَقْتَدِيْ عَيْنِيْ بِهِمْ وَيَسُوْقُنِيْ التَّيَّارُ

وَإِذَا الْكَبِيْرُ بَكَىْ بِمَشْهَدِهِمْ فَقَدْ قَامَتْ لِدَمْعِ صِغَارِهِ الأَعْذَارُ

وَتَجِيءُ «غَادَةُ» وَهْيَ ذَاتُ ثَلاثَةٍ وَلَهَا كَرَبَّاتِ الحِجَا اسْتِفْسَارُ

فَتَقُوْلُ: أُمِّي يَا أَبِيْ قَدْ أَبْطَأَتْ بِاللهِ أَيْنَ مَكَانُهَا فَيُزَارُ؟

حَلَّ الْمَسَاءُ وَمَرْقَدِيْ بِجِوَارِهَا أَأَبِيْتُ وَحْدِيْ مَا لَدَيَّ جِوَارُ؟

لَمْ تَدْرِ مَا حَجْمُ الْمُصِيْبَةِ وَيْحَهَا وَأَنَا بِهَا أَدْرِيْ فَكُلِّيَ نَارُ

---

(١) «حصاد الدمع» ص ١٩.

(٢) هذا الشطر مُضمَّنٌ مِنْ بيتٍ لأبي تمام في قصيدة يمدح به أبا سعيد الثغري، ومطلعها:

لا أَنْتِ أَنْتِ ولا الدِّيَارُ دِيَارُ

خَفَّ الهَوَىْ وتَوَلَّتِ الأَوْطَارُ

«ديوان أبي تمام» شرح التبريزي المجلد الثاني ص ١٦٦.

خَلِيْفَةُ الْغَزْوَانِي

(١٣٥٤ هـ - ؟؟؟؟ = ١٩٣٦ م - ؟؟؟؟)

خليفة إدريس حسين الغزواني شاعر تونسي ولد في مدنية «درنة» بتونس وعاش في القاهرة حيث درس في كلية الحقوق بجامعتها.

أَبْكَتِ الرَّجُلَ النَّبِيْلا[1]

نَحِيْبُكَ مَا شَفَىْ صَدْرَاً عَلِيْلا ... وَدَمْعُكَ زَادَ حُرْقَتَهُ غَلِيْلا

إِذَا الْعَيْنَانِ جَاوَرَتَا أَسَمَّاً ... دُمُوْعُهُمَا غَدَتْ خَطْبَاً جَلِيْلا

وَأَقْبِحْ بِالْحَوَادِثِ وَالرَّزَايَا ... إِذَا هِيَ أَبْكَتِ الرَّجُلَ النَّبِيْلا

إِذَا الأَحْزَانُ ضَاقَ بِهَا فُؤَادٌ ... جَزُوْعٌ تُسْكِنُ النَّفْسَ الْحَمُوْلا

بِأَفْرَاحِ الْحَيَاةِ مَضَتْ وَخَلَّتْ ... لِيَ الأَحْزَانَ وَاللَّيْلَ الطَّوِيْلا

كَأَنَّ نُجُوْمَهُ بِالْقُطْبِ لاذَتْ ... مُرَوَّعَةً فَلا تَنْوِي الأُفُوْلا

شَوَاخِصَ فِيْ بَهِيْمِ اللَّيْلِ حَطَّتْ ... عَلَيَّ حُشُوْدُهَا هَمَّاً ثَقِيْلا

(١) «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين».

عِصَام الْعَطَّار

(١٣٤٦هـ - ؟؟؟؟ = ١٩٢٧م - ؟؟؟؟)

سياسي وداعية إسلامي سوري والمراقب العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين في سورية.

وُلِدَ في مدينة دمشق، ودرَّس علوم الدين والتاريخ والأدب والفلسفة في المعهد العربي وبعض المعاهد والمدارس الخاصة في دمشق.

انتخب سنة ١٩٦٢م مراقباً عامّاً للإخوان المسلمين في سورية.

غادر سورية ١٩٦٤م واضطر إلى السفر إلى أوروبا حيث أصابه شللٌ نصفي سنة ١٩٦٨، فتخلّى عن جميع مسؤولياته وارتباطاته الحركية والتنظيمية.

تعرض لمحاولة اغتيال في مدينة «آخن» الألمانية في ١٧/٠٣/١٩٨١م ذهبت ضحيتها زوجته «بنان علي الطنطاوي» التي يرثيها بهذه القصيدة من ديوانه الوحيد«رحيل»

رثاء بنان[1]

«بَـنَـانُ» يَـا جَـبْـهَـةَ الإِسْـلامِ دَامِـيَـةً
مَا زَالَ جُرْحُكِ فِي قَلْبِيْ نَزِيْفَ دَمِ

(١) مقطع من قصيدة «رحيل» الدَّار الإسلامية للإعلام/ بون، ١٩٨٥م.

«بَنَانُ» يَا صُورَةَ الإِخْلاصِ رَائِعَةً

وَيَا مِثَالَ الْفِدَى وَالنُّبْلِ وَالْكَرَمِ

«بَنَانُ» يَا مُقْلَةً لِلْبِرِّ سَاهِرَةً

لأَبْؤُسِ النَّاسِ قَدْ نَامُوا وَلَمْ تَنَمِ

«بَنَانُ» يَا مُنْتَهَى الإِيْثَارِ مَا شَهِدَ

الْإِيثَارُ مِثْلَكِ في خَفْضٍ ولا عُدُمِ

تَبْكِيْنَ منْ رَحْمَةٍ بالخَلْقِ خَالِصَةٍ

وَمَا بَكَيْتِ منَ الأَهْوَالِ وَالوَصَمِ[1]

«بَنَانُ» يَا أُنْسَ أَيَّامِي الَّتِيْ انْصَرَمَتْ

وَلَيْسَ يَوْمُكِ فِيْ قَلْبِيْ بِمُنْصَرِمِ

وَيَا رَفِيْقَةَ دَرْبِي وَالدُّنا ظُلَمٌ

نَشُقُّ دَرْبَ الهُدَى فِي حَالِكِ الظُّلَمِ

وَيَا ثَبَاتَ فُؤَادِيْ فِي زَلازِلِهِ

وبَلْسَمَ الجُرْحِ فِي نَفْسٍ وَفِيْ أَدَمِ[2]

وَيَا وِقَائِيْ إِذَا مَا كُنْتُ فِيْ خَطَرٍ

وَيَا يَمِيْنِيْ وَيَا سَيْفِيْ وَيَا قَلَمِيْ

يَا واحَةَ الأَمْنِ فِي ظِلِّ الْوَفَاءِ وَيَا

نَبْعَ الْحنانِ وَبَرْدَ السَّلْسَلِ الشَّبِمِ[3]

---

(١) الوَصَم : الألم والمرض.

(٢) الأَدَم : الجلد.

(٣) الشَّبِم : البارد.

يَا بَهْجَةَ الحُبِّ يَا نُعْمَاهُ فِي كَبِدِيْ

وَزَهْرَهُ الحُلْوَ فِي كُوْخٍ وَفِيْ أُطُمِ[1]

وَيَا جَنَاحِيْ إذَا حَلَّقْتُ مُنْطَلِقاً

يَسْمُو بِنَا الْعَزْمُ فَوْقَ النَّجْمِ والسُّدُمِ

فَارَقْتِ فِيْ صُحْبَتي الأيَّامَ وَادِعَةً

وآمِنَ الْعَيْشِ فِيْ رَفْهٍ وفي رَحِمِ[2]

عِشْنَا شَرِيْدَيْنِ عَنْ أَهْلٍ وَعَنْ وَطَنٍ

مَلاحِماً مِنْ صِرَاعِ النُّوْرِ وَالقَتَمِ

الشَّرْقُ والغَرْبُ إلْبٌ فِيْ خُصُوْمَتِنا

أنَّى اتَّجَهْنَا وَرَأْيٌ غَيْرُ مُنْقَسِمِ[3]

الْكَيْدُ يَرْصُدُنا في كُلِّ مُنْعَطَفٍ

والمَوْتُ يَرْقُبُنا في كُلِّ مُقْتَحَمِ

والجُرْحُ في الصَّدْرِ مِنْ أَعْدَائِنَا نَفَذٌ

وَالجُرْحُ فِي الظَّهْرِ مِنْ صُدْقَانِنَا الْقُدُمِ[4]

وَمُدْنَفُ الْجِسْمِ فِي تَرْحَالِنَا مِزَقٌ

عَلَى الطَّرِيْقِ وَأَلْوَانٌ مِنَ السَّقَمِ[5]

---

(١) الأطُم : القصر.

(٢) الرَّفْه : طيب العيش ولينه . والرّحم : الأهل والقرابة.

(٣) الإِلْب : القوم تجمعهم عداوة واحدة.

(٤) النَّفَذ: الخَرْق ، يقال : طعنة لها نَفَذ ، أي نافذة . صُدْقان : جمع صديق.

(٥) مُدْنَف الجسم : الجسم الذي أثقله المرض ولازمه.

حَتَّىٰ سَقَطْتِ عَلَى دَرْبِ الْجِهَادِ ، وَقَدْ
عَزَّ النَّصِيْرُ ، بِلا شَكْوَىٰ وَلا نَدَمِ
صَرِيْعَةً بِرَصَاصِ الْغَدْرِ، خَالِدَةً
فِيْ مِسْمَعِ الدَّهْرِ ، تَرْتِيْلاً بِكُلِّ فَمِ
وَبِتُّ وَحْدِيْ عَلَى الدَّرْبِ الْعَتِيْدِ، وَقَدْ
غَابَ الرَّفِيْقُ ، بِجُرْحٍ غَيْرِ مُلْتَئِمِ

عَبْدُ الْكَرِيْم كَاصِد

(١٣٦٥ هـ - ؟؟؟؟ = ١٩٤٦م)

شاعرٌ ومترجم عراقي ولد في البصرة، حصل على ليسانس في الفلسفة من جامعة دمشق سنة ١٩٦٧، وعلى الماجستير في الترجمة من جامعة ويستمنستر - لندن سنة ١٩٩٣، وبكالوريوس في الأدب الإنجليزي من جامعة نورث لندن سنة ١٩٩٥.

عمل مدرساً لعلم النفس واللغة العربية في العراق والجزائر، وفي عام ١٩٧٨ غادر العراق إلى الكويت هارباً عبر الصحراء على جملٍ، ثمّ إلى عدن حيث عمل محرّراً في مجلة الثقافة اليمنية، وفي نهاية ١٩٨٠ رحل إلى سورية ثمّ إلى لندن أواخر ١٩٩٠ حيث يقيم حالياً.

دواوينه الشعرية المنشورة: «الحقائب» و«النقر على أبواب الطفولة» و«الشاهدة» و«وردة البيكاجي» و«نزهة الآلام» و«سراباد» و«دقّات لا يبلغها الضوء» و«قفا نبكِ» و«زهيريّات»

ومن ترجماته: «كلمات» لجاك بريفير و«أناباز» لسان جون بيرس و«قصاصات» ليانيس ريتسوس و«نكهة الجبل» لسانتيوكا و«عن الملائكة» لرفائيل البرتي.

وعن موت زوجته «حذام» كتب في مقدمة ديوانه الذي يحمل العنوان اسمها[1]:

---

(١) ديوان «حذام» قصائد في مرثية زوجته الراحلة، وقد زودني الصديق الشاعر عبد الكريم كاصد، بنسخة من الديوان معدَّة للطبع. وهذه المختارات منها.

«مررنا أنا وحذام ببلدان عديدة ينقصها الدواء فلم يحدث لها ما يفزعني، على قلقي وتوجّسي الدائمين. كنت أتطلّع حولي وأقيس المسافة بين أقدارٍ محتملةٍ، ووطنٍ بعيد وأدفع الموت بيديّ . . . ودفعته، فهل كانت نجاتها آنذاك خطأ؟ وحين وصلنا إلى هذه البلاد «لندن» خفّ هاجسي واطمأن ما كان يختلج في خاطري وخاطرها، ونسيت أن الخطأ قد يكون معياراً، والمعيار خطأً وأسلمتُ أو أسلمتْ روحها وجسدها إلى مشارط الطبّ، ونجت ثانيةً، بعد أن توقّف قلبُها دقائق، وحين عادت إلى البيت ما كنتُ أحسب أبداً أنها ستفارقني، وفارقتني وما كان ذلك بسبب قلبٍ ضعيف عاد ينبض ثانيةً، بل بسبب خطأ بسيط. . خطأ في المعيار . . معيار دوائها الذي تتعاطاه إثر كلّ فحص دمٍ. .

مرّة قال لي الطبيب إنها ستعيش عشرين سنةً قادمةً أو أكثر، وأنا الآن لا أريدها إلّاْ لحظةً. . لحظةً واحدةً ، لا لتبكي عليَّ، بل لأتحسّسها، لأشمّها، لأعرف أنّ الموتَ زائل كالحياة، وأنَّ منْ عشتُ معها جلّ سنوات حياتي ليستْ ظلّاً بل من لحمٍ ودمٍ. . لأعرف أنّ نصفَ جسدي القابع هناك في حفرةٍ مظلمةٍ محضُ وهم، ولكن هيهات! هيهات! ما أبعدني! ما أبعدني! وقد تساوت اللحظة والسنوات في زمنٍ لا يمرّ.»

رَحِيْلُ الأَمِيْرَةِ

كُلُّ شَيءٍ هُنَا
يَتَلَفَّتُ:
شَمْسُك
وَاللَّيْلُ يَنْشَقُّ عَنْ قَمَرٍ

وَالنَّهَارُ
وَتِلْكَ السُّهُوْبُ الْبَعِيْدَةُ
«حِيْنُ تُطِلِّيْنَ»
وَالطَّيْرُ يَبْكِيْ
وَنَافِذَةٌ تُغْلَقُ الآنَ
وَالصَّمْتُ يُطْبِقُ
وَالْعَرَبَاتُ تَمُرُّ
وَبَوَّابَةٌ فُتِحَتْ
لِلأَمِيْرَةِ
بَوَّابَةٌ أُغْلِقَتْ
لِلأَمِيْرَةِ
بَوَّابَةٌ
للرَّحِيْلِ

أَزْهَارٌ

بِالأَمْسِ
أَتَيْتِ
وَكُنْتُ وَحِيْدَاً
أَتَطَلَّعُ فِي الْقَبْرِ
حَمَلْتِ الأَزْهَارَ إِلَيَّ
وَقُلْتِ:
«كَفَى حُزْناً»

ثمّ تركْتِنِي
أتلفَّتُ
لاْ أدْرِيْ مَاْذَا أَفْعَلُ بِالأزْهَار؟

صَيْف

جَمِيْلٌ هَوَ الصَّيْفُ
عَيْنَاكِ بُنِيَّتَانِ وَشَعْرُكِ أَسْوَدُ
وَحَمْرَاءُ
حَمْرَاءُ
وَرْدَتُكِ الْعَابِرَهْ

لُعْبَة

لنِبَدْأَ اللُّعْبَةَ يَا حَبِيْبَتي
أَنْتِ أنَا
وَأنَا أنْتِ
سَأَضَعُ الأَزْهَارَ عَلَى قَبْركِ
وَتَضَعِيْنَ الأَزْهَارَ عَلَى قَبْرِي
سَأَدْخُلُ بَوَّابَةَ اللَّيْلِ
وَتَدْخُلِيْنَ بَوَّابَةَ النَّهَارِ
وَنَلْتَقِيْ هُنَاكَ
لا يَعْرِفُ أحَدُنا الآخَرَ
سَتقُوْلِيْنَ: أنْتَ أنَا

وَأَقُوْلُ: أَنَا أَنْتِ
وَنَضْحَكُ كَالأَطْفَال.

ظِلّ

حِيْنَ اجْتَزْنَا الْغَابَةَ مَسْرُوْرَيْنِ
وَلاحَ الدَّرْبُ طَوِيْلاً
أَبْيَضَ
إِلّا مِنْ ظِلٍّ أَسْوَدَ مُرٍّ
تَمَهَّلْتِ وَقُلْتِ:
«ألا تُبْصِرُ ذَاكَ الطَّائِرَ؟»
ثُمَّ أَشَرْتِ إِلَى شَاهِدَةٍ لَمْ أرَهَا
كَانَ الدَّرْبُ طَوِيْلاً
وَالْغَابَةُ نَائِيَةً
وَالظِّلُّ هُنَاكَ
وَلا أَحَدٌ إِلّايَ بِهَذَا الدَّرْبِ
لَقَدْ كُنْتُ وَحِيْدَاً

فَضَاء

هَا أَنَا الآنَ
آتِي إِلَيْكِ . . .
وَقَدْ مَرَّ عَامَانِ
بَابٌ ولا بَيْتَ

وَالأرْضُ
لا أرْضَ أبْصُرُ
والرِّيْحُ دُوْني تَمُرُّ
وَهَذِي الْمَسَافَاتُ حَوْليَ مُظْلِمَةٌ
وَلامِعَةٌ بِالْكَوَاكِبِ
أيْنَ تُرَاني تَعَلَّقْتُ؟
أيْنَ؟
بِأَيِّ فَرَاغٍ؟
أبَابٌ وَلا بَيْتَ خَلْفَهُ
أَطْرُقُهُ
وَاقِفاً
فِي فَضَاءٍ عَجِيْبْ؟

حُلُمٌ كُلُّ مَا مَرَّ

حُلُمٌ كُلُّ مَا مَرَّ
وَجْهُكِ يَحْجُبُهُ كَفَنٌ
وَقْفَتِي عِنْدَ ذَاكَ الْجِدَارِ
انْتِظَارِيَ وَسْطَ الْمُصَلِّيْنَ
طِفْلايَ حَوْلِيَ مِثْلَ جَنَاحَيْنِ
تَابُوْتُكِ الْخَشَبِيُّ
الْمَعَاوِلُ وَهْيَ تَدُقُّ بِصُدْغَيَّ
وَالصَّمْتُ يَقْطَعُهُ الْقَارِئُ الْمَغْرِبِيُّ

وَقَبْرُكِ
يَرْمِقُنِي صَامِتاً
وَالأَزَاهِيْرُ: «أمَّاهُ!»
وَالنَّاسُ يَلْتَفِتُوْنَ إِلَيَّ وَيَمْضُوْنَ
وَجْهُكِ ثَانِيَةً
وَهْوَ يَطْلُعُ لِي فَجْأَةً
حُلُمٌ كُلُّ ما مَرَّ
أَوْ مَا يَمُرُّ

كُلُّ شَيءٍ عَلَى حَالِه

كُلُّ شَيْءٍ عَلى حَالِهِ
مُذْ رَحَلْتِ
الْمَدِيْنَةُ وَالنَّاسُ
أَسْوَاقُهَا وَالضَّجِيْجُ
كَأَنَّكِ مَا كُنْتِ يَوْماً هُنَا
تَذْرَعِيْنَ الشَّوَارِعَ
مَشْغُوْفَةً بِالْمَدِيْنَةِ وَالنَّاسِ
مَا كُنْتِ يَوْماً
وَلا كُنْتُ يَوْماً

متاهة

أَيْنَا انْزَلُوْهُ إِلَى الْقَبْرِ

وَاجْتَازَ تِلْكَ الْمَتَاهَةَ!

مَا لَيْلُهَا؟

مَا النَّهَارُ؟

وَمَا النَّاسُ؟ مَوْتَى؟

أم النَّاسُ أَحْيَاء؟

وَالْقَبْرُ بَيْتُكِ؟ أَمْ بَيْتِيَ الْقَبْرُ؟

وَسْطَ الْبُيُوتِ الْمَقَابر

مَنْ يَقِفُ الآنَ؟

أَنْتِ؟

أَنَا؟

أَمْ تُرَانا عَبَرْنَا حُدُوْدَ الْمَكَانِ؟

شبح

أَوْدَعْتُهَا أَرْضاً وَآلَمَنِيْ ... إِلّاْ يَكُوْنَ بِأَرْضِهَا أَحَدُ

أَمْسِيْ غَدٌ أَرْجُوْهُ أَيْنَ أَنَا ... مِمَّا رَجَوْتُ؟ وَأَيْنَ؟ أَيْنَ غَدُ

عُشْرُوْنَ لا نَجْمِيْ بِهَا نَكِدٌ ... أَبَداً وَلا أَيَّامُهَا نَكَدُ

غَابَتْ وَهَا أَنَا خَلْفَهَا رَصَدٌ ... طَالَ الْمَسِيْرُ وَغُيِّبَ الرَّصَدُ

يَقْتَادُنِي شَبَحِي فَأَتْبَعُهُ ... يَدْنُوْ وَيَبْعُدُ، ضَاعَ مَا أَجِدُ

يَاسِيْن رِفَاعِيَّة

(١٣٥٣ هـ - ؟؟؟؟ = ١٩٣٤ م - ؟؟؟؟)

روائي وقاص وشاعر سوري، ولد في «حي العقيبة» بدمشق القديمة، تلقَّى تعليمه في دمشق، وعمل خبازاً وعاملاً في مصنع للنسيج وصحفياً ومحرراً أدبياً، وسكرتير تحرير وفي مجلة المعرفة «١٩٦١-١٩٦٥»، وفي الصحافة العربية في لندن. ثم انتقل إلى بيروت. من مؤلفاته: «الحزن في كل مكان- قصص» و«لغة الحب- شعر» و«الممر- رواية» و«أنت الحبيبة وأنا العاشق- شعر» و«الرجال الخطرون- قصص» و«مصرع الماس- رواية» و«دماء بالألوان- رواية» و«رأس بيروت- رواية» و«كل لقاء بك وداع - شعر» و«أُحبك وبالعكس أُحبك- شعر» و«أسرار النرجس -رواية» وديوان «كأنك الخيط في الثوب» في رثاء زوجته أمل الجراح[1].

وزوجته «أمل الجراح» شاعرة سورية، من مواليد بلدة مرجعيون اللبنانية الجنوبية ١٩٤٥، لأسرة دمشقية كانت مقيمة في لبنان، تزوجت من ياسين رفاعية عام ١٩٦٧، وانتقلا إلى العاصمة اللبنانية ليقيما فيها، وخلال الحرب الأهلية انتقلا إلى لندن ليعودا لاحقاً إلى بيروت. من دواوينها الشعرية: «رسائل امرأة دمشقية» و«صاح عندليب في غابة»

---

(١) «كأنك الخيط في الثوب» ياسين رفاعية / دار نلسن، الطبعة الأولى ٢٠٠٨. ومنه هذه المرثيات المختارة.

و«صفصافة تكتب اسمها» و«امرأة من شمع وشمس وقمر» و«بكاء كأنه البحر».

فارقت الحياة في بيروت بعد صراع مع المرض في ٦ فبراير ٢٠٠٤.

وصدر بعد رحيلها بعام كتاب حمل عنوان «أمل جراح أميرة الحزن والكبرياء» حمل معظم ماكتب عنها بعد رحيلها ومختارات من مجموعاتها الشعرية الخمس.

حَصَاةٌ فِي الْقَاع

أَجْثُوْ عَلَى قَبْرِكِ
دُوْنَ وَقْتٍ
دَوْنَ زَمَانٍ وَمَكَانٍ
أَجْثُوْ صَامِتاً يَابِسَاً
مُبَلَّلاً بِالأَحْزَانِ.

كُنْتِ سِرّاً جَمِيْلاً
كُنْتِ طَيْراً
وَكُنْتُ بَيْنَ يَدَيْكِ
مَلِيْئاً بِمَوَاعِيْدِكِ السَّخِيَّةِ
فَمَاذَا أَفْعَلُ الآنَ؟
الآنَ.. أنَا حَجَرٌ مَنْسِيٌّ
مُتَنَاثِرٌ أَشْلاءً
حَصَاةٌ مَرْمِيَّةٌ فِي القَاعِ

وَحْشٌ تَائِهٌ فِي الدُّرُوْبِ
كَلَّ يَوْمٍ أَسْتَيْقِظُ، مُتَلَفِّتاً هُنَا وَهُنَاكَ
لاَ أَسْمَعُ هَمْسَ دَعْوَتَكِ إِلَى الْقَهْوَةِ
عَلَى الشُّرْفَةِ الْعَالِيَةِ
أَنْهَضُ
وَلاَ تَتَرَفَّقُ بِيَ الْحَيَاةُ.

كُنْتِ قُوَّتِيْ وَصُمُوْدِيْ
كُنْتُ أَزْهُوْ بِكِ كَالْجِبَالِ الْخَضْرَاءِ
كُنْتِ الأُلْفَةَ وَالنَّفْسِ الْهَنِيَّةَ.
وَكُنْتُ مَحْظُوْظاً بِكِ
مِنَ الْخَوْفِ وَالْيَأسِ.

بِرَحِيْلِكِ أَصْبَحْتُ مَكْشُوْفاً
مَحْفُوْفاً بِالْمَخَاطِرِ
وَلاَ يَدَ
تَرُدُّ عَنِّي الطَّلْقَةَ الأَخِيْرَةْ.

فِيْ هَذَا الْغِيَابِ

«أَمَلْ جَرَّاح»
أَنْحَنِيْ أَمَامَ مَقَامِكِ الْمُقَدَّسِ
فِي ظِلاَلِ اللَّيْلِ وَسَوَادِ الانْكِسَارِ

أَيَّتُهَا الأَمِيْرَةُ الْعَابِقَةُ بِرَائِحَةِ الْيَاسَمِيْنِ
واكْتِمَالِ لَحْظَةِ السُّكُونْ.

أَتَدَاعَى أَمَامَ مَقَامِكِ الرُّخَامِيِّ
كَمَا يَتَدَاعَىْ مَحْكُوْمٌ بِالإِعْدَامِ
أَمَامَ الْمَقْصَلَة.

هَكَذَا بَاعَدَ بَيْنَنَا الْقَدَرُ
يَسْخَرُ مِنَّا بِمَوْتٍ يَصْطَدِمُ بَأَسْرَارِهِ وَيَتعَقَّبُ أَوْهَامِيْ
بَأَنِيْنٍ أَبْلَغَ مِنْ النَّشِيْد.

فِي هَذا الْغِيَاب
قَلِيْلٌ مِنَ الظِّلِّ قَلِيْلٌ مِنَ النُّوْرِ
أَرْتَجِفُ كَشَحَّاذٍ تَحتَ الْمَطَرِ
وَلاْ أَلْتَمِسُ إلا الْخَوْفَ
مَاذَا أَحْكِيْ لَكَ عَنِ الأَحْزَانِ
كُنْتِ الْبَهْجَةَ الْوَدِيْعَةَ
وَالْخُبْزَ وَالْمِلْحَ وَالْمَاءَ
كُنْتِ الْتِمَاعَ الطَّيْفِ فِي السَّمَاءِ.

أَيَّتُهَا الرَّاحِلَةُ
أُدَارِي جَمْرَ يَدَيَّ وَفَقْرِيْ وَحَاجَتِيْ

أُدَارِي احْتِرَاقِيْ
وَتَكَسُّرَ الزُّجَاجِ عَلَى أَصَابِعِيْ
مَائِلَةٌ خَطْوِيْ
مُبَعْثَرَةٌ فِي الطُّرُقَاتِ
حُمَّى وَهَذَيَانٌ
أَنَا الْغَيْبُوْبَةُ الْمَعْجُوْنَةُ بِالْجِنُوْنِ
تَتَقَاذَفُنِي الْهَوَاجِسُ كَفَرَاشَةٍ فِي الرِّيْحِ
أَيْنَ نُوْرُكِ يُضِيءُ الْبَيْتَ؟
أَنْطَوِيْ كَالْكِلْسِ الْمُهْتَرِئِ عَلَى الْجُدْرَانِ
مُلْتَاعاً كَمَرَضٍ لاْ شِفَاءَ مِنْهُ.

إِنِّيْ أَنْتَحِبُ حَتَّى الرَّمَقِ الأَخِيْرِ
يَرْتَجِفُ اسْمُكِ عَلَى شَفَتَيَّ كَالنِّدَاءِ
فَمَا الَّذِيْ أَحْكِيْهِ الآنَ؟
عَنْ غُصَصِ الدَّمْعِ وَاخْتِنَاقِ الصَّوْتِ؟
يَا ذَاكِرَةَ السِّنِيْنِ
تَعْبُرُ التَّيَّارَ وَتَنْتَصِر عَلَى الْعَنَاصِرِ
هَلْ أَنَا غَيْرُ الْمَجْنُوْنِ بِكِ؟
جُنُوْنَ الْعَاصِفَةِ فِي الْبِحَارِ
أَفْتَقِدُكِ فِي كُلِّ مَكَانٍ
أَنَا اللَّحْظَةُ عَيْنٌ مُطْفَأَةٌ بِأَحْزَانِهَا
مَا مِنْ يَدٍ

مَا مِنْ كَتِفٍ أَسْتَنِدُ إِلَيْهَا
يَتِيْمٌ وَوَحِيْدٌ
أُرَتِّلُ سُوْرَةَ «الإِخْلاصِ» أَلْفَ مَرَّةٍ
لَعَلَّكِ تَنْهَضِيْنَ مِنْ نَوْمِكِ الأَبَدِيِّ
وَتَأْتِيْن.

أَنَا مَوْتٌ مُتَحَرِّكٌ
أَشْتَهِيْ، لَوْ يَرْقُدُ إِلَىٰ جَانِبِكِ
فَيَرْتَاح.

مُبَعْثَرٌ كَالْغُبَارِ

أَيْنَ تَرْسُوْ مَرَاكِبُكِ؟
لَسْتُ بَعْدُ مُقْتَنِعاً بِمَوْتِكِ
لَعَلَّكِ فِيْ جَزِيْرَةٍ وَرَاءَ الْمُحِيْطِ
لَعَلَّكِ فِيْ قَلْبِ وَرْدَةٍ أَوْ جَنَاحِ عُصْفُوْرٍ
وَأَنَا أَحْيَا عَلَى انْتِظَارِكِ
مُتَوَهِّجاً بِنُوْرِ عَيْنَيْكِ
أَحْيَا عَلَىٰ قَصَائِدِكِ
أَحْيَا خِصْبَ حُضُوْرِكِ وَيَبَابَ غِيَابِكِ
أَحْيَا شَمْسَ إِطْلالَتِكِ وَغُرُوْبَ رَحِيْلِكِ
وَلا تُظَلِّلُنِيْ مِنْ هَيَاجِ الْحَرِيْقِ
إِلّا لَمْسَةُ حَنَانٍ مِنْ يَدَيْكِ

وَمَا تَحْمِيْنِيْ مِنَ الصَّقِيْعِ إلّا قُبْلَتُكِ
كَمْ يَوْماً مَرَّ عَلَىْ رَحِيْلِكِ؟
سَنَةٌ...؟ سَنَتَانِ.. ثَلاثٌ....... أَرْبَعٌ.
لا.. الْبَارِحَةَ كُنْتِ هُنَا
فَمَا زَالَتْ رَائِحَةُ عِطْرِكِ تَمْلأُ الْمَكَانَ
مَا زَال كُرْسِيُّكِ الْهَزَّازُ
يَهْتَزُّ
كَمَا لَو انَّكِ غَادَرْتِهِ مُنْذُ لَحْظَة.

أَيَّتُهَا الْمُسَافِرَةُ فِي الْبَعِيْدِ الْبَعِيْدِ
كَانَتِ الْحَيَاةُ مُرَصَّعَةً بِكِ كَالْجَوَاهِرِ

الآن

يَا لِهَذا الصَّمْتِ الْجَارِحِ
يَرْوِيْ لَكِ نَهْرَ الْبُكَاءِ
أَيْنَ أُخَبِّئُ أَجْنِحَتِيْ
وَأَيْنَ أُعْلِنُ ازْدِحَامَ الْحُزْنِ
فِيْ الْقَلْبِ وَالرُّوْحِ.؟

لا

هَا أَنْتِ هُنَا بِجَمَالِكِ الآسِرِ
دَعِيْنِيْ أَتَخَاصَرُ مَعَ الذِّكْرَيَاتِ

أَتَأَمَّلُكِ طَوِيْلاً طَوِيْلاً طَوِيْلاً
كَيْ أَقْتَنِعَ أَنَّكِ مَا زِلْتِ هُنَا
رُوْحاً وَوَحْياً وَنُوْراً لاَ يَغِيْبُ.

فِيْ غِيَابِكِ
كُلُّ الطُّرُقِ تَصْطَفِقُ
بِأَجْنِحَةِ الْجُنُوْنِ
كُلُّ الْعَاصِفَةِ نَشِيْدُ الأَبَدِ
كَأَنَّ النَّارَ وَرْدَةُ الْمَاءِ
كَأَنَّ الشِّتَاءَ
هُوَ كُلُّ الْفُصُوْلِ
وَكَأَنَّ الْمَاءَ هُوَ الظَّمَأُ
فَأَيُّ مَصِيْرٍ يَنْتَظِرُ وَرَاءَ النَّاصِيَةِ
هَذَا الْكَهْلَ الْحَزِيْنَ؟

تَعَالِيْ يَا حَبِيْبَتِيْ
فَإِنِّيْ مُبَعْثَرٌ كَالْغُبَارِ
عَلَىْ الشَّبَابِيْكِ وَالأَبْوَابِ
إِجْمَعِيْنِيْ مِنْ صَفَاءِ الذَّاكِرَةِ
فَأَنَا بَعْدَ رَحِيْلِكِ
مُشَتَّتٌ تَحْتَ الْكَوَاكِبِ

لا تَعْرِفُ خُطَايَ أَيْنَ تَقِفُ
وَلا يَعْرِفُ جَسَدِيْ أَيْنَ يَنَامُ.

أَنَا جُثَّةٌ تَمْشِيْ وَرَاءَ الأَصْوَاتِ الْقَدِيْمَةِ
كَهْفٌ مِنَ الآمَادِ وَوَحْشُ مِنَ الأَنِيْنِ.
أَيْنَ تَقِفُ نُجُوْمُ الْحُلُمِ؟
أَيْنَ يَتَجَذَّرُ الشَّجَرُ؟
وَأَيْنَ يُرَفْرِفُ الأَخْضَرُ فِي الْبَرَارِيْ؟
الْعَالَمُ فِيْ جَانِبٍ
وَأَنَا وَأَنْتِ فِيْ جَانِبٍ.

يَا لَهَفِيْ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الْفَاتِنَةُ
أَيَّتُهَا السَّيِّدَةُ الرَّاقِيَةُ فِيْ كُلِّ شَيءٍ
الْجَمِيْلَةُ فِيْ كُلِّ شَيءٍ
يَا لَهْفَتِيْ إِلَى اللِّقَاءِ بِكَ فِيْ أَيِّ مَكَانٍ
كَمْ أَشْتَاقُ لِعَيْنَيْكِ الْعَذْبَتَيْنِ
لِنَعِيْمِ شَعْرِكِ وَعَسَلِ شَفَتَيْكِ
وَقُبْلَتِكِ الْعَذْرَاءِ جَمْرِ الْحَنِيْنَ
كَمْ أَشْتَاقُ لِغِنَائِكِ الْجَمِيْلِ
لِقَامَتِكِ سَنَابِلُ قَمْحٍ فِي الرِّيْحِ
لإِغْفَاءَةٍ قَصِيْرَةٍ عَلَى سَاعِدِكِ الطَّرِيِّ مِنْ عَنَاءِ السِّنِيْنِ

الآنَ تكْسِرُني الْعَاصِفَةُ
وَيُبَدِّدُني الْهَشِيْمُ
فَأَيْنَ يَدُكِ؟
أَيْنَ يَدُكِ؟

جَمَال عَبْدُ الْجَبَّار عَلوش

(١٣٧٦ هـ - ؟؟؟؟ = ١٩٥٧ م = ؟؟؟؟)

شاعر سوري، ولد في دير الزور، عمل في التعليم والصحافة، له كتابات في أدب الطفل، هذه المختارات، من ديوانه: «أوراق»[١] في رثاء زوجته «ليلى»

من مراثي ليلى العامرية
«إلى ليلى شاهين.. قمري الذي هوى»
سلام

سَلاماً شَذَا الْمَوْتِ
أَهْلاً بِعَاطِرِ مَا يُطْلِعُ الرَّمْلُ
مِنْ هَسْهَسَاتِ الْغِيَابِ
وَمِنْ فَرَحٍ طَافِحٍ بِالْبُكَاءْ
سَلاماً لأَنْفَاسِ أُنْثَى
تَسَّاقَطُ فَوْقَ دَمِ
الْوَقْتِ
مَسْكُونَةً- رَغْمَ قَسْوَةِ

---

(١) ديوان «أوراق» جمال عبد الجبار علوش منشورات إتحاد الكتاب العرب بدمشق/ ١٩٩٨.

سِيْفِ الرَّدَىْ-

بِاشْتِعَالِ الْبَقَاءْ

سَلاماً لِلَيْلَىْ

لِنظَرْتِهَا

لِلأَمَاسِي الشَّهَيَّةِ

لِلعُنْفُوَانِ الَّذِيْ لَمْ يَزَلْ

يُسْكِرُ الْقَلْبَ

يَمْنَحُهُ كُلَّ يَوْمٍ فَضَاءً

لِيَرْقَىْ إِلَى سِدْرَةِ الْقَوْلِ

مُتَّحِداً

بِاكْتِمَالِ الْغِنَاءْ!

***

وَلَيْلَى مُهْرَةُ الأَحْلامِ

سَيِّدَةُ الْكَلامِ الْحُلْوِ

فَاتِحَةُ الشَّذَا

لَمْ تَدْرِ مَقْتَلَهَا

ولَمْ تَحْفَلْ- وَمُنْذُ تَرَبَّصَتْ كَفُّ

الرَّدَى-

بِالْخَوْفِ

كَانَتْ تَرْتَدِي الْفَوْضَىْ

وَتَرْكُضُ فِيْ بَرارِيْ مَجْدِهَا

الْمَجْدُوْلِ مِنْ أَلَقِ التَّحَمُّلِ

لَمْ تَبُحْ بِالآهِ

لَمْ تَقْرَأْ سِوَى الأَقْمَارِ

دَافِئَةً تُلَوِّحُ أَوْ تَمِيْلُ

لَيْلَى الْغَزَالَةُ

كُنْتُ أَرْقُبُهَا

وَأَحْدِسُ مَا يَجِيْشُ

مِنَ التَّوَجُّسِ فِيْ أَسَى الْعَيْنَيْنِ

حِيْنَ دَنَا- عَلَى قَلَقٍ-

مِنَ الْفَرَحِ الرَّحِيْلُ

لَيْلَى الْقَتِيْلَةُ

لَمْ تُرَاوِدْ غَيْرَ غُرْبَتِهَا

لِتَصْعَدَ

احْتَكَمَتْ لِقَاتِلِهَا

وَقَاتِلُهَا قَتِيْلُ!

***

الْعُرْسُ:

إِلَىٰ لَيْلِهَا

زُفَّتِ الآنَ لَيْلَىٰ

وَمَاسَتْ بِزِيْنَتِهَا اللَّيْلَكِيَّةِ

شَفَّتْ لِتَغْدُوَ أَدْنَىٰ وَأَدْنَىٰ

مِنَ اللهِ

بَاحَتْ

فَرَفَّ الْحَمَامُ الْبَهِيُّ

وَظَلَّلَهَا بِشَهِيِّ الْغَمَامْ

إِلَىٰ لَيْلِهَا تُخْلِدُ الآنَ

أيَّ ابْتِهَالٍ سَتُدْنِيْ

لِيَسْمُوَ طَقْسُ الْغِيَابِ

وَيَمْتَدَّ عَذْباً

إِلَىٰ آخِرِ الْمُشْتَهَىٰ

مِنْ لَذِيْذِ الْحِمَامْ

وَفِيْ لَيْلِهَا تَسْبَحُ الآنَ

نَهْرُ ابْتِهَالٍ يَسِيْلَ عَلَىٰ مَدِّ

نَظْرَتِهَا دَافِئاً

وَيَسِيْلُ مِنَ الْمُقْلَتَيْنِ

بَهِيّاً - مَعَ الصَّمْتِ-

دَمْعُ الْكَلامْ!

***

المكاشفة:

أُنَادِيْ عَلَىٰ وَرْدَتِي

الْغَائِبَهْ

أُعَلِّقُ قَلْبِيْ عَلَىٰ حَبْلِ ذِكْرَىٰ

وَأَصْرُخُ:

يَا امْرَأَةَ النَّهْرِ
يَا لُغَتِي الذَّائِبَهْ
تَعَالَيْ
لِنَصْطَادَ حُزْناً
جَدِيْداً
وَنَفْتَحَ بَابَ الأَغَانِيْ
لِتَهْطُلَ أَوْرَاقُهَا فِيْ
دَمِيْنَا
تَعَالَيْ
لِنَبْدَأَ مَوْتاً
وَنَشْرَبَ مَوْتاً
وَنَقْتَاتَ مَوْتاً
وَنَبْنِي مِنَ الْمَوْتِ
مَوْتاً
وَنَصْعَدَ مِثْلَ الصِّغَارِ
إِلَىْ حُلْمِنَا فِي ذُرَا
الْوَهْمِ
حَيْثُ سَعَادَتُنَا الْكَاذِبَهْ!
***

حَسَن الزَّهْرَاني

(١٣٨١ هـ - ؟؟؟؟ = ١٩٦١ م - ؟؟؟؟)

شاعر سعودي من مواليد قرية «القسَمة» بمنطقة الباحة في المملكة العربية السعودية.

له عدد من المجموعات شعرية منها:

«أنت الحب» «صدى الأشجان» و«ريشة من جناح الذل» و«قطاف الشِغاف».

توفيت زوجته بعد عامين من زواجهما وتركت له طفلة اسمها «الجين» بعمر شهرين، وهو يستهل مرثيته لزوجته بمخاطبة تلك الطفلة، ويبني قصيدته على حوارية مفترضة مع الطفلة اليتيمة.

الطِّفْلَةُ وَالْمَوْت[1]

عَقَدَ الأَسَىٰ بِكَ يَا «لُجَيْنُ» لِسَانِيْ
فَسَكَبْتُ فِيْ سَمْعِ الْمُنَىٰ أَحْزَانِيْ

كُفِّيْ «لُجَيْنُ» عَنِ الْبُكَاءِ وَكَفْكِفِيْ
دَمْعاً يُذِيْبُ بَيَادِرَ الْكِتْمَانِ

(١) «صدى الأشجان»: حسن محمد حسن الزهراني «النادي الأدبي بالباحة ١٩٩٨» ص٦٠.

قَطَّعْتِ قَلْبِيْ يَا «لُجَيْنُ» تَرَفَّقِيْ

إِنَّ الَّـذِيْ أَبْـكَـاكِ قَـدْ أَبْـكَـانِـيْ

فَـأَنَـا وَأَنْـتِ حِـكَـايَـةٌ مَـكْـتُـوْبَـةٌ

بِـالـدَّمْـعِ فَـوْقَ بَـرَاعِـمِ الأَشْـجَـانِ

فَأَنَا يَتِيْمٌ يَا يَتِيْمَةُ فَامْسَحِيْ

دَمْعِيْ، وَدَمْعُكِ يَحْتَوِيْهِ بَنَانِيْ

سَلَّمْتُ أُمَّكِ يَا «لُجَيْنُ» بِرِقَّةٍ

قَلْبِيْ لِيَبْقَىٰ رَائِعَ الْخَفَقَانِ

لَكِنَّهَا رَحَلَتْ لِتَتْرُكَ خَافِقِيْ

فَـرْدَاً يَـذُوْقُ مَـرَارَةَ الْـحِـرْمَـانِ

رَحَلَتْ فَكُلُّ سَعَادَتِيْ رَحَلَتْ وَلَمْ

يَمْضِ عَلَىٰ فَجْرِ الْهَوَى عَامَانِ

إِنِّيْ فَقَدْتُ كَمَا فَقَدْتِ حَبِيْبَةً

فَـأَنَـا بِـلا أَهْـلٍ وَلا خُـلَّانِ

كَفَّنْتُ أُمَّكِ يَا «لُجَيْنُ» فَلَيْتَنِيْ

بِجِوَارِهَا قَدْ كُنْتُ فِي الأَكْفَانِ

وَوَضَعْتُ طَاهِرَ خَدِّهَا فَوْقَ الثَّرَىٰ

وَبَكِيْتُ حَتَّىٰ جَفَّت الْعَيْنَانِ

وَعَلا نَحِيْبِيَ رَغْمَ زَجْرِ أَحِبَّتِيْ

وَوَدَدْتُ أَنِّيْ مَابَرِحْتُ مَكَانِيْ

وَخَرَجْتُ مِنْ قَبْرِ الْحَبِيْبَةِ تَارِكَاً

قَلْبِيْ بِرِفْقَةِ ذَلِكَ الْجُثْمَانِ

طَيَّبْتُهُ بِدُمُوْعِ عَيْنِيْ بَعْدَمَا

أَهْدَيْتُهُ غُصْنَاً مِنَ الرَّيْحَانِ

وَوَضَعْتُ كَفِّيْ فَوْقَ وَجْهِيْ نَادِمَاً

وَرَضَيْتُ حَكْمَ الْوَاحِدِ الدَّيَّانِ

وَحَزِنْتُ أَحْزَانَ الْفُؤَادِ مَهَاجِرَاً

بِمَوَاجِعِيْ بَحْثَاً عَنِ السُّلْوَانِ

فَإِذَا بِوَجْهِكِ نَصْبَ عَيْنِيْ رَاسِمَاً

أَمَلاً عَلَىْ بَوَّابَةِ الأَحْزَانِ

فَوَقَفْتُ أُقْرَأُهُ وَأَسْأَلُ صَمْتَهُ

فَوَجَدْتُ فِيْ قَسَمَاتِهِ عُنْوَانِيْ

وَإِذَا بِدَمْعِكِ فَوْقَ خَدِّكِ ثَائِرَاً

حُزْنَاً يُهَاجِمُ مَوْجُهُ شُطْآنِيْ

وَتَقُوْلُ بِعْضُ حُرُوْفِهِ: لا يَا أَبِيْ

حُزْنِيْ وَحُزْنُكَ لَيْسَ يَشْتَبِهَانِ

سَيَمُوْتُ حُزْنُكَ يَا أَبِيْ أَمَّا أَنَا

سَيَظَلُّ حُزْنِيْ دَائِمَ الثَّوَرَانِ

سَأَعِيْشُ يَا أَبَتِيْ بِلاَ أُمٍّ فَمَنْ

لِيْ؟ إِنَّ عُمْرِيْ يَا أَبِيْ شَهْرَانِ

مَنْ سَوْفَ يُرْضِعُنِي وَيَمْسَحُ دَمْعَتِي

وَيَضُمُّنِيْ فِيْ رِقَّةٍ وَحَنَانِ؟

وَإِذا كَبِرْتُ فَكَمْ سُؤَالٍ حَائِرٍ

سَيَمُوْتُ - يَا أَبَتَاهُ - فَوْقَ لِسانِي؟

سَأَرَىْ رِفَاقِيْ يَحْتَوِيْ آلامَهُمْ

عَطْفُ الأُمُوْمَةِ صَادِقَ التَّحْنَانِ

وَأَنَا أَرَىْ مَا قَدْ يَدُوْرُ وَأَدْمُعِيْ

نَهْرَانِ فِي الْخَدَّيْنِ يَسْتَبِقَانِ

فَأَنَا بِلا أُمٍّ أَعِيْشُ يَتِيْمَةً

تَجْرِيْ سُمُوْمُ الْحُزْنِ فِيْ وِجْدَانِيْ

مَنْ ذَا سَيُنْسِي الْقَلْبَ أُمّاً فَارَقَتْ

صَفْوَ الْحَيَاةِ وَعَطْفُهَا يَغْشَانِيْ

مَاتَتْ وَرَأْسِيْ فَوْقَ سَاعِدِهَا فَمَنْ

بَعْدَ الْحَبِيْبَةِ يَا أَبِيْ يَرْعَانِيْ

سَيَظَلُّ حُزْنِيْ يَا أَبِيْ مِنْ بَعْدِهَا

مُتَعَدِّدَ الأَشْكَالِ وَالأَلْوَانِ

لَكِنَّنِيْ سَأَلُوْذُ بِاللهِ الَّذِيْ

أَحْيَا بِقَلْبِيْ نَبْتَةَ الإِيْمَانِ

سَيُذِيْبُ إِيْمَانِيْ جِبَالَ مَوَاجِعِيْ

سَأَعُوْدُ أَنْشُدُ رَحْمَةَ الرَّحْمَنِ

سَامِر الْبَارُوْدِي

فَيْضُ الْجَمَالِ

كَتبها بعد فقده رفيقة دربه وأبناءه الثلاثة[1]

قَامَ الْهِلالُ يَصِلِّيْ فِي الدُّجَى الْعَطِرِ
وَقُمْتُ أَنْشُرُ فِيْ مِحْرَابِهِ سُوَرِيْ

وَقَامَ فِيْ إِثْرِنَا أَزْهَارُ جَنَّتِنَا
يَرْوِيْهِمُ الطَّلُّ فِيْ بَاكُوْرَةِ السَّحَرِ

هَاهُمْ أَوْلاءِ أَزْهَارِيْ نَثَرْتُهُمُ
فِيْ صَحْنِ فَجْرِكِ فِيْ إِغْفَاءَةِ الْبَشَرِ

ثُمَّ اسْتَقَلُّوا إِلَىْ لُقْيَاكَ دَرْبَهُمُ
تَحْدُوْهُمُ رَحِمٌ تَسْعَىْ إِلَى الظَّفَرِ

«أمنوا» عَلَى النَّفْسِ فَارْتَاحَتْ جَوَارِحُهُمْ
وَأَغْفَتِ الأَعْيُنُ الْغَرَّاء فِيْ حَذَرِ

---

(١) نُشِرَتْ هذه القصيدة في جريدة الاقتصادية السعودية العدد رقم ٥٨٥٣ الثلاثاء ١٤٣٠/١١/١ هـ. الموافق ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٩.

مَاذَا دَهَى رَاعِيَ الأَزْهَارِ يَنْثُرُهَا

فَوْقَ «النّفُوْدِ» عَلَىْ جَبَّانَةِ الْقَدَرِ[1]

مَنْ ذَاكَ أَوْقَفُهُ فِي التِّيْهِ يَطْلُبُهَا

مَنْ ذَاكَ سَلَّ ضِيَاءَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ؟

هَلْ جَاءَ صَاحِبُهَا يَشْتَاقُ أَوْبَتَهَا

يَخْشَىْ عَلَيْهَا مِنَ الَّلأْوَاءِ وَالْكَدَرِ[2]

قَدْ رَابَهُ حَالُهَا فِيْ حِرْزِ سَامِرِهَا

فَرَدَّهَا رَغْمَ عَيْنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

لَوْ كُنْتُ أَحْسَبُ عُمْرَ الزَّهْرِ تَطْلُبُهُ

شَمْسٌ ظَلُوْمٌ بَلا عُذْرٍ وَمُعْتَذِرِ

إِذَنْ لَصَيَّرْتُ أَزْهَارِيْ وَدَوْحَتَهَا

أَغْصَانَ شَوْكٍ عَلَىْ قَاعٍ مِنَ الْكَدَرِ

وَعِشْتُ فِيْ دَوْحَةِ الأَشْوَاكِ آمَنُهَا

عَلَى الْبَرَاعِمِ فِيْ حِلِّي وَفِيْ سَفَرِيْ

مَا عَادَ لِيْ جَنَّةٌ وَرْقَاءُ زَاهِيَةٌ

لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى الأَطْلالِ وَالأَثَرِ

لَمْ يَرْتَوِ الزَّهْرُ مِنْ مَائِيْ بِغُدْوَتِهِ

فَرُحْتُ أَسْقِيْهِ فِي الأَجْدَاثِ وَالسِّيَرِ

---

(١) النفود: الكثبان الرملية، وهو اسم لصحراء واسعة في السعودية، تمتد من هضبة نجد وحتى الحدود الغربية للعراق والحدود الشرقية للأردن.

(٢) اللأواء: السدة والبؤس وضيق العيش.

ضَاعَتْ سَنَابِلُ قَمْحِيْ فِيْ فُتُوَّتِهَا
وَأَوْرَقَ الْهَمُّ فِي الظَّلْمَاءِ كَالشَّرَرِ

عُذْرَاً إِلَهِيْ فَقَلْبِيْ جَفَّ مِنْ صَدَأٍ
قَدْ مَاتَ مَنْ كَانَ يَرْوِيْهِ عَلَى السَّمَرِ

لا تَعْتِبَنَّ عَلَى الْمَكْلُوْمِ إِذْ نَفَثَتْ
أَوْدَاجُهُ بَعْضَ حَرِّ النَّارِ وَالشَّرَرِ

قَدْ هَيَّج اَلْفَقْدُ فِيْهِ عَبْرَةً سَخَطَتْ
عَلَى الْمَآقِيْ فَفَاضَتْ نَبْعَةُ الْعِبَرِ

وَانْدَاحَ فِي النَّفْسِ أَمْشَاجٌ وَأَصْوِرةٌ
بَغَتْ عَلَى الْقَلْبِ حَتَّى هَامَ فِيْ خَوَرِ

خُذْنِيْ هُدَى اللهِ عَنْ هَمِّيْ وَعَنْ كَدَرِيْ
وَامْسَحْ بِيُمْنَاكَ رَأْسَاً قُدَّ مِنْ حَجَرِ

لا تَتْرُكَنِّيْ بِوَعْرِ التِّيْهِ يَقْهَرُنِيْ
فَأَنْتَ نُوْرِيَ فِيء أَمْنِيْ وَفِيْ خَطَرِ

حَمْدَاً لِحِكْمَتِكَ الْغَرَّاءِ يَا أَمَلاً
يَرُوْمُهُ كُلُّ مَنْ يَمْشِيْ عَلَى الأَثَرِ

لَقَدْ تَلَطَّفْتَ حَتَّى حِرْتُ فِيْ قَدَرِيْ
فِيْ مِحْنَتِيْ مِنْحَةٌ تَزْهُوْ عَلَى الْقَمَرِ

لا غَرْوَ فِي الأُنْسِ إِذْ أَلْقَاهُ فِيْ كَنَفِيْ
وَلَنْ تُفَاجِئُنِي النَّعْمَاءِ فِي الضَّرَرِ

جَلالُ أَمْرِكَ قَدْ فَاضَ الْجَمَالُ بِهِ

حَتَّى تَكَنَّفْتُ فِي الْبَأْسَاءِ بِالظَّفْرِ

ضَرَّاؤكَ الْخَيْرُ وَالسَّرَّاءُ مَجْمَعُهُ

فَجُدْ بِأَيِّهِمَا فَالْخَيْرُ فِيْ قَدَرِيْ

الرياض ٥/٦/ ١٤٣٠ هـ

فَرِيْد عَبْد الْخَالِق

(١٣٣٤ هـ - ؟؟؟؟ = ١٩١٥ م - ؟؟؟؟)

محمد فريد عبد الخالق، باحث وداعية أسلامي وأديب مصري.

وُلِدَ في مدينة فاقوس محافظة الشرقية بمصر، ثمَّ انتقل مع عائلته إلى القاهرة.

التقى بمؤسس جماعة الأخوان المسلمين بمصر «حسن البنا» في بداية الأربعينيات من القرن العشرين، ومن خلاله نشط في أوساط طلاب الجامعة، وكان أحد أعضاء الهيئة التأسيسية للجماعة، وعضو مكتب الإرشاد الأسبق، كما عمل مديراً عاماً لدار الكُتب والوثائق القومية في مصر.

من مؤلفاته «الإخوان المسلمون في ميزان الحق» و«مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك» و«ديوان المقاومة» و«تأملات في الدين والحياة» و«في الفقه السياسي الإسلامي» و«مرثيتي الباكية في زوجتي الشهيدة الغالية» وهي قصيدة رثاء مطوَّلة لزوجته «كوثر الساعي»[١]

نال فريد عبد الخالق شهادة الدكتوراه من كلية الحقوق بجامعة القاهرة «٢٠٠٩» وهو في الرابعة والتسعين من عمره في حدث غير مسبوق، وكان موضوع الرسالة «الاحتساب على ذوى الجاه والسلطان»

---

(١) «مرثيتي الباكية في زوجتي الشهيدة الغالية» فريد عبد الخالق/ دار النشر للجامعات القاهرة ٢٠٠٩ .

وكانت زوجته «كوثر الساعي» توفيت في العام ٢٠٠٨ بعد زواج دام ستة عقود. وهنا ثلاثة مقاطع من أماكن مختلفة من قصيدته الرِّثائيَّة المطوَّلة.

أَنَا فِي الطَّرِيْقِ إِلَيْكَ

-١-

أَحْبَبْتِ رَبَّكِ حُبَّكَ فَاصْطَفَاكِ بِحُبِّهِ وَحَبَاكِ رَبُّ الْعَرْشِ فَضْلَ شَهِيْدَةِ

يَا أُمَّ أَبْنَائِيْ وَخَيْرَ قَرِيْنَةٍ وَبِفَضْلِ رَبِّيْ أَنْتِ لِيْ حُوْرِيَّتِيْ

-٢-

اَللَّحْدُ كَبَّرَ لِلنَّزِيْلَةِ.. نُوْرُهَا كَعَرُوْسِ حُسْنٍ بِالْمَلائِكِ زُفَّتِ

وَاللَّحْدُ يَسْأَلُ نَفْسَهُ هَلْ يَا تُرَىْ النَّجْمُ يُلْحَدُ هَكَذَا فِيْ حُفْرَةِ ؟

وَاللَّحْدُ أَذْهَلَهُ حَفَاوَة رَبِّهَا لَمَّا غَدَتْ تَلْقَىْ جَزَاءَ شَهِيْدَةِ

إِنِّيْ بَكَيْتُ بِقَبْرِهَا وَذَكَرْتُ يَوْمَ فَجِيْعَتِيْ، وَاللَّحْدُ ضَمَّ حَبِيْبَتِيْ

وَأَنَا أُصَلِّيْ بِالْفُؤَادِ عَلَى النَّبِيْ هِيَ عُمْرُ أَيَّامِيْ وَمَنْبَعُ فَرْحَتِيْ

وَقُبَالَتِي فِي النَّعْشِ بَعْضُ حُشَاشَتِيْ وَأَنَا أَؤُمُّ الْجَمْعَ دَامِعَ مُقْلَةِ

وَدُعاءُ كُلِّ الْحَاضِرِيْنَ أَحَالَ بُشْرَىْ جَمْعِنَا بِمَعَادِنَا لِحَقِيْقَةِ

فَغَدَاً تُصَلِّي خَلْفَنَا وَأَؤُمُّها واللهُ نَحْمِدُهُ بِدَارِ الرَّحْمَةِ

لَكِنْ حَيَاتِي الْيَوْمَ غَيْرُ حَيَاتِنَا بِالأَمْسِ مَا عَادَتْ تَمُوْجُ بِمُتْعَةِ

فَقَصَفْتُ أَقْلامِيْ لَدُنْ كَتَبَ الْقَضَاءُ نِهَايَتِيْ بِفَرَاقِهَا وَمُصِيْبَتِيْ[1]

---

(١) لدن: ظرف زماني بمعنى : عندما.

وَمَنَافِذٌ كُثْرٌ عَلَىٰ كُلِّ الْوُجُوْدِ أُطِلُّ مِنْهَا سَابِحاً قَدْ سُدَّتِ

وَمَعَازِفِي قَدْ عُطِّلَتْ بِفِرَاقِهَا وَتَجَمَّدَتْ مِنْ فَوْرِهَا أُغْنِيَّتِي

فَأَنَا أَعِيْشُ الْيَوْمَ خَارِجَ عَالَمِيْ أَحْيَا بِقُرْبِكِ يَا أَعَزَّ حَبِيْبَةِ

مَا عَادَ لِيْ مِنْ بَعْدِ فَقْدِكِ مَا يَهِيْجُ كَوَامِنِيْ وَتَأَمُّلاتِ قَرِيْحَتِيْ

ذِكْرَاكِ مُشْغِلَتِيْ، وَلُقْيَانَا مَعاً بِمَشِيْئَةِ الرَّحْمَنِ كُلَّ رَغِيْبَتِيْ

يَا مَنْ سَبَقْتِ إِلَىٰ لِقَاءِ اللهِ خَيْرَ شَهِيْدَةٍ، بُشْرَىٰ بِعَوْدِ الصُّحْبَةِ

أَنَا فِي الطَّرِيْقِ إِلَيْكَ أَعْجَلُ مَا يَكُوْنُ الْخَطْوِ مِنْ شَوْقٍ وَشَدَّةِ لَهْفَةِ

وَاللهِ أَسْأَلُه بِفَضْلِ مَشِيْئَةِ عِيْدُ الْلِقَاءِ مَعاً بِدَارِ الرَّحْمَةِ

إِنْ غَالَنَا شَيْبٌ، بِفَضْلِ اللهِ يَجْمَعُنَا غَداً نَحْيَا لَدَيْهِ بِصَبْوَةِ

أَنَا إِنْ بَكَيْتُ فِرَاقَهَا شَغَفاً بِهَا فَفِرَاقُ «إِبْرَاهِيْمَ» أَبْكَىٰ أُسْوَتِيْ[1]

-٣-

رَغْمَ افْتِقَادِكِ لَمْ أَزَلْ أَحْيَا بِقُرْبِكِ مِثْلَمَا كُنَّا زَمَانَ الصُّحْبَةِ

فَلأَنْتِ فِيْ أَعْمَاقِ قَلْبِيْ حَيَّةٌ مَا غِبْتِ عَنْ عَيْنَيَّ قَطُّ لِلَحْظَةِ

---

(١) يشير إلى بكاء الرسول محمد لفقده ولده إبراهيم فقد ثبت أنه بكى على ابنه وقال: «تَدْمَعُ العَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلا نَقُولُ مَا يسخطُ الرَّبَّ، وإنّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزونُونَ».

مُحَمَّد مَظْلُوْم

مَقَاطِعُ مِنْ «كِتَاب فَاطِمَة»[1]

فِي الطَّرِيْقِ إِلَى «اللاذِقِيَّةِ»
جَسَدُكِ يُسَافِرَ مَعِيْ
نُسَافِرُ مَعاً جِنَازَةَ مُوْسِيْقَى بَيْضَاءَ
وَأَنْتِ تَنَامِيْنَ إِلَى جَانِبِيْ
قِيْثَارَةً مِنْ ضَبَابٍ
تَمَاماً
كَمَا كُنْتِ تَتَّكِئِيْنَ بِرَأْسِكِ
عَلَى كَتِفَيْ
فِيْ كُلِّ مَرَّةٍ نُسَافِرُ فِيْهَا
إِلَى الْبَحْرِ وَالأَصْدِقَاءِ
وَكُنْتُ أَضُمُّكِ كَمَا فِي الْمَرَّةِ الأُوْلَى
لإِعْلانِ الْحُبِّ لِلْبَحْرِ وَالأَصْدِقَاءِ
هَا أَنَا وَحِيْداً أُعْلِنُهُ

---

(١) مقاطع من «كتاب فاطمة» قصيدة طويلة في رثاء زوجتي فاطمة ٢٧ / ٧/ ١٩٦٩ ـ ١٦ / ١١/ ٢٠٠٨.. الطبعة الأولى / دار التكوين دمشق ٢٠١٠.

مُجَدَّداً
لِلتُّرَابِ وَحْدِهِ!

كُنْتِ تَنَامِيْنَ يَا حَبِيْبَتِي
هَادِئَةً وَبَعِيْدَةً
وَيدَاكِ تَتَشَابَكَانِ عَلَى بَطْنِكِ
كَالْكَنْغَرِ الأُوْقِيَانُوْسِيِّ
كَأَنَّهُمَا تَتَحَسَّسَانِ رَكَلاتِ التَّوْأَمِ
فِي طَرِيْقٍ بَعِيْدٍ
كَأَنَّهُمَا تَشْتَبِكَانِ مَعَ الْعَالِمِ الَّذِيْ يُرِيْدُ
أَخْذَهُمَا مِنْكِ،
أَوْ تَحْجِبَانِهِمَا
عَنْ حُرُوْبٍ سَيُقْتَلانِ فِيْهَا.

ثَلاثَتُكُمْ فِي كَفَنٍ وَاحِدٍ
تَتْلُوْ مَعْرَكَةٍ سَرِيْعَةٍ
فِي حَرْبِيَ الْعَابِرَةِ
مَعَ زَوْجَاتِ الآلِهَةِ
وَأَنَا التَّوْأَمُ الْيَتِيْمُ
عَلَيَّ انْ أَحْفِرَ قَبْراً جَمَاعِيّاً فِي أَعْمَاقِيْ
وَأَمْشِيْ بَيْنَ النَّاسِ كَجَمَاعَةٍ
فِي كَفَنٍ وَاحِدٍ

كَرَجُلٍ وَحِيْدٍ
بِلاَ ذِكْرَيَاتٍ!

هَيَّا أخرُجِيْ مِنْ صُوْرَتِكِ
بِرِيْفِ ابْتِسَامَتِكِ
بِسَاحِلِ شَعْرِكِ الطَّوِيْلِ
بِحَاجِبَيْكِ الْمَرْفُوْعَيْنِ
كَأَقْوَاسِ الْحَضَارَاتِ الْقَدِيْمَةِ
فِي أَرْضٍ عَصِيَّةٍ عَلَى الْمِلْحِ
بِأَغْوَارِ عَيْنَيْكِ الَّتِي رَأَيْتُ فِيْهَا حِكَايَاتِ أَجْدَادِيْ
بِجَبِيْنِكِ الْعَرِيْضِ كَمَوَاوِيْلِ الْجَنُوْبِ.
وَبِنُدْبَةِ الْحَرْقِ الْقَدِيْمِ عَلَىْ ذِرَاعِكِ كَظِلٍّ السَّرَابِ.
هَيَّا أخرُجِيْ مِنَ الصُّوْرَةِ
وَاجْرِيْ مَعِيْ فِي الْبُسْتَانِ
لِنَهْرُبَ مَعاً
مِنْ مُصَوِّرِ الْخَرِيْفِ التَّالِي.

حَتَّى الأَزْهَارُ عِنْدَ النَّافِذَةِ الْجَنُوْبِيَّةِ
قَتَلَهَا التَّلَفُّتُ والْوَحْشَةُ
حَيْثَ لاَ ظِلاَلَ الِيْفَةٌ مِنْ بَعْدِكِ.

حَتَّى التَّمَاثِيْلُ فِي الزَّوَايَا

بَعْدَكِ انْتَحَرَتْ
بَعْدَمَا انْتَظَرَتْ فِي صَمْتِهَا طَوِيْلاً
وَسَهِرَتْ فِي وُقُوْفِهَا كَثِيْراً
وَتَنَقَّلَتْ مِنْ غُرْفَةٍ
إِلَىٰ غُرْفَةٍ
بَحْثاً عَنْ عَيْنَيْكِ.
وَهَا أَنَا
وَثَنِيٌّ فِيْ بَيْتٍ قَدِيْمٍ.

أَسْتَنْفِرُ لأَجْلِكِ الشُّعَرَاءَ
مِنْ كُلِّ الْعُصُوْرِ
بِذُقُوْنِهِمِ الْمُبْتَلَّةِ
وَنَظَّارَاتِهِمِ اللاصِفَةِ تَحْتَ مَطَرٍ مُعْتِمٍ
لِيَقْرَأُوا مَرَاثِيَهُمْ أَمَامَ وَجْهِكِ النَّائِمِ
كَنَهَارٍ فِي بِئْرٍ.
أَقْرَأُ مَعَ «مُوْنْتَالِي» سِفْرَ أَشْعِيَا الثَّانِيْ
وَنَبْكِيْ مَعاً
عِنْدَ مَضِيْقِ التَّثْنِيَةِ
وَرَحِمٍ مُغْلَقٍ كَالأَبَدِيَّةِ
وَلا أَرَىٰ أَحَداً يَأتِي مِنَ الْمَضِيْقِ
غَيْرَكِ.
لا أَحَدَ

سِوَى تِلْكَ الْعَاصِفَةِ الْوَحِيْدَةِ
فِيْ قَلْبِي يَجُرُّهَا مُحَارِبُوْنَ مَهْزُوْمُوْن.
لِمَاذَا عُدْتِ إِلَى أُمِّكِ
بِسُرْعَةٍكَالأَطْفَالِ الْمُدَلَّلِيْنَ
وَتَرَكْتِنِي وَحْدِيْ
طِفْلاً يُقَلِّبُ الْحَصَى وَالذِّكْرَيَاتِ
وَيَتَلفَّتُ نَحْوَ الْجِهَاتِ
لِيَعُدَّ مَا فَقَدَ مِنْ أُمَّهَاتِ.

لِمَاذَا هَرَبْتِ، كَغَزَالَةٍ مِنْ أَلْبُوْمِ حَيَاتِيْ
وَتَرَكْتَنِيْ أَشِيْخُ وَحِيْداً فِي الصُّوَرِ
كَمِيْرَاثِ مُنْزَوٍ فِيْ لَوْحَةٍ قَدِيْمَةٍ
تَتَنَاهَبُهُ وُحُوْشٌ بِوُجُوْهِ نِسَاءٍ.

ذَهَبْتِ لِتَلِدِيْ
وَتَرَكْتِنِيْ
يَتِيْماً فِي مَهْدِ الْغُرَبَاءِ
أَخَذْتِ مَعَكِ الأَبْنَاءَ وَالذِّكْرَيَاتِ
وَتَرَكْتِ لِيْ مُوْسِيْقَى بَيْضَاءَ
تَلِدُ لِيْ أَحْلافاً مِنَ الْحُزْنِ
وَأَعْدَاءَ مَاهِرِيْنَ
فِيْ عُبُوْرِ نَهْرِ حَيَاتِي الْمَهْجُوْرِ.

ذَهَبْتِ بِجَنَاحَيْنِ عِرَاقِيَّيْنِ،
وَتَرَكْتِنِي فِي خَرَائِبِ الْحَضَارَاتِ
مِلْيُونِيْرَ أَحْزَانٍ
وَإِقْطَاعِيَّ خَسَارَاتٍ.

وَشِّحِيْ رَمْلِيْ فَإِنِّي أَرْمَلُكْ   وَشِّحِي الْعُزْلَةَ إِنِّيْ أَعْزَلُكْ
وَشِّحِي التَّوْأَمَ لاْ قَبْرَ لَهُمْ   إِنَّهُ اللَّيْلُ جَمِيْعاً يَقْتُلُكْ
وَشِّحِي الْمَنْفَىْ بِمَنْفَىْ آخَرٍ   فَأَنَا فِي كُلِّ مَنْفَى بَطَلُكْ
طِفْلَةٌ فِي اللَّهْوِ أُمٌّ فِي الْهَوَىْ   وَأَنَا طِفْلُكِ، عُذْرَاً، رَجُلُكْ
فَلِمَاذَا صِرْتَ يَا سَيْفَ النَّدَىْ   دُمْيَةً وَالْمَوْتُ طِفْلٌ يَحْمِلُكْ؟
تِلْكَ أَنْتِ الآنَ؟ مَا أَهْزَمَنِي   لَيْسَ فِي وِسْعِيْ عُيُوْنٌ تَسْأَلُكْ
جَسَدِيْ، لَوْحَةُ ذِكْرَىْ فَارْسُمِيْ:   هُوَ ذا لَوْنُكِ، هَذِيْ قُبَلُكْ
نَسَجَتْكِ الْخَمْرُ مِنْ فَجْرٍ غَفَا   فَصَحَا لَيْلٌ قَتِيْلٌ يُشْعِلُكْ
غَزَلٌ مَرْثِيَتِيْ أَيُّ يَدٍ   كَيَدِ اللَّيْلِ غِيَاباً تَغْزِلُكْ
طَلَلٌ بَيْتِيْ، غُبَارٌ أَسْوَدٌ   يَمْسَحُ الْبَيْتَ، وَيَبْقَىْ طَلَلُكْ
يَا امْرَأَ الْقَيْسِ «وُقُوْفَاً» كُلُّنَا   مَنْزِلِيْ بَاكٍ أَيَبْكِيْ مَنْزِلُكْ؟

كُنْتِ تُحِبِّيْنَ النَّرْجِسَ والْخُيُوْلَ وَلُعَبَ الأَطْفَالِ،
وَالأَطْفَالَ الَّذِيْنَ لَمْ يَوْلَدُوا بَعْدُ!
وَالنَّوْمَ بَيْنَ ذِرَاعَيَّ كَطِفْلَةٍ لاْ تَنْوِي الذَّهَابَ
إِلَى الْمَدْرَسَةِ فِي الصَّبَاحِ.

لِمَاذَا كُنْتِ تُحِبِّيْنَ لُعَبَ الأَطْفَالِ؟
الأنَّهَا أوْثَانٌ جَمِيْلَةٌ لأحْلامِكِ الْمَهْدُوْرَةِ؟
لِمَاذَا كُنْتِ تُحِبِّيْنَ الأَزْهَارَ؟
الأنَّهَا بَصَمَاتُ حَيَاتِكِ عَلَى الشُّرْفَةِ؟

مَاذَا أَصْنَعُ بِمَا حَوْلِيْ مِنْ حُقُوْلِ الْيَأْسِ؟
أنَا الْمُزَارِعُ النَّائِمُ فِي حَصَادِ النِّسْيَانِ
مَاذَا أَصْنَعُ بِقَطِيْعِ ذِئَابِكِ؟
أنَا الرَّاعِيْ الَّذِيْ مَشَيْتُ نَحْوَكِ
وَعَلَى كَتِفَيَّ حِمْلانٌ وُلِدَتْ لِلتَّوِّ
مَاذَا أَصْنَعُ بالْوَحْشَةِ التي تَفِيْضُ
كَعُيُوْنِ الْفِرْدَوْسِ؟

شَعْرُكِ النَّائِمُ بَيْنَ أَصَابِعِيْ كَعَاصِفَةٍ مُتْعَبَةٍ
يُلَوِّنُ الْحِبْرَ بَأَغَانِيْهِ الطَّوِيْلَةِ
فَأَرْسُمُ الْفَرَاشَاتِ عَلَى جُثَّةِ الْمُوْسِيْقَى
وَأَبْكِيْ.

هَذِيْ عُشْرُوْنُكِ
تَتَلَفَّتُ مِنْ نَوَافِذِ الْبَاصِ
وَأَنَا عَلَى الرَّصِيْفِ
أَتَرَقَّبُ عُمْراً يَأْتِيْ مِنْ عَيْنَيْكِ

يَا عُمْرِي الَّذِيْ عِشْتُهُ بِانْتِظَارِهِ.
هَذِيْ عُشْرُوْنُكِ
تَجْلِسُ فَي حَدِيْقَةِ «الْمُتْحَفِ»
صُحْبَةَ الذِّكْرَيَاتِ
وَأَنَا أَتَفَقَّدُهَا وَحِيْدًا كَتِمْثَالٍ أَعْمَىْ.

هَذِيْ عُشْرُوْنُكِ
تَتَجَوَّلُ مَعِي فِي «الْقَلْعَةِ»
كَزِحَامٍ مِنْ آلِهَةٍ أَضَاعُوا طُرُقَهُمْ
بَقِيْ لِيْ مِنْكِ كُلُّ هَذَا:
قَبْرُكِ الْمُثَلَّثُ كَصَلِيْبٍ نَاقِصٍ
دَفْتَرُ يَوْمِيَّاتِكِ
وَأَقْلامُكِ الرَّصَاصُ
لَوْحَاتُكِ النَّاقِصَةُ
وَأَزْهَارُكِ الْمَيِّتَةُ
وَكُنُوْزُ الطِّفْلَيْنِ...
أَمَّا مُدَّعُوْكِ
فَلَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْهُمْ أَيُّ شَيْءٍ
لَقَدْ ذَهَبُوا بِكَنْزِ الإِنْكَارِ.

مَرَايَا الْبَيْتِ، مَا أَكْثَرَهَا،
تَتَلَفَّتُ

مِرْآةً نَحْوَ مِرْآةٍ،
تَبْحَثُ عَنْكِ
لَمْ تَدْخُلِيْ الْمنْزِلَ مُنْذُ أَيَّامٍ
مَرَايَا الْبَيْتِ مُغْبَرَّةٌ يَاْحَبِيْبَتِيْ
وَجْهُهَاْ شَاْحِبٌ وَعُيُوْنُهَاْ حَاْئِرَةٌ
تُرَاْقِبُنِيْ وَحِيْدَاً
أَتَنَقَّلُ بَيْنَ الْغُرَفِ
كَأَنَّنِيْ أَتعَقَّبُ غِيَاْبَكِ.
مَرَايَا الْمَنْزِلِ كُلَّمَاْ نَظَرْتُ نَحْوَهَاْ
رَأَيْتُكِ مَشْغُوْلَةً بِرَسْمِ فَمِيْ
فَمِي الَّذِيْ لَمْ تُنْجِزِيْهِ
فِي اللَّوْحَةِ الْقَدِيْمَةِ
وَتَرَكْتِهِ لَطْخَةً مِنْ أَلَمٍ تُنَاْدِيْكِ
فِي الْمَرَاَيَا
وَأَنْتِ تَرْسُمِيْنَ فِرْدَوْساً هَاْرِباً
كَخُيُوْلِ الْهُنُوْدِ الْحُمْرِ.

دُمُوْعِيْ عَلَيْكِ تَنْحَدِرُ
كَحَلِيْبِكِ الَّذِيْ يُرَوِّيْ أَزْهَاراً مَرِيْرَةً
فِي «شِيْرِ الْخَرَابِ»
جَاءَكِ الْمَوْتُ يَا حَبِيْبَتِيْ وَلِيْدَاً ثَاْلِثَاً.
لَمْ تَتَعَرَّفِيْ عَلَيْهِ وَكَانَ آخِرَ الأَبْنَاءِ.

هَذِهِ قِيثَارَتِيْ تَصْعَدُ وَحِيْدَةً مِنْ بَعْدِيْ
نَحْوَكِ وَحِيْدَةً مِنْ بَعْدِكَ
تَتَسَلَّقُ بُرْجاً فِي عَاصِفَةٍ.
وَتَطْفُوْ عَلَى نَهْرٍ سَرِيْعِ الْجَرَيَانِ.

سَأَمْشِيْ إِلَيْكِ يَا حَبِيْبَتِيْ
مُلَثَّماً بِالْخُلُوْدِ
وَعَلَى كَتِفِيْ جُعْبَةُ الْفَنَاءِ
دَافِعاً أَمَامِيْ
عَرَبَةَ أَطْفَالٍ بِمَقْعَدَيْنِ فَارِغَيْنِ
لِكَيْ تَتَعَرَّفِي عَلَيَّ
فِي زِحَامِ الأَبَدِيَّةِ.

سَأَتَعَرَّفُ عَلَيْكِ بِشَالِكِ الأَخِيْرِ
الَّذِيْ أَنْقَذْتُهُ مِنَ الْعَاصِفَةِ،
وَأَرْسَلْتُهُ إِلَىْ دَجْلَةَ كَشِرَاعِ السُّوْمَرِيِّيْنَ،
سَأَتعرَّفُ عَلَيْكِ،
بِمُحَارِبَيْنِ سُوْمَرِيَّيْنِ صَغِيْرَيْنِ يَحْرُسَانِكِ
وَأَنْتِ تَتَقَدَّمِيْنَ وتتعرَّفِيْنَ عَلَيَّ
بِثَلاثِ خَزَائِنَ مَعْدَنِيَّةٍ
وَزَهْرَةٍ وَاحِدَةٍ
أَحْمِلُهَا إِلَيْكُمْ.

لَمْ تَلْتَفِتْ قِيثَارَتِي
وَكَانَ الْعَالَمُ خَلْفِي
أَعْمَى يُمَسِّدُ حَاجِبَيْهِ
وَوَرَاءَ سُوْرٍ مِنَ الْمُوْسِيْقَى
تَنَهَّدَ التُّرَابُ
وَكُنْتِ هُنَاكَ تَسْبَحِيْنَ،
وَعَلى كَتِفَيْكِ طِفْلانِ خَائِفَانِ.

كَيْفَ اسْتَطَعْتُ حَمْلَكِ فِي الْوَادِي الأَحْمَرِ؟
كُنْتِ ثَلاثَةً
فِي تَابُوْتٍ مُضْطَرِبٍ
كَالْبَحْرِ الَّذِيْ وَقَفْنَا عِنْدَهُ
ذَاتَ غُرُوْبٍ.

مُلْحَق

نَمَاذِجُ مِنْ رِثَاءِ الْحَبِيْبَات

قُبُوْرُ الْعُشَّاق

قال السَّراج: وجدتُ في مجموع سمَّاه جامعُهُ «زهر الربيع»: أنشدتُ عبد الله بن الْمُعْتز:

مَسَاكِيْنُ أَهْلُ الْعِشْقِ، حَتَّىٰ قُبُوْرُهُمْ
عَلَيْهَا تُرَابُ الذُّلِّ بَيْنَ الْمَقَابِرِ.

فقالَ لي: لعنَ الله صاحبَ هذا الشعر، لا واللهِ ما أذلَّ الله ترابَ قبر عاشقٍ قطّ، بل أجلَّه وشرَّفهُ ونضَّرهُ وَحَسَّنَهُ[1].

---

(١) «مصارع العُشّاق» للسراج القارئ جعفر بن أحمد بن الحسين ٤١٨ - ٥٠٠ هـ دار صادر بيروت. الجزء الأول ص ١٣٠.

فَتَىً أَمَوِيٌّ مِنْ شُهَدَاءِ الْهَوَىْ

كان بالمدينة فتى من بني أميَّة من ولد «سعيد بن عثمان بن عفان» وكان يختلف إلى «قينة» لبعض قريش، وكان طريراً ظريفاً، وكانت الجارية تحبُّهُ ولا يعلم بحبِّها، فأراد يوماً أن يشكو ذلك، فقال لبعض إخوانه: امضِ بنا إلى فلانة، وانطلقا فدخلا إليها وتوافى فتيانٌ من قريش والأنصار، فلمَّا جلستْ مجلِسَها واحتجرتْ بمزهرها، قال الأمويُّ تغنِّيْن:

أُحِبُّكُمُ حُبّاً بِكُلِّ جَوَارِحِيْ ... فَهَلْ لَكُمْ عِلْمٌ بِمَا لَكُمْ عِنْدِيْ؟

وَتَجْزُوْنَ بِالْوِدِّ الْمُضَاعَفِ مِثْلَهُ ... فَإِنَّ الْكَرِيْمَ مَنْ جزَى الْوِدَّ بِالْوِدِّ

قالت: نَعمْ، وأحسنَ منه، وغنَّت:

لِلَّذِيْ وَدَّنَا الْمَوَدَّةُ بِالضِعْفِ ... وَفَضْلُ الْبَادِيْ بِهِ لا يُجَازَىْ

لَوْ بَدَا مَا بِنَا لَكُمْ مَلأَ الأَرْضَ ... وَأَقْطَارَ شَامِهَا وَالْحِجَازَا

فعجبَ القوم من سرعته مع شغل قلبه، ومن ذهنها وحسن جوَابها فازداد بها كلفاً، وصرَّح عمَّا في قلبه فقال:

أَنْتِ عُذْرُ الْفَتَىْ إِذَا هَتَكَ السِّتْرَ ... وَإِنْ كَانَ يُوْسُفَ الْمَعْصُوْمَا

مَنْ يُقِمْ فِيْ هَوَاكِ يَقْصُرُ عَنْ اللَّوْمِ ... وَإِمَّا زَالَ كَانَ مَلُوْمَاً

وبلغ «عمر بن عبد العزيز» وهو على المدينة خبرَها، فاشتراها بعشر حدائق ووهبها له وما يصلحها، فمكثت عنده حولاً ثم ماتت فرثاها، فقال:

جَنَّةَ الْخُلْدِ

قَدْ تَمَنَّيْتُ جَنَّةَ الْخُلْدِ بِالْجَهْدِ فَأَدْخِلْتُهَا بِلا اسْتِئْهَالِ
ثُمَّ أُخرِجْتُ إذْ تَطَعَّمْتُ بِالنِّعْمَةِ مِنْهَا وَالْمَوْتِ أَحْمِدُ حَالِيْ

وكرَّرَ هذا الشِّعْر مِرَاراً وقضى، فدُفِنَا معاً، فقال أشعب: هذان شهيدا الهوى انحروا على قبره سبعين نحرة كما كبر رسول الله على قبر حمزة سبعين تكبيرة[1].

---

(١) «الجليس الصالح» لأبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني٣٠٣ - ٣٩٠ هـ / دراسة وتحقيق محمد مرسي الخولي عالم الكتب/ بيروت/ الطبعة الأولى ١٩٩٣ الجزء الأول/ ٤٩٤. و«مروج الذهب للمسعودي» أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى ٣٤٦ هـ» تحقيق يوسف البقاعي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت الجزء الثاني ص ١٣٥.

مَجْنُوْنُ لَيْلَىْ

(٠٠٠ - ٦٨ هـ = ٠٠٠ - ٦٨٨ م)

قال أبو بكر[١]: أنَّ المجنونَ بينما هو ذات يوم في أودية مصلة قد أسندَ ظهره إلى بعض الصِّوَى[٢]، حزيناً كئيباً، إذ مرَّ به فارسان فَنَعَيَا إليه ليلى وقالا: مضتْ لسبيلها، فخرَّ المجنونُ مَغشيَّاً عليه، فلمَّا أفاقَ أنشأ يقول:

مَنْ بَعْدَ لَيْلَىْ؟[٣]

أَيَا نَـاعِـيَـيْ لَـيْـلَـىْ بِـجَـانِـبِ هَـضْـبَـةٍ
أَمَـا كَـانَ يَـنْـعَـاهَـا إِلَـيَّ سُـوَاكُـمَـا؟

أَيَا نَـاعِـيَـيْ لَـيْـلَـىْ بِـجَـانِـبِ هَـضْـبَـةٍ
فَمَنْ بَعْدَ لَيْلَىْ؟لا أُمِرَّتْ قُوَاكُمَا[٤]

وَيَا نَاعِيَيْ لَيْلَىْ لَقَدْ هِجْتُمَا لَنَا
تَـبَـارِيْـحَ نَـوْحٍ فِـي الـدِّيَـارِ كَـلاكُـمَـا

---

(١) أبو بكر الوالبي: راوية ديوان المجنون.

(٢) الصوى: الصخور.

(٣) «ديوانه» برواية أبي بكر الوالبي/ دراسة وتعليق: يسري عبد الغني/ دار الكتب العلمية/ بيروت ١٩٩٩ ص ١١٥.

(٤) أُمِرَّت: اشتدَّت.

فَلا عِشْتُمَا إلا حَلِيْفَيْ مُصِيْبَةٍ

وَلا مُتُّمَا حَتَّى يَطُوْلَ بَلاكُمَا

وَأَسْلَمَتِ الأَيَّامُ فِيْهَا عَجَائِبٌ

نَبَوْتُكُمَا إِنِّيْ أُحِبُّ رَدَاكُمَا

أَظُنُّكُمَا لاْ تَعْلَمَانِ مُصِيْبَتِيْ

لَقَدْ حَلَّ بَيْنُ الْوَصْلِ فِيْمَا أَرَاكُمَا

ثمَّ مضى حتى دخل الحيَّ بعدما لم يكن يمرُّ به إلا من بعيدٍ، فإتى أهلَ بيتها فعزَّاهُم فعزُّوه، فقال: دلُّوني على قبرِها، فلمَّا عرفهُ رمى بنفسه على القبر والتزمهُ، وأنشأ يقول:

أَيَا قَبْرَ لَيْلَىْ

أَيَا قَبْرَ لَيْلَىْ لَوْ شَهِدْنَاكَ أَعْوَلَتْ

عَلَيْكَ نِسَاءٌ مِنْ فَصِيْحٍ وَمِنْ عَجَمْ

وَيَا قَبرَ لَيْلَىْ أكرِمَنَّ مَحَلَّها

يَكُنْ لَكَ مَا عِشْنَا عَلَيْنَا بِهَا نِعَمْ

وَيَا قَبْرَ لَيْلَىْ إِنَّ لَيْلَىْ غَرِيْبَةٌ

بِأَرْضِكَ لا خَالٌ لَدَيْهَا وَلا اِبنُ عَمْ

وَيَا قَبْرَ لَيْلَىْ مَا تَضَمَّنت قَبْلَهَا

شَبِيْهاً لِلَيْلَىْ ذَا عَفَافٍ وَذَا كَرَمْ

وَيَا قَبْرَ لَيْلَىْ غَابَتِ الْيَوْمَ أُمُّهَا

وَخَالَتُهَا وَالْحَافِظُوْنَ لَهَا الذِمَمْ

الْعَوَّامُ بنُ عُقْبَة

هو العوَّامُ بن عُقْبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى شاعر إسلامي في عهد بني العباس وكان قد كَلِفَ بامرأةٍ من بني عبد الله بن غَطَفان وكانت تحبُّهُ كذلك فخرج إلى مصر في مِيْرة فبلغه أنها مريضةٌ فتركَ ميرتَهُ وكرَّ راجعاً نحوَها وأنشأ يقول[1]:

وَنُبِّئْتُ «سَوْدَاءَ الْغَمَيْمِ» مَرِيْضَةً
فأقْبَلْتُ مِنْ مِصْرٍ إلَيْها أعُودُهَا[2]

فَوَاللهِ مَا أدْرِي إذَا أنَا جِئْتُهَا
أأبْرِئُهَا مِنْ دَائِهَا أمْ أزِيْدُهَا

وهي سبعةُ أبيات وقع اختيار أبي تمَّام على هذين البيتين منها فلمَّا جاء إلى بلدها لم يزل يتلطَّفُ حتى رأته ورآها فأومأت إليه أن ما جاء بك فقال جئت عائداً حين علمت علَّتَكِ فأشارت إليه أن ارجع فإني في عافية فرجع إلى ميرته واستمرَّ بها المرض فجعلت تتولَّهُ إليه حتى ماتت فلمَّا بلغَهُ الخبر أنشأ يقول:

---

(١) «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي الجزء الثاني ص ١٤١٤ القطعة رقم ٥٨٤ و«شرح ديوان الحماسة» للتبريزي يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا «المتوفى: ٥٠٢هـ» دار القلم/ بيروت الجزء الثاني ١٦٧.

(٢) سوداء الغميم: الغميم واد في ديار حنظلة من بني تميم واسم المرأة ليلى ولقبها «سوداء» وكانت تنزل الغميم.

مَاتَ مِلْحُ الْغَانِيَاتِ[1]

سَقَى جَدَثاً بَيْنَ الْغَمِيْمِ وَزُلْفَةٍ
أَحَمُّ الذُّرَى وَاهِي الْعَزَالِيْ مَطِيْرُهَا[2]

فَقُلْتُ لِقَلْبِيْ: لا تُبَكِّ فَإِنَّهُ
كَذَاكَ اللَّيَالِيْ طُوْلُهَا وَقَصِيْرُهَا

فَإِنِّيْ لَبَاكٍ مَا بَقِيْتُ وَإِنَّهُ
لأَسْوَأُ عَبْرَاتِ الرِّجَالِ كَثِيْرُهَا

إِذَا سَكَنَتْ عَنْهَا الْجَنُوْبَ تَجَاوَبَتْ
جِلادُ مَرَابِيْعُ السَّحَابِ وَخَوْرُهَا[3]

وَإِنِّي لأَصْحَابِ الْقُبُوْرِ لَغَابِطٌ
«بِسَوْدَاءَ» إِذْ كَانَتْ صَدَىً لاْ أَزُوْرُهَا

وَإِنْ تَكُ «سَوْدَاءُ» الْعَشِيَّةَ فَارَقَتْ
فَقَدْ مَاتَ مِلْحُ الْغَانِيَاتِ وَنَوْرُهَا

كَأَنَّ فُؤَادِيْ يَوْمَ جَاءَ نَعِيُّهَا
مَلاءَةُ قَزٍّ بَيْنَ أَيْدٍ تُطِيْرُهَا

---

(١) في «معجم البلدان» الأبيات لعبد الرحمن بن حزن «معجم البلدان» لياقوت الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ٥٧٤ - ٦٢٦ هـ دار صادر/ بيروت ١٩٧٧الجزء الثالث ص ١٤٦.

(٢) الْعزَاَلِيْ: جمع الأعزل وهو السحاب بلا مطر، وزُلْفَةُ: هو ماء شرقي سميراء على طريق مكة.

(٣) الجلاد: الأبل السمينة، و مرابيع السحاب أوائل المطر الذي يكون في الربيع، والخور: الأبل النحيفة.

صَخْرُ بنُ الْجَعْد الْمُحَارِبيّ

كان صَخْرُ بنُ الْجَعْدُ الْمُحَارِبِيُّ خِدْنَاً[١] للعوَّام بن عُقبة، وكان العوَّام يهوى امرأةً من قومه، يقال لها «سوداء[٢]» فماتت، فرثاها، فلمَّا سمعَ «صخر بن الجعد» المرثية، قال: وددت أن أعيش حتى تموت كأس، فأرثيها، فماتت كأس، فقال:

لَيْتَ سَرِيْرَهَا عَلَىْ مَنْكِبَيَّ[٣]

عَلَىْ «أُمِّ دَاوُوْدَ» السَّلامُ وَرَحْمَةٌ   مِنَ اللهِ يَجْرِيْ كُلَّ يَوْمٍ بَشِيْرُهَا

غَدَاةَ غَدَا الْغَادُوْنَ عَنْهَا وَغُوْدِرَتْ   بِلَمَّاعَةِ الْقِيْعَانِ يَسْتَنُّ مَوْرُهَا[٤]

وَغُيِّبْتُ عَنْهَا يَوْمَ ذَاكَ وَلَيْتَنِيْ   شَهِدْتُ فَيَحْوِيْ مَنْكِبَيَّ سَرِيْرُهَا[٥]

نَزَتْ كَبِدِيْ لَمَّا أَتَانِيْ نَعِيُّهَا   فَقُلْتُ: أَدَانٍ صَدْعُهَا فَمَطِيْرُهَا؟

---

(١) الخِدْن: الصديق.

(٢) يرى المرزوقي في «شرح الحماسة» بأن سوداء هو لقبُها، بينما اسمها «ليلى» كما ورد في القصيدة المتقدمة للعوَّام بن عُقبة.

(٣) «الأغاني» الجزء ٢٢ ص ٢٨.

(٤) لماعة القيعان: الفلاة إذا لمع فيها السراب أو البرق، ويستنُّ: يسرع، والمَوْر: الغبار أو التراب في الريح..

(٥) ويروى: فيعلو منكبي.

كُثَيِّر عَزَّة

(٠٠٠ - ١٠٥ هـ = ٠٠٠ - ٧٢٣ م)

ماتت عزَّةُ بمصر في أيَّامِ عبد العزيز بن مروان، وزار كُثَيِّر قبرَها ورثاها وتغيَّرَ شعرُهُ بَعْدَها، فقال له قائلٌ: ما بالُ شعرِك تغيَّرَ وقد قَصَّرْتَ فِيه؟ فقال: ماتتْ عَزَّةُ ولا أطرب، وذَهَبَ الشَّبابُ فلا أعجب، ومات عبدُ العزيز بن مروانَ فلا أرغب، وإنَّمَا ينشأ الشِّعْرُ عن هذه الخِلال[1].

. . . .ويروي البيهقي القصَّةَ التراجيدية التالية عن موتها وكيف تلقَّى «كُثَيِّر» ذلك الخبر[2]. . «كتب «عبد الملك بن مروان» إلى كثير وهو بالكوفة: أن اركب البريدَ وعجِّلْ فإنِّي مزوِّجُك «عزَّة» فأتاهُ الكتابُ وهو مُضنىً من الشَّوق إليها فرحلَ فأقبلَ نحوها، فلمَّا كان في بعض الطريق إذا هو بغرابٍ على شجرةٍ بانة وإذا هو ينتفُ ريشَهُ ويطايره، وكان شديدَ الطَّيْرة، فلمَّا رآهُ تطيَّرَ وهمَّ بالانصراف ثمَّ غلبه شوقه فمضى وهو مكروبُ لِمَا رأى، حتى أتى ماءً لبني نهد، فإذا هو برجلٍ يسقي إبِلَهُ فنزل عن راحلته واستظلَّ بشجرة هناك فأبصر النهديَّ، فأتاه وسأله عن اسمه ونسبه فانتسب، فرحَّب به، فأخبرهُ عمَّا رأى في طريقه، فقال:

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير الجزء ١٣ ص ٣٥.

(٢) هذه الرواية وردت في «المحاسن والمساوئ» للبيهقي إبراهيم بن محمد البيهقي توفي ٣٢٠ هـ طبعة دار صادر ١٩٧٠، ص ٣٣١.

أما الغرابُ فغُربةٌ، وأما البانة فَبَيْنٌ، وأما نَتْفُ ريشِهِ ففُرْقَةٌ. فاستُطِيرَ لذلك، وَمَضى حتى دنا من «دمشق» فإذا بجنازةٍ فاستعبر وقال: أسألُ الله خير ما هو كائن! فسأل عن الميت فإذا هي «عَزَّة» فخرَّ مغشياً عليه، فعُرِفَ وصُبَّ عليه الماء فكان مجهودُهُ أن بَلَغَ القبرَ، فلمَّا دُفِنَتْ انكبَّ على القبر وهو يقول:

كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكِ حَيَّةً![1]

سِرَاجُ الدُّجَىٰ صِفْرُ الْحَشَا مُنْتَهَى الْمُنَىٰ
كَشَمْسِ الضُّحَىٰ نَوَّامَةٌ حِيْنَ تُصْبِحُ

إِذَا مَا مَشَتْ بَيْنَ الْبُيوتِ تَخَزَّلَتْ
وَمَالَتْ كَمَا مَالَ النَّزِيْفُ الْمُرَنَّحُ[2]

تَعَلَّقْتُ «عَزًّا» وَهْيَ رُؤْدٌ شَبَابُهَا
عَلاقَةَ حُبٍّ كَادَ بِالْقَلْبِ يَرْجَحُ[3]

أَقُوْلُ وَنِضْوِيْ وَاقِفٌ عِنْدَ رَمْسِهَا:
عَلَيْكِ سَلامُ اللهِ وَالْعَيْنُ تُسْفَحُ[4]

فَهَذَا فِرَاقُ الْحَقِّ لا أَنْ تُزِيْرَنِي
بِلادَكِ فَتْلاءُ الذِّرَاعَيْنِ صَيْدَحُ[5]

---

(١) ديوان «كُثَيِّر عَزَّة» جمعه وشرحه إحسان عباس/ دار الثقافة/ بيروت ١٩٧١، ص ٤٦٣ و«مصارع العُشَّاق» الجزء الأول ص ١٢٦.

(٢) تخزلت: تثاقلت في مشيها، والنزيف: السكران.

(٣) رؤد شبابها: لينة الشباب.

(٤) النضو: الجمل الهزيل.

(٥) الصيدح: الصياحة الرفيع صوتها.

وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكِ حَيَّةً

وَأَنْتِ لَعَمْرِيْ الْيَوْمَ أَنْأَىٰ وَأَنْزَحُ

فَيَا عَزَّ أَنْتِ الْبَدْرُ قَدْ حَالَ دُوْنَهُ

رَجِيْعُ تُرَابٍ وَالصَّفِيْحُ الْمُضَرَّحُ

فَهَلا فَدَاكِ الْمَوْتُ مَنْ أَنْتِ زَيْنُهُ

وَمَنْ هُوَ أَسْوَا مِنْكِ دَلَّاً وَأَقْبَحُ

عَلىٰ أُمِّ بَكْرٍ رَحْمَةٌ وَتَحِيَّةٌ

لَهَا مِنْكَ والنائي يَوَدُّ وَيَنصَحُ

مُنَعَّمَةٌ لَوْ يَدْرُجُ الذَّرُّ بَيْنَهَا

وَبَيْنَ حَوَاشِيْ بُرْدِهَا كَادَ يَجْرَحُ[1]

وَمَا نَظَرَتْ عَيْنِيْ إِلَىٰ ذِيْ بَشَاشَةٍ

مِنَ النَّاسِ إِلّا أَنْتِ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ

أَلاْ لاْ أَرَى بَعْدَ ابْنَةِ النَّضْرِ لَذَّةً

لِشَيءٍ وَلاْ مِلْحاً لِمَنْ يَتَمَلَّحُ

فَلا زَالَ رَمْسٌ ضَمَّ عَزَّةَ سَائِلاً

بِهِ نِعْمَةٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَسْفَحُ

فَإِنَ الَّتي أَحبَبْتُ قَدْ حَالَ دُوْنَهَا

طِوَالُ اللَّيَالِيْ وَالضَّرِيْحُ الْمُصَفَّحُ

---

(١) يدرج: يمشي، والذر: صغار النمل.

أَرَبَّ بِعَيْنِيَ الْبُكَا كُلَّ لَيْلَةٍ
فَقَدْ كَادَ مَجْرَى الدَّمْعِ عَيْنَيَّ يَقْرَحُ[1]

إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تَسْفَحُ الْعَيْنُ لِيْ دَمَاً
وَشرُّ الْبُكَاءِ الْمُسْتَعَارُ الْمُسَيَّحُ[2]

ثُمَّ بَكَى حَتَّى غشيَ عليه، فأفاق وهو يقول:

فَـمـا أَعْـيَـفَ الـنَّـهْـدِيَّ لا دَرَّ دَرُّهُ
وَأَزجُـرَهُ لِـلـطَّـيْـرِ لا عَـزَّ نَـاصِـرُه

رَأَيْـتُ غُـرَابَـاً سَـاقِـطَـاً فَـوْقَ بـانَـةٍ
يُـنَـتِّـفُ أَعْـلَـىٰ رِيْـشِـهِ وَيُـطَـايِـرُهُ

فَقالَ: غُرابٌ لِاغْتِرابٍ مِنَ النَّوَىٰ
وَبَـانـة بَـيْـنٌ مِـنْ حَـبِـيْـبٍ تُـجـاوِرُه

فَـقُـلْـتُ وَلَـو أَنِّـي أَشَـاءُ زَجَـرْتُـهُ
بِنَفْسِيَ، لِلنَّهْدِيِّ، هَلْ أَنتَ زاجِرُه

ثمَّ لم يزلْ باكياً حتى أدركه الموتُ ولم يُرَ ضاحكاً بعدَها.

---

(١) اربَّ: لزم وأقام.
(٢) المسيَّحُ: السائح الجاري.

أَعْرَابِيٌّ مُنْتَحِرٌ بَعْدَ مَقْتَل حَبِيْبَتِهِ

عن أحدِهم قالَ[1]: خرجت في نِشْدَان إبلٍ لي ضَلَّتْ، فآواني المبيتُ إلى خيمة أعرابي، فقلتُ: هل من قِرَىً[2]؟ فقالَ لي: انزلْ! فنزلتُ، فثنى لي وسادةً، وأقبلَ عليَّ يُحدِّثني، ثم أتاني بقِرَىً، فأكلْتُ. فبينا أنا بين النائم واليقظان، إذا بفتاةٍ قد أقبلتْ لم أرَ مثلَها جَمَالاً وحُسْناً، فجلستْ، وجعلتْ تُحدِّثُ الأعرابي ويُحدِّثها، ليس غير ذلك، حتى طلعَ الفجْرُ، ثم انصرفتُ، فقلتُ: والله لا أبرح موضعي هذا، حتى أعرف خبر الجارية والأعرابي.

قال: فمضيت في طلب ضالتي يَوْمَاً، ثم أتيتُهُ عند الليل، فأتى بقِرَىً، فبينا أنا بين النَّائم واليقظان، وقد أبطأت الجارية عن وقتها، قَلِقَ الأعرابيُّ، فكان يذهبُ ويجيء وهو يقول:

مَا بَالُ مَيَّةَ لا تَأْتِيْ لِعَادَتِهَا،
أَعَاجَهَا طَرَبٌ أمْ صَدَّها شُغُلُ

---

(١) «مَصارع العُشَّاق» الجزء الثاني ص ١٠٤. و«المحاسن والأضداد» للجاحظ عمر بن بحر بن محبوب ١٦٣ - ٢٥٥ هـ دار ومكتبة الهلال/ بيروت١٤٢٣ هـ ص ١٠٨. و«أخبار النساء» لابن الجوزي شرح وتحقيق: الدكتور نزار رضا دار مكتبة الحياة/ بيروت ١٩٨٢. و«الموشَّى» للوشاء ص ٨٤. و«المستطرف من كُلِّ فَنٍّ مُستظرف» الجزء الثالث ص ٥٣. وباختلاف اسم الراوي، وفي ألفاظ صياغة الرواية.

(٢) القِرى: الضيافة، من طعام ومنام وغيره.

لَكِنَّ قَلْبِيَ عَنْكُمْ لَيْسَ يَشْغَلُهُ
حَتَّى الْمَمَاتِ، وَمَا لِيْ غَيْرُكُمْ أمَلُ
لَوْ تَعْلَمِيْنَ الَّذِيْ بِيْ مِنْ فِرَاقِكُمُ
لَمَا اعْتَذَرْتِ وَلا طَابَتْ لَكِ الْعِلَلُ
نَفْسِيْ فِدَاؤُكِ قَدْ أحْلَلْتِ بِيْ حُرَقاً
تَكَادُ مِنْ حَرِّهَا الأَحْشَاءُ تَنْفَصِلُ
لَوْ كَانَ عَادِيَةٌ مِنْهُ عَلَىْ جَبَلٍ
لَزَلَّ وَأُنْهدَّ مِنْ أرْكَانِهِ الْجَبَلُ

ثم أتاني فأنْبَهَني، ثمَّ قالَ لي: إن خلَّتِي التي رأيتَ بالأمْسِ، قد أبطأتْ عليَّ، ولستُ آمنُ السَّبعَ عليها، فانظرْ ما ههنا حتَّى أعلمَ عِلمَهَا، ثمَّ انطلقَ عنِّي ساعةً فغاب وأتى بشيء فطرَحه بين يدي فإذا هي الجارية قد قتلها الأسدُ وأكَلَ أعضاءَها وشوَّهَ خِلقَتَها، ثم أخذَ السَّيفَ وانطلقَ فأبطأَ هُنيهة وأتى ومعهُ رأسُ الأسد فطرحه ثم أنشأ يقول:

ألا أيُّهَا الْلَيْثُ الْمُضِرُّ بِنَفْسِهِ،
هُبِلْتَ لَقَدْ جَرَّتْ يَدَاكَ لَكَ الشَّرَّا
أأخلَفْتَنِيْ فَرْداً وَحِيْداً مُدَلَّهاً،
وَصَيَّرْتَ آفَاقَ الْبِلادِ بِهَا قَبْرَا؟
أأَصْحَبُ دَهْراً خَانَنِيْ بِفِرَاقِهَا؟
مَعَاذَ إلَهِيْ أنْ أكُوْنَ بِهَا بَرَّا

ثم أقبل علي فقال: هذه ابنةُ عمِّي كانت من أحبِّ الناس إلي، فمنعني أبوها أن أتزوَّجها، فزوَّجها رجُلاً من أهل هذه الأبيات، فخرجتُ من مالي كلِّهِ ورضيتُ بالمقام ههنا على ما ترى، فكانت إذا

وجدتْ خَلْوَة أو غفلة من زوجها أتتني، فحدَّثتني وحدثتها، كما رأيتَ ليس شيء غيره، وقد آليتُ على نفسي أن لا أعيشَ بعدَها، فأسألك بالحُرمة التي جَرَتْ بيني وبينك، إذا أنا متُّ فلفِّفْني وإيَّاها في هذا الثَّوْب، وادفنَّا في مكاننا هذا، وأكتب على قبرنا هذا الشعر:

يَجْمَعُنَا الْكَفَنُ

كُنَّا عَلَىٰ ظَهْرِهَا وَالدَّهْرُ فِيْ مَهَلٍ،
وَالْعَيْشُ يَجْمَعُنا وَالدَّارُ وَالْوَطَنُ
فَفَرَّقَ الدَّهْرُ بِالتَّصْرِيفِ أُلْفَتَنَا،
فَالْيَوْمَ يَجْمَعُنَا فِيْ بَطْنِهَا الْكَفَنُ

ثم اتكأ على سيفه، فخرجَ من ظهره فسقطَ ميتاً، فلفَفْتُهما في الثَّوْب وحفرتُ لهما، فدفنتُهُمَا في قبر واحد.

مُرَّة النَّهْدِيُّ

مُرَّة بن عبد الله بن هليل بن يسار كان يهوى امرأةً من بني نَهْد، يقال لها: «ليلى بنت زهير بن يزيد» واشتدَّ شغفُهُ بها فخطبَها، وأبوا أن يزوِّجوه، وكان لا يخطبها غيره إلا هجاه، فخطبها رجلٌ من «بني نهشل» يقال له: «إران» فقال مرة يهجوه:

وَمَا كُنْتَ أَخْشَىٰ أَنْ تَصِيْرَ بِمَرَّةٍ
مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَىٰ زَوْجَةً «لإِرَانِ»
لِمَنْ لَيْسَ ذَا لُبٍّ وَلاْ ذَا حَفِيْظَةٍ
لَعِرْسٍ وَلا ذَا مَنْطِقٌ وَبَيَانِ
لَقَدْ بُلِيَتْ لَيْلَىٰ بِشَرٍّ بَلِيَّةٍ
وَقَدْ أُنْزِلَتْ لَيْلَىٰ بِدَارَ هَوَانِ

فتزوَّجَها «المنجاب بن عبد الله بن مسروق بن سَلَمَة بن سعد، وهو من نهد» فخرج إلى «البعث» براذان[١]، وهي إذ ذاك مَسْلَحَة لأهل الكوفة، فخرج بها معه، فماتت بـ «راذان» ودفنت هناك، فقدم رجلان من «بجيلة» إلى الكوفة وبنو نهد بها، فمرَّا بمجلس النهديين، فسألوهما عمَّن بـ«راذان» من بني نَهْد، فأخبراهم بسلامتهم وَنَعَيَا ليلى، وكان في القوم مُرَّةُ فَقَال:

---

(١) البعث: الجند يبعثون في الجيش، و«راذان» كما جاء في معجم البلدان: الراذان الأعلى والأسفل قريتان من سواد بغداد.

أَيَا نَاعِيَيْ لَيْلَى[1]

أَيَا نَاعِيَيْ لَيْلَى أَمَا كَانَ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ يَنْعَاهَا إِلَيَّ سُوَاكُمَا؟
وَيَا نَاعِيَيْ لَيْلَىٰ أَلَمْ نَكُ جِيْرَةً نَدَامَىٰ ذَوِيْ حَقٍ فَأَلَّا نَهَاكُمَا؟
وَيَا نَاعِيَيْ لَيْلَىٰ لَقَدْ هِجْتُمَا لَنَا تَجَاوُبَ نَوْحٍ فِي الدِّيَارِ كِلَاكُمَا
وَيَا نَاعِيَيْ لَيْلَىٰ لَجلَّتْ مُصِيْبَةٌ بِنَا فَقْدُ لَيْلَىٰ لا أُمِرَّتْ قُوَاكُمَا
وَلا عِشْتُمَا إلا حَلِيْفَيْ بَلِيَّةٍ وَلا مِتُّ حِتَّىٰ يُشْتَرَىٰ كَفَنَاكُمَا!
فَأَشْمَتَ وَالأَيَّامُ فِيْهَا بَوَائِقٌ بِمَوْتِكُمَا إِنِّيْ أُحِبُّ رَدَاكُمَا!

وقال فيها أيضاً:

مِنْ حَيْثُ لا تَدْرِيْ[2]

كَأَنَّكَ لَمْ تُفْجَعْ بِشَيءٍ تُعِدُّهُ
وَلَمْ تَصْطَبِرْ لِلنَّائِبَاتِ مِنَ الدَّهْرِ
وَلَمْ تَرَ بُؤْسَاً بَعْدَ طُوْلِ غَضَارَةٍ
وَلَمْ تَرْمِكِ الأَيَّامُ مِنْ حَيْثُ لاْ تَدْرِيْ

---

(١) «الأغاني» الجزء ٢٣ ص ١٢٠ و«الوافي بالوفيات» الجزء ٢٥ ص ٤٣١. وروي في «الأغاني» كذلك: «أنَّ مُرَّة كان تزوَّجَهَا وكان مكتبه بـ«راذان» وأخرجها معه ثم ضرب عليه «البعث» إلى خراسان فخلفها عند شيخ من أهل منزله هناك وأفرد لها الشيخ داراً كانت فيها ومضى لبعثه ثم قدم بعد حول فلقي فتى من أهل «راذان» قبل وصوله إلى دارها فسأله عنها فقال: أترى القبر الذي بفناء الدار؟ قال: نعم قال: هو والله قبرها فجاء فأكبَّ عليه يبكي ويندبها وتركَ مكتبه ولزمَ قبرَها يغدو ويروح إليه حتى لحقَ بها» «الأغاني» جزء ٢٣ ص ١٢٠.

(٢) «الأغاني» الجزء ٢٣ ص ١٢٠

سَقَىٰ جَانِبَيْ «رَاذَانَ» وَالسَّاحَةَ الَّتِيْ
بِهَا دَفَنُوا لَيْلَىٰ مُلِثٌّ مِنَ الْقَطْرِ[1]
وَلا زَالَ خِصْبٌ حَيْثُ حَلَّتْ عِظَامُهَا
«بِرَاذَانَ» يُسْقَى الْغَيْثُ مِنْ هَطِلٍ غَمْرِ
وَإِنْ لَمْ تُكَلِّمْنَا عِظَامٌ وَهَامَةٌ
هُنَاكَ وَأَصْدَاءٌ بَقِيْنَ مَعَ الصَّخْرِ

وقال فيها:

يَا قَبْرَ لَيْلَىٰ كَمْ جَمَالٍ تَكُنُّهُ[2]

أَيَا بَيْتَ لَيْلَىٰ إِنَّ لَيْلَىٰ مَرِيْضَةٌ
بِـ«رَاذَانَ» لا خَالٌ لَدَيْهَا وَلا ابِنُ عَمْ
وَيَا بَيْتَ لَيْلَىٰ لَوْ شَهِدْتُكَ أَعْوَلَتْ
عَلَيْكَ رِجَالٌ مِنْ فَصِيْحٍ وَمِنْ عَجَمْ
وَيَا بَيْتَ لَيْلَىٰ لا يَبِسْتَ وَلاْ تَزَلْ
بِلادُكَ سُقْيَاهَا مِنَ الْوَاكِفِ الدِّيَمْ
وَيَا قَبْرَ لَيْلَىٰ غُيِّبَتْ عَنْكَ أُمُّهَا
وَخَالَتُهَا وَالنَّاصِحُوْنَ ذُوو الذِّمَمِ
وَيَا قَبْرَ لَيْلَىٰ كَمْ جَمَالٍ تَكُنُّهُ
وَكَمْ ضُمَّ فَيْكَ مِنْ عَفَافٍ وَمِنْ كَرَمْ

---

(١) مُلِثٌّ: دائمٌ شديدُ الهطل.

(٢) «الأغاني» الجزء ٢٣ ص ١٢١ و«معجم البلدان» الجزء الثالث ص ١٢. والأبيات تنسب لقيس بن الملوح في ديوانه باختلافات بسيطة، كما تقدَّم، والأرجح أنها للنهدي.

أبنُ ميَّادَة يرثي حبيبته.

(٠٠٠ - ١٤٩ هـ = ٠٠٠ - ٧٦٦ م)

شاعر أمويٌّ اسمُهُ الرماح بن أبرد بن ثوبان وأمه ميَّادة «بربرية» الأصل ورويَ أنها كانت «صقلبية»

لكنَّ ابن ميَّادة يزعم أن أمَّهُ فارسية، وذكر ذلك في شعره، كان ابنُ ميَّادة يهوى أمراةً تكنَّى «أمّ جحدر» وهي امرأة من بني مُرَّة، وله غَزَلٌ فيها، وأن أباها بلغه مصير ابن ميَّادة إليها، فحلف ليزوجنَّهَا رَجُلاً من غير ذلك البلد، فزوَّجَها رَجُلاً من أهل الشام. ولما بلَغَهُ الخبر أنشدَ[1]:

أَجَارَتَنَا إِنَّ الْخُطُوْبَ تَنُوْبُ
عَلَيْنَا وَبَعْضَ الآمِنِيْنَ تُصِيْبُ

أَجَارَتَنَا لَسْتُ الْغَدَاةَ بِبَارِحٍ
وَلَكِنْ مُقِيْمٌ مَا أَقَامَ عَسِيْبُ

فَإِنْ تَسْأَلِيْنِيْ هَلْ صَبَرْتُ فَإِنَّنِيْ
صَبُوْرٌ عَلَىٰ رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيْبُ

---

(١) «ديوان ابن ميَّادة» حققه: حنا جميل حداد مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٢ ص ٦٩.

جَرَى بِانْبِتَاتِ الْحَبْلِ مِنْ «أُمِّ جَحْدَرٍ»
ظِبَاءٌ وَطَيْرٌ بِالْفِرَاقِ نَعُوْبُ
نَظَرتُ فَلَمْ أَعْتَفْ وَعَافَتْ فَبَيَّنَتْ
لَهَا الطَّيْرُ قَبْلِيْ وَالْلَبِيْبُ لَبِيْبُ
فَقَالَتْ: حَرَامٌ أَنْ نُرَىْ بَعْدَ هَذِهِ
جَمِيْعَيْنِ إِلَّا أَنْ يُلَمَّ غَرِيْبُ
أَجَارَتَنَا صَبْراً فَيَا رُبَّ هَالِكٍ
تَقَطَّعُ مِنْ وَجدٍ عَلَيْهِ قُلُوْبُ

ونعيتْ له فلم يصدق حتى أتاه رجل من بني رحل يقال له «عمار» فنعاها له، فقال:

حَتَّى![1]

مَا كُنْتَ أَحْسَبُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ صَدَقُوا
حَتَّى نَعَاهَا لِيَ الرَّحْلِيُّ عَمَّارُ

وقال يرثيها:

تَمَنَّيْتَ[2]

خَلَتْ شُعَبُ الْمَمْدُوْرِ لَسْتُ بِوَاجِدٍ
بِهِ غَيْرَ بَالٍ مِنْ عِضَاهٍ وَحَرْمَلِ[3]

---

(١) «ديوانه» ص ١٢٨ و«الأغاني» الجزء الثاني ص ١٩٠.
(٢) «ديوانه» ص ٢١٢ و«الأغاني» الجزء الثاني ص ١٩٠.
(٣) المَمدور: مفعول من المدر وهو حجارة من الطين: موضع في ديار غطفان كما جاء في «معجم البلدان»

تَمَنَّيْتَ أَنْ تَلْقَىٰ بِهِ «أُمَّ جَحْدَرٍ»
وَمَاذَا تَمَنَّى مِنْ صَدَىً تَحْتَ جَنْدَلِ؟!
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ ذَمِيمَةٍ
وَلَلْبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ عَنَاءٍ مُطَوَّلِ

بَشَّارُ بن بُرْدٍ يَرْثِيْ حَبِيْبَتَه «حَمْدَة»

(٩٥ - ١٦٧ هـ = ٧١٤ - ٧٨٤ م)

كان بشَّار بنُ برد يعشق امرأةً اسمُها «حَمْدَة» وتكنَّى «أمّ مُحمَّد» وله فيها قصائد غزل وفراق منها قوله:

لَعَمْرُكَ مَا تَرْكُ الصَّلاةِ بِمُنْكَرٍ

وَلا الصَّوْمِ إنْ زَارَتْكَ أُمُّ مُحَمَّدِ

وكانت تسكن العراق قبل أن تنتقل إلى الشام بعد أن تزوَّجَتْ من رجل شامي:

نَزَلَتْ عَلَىْ «بَرَدَىْ» وَأَنْتَ مُجاوِرٌ

حَفْرَ الْبُصَيْرَةِ كَالغَرِيْبِ الْعَاتِبِ

وقد ماتت فرثاها بهذ القصيدة:

فِيْ الْيَوْمِ جَارُكِ أَوْ غَدِ(١)

هَجَرَ الْوِسَادَ فَبَاتَ غَيْرَ مُوَسَّدِ

وَأَذَابَهُ وِرْدُ الحِمَامِ الْمُوْرَدِ

شَرعَ الْمَكَارِهَ مَنْ تَوَجَّهَ غَادِيَاً

يَا لَلرِّجَالِ لِمَا يَرُوْحُ وَيَغْتَدِي

---

(١) ديوان «بشار بن برد» شرح محمد الطاهر ابن عاشور لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٧ الجزء الثالث ص ١١٦.

وَبَيَاضِ يَوْمٍ قَدْ سَحَبْتُ وَلَيْلَةٍ
قَدْ بِتُّهَا غَرَضَ الْهُمُوْمِ الْعُوَّدِ
وَكَأَنَّ هَمِّيْ وَالظَّلامَ تَوَاعَدَا
عِنْدِيْ فَكُلٌّ قَدْ وَفَا بِالْمَوْعِدِ
جَاشَتْ جُنُودُهُمَا عَلَيَّ فَلَمْ أَنَمْ
وبَدَا وَقَدْ بَلَغَتْ بِغَيْرِ تَبَدُّدِ
إِنَّ الَّتِي سَبَعَتْ عَدُوَّهُ أَصْبَحَتْ
عَمَّا لَقِيْتَ كَغَائِبٍ لَمْ يَشْهَدِ
مَلَأَتْ حَشَاكَ وَرُبَّمَا مَلأَ الحَشَا
وَجْدٌ «بِحَمْدَةَ» مِثْلُهُ لَمْ يُوْجَدِ
إِذْ أَنْتَ مُشْتَغِلُ الْفُؤَادِ بِذِكْرِهَا
صَبٌّ وَإِذْ هِيَ مِنْ بَنَاتِ الْمَسْجِدِ
لَوْ أَنَّ أَرمَدَ لا يُجَلَّىٰ نَظْرَةً
تَبْدُوْ لَهُ كَانَتْ شِفَاءَ الأَرْمَدِ
أَيَّامَ يَحْسُدُهَا الثَّنَا جَارَاتُهَا
وَسْطَ النِّسَاءِ وَمِثْلُهَا فَلْيُحْسَدِ

. . . .

لا تَبْعَدَنَّ وَأَيْنَ مَنْ فَارَقْتُهُ
أَمْسَىٰ بِمِثْلِ سَبِيْلِهَا لَمْ يَبْعَدِ
إِنَّ الَّتِيْ كَانَتْ هَوَاكَ فَأَصْبَحَتْ
تَحْتَ السَّقَائِفِ فِي الثَّرَىٰ الْمُتَلَبِّدِ

لَيْسَتْ بِسَامِعَةٍ وَإِنْ نَادَيْتَهَا
مِنْكَ السَّلامَ كَذَلِكَ الْمَيْتُ الرَّدِيْ
أَ«حُمَيْدَ» إِنْ تَرِدِي الْمُصَابَ فَإِنَّنَا
رَهْنُ النُّفُوْسِ بِمِثْلِ ذَاكَ الْمَوْرِدِ
وَالنَّاسُ كُلُّهُمُ وَإِنْ بَعُدَ الْمَدَىْ
عَنَقٌ تَتَابَعَ كُلُّهُمْ فِيْ مِقْوَدِ
أَصبَحْتُ بَعْدَكِ كَالْمُصَابِ جَنَاحُهُ
يَبْكِيْ لِجَانِبِهِ إِذَا لَمْ يَسْعَدِ
حَرَّانَ فَارَقَ إِلْفَهُ وَنَأَىْ بِهِ
دَهْرٌ يَعُوْدُ عَلَى سَوَادِ الْمَوْجِدِ
مِمَّا يُعَزِّي الْقَلْبَ بَعْدَكِ أَنَّنِيْ
فِي الْيَوْمِ جَارُكِ يَا «حُمَيْدَةُ» أَوْ غَدِ
نَفِدَ الزَّمَانُ وَمِنْ «حُمَيدَةَ» لَوْعَةٌ
بَيْنَ الْجَوَانِحِ حَرُّهَا لَمْ يَنْفَدِ
يُبْدِي الضَّمِيْرَ إِذَا عَرَفْتَ لَهُ بِهِ
لَوْنَاً كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الأَسْوَدِ
بَيْضَاءُ لَبَّسَهَا الْحَيَاءُ عَفَافَهُ
فَضْلَ الْقِنَاعِ إِذَا خَلَتْ لَمْ تُوْصَدِ
نَأَتْكَ فِيْ جَدَثِ الضَّرِيْحَةِ خُلَّةٌ
يَا خُلَّةً لَكِ في الضَّرِيْحِ الْمُلْحَدِ

فَـالآنَ أَغْـدُوْ مَـا يَـكُـونُ بِـغَـيْـرِهِ

غَـلَـبَـتْ وَطـوْلُ صَـبـابَـةٍ وَتَـبَـلُّـدِ

قَدْ كُنْتُ أَذكُرُ مِنْ «حُمَيْدَةُ» بَصَّةً

وَأَعِفُّ عَن شَغَبِ الْلِسَانِ وَفي الْيَدِ

وَأَرَى حَـرَامَـاً أَنْ يَـحِـلَّ مَـحَـلَّـهَـا

مِـنِّـي اِمْـرُؤٌ بِـصَـدَاقَـةٍ وَتَـوَدُّدِ

وَلَقَدْ أَقوْلُ غَدَاةَ يَنْأَىْ نَعْشُهَا:

صَلَّـى الإِلَـهُ عَـلَـيْـكِ أُمَّ مُـحَـمَّـدِ

فَلَـقَـدْ تَـرَكْـتِ كَـبِـيْـرَةً مَـحْـزُوْنَـةً

وَأَخَـا إِخَـاءٍ عَـيْـنُـهُ لَـمْ تَـجْـمُـدِ

بَرَدَتْ عَلَى كَبِدِ الْمُصَابِ وَأَصْبَحَتْ

مِـنِّـي نَـوَافِـذُ حَـرِّهَـا لَـمْ تَـبْـرُدِ

أبو نُوَّاس

(١٤٥ - ١٩٨ هـ = ٧٦٤ - ٨١٤ م)

جاء في «العقد الفريد[١]» وُجِد على قَبْر جارية إلى جَنْب قبر أبي نُواس ثلاثةُ أبيات، فقِيل إنها من قول أبي نواس وهي:

صَاحِبَةُ الْقَبْرِ

أَقُــوْلُ لِــقَــبْــرٍ زُرْتُــهُ مُــتَــلَــثِّــمَــاً
سَقَى اللهُ بَرْدَ الْعَفْوِ صَاحِبَةَ الْقَبْرِ

لَقَدْ غَيَّبُوا تَحْتَ الثَّرَىْ قَمَرَ الدُّجَىْ
وَشَمْسَ الضُّحَىْ بَيْنَ الصَّفَائِحِ وَالْعفرِ[٢]

عَجِبْتُ لِعَيْنٍ بَعْدَهَا مَلَّتِ الْبكَا
وقَلْبٍ عَلَيْهَا يَرْتَجِيْ رَاحَةَ الصَّبْرِ

---

(١) «العقد الفريد» ص ٢٠٦ الجزء الثالث.

(٢) الْعَفْرُ: الترابُ.

شَاعِرٌ مِنْ الْيَمَامَةِ «مَاتَ عَلَىْ قَبْرِ حَبِيْبَتِهِ»

مِمَّا رواهُ الأصمعي عن جبر بن حبيب قال: أقبلتُ من مكَّةَ أريدُ «اليمامةَ» فنزلت بحيٍّ من عامر، فأكرموا مثواي، فإذا فتىً حَسَنُ الهيئة قد جاءني، فسلَّم عليَّ، فقال: أين يريدُ الراكب؟ قلت: اليمامة. قال: ومن أين أقبلتَ؟ قلتُ: من مكَّة. فجلسَ إليَّ، فحادثني أحسنَ الحديث ثمَّ قال لي: أتأذنُ في صحبتك إلى اليمامة؟ قلتُ: أُحِبُّ خيْرَ مصحوب، فقام، فما لبثَ أن جاء بناقة كأنها قلعةٌ بيضاء، وعليها أداة حسنةٌ، فأناخها قريباً من مبيتي، وتوسَّدَ ذراعها، فلما هممتُ بالرحيل أيقظتُهُ فكأنَّهُ لم يكن نائماً، فقام فأصلحَ رحله فركبَ وركبتُ، فقصَّرَ علي يومي بصحبته، وسهلتْ عليَّ وعوثُ سفري، فلمَّا رأينا بياضَ قصورِ اليمامة تمثَّلَ:

وَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَاشْمَخَرَّتْ ... كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِيْ مُصْلِتِيْنَا[1].

وهو في ذلك كلِّه لا ينشدني إلا بيتاً مُعجباً في الهوى، فلما قَرُبنا من اليمامة مال عن الطريق إلى أبيات قريبة منَّا، فقلتُ له: لعلَّكَ تحاول حاجةً في هذه الأبيات؟ قال: أجل! قلتُ: انطلقْ راشداً. فقال: هل أنتَ موفٍ حقَّ الصحبة؟ قلتُ: أفعل. قال: ملْ معي! فملتُ معه، فلمَّا رآه أهلُ الصِّرْم[2] ابتدروه، وإذا فتيان لهم شارةٌ، فأناخوا بنا وعقلوا

---

(١) البيت لعمر بن كلثوم من معلقته:

أَلا هُبِّيْ بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِيْنَا ... وَلا تُبْقِيْ خُمُوْرَ الأَنْدَرِيْنَا

(٢) الصرم: الحي، او مجموعة البيوت.

ناقتينا، وأظهروا السرور، وأكثروا البر، ورأيتهم أشدَّ شيء له تعظيماً، ثم قال: قوموا إن شئتم، فقام، وقمتُ لقيامه، حتى إذا صرنا إلى قبرٍ حديث التطيين ألقى نفسَهُ عليه، وأنشأ يقول:

فَلَنْ يَمْنَعُوْنِيْ

لَئِنْ مَنَعُوْنِي فِيْ حَيَاتِيْ زِيَارَةً
أُحَامِيْ بِهَا نَفْساً تَمَلَّكَهَا الْحُبُّ.
فَلَنْ يَمْنَعُوْنِيْ أَنْ أُجَاوِرَ لَحْدَهَا
فيَجْمَعَ جِسْمَيْنَا التَّجَاوُرُ وَالتُّرْبُ.

ثمَّ أَنَّ أناتٍ، فمات. فأقمتُ مع الفتيان حتى احتفروا له ودفنَّاه. فسألتُ عنه، فقالوا: ابن سيد هذا الحيِّ، وهذه ابنة عمِّهِ، وهي إحدى نساء قومه، وكان بها مُغرماً، فماتت منذ ثلاث، فأقبل إليها وقد رأيت ما آلَ إليه أمرُهُ. فركبتُ وكأنني والله قد ثكلتُ حَمِيماً[1].

---

(١) «مصارع العشّاق» الجزء الأول ص ١٢٩.

مَجْهُولٌ وَحَبِيْبَته في قَبْرٍ وَاحَدِ

عن ابن المنبِّه قال: سمعتُ أبا الخطاب الأخفش يقول: خرجتُ في سفر فنزلنا على ماءٍ لطيء فبصرتُ بخيمةٍ من بعيد فقصدتُ نحوها فإذا فيها شابٌ على فراشٍ كأنَّهُ الخَيَال، فأنشأ يقول:

أَلاْ مَـا لِـلْـحَـبِـيْـبَـةِ لا تَـعُـوْدُ،
أَبُـخْـلٌ بِـالْـحَـبِـيْـبَـةِ أَمْ صُـدُوْدُ

مَـرِضْـتُ فَـعَـادَنِـيْ عُـوَّادُ قَـوْمـي،
فَـمَـا لَـكِ لَـمْ تُـرَيْ فـي مَـن يَـعـودُ

فلَوْ كُنْتِ الْمَرِيْضَ، وَلاْ تَكُوْنِيْ،
لَـعُـدْتُـكُـمُ، وَلَـوْ كَـثُـرَ الْـوَعِـيْـدُ

وَلا اسْتَبْطَأتُ غَيْرَكِ، فَاعْلَمِيْهِ،
وَحَـوْلِـيْ مِـنْ ذَوِيْ رَحِـمِـيْ عَـدِيْـدُ

قال: ثم أغمي عليه، فمات. فوقعت الصيحة في الحي، فخرج من آخر الماء جارية كأنها فلقة قمر، فتخطَّت رِقاب الناس حتَّى وقفتْ عليه فقبَّلَتْهُ، وأنشأت تقول:

عَـذَابِـيْ أَنْ أَعُـوْدَكَ، يَـا حَـبِـيْـبِـيْ،
مَـعَـاشِـرُ فَـيْـهِـمُ الْـوِاشِـي الْـحَـسُـوْدُ.

أذَاعُـوا مَـا عَـلِـمْـتَ مِـنَ الـدَّوَاهِـيْ
وَعَـابُـوْنَـا وَمَـا فِـيْـهِـمْ رَشِـيْـدُ

فَـأَمَّـا إِذْ حَـلَـلْـتَ بِـبَـطْـنِ أرْضٍ

وَقَـصْـرُ الـنَّـاسِ كُـلِّـهِـمُ الْـلُّـحُـوْدُ

فَـلا بَـقِـيَـتْ لِـيَ الـدُّنْـيَـا فُـوَاقَـاً،

وَلا لُـهُـمُ، وَلا أَثْـرَىْ، عَـدِيْـدُ.

قال: ثم شهقتْ شهقةً فخرَّتْ ميتةً منها، فخرج من بعض الأخبية شيخٌ فوقف عليهما، فترحَّمَ عليها، وقال: والله لئنْ كنتُ لم أجمعْ بينكما حيَّيْن لأجمعنَّ بينكما ميتين! فدفنهما في قبر واحد احتفرَهُ لهما، فسألته، فقال: هذه ابنتي وهذا ابن أخي[1].

---

(١) «مصارع العُشَّاق» الجزء الأول ص ١١١.

ابنُ الرُّوْمِيْ يَرْثِي «بستان» المُغَنِّية

رثى أبن الرومي زوجتَهُ، بمقطوعات وقصائد كما تقدم، كما رثى أمَّهُ وابنه «محمد» لكن مرثيته لهذه الجارية التي أحبَّها على ما يبدو، لها نكهة مختلفة، وتشي بلوعة مبثوثة بجمالية عالية، على مدى أبياتٍ هذه القصيدة التي بلغت في ديوانه «١٦٥»[1] ولا تضاهيها إلا مرثيته لأمِّه.

هنا مقطع منتقى من مرثيته «البستان»

لَوْ يَعْلَمُ الْقَبْرُ

مَا أُوْلَعَ الدَّهْرَ فِيْ تَصَرُّفِهِ ... بِكُلِّ زَيْنٍ لَهُ وَمُفْتَخَرِ

يَغْدُوْ عَلَىٰ نَفْسِهِ فَيَسْلُبُهَا ... إلا عَتَادَ الْمُعَدِّ ذِي النَّمِرِ

كَمْ مَلْبَسٍ لا يُعَابُ هَتَّكَهُ ... عَنْ جِلْدَةٍ مِنْهُ شَثْنَةِ الْوَبَرِ[2]

أَوْدَىٰ «بِبُسْتَانَ» وَهْيَ حُلَّتُهُ ... فَقَدْ غَدَا عَارِياً مِنَ الْحَبَرِ

أَطَارَ قُمْرِيَّةَ الْغِنَاءِ عَنِ الأَرْضِ فَأَيُّ الْقُلُوْبِ لَمْ تَطِرِ

للهِ مَا ضُمِّنَتْ حَفِيْرَتُهَا ... مِنْ حُسْنِ مَرْأَىً وَطُهْرِ مُخْتَبَرِ

أَضْحَتْ مِنَ السَّاكِنِيْ حَفَائِرِهُمْ ... سَكْنَى الْغَوَالِيْ مَدَاهُنَ السُّرَرِ

مُطَيِّبِيْ كُلِّ تُرْبَةٍ خَبُثَتْ ... وَمُؤْنِسِيْهَا بِشَرِّ مُجْتَوَرِ[3]

---

(١) «ديوانه» الجزء الثالث ص ٩١٤.

(٢) شثنة: غليظة.

(٣) مجتور: مجاور.

يَا حَرَّ صَدْرِيْ عَلَىٰ ثَلاثَةِ أَمْوَاهٍ هُرِيْقَتْ فِي التُّرْبِ وَالْمَدَرِ[1]

مَاءَيْ شَبَابٍ وَنِعْمَةٍ مُزِجَا بِمَاءِ ذَاكَ الْحَيَاءِ وَالْخَفَرِ

لَوْ يَعْلَمُ الْقَبْرُ مَنْ أُتِيْحَ لَهُ لانْحَفَرَ الْقَبْرُ غَيْرَ مُحْتَفَرِ

أَوْ لأَبَاهَا فَصَانَ حِيْنَئِذٍ عَنْ رَمْسِهِ دُرَّةً مِنَ الدُّرَرِ

إِنَّ ثَرَىً ضَمَّهَا لأَفْضَلُ مَحْجُوْجٍ لِصَبٍّ وَخَيْرُ مُعْتَمَرِ

أَقْسَمْتُ بِالْغُنْجِ مِنْ مَلاحِظِهَا وَسِحْرِ ذَاكَ السُّجُوِّ والْفَتَرِ[2]

لَوْ عُقِرَتْ حَوْلَ قَبْرِهَا بَقَرُ الإِنْسِ مَكَانَ الْقِلاصِ والْمُهَرِ

وَالدُّرُّ نَظْمٌ عَلَى التَّرَائِبِ مِنْهُنَّ وَأَشْكَالُهُ مِنَ الْعِتَرِ[3]

وَانْتَحَرَتْ فِيْ فِنَائِهِ بُهَمُ الْحَرْبِ وَصِيْدُ الْمُلُوْكِ مِنْ مُضَرِ

ثم سَقَيْتُ الدِّمَاءَ تُرْبَتَهَا لَمْ أُشْفِ مَا فِي الْفُؤَادِ مِنْ وَحَرِ[4]

نَفْسَكِ يَا نَفْسُ فَانْحَرِيْ أَسَفاً فَإِنَّ هَذَا أَوَانُ مُنْتَحَرِ

مَا حَسَنٌ أَنْ تَذُوْبَ مُهْجَتُهَا وَمُهْجَتِيْ لَمْ تُرَقْ وَلَمْ تُمَرِ

لا يُنْكِرُ الدَّهْرُ بَعْدَ مَهْلِكِهَا هُلْكَ ذَوَاتِ الْجَلالِ وَالْخَطَرِ

كَوَّرَ شَمْسَ النَّهَار فَانْكَدَرَتْ كَوَاكِبُ اللَّيْلِ كُلَّ مُنْكَدَرِ

«بُسْتَانُ» يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ زَهَرٍ فِيْكِ مِنَ اللَّهْوِ بَلْ عَلَىٰ ثَمَرِ

---

(١) الْمَدَر: الطين.

(٢) السجو: الهدوء، والفتر: الإرتخاء واللين.

(٣) الترائب: عضم الصدر، وهو المكان الذي توضع فيه القلادة، والعتر: القلائد.

(٤) الوحر: الغيظ.

«بُسْتَانُ» لَهْفِيْ لِحُسْنِ وَجْهِكِ وَالإِحْسَانِ صَارَا مَعاً إِلَى الْعَفَرِ[1]

«بُسْتَانُ» أَضْحَى الْفُؤَاد مِنْ وَلَهٍ يَا نُزْهَةَ السَّمْعِ مِنْهُ وَالْبَصَرِ

«بُسْتَانُ» مَا مِنْكِ لامْرِئٍ عِوَضٌ مِنَ الْبَسَاتِيْنِ لاْ وَلاْ الْبَشَرِ

«بُسْتَانُ» أُسْقِيْتِ مِنْ مَدَامِعِنَا الدَّمْعَ وَأَعْقَبْتِ عُقْبَةَ الْمَطَرِ

بَلْ حَقُّ سُقْيَاكِ أَنْ تَكُوْنَ مِنَ الصَّهْبَاءِ صَهْبَاءِ «حِمْصَ» أَوْ جَدَرِ[2]

بَلْ مِنْ رَحِيْقِ الْجِنَانِ يُقْطَبُ بِالْمِسْكِ سُلافَاتِهِ بِلاْ عَكَرِ

بَلْ مِنْ نَجِيْعِ الْقُلُوْبِ يُمْزَجُ بِالْعَطْفِ وَصَفْوِ الْوِدَادِ لا الْكَدَرِ

«بُسْتَانُ» لَمْ يُسْتَعَرْ لِكِ اسْمُكِ يَا بُسْتَانَ لَذَّاتِنَا وَلَمْ يُعَرِ

كُنَّا إِذَا الْلَّهْوُ قَلَّ مَائِرُنَا مِنْهُ وَجَدْنَاكِ مَعْدِنُ الْمِيَرِ[3]

مَا كُلُّ لَهْوٍ أَرَاهُ بَعْدَكُمُ عِنْدِيْ سِوَى سُخْرَةٍ مِنَ السُّخَرِ

لَسْتُ إِلَىْ نَغْمَةٍ بِذِيْ أَذَنٍ وَلا إِلَى صُوْرَةٍ بِذِيْ صَوَرِ[4]

كُنْتِ وَكَانَتْ قِرِيْنَةٌ لَكِ عَيْنَيْنِ لِهَوَىً فِشَيْنَ بِالْعَوَرِ

وَكُنْتِ يُمْنَاهُمَا فَفَاتَ بِكِ الدَّهْرُ وَهَلْ يَصْطَفِيْ سِوَى الْخِيَرِ

---

(١) العفر: التراب.

(٢) الصهباء: الخمر، وجدَرُ: قرية بين حمص وسلَمية تنسب إليها الخمر. قال الأخطل:

كَأَنَّنِيْ شَارِبٌ، يَوْمَ اسْتُبِدَّ بِهِمْ
مِنْ قَرْقَفٍ ضَمَّنَتْهَا «حِمْصُ» او «جَدَرُ»

(٣) المير: الطعام.

(٤) الصَّوَر: الميل، أي لا تطرب أذني إلى اغنية ولا تلتفت عيني إلى صورة بعدك.

يَا مَشْرَبَاً كَانَ لِيْ بِلاَ كَدَرِ يَا سَمَرَاً كَانَ لِيْ بِلاَ سَهَرِ
مَا كُنْتُ أَدْرِيْ أَطَعْمُ عَافِيَتِيْ أَعْذَبُ أَمْ طَعْمُ ذَلِكَ السَّمَرِ
يَا نِعْمَةَ اللهِ فِيْ بَرِيَّتِهِ أَصْبَحْتِ إِحْدَى فَوَاقِرِ الفِقَرِ[1]
يَا غَضَّةَ السِّنِّ يَا صَغِيْرَتَهَا أَمْسَيْتِ إِحْدَى الْمَصَائِبِ الْكُبَرِ
أَنَّى اخْتَصَرْتِ الطَّرِيْقَ يَا سَكَنِيْ إِلَىٰ لِقَاءِ الأَكْفَانِ وَالْحُفَرِ
أَلَمْ تَكُوْنِيْ غَرِيْرَةً فُنُقَاً لاْ يَهْتَدِيْ مِثْلُهَا لِمُخْتَصَرِ[2]
أَنَّىْ تَجَشَّمْتِ فِي الْحَدَاثَةِ مَا جُشِّمْتِ مِنْ كُرْهِ ذَلِكَ السَّفَرِ
أَنَّى وَلَمْ تَلْحَقِيْ ذَوِيْ حُنَكِ السِّنِّ وَلا امَّزْتِ مِنْ ذَوِيْ الْغَرَرِ
أَحْمِيْكِ مِنْ مَوْرِدٍ قَصَدْتِ لَهُ لا يَنْتَهِيْ وُرْدُهُ إِلَى صَدَرِ
يَا شَمْسَ زُهْرِ الشُّمُوْسِ يَا قَمَرَ الأَقْمَارِ حُسْنَاً يَا زَهْرَةَ الزُّهَرِ
أَبَعْدَ مَا كُنْتِ بَابَ مُبْتَهِجٍ لِلنَّفْسِ أَصْبَحْتِ بَابَ مُعْتَبَرِ
أَصْبَحْتِ كَالتُّرْبِ غَيْرَ رَاجِحَةٍ بِهِ وَقَدْ تَرْجَحِيْنَ بِالْبِدَرِ[3]
أَصَابَنَا الدَّهْرُ فِيْكِ أَكْمَلَ مَا كُنْتِ فَمَا رُزْؤُنَا بِمُجْتَبَرِ
لَمْ تَقْتَحِمْكِ الْعُيُوْنُ مِنْ صِغَرٍ وَلاْ قَلَتْكِ النُّفُوْسِ مِنْ كِبَرِ
فَكَيْفَ نَسْلاكِ وَالأَسَىْ أَبَدَاً فِيْ كِبَرٍ وَالسُّلوُّ فِيْ صِغَرِ
كُلُّ ذُنُوْبِ الزَّمَانِ مُغْتَفَرٌ وَذَنْبُهُ فِيْكِ غَيْرُ مُغْتَفَرِ

---

(١) الفواقر: الدواهي، والفِقَر: جمع فقرة، وهي فقرات الظهر.
(٢) الفنق: النعمة، وجارية فنق: منعمة.
(٣) البدر: جمع بدرة وهي كمية من المال.

عَاشِقٌ مَسِيْحِيٌّ يَرْثِيْ تِمْثَالَ حَبِيْبَتَهُ

هذه الأبيات يرويها الأتليدي نقلاً عن رواية الأصمعي.. وهي لا تخلو من بنية أسطورية كشأن العديد من روايات الأتليدي[١].

حكى الأصمعي: خرجتُ في طَلبِ الأعاجيب من الأحاديث، فلاحت لي بلدة بيضاء كأنها الغمامة، فدخلتها فإذا هي خرابٌ وليس فيها ديَّارٌ ولا أنِيْسٌ، فبينما أنا أدور في نواحيها إذ سمعتُ كلاماً فطار قلبي، فأنصتُّ، فإذا به كلامٌ موحشٌ، فسللتُ سيفي ودخلتُ ذلك المكان، فإذا أنا برجلٍ جالسٍ، وبين يديه صنمٌ وفي يده قضيبٌ، وهو يبكي وينكتُ به الأرض ويقول:

وَمَسِيْحِ اللهِ

أَمَا وَمَسِيْحِ اللهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقَاً
لَمِتُّ كَمَا مَاتَتْ، وَقَدْ ضَمَّنِيْ لَحْدِيْ
وَكَمْ أَتَسَلَّىْ بِالْحَدِيْثَ وَبِالْمُنَىْ
وَبِالْعَبَرَاتِ السَّائِلاتِ عَلَىْ خَدِّيْ
وَإِنِّيْ وَإِنْ لَمْ يَأْتِنِيْ الْمَوْتُ سُرْعَةً
لأُمْسِيْ عَلَىْ جَهْدٍ وَأَضْحِيْ عَلَى جَهْدِ

(١) «أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العبَّاس» محمد دياب الأتليدي توفي بعد ١١٠٠ هـ دار صادر ١٩٩٠ ص ٤٣٧.

فلما سمعتُ ذلك منه هجمت عليه، فلم يشعر بي إلا أن قلتُ له: السلام عليك، فرفع رأسه وقال: وعليك السلام، من أين أنت ومن جاء بك إلى هذا المكان؟ فقلت: الله جاء بي. قال: صدقت وهو الذي أفردني في هذا المكان. فقلت له: ما بالك تشير إلى هذا الصنم الذي بين يديك. فقال لي: إن حديثي عجيب وأمري غريب.

فقلت له: حدثني به ولا تُخْفِ منه شيئاً. فقال لي: اعلم أننا كنَّا قوماً من بني تميم وكنَّا على دين المسيح وكان دعاؤنا مستجاباً، وكانت هذه الصَنَمَةُ ابنة عمي وكنت أنا وإياها. فلمَّا كبرت حَجَبَها عمِّي عَنِّي، فكنت أحبُّها سرَّاً. فبينما أنا ذات ليلة وأنا عندها إذ سمعت عمي يدق الباب، فأدخلتني سرداباً وقامت هي ففتحت الباب ودخل عمي فقال لها: أين عبد المسيح؟ فقالت: إني لم أره. فقال لها: إني سمعت كلامه عندك. فقالت: لم تسمع شيئاً وإنما خيِّلَ لك. فقال لها: والله إن لم تصدقيني، وإلا دعوت عليك إن كنت كاذبة فيمسخك الله حجراً. فقالت له: إذا كنت كاذبةً. فرفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم يا ربَّ الأولين والآخرين إن كنت تعلم أن ابنتي هذه كاذبةٌ في قولها فامسخها حجراً، فمسخها الله حجراً، ولي أربعون سنة في هذا المكان، وأنا أتقوَّتُ من نبت الأرض وأشربُ من هذه الأنهار وأتسلَّى بالنظر إلى هذه الصَنَمَة إلى أنْ يحكمَ الله بالموتِ ثمَّ بَكَى وأنشد:

إنَّ الْفَتَىْ بَعْدَ التَّفَرُّقِ لا يَبْقَىْ

وَحَقِّ الَّذِيْ أَبْكَىْ وَأَضْحَكَ وَالَّذِيْ

أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِيْ خَلَقَ الْخَلْقَا

لَئِنْ قُلْتُ: إنَّ الْحُبَّ قَدْ يَقْتُلُ الْفَتَىْ

وَإِنَّ الْفَتَىْ بَعْدَ التَّفَرُّقِ لا يَبْقَىْ..

لَقَدْ قُلْتُ حَقّاً وَاسْالِ الْعَبْرَةَ الَّتِيْ
تَسِيْلُ وَسَيْلُ الدَّمْعِ مِنِّيَ لا يَرْقَا

قال الأصمعي: ثم قام ذلك الشاب وتوارى عني بجدار من تلك الجدر، ونزع المسوح التي كانت عليه ولم يبق عليه إلا ما يواري سوأته فتأمّلته، فإذا عيناه تدور في أمِّ رأسه فقلت في نفسي: هذا أراد أن يطلعني على نحول جسده ثم أقبل عليَّ، وهو عريان وقال لي: يا فتى إنني قائل ثلاث أبيات، وكان مني ما كان، فإذا أنا مِتُّ فكفنِّي أنا وإياها في هذه الجبة وادفنَّا في هذا الجون وضمَّنا بالتراب واكتبْ على قبرنا هذه الأبيات:

فَلْيَنْظُرْ إِلَىْ مَضْجَعِيْ

مَنْ لَمْ يُكُنْ يَحْسَبُ أَنَّ الْهَوَىْ يَقْتُلُ، فَلْيَنْظُرْ إِلَىْ مَضْجَعِيْ
لَمْ يَبْقِ لِيْ حَوْلٌ وَلا قُوَّةٌ إلا خَيَالُ الشَّمْسِ فِيْ مَوْضِعِيْ
أَشْكُوْ إِلَى الرَّحْمَنْ جَهْدَ الْبَلا إِشَارَةً بِالطَّرْفِ وَالإِصْبِعِ

قال الأصمعي: هذا وأنا أنظر إليه وأسمع شعره وأتعجَّب منه ومن أمر الصَنَمَة. وإذا به وقع على الأرض مستلقياً على قفاه وشهق شهقةً فارقت روحه جسده. فكفنتهما ودفنتهما في ذلك الجون، وكتبت على قبرهما تلك الأبيات وتركتهما.

مَجْهُوْلٌ يَرْثِيْ وَعُشَّاقٌ يُشَطِّرُوْنَ!

مَحَاسِنُ لا تَزَوْلُ

بِاللهِ يَا قَبْرُ! هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهَا
وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاكَ الْمَنْظَرُ النَّضِرُ ؟

مَا أَنْتَ يَا قَبْرُ، لا رَوْضٌ، وَلا فَلَكٌ
فَكَيْفَ جُمِّعَ فِيْكَ الْغُصْنُ وَالْقَمَرُ؟

هذان البيتان أوردهما القرشي في حماسته، في باب المَرَاثي[1]، وهما من أشعار «ألف ليلة وليلة»[2]، وقد جرى تداولهما عبر العصور، من قبل شعراء آخرين تشطيراً وتخميساً، سواء في رثاء زوجاتهم وأحبَّتهم، او ربَّما لمجرد إعجاب بالبيتين، والبيتان هما في الواقع من مرثية لأمراة. كما يقول «أحمد فارس الشدياق»[3] وكتبت على شواهد

---

(١) «حماسة القرشي» ص ٢٤٥.

(٢) ورد البيتان في «ألف ليلة وليلة» الجزء الأول الليلة ٢٤ ص ٧٩ بتذكير المخاطب محاسنه. وباختلاف صدر البيت الثاني «يَا قَبْرَ لا أَنْتَ بُسْتَانٌ وَلاْ فَلَكٌ» كما يتكرر البيتان في الصفحة ٣٠٧ الليلة ٦٥ باختلاف ألفاظ في البيت الثاني صدراً وعجزاً:

يَا قَبْرُ لاَ أَنْتَ بُسْتَانٌ وَلا فَلَكٌ
فَكَيْفَ يُجْمَعُ فِيْكَ الْبَدْرُ وَالزَّهَرُ

(٣) «الساق على الساق في ما هو الفارياق» لأحمد فارس الشدياق ١٢١٩ - ١٣٠٤ هـ طبعة باريس ص ٣٩٣.

العديد من القبور في أكثر من مكان في البلاد العربية. فكأنّما كانت هذه الإستمرارية والعبور الدائم للبيتين وعيشهما في أزمنة مختلفة نوعاً من التعبير عن المحاسن التي لا تزول، والتي لخّص فيها هذا الشاعر المغمور مرثيته لمن يحبّ.

وممّن قام بتشطيرها اسماعيل الطهوري المصري

هَلْ زَالَتْ؟[1]

بِاللهِ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهُ
أَمْ كَيْفَ رَوْنَقُهُ وَالْحُسْنُ وَالْحَوَرُ؟
وَحُسْنُ طُرَّتِهِ مَا شَأْنُ حَالَتِهَا
وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاكَ الْمَنْظَرُ النَّضِرُ؟
يَا قَبْرُ لا أَنْتَ لا رَوْضٌ وَلا فَلَكٌ
يَشُوْقُنَا مِنْكَ مَا نَرْجُوْ وَنَنْتَظِرُ
وَلَسْتَ فِي الْحُسْنِ مَعْشُوْقاً إِلَىْ أَحَدٍ
حَتَّىْ تَجَمَّعَ فِيْكَ الْغُصْنُ وَالْقَمَرُ

وقيل إن الشيخ «محمد رضا» وجد هذين البيتين على بلاطة ولم يعرف قائلهما فعرضهما على السيد مهدي الطباطبائي فامر بتشطيرهما فشطرهما[2]

(١) «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» الجزء الأول ص ٣١٧.
(٢) شاعر عراقي نجفي توفي ١٢٢٦ هـ = ١٨١١م» أعيان الشيعة لمحسن الأمين العاملي المجلد التاسع ص ٢٩٩/ طبعة دار التعارف/ بيروت ١٩٨٣.

عِنْدَكَ لَهَا خَبَرُ

بِاللهِ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهَا
فَالْيَوْمَ عِنْدَكَ مِنْ دُوْنِيْ لَهَا خَبَرُ
فَاشْرَحْ لِيْ الحَالَ هَلْ زَالَتْ غَضَارَتُهَا
وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاك الْمَنْظَرُ النَّضِرُ
مَا أَنْتَ يَا قَبْرُ لا رَوْضٌ وَلا فَلَكٌ
وَلا كِنَاسٌ بِهِ الآرَامَ تَبْتَدِرُ[1]
فَكَيْفَ أُوْدِعَ فِيْكَ الرِّيْمَ مُلْتَفِتاً
وَكَيْفَ غُيِّبَ فِيْكَ الْغُصْنُ وَالْقَمَرُ

ثمَّ امَرَهُ بتشطير الجميع فشطرها فقال:

اشْرَحْ لِيَ الْحَالَ

بِاللهِ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهَا
وَغَيَّرَتْ حُسْنَ ذَاكَ الْعَارِضِ الْغِيَرُ
كَانَتْ وَأَخْبَارُهَا عِنْدِيْ مُفَصَّلَةً
فَالْيَوْمَ عِنْدَكَ مِنْ دُوْنِيْ لَهَا خَبَرُ
فَاشْرَحْ لِيَ الْحَالَ هَلْ زَالَتْ غَضَارَتُهَا
وَحَالَ، لا حَالَ، ذَاكَ الْمَبْسَمُ الْعَطِرُ؟
وَهَلْ ذَوَىٰ قَدُّهَا أَوْ جَفَّ نَاضِرُهَا
وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاكَ الْمَنْظَرُ النَّضِرُ

---

(١) الكِناس: بيت الظباء، والآرام: الظباء.

مَا أَنْتَ يَا قَبْرُ لا رَوْضٌ وَلا فَلَكٌ

كَلا وَلا صَدَفٌ تُجْلَىٰ بِهِ الدُّرَرُ

كَلَّا وَلاَ جَنَّةٌ لِلْحُوْرِ قَدْ خُلِقَتْ

وَلا كِنَاسٌ بِهِ الآرَامُ تَبْتَدِرُ

فَكَيْفَ أُوْدِعَ فِيْكَ الرِّيْمُ مُلْتَفِتاً

وَكَيْفَ خُلِّدَ فِيْكَ الْحُوْرُ وَالْحَجَرُ

وَأُوْدِعَ اللَّؤْلَؤُ الْمَكْنُوْنَ قَعْرَكَ ذَا

وَكَيْفَ جُمِّعَ فِيْكَ الْغُصْنُ وَالْقَمَرُ

وكذلك قام الشاعر «علي الزيني»[1] بتشطير القصيدة في صيغتها الجديدة بأسلوب «التضمين» بإعادتها إلى صيغة التأنيث من جديد هذه المرة:

كَيْفَ أَصْبَحْتَ

بِاللهِ يَا قَبْرُ هَلْ زَالَتْ مَحَاسِنُهَا

وَهَلْ بَدَا لِلْبِلَىٰ فِيْ حُسْنِهَا أَثَرُ؟

فَاذْكُرْ لِمُدْنَفِهَا عَنْ خِبْرِهَا خَبَراً

فَالْيَوْمَ عِنْدَكَ مِنْ دُوْنِي لَهَا خَبَرُ

فَاشْرَحْ لِيَ الْحَالَ هَلْ زَالَتْ غَضَارَتُها

وَغَيَّرَتْ حُسْنَ ذَاكَ الْعَارِضِ الْغِيَرُ

---

(١) «شاعر عراقي من القرن الثامن عشر»

أَوَ هَلْ مَحَا حَاجَةُ الأَيَّامِ نُضْرَتَهَا
وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاكَ الْمَنْظَرُ النَّضِرُ
مَا أَنْتَ يَا قَبْرُ لا رَوْضٌ وَلا فَلَكٌ
كَلا وَلا بِيْعَةٌ تُجَلَى بِهَا الصُّوَرُ[1]
وَلَسْتَ بِالْخِدْرِ تَكْتَنُّ النِّسَاءُ بِهِ
وَلا كِنَاسٌ بِهِ الآرَامُ تَبْتَدِرُ
فَكَيْفَ أُوْدِعَ فِيْكَ الرِّيْمُ مُلْتَفِتاً
وَالْكَاعِبُ الْخُوْدَ تَجَلَّىٰ زَانَهَا الْخُصُرُ
وَكَيْفَ أَصْبَحْتَ فِيْهَا بِيْعَةً لَدُمَىٰ
وَكَيْفَ جُمِّعَ فِيْكَ الْغُصْنُ وَالْقَمَرُ[2]

---

(١) الْبِيْعَة: المعبد، وقيل هو الكنيسة تحديداً.
(٢) الدُّمى: جمع دمية وهي التماثيل.

الشَّرِيْفُ الْبَيَّاضِي يَرْثِيْ حَبِيْبَتَهُ

(٠٠٠ - ٤٦٨ هـ = ٠٠٠ - ١٠٧٦ م)

الشريف أبو جعفر مسعود البياضي، وقيل هو هاشمي عبَّاسي، وهو من الشعراء المتأخرين المجيدين، وشعرُهُ في غاية الرقَّة. وينطوي على عناية فائقة بالصورة كقوله:

أَقُوْلُ لِصَحْبِيْ وَالنُّجُوْمُ كَأَنَّهَا،

وَقَدْ رَكَدَتْ فِيْ بَحْرِ حَنْدَسِهَا غَرْقَىْ:

أَرَىْ ثَوْبَ هَذَا اللَّيْلِ لاْ يَعْرِفُ الْبِلَىْ!

فَهَلْ أَرَيَنْ لِلصَّبْحِ فِيْ ذَيْلِهِ فَتْقَا؟

وقوله:

الْلَيْلُ مِنْ سَهَرِيْ عَلَيَّ نَهَارُ

يَزْدَادُ طُوْلاً وَالْجُفُوْنُ قِصَارُ

أَرْعَىْ نُجُوْمَاً لا تَغِيْبُ كَأَنَّمَا

أَفْلاكُهَا وَقَفَتْ فَلَيْسَ تُدَارُ

توفي ببغداد، ودفن بمقبرة باب أبرز. ولقِّبَ بالبيَّاضي لأن أحد أجْدادِهِ كان في مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من العبَّاسيين، وكانوا قد لبسوا سَواداً، ما عداه، فإنه كان قد لبس بياضاً فقال الخليفة: من ذلك البياضي؟ فثبتَ الإسمُ عليه واشتهرَ به[1].

---

(١) ترجمته في «وفيات الأعيان» الجزء الخامس ص ١٩٧.

وكان البيَّاضي عشقَ جارية لبنت فخر الملك فأحبَّها حُبّاً عظيماً وتطاولَ أمرُهُ حتى شاع في الناس ذكره ولم يزل حتى مرضت فمرض أيضاً هو، فلما توفيت طاش عقله وبقي شهراً فما دون ثم لحق بها وله فيها أشعار كثيرة منها:

لاْ آوِيْ إلَى وَطَنِ[1]

دَعِ الْوُقُوْفَ عَلَىْ الأَطلاَلِ وَالدِّمَنِ
فَلَيْسَ يَنْفَعُ مَسكُوْنٌ بِلاَ سَكَنِ
أَمَا تَرَانِيَ لاَ أُثنِيْ عَلَى طَلَلٍ
بَعْدَ الْفِرَاقِ وَلاْ آوِيْ إلَى وَطَنِ
وَكَيفَ يَأنَسُ قَلْبِيْ بِالدِّيَارِ وَقَدْ
أَصَابَ فِيْهَا الرَّدَى مَنْ كَانَ يُؤْنِسُنِيْ
إنَّ الَّذِيْنَ أَذَاقُونِيْ فِرَاقَهُمُ
أَفْنَيْتُ بَعْدَهُمُ دَمْعِيْ مِنَ الْحَزَنِ
للهِ مَنْ لَعِبَتْ أَيْدِي الْمَنُوْنِ بِهِ
ضَنّاً بِمَا فِيهِ أَنْ يَبْقَىْ عَلَى الزَّمَنِ
جَعَلْتُ رُوحِيْ لَهُ مِنْ رُوحِهِ عِوَضاً
مُقِيْمَةً مَعَهُ فِيْ ذَلِكَ الْكَفَنِ

---

(١) «تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق» لداوود الأنطاكي توفي ١٠٠٨ هـ وبهامشه «ديوان الصبابة» لابن أبي حجلة أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني ٧٢٥ - ٧٧٦ هـ طبعة المطبعة الأزهرية القاهرة ص ١٤٧.

فَصَارَ كَالحَيِّ إذ رُوحِيْ تُحِيْطُ بِهِ
وَصِرْتُ كَالْمَيْتِ إِذْ لاَ رُوْحَ فِي بَدَنِيْ
وَكَيْفَ تَصْحَبُ رُوْحِيْ بَعْدَهُ جَسَدِيْ
وَكَانَ إِنْ غَابَ، تَأْبَىْ أنْ تُصَاحِبَنِيْ

عُمَر أبُوْ رِيْشَة

(١٣٢٨ - ١٤١٠ هـ = ١٩١٠ - ١٩٩٠ م)

عمر أبو ريشة أحد أبرز شُعراء سوريا في القرن العشرين، وُلِدَ من أبٍ سوريٍّ وأمٍّ فلسطينية في عكًّا بفلسطين فنشأ بين عكًّا وحلب[١].

سافر الى انكلترا لدراسة «الكيمياء وأصباغ النسيج»، لأن والده أراد إبعاده عن طريق الشِّعْر الشاق. وهناك نشأت قصة حبه التراجيدية التي جسدها بقصيدته هذه.

عمل ابو ريشة في السلك الديبلوماسي السوري منذ سنة ١٩٤٩، وتنقَّل في عملة الدبلوماسي بين البرازيل والأرجنتين وتشيلي والهند والولايات المتحدة. إلى أن استقال سنة ١٩٧٠ وسكن في بيروت.

توفي في الرياض بالمملكة العربية السعودية ودفن في «منبج» بسوريا.

عاش عمر أبو ريشة في مطلع شبابه تجربة عاطفية رومانسية

---

(١) هناك التباس في مكان ولادته، فهو مسجَّل من مواليد «منبج» شمال حلب، إلا أن محمد اسماعيل دندي في كتابه عن عمر أبي ريشة، أكد أنَّ أبا ريشة نفسه أخبرهُ أنه وُلِدَ في عكًّا بفلسطين، خلال زيارة والدته لأهلها هناك، ولمَّا عادت أمُّه إلى سوريا سجَّله أبوهُ في مواليد منبج. راجع كتاب محمد أسماعيل دندي «عمر أبو ريشة دراسة في شعره ومسرحياته، دار المعرفة / دمشق ١٩٨٨. وأنظر كذلك«من أعلام الأدب المعاصر» الدكتور جمال الدين الرمادي/ دار الفكر العربي/ القاهرة/ دون تاريخ/ ص ٣١٢.

انعكست على تجربته الشعرية وألقت بظلالها عليها بشدة، فخلا وجوده في أنكلترا، تعرف على فتاة انكليزية تدعى «نورما» وخلال تلك العلاقة أصيب أبو ريشة، بمرض التيوفئيد، فاضطرَّ إلى ملازمة الفراش، بينما لازمته «نورما» لتعتني به في مرضه وغربته، حتى شفي من مرضه، فقرَّرَ العودة إلى مدينته «حلب» لإخبار أهله بقراره الزواج من «نورما» ونيل موافقتهم على الزَّواج من هذه الفتاة، وما أن عاد إلى فتاته من جديد ليقترن بها، حتى فوجئ بموتها بالمرض نفسه، بعد إصابتها بالعدوى منه، لكنها لم تنجُ كما نجا هو. فكتب قصيدته «خاتمة الحب» عام ١٩٣٢، مصوَّراً فيها تلك التجربة التراجيدية، وبعد موت «نورما» ورغم أن «أبو ريشة» تزوج مرَّتين، إلا أنه ظل يبحث عن صورتها في وجوه النساء طيلة حياته، ، بل أن زواجه الثاني كان بسبب اعتقاه أن روح «نورما تناسخت في جسد امرأة أخرى» إذا قال لزوجته الثانية «سعد مكربل» إن روح «نورما تقمصت فيك» ذلك أنَّهُ اكتشف أن يوم ولادة «سعاد» يصادف نفس يوم وفاة حبيبته الأولى «نورما»[1]

طَوِّقِيْنِي بِسَاعِدَيْكِ

مقاطع من قصيدة «خاتمة الحب»[2]

سَطَّرَ الْحُبُّ لِلْوَرَىْ مِنْ دَمِيْ آيَةَ الْعِبَرْ

آيَةً صُوِّرَتْ عَلَىْ لَوْحِهَا أَحْزَانُ الصُّوَرْ

* * *

---

(١) كتاب «أبكي على زمنٍ خلا من شاعر مثل عمر..» سعاد مكربل «زوجته الثانية» بيسان للنشر والتوزيع ٢٠٠٧.

(٢) القصيدة في تسع صفحات من ديوان عمر أبو ريشة/ المجلد الثاني: دار العودة بيروت ١٩٨٨ م

شَمْسُ حُزْنِيْ قَدِ اسْتَوَتْ وَعَجِيْبٌ أَنْ أَرَانِيْ أَعِيْشُ فِيْ غَيْرِ ظِلٍّ
أُبْصِرُ الدَّهْرَ نَاشِراً سِفْرَ عُمْرِيْ وَلِسَانُ الآلامِ يَقْرَأَ وَيُمْلِيْ
طَعْنَةٌ إِثْرَ طَعْنَةٍ إِثْرَ أُخْرَىْ نَثَرَتْ هَذِهِ الْحُشَاشَةَ حَوْلِيْ
فَتَأَمَّلْتُ فِي الْحَيَاةِ وَفِيْمَا كُنْتُ أَبْنِيْ عَلَى الْخَيَالِ وَأُعْلِيْ
فَإِذَا مَوْرِدُ النَّعِيْمِ سَرَابٌ وَإِذَا حَائِطُ الْمُنَىْ فَوْقَ رَمْلِ

***

حَمَلَتْنِيْ إِلَيْكَ أَجْنِحَةُ الْحُبِّ وَلَمْ أُبَالِ بَالأَهْوَالِ
كُلَّمَا لاحَ لِي السَّبِيْلُ كَئُوْداً هَوَّنَتْ صَعْبَهُ بُرُوْقُ الْوِصَالِ
عَفَّةَ الْبُرْدِ مَا عَهِدْتُ بِكِ الصَّمْتَ قُبَيْلَ اللِّقَاءِ فِيْ كُلِّ حَالِ
طَوِّقِيْنِيْ بِسَاعِدَيْكِ فَلا خَوْفَ عَلَيْنَا مِنْ أَعْيُنِ الْعَذَّالِ
مَا أَرَى الْمَوْتَ مُطْفِئاً شُعْلَةَ الْحُسْنِ وَلا بِالْمُزِيْلِ سِحْرَ الْجَمَالِ
جَفْنُكِ الْيَوْمَ مِثْلُ جَفْنِكِ بَالأَمْسِ كَسَاهُ الْفُتُوْرُ يُتْمَ الْمِثَالِ
فَكَأَنَّ الإِغْمَاضَ فِيْهِ نُعَاسٌ أَوْ حَيَاءٌ أَوْ نَشْوَةٌ مِنْ دَلالِ
زَادَكِ الْمَوْتُ فَوْقَ حُسْنِكِ حُسْناً وَكَسَاكِ بِبُرْدَةٍ مِنْ جَلالِ
مِثْلُ وَرْدٍ يَرِفُّ بَعْدَ قِطَافٍ وَشِهَابٍ يَشِعُّ إِثْرَ زَوَالِ

***

إِيْهِ يَا نَفْسُ فَاصْبِرِيْ يَرْحَمُ اللهُ مَنْ صَبَرْ
مَا أَرَى الْبَثَّ مَاحِياً أَسْطُراً خَطَّهَا الْقَدَرْ
أَيُّهَا النَّادِبُ اتَّئِدْ وَارْسِلِ الْبَثَّ فِيْ حَذَرْ
لا يَقُوْلَنْ جَاهِلٌ: شَاعِرُ الْبُؤْسِ قَدْ كَفَرْ..

* * *

أَمْ تَمَثَّلْتِ هُوَّةَ الرَّمْسِ دَيْراً وَدُمَى الطُّهْرِ سَجَّداً حَوْلَ رَأْسِكْ؟

وَرَأَيْتِ الْعُشَّاقَ شَمْعَةَ إِثْمٍ تَتَلاشَىٰ عَلَىٰ مَذَابِحِ قُدْسِكْ

وَتَصَوَّرْتِ مُنْكَراً وَنَكِيْراً وَقَفَا يَقْرَآنِ صَفْحَةَ أَمْسِكْ

فَتَغَنَّيْتِ فِيْ ضَمِيْرِكِ جَذْلَىٰ وَحَسَرْتِ الشِّفَاهَ عَنْ سِنِّ أُنْسِكْ

أَهْمِسِيْ رَدَّكَ الْوَجِيْزَ فَإِنِّيْ لَمْ أَزَلْ مُصْغَياً لِرَنَّة هَمْسِكْ

أَيُّهَا الْبَائِسُ الَّذِيْ شَفَّهُ الْيَأْسُ وَالضَّجَرْ

صَبِّرِ النَّفْسِ وَاحْتَرِمْ حِكْمَةَ اللهِ فِي الْبَشَرْ

* * *

الْوَدَاعَ الْوَدَاعَ يَا زَهْرَةَ الْعُمْرِ وَنَبْعَ الآمَالِ وَالأَحْلامِ

الْوَدَاعَ الْوَدَاعَ يَا شُعْلَةَ اللُّطْفِ وَنُوْرَ الإِيْحَاءِ وَالإِلْهَامِ

حِكْمَةُ اللهِ أَنْ تَزُوْلِيْ وَأَبْقَىٰ هَائِمَاً فِي الشَّقَاءِ أَيَّ هُيَامِ

حِكْمَةُ اللهِ أَنْ أَظَلَّ حَزِيْنَاً أَتَلاشَى عَلَىٰ ضَرِيْحِ غَرَامِيْ

حِكْمَةُ اللهِ أَنْ أُقَطِّعَ أَوْتَارَ نَشِيْدِيْ بِأَحْزَنِ الأَنْغَامِ

حِكْمَةُ اللهِ أَنْ أَجُرَّ عَلَىٰ صُبْحِ نَعِيْمِيْ غَشَاوَةً مِنْ ظَلامِ

قصيدة الطيف ١٩٦٢[١]

عَلَىٰ شَفَتَيْنَا ثَارَ طَيْفُكِ وَارْتَمَىٰ

فَأَبْعَدَ وَهْجَ الشَّوْقِ وَالْعِطْرِ عَنْهُمَا

---

(١) «ديوانه» المجلد الأول ص ٢٥٠ .

وَتَسْأَلُنِيْ مابي... فَأَخْنُقُ زَفْرَتِيْ
وَأَرْنُو إِلَيْهَا مُوْجَعاً، مُتَبَسِّمَا!
وَأَرْجِعُ عَنْهَا حَامِلاً مِنْكِ وَحْشَتِيْ
وَفِيْ خَافِقِيْ جُوْعٌ وَفِيْ مُقْلَتِيْ ظَمَا
وَأُغْرِقُ في كَأْسِيْ عُهُوْدَكِ كُلَّهَا
فَمَا أَعْرِفُ الأَشْيَاءَ إلا تَوَهُّمَا!
حَنَانَكِ ، أَبْقِيْ لِيْ بَقِيَّةَ سَلْوَةٍ
أَلُوْكُ بِهَا الشَّهْدَ الَّذِيْ كَانَ عَلْقَمَا
فَكُلُّ جَمَالٍ صَاحَ بِيْ مِنْهُ هَاتِفٌ
إِلَيْكِ تَنَاهَىْ أَوْ إِلَى سِحْرِكِ انْتَمَى!
وَلِيْ خَطَوَاتٌ بَعْدُ فِيْ دَرْبِ غُرْبَتِيْ
سَأَقْطَعُهَا وَثْباً وَأَخْضِبُهَا دَمَا
وَأَلْقَاكِ بِالْحُبِّ الَّذِيْ تَعْرِفِيْنَهُ
وَلَنْ تَسْأَلِيْ عَنْهُ .. وَلَنْ أَتَكَلَّمَا

المصادر والمراجع

«القرآن الكريم»

«أبكي على زمنٍ خلا من شاعر مثل عمر. .» سعاد مكربل «زوجته الثانية» بيسان للنشر والتوزيع ٢٠٠٧م.

«أحمد زكي أبو شادي» الأعمال الشعرية الكاملة دار العودة / بيروت٢٠٠٥م قصيدة «رثاء زوجتي»

«أحمد محمد الشامي» الأعمال الشعرية الكاملة الناشر عبد المقصود محمد سعيد خوجة / جدة ١٩٩٢م.

«أخبار النساء» لابن الجوزي شرح وتحقيق: الدكتور نزار رضا دار مكتبة الحياة/ بيروت ١٩٨٢م.

«أدب الرثاء في بلاد الرافدين» حكمت بشير الأسود/ دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع / دمشق ٢٠٠٨م.

«أساطير إغريقية» أحمد عبد المعطي حجازي الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٢م.

«أسس الشِّعْر العربي الكلاسيكي» أيفالد فاجنر ترجمة د سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار القاهرة ٢٠٠٨م.

«أعلام التركمان والأدب التركي في العراق الحديث» مير بصري دار الورَّاق لندن ١٩٩٧م.

«أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العبَّاس» محمد دياب الأتليدي توفي بعد ١١٠٠ هـ دار صادر ١٩٩٠م.

«أعيان الشيعة» السيد محسن الأمين العاملي ١٢٨٢ - ١٣٧١ هـ / دار التعارف للمطبوعات / بيروت/ ١٩٨٣م.

«أعيان العصر وأعوان النصر» لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق الدكاترة: علي أبو زيد - نبيل أبو عمشة - محمد موعد - محمود سالم محمد قدم له: مازن عبد القادر المبارك الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

«الإحاطة في أخبار غرناطة» للسان الدين بن الخطيب محمَّد بن عبد الله بن سعد السلماني ٧١٣ - ٧٧٦هـ حقَّقه محمد عبد الله عنان / مكتبة الخانجي مصر/ الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

«الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد» إبراهيم الفوزان/ القاهرة/ مكتبة الخانجي/ ١٩٨١م.

«الأدب العصري في العراق العربي» القسم الأول/ المنظوم/ رفائيل بطي المطبعة السلفية بمصر ١٩٢٣م.

«الأدب في العصر الفاطمي» محمد زغلول سلام منشأة المعارف الأسكندرية.

«الأساطير اليونانية والرومانية» أمين سلامة القاهرة.

«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ٣٦٨ - ٤٦٣. تحقيق علي محمد البجاوي دار الجيل/ بيروت ١٩٩٢م

«الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين» للخالديين: أبي بكر محمد توفي ٣٨٠ وأبي عثمان سعيد توفي ٣٩٠ ابني هاشم. حَقَّقَهُ وعلَّق عليه السيد محمد يوسف /مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥م.

«الأعلام» للزركليّ «خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي المتوفى ١٣٩٦ هـ» دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

«الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأموي ٢٨٤ - ٣٥٦ هـ / طبعة دار صادر/ تحقيق الدكتور إحسان عباس وإبراهيم سعافين وبكر عباس / الطبعة الثالثة /بيروت ٢٠٠٨م.

«الأوراق» لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي توفي ٢٣٥ هـ نشره ج هيورث دن مطبعة الصاوي مصر ١٩٣٦م.

«الإيناس في علم الأنساب، ومختلف القبائل ومؤتلفها» للوزير المغربي الحسين بن علي بن الحسين ٣٧٠ - ٤١٨، ومحمد بن حبيب البغدادي «٣٤٥) تحقيق حمد الجاسر دار اليمامة / الرياض / الطبعة الأولى / ١٩٨٠م.

«البداية والنهاية» لابن كثير تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي دار هجر القاهرة ١٩٩٧م.

«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ١١٧٣ - ١٢٥٠ حقَّقه وعلق عليه محمد حسن حلاق منشورات دار ابن كثير / دمشق / بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م.

«البصائر والذخائر» لأبي حيان التوحيدي علي بن محمَّد بن العبَّاس توفي ٤١٤ هـ تحقيق الدكتورة وداد القاضي/ دار صادر بيروت ١٩٨٨م.

«التذكرة الحمدونية» لابن حمدون /محمد بن الحسن بن محمد بن علي ٤٩٥ - ٥٦٢ هـ تحقيق الدكتور إحسان عباس وبكر عباس دار صادر الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

«التذكرة الفخرية» للصاحب بهاء الدين المنشئ الإربلي «توفي ٦٩٢» تحقيق حاتم الضامن دار البشائر دمشق ٢٠٠٤م..

«التعازي والمراثي» للمبرد أبي العباس محمَّد بن يزيد ٢١٠ - ٢٨٦ هـ وضع حواشيه خليل المنصور دار الكتب العلمية/ بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

«الجليس الصالح» لأبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ٣٠٣ - ٣٩٠ هـ / دراسة وتحقيق محمد مرسي الخولي عالم الكتب/ بيروت/ الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

«الجواهري في العيون من أشعاره» دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر الطبعة الرابعة ١٩٩٨م.

«الجواهري وسيمفونية الرحيل» للدكتورة خيال محمد مهدي الجواهري منشورات وزارة الثقافة السورية دمشق ١٩٩٩م.

«الجواهري.. الليالي والكتب» صباح المندلاوي بغداد ٢٠٠٩م.

«الجوهرة في نسب النبيّ وأصحابه العشرة» للبُرِّي «محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التِّلمساني المعروف بالبُرِّي المتوفى بعد ٦٤٥هـ» نقَّحها وعلق عليها: د محمد التونجي، دار الرفاعي الرياض ١٩٨٣م.

«الحماسة البصرية» للبصري صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري المتوفى ٦٥٦ هـ تحقيق عادل سليمان جمال المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث القاهرة ١٩٨٧م.

«الديارات» للشابشتي «أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي توفي ٣٨٨ هـ» تحقيق كوركيس عواد دار الرائد العربي/ بيروت ١٩٨٦م.

«الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام «أبي الحسن بن بسام الشنتريني المتوفى ٥٤٢» تحقيق إحسان عباس/ دار الثقافة/ بيروت ١٩٩٧م

«الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني توفي ٥٤٢ هـ تحقيق الدكتور إحسان عباس دار الثقافة ١٩٩٧م.

«الرِّثاء» الدكتور شوقي ضيف دار المعارف القاهرة/ الطبعة الرابعة ١٩٨٧م.

«الرَّوْض الباسِم والعرف الناسم» لصلاح الدين الصفدي دار الآفاق العربية ٢٠٠٥م.

«الساق على الساق في ما هو الفارياق» لأحمد فارس الشدياق ١٢١٩ - ١٣٠٤ هـ طبعة باريس.

«السومريون، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم» صموئيل نوح كريمر ترجمة: د. فيصل الوائلي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٣م.

«الشعر والشعراء» لابن قتيبة الدينوري عبد الله بن مسلم تحقيق احمد محمد شاكر / دار المعارف مصر/ ١٩٨٢م.

«العقد الفريد» لابن عبد ربه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ٢٤٦ - ٣٢٨ / تحقيق عبد المجيد الترحيني دار الكتب العلمية / بيروت ١٩٨٣م.

«العمدة في محاسن الشِّعْر وآدابة ونقده» لابن رشيق القيرواني محمد بن سعيد بن أحمد ٣٩٠- ٤٥٦ هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / دار الجيل/ الطبعة الخامسة ١٩٨١م.

«ألف ليلة وليلة» طبعة الخصوصي القاهرة منقَّحة عن طبعة بولاق ١٢٨٩ هـ.

«القسطاس في علم العروض» للزمخشري، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي جار الله الزمخشري ٤٦٧ - ٥٣٨ هـ / تحقيق فخر الدين قباوة/ مكتبة المعارف / بيروت ١٩٨٩م.

«الكامل في اللغة والأدب» للمبرِّد محمد بن يزيد ٢١٠ - ٢٨٥ هـ تحقيق محمد أحمد الدالي مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٩٩٢م.

«الكتاب المقدس»

«الكتاب» لسيبويه «أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر ١٤٨ - ١٨٠ هـ» شرح وتحقيق عبد السلام هارون/ مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

«المازني شاعر النفس والحياة» الدكتور عبد اللطيف عبد الحميد الدار المصرية /اللبنانية ١٩٩٨ م.

«المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة» لابن جني «أبي الفتح عثمان بن جني توفي ٣٩٢» تقديم وتحقيق الدكتور حسن الهنداوي دار القلم دمشق / دار المنارة/ بيروت ١٩٨٧م.

«المحاسن والأضداد» للجاحظ عمر بن بحر بن محبوب ١٦٣ - ٢٥٥ هـ.دار ومكتبة الهلال/ بيروت١٤٢٣ هـ.

«المحاسن والمساوئ» للبيهقي إبراهيم بن محمد البيهقي توفي ٣٢٠ هـ طبعة دار صادر ١٩٧٠م.

«المرثاة الغزلية في الشِّعْر العربي» الدكتور عناد غزوان اسماعيل/ بغداد مطبعة الزهراء ١٩٧٤م.

«المستطرف من كل فن مستظرف» للأبشيهي محمد بن أحمد بن منصور ٧٩٠ - ٨٥٢ هـ تحقيق ابراهيم صالح/ دار صادر ١٩٩٩م.

«المعارف» لابن قتيبة. تحقيق: د. ثروة عكاشة دار المعارف القاهرة الطبعة الرابعة ١٩٨١م.

«المعاني الكبير في أبيات المعاني» لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري/ دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

«المُغْرب في حُلي المَغْرب» لإبن سعيد المغربي أبي الحسن علي بن موسى بن محمد ٦١٠ - ٦٨٥ تحقيق: الدكتور شوقي ضيف الطبعة الرابعة دار المعارف ١٩٩٣م.

«المقفى الكبير للمقريزي» أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقريزي ٧٦٦ - ٨٤٥ هـ تحقيق محمد البعلاوي دار الغرب الإسلامي ١٩٩١م.

«الملحق التابع للبدر الطالع» لمحمد بن محمد بن يحيى زبارة الحسني اليمني الصنعاني «المتوفى: ١٣٨١هـ» طبعة مطبعة السعادة بمصر ١٩٢٩م.

«الممتع في صنعة الشعر» لعبد الكريم النهشلي القيرواني تحقيق د. محمد زغلول سلام منشأة المعارف بالاسكندرية.

«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ٥٠٨ - ٥٩٧ هـ تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية/ بيروت ١٩٩٢م.

«المنثور والمنظوم/ القصائد المفردات التي لا مثل لها» لطيفور أحمد بن أبي طاهر / ٢٠٤ - ٢٨٠ هـ تحقيق: الدكتور محسن غياض/ دار تراث عويدات/ بيروت/ باريس ١٩٧٧م.

«المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم» لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي توفي ٣٧٠ هـ صحَّحه وعلَّق عليه: الدكتور «ف كرنكو» دار الجيل/ بيروت ١٩٩١م.

«الموشَّى أو الظرف والظرفاء» للوشاء أبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء توفي ٣٢٥ هـ تحقيق: كمال مصطفى مكتبة الخانجي للطباعة والنشر مطبعة الاعتماد بمصر الطبعة الثانية ١٩٥٣ م.

«النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية» لعمارة اليمني اعتنى بتصحيحه هرتويغ دورنبرغ طبعة مكتبة المثنى بغداد عن طبعة مطبعة مرسو، في مدينة شالون على نهر سون سنة ١٨٩٧م.

«الوافي بالوفيات» لصلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدي ٦٩٦ - ٧٦٤ هـ الطبعة الثانية باعتناء عدد من الباحثين: فرانز شتاينر، فيسبادن الطبعة الثانية ١٩٧٤م.

«إلى روح أم سهيل - عاد الربيع بكل لاهثة العبير ولم تعودي» حامد حسن/ صدرت في كراس منفرد عن مطبعة عكرمة بدمشق بدون تاريخ.

«أنَّاتٌ حائرة» عزيز أباظة تقديم الدكتور طه حسين الطبعة الأولى دار المعارف ١٩٤٣م.

«أوراق» جمال عبد الجبار علوش منشورات إتحاد الكتاب العرب بدمشق/ ١٩٩٨م.

«بحار الأنوار» محمد باقر المجلسي توفي ١١١١هـ / مؤسسة الوفاء/ بيروت طبعة ثانية ١٩٨٣م.

«تاج العروس من جواهر القاموس» محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ تحقيق ضاحي عبد الباقي مراجعة الدكتور عبد اللطيف محمد خطيب/ سلسة التراث العربي ـ الكويت ٢٠٠١م.

«تاريخ الآداب اللغة العربية١٨٠٠ - ١٩٢٥» لويس شيخو ١٢٥٣ - ١٣٣٥ دار المشرق بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩١م.

«تاريخ الخلفاء» للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي «المتوفى: ٩١١هـ» تحقيق: حمدي الدمرداش مكتبة نزار مصطفى الباز/ ٢٠٠٤م.

«تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من جلّه امن الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وراديها وأهلها» لابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن الشافعي ٤٩٩ - ٥٧١ هـ تحقيق محب الدين العمروي/ دار الفكر/ ١٩٩٥م.

«تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق» لداوود الأنطاكي توفي ١٠٠٨ هـ وبهامشه «ديوان الصبابة» لابن أبي حجلة أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني ٧٢٥ - ٧٧٦ هـ طبعة المطبعة الأزهرية القاهرة.

«تعليق من أمالي ابن دريد» أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي «المتوفى: ٣٢١هـ» تحقيق السيد مصطفى السنوسي/ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت / ١٩٨٤م.

«جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام» للقرشي أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي/ تحقيق: د. محمد علي الهاشمي/ جامعة الإمام محمد بن سعود. ١٩٨١م.

«حذام» عبد الكريم كاصد قصائد في مرثية زوجته الراحلة، نسخة مخطوطة.

«حصاد الدمع» محمد رجب البيومي مطبعة دار العالم العربي مصر ١٩٧٩م.

«حصاد الهشيم» إبراهيم عبد القادر المازني / الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة مكتبة الأسرة.

«حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» عبد الرزاق البيطار ١٢٥٣ - ١٣٣٥ هـ / دار صادر / حققه ونسَّقَهُ وعلَّق عليه: حفيده محمد بهجة البيطار/ الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

«حماسة القرشي» عباس بن محمد القرشي النجفي ١٢٩٩ هـ تحقيق خير الدين محمود قبلاوي وزارة الثقافة السورية دمشق ١٩٩٥م.

«خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الأصفهاني عِمَاد الدِّين الكاتب محمد بن محمد صفي الدين ابن نفيس الدين ٥١٩ - ٥٩٧ هـ
شعراء المغرب والأندلس تحقيق: اذرتاش اذرنوش نقحه وزاد عليه محمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي الطبعة الثانية الدار التونسية للنشر .١٩٨٦

«خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب» لعبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠- ١٠٩٣ هـ، تحقيق عبد السلام هارون/ مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الرابعة ٢٠٠٠م.

«خواطر الحياة» محمد الخضر حسن ضمن موسوعة الأعمال الكاملة دار النوادر دمشق / بيروت / الكويت ٢٠١٠.

«ديوان ابن الرومي» تحقيق حسين نصار / دار الكتب المصرية ٢٠٠٣م.

«ديوان ابن الزقاق البلنسي» تحقيق عفيفة الديراني/ دار الثقافة بيروت ١٩٦٤م.

«ديوان ابن حمديس» تحقيق ستيونو سكياباريللي/طبعة رومية الكبرى ١٨٩٧م.

«ديوان ابن سناء الملك» تصحيح محمد عبد الحق طبعة مطبعة مجلس دائرة المعارف الهندية حيدر آباد ١٩٥٨.

«ديوان ابن ميَّادة» حققه: حنا جميل حداد مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٢م.

«ديوان ابن نباتة المصري» مطبعة التمدُّن بعابدين مصر ١٩٠٥م.

«ديوان أبو إسحاق الألبيري الأندلسي المتوفى نحو ٤٦٠ هجرية حققه وشرحه واستدرك فائقه: محمد رضوان الداية دار الفكر المعاصر / بيروت لبنان / دار الفكر دمشق الطبعة الأولى ١٩٩١م.

«ديوان أبي حيان الأندلسي» تحقيق د.أحمد مطلوب،و د. خديجة الحديثي مطبعة العاني/بغداد ١٩٦٩م.

«ديوان أبي/ تمام حبيب بن أوس الطائي» شرح التبريزي/ تحقيق مخمد عبده عزام دار المعارف القاهرة.

«ديوان اسماعيل صبري» - أبو أميَّة» تحقيق الدكتور محمد القصاص وعامر محمد بحيري والدكتور أحمد كمال زكي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت / لبنان.

«ديوان الأعمى التطيلي ومجموعة من موشحاته» أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة/ تحقيق الدكتور إحسان عباس / دار الثقافة بيروت ١٩٨٩م.

«ديوان الإمام علي» اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي طبعة دار المعرفة ٢٠٠٥م.

«ديوان الإمام علي» جمع وترتيب عبد العزيز الكرم ١٩٨٨م.

«ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحد» تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، محمد بن العباس القباج، سعيد أعراب، ومحمد بن تاويت النطواني. إصدار جامعة محمد الخامس/المغرب. ١٩٧٤م.

«ديوان الجواهري» وزارة الاعلام العراقية/مديرية الثقافة العامة- مطبعة الأديب البغدادية ١٩٧٣م.

«ديوان الشريف الرضي» شرح الدكتور محمود مصطفى حلاوي شركة الأرقم بن أبي الأرقم/ بيروت/ لبنان ١٩٩٩م.

«ديوان الشريف المرتضى» تحقيق رشيد الصفار - مراجعة الدكتور مصطفى جواد/ طبعة عيسي البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٨م.

«ديوان الشيخ محمد آل حيدر» جمع وتحقيق الدكتور سعد الحداد مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

«ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري» تحقيق الدكتور عمر موسى باشا مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٨م.

«ديوان الطغرائي» مطبعة الجوائب قسطنطينية ١٣٠٠هـ.

«ديوان العباس بن الأحنف» تحقيق: الدكتورة عاتكة الخزرجي طبعة دار الكتب القاهرة ١٩٥٢م.

«ديوان الفرزدق» شرح ايليا الحاوي / دار الكتاب اللبناني / بيروت ١٩٨٣م.

«ديوان القاسم بن علي بن هتيمل» دراسة وتحليل محمد بن أحمد عيسى العقيلي دار الكتاب العربي بمصر / الطبعة الأولى ١٩٦١ م.

«ديوان اللواح» أبو حمزة سالم بن غسان بن راشد بن محمد الخروصي حقَّقَه: محمد علي الصليبي/ وزارة التراث القومي والثقافة/ سلطنة عمان سنة ١٩٨٩م.

«ديوان الوأواء الدمشقي» أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني، جمعه: أغناطيوس كراتشوفسكي مطبعة بريل / ليدن ١٩١٣م وكذلك ديوانه بتحقيق سامي الدهان نشر دار صادر/ بيروت ١٩٩٣م.

«ديوان الوائلي» شرح وتدقيق سمير شيخ الأرض مؤسسة البلاغ/ دار سلوني ٢٠٠٧. وكذلك «ديوانه» /الناشر ميثم الخرسان.

«ديوان الوليد بن يزيد» طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٣٧م جمعه: المستشرق ج جبريالي وقدَّمه خليل مردم.

«ديوان بشار بن برد» شرح محمد الطاهر ابن عاشور لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٧م.

«ديوان بن تميم بن المعز لدين الله الفاطمي» تحقيق أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، محمد كامل حسين طبعة دار الكتب مصر ١٩٥٧م.

«ديوان جرير» بشرح محمد ابن حبيب تحقيق نعمان محمد أمين طه/ دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٨٦م.

«ديوان ديك الجن» جمع وتحقيق ودراسة مظهر الحجي/ منشورات اتحاد الكتاب العرب/ دمشق ٢٠٠٤م.

«ديوان رئيس الوزراء محمود سامي البارودي» شرح: علي عبد المقصود دار الجيل ١٩٩٥م وكذلك في«ديوان البارودي» تحقيق: علي الجارم ومحمد شفيق معروف طبعة دار العودة/ بيروت ١٩٩٨م.

«ديوان صالح مجدي» طبعة بولاق ١٣١١ هـ

«ديوان صريع الغواني/ مسلم بن وليد الأنصاري» تحقيق سامي الدهان دار المعارف مصر الطبعة الثالثة ١٩٨٥م .

«ديوان على الشرقي» الجمهورية العراقية / وزارة الثقافة والفنون/ دار الرشيد للنشر/ جمع وتحقيق ابراهيم الوائلي وموسى الكرباسي ١٩٧٩م.

«ديوان عمر أبو ريشة» دار العودة بيروت ١٩٨٨ م.

١«ديوان قيس بن الملوَّح- مجنون ليلى» برواية أبي بكر الوالبي/ دراسة وتعليق: يسري عبد الغني/ دار الكتب العلمية/ بيروت ١٩٩٩م.

«ديوان كُثَيِّر عَزَّة» جمعه وشرحه إحسان عباس/ دار الثقافة/ بيروت ١٩٧١م.

«ديوان محمد بن عبد الملك الزيات/ سيرته، أدبه» تحقيق يحيى الجبوري/ الطبعة الأولى/ دار البشير / عمان/ الأردن ٢٠٠٢م.

«ديوان محمود الوراق» جمع ودراسة وتحقيق الدكتور وليد القصاب مؤسسة الفنون عجمان ١٩٩١م.

«ذكرياتي» محمد مهدي الجواهري دار الرافدين/ دمشق ١٩٨٨م.

«راهب الليل» دار الشروق الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

«رايات المبرزين وغايات المميزين» لعلي بن موسى بن سعيد الأندلسي أبو الحسن ٦١٠ - ٦٨٥ هـ تحقيق: محمد رضوان الدَّاية / دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر/ دمشق ١٩٨٧م.

«راينر ماريا ريلكه الآثار الشعرية» ترجمة كاظم جهاد «منشورات الجمل/ الكلمة ٢٠٠٩م.

«ربيع الأبرار ونصوص الأخبار» للزمخشري أبو القاسم محمود ين عمر الزمخشري/ تحقيق عبد الأمير منها مؤسسة العلمي/ بيروت ١٩٩٢م.

«رحيل» عصام العطار الدَّار الإسلامية للإعلام/ بون، ١٩٨٥م.

«رسالة الصاهل والشاحج» لأبي العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن«بنت الشاطئ» دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٨٤ م.

«ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب» لسان الدين بن الخطيب تحقيق محمد عبد الله عنان / مكتبة الخانجي القاهرة / الطبعة الأولى ١٩٨١م.

«زهر الآداب وثمر الألباب» للقيرواني أبي أسحاق ابراهيم بن علي الحصري شرحه الدكتور زكي مبارك حققه وزاد في شرحه محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل الطبعة الرابعة.

«زهر الأكم في الأمثال والحكم» لليوسي الحسن بن مسعود بن محمد ١٠٤٠ - ١١٠٢ هـ حققه الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الأخضر دار الثقافة/ المغرب ١٩٨١م.

«زوجة أبي امرأة من الزمن الجميل» عفاف أباظة دار المعارف القاهرة ٢٠٠٥م.

«سحر عدن وفخر اليمن» تحقيق: د محمد أبو بكر حميد / مكتبة كنوز المعرفة، جدة، ٢٠٠٨م.

«سياف الزهور» محمد الماغوط دار المدى للثقافه والنشر - دمشق. الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

«سيد العشاق» وجيه البارودي تقديم وليد قنباز/ طبع ١٩٩٤م.

«سير أعلام النبلاء» للذهبي شمس الدين بن محمد بن أحمد ٦٧٣ - ٧٤٨ هـ

الذهبي/ مؤسسة الرسالة/ حققه وخرج أحاديه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي/ الطبعة الحادية عشرة ١٩٩٦م.

«شرح ديوان الحماسة» اختاره: أبو تمام حبيب بن أوس توفي ٢٣١ هـ بشرح أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون دار الجيل/ بيروت ١٩٩١م.

«شرح ديوان الحماسة» للتبريزي يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا «المتوفى: ٥٠٢هـ» دار القلم/ بيروت.

«شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان» جلال الدين السيوطي.

«شعر السراج البغدادي» جمع ودراسة: عادل كتاب نصيف العزاوي مراجعة وتقديم: الدكتور علي جابر المنصوري مطبعة العاني بغداد / طبعة أولى ١٩٩٠م.

«شعراء معاصرون» إسماعيل أدهم / دار المعارف القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

«صحيح مسلم» أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفي ٢٦١ هـ مجموعة من المحققين دار الجيل - بيروت / مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ هـ

«صدى الأشجان»: حسن محمد حسن الزهراني «النادي الأدبي بالباحة ١٩٩٨م.
«طبقات الشعراء» لابن المعتز عبد الله بن محمد المعتز باللّٰه بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي ٢٤٧ - ٢٩٦ هـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج دار المعارف مصر ١٩٧٦م.
«عبد الرحمن الخميسي الكلمة والموقف» مجموعة من الكتاب / مؤسسة ناصر للثقافة دار الوحدة/ بيروت ١٩٧٥م.
«عبد المعين الملوحي بين الشك واليقين» مع قصيدتى «بهيرة» و«ورود» محمد غازي التدمري دار الإرشاد للنشر/حمص/ سوريا ٢٠٠٧م.
«عجائب الآثار في التراجم والأخبار» لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي ١١٦٧ - ١٢٣٧ هـ تحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم/ مطبعة دار الكتب المصرية عن / طبعة بولاق/ القاهرة ١٩٩٧م.
«علي أحمد باكثير بمناسبة مرور قرن على مولده» للدكتور عبد الحكيم الزبيدي/ سلسة كتاب الرافد/ دار الثقافة والإعلام/ الشارقة ٢٠١٠م.
«عمر أبو ريشة دراسة في شعره ومسرحياته» محمد أسماعيل دندي، دار المعرفة / دمشق ١٩٨٨م.
«عيون الأخبار» لابن قتيبة تحقيق لجنة بدار الكتب المصرية/ دار الكتب المصرية الطبعة الثانية ١٩٩٦م.
«فنّ الشعر» أرسطوطاليس ترجمة عبد الرحمن بدوي مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣م.
«قصائد/ يوسف الصائغ المجموعة الشعرية الكاملة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٢م.
«قصص الأنبياء» لابن كثير عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ٧٠١ - ٧٧٤ هـ تحقيق عبد الحي الفرماوي دار الطباعة والنشر الإسلامية القاهرة الطبعة الخامسة ١٩٩٧م.

«قصيدة بلقيس» نزار قباني منشورات نزار قباني/ بيروت / لبنان/ الطبعة السادسة ١٩٩٨م.

«قلائد العقيان في محاسن الأعيان» لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان ٤٨٠ -٥٢٨ هـ تحقيق: حسين يوسف خريوش مكتبة المنار الأردن ١٩٨٩م.

«قوس قزح» مصطفى أحمد الزرقا الناشر/ عبد المقصود خوجه/ جدَّة. الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

«كأنك الخيط في الثوب» ياسين رفاعية / دار نلسن، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

«كتاب التشبيهات» لابن أبي عون أبراهيم بن محمد «ابن المنجم» توفي ٣٢٢ هـ عنيَ بتصحيحه: محمد عبد المعين خان/ طبعة كمبردج ١٩٥٠م.

«كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل» للوشَّاء أبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء توفي ٣٢٥ هـ تحقيق الدكتور يحيى الجبوري دار الغرب الأسلامي ١٩٩١م.

«كتاب فاطمة» محمد مظلوم الطبعة الأولى/ دار التكوين دمشق ٢٠١٠م.

«لسان العرب» لابن منظور «٦٣٠ - ٧١١ هـ = ١٢٣٢ - ١٣١١ م» طبعة دار المعارف القاهرة.

«لمح السحر من روح الشِّعْر وروح الشحر» مختصر كتاب «روح الشِّعْر «لأبي عبد لله محمد بن أحمد بن الجلاب / اختصار أبي عثمان سعيد بن ليون التجيبي الأندلسي ٦٨١ - ٧٥٠ هـ تحقيق وتعليق: سعيد بن الأحرش/ أبوظبي منشورات المجمع الثقافي.

«مختارات البارودي» حقَّقها وشرحها مجموعة من الباحثين بإشراف الدكتور محمد مصطفى هدارة، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م.

«مختارات من الشِّعْر العربي في القرن العشرين» إصدار مؤسسة عبد العزيز البابطين ٢٠٠١م.

«مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان» لليافعي عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي ٦٩٨ - ٧٦٨ هـ وضع حواشيه خليل المنصور دار الكتب العلمية/ بيروت ١٩٩٧ م.

«مرآة النساء فيما حَسُنَ منهُنَّ وساء» للشيخ محمد كمال الدين الأدهمي دار التوفيق / بيروت ٢٠٠٤ م.

«مرثيتي الباكية في زوجتي الشهيدة الغالية» فريد عبد الخالق/ دار النشر للجامعات القاهرة ٢٠٠٩ م.

«مروج الذهب للمسعودي» أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى ٣٤٦ هـ» تحقيق يوسف البقاعي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

«مسخ الكائنات» أوفيد ترجمة ثروت عكاشة/ الهيئة المصرية للكتاب/ الطبعة الثالثة/ ١٩٩٢م.

«مصارع العُشَّاق» للسراج القارئ جعفر بن أحمد بن الحسين ٤١٨ - ٥٠٠ هـ دار صادر بيروت.

«معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين/ الكويت ٢٠٠٨م.

«معجم البلدان» لياقوت الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ٥٧٤ - ٦٢٦ هـ دار صادر/ بيروت ١٩٧٧م.

«معجم الشعراء» للمرزباني أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى ٢٩٧ - ٣٨٤ هـ تحقيق المستشرق سالم الكرنكوي دار الكتب العلمية/ بيروت / الطبعة الثانية ١٩٨٢م.

«من أعلام الأدب المعاصر» الدكتور جمال الدين الرمادي/ دار الفكر العربي/ القاهرة/ دون تاريخ.

«من وحي المرأة» عبد الرحمن صدقي دار المعارف القاهرة.

«منتهى الطلب من أشعار العرب» لابن ميمون محمد بن مبارك بن ميمون توفي ٥٨٩ هـ تحقيق الدكتور محمد نبيل الطريفي/ دار صادر بيروت ١٩٩٩ م.

«منهاج البلغاء وسراج الأدباء» لأبي الحسن حازم القرطاجني تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة / دار الغرب الإسلامي / بيروت ١٩٨٦ .

«نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان» لأبي الوليد اسماعيل بن الاحمر، توفي ٨٠٧ هـ تحقيق محمد رضوان الداية / بيروت / عالم الكتب، ١٩٨٦م.

«نساء الخلفاء» لابن الساعي علي بن أنجب بن عثمان ٥٩٣ - ٦٧٤ هـ طبعة دار المعارف بمصر، تحقيق مصطفى جواد.

«نفاضة الجراب في علالة الاغتراب» للسان الدين بن الخطيب تحقيق: الدكتور أحمد مختار العبادي مراجعة: الدكتور عبد العزيز الاهواني/ دار الشؤون الثقافية بغداد.

«نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» لأحمد بن محمد المقري التلمساني، ٩٩٢ - ١٠٤١ هـ تحقيق الدكتور إحسان عباس دار صادر / بيروت١٩٨٨م.

«نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى ٧٣٣ هـ تحقيق: يحيى الشامي/ دار الكتب العلمية / بيروت ٢٠٠٤م.

«نور القبس» للمرزباني اختصار أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغموري - تحقيق رودلف زلهايم - دار «فرانتس شتاينر بيفسبادن» ١٩٦٤م (النشرات الإسلامية- ٢٣).

«همام في بلاد الأحقاف» علي أحمد باكثير مسرحية طبعة مكتبة مصر القاهرة.

«وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان» لابن خلكان «أبو العبَّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ٦٠٨ -٦٨١ هجرية تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر/ بيروت.

«يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» للثعالبي أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري المتوفى٤٢٩ شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية ١٩٨٣م.

«يوميات السكاكيني» خليل السكاكيني تحرير: أكرم مسلم مركز خليل السكاكيني الثقافي ومؤسسة الدراسات المقدسية الطبعة: الأولى٢٠٠٩م.

الصحف والمجلات والدوريات:

«مجلة الرسالة» أحمد حسن الزيات

«مجلة المورد»

«مجلة الموسم» العدد السابع

«مجلة الواحة»

«مجلة نزوى»

«رابطة أدباء الشام لندن»

«جريدة الإقتصادية» السعودية

«جريدة الدستور» الأردنية

هذا الكتاب

حتى عصر النهضة في الثقافة العربية، كان ثمَّة من يرى أنَّ رثاء المرأة يعدُّ خروجاً على نمط الشِّعْر القديم، أو في أحسن الأحوال لا يجد فيه أكثر من تعزية ومواساة وليس كما سيتضح، من خلال نصوص هذا الكتاب، بأنها تجربةٌ مغايرةٌ بأسئلتها العميقة، تنحو بالشعر العربي نحو ضفاف أخرى.

ومما نحاول إثباته هنا أنَّ رثاء المرأة في ثقافتنا قديم قِدَمَ الشِّعر، من خلال نماذج تبدأ من الشعر السومري مروراً بالشعر العربي في عصوره المختلفة، وصولاً إلى الشعر العربي الحديث وقصيدة النثر.

رثاء الزوجات في هذا الكتاب مدائح حزينة قي غياب الممدوح، وغزل بلا غايات تحضر فيه جماليات الغائب بكثافة دون حضوره الجسدي. وتُصوِّر اللحظات الأخيرة بين شخصين عاشا معاً، ومن هنا فإنها تنطوي كذلك على رثاء للروح التي بقيت مفردة بعد شريك يومياتها إذ يخلو السرير من الشريك الميت، فيغدو العالم كلُّه مهجوراً.

